موسوعة

تاريخ الأقباط

الجزء الثامن

تأليف

زكي شنوده
المحامي

موسوعة

تاريخ الأقباط

والمسيحية

الجزء الثامن

تأليف

زكي شنوده

المحامي

الطبعة الأولى

١٩٧٣



ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة

تقديم

للدكتور باهور لبيب

عضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيـــة ،
وعضو المجمع العلمى المصرى ، وعضو معهد الآثار الألمانى ببرلين،
وعضو مجلس ادارة هيئة القدس العلمية ، ونائب رئيس
لجنة اليونسكو الدولية لدراسة نصوص العارفين بالله
واستاذ التاريخ المصرى القديم بجامعة القاهرة ،
ومديـــر المتحف القبطى ســـــابقا

ان هذا العمل الجليل الذى يضطلع به الأستاذ زكى شنوده المحامى فى تدوين موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ، لا يفتأ يستلفت أنظارنا بضخامة ما أنجزه منه حتى الآن ، وضخامة مالا زال باقيا عليه أن ينجزه على مقتضى المنهج الذى التزمه ، هادفا – كما تبين لنا من الأجزاء السبعة السابقة – الى اقامة دراسته لتاريخ الأقباط على أساس بعيد الغور ، شديد العمق ، مما ينبىء بانه اعتزم أن يقيم على هذا الأساس بناء عريض الجوانب عظيم الارتفاع، اذ اختط لنفسه الخطة المثالية فى تدوين التاريخ ، ممهدا له بشرح كل الظروف والملابسات التى أدت الى احداث هذا التاريخ ، أو أحاطت به ، أو أثرت فيه

من قريب أو بعيد ، والتى تشتمل على كل عامل من العوامل ، وكل عنصر من العناصر ، وكل ناحية من النواحى التى تتألف منها حياة الدول والشعوب، ولا سيما النواحى السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والحضارية على العموم ٠

وهكذا شرع الأستاذ زكى شنوده قبل دراسته لتاريخ الأقباط فى دراسة تاريخ أجدادهم قدماء المصريين دراسة عريضة مستفيضة ، أشهد أنها من أدق وأعمق وأصدق الدراسات التى تناولت هذا الموضوع ٠ ثم شرع بعد ذلك فى دراسة عقيدة الأقباط وهى العقيدة المسيحية التى كانت على الدوام هى عماد حياة الاقباط والعمود الفقرى لتاريخهم ، بل هى حجر الأساس فى هذا التاريخ ، وهذا منهج نؤيد فيه الأستاذ زكى شنوده كل التأييد ، ونناشده أن يظل ملتزما له مستمرا فيه ، طالما أنه المنهج الذى تستلزمه كل دراسة تاريخية يراد لها أن تقوم على أساس متين من الأمانة العلمية والدقة والعمق والصدق ٠

وقد استلزمت دراسة العقيدة المسيحية ـ على مقتضى المنهج الذى التزمه المؤلف ـ دراسة أخرى كان لابد أن تسبقها ، لأنها وثيقة الصلة بها ، وهى دراسة العقيدة اليهودية وأحوال المجتمع اليهودى على العموم فى وقت مجىء السيد المسيح ٠ ومن ثم خصص المؤلف لهذه الدراسة جزأين من موسوعته ، أولهما هذا الجزء الثامن الذى بين أيدينا ٠ واننى لأشهد فى غير مبالغة أن هذا الجزء يتضمن اقوى وأعمق وأوفى دراسة لنشأة اليهود وعقيدتهم ، حتى اننى أعتبره من المراجع النادرة فى هذا الموضوع ٠ ولعل من توفيق الله أن يصدر هذا الجزء فى هذا الوقت بالذات الذى تتعرض فيه بلادنا العزيزة لعدوان الصهيونيين الذين هم البقية الباقية من فلول اليهود المتعصبين الذين تشتتوا فى العالم بعد خراب بلادهم واندثار أمتهم منذ عشرين قرنا من الزمان٠ فقد فضح المؤلف فى هذا الجزء من موسوعته آكاذيب اليهود وافتراءاتهم فيما

يدعون من حقوق تاريخية ودينية فى أرض فلسطين ، مبرهنا من واقع كتابهم المقدس ذاته وهو التوراة على أنهم لم يكونوا طوال اقامتهم فى فلسطين الا غاصبين لها بالقوة والغدر من أصحابها الشرعيين منذ عهد موسى الى عهد السيد المسيح ، ومبرهنا على أن الله الذى يدعون أنهم شعبه المختار ، قد رفضهم وغضب عليهم وقضى بهلاكهم ، وتشريد البقية الباقية منهم فى كل أنحاء الأرض الى آخر الزمان • وقد أبدع المؤلف أيما ابداع ونجح أيما نجاح فى أن يبرز لنا من خلال دراسته لنشأة اليهود وعقيدتهم ، طبيعة اليهود التى لازمتهم منذ بداية تاريخهم حتى اليوم ، وما يملأ نفوسهم من خصال خبيثة ورثوها عن أجدادهم الأولين ، وما يملأ رؤوسهم من أوهام واحلام استمدوها ـ فى غلط فى الفهم ومغالطة فى التفسير ـ من التوراة التى هى كتابهم المقدس ، وبنوا عليها كل تصرفاتهم التى يعانى منها العالم اليوم ما يعانى من آلام وويلات • فما من تصرف تتصرفه اليوم دولة اسرائيل غير الشرعية ، لا تبنيه على أحداث تاريخ اليهود وعقيدتهم ، التى أخذوها من التوراة بعد أن حوروها وحرفوها مفسرين اياها على مقتضى هواهم ، وطبقا لأطماعهم وتطلعاتهم ولعل من أهم الأمور بالنسبة لنا نحن المصريين فى صراعنا اليوم مع الصهيونيين اليهود أن نفهم عقليتهم على حقيقتها ، وأن نغوص فى أعماق نفسيتهم كى نفهم نوازعهم ونعلم مراميهم ونتصرف على مقتضى دوافعهم التى تمليها عليهم هذه العقلية السقيمة ، وهذه النفسية المريضة المعقدة العقيمة • وهذا ما يكفل لنا هذا الكتاب جانبا كبيرا منه ، ويكشف لنا قدرا عظيما من خباياه وخفاياه •

فلا يسعنى ازاء هذا كله الا أن أعبر عن تقديرى لهذا الجهد الجبار الذى يحمل عبأه الأستاذ زكى شنوده فى صمت وصبر ومثابرة لا يطيقها أو يقدر عليها الا أصحاب الرسالات ، متمنيا له المزيد من التوفيق ، وراجيا له القدر من الصحة الكفيل بمواصلة جهده فى أداء رسالته •

دكتور بلهور لبيب

مقدمة

راينا فى الأجزاء السابقة من هذه الموسوعة أن دراستنا لتاريخ الاقباط تتطلب منا بحثا تمهيديا ذا شقين · أولهما يتضمن دراسة تاريخ أجداده الأقباط الأولين ، وهم قدماء المصريين ، لأن لقب الأقباط ذاته مشتق من كلمة ذات أصل هيروغليفى تعنى مصر ، ولأن تاريخ الأقباط ليس الا حلقة من حلقات تاريخ هذه الأمة المصرية التى نشأت فى وادى النيل منذ آلاف السنين وتشكل هذه الحلقات فى مجموعها سلسلة واحدة تتصل كل حلقة منها بالحلقة السابقة عليها اتصالا وثيقا ، بحيث أن دراسة كل حلقة تتطلب حتما دراسة الحلقات السابقة عليها ، قصدا الى تعميق هذه الدراسة ، وضمانا لترابط بنيانها ، وقيام هذا البنيان فى جملته على أساس من التحليل العلمى السليم ، والا كانت دراستنا لتاريخ الأقباط سطحية ومبتورة ، فى حين أننا نريد لها أن تكون أعمق ما تكون وأكمل ما تكون ، مهما بذلنا فى سبيل ذلك من جهد ، ومهما تحملنا من عناء ·

أما الشق الثانى من هذا البحث التمهيدى الذى تتطلبه دراسة تاريخ الأقباط ، فهو يتضمن دراسة عقيدة الأقباط — وهى العقيدة المسيحية — دراسة وافية وكافية بقدر الامكان ، لأن تاريخ الأقباط قائم فى الحقيقة جملة وتفصيلا على عقيدتهم ، ولا سيما فى القرون الأولى حين كانوا خاضعين لسيطرة المستعمرين الرومان · فمنذ أن جاء مرقس الرسول الى مصر ليبشر بالعقيدة المسيحية أصبحت هذه العقيدة هى محور ومدار كل الصراعات الدينية والاجتماعية والسياسية التي تعرض لهـا المجتمع المصري على مدى مئات

السنين . وقد كان مما تمخضت عنه هذه الصراعات في بداية الأمر هو تحول المصريين الى العقيدة المسيحية على الرغم من أن كل الطغاة الذين فتحوا بلادهم من قبل - ولا سيما الأشوريون والفرس واليونان والرومان - لم يستطيعوا أن يحولوهم بأى وسيلة من وسائل العنف أو غير العنف عن عقائدهم المصرية الأولى ، التي ظلوا متمسكين بها في استماتة واصرار طوال آلاف السنين ، ثم لم يلبث اعتناقهم للعقيدة المسيحية واستمساكهم بها أن أدى الى ملحمة عنيفة دامية من ملاحم الجهاد التي لم يشهد التاريخ لها مثيلا في قسوتها وطـــول مداها ضد حاكميهم الرومان الوثنيين حتى وصل عدد شهدائهم في هـــذا السبيل الملايين حتى أصبح تاريخهم نفسه معروفا بتاريخ الشهداء . ثم ظلوا - حتى بعد أن اعتنق الرومان المسيحية - يدافعون طوال عدة قرون عن المبادىء الحقيقية الأصيلة لهذه الديانة ضد الذين أرادوا الخلط بينها وبين المعتقدات الوثنية القديمة . أو أرادوا خلط معتقداتها ببعض هذه المعتقدات أو ببعض أفكار الفلسفة اليونانية أو غيرها من الفلسفات مستندين في ذلك كله الى سلطان الامبراطور الروماني حتى لقد لقى الأقباط في سبيل دفاعهم هذا من العنت والعنف من جانب الدولة الرومانية بعد اعتناقها المسيحية ما يكاد يساوى ما لقوه منها قبل اعتناقها ذلك الدين . وقد عكف المصريون خلال هذه الصراعات كلها على دراسة العقيدة المسيحية دراسة عميقة عريضة مستفيضة ليتمكنوا من الدفاع عنها ضد أعدائهم وأعدائهـــا من الأباطرة والفلاسفة والوثنيين واليهود والمنحرفين من المسيحيين على السـواء . حتى أصبحوا - وهم أساتذة العالم كله منذ القدم في كل شيء - هم أساتذة العالم كله كذلك في فهم مبادىء العقيدة المسيحية وشرحها وتحليلهـــا . وأصبحوا هم المبشرين بتعاليمها والمؤسسين لتقاليدها والمحافظين على أصولها من عبث العابثين وتضليل المضللين على مدى التاريخ فكان من أثر هـــذه العوامل جميعا أن أصبح تاريخ الأقباط كما قلنا يدور كله حول عقيدتهم بل أصبح تاريخهم هو تاريخ عقيدتهم ، وأصبح تاريخ عقيدتهم هو تاريخهم

ومن ثم أصبح من المحتم علينا لكى ندرس تاريخ الاقباط ، أن نمهد لذلك بدراسة العقيدة المسيحية التى هى عقيدة الأقباط • ولذلك لم يسعنا الا أن نقرن تاريخ الأقباط بالمسيحية ، فجعلنا عنوان هذه السلسلة من الكتب التى تتناول هذا الموضوع « موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية » •

وقد سبق أن تناولنا الشق الأول من هذا البحث التمهيدى وهو دراسة تاريخ أجداد الأقباط فشرحناه فى الأجزاء السابقة من هذه الموسوعة ، ثم شرعنا فى دراسة الشق الثانى وهو العقيدة المسيحية • وقد ذكرنا فى الأجزاء السابقة أن دراسة هذه العقيدة تتطلب دراسة حياة السيد المسيح وأعماله وتعاليمه ، وأن هذه الدراسة بدورها تقتضى دراسة حالة العالم قبل مجىء السيد المسيح ، ولا سيما من النواحى السياسية والاجتماعية والدينية والأخلاقية والفكرية ، فخصصنا لهذه الدراسة الجزء السابق من الموسوعة ، وهو الجزء السابع ، وقد كانت هذه الدراسة لازمة لمعرفة مدى حاجة العالم الى المسيحية فى ذلك الحين ، كما كانت هذه الدراسة لازمة لمعرفة سبب مجىء السيد المسيح الى العالم ، وفقا لما شرحناه فى ذلك الجزء من الموسوعة •

ولما كان السيد المسيح قد ظهر فى بلاد اليهود وقضى فترة وجوده على الأرض بينهم ، وكانت تعاليمه فى البداية موجهة اليهم ، كما كانت كل مناقشاته موجهة الى كهنتهم وفقهائهم الدينيين ، وكانت تدور كلها حول تعاليم شريعتهم وتقاليد شيوخهم وعادات مجتمعهم وما أثاروه معه من آراء وما دبروه من دسائس ومكائد ومؤامرات ضده ، يقتضينا ذلك كله ـ قبل أن نشرع فى دراسة العقيدة المسيحية ـ أن نتناول بالدراسة نشأة اليهود ومبادىء عقيدتهم وأحوال مجتمعهم قبل ظهور السيد المسيح بينهم وأثناء وجوده معهم ، لأننا لن نفهم أقوال السيد المسيح وأعماله التى هى أساس العقيدة المسيحية الا على ضوء دراستنا لذلك كله ، ولأن فى نشأة اليهود ومبادىء عقيدتهم وأحوال مجتمعهم فى تلك الحقبة من الزمان ، يتمثل المنبع الذى كانت تصدر

عنه كل أفكارهم وكل أفعالهم . بل لا زالت تصدر عنه حتى اليوم كل أفكار وكل أفعال الشراذم الباقية منهم بعد اندثار أمتهم وانتهاء دولتهم منذ ألفي عام . فقد شاركت في تكوين عقلية اليهود ونفسيتهم وأخلاقهم على مدى التاريخ السابق على المسيح مجموعة كبيرة من العوامل والعناصر والمعتقدات والأحداث والملابسات . لابد أن نحيط بها جميعا حتى نفهم هذا الشعب على حقيقته . وندرك مصدر تصوراته وتصرفاته ومرمى هذه التصورات والتصرفات . وما يراوده من آمال وتطلعات . يعتقد أنه يبنيها على حقائق مؤكدة . على الرغم من أنها في الواقع - كما سيتبين لنا - مبنية كلها على مغالطات وأحلام وأوهام . فهم - على سبيل المثال - ظلوا منذ بداية تاريخهم وبناء على تفسير خاطىء لنبوءات أنبيائهم . ينتظرون مسيحا يأتيهم في صورة قائد حربي جبار . يغزو بجيوشه العالم . ويجعلهم سادة جميع الأمم . في كل مكان على الأرض ، والى آخر الزمان . حتى اذا جاءهم المسيح الحقيقي الذي تنبأ به أنبياؤهم وظهر بينهم بمظهر الشخص الوديع المتواضع الذي لا يتذرع بالقوة والبطش . ولا يغزو الجيوش الجرارة الى الحرب والسلب والنهب مغدقا عليهم الذهب والسلطة والجاه . عصب اليهود عليه وأنكروا أنه المسيح الذي ينتظرونه وأمسكوه ونكلوا به . وظلوا الى اليوم ينتظرون المسيح كما يصورونه . عملاقا جبارا . وفاتحا مغوارا . يعيد اليهم مملكة داود التي فقدوها منذ ثلاثة آلاف عام . ويقيم لهم امبراطورية تسيطر على العالم كله . يكونوا هم سادة كل الشعوب . على مقتضى غرورهم وصلفهم .

وقد استمد اليهود هذا الغرور وهذا الصلف الذي لازمهم منذ نشأتهم الأولى - على الرغم من حقارة شأنهم - من أنهم اعتبروا أنفسهم شعب الله المختار . مستندين في ذلك الى بعض نصوص التوراة . اذ جاء في سفر الخروج « أما موسى فصعد الى الله فناداه الرب من الجبل قائلا هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني اسرائيل . ان سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب » (الخروج ١٩ : ٣ - ٥) . ولكنهم

نسوا أو تناسوا ، وجهلوا أو تجاهلوا ، أن هذا الاختيار لهم من الله مشروط بشرط واضح كل الوضوح فى نص الآية ذاتها ، وهو أن يسمعوا صوته ويحفظوا عهده . فهل استوفوا هذا الشرط ؟ ان توراتهم ذاتها تكاد أن تكون سجلا لشرور اليهود وآثامهم وصم آذانهم عن صوت الله ، ومخالفتهم لشريعته ، وخيانتهم لعهده ، بل كفرانهم به وعبادتهم الأصنام والأوثان من دونه فى كل أطوار تاريخهم . فما من سفر من أسفار التوراة الا يزخر بعبارات السخط والغضب التى صبها الله على اليهود فى كل عهودهم منذ أن أخرجهم من مصر الى أن أهلكهم وقضى بخراب بلادهم :

فقد جاء فى سفر الخروج « وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب ، واذا هو شعب صلب الرقبة ، فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم » (الخروج ٣٢ : ٩ و ١٠) .

وجاء فى سفر العدد « وقال الرب لموسى حتى متى يهيننى هذا الشعب ، وحتى متى لا يصدقوننى بجميع الآيات التى عملت فى وسطهم . انى أضربهم بالوباء وأبيدهم » (العدد ١٤ ١١ و ١٢) . ـ « وكلم الرب موسى وهارون قائلا حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة على .. قل لهم حى أنا يقول الرب لأفعلن بكم كما تكلمتم فى أذنى . فى هذا القفر تسقط جثثكم .. انا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة على . فى هذا القفر يفنون وفيه يموتون » (العدد ١٤ ٢٦ ـ ٣٥) .

وجاء فى سفر التثنية « فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب الهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها ، لأنك شعب صلب الرقبة .. أذكر لا تنس كيف أسخطت الرب الهك فى البرية . من اليوم الذى خرجت فيه من أرض مصر حتى أتيتم الى هذا المكان كنتم تقاومون الرب . حتى فى حوريب أسخطتم الرب عليكم ليبيدكم » (التثنية ٩ ٦ ـ ٨) .. « جيل أعوج ملتو . الرب تكافئون بهذا يا شعباغبيا غير حكيم ؟ .. سمنت وغلظت واكتسيت شحما ..

ذبحوا لأوثان ليست الله .. انهم جيل متقلب .. أولاد لا أمانة فيهم .. أغاظونى بأباطيلهم .. قد اشتعلت نار بغضبى فتتقد الى الهاوية السفلى وتأكل الأرض وغلتها ، وتحرق أسس الجبال . أجمع عليهم شرورا وأنفذ سهامى فيهم .. أرسل فيهم أنياب الوحوش .. أبددهم الى الزوايا وأبطل ن الناس ذكرهم .. انهم أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم .. ان يوم هلاكهم قريب » (التثنية ٣٢) . « يضربك الرب بجنون وعمى وحيرة قلب .. لا تنجح فى طرقك بل لا تكون الا مظلوما مغصوبا كل الايام .. وتكون دهشا ومثلا وهزأة فى جميع الشعوب الذين يسوقك الرب اليهم .. الغريب الذى فى وسطك يستعلى عليك متصاعدا وأنت تنحط متنازلا .. هو يكون راسا وانت تكون ذنبا وتأتى عليك جميع هذه اللعنات وتتبعك وتدركك حتى تهلك لأنك لم تسمع لصوت الرب الهك لتحفظ وصاياه وفرائضه التى أوصاك بها ، فتكون فيك آية وأعجوبة وفى نسلك الى الأبد .. تستعبد لأعدائك الذين يرسلهم الرب عليك .. فيجعل نير حديد على عنقك حتى يهلكك .. يجعل الرب ضرباتك وضربات نسلك عجيبة ، ضربات عظيمة راسخة .. حتى تهلك ، فتبقون نفرا قليلا .. وكما فرح الرب لكم ليحسن اليكم ويكثركم ، كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم فتستأصلون من الأرض .. ويبددك الرب فى جميع الشعوب من أقصاء الأرض الى أقصائها . لا تطمئن ، ولا يكون قرار لقدمك .. وترتعب ليلا ونهارا ولا تأمن على حياتك .. يردك الرب الى مصر .. فتباعون هناك لأعدائك عبيدا واماء » (التثنية ٢٨ : ٢٨ - ٦٨) .

وجاء فى سفر الملوك « وكان أن بنى اسرائيل أخطأوا الى الرب الههم الذى أصعدهم من أرض مصر من تحت يد فرعون ملك مصر واتقوا آلهة أخرى ، وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى اسرائيل وملوك اسرائيل الذين أقاموهم . وعمل بنو اسرائيل سرا ضد الرب الههم أمورا ليست بمستقيمة وبنوا لأنفسهم مرتفعات (لعبادة الأصنام) فى جميع مدنهم

مى برج النواطير الى المدينة المحصنة واقاموا لأنفسهم انصاباً وسوارى على كل
ل عال وتحت كل شجرة خضراء ، وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات مثل
الأمم الذين ساقهم الرب من أمامهم وعملوا أمورا قبيحة لاغاظة الرب وعبدوا
لأصنام التى قال الرب لهم عنها لا تعملوا هدا الأمر ، واشـــهد الرب على
اسرائيل وعلى يهوذا عن يد جميع الأنبياء وكل راء قائلا ارجعوا عن طرقكم
الرديئة واحفظوا وصاياى ، فرائضى ، حسب كل الشريعة التى أوصيت بها
آباءكم ، والتى أرسلتها اليكم عن يد عبيدى الانبياء ، فلم يســـمعوا ، بل
صلبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب الههم . ورفضوا فرائضه
وعهده الذى قطعه مع آبائهم وشهاداته التى شهد بها عليهم وســـاروا وراء
الباطل وصاروا باطلا وراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب أن لا يعملوا
مثلهم ، وتركوا جميع وصايا الرب الههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين
وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل وعبروا بنيهم
وبناتهم فى النار وعرفوا عرافة ، وتفاءلوا وباعوا أنفسهم لعمل الشر فى عينى
الرب لاغاظته ، فغضب الرب جدا على اسرائيل ونحاهم من أمامه ولم يبق
الا سبط يهوذا وحده ويهوذا أيضا لم يحفظوا وصايا الرب الههم بل سلكوا
فى فرائض اسرائيل التى عملوها ، فرذل الرب كل نسل اسرائيل وأذلهم
ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من أمامه ، لأنه شق اسرائيل عن بيت داود
فملكوا يربعام بن نباط ، فأبعد يربعام اسرائيل من وراء الرب وجعلهـــم
يخطئون خطيئة عظيمة ، وسلك بنو اسرائيل فى جميع خطايا يربعام التى
عمل ، لم يحيدوا عنها حتى نحى الرب اسرائيل من أمامه كما تكلم عن يد جميع
عبيده الأنبياء » (الملوك الثانى ١٧ : ٧ ــ ٢٣) ــ وجاء فى هذا السفر «وتكلم
الرب عن يد عبيده الأنبياء قائلا من أجل أن منسى ملك يهوذا قد عمل هذه
الأرجاس وأساء أكثر من جميع الذى عمله الأموريون الذين قبله وجعل أيضا
يهوذا يخطىء بأصنامه لذلك هكذا قال الرب ها أنذا جالب شرا على أورشليم
ويهوذا حتى أن كل من يسمع به تطن أذناه ٠٠ وامسح أورشليم كما يمسح

واحد الصحن • يمسحه ويقلبه على وجهه • لأنهم عملوا الشر فى عينى وصاروا يغيظوننى من اليوم الذى فيه خرج آباؤهم من مصر الى هذا اليوم » (الملوك الثانى ٢١ : ١ ــ ١٥) •

وجاء فى سفر ارميا « ها هى أيام تأتى يقول الرب •• تصير جثث هذا الشعب أكلا لطيور السماء ولوحوش الأرض •• وأبطل من مدن يهوذا ومن شوارع أورشليم صوت الطرب وصوت الفرح • صوت العريس وصوت العروس ، لأن الأرض تصير خرابا » (ارميا ٧ : ٣٢ ــ ٣٤) ــ « وأجعل أورشليم رجما ومأوى بنات آوى ومدن يهوذا أجعلها خرابا بلا ساكن ••• ها أننا أطعم هذا الشعب أفسنتينا ، وأسقيهم ماء العلقم ، وأبددهم فى أمم لم يعرفوها هم ولا آباؤهم ، وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم » (ارميا ٩ : ١١ و ١٥ و ١٦) ــ « وان وقف موسى وصموئيل أمامى لا تكون نفسى نحو هذا الشعب • أطرحهم من أمامى فيخرجوا •• الذين للموت فالى الموت ، والذين للسيف فالى السيف ، والذين للجوع فالى الجوع ، والذين للسبى فالى السبى • وأوكل عليهم أربعة أنواع : السيف للقتل والكلاب للسحب وطيور السماء ووحوش الأرض للأكل والاهلاك ، وأدفعهم للقلق فى كل ممالك الأرض » (ارميا ١٥ : ١ ــ ٤) ــ « لأن هذه المدينة (أورشليم) قد صارت لغضبى ولغيظى من اليوم الذى فيه بنوها الى هذا اليوم لأنزعها من أمام وجهى من أجل كل شر بنى اسرائيل وبنى يهوذا الذى عملوه ليغيظونى به هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياؤهم ورجال يهوذا وسكان أورشليم ، وقد حولوا لى القفا لا الوجه ، وقد علمتهم مبكرا ومعلما ولكنهم لم يسمعوا ليقبلوا أدبا • بل وضعوا مكرهاتهم فى البيت الذى دعى باسمى لينجسوه ، وبنوا المرتفعات للبعل التى فى وادى ابن هنوم ليجيزوا بنيهم وبناتهم فى النار لمولك ، الأمر الذى لم أوصهم به •• ليعملوا هذا الرجس » (ارميا ٣٢ : ٣١ ــ ٣٥) •

وجاء فى سفر حزقيال « يا جبال اسرائيل اسمعى كلمة السيد الرب . هكذا قال السيد الرب للجبال وللآكام وللأودية وللأوطئة ها أنذا جالب عليكم سيفا وأبيد مرتفعاتكم ، فتخرب مذابحكم وتتكسر شمساتكم وأطرح قتلاكم قدام أصنامكم ، وأضع جثث بنى اسرائيل قدام أصنامهم وأذرى عظامكم حول مذابحكم فى كل مساكنكم تقفر المدن وتخرب المرتفعات لكى تقفر وتخرب مذابحكم وتتكسر وتزول أصنامكم .. وتسقط القتلى فى وسطكم فتعلمون أنى أنا الرب » (حزقيال ٦ : ٣ ـ ٧) وجاء فى هذا السفر عن أورشليم « هكذا قال السيد الرب : أيتها المدينة السافكة الدم فى وسطها .. الصانعة أصناما لنفسها لتتنجس بها ، قد أثمت بدمك الذى سفكت ونجست نفسك بأصنامك التى عملت وقربت أيامك وبلغت سنيك ، فلذلك جعلتك عارا للأمم وسخرة لجميع الأراضى ، القريبة اليك والبعيدة عنك يسخرون منك يا نجسة الاسم يا كثيرة الشغب . هوذا رؤساء اسرائيل كل واحد حسب استطاعته كانوا فيك لأجل سفك الدم » (حزقيال ٢٢ : ٣ ـ ٧) .

وجاء فى سفر اللاويين « أزيد على تأديبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم .. فتأكلون لحم بنيكم ولحم بناتكم .. القى جثثكم على جثث أصنامكم .. أصير مدنكم خربة ومقادسكم موحشة .. وأذريكم بين الأمم .. فتهلكون بين الشعوب » (اللاويين ٢٦ : ١ ـ ٣٩) .

ولقد كان فى مجىء السيد المسيح فرصة أخيرة أمام اليهود ليرتدوا عن شرورهم ، ويرتدعوا عن آثامهم ، لو أنهم آمنوا به وعملوا بتعاليمه ، ولكنهم على العكس أنكروه ، وتنكروا له ، وتنمروا على تعاليمه ، وتآمروا عليه ليقتلوه ، فضرب لهم مثلا يشير فيه الى خيانتهم لله الذى ائتمنهم على شريعته ، واعتدائهم على رسله وأنبيائه الذين أرسلهم لهدايتهم الى الواجب عليهم نحو ربهم . حتى اذا أرسل اليهم أخيرا المسيح وهو كلمته لهذه الغاية عساهم أن يستمعوا اليه . حاربوه وعملوا على قتله فأهلكهم الله وأعطى عهده ووديعته وشريعته لشعب آخر . (لوقا ٢٠ : ٩ ـ ١٩) .

وقد أكد بولس الرسول هذا المعنى بعد ذلك حين كان يبشر بالمسيح ، اذ جاء فى سفر الأعمال « وفى السبت التالى اجتمعت كل المدينة تقريبا لتسمع كلمة الله ، فلما رأى اليهود الجموع امتلأوا غيرة وجعلوا يقاومون ما قاله بولس مناقضين ومجدفين . فجاهر بولس وبرنابا وقالا كان يجب أن تكلموا أنتم أولا بكلمة الله ، ولكن اذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية هوذا نتوجه الى الأمم (أى الى الوثنيين) ، لأنه هكذا أوصانا الرب » (الأعمال ١٣ : ٤٤ – ٤٧) .

وقد خاطب السيد المسيح فقهاء اليهود الذين كانوا معروفين بالكتبة والفريسيين قائلا « الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون فانكم تغلقون ملكوت السماوات أمام الناس فلا أنتم تدخلون ولا تدعون الداخلين يدخلون . الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل بحجة أنكم تطيلون صلواتكم .. الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تؤدون عشور النعنع والشبث والكمون وأغفلتم جوهريات الشريعة وهى العدل والرحمة والايمان .. أيها القادة العميان الذين يحتجزون البعوضة فى المصفاة ويبتلعون الجمل . الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطهرون خارج الكأس والصحفة فى حين أن باطنهما ممتلىء نهبا ونجاسة .. الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون القبور المبيضة التى تبدو من الخارج جميلة فى حين أنها من الداخل ممتلئة عظام أموات وكل نجاسة . هكذا أنتم تبدون للناس فى ظاهركم أبرارا ، فى حين أنكم فى باطنكم ممتلئون رياء واثما . الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين ، وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما كنا شركاء لهم فى دم الأنبياء . فانتم شهود على أنفسكم بأنكم أبناء قتلة الأنبياء . فاملأوا أنتم الى الحافة اذن مكيال ابائكم . أيها الثعابين بنى الأفاعى كيف تفلتون من دينونة جهنم ؟ لذلك ها أنذا أرسل اليكم أنبياء وحكماء ومعلمين ،

بعضهم تقتلون وتصلبون ، وبعضهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة ، كى يقع عليكم وزر كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل البار الى دم زكريا بن براخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبـــح » (متى ٢٣:٢٣ - ٣٦) . ثم هتف السيد المسيح قائلا « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها ، كم من مرة أردت أن اجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، فلم تريدوا ؟ هوذا بيتكم يترك لكم خرابا .. فانه ستاتى أيام يحيط بك أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة ، ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجرا على حجر لأنك لم تعرفى زمان افتقادك » .. ثم قال لتلاميذه « متى رأيتم أورشليم محاطة بجيـــوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها . حينئذ ليهرب الذين فى اليهودية الى الجبال ، والذين فى وسطها فليفروا خارجا ، والذين فى القرى فلا يدخلوها ، لان هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب . وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام ، لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض وسخط على هذا الشعب ، ويقعون بفم السيف ويسبون الى جميع الأمم ، وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم » (متى ٢٣ : ٣٧ و ٣٨ ، لوقا ١٩ : ٤٣ و ٤٤ ، ٢١ : ٢٠ - ٢٤) . وهكذا فان السيد المسيح بعد أن تنبأ بأن الله سيهلك اليهود ويأتمن على شريعته شعبا آخر ، تنبأ بهلاك أورشليم وزوال أمة اليهود ودولتهم الى الأبد ، حيث تكون « مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم » ، أى حتى نهاية الزمان . وفعلا لم تمض بضعة سنوات على النطق بهذه النبوءة حتى جاءت الجيوش الرومانية وأنزلت الخراب بأورشليم وكل المدن والقرى اليهودية ، وقتلت الغالبية العظمى من اليهود ، وأسرت العدد القليل الباقى منهم وساقتهم سبايا حيث عاشوا عبيدا أذلاء مشتتين بين مختلف الشعوب نفاذا لارادة الله الذى قضى بهلاك أمتهم وسقوط دولتهم الى الأبد ، وتشريد البقية الباقية منهم ■

ولما كانت دراسة نشأة اليهود وعقيدتهم ومجتمعهم قبل مجيء السيد المسيح وأثناء حياته على الأرض لازمة كل اللزوم كما رأينا لدراسة المسيحية، فضلا عن أنها لازمة لفهم عقلية اليهود والطبيعة التى تصدر عنها تصرفاتهم حتى اليوم . ثم لما كانت هذه الدراسة الخاصة باليهود عديدة الموضوعات مستفيضة الأبحاث لا يكفى لتناولها جزء واحد من هذه الموسوعة . فقد تناولنا هذه الدراسة فى جزأين كبيرين ، خصصنا أولهما وهو هذا الجزء الثامن لدراسة نشأة اليهود وعقيدتهم ، على أن نخصص الجزء التاسع - اذا شاء الله - لدراسة المجتمع اليهودى من جميع جوانبه .

وقد جعلنا مرجعنا الأساسى فى هذه الدراسة كلها الكتاب الدينى لليهود وهو التوراة ، حتى يكون سندنا فى الحديث عنهم هو ذات كتابهم . وعلى الرغم من أن الترجمة العربية المتداولة لهذا الكتاب ترجمة قديمة لا يتفق أسلوبها مع أسلوب اللغة العربية فى العصر الحديث ، فاننا احتفظنا بها فيما نقلناه نقلا من عباراتها ، امعانا فى الحرص على أمانة العرض للأصل دون أى تغيير يحتمل مظنة التحوير أو التحريف أو التجنى ، بل اننا تركنا الحديث للتوراة فى أغلب الأحيان بالنسبة لأغلب الأحداث ، دون أى شرح أو توضيح أو تعليق من جانبنا لأن حديثه بالغ فى دلالته الحد الذى لا يحتاج معه الى أى شرح أو توضيح أو تعليق . وقد احتفظ المسيحيون بالتوراة فى كتابهم المقدس باسم « العهد القديم » على أساس أنه يتضمن كل حوادث والشرائع والنبوءات السابقة على السيد المسيح أثناء وجوده بالجسد ، وعلى أساس أن السيد المسيح قد جاء بالعهد الجديد الذى أشرق عقب العهد القديم كما يشرق النهار على ظلمة الليل ، وكما يشرق عهد النعمة والخلاص عقب عهد النقمة والهلاك . وقد انتهت بالعهد القديم أمة اليهود الجاحدة المتمردة على الله ، وبدأت أمة الايمان بالله ، وانتظار ملكوت السماوات

زكي شنوده


اليهود قبل المسيح

الباب الأول

نشأة اليهود

الفصل الأول

الآباء الأوائل لليهود

١ — ابراهيم :

كان الأب الأول لليهود رجلا من الجنس السامى هو ابراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام . وقد نشأ قبل الميلاد بنحو ألفى عام ، بمدينة « أور » احدى مدن الكلدانيين التى كانت تقع فى أرض ما بين النهرين ، جنوبى بابل ، فى المنطقة التى نسميها اليوم بالعراق . وكانت « أور » مدينة قديمة أنشئت منذ نحو ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد ، وقد سكنها السومريون ثم العيلاميون ثم البابليون ثم الكلدانيون . وكان أهلها فى عهد ابراهيم وثنيين يعبدون الكواكب والنجوم ، ولا سيما القمر الذى كانوا يعدونه الها ويسمونه « ننار » ، ويعدون أن له زوجة يسمونها « ننجال » .

وكان آباء ابراهيم وثنيين كغيرهم من أهل بلادهم . أما هو فقد تلقى وحيا من الله الواحد الأبدى فعبده ، ومن ثم راح أهله ومواطنوه فى مدينة « أور » يعادونه ويضطهدونه بسبب عبادته هذه ، حتى اضطروه أن يرحل مع الأقربين من ذويه الى مدينة أخرى فى أرض ما بين النهرين تسمى « حاران »، وكانت تقع على أحد فروع نهر الفرات ، فى بلاد الآراميين التى كانت تمتد حدودها من جبال لبنان غربا الى ما وراء الفرات شرقا ، ومن جبال طوروس شمالا الى دمشق وما وراءها جنوبا . وقد استمدت اسمها من « آرام » أحد أبناء « سام » ثم اتخذت بعد ذلك اسم « سوريا » . بيد أن أهل « حاران » كانوا وثنيين يعبدون القمر أيضا ، فراحوا هم كذلك يعادون ابراهيم ويضطهدونه ، حتى اضطروه أن يرحل عنها . وقد أخذ زوجته « سارة » وابن أخيه لوط وعبيده ومواشيه ، وعبر الفرات ميمما شطر أرض كنعان المعروفة اليوم بأرض فلسطين . وكان سكان هذه الأرض فى الأصل قوما أشداء طوال القامة يتألفون من قبائل متعددة أهمها العناقيون والرفائيون والايميون والزمزميون والحوريون . وأما حين جاء ابراهيم اليها فكانت تسكنها بعض القبائل الكنعانية التى تنتسب الى كنعان بن حام . بيد أن أغلبية سكانها كانوا من الأموريين . وكان الفينيقيون فى ذلك الحين يحتلون الأراضى الساحلية، بينما كان الحثيون يحتلون الأراضى الشمالية ، كما يحتلون حبرون المسماة اليوم بالخليل . وكان يحتل الجنوب ولا سيما جرار وبئر سبع شعب كان يسمى بالفلسطينيين ، وهم قوم كانت لهم صلة قرابة باليونان الأوائل ، وكانوا فى بداية الأمر يقطنون جنوب غربى آسيا الصغرى ، ثم غزوا جزيرة كريت ومكثوا فيها بعض الوقت ، ثم لم يلبثوا أن أغاروا على ساحل الشام واستقروا فى الجزء الجنوبى منه وأنشأوا لهم فيه بعد ذلك مدنا حصينة ، كان منها غزة وأشقلون وأشدود وعقرون . وقد احتفظوا بقوتهم وسيطرتهم على تلك البلاد أكثر من ألف عام . وقد أخذت البلاد اسمها فيما بعد من اسمهم . واذ كان ابراهيم قد نزح من أرض الآراميين جاء فى التوراة أنه كان آراميا . وأما الكنعانيون فانهم حين وفد اليهم لقبوه بالعبرانى ، نسبة الى جده « عابر »،

أو لأنه عبر نهر الفرات من بلاده الى بلادهم ، ولذلك أصبح أبناء دريتـــه معروفين بالعبرانيين .

وقد استقر ابراهيم بعض الوقت فى مدينة « شكيم » المســـماة اليـــوم « نابلس » . ثم لم يلبث أن رحل من هناك وضرب خيامه فى الجبل القـــائم بين « عاى » و بيت ايل » فى الشمال الشرقى من « شاليم » أى « السلام » وهى التى أصبحت بعد ذلك معروفة باسم « أورشليم » أى « مدينة السلام » . ثم غادر هذا المكان وراح يتوغل ناحية الجنوب فى أرض كنعان ، متنقلا من موضع الى موضع ، شأن البدو الذين يشتغلون بالرعى ، ولا يفتأون يرحلون باحثين عن المراعى الخصبية ، فلا يستقرون فى مكان ، ولا يمتلكون أرضـــا بعينها .

بيد أنه حدث فى تلك الأيام أن انقطع المطر فى تلك النواحى وأجـدبت الأرض ، فاضطر ابراهيم أن يرحل مع ذويه الى مصر . وكان ذلك عـــلى الأرجح فى عهد الهكسوس ، اذ ثبت لدى المؤرخين أنه فى ذلك العهـــــد تسلل كثيرون من أرض كنعان الى مصر .

وقد حدث حين اقترب ابراهيم من حدود مصر ، أن ساوره الخوف من أن يطمع أحد فى زوجته « سارة » ، لأنها كانت جميلة جدا ، فيقتله بسببها ، فقال لها كما جاء فى سفر التكوين « قولى أنك أختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك » (التكوين ١٢ : ١٣) . وقد حدث بالفعل ما توقعه اذ سرعان ما سمع ملك الهكسوس الذى كان يغتصب عرش مصر بجمال « ســـارة » فأخذها الى قصره ، وأغدق كثيرا من الخير على ابراهيم بحسبانه أخاها . فلم يلبث ابراهيم أن اغتنى وامتلك عددا كبيرا من العبيد وقطعانا عظيمـــة من الماشية . ولكن الملك لم يلبث أن عرف أن سارة هى زوجة ابراهيم ، فغضب جدا واستدعاه وعنفه وطلب اليه أن يأخذ زوجته ويرحل ، فأخذ زوجتـــه ولوط ابن أخيه ، كما أخذ مواشيه وكل ما اقتناه فى مصر من ذهب وفضة

وعاد الى أرض كنعان ، واستقر في المكان الذى كان ينزل فيه من قبل ، بين « عاى » و « بيت ايل » اللتين كانتا تقعان فى منتصف الطريق بين أورشليم ونابلس .

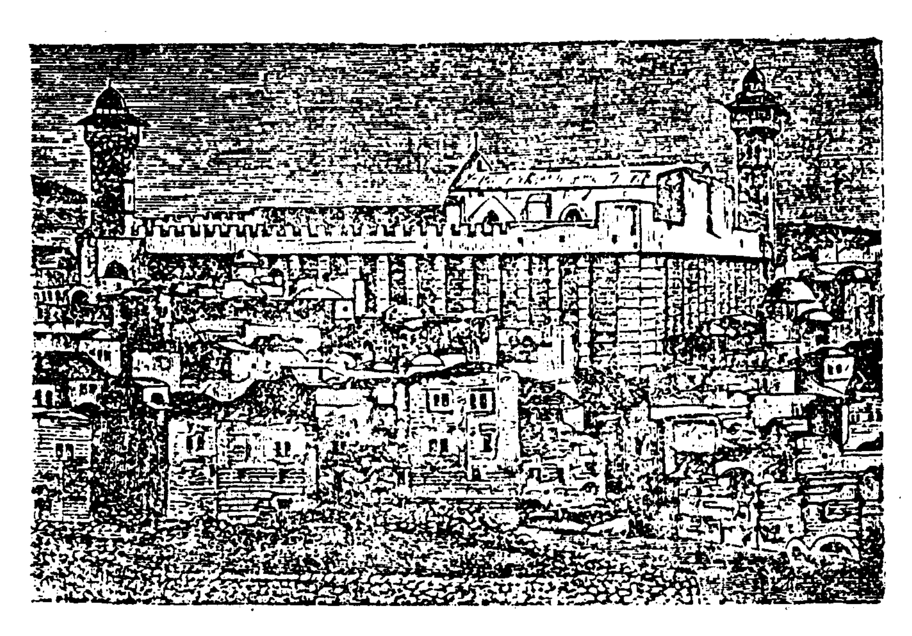
وقد اغتنى ابراهيم جدا بعد عودته الى أرض كنعان ، وأصبح يملك قطعانا عظيمة من ماشيته . كما اغتنى ابن أخيه « لوط » وأصبح يملك قطعانا عظيمة من ماشيته ايضا . بيد انه لم تلبث ان وقعت مشاحنات بين رعاة هذا ورعاة ذاك ، فاتفقا على ان ينفصل كل منهما عن الآخر . وقد ترك ابراهيم لابن أخيه الخيار فى المكان الذى يرغب أن يرعى فيه ماشيته ، فاختار السهول الواقعة على امتداد الضفة الشرقية لنهر الأردن والبحر الميت ، وكانت تقوم بها خمس مدن زاهرة هى « سدوم » و « عمورة » و « أدمة » و « صبوئيم » و « صوغر » . فى حين اختار ابراهيم أرض كنعان الواقعة غربى نهر الاردن ليرعى فيها ماشيته ، وضرب خيامه فى « حبرون » الواقعة جنوبى « أورشليم » ، والمعروفة اليوم « بالخليل » ، أى مدينة ابراهيم الخليل .

وكانت « سارة » زوجه ابراهيم قد ظلت سنوات طويلة عاقرا . فلما يئست من أن تلد له ولدا ، طلبت اليه أن يتزوج جاريتها المصرية « هجر » ، لتلد له نيابة عنها ، اذ كانوا يعدون عدم الولادة عيبا توصم به المرأة وعارا يجللها . فتزوج ابراهيم بالفعل جارية زوجته . فلما حبلت تملكها الزهو على سيدتها ، فغضبت سارة وراحت تشكو الى زوجها فقال لها انها جاريتها فلتفعل بها ما تشاء . فانتقمت منها وأذلتها وما فتئت تقسو عليها حتى ولت هاربة من بيت ابراهيم . ولكنها لم تلبث أن عادت وخضعت لسارة ، حتى اكتملت أيام حبلها فولدت اسماعيل .

وقد غادر ابراهيم بعد ذلك أرض « حبرون » متجها نحو الجنوب ، وأقام فى « جرار » المسماة اليوم « أم جرار » جنوبى « غزة » وشرقى « خان يونس » . وقد فعل ابراهيم هناك كما سبق له أن فعل فى مصر ، اذ قال

عن « سارة » زوجته انها أخته ، فلما سمع « أبيمالك » ملك جرار بجمالها أخذها الى قصره ، ولكنه لم يلبث أن علم أنها زوجة ابراهيم ، فاستدعاه وعنفه ، ثم رد اليه زوجته •

وبعد أن ولدت « هاجر » اسماعيل بنحو أربعة عشر عاما ، حبلت « سارة » وولدت « اسحق » ، وعندئذ قالت لزوجها « اطرد هذه الجارية وابنها ، لأن



« مغارة المكفيلة وقد أقيم فوقها الحرم فى الخليل »

ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى اسحق » ، ففعل ابراهيم ذلك وطرد هاجر مع ابنها فهامت على وجهها فى برية بئر سبع •

وقد غادر ابراهيم بعد ذلك « جرار » وعاد الى « حبرون » بأرض كنعان فأقام فيها • وهناك ماتت زوجته « سارة » ، فاشترى من الحثيين حقلا به مغارة كانت تسمى مغارة المكفيلة ، ودفنها هناك •

ولما تقدم ابراهيم فى السن زوج ابنه اسحق من رفقة بنت بتوئيل الآرامى ابن أخيه حاران ، التى كانت تقيم مع أبيها فى « فدان آرام » ، اذ لم يشأ أن يزوج ابنه من احدى بنات الكنعانيين الذين أصبح يقيم بينهم واختار له امرأة من عشيرته فى بلاد الآراميين .

وبعد ذلك تزوج مرة أخرى من زوجة تسمى « قطورة » وتقول التوراة أن عمره عندئذ كان مائة وأربعين سنة ، ومع ذلك أنجب من هذه الزوجة ستة أبناء . كما كان له عدد من السرارى أنجب منهن عددا آخر من الأبناء . ولكنه أوصى لاسحق بكل ما يملك . وأما بقيه أبنائه فوهبهم بعض الهبات ثم صرفهم .

وقد مات ابراهيم وله من العمر - كما جاء فى التوراة - مائة وخمسة وسبعون سنة ، فدفنه أبناؤه فى مغارة المكفيلة مع « سارة » زوجته . وتدخل هذه المغارة اليوم ضمن الحرم الابراهيمى فى الخليل .

٢ - إسحق :

وقد أنجب ابراهيم ابنه اسحق وهو فى نحو المائة من عمره . وكان اسحق قد بلغ الأربعين من عمره حين تزوج من بنت ابن عمه « رفقة » . وبعد تسعة عشر عاما من زواجه منها أنجبا توأمين . وكان الأول منهما كث الشعر أحمر اللون ، ولذلك سمياه « عيسو » ، كما اشتهر باسم « أدوم » أى أحمر . أما الثانى فقد ولد ويده قابضة على عقب الأول ، ولذلك سمياه يعقوب .

وقد حدثت مجاعة فى تلك الأيام تشبه المجاعة التى حدثت فى أيام ابراهيم، فانتقل اسحق الى أرض جرار فى بلاد الفلسطينيين ، وفيما هو هناك حدث - كما ورد فى سفر التكوين - أن « سأله أهل المكان عن زوجته ، فقال هى أختى ، لأنه خاف أن يقول زوجتى لعل أهل المكان يقتلونى من أجل رفقة

لأنها كانت حسنة المنظر . وحدث اذ طالت له الأيام هناك أن أبيمالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوة ونظر واذا اسحق يلاعب رفقة زوجته ، فدعا أبيمالك اسحق وقال انما هى زوجتك ، فكيف قلت هى أختى ؟ .. ما هذا الذى صنعت بنا ؟ لولا قليل لاضطجع أحد الشعب مع زوجتك فجلبت علينا ذنبا » (التكوين ٢٦ : ٧ - ١٠) .

وقد زرع اسحق مساحات كبيرة من الأرض فى « جرار » فنمت ثروته نموا مضطردا ، وأصبح يملك قطعانا عظيمه من الماشية وأعدادا كبيرة من الخدم والعبيد ، حتى خشى أبيمالك ملك الفلسطينيين من تزايد سطوته وتفاقم أمره ، فقال له « اذهب من عندنا لأنك صرت أقوى منا جدا » ، فمضى من هناك وأقام فى « بئر سبع » .

وحين بلغ عيسو - الابن الأكبر لاسحق - الأربعين من عمره تزوج اثنتين من بنات الحثيين هما « عدا » و « أهليبامة » ، فكانتا سببا فى تنغيص حياة والديه اسحق ورفقة ، وقد أغضبهما أن يتزوج ابهما من الحثيين وليس من بيت أهلهما الآراميين .

وقد حدث حين شاخ اسحق وضعف بصره ، أنه دعا اليه ابنه عيسو ، وكان يؤثره بالحب ، وطلب اليه أن يخرج الى البرية ويقتنص صيدا ، اذ كان بارعا فى الصيد ، لنصنع لأبيه طعاما ويقدمه اليه فيباركه . فلما سمعت رفقة ذلك بادرت الى يعقوب - وكانت تحبه أكثر من عيسو - وطلبت منه أن يأتيها بجديين من غنم أبيه ، فصنعت منهما طعاما ، ثم ألبست يعقوب ثياب أخيه عيسو ، ووضعت على عنقه ويديه جلود الجديين ليبدو ملمسه كملمس عيسو الذى كان كث الشعر ، ثم قدمت يعقوب الى أبيه على أنه عيسو ، فقال أبوه كما جاء فى سفر التكوين « من أنت يا بنى ؟ فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بكرك . قد فعلت كما كلمتنى . قم اجلس وكل من صيدى لكى تباركنى نفسك . فقال اسحق .. تقدم لأجسك يا بنى ، أأنت هو ابنى عيسو أم لا ؟

فتقدم يعقوب الى اسحق ابيه فجسه ، وقال : الصوت صوت يعقوب ، ولكن اليدين يدا عيسو . ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه . وقال هل أنت هو ابني عيسو ؟ فقال أنا هو .. فقال له اسحق أبوه تقدم وقبلني يا بني ، فتقدم وقبله ، فشم رائحة ثيابه وباركه .. وحدث عندما فرغ اسحق من بركة يعقوب .. أن عيسو أتى من صيده ، فصنع هو أيضا أطعمة ودخل بها الى أبيه ، وقال لأبيه : ليقم أبي ويأكل من صيد ابنه حتى تباركني نفسك ، فقال له اسحق أبوه من أنت ؟ فقال أنا ابنك بكرك عيسو ، فارتعد اسحق ارتعادا عظيما جدا ، وقال : فمن هو الذى اصطاد صيدا وأتى به الى فأكلت من الكل قبل أن تجيء وباركته ؟ .. فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جدا ، وقال لأبيه : باركني أنا أيضا يا أبي . فقال : قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك .. فحقد عيسو على يعقوب .. وقال .. قربت أيام مناحة أبي ، فأقتل يعقوب أخي » (التكوين ٢٧ : ١٨ - ٤١) . ولكن رفقة أدركت ما يضمره عيسو لأخيه ، فأوعزت الى اسحق أن يرسل يعقوب الى « حاران » في أرض ما بين النهرين ، ليتزوج من احدى بنات خاله الآرامي « لابان » ، بدلا من أن يتزوج من بنات الحثيين كما فعل عيسو .. وهكذا أفلت يعقوب من الموت الذى كان أخوه يدبره له . أما عيسو فذهب الى عمه اسماعيل وتزوج ابنته « بسمة » ، وضمها الى نسائه .

وقد ظل اسحق حيا حتى عاد يعقوب من « حاران » ، بعد أن مكث هناك عشرين سنة . ثم توفي اسحق وله من العمر - كما جاء في التوراة - مائة وثمانون عاما ، فدفنه ابناه عيسو ويعقوب في مدفن ابراهيم أبيه ، في مغارة المكفيلة بأرض حبرون .

٣ - يعقوب :

وحين ذهب يعقوب الى حاران أقام عند خاله « لابان » ، وكان له ابنتان ، سمى كبراهما « ليئة » ، وكانت ضعيفة العينين غير ذات جمال . واما الصغرى

فتسمى « راحيل » وكانت جميلة جدا ، فأحب يعقوب راحيل ، وطلب من خاله أن يزوجها له ، نظير أن يخدمه سبع سنين ، فوافق لابان . فظل يعقوب يرعى غنم خاله هذه المدة أيضا ، حتى اذا انقضت سمح له بأن يتزوج وأدخل ابنته عليه . ولكن يعقوب تبين له فى الصباح أن التى أدخلها عليه خاله هى «ليئة» وليست «راحيل» ، فغضب جدا ، وراح يعنف خاله اذ خدعه ، فقال له هذا انه لا يصح عندهم زواج الصغرى قبل الكبرى ، وعرض عليه أن يخدم عنده سبع سنين أخرى نيعطيه الصغرى أيضا ، فأذعن يعقوب ، وظل يرعى غنم خاله هذه المرة أيضا ، حتى اذا انقضت سمح له بأن يتزوج « راحيل » .

وكان « لابان » قد وهب « ليئة » عند زواجها من يعقوب جارية تسمى « زلفة » ، فلما تزوجت راحيل وهبها كذلك جارية تسمى « بلهة » . وكان يعقوب يحب « راحيل » أكثر من « ليئة » . بيد أن « ليئة » كانت كثيرة الولادة فأنجبت له أربعة أولاد هم « رأوبين » و « شمعون » و « لاوى » و « يهوذا » . أما « راحيل » فظلت عاقرا ، ومن ثم تملكتها الغيرة من أختها ، وطلبت الى يعقوب أن يدخل على جاريتها « بلهة » فتلد له نيابة عنها ، فولدت له « بلهة » ولدين هما « دان » و « نفتالى » . ولما رأت « ليئة » هى الأخرى أنها توقفت عن الولادة طلبت الى يعقوب أن يدخل على جاريتها « زلفة » فتلد له نيابة عنها ، فولدت « زلفة » ولدين هما « جاد » و « أشير » .

وقد ظل التنافس محتدما بين ليئة وراحيل على زوجهما ، تريد كل منهما أن تستأثر به دون الأخرى . ومن قصص هذا التنافس ما رواه سفر التكوين اذ يقول « ومضى رأوبين فى أيام حصاد الحنطة فوجد لفاحا فى الحقل (وهو نبات كانوا يعتقدون أنه يزيد ميل الرجل الى زوجته) وجاء به الى ليئة أمه ، فقالت راحيل لليئة أعطينى لفاح ابنك . فقالت لها أقليل انك أخذت رجلى فتأخذين لفاح ابنى أيضا ؟ فقالت اذن يضطجع معك الليلة عوضا عن لفاح ابنك . فلما أتى يعقوب من الحقل فى المساء خرجت ليئة

لاقاته ، وقالت الى نجيء لأنى قد استأجرتك بلفاح ابنى ، فاضطجع معها فى تلك الليلة » (التكوين ٣٠ : ١٤ - ١٦) .

ولم تلبث ليئة أن حبلت من جديد فولدت ليعقوب ولدين آخرين هما « يساكر » و « زبولون » ، كما ولدت له ابنة تسمى « دينة » . ولم تلبث راحيل أن حبلت كذلك بعد طول عقمها فولدت « يوسف » .



« نبات اللفاح »

وفى ذلك الحين طلب يعقوب من لابان أن يعطيه نصيبه من الماشية نظير خدمته له . وقد استخدم يعقوب فى تحديد نصيبه حيلة بارعة استولى بها على معظم الغنم ، فأثرى ثراء عظيما ، وأصبح يملك الكثير من الماشية والجوارى والعبيد . ومن ثم حقد عليه أبناء « لابان » فأوغروا صدر أبيهم ضده ، فأخذ يعقوب زوجته وأبناءه وكل ما كان قد اقتناه فى حاران ، وانطلق هاربا الى موطن أبيه فى أرض كنعان . بيد أن خاله « لابان » لم يلبث أن علم بهربه . فانطلق يلاحقه حتى أدركه بعد سبعة أيام فى جبل جلعاد عند نهر الأردن . وكانت راحيل

قد سرقت أصنام أبيها ، وهى تماثيل صغيرة للآلهة التى كان يعبدها . وقد كانت « راحيل » كأبيها وكل عشيرتها وأهل بلدها تعبد الأصنام ، فاستشاط أبوها غضبا ، وقال ليعقوب حين لحق به « لماذا هربت خفية وخدعتنى ؟ لماذا سرقت آلهتى ؟ » ، واذ كان يعقوب لا يعلم بما فعلته راحيل قال للابان ان « الذى تجد آلهتك معه لا يعيش » فراح لابان يفتش خباء يعقوب ، ثم خباء ليئة ، ثم خباء الجاريتين ، فلم يجد أصنامه . حتى اذا دخل خباء راحيل كانت هذه جالسة وقد خبأت الأصنام تحتها ، وقالت لأبيها « لا يغتظ سيدى . انى لا أستطيع أن أقوم أمامك لأن على عادة النساء » ، فانصرف لابان حانقا .

وأما يعقوب فمضى فى طريقه الى أرض كنعان . حتى اذا اقترب من الموضع الذى يقيم فيه أخوه عيسو أرسل اليه رسلا يستعطفونه ويسترضونه كى يصفح عما سبق له أن صنع به ؛ اذ سرق منه بركة أبيه ، فذهب الرسل ثم عادوا قائلين ليعقوب ان عيسو قادم للقائه ومعه اربعمائة رجل ، فخاف خوفا شديدا ، وأرسل عبيده الى عيسو ومعهم هدية عظيمة من الثيران والبقر والكباش والنعاج والتيوس والمعز والجمال والحمير ، عساه أن ترضيه الهدية فتكسر من حدة غضبه . ثم أخذ يعقوب زوجتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وكل عبيده وماشيته واجتاز بهم الوادى ، وأما هو فقد بقى عند نهر « يبوق » فى وادى الزرقا . وقد حدث هناك ــ كما جاء فى سفر التكوين ــ أن « صارعه انسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه . وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر . فقال لا أطلقك ان لم تباركنى . فقال له ما اسمك ؟ فقال يعقوب . فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل اسرائيل (أى الذى صارع ملاك الله) » (التكوين ٣٢ : ٢٤ – ٢٨) .. ولذلك أصبح أبناء ذريته فيما بعد معروفين ببنى اسرائيل أو الاسرائيليين ، وقد أصبح اسمه بعد ذلك يطلق على سائر أمته ، فيسمونها تارة « يعقوب » وتارة أخرى « اسرائيل » .

ثم لم يلبث يعقوب أن أبصر عيسو قادما مع رجاله فهرع نحوه حتى اذا

بلغه خر على ركبتيه وسجد سبع مرات أمامه ، فصفح عيسو عنه وعانقه ، ثم افترقا . فعاد عيسو الى أراضيه فى جبل سعير ، وهى المسماة « أدوم » . وأما يعقوب فارتحل الى « سكوت » فى شرق الأردن ، وبنى هناك له بيتا . ثم انتقل الى مدينة « شكيم » التى فى أرض كنعان ، والتى تسمى اليوم « نابلس » ، فنصب خيمته فى حقل مجاور للمدينة ، اشتراه من بنى حمورابى . وبعد وقت وجيز رحل مع قومه من « شكيم » الى « لوزاى » المسماة « بيت ايل » فى منتصف الطريق بين أورشليم ونابلس . وكان مع زوجاته وسائر أهل بيته كثير من أصنام الآلهة الوثنية فأخذها منهم ودفنها هنـــاك . ثم رحلوا من « بيت ايل » ، فلما اقتربوا من « أفراتة » جنوبى أورشليم — وهى التى سميت بعد ذلك بيت لحم — جاء المخاض راحيل زوجة يعقوب ، ولكنهـــا تعسرت ولادتها فماتت بعد أن ولدت « بنيامين » ، فدفنها زوجها هناك . ثم جاء يعقوب الى اسحق أبيه فى « ممرا » المتاخمة لحبرون ، وهى مدينة الخليل الحالية ، واستقر هناك .

وقد بلغ أبناء يعقوب — الذى أصبح يسمى اسرائيل — اثنى عشر ولدا ، هم : « رأوبين » و « شمعون » و « لاوى » و « يهوذا » و « يساكر » و « زبولون » و « دان » و « نفتالى » و « جاد » و « أشير » و « يوسف » و « بنيامين » . وهؤلاء هم آباء أسباط اسرائيل الاثنى عشر .

أما عيسو الأخ الأكبر ليعقوب ، فقد تزوج ثلاث نساء هن : « يهوديت » المسماة « عدا » بنت أيلون الحثى ، و « أهليبامة » وهى « عنى » بنت صبعون الحوى ، و « بسمة » بنت عمه اسماعيل . وقد أنجب من زوجاته الثلاث خمسة أولاد هم : « أليفاز » و « رعوئيل » و « يعوش » و « يعلام » و « قورح » . ثم أخذ نساءه وأولاده وجواريه ومواشيه مبتعدا عن أملاك أخيه يعقوب التى فى أرض كنعان ، وأقام فى جبل سعير ، واذ كان عيسو يسمى كذلك «أدوم» ، سميت الأرض التى كان يقيم فيها « أرض أدوم » أو « أدومية » ، وســـمى أبناؤه « أدوميين » .

الفصل الثاني

اليهود تحت حكم المصريين

وكان يعقوب ـ الذى أصبح يسمى اسرائيل ـ يؤثر ابنه يوسف بمحبته ، اذ كان هو ابن شيخوخته . فكان اخوة يوسف يحسدونه لذلك ويحقدون عليه . وقد روت التوراة أنه لما كان فى السابعة عشرة من عمره حلم أنه كان مع اخوته يحزمون حزما فى الحقل ، فلم تلبث أن انتصبت حزمته هو ، ثم أحاطت حزم اخوته بها وسجدت لها . ثم حلم مرة أخرى أن الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا تسجد له . فلما قص هذين الحلمين على أبيه واخوته ، قال له أبوه « ما هذا الحلم الذى حلمت ؟ هل نأتى أنا وأمك واخوتك لنسجد لك ؟ » . وقال له اخوته « ألعلك تملك علينا ملكا ، أو تتسلط علينا تسلطا ؟ » . ومن ثم ازداد اخوته حسدا له وحقدا عليه . وقد حدث أن أباه أرسله ليطمئن على اخوته وهم يرعون الغنم عند « شكيم » المسماة اليوم « نابلس » ، ولكنه لم يجدهم هناك ، فتبعهم الى « دوثان » المسماة اليوم « تل دوثان » بالقرب من « السامرة » . فلما أبصروه قادما من بعيد ، قالوا فيما بينهم : « ها هوذا صاحب

الأحلام قادم » ، وتآمروا عليه قائلين : « هلم نقتله ونطرحه فى احدى الآبار ونقول وحش ضار أكله ، فنرى ما عسى أن تكون أحلامه » . ولكن «رأوبين» اقترح أن يلقوه فى البئر دون أن يقتلوه . فلما جاء يوسف خلعوا عنه قميصه الملون الذى كان أبوه قد جاء به اليه تدليلا له ، وطرحوه فى احدى الآبار التى لا ماء فيها . ثم لم تلبث أن أقبلت قافلة من التجار الاسماعيليين فى طريقهم من جلعاد الى مصر . وربما كان هؤلاء من نسل اسماعيل بن ابراهيم ، أو من غيرهم من البدو الذين أصبح لقب الاسماعيليين يشملهم جميعا . فقال يهوذا لاخوته « تعالوا فنبيعه للاسماعيليين » . فباعوه بهم بعشرين قطعة من الفضة ، ثم ذبحوا تيسا وغمسوا فى دمه قميص يوسف ، وجاءوا به الى أبيهم ، واذ ظن أن وحشا افترسه مزق ثيابه ووضع مسحا من قماش خشن على حقويه . وظل يبكى ابنه زمنا طويلا .

وأما الاسماعيليون فأخذوا يوسف وباعوه فى مصر لفوطيفار وزير ملك مصر فى ذلك الحين ، والراجح أنه كان من ملوك الهكسوس . وسرعان ما اكتسب يوسف ثقة سيده فولاه على كل شئون بيته . بيد أنه كان جميل الصورة جدا ، فاشتهته زوجة فوطيفار ، وطفقت تراوده عن نفسه . وهو يمتنع ، حتى صادف أن كان البيت خاليا الا منهما ، فأمسكت بثوبه تريد أن تقسره قسرا على أن يستجيب لها ، ولكنه ترك ثوبه فى يدها وهرب . فحنقت عليه حنقا شديدا ، وحين جاء زوجها قالت له « دخل الى العبد العبرانى الذى جئت به الينا ليداعبنى . وكان لما رفعت صوتى وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبى وهرب » . فاستشاط سيده غضبا ، وقبض على يوسف وألقاه فى السجن . ولكن يوسف لم يلبث أن اكتسب ثقة رئيس السجانين ، فعهد اليه بالاشراف على المسجونين . وقد حدث أن الملك غضب على رئيس السقاة ورئيس الخبازين فى قصره فألقى بهما فى ذلك السجن . وقد اتفق ذات ليلة أن رأى كل منهما حلما . فلما دخل يوسف عليهما روى كل منهما له حلمه ، ففسر لهما حلميهما ، قائلا لرئيس السقاة ان الملك سيعفو عنه بعد ثلاثة أيام ويعيده الى خدمته ،

وقائلا لرئيس الخبازين ان الملك سيعلقه على خشبة بعد ثلاثة أيام فتأكل الطيور لحمه • وقد حدث ذلك بالفعل ، اذ بعد ثلاثة أيام أعاد الملك رئيس السقاة الى خدمته ، وأما رئيس الخبازين فعلقه على خشبة • ثم حدث بعد سنتين من ذلك الحين أن الملك رأى فى الحلم أنه واقف على شاطىء النهر واذا سبع بقرات سمان خرجت من النهر ، ثم أعقبتها سبع بقرات عجاف فأكلت السبع السمان • ورأى كذلك سبع سنابل ممتلئة طلعت ، ثم أعقبتها سبع سنابل فارغة فأكلت السبع الممتلئة ، فانزعج الملك من هذا الحلم واستحضر اليه كل الحكماء والسحرة ليفسروه له ولكنهم عجزوا • وعندئذ تذكر رئيس السقاة ما كان من يوسف حين فسر له ولزميله رئيس الخبازين حلميهما تفسيرا تحقق بحذافيره ، فأخبر الملك بأمره ، فاستدعاه من السجن وقص عليه حلمه • فقال له ان السبع البقرات السمان هى سبع سنين قادمة يعم فيها الشبع والرخاء ، والسبع البقرات العجاف هى سبع سنين تعقبها ، يعم فيها الجوع والقحط • وهذا هو أيضا ما ترمز اليه السبع السنابل الممتلئة والسبع السنابل الفارغة التى تعقبها • ثم أشار على الملك بأن يختار رجلا حكيما يمنحه السلطة على أرض مصر كلها ، ليدخر فى مخازن الملك من غلة السبع سنوات الشبع ما يسد الحاجة فى السبع سنوات الجوع • فأعجب الملك بذكاء يوسف وفطنته ، وعينه وزيرا له ، ومنحه السلطة الكاملة لتنفيذ هذا الاقتراح الذى تقدم به اليه ، مع أنه لم يكن قد تجاوز حينذاك الثلاثين من عمره • فضلا عن أنه اختار له زوجة من أكرم العائلات فى مصر وهى « اسنات » ابنة « فوطيفارع » رئيس كهنة عين شمس الذى كان يرأس كهنة مصر كلها • ويبدو أنه كان من أسباب ارتياح الملك الى يوسف واطمئنانه اليه أنه كان من سلالة قريبة الى سلالته هو ، اذ كان هذا الملك ـ كما سبق أن رجحنا ـ من ملوك الهكسوس النازحين من منطقة غربى آسيا ، التى ينتمى اليها يوسف وسائر العبرانيين •

وقد شرع يوسف يدخر من غلة سنوات الشبع ما ملأ به مخازن الملك • ثم لم تلبث أن جاءت سنوات الجوع ، فعم القحط ، ولم يلبث المصريون أن نفد ما

عندهم من الزاد ، فبدأ يوسف يبيع لهم مما ادخره ، ومن ثم تقاطر اليه الناس
من كل أنحاء مصر ، بل من كل البلاد المجاورة لها . وقد كان ممن حلت بهم
المجاعة يعقوب وذووه في أرض كنعان . فلما سمع أن ملك مصر يبيع القمح
طلب من أبنائه أن يذهبوا الى هناك ليشتروا قمحا ، فرحل عشرة منهم الى مصر
لهذا الغرض ، فلم يبق منهم مع يعقوب الا أصغر أبنائه بنيامين ، اذ كان يحبه
ويخاف أن يفقده كما فقد يوسف من قبل .

وحين جاء أبناء يعقوب الى يوسف ليشتروا منه القمح سجدوا له ، ولم
يعرفوا أنه أخوهم الذي سبق لهم أن باعوه من قبل . وأما هو فقد عرفهم ،
ولكنه تنكر لهم وخاطبهم بجفاء ، متهما اياهم بأنهم جواسيس . فدافعوا عن
أنفسهم في جزع ومذلة قائلين انهم اثنا عشر أخا من أب واحد ، وأن أحدهم
مفقود والآخر قد مكث مع أبيه ، فأصر يوسف على أنهم جواسيس ، وألقى بهم
في السجن ثلاثة أيام . ثم استبقى واحدا منهم وهو « شمعون » وقيده أمامهم ثم
ألقى به في السجن وأمر الباقين أن يأخذوا الى بلادهم القمح الذي جاءوا لشرائه
ثم يعودوا اليه بأخيهم الصغير ليتحقق من صدق كلامهم ومن انهم ليسوا
جواسيس ، والا كان جزاؤهم الموت . ثم أمر يوسف عبيده بأن يملأوا
أوعيتهم قمحا وأن يضعوا سرا في أوعيتهم الفضة التي قدموها ثمنا للقمح . فلما
عاد اخوته الى بلادهم ورأوا الفضة في أوعيتهم جزعوا جزعا شديدا ، وقصوا
على أبيهم كل ما حدث لهم وطلبوا اليه أن يسمح لبنيامين بأن يعود معهم الى
مصر لانقاذ حياة شمعون وحياتهم جميعا ، فرفض أبوهم قائلا « لا ينزل ابني
معكم ، لأن أخاه قد مات وهو وحده باق ، فان أصابته أذية في الطريق التي
تذهبون منها تنزلون شيبتي بحزن الى الهاوية » .

ولكن القمح الذي اشتروه لم يلبث أن نفد ، فاضطر يعقوب أن يرسل أبناءه
مرة أخرى الى مصر ليشتروا كمية أخرى ، وأن يبعث معهم بابنه الأصغر
بنيامين بعد أن تعهد يهوذا باعادته اليه سالما . فانطلقوا الى مصر ، فمثلوا بين

يدى يوسف ، فباع لهم ما شاءوا من القمح ، وأمره عبده بان يضع لكل واحد من اخوته فضته سرا في وعائه ، كما أمره بأن يضع الكأس الفضى الذى على مائدته فى وعاء بنيامين . حتى اذا خرجوا من المدينة فى الطريق الى بلادهم ، أمر يوسف عبده بأن يمضى فى أثرهم ويضبط الكأس الفضى الذى فى وعاء بنيامين . فلما أدركهم العبد اتهمهم بسرقة الكأس وخاطبهم كما أمره سيده قائلا لهم « لماذا جازيتم الخير بالشر ؟ أليس هذا هو الذى يشرب فيه سيدى ويتفاءل به ؟ » فقالوا له « حاشا لعبيدك أن يفعلوا مثل هذا الأمر .. الذى يوجد معه من عبيدك يموت ، ونحن أيضا نكون عبيدا لسيدى » ، فراح يفتشهم مبتدئا من الأكبر ، حتى اذا انتهى الى الأصغر وهو بنيامين وجد الكأس فى وعائه . فلما رأوا ذلك مزقوا ثيابهم وعادوا الى المدينة ، ودخلوا بيت يوسف وارتموا عند أقدامه ، فقال لهم « ان الرجل الذى وجد الكأس معه يصير لى عبدا . وأما أنتم فاصعدوا بسلام الى أبيكم » . فجزعوا جزعا شديدا وتقدم يهوذا اليه قائلا له انهم اذا عادوا بدون الغلام الى أبيهم يموت ، وعرض أن يمكث هو بدلا من الغلام ، لأنه ضمن لأبيه عودته سالما ، وحتى لا يرى الشر الذى يصيب أباه حين يعلم أنهم لم يجيئوا بالغلام معهم . فتأثر يوسف جدا ، ولم يستطع أن يضبط نفسه أكثر من ذلك ، فقال لاخوته انه هو يوسف أخوهم . فارتاعوا جدا ، وخافوا أن ينتقم منهم بسبب ما فعلوه به ، ولكنه هدأ من روعهم ، وطلب اليهم أن يعودوا الى أرض كنعان ، ويجيئوا بأبيهم الى مصر . فعادوا الى أبيهم وجاءوا به مع كل ذريته ومواشيه وسائر أمواله . وكان الذين أتوا الى مصر من بنى يعقوب ما عدا النساء ستا وستين نفسا ، فاذا أضفنا اليهم يعقوب نفسه ويوسف وابنيه كان عدد بنى اسرائيل الذين جاءوا الى مصر فى ذلك الحين سبعين نفسا .

وقد هرع يوسف الى لقاء أبيه ، فما أن رآه حتى ألقى بنفسه عليه وبكى بكاء طويلا ، وقال يعقوب « أموت الآن بعد أن رأيت وجهك وعرفت أنك حى ... » وقد أوصى يوسف أباه واخوته بأن يقولوا للملك حين يمثلون بين

يديه أنهم رعاة غنم لكى يمنحهم أرض جاسان المليئة بالمراعى ، و لبعدها عن مساكن المصريين حتى لا يحتكوا بهم ، لأن المصريين كانوا يعدون رعاة الغنم نجسين ولا يخالطونهم • فلما مثلوا بين يدى الملك قالوا انهم رعاة غنم ، فقال الملك ليوسف « أرض مصر أمامك • فى أفضل الأرض أسكن أباك واخوتك • ليسكنوا فى أرض جاسان » • وهكذا دبر يوسف أن يسكن أباه واخوته فى هذه البقعة التى هى أجود بقاع مصر ، وهى تشمل مساحة واسعة من الأرض الخصبة فى الجانب الشرقى من الدلتا ، حيث توجد اليوم محافظة الشرقية •

وقد طال زمن القحط ، واستنفد أهل مصر كل ما لديهم من الفضة فى شراء القمح من يوسف ، فلما طلبوا منه قمحا بعد ذلك لئلا يموتوا من الجوع أخذ مواشيهم ثمنا للقمح ، ثم استولى بعد ذلك على أراضيهم واستخدمهم أجراء فيها نظير جزء من المحصول •

وأما يعقوب وبنوه — وقد أصبحوا معروفين ببنى اسرائيل — فقد استولوا على أرض جاسان الخصبة ، وتزايد فيها عددهم كما تزايد عدد مواشيهم تزايدا عظيما • وقد عاش يعقوب فى مصر سبعة عشر عاما ، فلما اقتربت ساعة موته وكان عمره — كما جاء فى التوراة — مائة وسبعا وأربعين سنة ، دعا ابنه يوسف وأوصاه ألا يدفنه فى مصر ، وانما مع آبائه فى أرض كنعان ، ثم باركه ، ثم دعا اليه بقية أبنائه وتنبأ لكل منهم بمستقبله ومستقبل نسله وباركهم • وأوصاهم هم أيضا أن يدفنوه مع آبائه فى المغارة التى فى حقل المكفيلة فى أرض كنعان ، ثم ضم قدميه على السرير وأسلم الروح ، فبكاه يوسف وأمر الأطباء المصريين بأن يحنطوه على طريقتهم ، حتى اذا اكتملت الأربعون يوما التى كانت لازمة للتحنيط عند المصريين ، أخذ يوسف جثمان أبيه وارتحل الى أرض كنعان مصطحبا معه اخوته ، وجمعا عظيما من شيوخ مصر وكبرائها وقوادها ، ودفنه فى مغارة المكفيلة ، ثم عاد الى مصر مع كل من كانوا معه • وقد عاش

يوسف بعد موت أبيه أربعا وخمسين سنة ، حتى اذا حانت ساعة مـــوته دعا اخوته وأوصاهم أن يدفنوه مع آبائه ، ثم مات وعمره مائة وعشر سنين ، فحنطه المصريون على عادتهم واحتفظوا بجثته داخل تابوت حتى ارتحل بنو اسرائيل عن مصر فى عصر موسى فأخذوه معهم ودفنوه فى الحقل الذى كان يعقوب قد اشتراه من بني حموربابي في شكيم • ويوسف هو أبو سبطى منسى وأفرايم اللذين أصبحا ضمن أسباط اسرائيل الاثنى عشر ، ولذلك درج اليهود على استعمال اسم يوسف للدلالة على هذين السبطين (يشوع ١٦ : ١٧:١٧،٤)، كما أطلقوا اسمه أحيانا على شعب بنى اسرائيل بوجه عام (المزمور ٨٠ : ١) •

وقد ظل بنو اسرائيل بعد موت يوسف مقيمين فى أرض جاسان يتوالدون ويتزايدون تزايدا عظيما ، وظلوا مقسمين فيما بينهم الى اثنى عشر جماعة كانوا يسمونها بالعبريه سبطا • وكان كل سبط منها ينتسب الى أحد أبناء يعقـــوب الاثنى عشر ، وان كان قد حدث فيما بعد تغيير فى احتساب هذه الأســباط ، فقد انقسمت ذرية يوسف كما رأينا الى سبطين أحدهما يضم ابناء ابنه منسى ، والآخر يضم أبناء ابنه الآخر أفرايم • وقد استبعد سبط لاوى كما سنرى بعد خروج بنى اسرائيل من مصر فلم يعد معدودا من الأسباط الاثنى عشر • وكان كل سبط بدوره ينقسم الى عشائر ، يتولى شئون كل منها شيخ ، ويرأس شيوخ كل سبط رئيس تختاره الحكومة المصرية من بنى اسرائيل • فكان هناك اثنا عشر رئيسا على أسباط اسرائيل الاثنى عشر ، وكانوا هم المسئولين أمام الحكومة عن ابلاغ أوامرها وتنفيذ تعليماتها وأداء التكاليف التى تفرضها على الاسرائيليين جميعا • وتقرر التوراة أن اليهود ظلوا خاضعين لحكم المصريين أربعمائة وثلاثين سنة (الخروج ١٢ : ٤٠) • وقد كان اليهود أثناء هذه المدة كلها ينعمون بخيرات مصر ويتمتعون بما تغـــدقه عليهم من حمـــاية وأمن وطمأنينة •

الفصل الثالث

خروج اليهود من مصر

وكان المصريون طوال عهد الهكسوس لا يفتأون يضرمون نار الثورة ضد أولئك الغاصبين لبلادهم ، حتى تمكنوا بقيادة أحمس من طردهم ، فعاد حكم مصر الى الفراعنة الوطنيين • وقد ترفق هؤلاء أول الأمر باليهود ، واتخذوا منهم جنودا لجيوشهم فى حملاتهم التى غزوا بها آسيا وأسسوا الامبراطورية المصرية • فظل اليهود طوال عهد الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة يعيشون بمصر فى سلام • ويتوالدون ويتضاعف عددهم ويتفاقم خطرهم ، اذ كانوا يعيشون بين المصريين فى عزلة تامة عنهم ، فكانوا بمثابة شعب داخل شعب ، ودولة داخل دولة • وكانوا قوما مجبولين على الخيانة والغدر ، كثيرى العصيان والتمرد ، فلم يلبث الفراعنة أن توجسوا منهم خيفة ، وبدأوا يتنبهون الى ما قد ينشأ عن وجودهم من تهديد لمصر وشعبها ، فراحوا يتشددون فى مراقبتهم ويضيقون الخناق عليهم ، خوفا مما قد يرتكبونه من الخيانة أو يثيرونه من الفتنة أثناء حروبهم مع البلاد المحيطة بهم ، فوضعوهم تحت رقابة صارمة ، وسخروهم فى بناء المدن ، وفى قطع الأحجار ، وصناعة قوالب اللبن ، وغير ذلك من الأعمال الشاقة ، تحت

اشراف رؤساء من المصريين الحازمين • وعملوا على الحد من مواليــدهم حتى يوقفوا ازديادهم السريع وكثرتهم المخيفة • وقد جـــاء عن ذلك فى سفر الخروج : « وأما بنو اسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا جدا وامتلأت الأرض منهم • ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف، فقال لشعبه هوذا بنو اسرائيل شعب أكثر وأعظم منا • هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون اذا حدثت حرب أنهم ينضمون الى أعدائنا ويحـــاربوننا •• فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم بأثقـالهم ، فبنوا لفرعون مدينتى مخازن ، فيثوم ورعمسيس ، ولكن بحسب ما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا •• فاستعبد المصريون بنى اسرائيل بعنف ، ومرروا حياتهم بعبودية قاســـية فى الطين واللبن وفى كل عمل فى الحقل • كل عملهم الذى عملوه بواسطتهم عنفا •• وكلم ملك مصر قابلتى العبرانيات •• وقال حينما تولدان العبرانيات •• ان كان ابنا فاقتلاه ، وان كان بنتا فتحيا ، ولكن القابلتين •• لم تفعلا •• بل استحيتا الأولاد •• ونما الشعب (العبرانى) وكثر جدا •• ثم أمر فرعون جميع شعبه (المصرى) قائلا كل ابن يولد (للعبرانيين) تطـــرحونه فى النهر • لكن كل بنت تستحيونها » (الخروج ١ : ٧ – ٢١) •

وكان رجل يهودى من سبط لاوى يسمى « عمرام بن قهات » ، وقـــد تزوج من عمته « يوكابد » ، وأنجب منها بنتا سمياها « مريم » ، ثم ابنـــا سمياه « هارون » • ثم فى أثناء هذه الحملة التى شنها فرعون مصر للحــد من تكاثر اليهود ، حملت يوكابد وولدت ولدا ، واذ رأت أنه جميل الصورة خافت عليه وخبأته ثلاثة أشهر ، ثم لم تستطع أن تخفيـــه أكثر من ذلك فوضعته فى سفط من البردى وأخفته بين أعواد الحلفاء على حافة نهر النيل ، ووقفت أخته مريم ترقبه من بعيد • وقد تصادف فى ذلك الوقت أن نزلت ابنة فرعون الى النهر لتغتسل ، فرأت السفط بين الحلفاء ، فأمرت احــدى جواريها باحضاره • ولما نظرت بداخله رأت الطفل وكان يبكى ، فأشفقت عليه وقد أدركت أنه من أبناء العبرانيين • وعندئذ تقدمت أختـــه مريم الى الأميرة وعرضت عليها أن تدعو لها مرضعة من العبرانيات لترضع الطفـــل

فوافقت الأميرة ، فذهبت الفتاة وجاءت بأم الطفل ، فعهدت اليها الأميرة بأن ترضعه نظير أجر ، وقد تبنته الأميرة وأطلقت عليه اسم « موسى » ومعناه باللغة المصرية القديمة « ابن الماء » أو « المنتشل من الماء » ، اذ أن كلمة « مو » معناها الماء ، وكلمة « سا » معناها « ابن » .

حتى اذا شب موسى وكبر ، عهدت به الأميرة التى تبنته الى كبار لكهنة والمعلمين المصريين وكلفتهم بتثقيفه وتلقينه فنشأ فى قصر فرعون ، وتلقى كل علوم المصريين ، وتلقن كل حكمتهم وأسرار ديانتهم .

وكان موسى يعلم أنه من أبناء العبرانيين المقيمين فى أرض جاسان ، فكان يهتم بأمرهم ويواليهم بالزيارة من حين الى حين . وقد حدث فى احدى تلك الزيارات - حين كان فى الأربعين من عمره - أن رأى رجلا مصريا يضرب أحد العبرانيين ، واذ رأى أن المكان خال هجم على المصرى وقتله وطمره فى الرمل . ثم حدث فى اليوم التالى أنه رأى اثنين من العبرانيين يتشاجران ، فتقدم الى المخطىء منهما ووبخه ، فقال له هذا « من الذى جعلك قاضيا ورئيسا علينا ؟ أتريد أن تقتلنى كما قتلت المصرى ؟ » ، فعرف موسى أن فعلته قد ذاع أمرها وخاف أن يقتله فرعون ، فسارع بالهرب من مصر ، ولجأ الى أرض المديانيين التى كانت تقع شرقى خليج العقبة ، وهى التى تسمى اليوم بأرض مديان . فلما بلغ الى هناك جلس يستريح عند احدى الآبار ، فلم تلبث أن أقبلت سبع بنات ليملأن أجرانهن من البئر كى يسقين غنم أبيهن ، فجاء بعض الرعاة وتعرضوا لهن ، فنهض موسى وصرف الرعاة عنهن وسقى غنمهن . وكان أبوهن هو « رعوئيل » كاهن مديان ، وكان معروفا كذلك باسم « يثرو » أو « يثرون » ، فلما عدن وقصصن عليه ما فعله الرجل الذى وصفنه بالمصرى ، خرج اليه وعرض عليه أن يقيم معه فقبل ، فعهد اليه بأن يرعى غنمه ، وأعطاه ابنته « صفورة » زوجة له ، فظل فى خدمته أربعين سنة .

وقد حدث أن موسى كان يرعى غنم « رعوئيل » عند جبل حوريب ،

وكان قد بلغ في ذلك الحين الثمانين من عمره ، فاذا منظر عجيب يستلفت نظره ، إذ رأى - كما جاء في سفر الخروج - عليقة تشتعل بالنار ولكن النار لا تحرقها ، فاتجه نحوها ليتحقق من امرها ، حتى اذا اقترب منها سمع صوت الله يخاطبه من لهيب النار ، وقد امره ان يعود الى مصر ويعمل على اخراج بني اسرائيل منها ، واذ اعتذر موسى بأنه ثقيل اللسان لا يجيد الكلام ، أمره الله أن يأخذ اخاه هارون معه ليتكلم نيابة عنه ، مطمئنا اياه بأن فرعون الذي كان يريد الحكم عليه بسبب قتله للرجل المصري قد مات. فأخذ موسى زوجته وبنيه وعاد الى مصر ، وأخبر أخاه هارون بما أمره الله به ، ثم جمع موسى وهارون شيوخ اليهود واتفقوا معهم على الخروج من مصر . واذ كان ينبغي موافقة فرعون على ذلك ، سعيا الى المثول بين يديه . ولم يتجاسرا على طلب اطلاق سراح بني اسرائيل ، وانما احتالا على ذلك بأن طلبا من فرعون أن يسمح لهم بأن يحتفلوا بعيدهم في صحراء سيناء ليقدموا هناك ذبائح لالههم . ولكن فرعون خشي أن يكون هذا الطلب الذي يطلبه اليهود منطويا على مكيدة ضد مصر ، اذ كان يعلم أنه شعب غير مأمون الجانب ، ولذلك رفض الطلب الذي تقدم به موسى وهارون ، وازدادت مخاوفه من اليهود فاشتد في مراقبتهم ، وفي تضييق الخناق عليهم ، ومضاعفة المشقة فيما يسخرهم لادائه من أعمال . وقد جاء عن ذلك في سفر الخروج قوله : « فأمر فرعون في ذلك اليوم مسخري الشعب (اليهودي) ومدبريه قائلا لا تعودوا تعطون الشعب تبنا لصنع اللبن الذي كانوا يصنعونه أمس ليذهبوا هم ويجمعوا تبنا لأنفسهم . ومقدار اللبن الذي كانوا يصنعونه أمس وأول من أمس تجعلون عليهم . لا تنقصوا منه ، فانهم متكاسلون . لذلك يصرخون قائلين نذهب ونذبح لالهنا . ليثقل العمل على القوم حتى يشتغلوا ولا يلتفتوا الى كلام الكذب .. فتفرق الشعب في كل أرض مصر ليجمعوا قشا عوضا عن التبن . وكان المسخرون يعجلونهم قائلين كملوا أعمالكم ، أمر كل يوم بيومه ، كما كان حين التبن . فضرب مدبرو بني اسرائيل الذين أقامهم عليهم مسخرو فرعون ، وقيل لهم لماذا لم تكملوا فريضتكم من

صنع اللبن أمس واليوم كالأمس وأول من أمس • فأتى مدبرو بنى اسرائيل وصرخوا الى فرعون قائلين لماذا تفعل هكذا بعبيدك ؟ التبن ليس يعطى لعبيدك واللبن يقولون لنا اصنعوه وهوذا عبيدك مضروبون •• فقال متكاسلون أنتم متكاسلون • لذلك تقولون نذهب ونذبح للرب • فالآن اذهبوا اعملوا • وتبن لا يعطى لكم • ومقدار اللبن تقدمونه » • (الخروج ٥ : ٦ - ١٨) •

ولكن فرعون لم يلبث أن ضاق ذرعا بما يسببه اليهود له وللمصريين جميعا من متاعب ومصاعب ، بل من مصائب كذلك ، فأصدر أمرا بطردهم فورا دون ابطاء • وفى ذلك يقول سفر الخروج « فقام فرعون ليلا •• فدعا موسى وهارون •• وقال قوموا اخرجوا من بين شعبى أنتما وبنى اسرائيل جميعا •• فحمل الشعب (اليهودى) عجينهم قبل أن يختمر ومعاجنهم مصرورة فى ثيابهم على أكتافهم » (الخروج ١٢ : ٣٠ - ٣٤) •

وقد خدع اليهود جيرانهم ومعارفهم من المصريين فى ليلة خروجهم فاستعاروا منهم ما استطاعوا من الثياب والأمتعة والحلى ثم هربوا • وفى ذلك يقول سفر الخروج « وفعل بنو اسرائيل بحسب قول موسى • طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا • وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم ، فسلبوا المصريين » (الخروج ١٢ : ٣٥ - ٣٦) •

وهكذا خرج اليهود مطرودين من مصر • وقد جاء عن ذلك فى سفر الخروج : « فقال الرب لموسى •• انه (أى فرعون) بيد قوية يطلقكم ، وبيد قوية يطردكم من أرضه » (الخروج ٦ : ١) وجاء فيه : « وقال الرب لموسى •• عندما يطلقكم (فرعون) يطردكم طردا من هنا » (الخروج ١١ : ١) • وجاء فيه : « فارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس •• وخبزوا العجين الذى أخرجوه من مصر خبز ملة فطيرا ، اذ كان لم يختمر ، لأنهم طردوا من مصر ولم يقدروا أن يتأخروا فلم يصنعوا لأنفسهم زادا » (الخروج ١٢ : ٣٧ و ٣٩) •

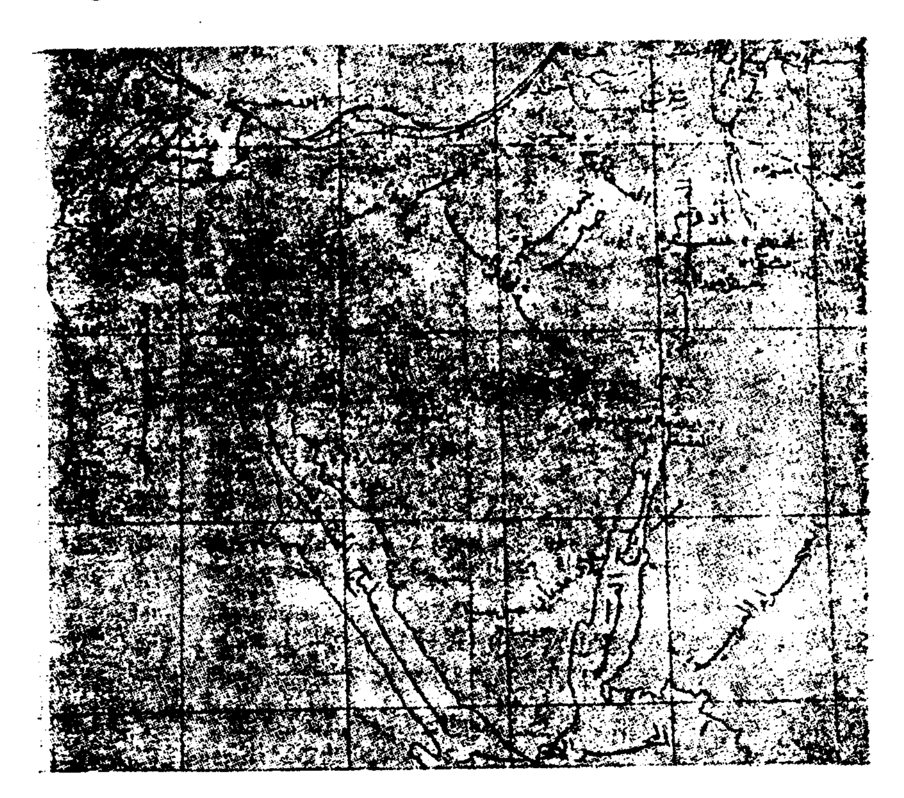
وقد ذكرت التوراة أن اليهود أقاموا فى مصر ٤٣٠ سنة (الخروج ١٢ : ٤٠ و ٤١) • وكان عددهم عند لجوئهم الى مصر كما سبق أن أرينا سبعين نفسا ، فأصبح عند طردهم كما ورد فى سفر الخروج « نحو ستمائة ألف ماشين من الرجال خلا الأطفال » (الخروج ١٢ : ٣٧) • فاذا أضفنا الى هذا العدد ما يتناسب معه من الشيوخ والأطفال والنساء ، كانت جملتهم تزيد على مليون وخمسمائة ألف نسمة •

وقد اختلفت آراء المؤرخين فى تحديد تاريخ خروج بنى اسرائيل من مصر : فذهب فريق الى أن خروجهم كان خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد • وهم يستندون فى ذلك الى أن هـذا هو ما قرره المؤرخ المصرى القديم « مانيثون » الذى عاش فى نحو عام ٢٥٠ قبل الميلاد • وقد استمر هذا هو الرأى السائد حتى القرن التاسع عشر بعد الميلاد • وذهب فريق ثان الى أن خروجهم كان فى نحو عام ١٢٩٠ قبل الميلاد ، أى فى عهد رمسيس الثانى ، وهم يستندون فى ذلك الى ما ورد فى سفر الخروج من أن المصريين سخروا اليهود فى بناء مدينتين تسمى احداهما رعمسيس على اسم هذا الفرعون • وذهب فريق ثالث الى أن خروجهم كان فى نحو عام ١٢٣٠ قبل الميلاد ، أى فى عهد منبتاح • وهم يستندون فى ذلك الى نص ورد فى النصب التذكارى الذى أقامه هذا الفرعون وذكر فيه أنه قضى على بنى اسرائيل • وذهب فريق رابع الى أن خروج بنى اسرائيل من مصر حدث خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد فى عهد تحتمس الثالث أو فى عهد أمنوفيس الثانى • وهم يستندون فى ذلك الى أن هـذا هو أكثر التواريخ اتفاقا مع كثير من نصوص التوراة ، ومنها ما ورد فى سفر القضاة (١١ : ٢٦) من أن يفتاح الذى عاش فى نحو عام ١١٠٠ قبل الميلاد يذكر أن ثلاثمائة سنة قد مضت فى أيامه منذ دخول العبرانيين أرض كنعان ، أى أنهم دخلوها فى نحو عام ١٤٠٠ قبل الميلاد ، فاذا أضفنا الأربعين سنة التى قضوها فى صحراء سيناء يكون تاريخ الخروج فى نحو عام ١٤٤٠ قبل

الميلاد . كما ورد فى سفر الملوك الأول (٦ : ١) أن هيكل سليمان بدأ بناؤه فى السنة الأربعمائة والثمانين لخروج بنى اسرائيل من مصر . ولما كان بناء الهيكل قد بدأ فى عام ٩٦٧ قبل الميلاد ، يكون الخروج قد حدث فى نحو عام ١٤٤٧ قبل الميلاد . ويستند أصحاب هذا الرأى أيضا الى ما ورد فى لوحات تل العمارنة من نصوص تشير الى شعب أغار على أرض كنعان فى نحو هذا التاريخ يسمونه « العبيرو » وهو تحوير لاسم « العبرانيين ». كما يستندون الى أن الاكتشافات الأثرية التى أظهرتها أعمال التنقيب فى أريحا وحاصور تؤيد أن الخروج كان فى نحو هذا التاريخ . بيد أننا نعتقد أن الحقيقة لا زالت مطمورة مع الآثار الفرعونية التى لم يتم اكتشافها بعد، وأن هذه الآثار ستكشف لنا فى المستقبل عن تاريخ خروج بنى اسرائيل من مصر بالتحديد .

وقد بينت لنا التوراة الطريق التى سلكها اليهود حين طردهم المصريون بكثير من الافاضة والتفصيل . فذكرت أنهم ارتحلوا من مدينة «رعمسيس» التى كانت من ضواحى مدينة « صوعن » التى هى « تانيس » الواقعة فى شرق الدلتا ، متجهين نحو الشمال الشرقى الى « سكوت » فى وادى طميلات . ثم ضربوا خيامهم فى « ايثام » عند حافة الصحراء بالقرب من موضع مدينة الاسماعيلية الحالية ، مزمعين السير حذاء شاطىء البحر الأبيض المتوسط نحو العريش ومنها الى غزة . وكان هذا هو الطريق الأقرب بالنسبة لهم الى أرض فلسطين التى كانوا يقصدونها ، ولكن هذا الطريق كانت تحدق به الحصون الغاصة بالجنود المصريين المعادين لهم . كما أنه كان يؤدى بهم الى الوقوع فى يد ملوك فلسطين المحالفين لملك مصر . ولذلك لم يلبثوا أن عدلوا عنه واتجهوا جنوبا على شاطىء البحيرات المرة نحو البحر الأحمر ، مارين « بمجدل » و « الحيروت » و « بعل صفون » شمالى خليج السويس . ثم عبروا بحر سوف الذى هو البحر الاحمر عند الشاطىء الجنوبى الغربى للخليج العربى، الى شاطئه الجنوبى الشرقى من موضع يقرب على الأرجح من جبل عتاقة

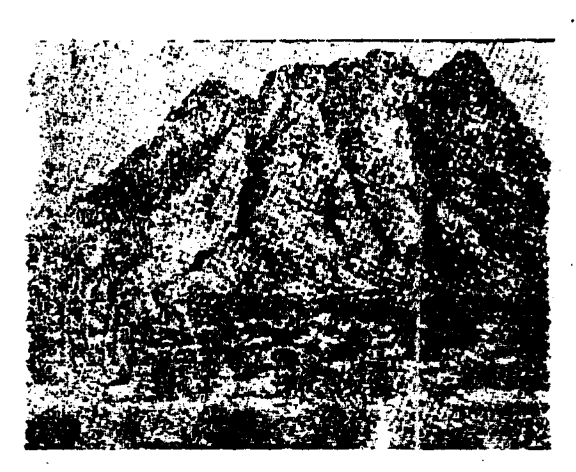
القائم بجوار مدينة السويس الحالية ، حيث وقعت معجزة انشـــقاق البحر الشهيرة ، فحلوا فى الموضع المسمى اليوم « عيون موسى » ، وهو بقعـــة صحراوية تنتشر فيها عيون الماء وأشـــجار النخيل • ثم ارتحلوا من بحر سوف الى برية شور ، حيث ساروا ثلاثة أيام دون أن يجدوا ماء ، حتى اذا



« صحراء سيناء فى عهد طرد اليهود من مصر »

بلغوا عين ماء فى الطريق – وهى التى تسمى اليوم عين حوارة – وجـدوا ماءها مرا فسموها « مارة » ، ثم تركوها الى « ايليم » الواقعـــة فى الوادى المسمى اليوم وادى غرندل على مســـافة نحو ســـتين ميلا جنوب شرقى السويس ، فوجدوا هناك اثنتى عشرة عين ماء وسبعين نخله ، فمكثوا هناك

بعض الوقت • ثم ارتحلوا الى برية « سين » فى أطراف وادى طيبـــة بين ايليم وسينا ، وهى الصحراء المعروفة اليوم ببرية المرقى ، الواقعة بين الجبال شرقا والبحر الأحمر غربا • وقد بلغها اليهود بعد شهر من خروجهم من مصر • ثم ارتحلوا من برية « ســين » الى « دفقـــة » ، ثم « الوش » ثم « رفيديم » • وهناك طلع عليهم العمالقة ، وهم ذرية عماليق بن أليفـــاز بن عيسو أمير الأدوميين أبناء عمومة اليهود ، وكانوا يسكنون برية فاران ومـــا جاورها • وقد خافوا من عدوان اليهود عليهم فهاجموهم ، ولـــكن موسى كلف تلميذه يشوع بن نون بأن يخرج للقائهم على رأس قوة من اليهود فهزمهم •



« جبل موسى فى سيناء »

وقد سمع « يثرون » كاهن مديان بأن اليهود خرجوا من مصر بقيـــادة موسى الذى كان قد تزوج ابنته صفورة ، فوافاه الى البرية ومعه زوجة موسى وابنيه منها ، وهما « جرشوم » و « أليعازر » اذ كان موسى قد أرســـلهم اليه بعد أن أخذهم معه الى مصر •

وفى الشهر الثالث بعد خروج اليهود من مصر ارتحلوا من رفيديم



« موسى النبي »

وجاءوا الى برية سيناء ، ونزلوا تجاه الجبل المسمى اليوم جبل موسى • وهناك على قمة ذلك الجبل المسماة اليوم « رأس الصفصافة » أنزل الله الشريعة على موسى ، وهناك أمره بأن يصنع تابوت العهد ، ويقيم خيمة الاجتماع ، فصنع التابوت والخيمة كما وصفهما له الله • وأقام الخيمة على الجبل المسمى اليوم « جبل المناجاة » ، وهو اكمة ترتفع قليلا عن السهل في مدخل الوادى المسمى اليوم « وادى الدير » شرقى جبل موسى ، وتشرف على سهل الراحة الذى كان يقيم به بنو اسرائيل فى ذلك الحين • وقد أمر



« تابوت العهد »

الله موسى بأن يمسح أخاه هارون وبنيه كهنة ليتولوا طقوس الصلاة فى خيمة الاجتماع ، وبين نوع ثيابهم وقواعد خدمتهم وطقوس تقديمهم الذبائح •

وقد حدث حين كان موسى يناجى الله على الجبل أن اليهود طلبوا من هارون أن يصنع لهم صنما يعبدونه ، فأخذ أقراط الذهب من نسائهم وصنع لهم منه تمثال عجل ، فراحوا يسجدون له ، ثم انطلقوا يأكلون ويشربون ويرقصون • وفى هذه الأثناء نزل موسى من الجبل وفى يده لوحا

العهد اللذين أعطاه الله اياهما مشتملين على الوصايا العشر ، فرأى العجل الذهبي قائما ، واليهود يرقصون حوله ، فاستشاط غضبا وطرح اللوحين فتهشما في أسفل الجبل ، ثم أخذ العجل الذي صنعوه وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعما ثم ذراه على وجه الماء وسقى بني اسرائيل ، ووبخ هارون لأنه صنع العجل لهم ، ثم أمر بني سبط لاوي أن يأخذوا سيوفهم ويؤدبوا بني اسرائيل ، فقتلوا في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل . ثم أمر الله موسى بأن ينحت لوحين آخرين للعهد ، وبعد أن مكث موسى على الجبل أربعين يوما وأربعين ليلة لا يأكل ولا يشرب ، كتب الله على اللوحين كلمات العهد ، كما جاء في سفر الخروج ، ثم أوضح لموسى مبادىء الشريعة ، ولا سيما طقوس العبادة الواجبة لله ، والقرابين والذبائح التي ينبغي تقديمها له ، والامتناع عن عبادة الآلهة الوثنية والأصنام ، وأداء ما ينبغي من العشور والنذور ، وتقديس أيام السبت ، والاحتفال بالأعياد والمواسم الدينية ، فضلا عن أحكام الطهارة والنجاسة ، وقواعد الأخلاق ، والأحكام المدنية والجنائية ، وغير ذلك من التفريعات والتفصيلات .

وبعد أن أقام اليهود في صحراء سيناء نحو سنة ، قام موسى باحصاء عدد الذين يصلحون للقتال منهم من ابن عشرين سنة فصاعدا فكانوا ٦٠٣،٥٥٠ رجلا ، عدا اللاويين فانهم لم يشملهم الاحصاء لأنهم مخصصون للكهنوت وخدمة خيمة الاجتماع ، وقد أجرى موسى لهم احصاء خاصا فكان عدد الذكور من ابن شهر فصاعدا اثنين وعشرين ألفا . وقد خصص موسى لكل سبط من أسباط اسرائيل الاثنى عشر مكانا يقيمون فيه حيثما حلوا ، وجعل لكل سبط رئيسا يتولى شئونه ، وجيشا من أبنائه يحميه ، كما جعل لكل سبط راية مميزة له ، ترتفع في المكان المخصص لاقامته .

ثم في اليوم العشرين من الشهر الثاني من السنة الثانية من خروج اليهود من مصر ، ارتحلوا من « برية سيناء » حاملين خيمة الاجتماع وتابوت العهد معهم ، متجهين شرقا نحو خليج العقبة ، يستقرون حينا ، ثم يتابعون

السير حينا آخر . وكان اليهود بينذاك لا يكفون عن التذمر والتمرد على موسى ، حتى أرهقوه ارهاقا شديدا ، وجعلوه يصرخ الى ربه متمنيا الموت. وقد جاء عن ذلك فى سفر العدد « فعاد بنو اسرائيل أيضا وبكوا وقالوا من يطعمنا لحما ؟ قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجانا والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم . والآن قد يبست أنفسنا .. فلما سمع



« موسى النبى يحمل لوحى الشريعة »

موسى الشعب يبكون بعشائرهم كل واحد فى باب خيمته .. ساء ذلك فى عينى موسى ، فقال موسى للرب لماذا أسأت الى عبدك ولماذا أجد نعمة فى عينيك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب على ، ألعلى حبلت بجميع هذا الشعب أو لعلى ولدته ؟ .. من أين لى لحم حتى أعطى جميع هذا الشعب، لأنهم يبكون على قائلين اعطنا لحما لنأكل . لا أقدر أنا وحدى أن أحمل جميع هذا الشعب لأنه ثقيل على ، فان كنت تفعل بى هذا فاقتلنى قتلا ان

وجدت نعمة فى عينيك ، فلا أرى بليتى » (العدد ١١ : ٤ - ١٥) . وبعد ذلك اختار موسى سبعين رجلا من شيوخ اليهود وأشركهم معه فى تدبير شئون هذا الشعب المتمرد . ولم يلبث أن هاجمهم وباء فتك بعدد عظيم منهم حين كانوا فى الموضع الذى أصبح اسمه بعد ذلك « هتأوة » . ثم ارتحلوا من هناك الى « حصيروت » فأقاموا بها ، وهى المسماة اليوم « حصارة » أو « عين حصيرة » على مسيرة أربعة وعشرين كيلو مترا من خليج العقبة . وفى هذا الموضع حدث أن هارون أخا موسى ومريم أخته تكلما فيما بينهما ضده لان الله اصطفاه دونهما ، مع أنه - كما قالا - يخالف الشريعة لأنه متزوج من امرأة غير يهودية وهى « صفورة » التى قالت التوراة أنهـا من المديانيين ، ثم وصفتها بأنها كوشية ، لأنها كانت من ذرية كوش بن حـام احدى قبائل المديانيين . وقد جاء عن ذلك فى سفر العدد « وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها .. فقالا هل كلم الرب موسى وحده ؟ ألم يكلمنا نحن أيضا ؟ .. فحمى غضب الرب عليهما .. فالتفت هارون الى مريم واذا هى برصـــاء .. فصرخ موسى الى الرب قائلا اللهم اشفها ، فقال الرب لموسى .. تحجز سبعة أيام خارج المحلة وبعـد ذلك ترجع . فحجرت مريم خارج المحلة سبعة أيام ولم يرتحل الشعب حتى أرجعت مريم » (العدد ١٢ : ١ - ١٥) .

وبعد ذلك ارتحل اليهود من « حصيروت » الى « عصيون جابر » على خليج العقبة ، ثم نزلوا فى « قادش » ببرية « فاران » على مسيرة أحد عشر يوما من حوريب فى جبل سيناء ، وعلى مسافة خمســـين ميلا جنوبى « بئر سبع » . ومن هناك أرسل موسى وفدا من الرجال ليتجسسوا أرض كنعان التى كان اليهود مزمعين أن يغتصبوها من أهلها ويأخذوها لأنفسهم ، وهى المسماة اليوم فلسطين . وكان هذا الوفد مكونا من اثنى عشر رجلا ، اختير من كل سبط من أسباط اليهود واحد منهم ليمثلوا بنى اسرائيل جميعا .

وقد مضوا الى أرض كنعان وتجسسوها ، ثم عادوا مختلفين فى الرأى ،

فقالت الأغلبية منهم ان اليهود عاجزون عن الاستيلاء عليها ، وقالت الأقلية انهم قادرون على ذلك .

وقد جاء عن ذلك فى سفر العدد « فأرسلهم موسى ليتجسسوا أرض كنعان ، وقال لهم اصعدوا من هنا الى الجنوب ، واطلعوا على الجبل وانظروا الى الأرض ما هى ؟ والشعب الساكن فيها أقوى هو أم ضعيف ؟ قليل أم كثير ؟ وكيف هى الارض التى هو ساكن فيها ، أجيدة أم رديئة ؟ وما هى المدن التى هو ساكن فيها ، أمخيمات أم حصون ؟ وكيف هى الأرض ، أسمينة أم هزيلة ؟ أفيها شجر أم لا ؟ .. وتشددوا فخذوا من ثمر الأرض .. وأما الأيام فكانت أيام باكورات العنب . فصعدوا وتجسسوا الأرض من برية صين الى رحوب فى مدخل حماة . صعدوا الى الجنوب وأتوا الى حبرون . وكان هناك أخيمان وشيشاى وتلماى بنو عناق . وأما حبرون فبنيت قبل صوعن مصر بسبع سنين . وأتوا الى وادى أشكول ، وقطفوا من هناك زرجونة بعنقود واحد من العنب وحملوه بالدقرانة بين اثنين ، مع شىء من الرمان والتين ، فدعى ذلك الموضع اشكول بسبب العنقود الذى قطعه بنو اسرائيل من هناك . ثم رجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوما . فساروا حتى أتوا الى موسى وهارون وكل جماعة بنى اسرائيل ، الى برية فاران ، الى قادش ، وردوا اليهما خبرا والى كل الجماعة وأروهم ثمر الأرض ، وأخبروه وقالوا قد ذهبنا الى الأرض التى أرسلتنا اليها وحقا انها تفيض لبنا وعسلا ، وهذا ثمرها . غير ان الشعب الساكن فى الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جدا . وأيضا قد رأينا بنى عناق هناك . العمالقة ساكنون فى أرض الجنوب ، والحثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون فى الجبل والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن . ولكن كالب أنصت الشعب الى موسى وقال اننا نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها . وأما الرجال الذين صعدوا معه فقالوا لا نقدر أن نصعد الى الشعب لأنهم أشد منا . فأشاعوا مذمة الارض التى تجسسوها فى بنى اسرائيل قائلين الارض التى مررنا فيها لنتجسسها هى أرض تأكل سكانها ، وجميع الشعب الذين

رأينا فيها أناس طوال القامة • وقد رأينا هناك الجبابرة فكنا فى أعين أنفسنا كالجراد • وهكذا كنا فى أعينهم • فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة ، وتذمر على موسى وهارون جميع بنى اسرائيل ، وقال لهما كل الجماعة ليتنا متنا فى أرض مصر ، أو ليتنا متنا فى هذا القفر .. أليس خيرا لنا أن نرجع الى مصر؟ فقال بعضهم لبعض نقيم رئيسا ونرجع الى مصر ، فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معشر جماعة بنى اسرائيل • ويشوع بن نون وكالب بن يفنة من الذين تجسسوا الأرض مزقا ثيابهما ، وكلما كل جماعة بنى اسرائيل قائلين : الأرض التى مررنا فيها لنتجسسها ، الارض جيدة جدا جدا .. لا تخافوا من شعب الارض .. لا تخافوهم • ولكن قال كل الجماعة أن يرجما بالحجارة » (العدد ١٣ : ١٧ – ٣٣ ، ١٤ : ١ – ١٠) •

ومن ذلك الحين بدأت ثورة اليهود على موسى وهارون تزداد عنفا ، وبدأ تمردهم يزداد خطورة • وكان من أعنف هذه الثورات ، وأخطر حركات التمرد ، تلك التى تزعمها مائتان وخمسون من رؤساء اليهود • وقد جاء عنها فى سفر العدد : « وأخذ قورح بن يصهار بن قهات بن لاوى ، وداثان وأبيرام ابنا ألياب ، وأون بن فالت بن رأوبين ، يقاومون موسى مع اناس من بنى اسرائيل ، مائتين وخمسين رؤساء الجماعة ، مدعوين للاجتماع ذوى اسم ، فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما كفاكما ، ان كل الجماعة بأسرها مقدسة فى وسطها الرب ، فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب ؟ فلما سمع موسى سقط على وجهه ، ثم كلم قورح وجميع قومه قائلا غدا يعلن الرب من هو له ومن هو المقدس حتى يقرب اليه .. اسمعوا يابنى لاوى .. أقليل عليكم أن اله اسرائيل أفرزكم من جماعة اسرائيل ليقربكم اليه لكى تعملوا خدمة مسكن الرب وتقفوا قدام الجماعة لخدمتها .. فقربك وجميع اخوتك بنى لاوى معك ، وتطلبون أيضا كهنوتا ؟ اذن أنت وكل جماعتك متفقون على الرب • وأما هارون فما هو حتى تتذمر عليه ؟ • فأرسل موسى ليدعو داثان وابيرام ابنى ألياب ، فقالا لا نصعد • أقليل

أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبنا وعسلا لتميتنا فى البرية حتى تترأس علينا أيضا ترؤسا ؟ ... لا نصعد .. فاغتاظ موسى جدا » (العدد ١٦ : ١ - ١٥) .

وقد أدت هذه الفتنة الى قورح وأبنائه وكل أنصاره ، وكانوا مائتين وخمسين رجلا . ثم لم يلبث أن تفشى وباء أدى الى موت أربعة عشر ألفا وسبعمائة آخرين من اليهود . ولكن اليهود لم ينقطعوا بعد ذلك عن التمرد على موسى ، فلم تكن تسنح فرصة الا جاهروا فيها بالتألب عليه . ومثال ذلك ما حدث شح الماء لديهم وهم فى قادش ، اذ جاء فى سفر العدد : « ولم يكن ماء للجماعة ، فاجتمعوا على موسى وهارون ، وخاصم الشعب موسى وكلموه قائلين ليتنا فنينا فناء اخوتنا أمام الرب . لماذا أتيتما بجماعة الرب الى هذه البرية لكى نموت فيها نحن ومواشينا؟ولماذا أصعدتمانا من مصر لتأتيا بنا الى هذا المكان الردىء . ليس هو مكان زرع وتين وكرم ورمان ولا فيه ماء للشرب . فأتى موسى وهارون من أمام الجماعة الى باب خيمة الاجتماع وسقطا على وجهيهما » (العدد ٢٠ : ٢ - ٢٦) .

وأثناء اقامة اليهود فى قادش ماتت مريم أخت موسى ودفنت هناك ، وكانت تكبر موسى بنحو اثنتى عشرة سنة . وقد جاء فى التوراة أن عمرها عند موتها كان ١٣٢ سنة .

وفى هذه الأثناء أرسل موسى رسلا من قادش الى ملك أدوم - وهو من ذرية عيسى بن اسحاق بن ابراهيم ، وكانت بلاده متاخمة لقادش - يطلب اليه أن يسمح لليهود بالمرور فى أرضه ، متعهدا ألا يمروا فى حقل ولا كرم ولا يشربوا ماء بئر ، ولا يميلوا يمينا ولا يسارا حتى يتجاوزوا حدود بلاده ، فرفض ملك أدوم وخرج لمهاجمة اليهود بجيش عظيم ، فتحول اليهود عن طريق بلاده واضطروا لان يدوروا نحو الجنوب الشرقى حول جبل سعير الذى يقيم فيه الأدوميون من جهة الشمال ، فارتحلوا من قادش الى جبل هور ، جنوبى بلاد الأدوميين ، وأقاموا عند سفح الجبل فى محلة تسمى

« موسيرة » . وهناك مات هارون أخو موسى ، وكان عمره وقتئذ ١٢٣ سنة، ودفن فى احدى مغارات جبل هور ، ولا زال يوجد هناك مدفن يسمونه مدفن هارون ، كما أن الجبل أصبح يسمى جبل هارون . وقد خلف هارون فى رئاسة الكهنوت ابنه لعازر .

ولما سمع ملك « عراد » الكنعانى الساكن فى الجنوب أن اليهود جاءوا فى طريق « أثاريم » بالقرب من النقب ، خرج اليهم وقاتلهم وهزمهم . ولكنهم عادوا فاستظهروا عليه وهاجموا مدنه وذبحوا كل من فيها،ثم ارتحلوا من جبل هور فى طريق بحرسوف ، ليدوروا حول أرض الادوميين ،وهناك خرجت عليهم الحيات فمات منهم عدد كبير ، فسارعوا بالرحيل الى«أويوت» ثم الى « عى عباريم » على حدود أرض موآب الجنوبية شرقى نهر الأردن ، ثم الى وادى زارد ، المعروف اليوم بوادى الحصى ، وكان يجرى فيه جدول ماء ينحدر من جبل عباريم ويصب فى بحر لوط ، وهو البحر الميت . وقد أمضى اليهود منذ ارتحالهم من قادش الى أن عبروا وادى زارد ثمان وثلاثين سنة ، مرتحلين من مكان الى آخر ، وقد جاء فى سفر التثنية : « وكانت جملة الأيام منذ سرنا من قادش برنيع حتى عبرنا وادى زارد ثمانى وثلاثين سنة » (التثنية ٢ : ١٤) . وقد مات فى هذه المدة كل المقاتلين من الرجال الذين كانوا قد تجاوزوا العشرين من عمرهم حين خرجوا من مصر . وقد ارتحل اليهود بعد ذلك الى وادى أرنون الذى كان يقع بين بلاد الاموريين فى الشمال وبلاد الموآبين فى الجنوب . ثم ارتحلوا الى « بئر » فى أرض موآب ، ثم الى « متانة » المسماة اليوم « المدينة » ، ثم الى « نحليئيل » فى مكان وادى موجب الحالى ، ثم الى « باموت » على بعد ميلين ونصف جنوبى جبل نبو ، ثم الى الجواء التى فى صحراء موآب عند رأس الفسجة ، وهى رأس جبل نبو أحد جبال عباريم ، ويقع فى الطرف الشمالى الشرقى من البحر الميت على الحدود الجنوبية من مملكة الاموريين قبالة أريحا .

وقد أرسل موسى رسلا الى سيحون ملك الاموريين يطلب اليه أن يسمح

لليهود بأن يمروا فى أرضه التى كانت واقعـــة بين « أرنون » و « اليبوق » جنوبى أرض كنعان ، فلم يســـمح بذلك ، وخرج مع قومه لمهاجمتهم فى موضع يسمى « ياهص » ، ولكنهم هزموه وقتلوه مع ذويه وعـــدد كبير من شعبه . واغتصبوا كل مدنه من « عروعير » المسماة اليوم « عراعير » الى « جلعاد » المعروفة اليوم « بالسلط » . كما اغتصبوا عاصمة بلاده « حشبون » المسماة اليوم « حسبان » ، واستولوا على أرضه من وادى نهر أرنون الذى يصب فى البحر الميت ، والمعروف اليوم بنهر المعجب ، الى وادى نهر «يبوق» الذى يصب فى نهر الاردن بين البحر الميت وبحيرة طبرية ، وهو المســمى اليوم نهر الزرقا . ومن ثم احتل اليهود أرض الأموريين وأقاموا فيها . ثم أرسل موسى ليتجسس « يعزير » احدى مدن « جلعاد » ، وكانت تقع على بعد خمسة عشر ميلا شرقى « حسبان » . ثم هاجمها اليهود واســـتولوا عليها ، وطردوا منها الاموريين الذين كانوا يقيمون فيهـــا . ثم خرجوا فى طريق باشان التى تقع شرقى الأردن بين جبلى حرمون وجلعاد ، وكانت تشـــتمل على « حوران » و « الجولان » و « اللجاه » ، ويحدها شمالا لبنـــان وجبل الشيخ ، وشرقا جبل جلعاد ، وجنوبا نهر يبوق وهو نهر الزرقاء وغـــربا نهر الأردن ، ويخترق جانبها الشرقى جبل باشان المسمى اليوم جبل الدروز ، وكان ملك باشان فى ذلك الحين يسمى « عوج » ، وكان من ذرية الجبابرة المعروفين بالرافائيم أو الرافائيين الذين كانوا فى فلســـطين قبل أن يغزوها الكنعانيون ، وكان قد ألب جمـــاعة الاموريين وغيرهم من الكنعانيين ، فغزا مملكة باشان وهزم العمونيين الذين كانوا يحكمونها قبله وأزاحهم منها نحو المشرق . فخرج « عوج » على اليهود واشتبك معهم فى « أذرعى » المسماة اليوم « ذرعات » . ولكنهم قتلوه هو وبنيه وأبادوا شعبه عن بكرة أبيـــه ، واغتصبوا كل مدنه ، وكانت نحو ستين مدينة ذات أسوار شـــامخة وأبواب ومزاليج ، غير قرى الصحراء الكثيرة جدا ، وقد قتلوا كل من فيها من الرجال والنساء والأطفال ، ونهبوا كل ما فيها من البهائم والغنائم ، واستولوا بذلك على كل الأرض التى فى بحر الاردن من وادى ارنون الى جبل حرمون ، بمـــا

فى ذلك كل مدن السهل وكل جلعاد وكل باشان الى « سلخة أذرعى » .

وقد ارتحل اليهود بعد ذلك فنزلوا فى صحراء موآب فى وادى الأردن تجاه أريحا بين مصب نهر يبوق والبحر الميت ، فخاف « بالاق بن صفور » ملك الموآبيين أن يغتصب اليهود بلاده كما فعلوا مع الاموريين والباشانيين ، فألب عليهم شيوخ المديانيين ، وهم من بنى مديان بن ابراهيم من زوجته قطورة ، قائلا لهم « الآن تلحس هذه الجماعة كل ما حوالينا كما يلحس الثور خضرة الحقل » . وأقام اليهود فى شطيم فى سهول موآب شرقى الأردن مقابل أريحا ، وبدأوا يختلطون بالموآبيين والمديانيين المقيمين فى تلك النواحى ، وراحوا يزنون بناتهم ، فدعونهم الى ديانتهن ، فعبد اليهود الههن الوثنى « بعل فغور » ، فأمر موسى بقتل كل من عبد هذا الاله ، فكان عدد القتلى من اليهود لهذا السبب أربعة وعشرين ألفا .

وبعد هذا قام موسى باحصاء عدد الرجال المقاتلين من اليهود من ابن عشرين سنة فصاعدا فكانوا ستمائة ألف ومائة وثلاثة وسبعين رجلا . ولم يكن فيهم أحد ممن سبق احصاؤهم عند خروج اليهود من مصر ، لان هؤلاء ماتوا فى الصحراء جميعا فلم يبق منهم الا « كالب بن يفنة » ،و « يشوع بن نون » . وقد وضع موسى قاعدة لتقسيم الأرض التى يغتصبها اليهود بالقرعة بين أسباطهم حسب عدد كل سبط ، ثم أقام يشوع بن نون خلفا له ، ثم جرد حملة من اثنى عشر ألفا من اليهود للانتقام من المديانيين ، نسل مديان أحد أبناء ابراهيم من زوجته قطورة ، وكانت بلادهم تمتد من خليج العقبة الى أرض موآب ، وقد تحالفوا مع المديانيين ضد اليهود فهجم هؤلاء عليهم وقتلوا ملوكهم أوى « أوى » و « راقم » و « صور » و « رابع » ، كما قتلوا نبيهم « بلعام بن بعور » ، وذبحوا ذكور المديانيين جميعا وسبوا نساءهم وأطفالهم ونهبوا كل أملاكهم وبهائمهم ومواشيهم وأحرقوا جميع مساكنهم وجميع حصونهم بالنار ، وأتوا الى موسى بكل ما غنموه ونهبوه ، فلما رأى موسى أنهم لم يقتلوا النساء والأطفال غضب جدا وأمرهم بأن يقتلوا كل امرأة متزوجة

وكل ذكر من الاطفال فقتلوهم ، وأخذوا لانفسهم كل فتاة غير متزوجة . وقد جاء عن ذلك في سفر العدد : « فسخط موسى على وكلاء الجيش وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أنثى حيـة ؟ .. أقتلوا كل ذكر من الأطفال ، وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها . لكن جميع الأطفال من النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات .. » (العدد ٣١ : ١٤ - ١٨) . وقد أحصى موسى الغنائم فكانت من الغنم ٦٧٥ ألفا ، ومن البقر ٧٢ ألفا ، ومن الحمير ٦١ ألفا ، ومن الفتيات غير المتزوجات ٣٢ ألفا . وقد قسم موسى هذه الغنائم على أسباط اسرائيل .

وكان لبني جاد وبني رأوبين قطعان عظيمة من الماشية ، وقد رأوا أن الارض التي اغتصبها اليهود شرقى الاردن من الاموريين والباشانيين صالحة للماشية ، فأتوا الى موسى وطلبوا منه أن يمنحهم هذه الارض ميراثا لهم ، على ألا يعبروا الاردن مع سائر الاسباط ولا يأخذوا نصيبا من غربى الاردن ، وتعهدوا نظير ذلك بأن يشاركوا سائر الأسباط فى غارتهم على أرض كنعان غربى الأردن حتى يغتصبوها منهم ، فأجابهم موسى الى طلبهم على هذا الشرط ومنح سبط جاد وسبط رأوبين ونصف سبط منسى بنى يوسف مملكة سيحون ملك الاموريين ، ومملكة عوج ملك باشان ، فأقام بنو جاد هناك وأعادوا بناء عدة مدن ، منها « ديبون » وهى المسماة اليوم « ديبان » شمالى نهر « أرنون » المسمى اليوم وادى الموجب ، و « عطاروت » التى كانت على المنحدر الغربى من الجليل الذى يسمى اليوم جبل عطاروس ، و « عروعير » التى كانت تقع شمالى نهر أرنون فى موآب ، وهى المسماة اليوم « عراعر » ، و « عطروت شوفان » فى سهل موآب ، و « يعزير » التى كانت تقع على بعد عشرة أميال غربى « ربة عمون » المسماة اليوم « عمان » ، والراجح أنها كانت تقع فى مكان بلدة « بيت زرعة » الحالية ، و « يجبهة » المسماة اليوم « الجبيهة » وهى تقع شرقى الأردن ، بين « السلط » شمالا و « عمان » جنوبا ، و « بيت نمرة » المسماة اليوم « تل نمرين » شمالى البحر الميت ، و « بيت هاران » المسماة اليوم « تل رامة » بجانب « كفرين » شرقى « أريحا » . وأعاد بنو رأوبين بناء

عدة مدن كذلك منها « حشبون » المسماة اليوم « حسبان » فى الشمال الشرقى من جبل نبو بين « أرنون » و « يبوق » ، و « العالة » وهى المسماة اليوم « العال » وتقع على قمة تل فى الشمال الشرقى من « حسبان » ، و « قريتايم » المسماة اليوم « القريات » وتقع شمالى نهر أرنون وشرقى « عطاروت » بين « ديبان » جنوبا و « ميذبا » شمالا ، و « نبو » فى سفح جبل نبو شرقى الأردن ، و « بعل معون » وهى المسماة اليوم « تل معين » فى الجنوب الغربى من « حسبان » ، و « سبمة » وهى المسماة اليوم « سومية » غربى « حسبان » وشمالى جبل نبو . وقد أغار بنو ماكير بن منسى بن يوسف على أرض جلعاد واغتصبوها من الاموريين وطرودهم منها ، فمنحها موسى لهم . كما اغتصب يائير بن منسى أرض « أرجوب » وهى « اللجاة » ، وقسما من جلعاد التى هى عجلون وباشان التى هى حوران ، وكان بهذه المنطقة ستون مدينة ، وقد سماها « حووث يائير » أى « بلاد يائير » . واغتصب نوبح بن منسى مدينة « قناه » وتوابعها ، وكانت على المنحدر الغربى لجبل حوران وسماها « نوبح » باسمه ، وبذا كان مقام بنى رأوبين جنوبى الأرض التى استولى عليها اليهود بقيادة موسى شرقى الاردن ، وكان مقام بنى جاد شماليها ، فى حين كان مقام نصف سبط منسى فى أرض باشان .

وقد حدد موسى لليهود الارض التى عليهم أن يغتصبوها من أصحابها ، فقال لهم كما ورد فى سفر العدد « أرض كنعان بتخومها تكون لكم ناحية الجنوب من برية صين على جانب أدوم . ويكون لكم تخم الجنوب من طرف بحر الملح الى الشرق ، ويدور لكم التخم من جنوب عقبة عقربين ويعبر الى صين ، وتكون مخارجه من جنوب قادش برنيع ويخرج الى حصر أدار ويعبر الى عصمون . ثم يدور التخم من عصمون الى وادى مصر وتكون مخارجه عند البحر . وأما تخم الغرب فيكون البحر الكبير لكم تخما . هذا يكون لكم تخم الغرب . وهذا يكون لكم تخم الشمال : من البحر الكبير ترسمون لكم الى جبل هور ، ومن جبل هور ترسمون الى مدخل حماة ،

وتكون مخارج التخم الى صدد ، ثم يخرج التخم الى زفرون وتكون مخارجه عند حصر عينان . هذا يكون لكم تخم الشمال . وترسمون لكم تخما إلى الشرق من حصر عينان الى شفام . وينحدر التخم من شفام الى ربلة شرقي عين . ثم ينحدر التخم ويمس جانب بحر كنارة الى الشرق ، ثم ينحدر التخم الى الأردن وتكون مخارجه عند بحر الملح . هذه تكون لكم الأرض بتخومها حواليها .. هذه هى الارض التى تقتسمونها بالقرعة » (العدد ٣٤: ٢ - ١٣) . فكانت الارض التى أوصى موسى بتقسيمها على أسباط اليهود غربى الاردن ، وهى التى كانت تسمى أرض كنعان ، تنحصر فى الرقعة التى يحدها مدخل حماة شمالا ، والصحراء العربية جنوبا ، وبادية سوريا والصحراء العربية شرقا ، والبحر الابيض المتوسط غربا .. وقد أوصى موسى بتقسيم هذه الارض بين أسباط اليهود جميعا ما عدا سبط لاوى فقد أوصى بأن تكون لهم مدن فى كل أنصبة الاسباط الاخرى ليسكنوها مع بهائمهم ، بحيث يكون مجموع مدن اللاويين فى أنصبة الاسباط ثمان وأربعين مدينة ، وذلك ليؤدوا الخدمات الدينية لدى الاسباط جميعا .

وقد رسم موسى لليهود الخطة التى ينتهجونها لاغتصاب هذه الارض التى حددها لهم ، وقد ورد تفصيل هذه الخطة فى سفر التثنية ، اذ جاء به : « متى أتى بك الرب الهك الى الارض التى أنت داخل اليها لتمتلكها وطرد شعوبا كثيرة من أمامك ، الحثيين والجرجاشيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، سبعة شعوب أكثر وأعظم منك ، ودفعهم الرب الهك أمامك وضربتهم فانك تحرمهم (أى تبيدهم) . لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم .. لا تشفق عيناك عليهم .. ان قلت فى قلبك هؤلاء الشعوب أكثر منى فكيف أقدر أن أطردهم فلا تخف منهم .. لا ترهب وجوههم .. لا يقف انسان فى وجهك حتى تفنيهم .. وتدخلوا وتمتلكوا الارض .. لأن الرب الهك آت بك الى أرض جيدة ، أرض أنهار من عيون وغمار تنبع من البقاع والجبال ، أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان ،

أرض زيتون زيت وعسل ، أرض ليس بالمسكنة تأكل فيها خبزا ، ولا يعوزك فيها شيء ، أرض حجارتها من حديد ومن جبالها تحفر نحاسا .. أنت اليوم عابر الارض لكى تدخل وتمتلك شعوبا أكبر وأعظم منك ، ومدنا عظيمة ومحصنة الى السماء . قوما عظاما وطوالا . بنى عناق الذين عرفتهم وسمعت من يقف فى وجه بنى عناق .. فتطردهم وتهلكهم سريعا .. حين تقرب من المدينة لكى تحاربها ، استدعها الى الصلح ، فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها . واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما فى المدينة ، كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب الهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الامم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها تحريما (أى تبيدها ابادة) ، الحثيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين » (التثنية ٧ و ٨ و ٩ و ٢٠) .

وبعد أن أتم موسى مهمته على هذا الوجه ، صعد الى « رأس الفسجة » المسماة اليوم « رأس السياغة » على قمة جبل نبو أحد جبال عاريم فى الطرف الشمالى الشرقى من البحر الميت ، وهى تقع قبالة « أريحا » ، ومات هناك ، وكان عمره عندئذ مائة وعشرين سنة ، ودفن فى أرض موآب تجاه أرض « فغور » المسماة اليوم « المريجة » ، ولكن موضع قبره ظل مجهولا منذ ذلك الحين الى اليوم .

الفصل الرابع

اغتصاب اليهود أرض فلسطين

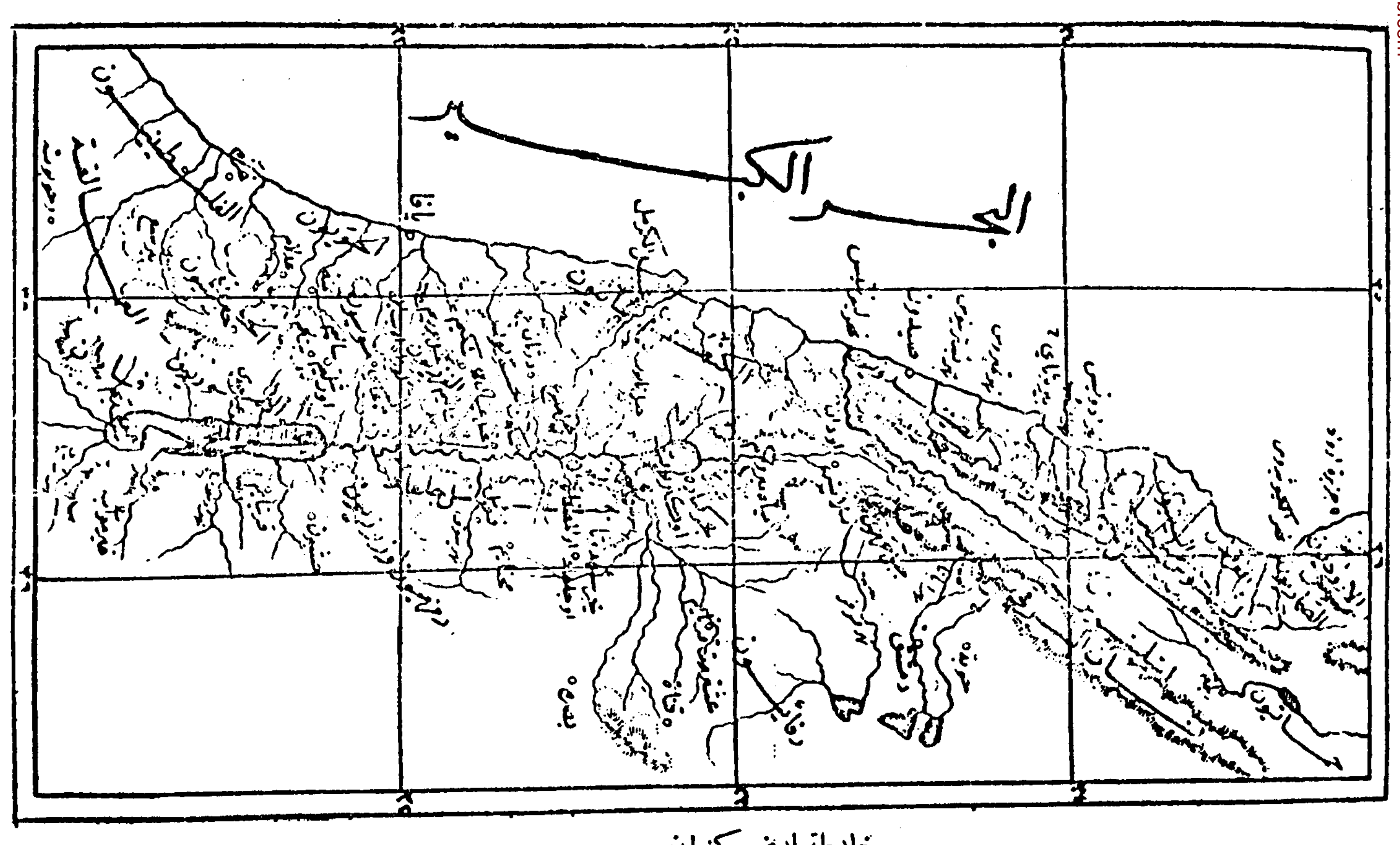
وكان موسى قبل موته قد عين تلميذه يشوع بن نون خليفة له في الزعامة على اليهود وقيادتهم • وكان يشوع من سبط أفرائيم بن يوسف بن يعقوب • وقد ولد في مصر ، وكان عند الخروج منها في الخامسة والاربعين من عمره ، فكان عند توليه زعامة اليهود وقيادتهم قد بلغ الخامسة والثمانين• ولم يكن قد بقي في ذلك الحين من اليهود الذين خرجوا من مصر وعمرهم فوق العشر ن سنة الا هو وكالب بن يفنة • وكان هو احد الاثنى عشر الذين أرسلهم مو ى كي يتجسسوا أرض فلسطين للتأكد من جودة الارض ومعرفة مدى قوة اكنيها ، فلما عادوا أجمعوا على أنها أرض طيبة تفيض لبنا وعسلا ، وقد جاءوا معهم ببعض ثمارها ، ولكن عشرة منهم قالوا ان سكانها جبابرة يعجز اليهود عن طردهم منها ، فلم يؤكد أن اليهود قادرون على ذلك الا يشوع بن نون ومعه كالب بن يفنة ، ومن ثم كانت المهمة الملقاة على عاتق يشوع بن نون بعد أن تولى زعامة اليهود ، هي أن يقودهم في اغارتهم على أرض فلسطين واغتصابها من أصحابها الاصليين ، ثم تقسيمها بعد ذلك بين أسباط بني اسرائيل •

وكانت تقيم فى أرض فلسطين فى ذلك الحين سبعة شعوب ، هم كما ذكرتهم التوراة : الحثيون والاموريون والكنعانيون والفرزيون والجرجاشيون والحويون واليبوسيون :

وكان الحثيون من الشعوب الهندوأوروبية القديمة وقد أنشأوا لهم امبراطورية عظيمة كانت منذ القرن التاسع عشر قبل الميلاد تسيطر على آسيا الصغرى كلها ، وظلت محتفظة بسطوتها أكثر من سبعمائة عام ، وقد أخضعت لسلطانها شمال سوريا بين الفرات والبحر الابيض المتوسط الى جبال لبنان ، فظل الحثيون يحتلون هذه المناطق حتى أغار عليهم اليهود .

وأما الاموريون فقد نزحوا فى القرن الثلاثين قبل الميلاد من جنوب غربى آسيا واستولوا على بابل ، كما استولوا على أجزاء من سوريا وفلسطين. وقد كان ملوك الاسرة الاولى التى حكمت بابل من القرن التاسع عشر الى القرن السادس عشر قبل الميلاد من الاموريين ، وكان منهم حمورابى أشهر ملوك هذه الاسرة وصاحب القوانين المعروفة باسمه . وكان البابليون قبل القرن العشرين قبل الميلاد يسمون سوريا وفلسطين أرض الاموريين ، وحين جاء ابراهيم الى أرض كنعان التى هى فلسطين كان الاموريون أهم القبائل القاطنة فيها ، وكانوا يحتلون الارض الجبلية فى الجنوب ، ثم كانوا قبل خروج بنى اسرائيل من مصر قد افتتحوا ما وراء الاردن من نهر أرنون فى الجنوب الى جبل حرمون فى الشمال . وكان ، سيحون ، ملك المملكة الواقعة بين أرنون واليبوق من الاموريين ، كما كان منهم ، عوج ، ملك باشان .

وأما الكنعانيون فكانوا قبائل وفدت من شواطىء الخليج الفارسى فى القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد ، وأغارت على الشعوب القاطنة فى سوريا وفلسطين واحتلت بلادها . كما أغارت بعض هذه القبائل على الجزء الاوسط من ساحل الشام فى موقع لبنان الحالية واستولت عليه ، وكانوا قوما نشطين مغامرين يجوبون البحار ويشتغلون بالتجارة ، وقد بدأ يرد ذكرهم فى الوثائق المصرية والبابلية ، كما بدأ المصريون والبابليون يتعاملون معهم منذ ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد .



خارطة ارض كنعان

« فلسطين في عهد اغتصاب اليهـــود لأراضـــيها »

وكان الفرزيون معدودين طائفة من الكنعانيين ، غير أنه يبدو أنهم من عنصر غير عنصر الكنعانيين وأقدم منهم فى البلاد ، وقد كانوا من القبائل التى تسكن أرض كنعان فى عهد ابراهيم ، وكانوا فى عهد يشوع يسكنون المنطقة الجبلية التى وقعت بعد ذلك فى نصيب سبطى أفرائيم ومنسى .

وأما الجرجاشيون فكانوا من جنس الكنعانيين وكذلك كان من جنسهم الحويون الذين كانوا يقطنون سفح جبل لبنان من جبل حرمون الى مدخل « حماة » . وكان من جنسهم اليبوسيون الذين كانوا يقطنون مدينة « يبوس » التى أصبح اسمها فيما بعد « أورشليم » كما كانوا يقطنون الجبال المحيطة بها .

وقد وردت أسماء أغلب هذه الشعوب فى قائمة البلاد التى استولى عليها رمسيس الثالث فرعون مصر فى آسيا ودونها على جدران معبد الكرنك فى طيبة ، ومنها حسب النطق المصرى القديم شعوب « أموري » وهم الأموريون ، و « كركاسى » وهم الجرجاشيون ، و « حيوى » وهم الحويون ، و « يابوس » وهم اليبوسيون .

وقد بدأ يشوع بن نون مهمته بأن أرسل جاسوسين الى أرض فلسطين الواقعة غربى الأردن ليأتياه بالمعلومات عن الأحوال السائدة هناك ، فتسللا الى « أريحا » الواقعة غربى الأردن شمال شرقى أورشليم ، واختفيا هناك فى بيت عاهرة تسمى « راحاب » ، وعرفا منها الكثير مما يريدان أن يعرفاه . ولكن ملك أريحا علم بقدومهما ووجودهما فى ذلك البيت . فأرسل الى راحاب يأمرها بتسليم الرجلين ، غير أنها خبأتهما بين عيدان كتان فوق سطح منزلها ، وادعت أنهما خرجا من عندها ومضيا فى اتجاه الأردن ، ومن ثم وعدها الجاسوسان بأنهما عند دخول اليهود ينقذانها من القتل هى وذويها ، فأنزلتهما بحبل من كوة فى بيتها ، فانطلقا الى الجبل واختفيا هناك ، حتى يئس ملك أريحا من العثور عليهما فعادا الى يشوع بن نون ونقلا اليه ما عرفاه من العاهرة ، فاعتزم يشوع الهجوم فى اليوم التالى . ثم عند طلوع الفجر

فقام على رأس اليهود وبدأ الزحف من « شطيم » التى كانوا يقيمون فيها ، حتى اذا بلغوا نهر الأردن مكثوا هناك ثلاثة أيام ، ثم فى اليوم الرابع بدأوا يعبرون النهر تجاه أريحا ، يتقدمهم الكهنة واللاويون حاملين تابوت العهد ، وحلوا فى الجلجال شرقى أريحا ، واتخذها يشوع مركزا لقيادته ، لأنه لم يكن يخشى فيها أن يهاجمه أحد من الخلف ، ومن ثم أقام فيها خيمة الاجتماع ، وهناك صنع سكاكين من الصوان وختن اليهود جميعا ، فمكثوا هناك حتى تم شفاؤهم ، ثم بدأوا الهجوم على أريحا ، ولم يلبثوا أن اقتحموها وذبحوا كل من بها من رجال ونساء وشيوخ وأطفال ، وأبادوا حتى مواشيها ، فلم يبقوا الا على راحاب العاهرة وذويها ، ونهبوا الذهب والفضة والأوانى النحاسية والحديدية ، ثم أحرقوا المدينة مع كل ما بها .

ثم أرسل يشوع جواسيس من « أريحا » الى « عاى » التى كانت عند « بيت أون » شرقى « بيت ايل » فى مكان بلدة « التل » الحالية ، وكان يسكنها الأموريون . فلما عادوا اليه ذكروا له أن أهل « عاى » قليلون ، فأرسل اليهم نحو ثلاثة آلاف رجل . ولكن أهل « عاى » هزموهم وطاردوهم الى « شباريم » ، فانزعج اليهود انزعاجا شديدا ، ومزق يشوع ثيابه وسقط على وجهه الى الأرض ، ثم علم أن عخان بن كرمى بن زبدى بن زارح من سبط يهوذا قد استولى لنفسه على بعض الأسلاب التى نهبوها من أريحا ، فعزى هزيمتهم الى مافعله عخان ، ومن ثم أخذه مع بنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخيمته وكل ماله وصعد بهم مع كل اليهود الى وادى عخور جنوبى أريحا ، ورجموهم هناك بالحجارة واحرقوهم بالنار . ثم انتخب يشوع جيشا من ثلاثين ألف مقاتل من اليهود وأرسلهم ليلا ليكمنوا جنوبى مدينة « عاى » ، ثم هجم هو وبقية المقاتلين على المدينة من ناحية الشمال . فلما خرج أهل المدينة لدفعهم تظاهروا بالهرب أمامهم ، وعندئذ هجم الجيش اليهودى المختبىء فى الجنوب على المدينة وأحرقوها بالنار ، وبذلك وقع أهل « عاى » فى الكمين الذى نصبه يشوع لهم ، فأطبق اليهود عليهم وذبحوهم جميعا ، وكان عددهم

اثنى عشر ألفا ، ونهبوا كل ممتلكاتهم وبهائمهم ، ثم أحرقوا المدينة فلم يتركوها الا رمادا ، وأسروا ملكها وقدموه الى يشوع فشنقه على شجرة وترك جثته معلقة حتى المساء ، ثم أنزلها وطرحها عند مدخل باب المدينة .

فلما سمع الحويون الساكنون فى « جبعون » و « الكفيرة » و « بئيروت » و « يعاريم » بما فعله اليهود بجيرانهم ارتعبوا جدا ، وارتدوا ثيابا بالية ونعالا مهلهلة ، ثم مضوا الى يشوع فى الجلجال ، متظاهرين بأنهم جاءوا من أرض بعيدة ، وأبدوا خضوعهم طالبين الحماية والأمان . فقطع لهم يشوع عهدا بذلك ، ولكنه لم يلبث أن علم أنهم من سكان المدن المجاورة ، فغضب جدا ، ولكنه لم يستطع أن يرجع فى عهده ، فأعفاهم من القتل ، غير أنه احتل بلادهم وقضى عليهم بأن يكونوا كلهم عبيدا لليهود ، يخدمونهم كمحتطبى حطب ، ومستقى ماء .

ولما بلغت « أدونى صادق » ملك أورشليم أنباء غزوات يشوع ، وكيف أباد أهل « أريحا » و « عاى » ، واستعبد أهل « جبعون » التى كانت من أعظم المدن بعد أن استسلمت له ، أرسل ملك أورشليم الى ملوك مدن الأموريين الآخرين وهم « هوهام » ملك حبرون وهى المعروفة اليوم بالخليل ، و « فرام » ملك يرموث وهى المعروفة اليوم بيرموك ، و « يافيع » ملك لخيش وهى المعروفة اليوم بأم الأكيس ، و « دبير » ملك عجلون ولا زالت تحتفظ بهذا الاسم ، واتفق معهم على مهاجمة جبعون ، فلما فعلوا ذلك صعد اليهم يشوع من الجلجال فهزمهم وقضى على جيوشهم ، ثم راح يطاردهم ، فهرب الملوك الخمسة واختبأوا داخل مغارة فى مقيدة التى كانت تقع شمال شرقى تل زكريا ، فلما علم يشوع بمكانهم أخرجهم وأمر قواده بأن يضعوا أرجلهم على أعناقهم ، ثم ذبحهم وعلق جثثهم على خمس أشجار الى آخر النهار ، ثم أنزلها وطرحها فى المغارة التى كانوا مختبئين فيها .

وأغار يشوع بعد ذلك على « مقيدة » واستولى عليها وقتل ملكها وذبح سكانها جميعا فلم يترك فيها رجلا ولا امرأة ولا طفلا ولا شيخا . ثم أغار

على « لبنة » التى كانت تقع على الساحل فى مكان « تل الصافى » بين « مقيدة » و « لخيش » ، واستولى عليها وقتل ملكها وذبح سكانها جميعا . ثم أغار على « لخيش » واستولى عليها وذبح سكانها جميعا ، حتى اذا صعد « هورام » ملك « جازر » التى كانت تقع شمال غربى أورشليم لنجدة « لخيش » ذبحه يشوع مع كل شعبه . ثم أغار على « عجلون » المسماة اليوم « عجلان » بالقرب من الساحل شمال شرقى غزة واستولى عليها وذبح سكانها جميعا . ثم أغار على « حبرون » وهى مدينة الخليل الحالية ، واستولى عليها وذبح سكانها جميعا . ثم أغار على « دبير » المسماة اليوم « بيت رسيم » جنوب غربى الخليل ، واستولى عليها وقتل ملكها وذبح سكانها جميعا . وبذلك اغتصب كل أرض الجبل ، الذى أصبح يسمى جبل اليهودية . كما اغتصب أرض الجنوب والسهل والسفوح وقتل ملوكها وأباد شعوبها فلم يترك فيها نسمة احدة . وبذلك وقعت فى قبضة يده كل البلاد من « قادش برنيع » على حدود سيناء الى « غزة » بالقرب من شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، وجميع أرض « جوشن » الى « جبعون » ، ثم عاد بجيوشه الى الجلجال .

ولم تلبث غارات يشوع أن أوقعت الرعب فى قلوب جميع ملوك المناطق المجاورة ، فتحالف ضده « يابين » ملك « حاصور » عاصمة مملكة الكنعانيين التى كانت فى المكان المسمى اليوم « تل الحرارى » على جبل حصيرة فى منطقة الجليل ، و « يوباب » ملك « مدون » المسماة اليوم « مادين » غربى بحيرة طبرية ، بالقرب من « حطين » فى الجليل ، وملك « شمرون » التى كانت تقع على بعد خمسة أميال غربى الناصرة ، وملك « أكشاف » وهى المسماة اليوم « ياسيف » فى الشمال الشرقى من عكا ، وملوك مدن الشمال التى فى الجبل ، أى فى لبنان وأطرافه ، وفى الغور جنوبى « كنروت » المسماة اليوم « أبو شوشة » على بحيرة طبرية ، وفى السهل وفى مرتفعات دور غربا ، وهى المعروفة اليوم بالجولان ، والكنعانيون فى الشرق والغرب ، والأموريون والحثيون والفرزيون واليبوسيون فى الجبل ، والحويون تحت حرمون التى هى جبل الشيخ فى أرض المصفاة التى هى البقاع . وقد

خرج أولئك جميعا ونزلوا على مياه ميروم ، وهي بحيرة الحولة ، لصد غارات اليهود ، فهاجمهم يشوع وهزمهم وراح يتعقبهم الى صيدا والى مياه مسرفوت، وهي بحيرة طبرية ، والى بقعة المصفاة المسماة اليوم البقاع ، حتى لحق بهم، فأبادهم جميعا . ثم عاد فأغار على « حاصور » واستولى عليها وقتل ملكها ، وأباد كل شعبها ، فلم يترك فيها نسمة ، ثم أحرقها بالنار ، ثم أغار على مدن باقي الملوك الذين تحالفوا ضده واستولى عليها وأباد كل شعوبها ، ثم نهبها ، وبذلك وقعت في قبضته كل أرض الجبل الأملس الممتد جهة سعير ، وكانت من ممتلكات الأدوميين . كما وقعت في قبضته كل أرض الجنوب وأرض جوشن والسهل والعربة وجبل اسرائيل وسهله حتى « بعل جاد » التي هي « بانياس » في بقعة لبنان تحت جبل حرمون .

ثم زحف يشوع من شمال فلسطين الى جنوبها ، فأغار على بلاد العناقيين ، ومنها « حبرون » و « دبير » و « عناب » و « أشدود » و « الخليل » و « غزة » وجميع جبل يهوذا وجبل اسرائيل ، واستولى على هذه البلاد كلها وأباد أهلها جميعا .

وهكذا استولى اليهود على معظم أرض فلسطين في نحو سبع سنين ، وأبادوا شعوبها وقتلوا من ملوكها واحدا وثلاثين ملكا ، فلم يبق من تلك الأرض الا مناطق قليلة ، كان يسكنها الكنعانيون والفلسطينيون والصيدونيون والأموريون الذين كانوا مقيمين في « غزة » و « جت » و « أشدود » و « عسقلون » و « عقرون » والمدن البحرية المحصنة وبعض أملاك سبطي أفرايم ومنسى شرقي الأردن .

وقد قام يشوع بن نون بقسمة الأرض التي اغتصبها بين أسباط اسرائيل ما عدا سبط رأوبين وسبط جاد ونصف سبط منسى الذين سبق لهم أن أخذوا نصيبهم في الأرض التي اغتصبها اليهود بقيادة موسى شرقي الأردن .

وقد حددت التوراة الأنصبة التى تولى موسى توزيعها على بعض الأسباط شرقى الأردن ، ثم تولى يشوع توزيع باقيها على بقية الأسباط غربى الأردن :

١ - فكان نصيب سبط رأوبين يقع شرقى الأردن والبحر الميت ، وكان يحده شمالا وادى حسبان الى حدود نصيب سبط جاد ، ويحده جنوبا وادى أرنون المسمى اليوم وادى موجب ، ويحده غربا نهر الأردن ، وأما شرقا فكان يمتد الى البرية ، وكان هذا النصيب يقع فى الأرض التى اغتصبها اليهود من الموآبيين ، وكانت تشمل الغور ، وسهل البلقاء ، وجبال موآب وجلعاد ، وكانت بها أربع عشرة مدينة كبيرة ، منها « ميديا » و « حشبون » و « ديبون » و « باموت بعل » و « بيت بعل معون » و « بيت فغور » و « بيت بشيموت » و « يهصة » و « قديموت » و « ميفعة » و « سبمة » و « قريتايم » .

٢ - وكان نصيب سبط جاد يقع شرقى الأردن ويمتد بين حدود نصيب سبط رأوبين جنوبا ونصيب نصف سبط منسى شمالا ، ويشتمل على الجزء الجنوبى لجبل جلعاد من اليبوق جنوبا الى حشبون شمالا ، ثم الى ربة عمون غربى وادى الأردن ، كما يشتمل على الشاطىء الشرقى من « بيت نمرة » بالقرب من الطرف الشمالى للبحر الميت الى بحر الجليل ، وكانت من أهم المدن التى تقع فى هذا النصيب مدينة « راموت جلعاد » .

٣ - وكان نصيب نصف سبط منسى يقع شرقى الأردن،ويمتد من منتصف جلعاد الى باشان وأرجوب ، أى من محنايم الى حرمون ، ومن الأردن وبحر الجليل الى الصحراء السورية . وكان فى هذا النصيب أكثر من ستين مدينة من أهمها « عشتاروت » و « أذرعى » - وكان نصيب النصف الآخر من سبط منسى يقع غربى الأردن ويمتد من حدود نصيب سبط أشير ونصيب سبط يساكر شمالا الى حدود نصيب سبط أفرايم جنوبا ، ومن نهر الأردن شرقا الى شاطىء البحر الأبيض المتوسط غربا .

٤ ـ وكان نصيب سبط أفرايم يقع فى القسم الأوسط من فلسطين الغربية ، ويمتد من حدود نصيب سبط منسى شمالا الى حدود نصيب سبط بنيامين ونصيب سبط دان جنوبا ، ومن نهر الأردن شرقا الى البحر الأبيض المتوسط غربا . وكان من أهم المدن التى وقعت فى نصيب هذا السبط « شكيم » و « شيلوه » و « بيت ايل » .

٥ ـ وكان نصيب سبط يهوذا يمتد من البحر الأبيض المتوسط الى البحر الميت ، ومن « بيت حجلة » الى الجنوب الشرقى من « أريحا » و «عين شمس» بالقرب من « بيت عنيا » الى « عين روجل » ووادى « بنى هنوم » و « مياه نفتوح » وقرية « يعاريم » و « بيت شمس » و « تمنة » و « عقرون » و « بيتئيل » وهى « يبنة » الحالية جنوبى يافا . وكان حده الشمالى نهر روبين جنوبى يافا ، وحده الجنوبى من بحر لوط الى نهر العريش ، وكان نصيب هذا السبط يشتمل على مائة وخمسة عشر مدينة مع قراها ، ومنها « قادش » و « حاصور » و « حصرون » و « حشمون » و « بئر سبع » و « بعلة » و « صرعة » و « يرموت » و « الجديرة » و « مجدل » و «المصفاة» و « لخيش » و « عجلون » و « بيت داجون » و « مقيدة » و « لبنة » و « يفتاح » و « عقرون » و « أشدود » و « غزة » و « دبير » و « أفيقة » و « حبرون » و « كرمل » و « جبعة » و « تمنة » و « بيت صور » .

٦ ـ وكان نصيب سبط بنيامين يمتد من الأراضى الواقعة بين نصيب سبط أفرا . ونصيب سبط يهوذا ، وكانت أهم المدن الواقعة فى هذا النصيب « أورشليم » ، وكان به خمسة وعشرين مدينة أخرى ، منها « أريحا » و « بيت حجلة » و « بيت العربة » و « بيت ايل » و « عفرة » و « جبعون » و « الرامة » و « بئيروت » و « المصفاة » و « جبعة » و « راقم » و «الكفيرة» .

٧ ـ وكان نصيب سبط شمعون جزءا من نصيب سبط يهوذا ، وكانت تدخل فيه تسعة وعشرون مدينة أكثرها جنوبى « دان » على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، ومنها « بئر سبع » و « حصر شوعال » و « بالة » و « عاصم » و « بتول » و « حرمة » و « صقلغ » و « رمون » .

٨ - وكان نصيب سبط زبولون يقع شمالى أرض فلسطين الى الغرب من بحر الجليل ، ويدخل فى حدوده جبل تابور ، وكان هذا النصيب يشتمل على اثنتى عشرة مدينة مع ضياعها ، ومنها « قطة » و « نهلال » و « شمرون » و « بيت لحم » و « يدالة » .

٩ - وكان نصيب سبط يساكر يشتمل على سهل يزرعيل ويمتد من جبل الكرمل الى نهر الأردن ، ومن جبل تابور الى « عين جينم » ، وكان يحده شمالا نصيب سبط زبولون ، وجنوبا نصيب سبط منسى ، وشرقا نصيب سبط جلعاد ، وكان يضم ست عشرة مدينة ، منها « مجـــدون » و « يزرعيل » و « شونم » و « بيت شان » و « عين دور » و « أفيق » و « تعنك » .

١٠ - وكان نصيب سبط أشير يمتد على ساحل البحر الأبيض المتوسط من « دور » جنوبى الكرمل الى حدود « صيدون » ، وكان حده الجنوبى نصيب سبط منسى ، وحده الشرقى نصيب سبط زبولون ونصيب ســبط نفتالى ، وكانت فينيقيا تحده من الشمال . وكان فى هـــذا النصيب اثنين وعشرين مدينة مع ضياعها .

١١ - وكان نصيب سبط نفتالى يقع فى القسم الشمالى من فلسطين ويمتد الى وادى الليطان والأردن وبحر الجليل ، ويحده من الشرق بحر الجليل ونهر الأردن ، ومن الغرب نصيب سبط يساكر ونصيب سبط زبولون ، ومن الغرب نصيب سبط أشير . وكان فى نصيب سبط نفتالى تسعة عشرة مدينة .

١٢ - وكان نصيب سبط دان يقع بين نصيب سبط يهوذا ونصيب سبط أفرايم من جهة ، وبين نصيب سبط بنيامين وشاطىء البحر الأبيض المتوسط من الجهة الأخرى .

وأما سبط لاوى فلم يفرز لهم يشوع نصيبا مستقلا كبقية الأسباط ، وانما أعطاهم بعض المدن من نصيب كل سبط ، ليقوموا بالخدمة الدينية لـــدى

الأسباط جميعا ، فكانت جملة المدن التى جعلها يشوع من نصيبهم ثمان وأربعين مدينة .

وأما يشوع ذاته فقد أخذ لنفسه مدينة « تمنة سارح » فى جبل أفرائيم ، وهي المسماة اليوم « تبنة » شمال شرقى « اللد » . وقد أعاد بناء المدينة وسكن فيها بين بنى أفرائيم لأنه من سبطهم .

وقد كان ثمة مدن أو قرى داخل أنصبة بعض الأسباط لا تزال فى يد أصحابها الأصليين ، فتولى كل سبط ابادة من تبقى من هؤلاء فى نصيبه . كما أرادت بعض الأسباط أن تزيد من رقعة نصيبها فأغارت على الأراضى المجاورة لها واغتصبتها من أصحابها الأصليين ثم أبادتهم . ومما حدث من ذلك أن يشوع بن نون كان قد أعطى أرض حبرون المعروفة اليوم بالخليل لكالب بن يفنة القنزى مكافأة له على تجسسه أرض فلسين وتشجيعه اليهود على اغتصابها . فلما دخل كالب تلك الأرض قضى على من تبقى من العناقين فى قرية « أربع » المسماة باسم أبى عناق ، وفى قرية « سفر » التى هى « دبير » . وقد اشتكى بنو يوسف الى يشوع من أن نصيبهم فى جبل أفرائيم لا يكفيهم ، فطلب اليهم أن يغيروا على جيرانهم الفرزيين والرفائيين ويغتصبوا أرضهم . وكذلك أغار سبط بنى دان على جيرانهم سكان « لشم » وأبادوهم واغتصبوا المدينة وأطلقوا عليها اسم « دان » أبيهم . وأغار سبط يهوذا على الكنعانيين والفرزيين ، فاستولوا على « بازق » التى كانت بين « أورشليم » والأردن ، وذبحوا من أهلها عشرة آلاف رجل ، وشتتوا شمل الباقين ، وطاردوا ملك بازق ، حتى اذا أمسكوه قطعوا أباهم يديه ورجليه وأتوا به الى معسكرهم الذى كان بالقرب من أورشليم فلقى هناك حتفه . ثم أغاروا على أورشليم وذبحوا كل أهلها ثم أشعلوا فى المدينة النار . ثم أغاروا على الكنعانيين سكان الجبل والجنوب والسهل حتى بلغوا « حبرون » التى تسمى اليوم « الخليل » فاستولوا عليها وقضوا على من بقى فيها من

العناقيين • ثم أغار سبط يهوذا مع سبط شمعون على الكنعانيين المقيمين فى احدى مدن جنوب فلسطين المسماة « صفاه » واستولوا عليها وذبحوا أهلها وسموها « حرمة » أى « المحرمة » • ثم أغار سبط يهوذا على « غـــزة » و « أشـــقلون » المســـماة اليوم « عســـقلان » و « عقـــرون » المســـماة اليوم « عاقر » وســـائر مـدن الجبـــل واســـتولوا عليهـــا وأبادوا أهلها ، ولكنهم لم يجرؤوا على مهاجمة سكان الوادى لأنهم كانـــوا محاربين أقوياء ، وكانت لهم مركبات من الحديد لا يقوون على التصدى لها • وأغار سبط افرائيم ونصف سبط منسى وهم من بنى يوسف على « بيت ايل » المسماة اليوم « بيت اين » الواقعة بين « أورشليم » و « نابلس » ، فاستولوا عليها وذبحوا أهلها جميعا • بيد أنه بقيت مع ذلك بعض بقايا الشـــعوب الأصلية فى بعض المدن،فبقى بعض اليبوسيين فى أوشليم،وبقى بعض الكنعانيين فى « بيت شان » و « تعنك » و « دور » و « يلبعام » و « مجدو » و «قطرون» و « نهلول » و « صيدا » و « عكا » و « أحلب » و « أكزيب » و « حلبة » و « أفيق » و « رحوب » و « بيت شمس » و « بيت عناه » • وبقى بعض الأموريين فى « أبلون » و « شعليم » على جبل حارس • ولكن هذه البقايا ظلت تحت رحمة اليهود وعبوديتهم ، أو ظلت معرضة على الدوام لعداوتهم وعدوانهم • فكان اليهود لا يفتأون يهاجمونها ويقضون عليهـــا بالتدريج ، عاملين فى ذلك بما جاء فى وصية موسى اذ قال لهم « ولكن الهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلا قليلا • لا تستطيع أن تفنيهم سريعا •• لا يقف انسان فى وجهك حتى تفنيهم » (التثنية ٧ : ٢٢ ـ ٢٥) •

فلم يلبث أن تم لليهود اغتصاب أرض فلسطين كلها • وقد أقاموا خيمة الاجتماع التى هى معبدهم المتنقل فى « شيلوه » المسماة اليوم « سيلون » فى الطريق المؤدى من « بيت ايل » الى « نابلس » • وكانت هذه الخيمة فى شريعة اليهود هى المكان الأوحد الذى يصح اقامة مذبح فيه لتقديم الذبائح وممارسة سائر الطقوس الدينية • وقد حدث أن الأسباط الذين أقاموا فى

شرق الأردن ، وهم سبط رأوبين وسبط جاد ونصف سبط منسى ، أقاموا مذبحا لديهم فى بلادهم ، فلما عرف ذلك بقية الأسباط استشاطوا غضبا واحتشدوا فى « شيلوه » لمحاربتهم وتخريب مدنهم لولا أنهم أرسلوا يقولون انهم أقاموا هذا المذبح لأن نهر الأردن يحول بينهم وبين الوصول الى خيمة الاجتماع فى « شيلوه » ، وأنهم لن يقدموا أى ذبائح عليه .

ولما شاخ يشوع بن نون وشعر باقتراب الموت دعا اليه رؤساء اليهود وشيوخهم وأوصاهم بأن يقضوا على البقية الباقية فى الأراضى المجاورة من الشعوب التى اغتصبوا بلادها ، وحظر عليهم مهادنة هذه الشعوب أو الاختلاط بها أو مصاهرتها أو عبادة آلهتها قائلا لهم : « أعطيتكم أرضا لم تتعبوا عليها ومدنا لم تبنوها وتسكنون بها ، ومن كروم وزيتون لم تغرسوها تأكلون . فالآن .. انزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم فى عبر النهر وفى مصر واعبدوا الرب .. واذا تركتم الرب وعبدتم آلهة غريبة يرجع فيسىء اليكم ويفنيكم » . (يشوع ٢٤ : ١٣ و ١٤ و ٢٠) .

وقد مات يشوع بن نون فى مدينته « تمنة سارح » التى فى جبل أفرائيم ودفن فيها ، وكان عمره عندئذ مائة وعشر سنين ، بعد أن تولى قيادة اليهود خمسا وعشرين سنة .

الفصل الخامس

اليهود تحت حكم القضاة

وبعد موت يشوع بن نون عاش اليهود عيش قبائل البدو ، لا تربطهم رابطة أو يجتمع لهم شمل الا اذا تعرضوا للخطـــر ، فعندئذ يقيمون لهم زعيما يتولى قيادتهم ودفع الخطر عنهم . ثم يتولى بعد ذلك رعاية شئونهم والقضاء بينهم ، ولذلك كانوا يسمون ذلك الزعيم قاضيا . وقد ذكرت التوراة أسماء بعض أولئك القضاة مع لمحات من أعمالهم وهم : عثنيئيل ، وأهود ، وشمجر ، ودبورة ، مع باراق ، وجدعون ، وأبيمالك ، وتولع ، وياثير ، ويفتاح ، وأبصان ، وأيلون ، وعبدون ، وشمشون ، وعالى . وكان آخر القضـــاة صموئيل . وقد تزعم القضاة اليهود فى فترات متفاوتة على مدى زمن يبلغ طبقا لما ورد فى التوراة نحو اربعمائة وخمسين سنة ، وكان يحدث أن يجتمع اثنان أو ثلاثة منهم فى وقت واحد .

١ — عثنيئيل :

فقد حدث فى نحو عام ١٣٩٤ قبل الميلاد أن أغار « كوشان رشعتايم » ملك الآراميين على اليهود ، واستولى على بلادهم واستعبدهم ثمانى سنين ، حتى قام عثنئيل بن قناز ، وهو الاخ الاصغر لكالب بن يفنة ، من سبط يهوذا ، وهو أحد الجواسيس الاثنى عشر الذين أرسلهم موسى ليتجسسوا أرض فلسطين ، فتزعم عثنئيل اليهود وجمع من بينهم جيشا هاجم به « كوشان رشعتايم » فهزمه وقتله ، ثم ظل يتولى القضاء لليهود أربعين سنة وكان متزوجا من « عكسة » ابنة أخيه كالب .

٢ — أهود :

ولم يلبث أن تحالف ضد اليهود الموآبيون وهم ذرية « موآب » بن لوط من ابنته الكبرى ، وكانت بلادهم وراء البحر الميت فى الجنوب الشرقى من فلسطين ، والعمونيون وهم ذرية « بن عمى » بن لوط من ابنته الصغرى . وكانت بلادهم فى الشمال الشرقى من بلاد الموآبيين شرقى الأردن والعمالقة وهم ذرية عماليق بن أليفاز بن عيسو بن اسحق بن ابراهيم ، وكانت بلادهم شرقى بلاد العمونيين قرب قادش فى جنوب فلسطين ، وقد عبر أولئك جميعا نهر الأردن بقيادة عجلون ملك موآب وأغاروا على اليهود وهزموهم واستعبدوهم ثمانى عشرة سنة ، حتى قام فى نحو عام ١٣٣٦ قبل الميلاد رجل من سبط بنيامين يسمى أهود بن جيرا وأخذ هدية لعجلون ملك موآب وقدمها اليه ، ثم طلب أن ينفرد بالملك لكلام سرى يريد أن يفضى به اليه ، فأمر الملك جميع القائمين بين يديه أن يخرجوا ، وعندئذ أخرج أهود من تحت ردائه سيفا ذا حدين وضربه فى بطنه فخر صريعا ، ثم انطلق أهود هاربا ، حتى اذا بلغ جبل أفرائيم ضرب بالبوق وجمع اليهود وعاد على رأسهم الى بلاد الموآبين فذبح منهم نحو عشرة آلاف رجل ، وقد أغلق عليهم المسالك فلم ينج منهم أحد .

٣ — شمجر :

وكان الفلسطينيون القاطنون في الجنوب لا يفتأون يغيرون على اليهود محاولين التغلب عليهم ، فتصدى لهم في نحو عام ١٣٢٠ قبل الميلاد رجل يسمى شمجر بن عناة على رأس جيش من اليهود وذبح منهم ستمائة رجل • وكان أولئك الفلسطينيون ـ كما سبق أن رأينا ـ قوما من أصل يوناني نزحوا من جزيرة كريت في البحر الأبيض المتوسط ، واحتلوا بعض أجزاء من أرض فلسطين التي أخذت تسميتها في الأصل من اسمهم •

٤ — دبورة مع باراق :

وكان الكنعانيون سكان الارض الاصليين قد مضى عليهم خمسون سنة منذ أن هزمهم اليهود ، فلم يلبثوا أن استردوا قوتهم ، ومن ثم قام ملكهم « يابين » الذى كان يقيم في حاصور التي بجانب بحيرة الحولة ، وراح يكيل الضربات لليهود عشرين سنة متوالية • وكان ثمة امرأة تسمى دبورة وتقيم تحت شجرة نخيل تقع بين الرامة وبيت ايل في جبل أفرائيم ، وكان اليهود يعدونها نبية ويقصدونها لتفصل في قضاياهم ، فأرسلت ودعت رجلا يسمى باراق بن أبينوعم من « قادش » التي كانت من مدن سبط نفتالى في الجليل ، وهى المسماة اليوم « قديش » شمالى « صفد » وكلفته بأن يجمع من بنى نفتالى وبنى زبولون عشرة آلاف رجل ويغير بهم على الكنعانيين في جبل تابور ، ثم صحبته الى هناك في نحو عام ١٢٩٦ قبل الميلاد • وكان ثمة رجل يسمى جابر القينى من بنى حوباب الذى كان موسى قد تزوج ابنته ، يقيم في خيمة في الطريق ، وكان بينه وبين « يابين » ملك الكنعانيين مودة ، فأخبر سيسرا قائد جيش يابين بقدوم اليهود ، فحشد سيسرا جيشه وجمع مركباته الحديدية ، وكانت تسعمائة مركبة ، ورابط في مرج بنى عامر على

نهر قيشون المعروف اليوم بالنهر المقطع . ولم تلبث دبورة أن أصدرت أمرها الى باراق بالهجوم ، فهجم بجيشه على جنود سيسرا فهزمهم وذبحهم جميعا. وأما سيسرا ففر هاربا ، واذ رأى وهو فى طريقه خيمة حابر القينى لجأ اليها ، اذ كان يعلم أن صاحبها صديق لملك الكنعانيين . وقد خرجت ياعيل زوجة حابر فاستقبلت سيسرا وطلبت اليه أن يدخل الخيمة ولا يخاف ، فدخل وارتمى على الفراش متعبا ، فما أن أثقل النعاس عينيه حتى أخذت ياعيل وتد الخيمة وضربته فى صدغه فتحطم رأسه ومات فى الحال . وكان باراق بينذاك يطارد سيسرا فلما بلغ الخيمه خرجت اليه ياعيل وأنبأته بما فعلت ، فتوقف عن مطاردة سيسرا وراح يطارد يابين ملك الكنعانيين حتى ظفر به فقتله .

٥ — جدعون :

ثم تصدى لليهود قوم آخرون هم المديانيون ذرية مديان بن ابراهيم من زوجته قطورة ، وكانوا يقطنون شرقى البحر الميت ، فكانوا يتحالفون مع العمالقة القاطنين جنوبى فلسطين ، ومع البدو القاطنين فى حوران ، ويغيرون على اليهود فى مثل كثرة الجراد فيتلفون زرعهم وينهبون ماشيتهم ولايتركون لهم حتى قوت يومهم ، ومن ثم ظل اليهود سبع سنين يهربون منهم الى الجبال و يخبئون زادهم فى المغارات والكهوف ، حتى قام فى نحو عام ١٢٤٩ قبل الميلاد رجل من سبط منسى يسمى جدعون بن يوآش الابيعزرى كان يقيم فى عفرة التى تسمى اليوم « فرعاتا » على بعد ستة أميال غربى « نابلس » وتأهب للقتال ومعه رجال من أسباط منسى وأشير وزبولون ونفتالى ، ونزلوا عند عين حيرون على جبل جلعاد ، فاحتشد المديانيون والعمالقة والبدو ، ونزلوا عند تل موره فى وادى يزرعيل ، وقد قسم جدعون جيشه الى ثلاث فرق وجعل فى أيديهم كلهم أبواقا وجرارا فارغة ، وقد وضع فى جوف كل

منها مشعلا • ثم فى منتصف الليل أمرهم فضربوا جميعا بالابواق وكسروا الجرار وأمسكوا المشاعل بأيديهم وصرخوا صرخة عظيمة ، فانزعج المديانيون وحلفاؤهم وولوا الأدبار ، فتبعهم اليهود وذبحوهم جميعا ، وكانوا - كما جاء فى التوراة - مائة وعشرين ألف رجل ، وطاردوا ملكيهم « زبح » و «صلمناع » ، فلما ظفروا بهما قام عليهما جدعون وذبحهما بيده • وكان جدعون وهو فى طريقه الى لقاء المديانيين قد طلب طعاما لجيشه من أهـل « سكوت » وأهل « فنوئيل » الذين كانوا من سبط جاد ، فرفضوا ، فعاد اليهم بعد انتصاره وقبض على شيوخهم وألقى بهم على أكوام من الشوك ثم داس بالنوارج عليهم فانغرست فى الشوك أشلاؤهم الممزقة ، ثم ذبح أهـل المدينتين جميعا ، ثم طلب جدعون من اليهود أن يعطيه كل منهـم الاقراط الذهبيـة التى فى غنيمته ، فأعطوها له ، فكان وزنها جميعا ألفا وسبعمائة شاقل من الذهب ، فصنع جدعون منها صنما وأقامه فى مدينته عفرة ، فعبده اليهود جميعا • وكان لجدعون نساء كثيرات أنجب منهن سبعين ولدا • كما كانت له سرية فى شكيم وقد ولدت له ابنا سماه أبيمالك • وقد ظل جدعون قاضيا لليهود حتى موته •

٦ - أبيمالك :

وبعد أن مات جدعون فى نحو عام ١٢٠٩ قبل الميلاد ذهب ابن أبيمالك الى خواله فى شكيم عند جبل جرزيم على أرض أفرايم وأقنعهم بأنه خير لهم أن يتسلط هو عليهم وهو واحد منهم ، من أن يتسلط عليهم اخوته السبعون أبناء جدعون من نسائه الأخرياب ، فأعطوه سبعين شاقلا من الفضة أخذوها من بيت الههم « بعل بريث » الذى كانوا يعبدونه مع أنهم من بنى اسرائيل ، فاستأجر أبيمالك بالفضة عصابة من الاشرار ، ثم عاد الى « عفرة » مدينـة أبيه ، وقتل اخوته السبعين على حجر واحد ، فلم ينج من هذه المذبحة الا أخوه الاصغر يوثام الذى هرب ، واجتمع أهل شكيم وأقاموا أبيمالك ملكا عليهم،

ولكنهم لم يلبثوا بعد ثلاث سنين أن تمردوا عليه بزعامة « جعل بن عابد » واخوته ، فهاجم أبيمالك شكيم وذبح أهلها جميعا ، ثم هدمها وردم أرضها ملحا ، حتى لا تقوم لها قائمة بعد ذلك . وكان بعض أهلها معتصمين ببرج شكيم ، فألقى أبيمالك أكواما من الحطب حول البرج وأحرقه بمن فيه ، وكانوا نحو ألف رجل وامرأة ، ثم انطلق الى مدينة « تاباص » وهي المسماة اليوم « توباس » ، في الشمال الشرقي من « نابلس » ، فلجأ أهلها الى برج حصين في وسطها . فتأهب ليحرقه كما فعل ببرج شكيم . ولكن امرأة ألقت عليه من فوق البرج حجرا فشج رأسه ، فطلب الى غلامه أن يطعنه بالسيف لئلا يقال أن امرأة قتلته ، فطعنه الغلام فمات .

٧ — تولع :

وكان الذى تسلط على اليهود بعد أبيمالك رجل من سبط يساكر يسمى تولع بن فوات بن دودو ، وكان من أهل « شامير » في جبل افرائيم ، وقد تكون هي « سانور » الحالية الواقعة بين « السامرة » و « جنين » . وقد تولى تولع القضاء في نحو عام ١١٨٣ قبل الميلاد ، وظل فيه ثلاثة وعشرين سنة .

٨ — يائير :

ثم قام بعد تولع رجل من سبط يساكر يسمى يائير الجلعاوى ، وكان له ثلاثون ابنا متساطين على ثلاثين مدينة في أرض جلعاد المعروفة اليوم بالسلط ، وكانت تسمى « حووث يائير » ، أى بلاد يائير ، وقد تولى هذا الرجل قضاء اليهود في نحو ١١٦٠ قبل الميلاد وظل فيه اثنتين وعشرين سنة .

٩ — يفتاح :

ولم يلبث الفلسطينيون والعمونيون أن عادوا يشاكسون اليهود وظلوا

يهاجمونهم ثماني عشرة سنة ، وينكلون بالاسباط المقيمة شرقي الاردن ، وبالاسباط المقيمة غربي الاردن ولا سيما أسباط يهوذا وبنيامين وأفرائيم .

وكان اليهود قد نكصوا منذ زمان بعيد عن عبادة الههم وعبدوا آلهة الآراميين والصيدونيين والموآبيين والعمونيين والفلسطينيين ، فلما أذلتهم الشعوب المحيطة بهم راحوا يصرخون الى الههم باكين مستغفرين عسى ان يعينهم وينصرهم . وقد كان هذا هو شأنهم منذ بداية تاريخهم الى نهايته ، فكانوا اذا استشعروا القوة صعروا خدودهم واستكبروا وكفروا بربهم ،حتى اذا ذهبت أسباب قوتهم وانحطمت ظهورهم تحت وطأة مذلتهم ، عادوا الى ربهم متمسكنين متملقين متذلفين .

وكان ثمة في ذلك الحين رجل يسمى يفتاح من سبط منسى ، جاء به أبوه جلعاد من احدى العاهرات . وكان لجلعاد أبناء آخرون من زوجته الشرعية ، فلما كبروا طردوا يفتاح من بينهم لئلا يقاسمهم الميراث ، فهرب وأقام في أرض طوب التي كانت شرقي الاردن ، وجمع له عصابة من قطاع الطريق وراح يعيش على السلب والنهب . فذهب شيوخ اليهود اليه وجاءوا به من أرض طوب وجعلوه قائدا لهم ووعدوه بأنه اذا انتصر على العمونيين يجعلونه ملكا عليهم . فجاء يفتاح في نحو عام ١١٤٣ قبل الميلاد ، الى المصفاة التي تسمى أيضا « مصفاة جلعاد » و « راموت جلعاد » ، وتأهب لمهاجمة العمونيين ، وقد نذر أنه ان انتصر عليهم فان أول خارج اليه من بيته عند عودته يقدمه ذبيحة للرب . ثم خرج للقاء العمونيين وهزمهم واستولى على عشرين مدينة من مدنهم . ثم عاد الى بيته في المصفاة ، فخرجت ابنته الوحيدة للقائه وهي ترقص وتضرب بالدفوف ، فحين رآها مزق ثيابه ، اذ وجد نفسه مضطرا لان يذبحها وفاء لنذرة ، فظلت ابنته شهرين هائمة في الجبال تبكي على نفسها مع صاحباتها ، ثم عادت الى أبيها فذبحها قربانا لربه على عادة الوثنيين ، وقد ظلت بنات اليهود يذهبن بعد ذلك كل سنة الى الجبال لينحن أربعة أيام على بنت يفتاح الجلعادي .

وقد حدث أن رجال سبط أفرائيم ذهبوا الى يفتاح وعنفوه لانه لم يشركهم معه في قتال العمونيين وهددوه بأن يحرقوا بيته عليه بالنار ، فجمع يفتاح كل رجال جلعاد وأغار بهم على سبط أفرائيم وذبح منهم اثنين وأربعين ألفا .

وقد ظل يفتاح قاضيا لليهود ست سنين ، ثم مات ودفن فى جلعاد .

١٠ — ابصان :

وبعد يفتاح كان قاضى اليهود رجل من بيت لحم يسمى أبصان ، وكان له ثلاثون ابنا أعطاهم زوجات من غير اليهود . كما كان له ثلاثون ابنة أعطاهن أزواجا من غير اليهود كذلك . وقد تولى القضاء فى نحو عام ١١٣٧ قبل الميلاد ، ثم مات بعد أن ظل قاضيا سبع سنين .

١١ — ايلون :

وبعد أبصان كان قاضى اليهود رجل من سبط زبولون يسمى أيلون . وقد تولى القضاء فى نحو عام ١١٣٠ قبل الميلاد ، ثم مات بعد أن ظل قاضيا عشر سنين ، ودفن فى مدينة « أيلون » التى تحمل اسمه فى أرض زبولون ، وهى المسماة اليوم « أللون » .

١٢ — عبدون :

وبعد ذلك تولى القضاء لليهود فى نحو عام ١١٢٠ قبل الميلاد ، رجل من سبط أفرائيم اسمه عبدون بن هليل وكان من « فرعتون » فى جبل العمالقة بأرض أفرائيم وهى المسماة اليوم « فرعاتة » جنوب غربى نابلس ، وكان لعبدون أربعون ابنا ، وقد مات بعد أن ظل فى القضاء ثمانى سنين .

١٣ ـ شمشون :

وكان يفتاح قد كسر شوكة العمونيين فتوقفوا عن الاغارة على اليهود ، ولكن الفلسطينيين استمروا يهاجمون اليهود حتى استعبدوهم أربعين سنة كاملة • ثم ظهر بين اليهود رجل من سبط دان يسمى شمشون بن منوح ، وقد نشأ في مدينة صرعة التى ظلت محتفظة بهذا الاسم حتى اليوم ، وهى تقع على الضفة الشمالية من وادى سورق وهو المسمى وادى الصرار على بعد نحو أربعة عشر ميلا غربى أورشليم • ولما شب شمشون نزل الى «تمنة» التى تسمى اليوم « تبنه » جنوب غربى « بيت شمس » ، فرأى هناك فتاة من بنات الفلسطينيين لم تلبث أن استولت على قلبه ، فعاد الى أبيه وأمه وطلب اليهما أن يخطباها له ، فرفضا لانها لم تكن يهودية ، ولكنه ألح عليهما ، فوافقا كارهين ونزلا معه الى « تمنة » •

وقد حدث أن أسدا هاجم شمشون بالقرب من « تمنة » ، فانقض شمشون عليه وقتله بيديه ، حتى اذا كان راجعا بعد أيام ليأخذ عروسه رأى رمة الاسد وقد انشأ النحل فى داخلها خلية يسيل منها العسل ، فأخذ فى يديه بعض هذا العسل وأكل منه • وقد حدث فى وليمة العرس أن كان شمشون يتسامر مع بعض الشبان الفلسطينيين ، فراهنهم على أنه يقول لهم أحجية فاذا عرفوا تفسيرها خلال السبعة الايام التى يستغرقها العرس أعطاهم ثلاثين قميصا وثلاثين حلة من الثياب ، فان عجزوا أعطوه هم ثلاثين قميصا وثلاثين حلة من الثياب ، فوافقوا ، فقال لهم « من الآكل خرج مأكول ، ومن الشرس خرجت حلاوة » ، فظلوا حائرين فى تفسير هذه الاحجية • حتى اذا كان اليوم السابع طلبوا الى زوجته أن تتملقه لتعرف التفسير والا أحرقوها مع بيت أبيها بالنار ، فظلت تحتال عليه متدللة تارة ومتذللة أخرى ، حتى أذعن لها وأنبأها بالتفسير المطلوب ، فأفضت به الى بنى قومها ، فقالوا

لشمشون«ما هو«الاكثر حلاوة من العسل»وما هو الاكثر شراسة من الاسد ؟ »».
فعرف أن زوجته قد أفشت السر وخرج غاضبا الى أشقلون المسماة اليوم،
عسقلان ، وقتل من أهلها ثلاثين رجلا وأخذ مما غنمه وأعطى الثياب للذين
قالوا له تفسير الاحجية على مقتضى الرهان ، ثم عاد الى بيت أبيه تاركا زوجته
فى بيت أبيها •

ثم فى أيام الحصاد أخذ شمشون هدية ونزل الى " تمنة » ليصالح زوجته،
ولكنه فوجىء بأبيها يمنعه من الدخول قائلا له انها تزوجت من شخص آخر،
فاستشاط غضبا وخرج الى البرية فأمسك ثلاثمائة ثعلب وربط كل ثعلبين من
ذيليهما ووضع بين كل ذيلين مشعلا متقدا ثم أطلق الثعالب على الفلسطينيين
فأحرق زروعهم وأشجارهم ومحاصيلهم ، ثم قتل كثيرين منهم ، ثم نـزل
وأقام فى كهف بصخرة عيطم التى تسمى اليوم « بيت عتاب » بالقرب من
« بيت لحم » ، فلحق به الفلسطينيون ونزلوا فى أرض سبط يهوذا طالبين
منهم أن يسلموه اليهم • فانطلق ثلاثة آلاف رجل من ذلك السبط الى صخرة
عيطم وأمسكوا شمشون وأوثقوه بحبلين متينين ثم أخذوه ليسلموه الى
الفلسطينيين ، ولكنه قطع الحبلين كأنهما خيطى كتان • وقد روت التوراة
أنه وجد بالقرب منه عندئذ فك حمار فالتقطه وهجم على الفلسطينيين فقتل
به ألف رجل منهم •

ومن القصص التى روتها التوراة عن شمشون كذلك أنه ذهب ذات مرة
الى « غزة » ورأى هناك احدى العاهرات فدخل عندها ، فلما سمع أهل
المدينة أنه هناك ، كمنوا له الليل كله عند باب المدينة ، وقد انتووا أن يقتلوه
بمجرد أن يطلع الفجر ، ولكن شمشون خرج فى منتصف الليل وخلع
بيديه مصراعى باب المدينة وقائمتيه مع العارضة ووضع كل ذلك على كتفيه
وصعد به الى رأس الجبل المقابل لحبرون ، فلم يجرؤ أحد على الاقتراب
منه •

ثم حدث بعد ذلك أن أحب شمشون عاهرة أخرى اسمها « دليلة » كانت تقيم في وادي سورق المسمى اليوم وادي سوريق . فجاء اليها أقطاب الفلسطينيين وطلبوا اليها أن تتملقه حتى تعرف أين يكمن سر قوته الهائلة كي يتغلبوا عليه ، ووعدوها اذا تمكنت من ذلك أن يعطيها كل واحد ألفا ومائة شاقل من الفضة ، فراحت تسأله عن سر قوته وتلح في ذلك الحاحا شديدا وهو يراوغها ويخاتلها ، حتى ضاقت نفسه آخر الامر بكثرة الحاحها وكشف لها عن سره قائلا ان أبويه قد نذراه لله منذ طفولته وبركا لذلك شعره يطول فلم يقصه أبدا ، فاذا قص شعره زالت عنه قوته . فاستقدمت دليلة أقطاب الفلسطينيين وأنامت شمشون على ركبتيها ، حتى اذا نعس قصت شعره ، وكان مجدولا في سبع ضفائر طويلة ، ثم أيقظته ، فلما أيقنت أن قوته قد فارقته نادت على الفلسطينيين فقلعوا عينيه وأوثقوه بسلاسل من نحاس ونزلوا به الى غزة ، فألقوا به في السجن واستخدموه هناك في طحن الغلال .

وقد اجتمع أقطاب الفلسطينيين ليقدموا الذبائح لالههم « داجون » لانه دفع الى أيديهم عدوهم الجبار شمشون الذي قتل منهم قوما كثيرين . ثم في أثناء احتفالهم جاءوا بشمشون من السجن ليسخروا منه ويهزأوا به ويذلوه ، وكان قد نما شعره من جديد واسترد قوته ، فطلب من الغلام الذي يمسك بيده أن يقوده الى الاعمدة التي يقوم عليها بنيان المعبد ليستند اليها ، وكان المعبد ذا طابقين وقد امتلأ بالالوف من رجال الفلسطينيين ونسائهم ، فقبض شمشون على العمودين المتوسطين اللذين كان المعبد قائما عليهما وأمسك أحدهما بيمينه والآخر بيساره ودفعهما بقوة فانهار البناء على من فيه وماتوا جميعا ومات هو معهم ، فكان الذين قتلهم في موته أكثر من الذين قتلهم في حياته ، وقد جاء ذووه وأخذوا جثته ودفنوه بين « صرعة » و « اشتاؤول » المسماة اليوم « أشوع » على مسافة ثلاثة عشر ميلا غربي « أورشليم » . وكان ذلك في نحو عام ١١٢٠ قبل الميلاد .

وقد ظل شمشون قاضيا لليهود عشرين سنة .

وكان آخر قضاة اليهود الذين ذكرتهم التوراة « عالى » و « صموئيل ».
بيد أن التوراة أوردت قبل أن تتكلم عن هذين بعض الاحداث التى وقعت
فى أزمنة متفرقة أثناء حكم القضاة السابقين :

ومن ذلك أن رجلا من جبل أفرائيم اسمه ميخا أقام فى بيته صنمين من
الفضة ، وأقام أحد بنيه كاهنا لعبادتهما . وحدث أن غلاما لاويا من سبط
يهوذا كان يقيم فى بيت لحم ، ثم هجرها وجاء الى جبل افرائيم ، فاتفق معه
ميخا على أن يكون كاهنا لاصنامه نظير مأكله وملبسه وعشرة شواقل من
الفضة فى السنة . وفى ذلك الحين كان اليهود من سبط دان يبحثون عن
أرض يستولون عليها ، فأرسلوا خمسةرجال منصرعة وأشتاؤول ليتجسسوا
جبل أفرائيم . فلما بلغ هؤلاء بيت ميخا سمعوا صوت الغلام اللاوى وعرفوا
أنه كاهن ، فسألوه عما اذا كانوا سينجحون فى مهمتهم ، فأكد لهم ذلك ،
فذهبوا وجاءوا الى أرض لايش ، فوجدوها أرضا طيبة ووجـــدوا أهلهـا
يعيشون فى طمأنينة وسلام ، فعادوا الى الدانيين يحرضونهم عـلى غزوها ،
فخرج منهم ستمائة رجل يتقدمهم الرجال الخمسة ، ومضوا الى جبلافرائيم
حتى بلغوا بيت ميخا ، فدخل الرجال الخمسة وأخذوا الصنمين كما أخذوا
الغلام اللاوى وانصرفوا ، ثم أغاروا عـــلى لايش وذبحوا أهلها جميعا ثم
أحرقوا المدينة بالنار ، واحتلوا موقعها وبنوا فيها مدينة أطلقوا عليها اســم
دان أبيهم ، ثم أقاموا الصنمين وعبدوهما ، وكان يقوم بطقوس عبادتهمـا
يهوناثان بن جرشوم بن منسى هو وبنوه . فلم يعد الدانيون يذهبون للعبادة
فى خيمة الاجتماع المقامة فى شيلوه .

كما حدث فى عهد القضاة أن رجلا يهوديا من سبط لاوى كان يقيم فى
جبل أفرائيم ، وقد اتخذ له سريةمنسبط يهوذا ،ولكنها هجرته وعادتالىبيت
أبيها فى بيت لحم فلما انقضت أربعة أشهر مضى اليها ليصالحها ، وبعـد
بضعة أيام عاد بها . وفى الطريق حين بلغ مدينة اليبوسيين وهى أورشليم

كان الليل قد اقترب فاقترح غلامه أن يبيتوا هناك ، ولكنه رفض أن يبيت بين قوم من غير اليهود ، ومضى فى طريقه حتى بلغ جبعة التى كان أهلها يهودا من سبط بنيامين ، فجلس فى ساحة المدينة ، ولكن أحدا من البنيامينيين لم يدعه الى بيته ، حتى جاء رجل غريب من جبل افرائيم كان يقيم فى المدينة فدعاه فى بيته • وعندئذ جاء رجال المدينة وقرعوا الباب وقد أحاطوا بالبيت طالبين من صاحبه أن يخرج لهم الضيف ليزنوا به ، فرفض ، ولكنهم ألحوا الحاحا شديدا وهم يهددون ويتوعدون ، فلم يسع الضيف الا أن يخرج لهم سريته ، فظلوا يفسقون بها الليل كله ، فلم يطلقوا سراحها الا عند الفجر ، فجاءت وسقطت عند باب البيت • فلما خرج سيدها وجدها هناك وقد ماتت فأخذها وعاد بها الى بيته وقطع جثتها بالسكين اثنتى عشرة قطعة وأرسل كل قطعة منها الى سبط من أسباط اليهود الاثنى عشر ، فخرج اربعمائة ألف رجل من سائر الاسباط لمحاربة سبط بنيامين ، فلما علم بذلك رجال هذا السبط خرج منهم ستة وعشرون ألفا وسبعمائة رجل للقاء المهاجمين ، ووقع الصدام عند جبعة فى الطريق بين أورشليم ونابلس ، وقد انتصر فيه البنياميون اذ قتلوا من الاسباط الاخرى فى اليوم الاول اثنين وعشرين ألف رجل ، وفى اليوم الثانى ثمانية عشر ألف رجل • ولكن فى اليوم الثالث اصطفت جيوش سا[illegible] الاسباط فى « بعل تامار » ونصبوا للبنيامينيين كمينا خلف جبعة ، ثم هجموا عليهم فقتلوا منهم فى ذلك اليوم أكثر من خمسة وعشرين ألف رجل ، واقتحموا جبعة وذبحوا كل من فيها ثم أحرقوها بالنار ، ثم أحرقوا كل ما صادفهم من مدن البنيامينيين ، ثم طاردوا فلولهم ، وقد هرب منهم ستمائة رجل واختبأوا فى صخرة رمون بالقرب من جبعة وهى لا تزال قائمة ومحتفظة بهذا الاسم الى اليوم على قمة أكمة بين بيت ايل ونهر الاردن • ثم اتفق رجال سائر الاسباط على أن يصعدوا الى المصفاة ليقدموا ذبائح لربهم منذرين من لا يصعد منهم الى المصفاة بالموت • ثم تبين أنه لم يصعد أحد من أهل يابيش جلعاد ، فأرسلوا اليهم اثنى عشر ألف رجل وأمروهم أن يقتلوهم جميعا ، فلا يبقوا منهم على أحد من الرجال أو النساء أو الشيوخ أو الاطفال ، ففعلوا

ذلك ، ولكنهم أبقوا على أربعمائة فتاة عذراء وجاءوا بهن الى شيلوه فى أرض كنعان . واذ كانوا قد أفنوا رجال سبط بنيامين جميعا ، وقد ندموا على أنهم قضوا على سبط كامل من أسباط بنى اسرائيل ، جاءوا بالستمائة الذين تبقوا منه وهم الذين كانوا قد اختبأوا فى صخرة رمون وأعطوا العذارى اللاتى أبقوا عليهن من أهل يابيش جلعاد لاربعمائة منهم ، وأما الباقون فقالوا لهم أن ينتهزوا فرصة العيد فى شيلوه ويكمنوا هناك فى الكروم . حتى اذا خرجت بنات المدينة لترقصن ، فليخطف كل واحد منهم واحدة منهن لنفسه وليعودوا جميعا الى أرض بنيامين ، ففعلوا ذلك وبنوا مدنهم من جديد وسكنوا فيها .

١٤ — عالى

وكان عالى من قضاة اليهود ، وقد اتخذ مركز قضائه فى شيلوه المسماة اليوم « سيلون » شمالى أورشليم ، وكانت فيها خيمة الاجتماع مركز عبادة اليهود . ولم يكن عالى قائدا حربيا أو بطلا من الابطال الذين خلصوا اليهود من أعدائهم كما هو شأن سائر قضاتهم السابقين ، وانما كان كاهنا يتولى طقوس العادة فى خيمة الاجتماع . كما كان يقضى فى الدعاوى التى يرفعها اليه المتخاصمون من اليهود . وكان عالى من سبط لاوى ومن نسل هارون ، ولكنه لم يكن من بنى أليعازر الذين آل اليهم الحق فى رئاسة الكهنوت ، بل كان من بنى ايثامار الذين ورثوا بعد ذلك هذا الحق واحتفظوا به الى عهد سليمان الحكيم . وكان لعالى ولدان هما حفنى وفنحاس ، وكانا هما أيضا كاهنين ، ولكنهما كانا فاسدين وفاسقين جدا ، حتى لقد كانا يغريان النساء اللائى يأتين للعبادة فى خيمة الاجتماع ثم يضاجعانهن داخل الخيمة . كما كانا يستوليان لنفسيهما على ما يتقدم به الاهالى من الذبائح لله .

وقد حدث فى أيام عالى أن اشتدت غارات الفلسطينيين على اليهود ، حتى

اضطر هؤلاء الى الخروج لقتالهم ، وقد نزلوا فى الموضع الذى كان يسمى حجر المعونة ، والذى أصبح اسمه بعد ذلك حجر النصرة . بينما نزل الفلسطينيون فى أفيق التى تقوم اليوم فى مكانها بلدة رأس العين عند منبع نهر العوجة بالقرب من « أنتيبا تريس » . فلما نشب القتال انتصر الفلسطينيون وقتلوا من اليهود أربعة آلاف رجل . واذ اعتقد اليهود أن سبب هزيمتهم هو غضب الله عليهم بسبب مفاسدهم ، أخذوا تابوت العهد من خيمة الاجتماع فى شيلوه وحملوه الى ساحة القتال ، متوسلين به الى الله أن ينصرهم ، وكانوا يحيطون به يتقدمهم حفنى وفنحاس وهم يهتفون هتافا عظيما . ولكن الفلسطينيين هجموا عليهم وهزموهم وقتلوا منهم ثلاثين ألف رجل ، كان منهم حفنى وفنحاس ، واستولوا على تابوت العهد ، فركض رجل من بنى بنيامين الى شيلوه وأخبره أهلها بما حدث وهو يمزق ثيابه ويهيل التراب على رأسه . فارتفع صوت البكاء والعويل فى المدينة . وكان عالى الكاهن جالسا على مقعده فى الطريق يترقب الانباء ، فلما علم بهزيمة قومه وموت ولديه واغتصاب تابوت العهد سقط من فوق مقعده فانكسرت رقبته ومات . وكان عندئذ فى الثامنة والتسعين من عمره . وقد كان موته فى نحو عام ١١٤١ قبل الميلاد . وقد ظل قاضيا لليهود أربعين سنة .

١٥ — صموئيل :

وكان صموئيل هو آخر قضاة اليهود ، كما كان هو أول أنبيائهم بعد موسى . وهو ابن رجل من سبط لاوى كان يقيم فى « رامتايم صوفيم » بجبل أفرائيم اسمه ألقانة بن يروحام بن اليهو ، وقد أنجبه فى نحو عام ١١٧١ قبل الميلاد من زوجته المسماة « حنة » بعد أن ظلت سنوات طويلة عاقرا . ولذلك نذراه لله ، وسلماه منذ صباه الى عالى الكاهن ليعاونه فى خدمة الهيكل ، حتى اذا بلغ طور الشباب أظهر من المواهب ما جعل اليهود يعدونه نبيا ، وقد اختاروه بعد موت عالى قاضيا لهم . وقد اتخذ مقره فى مسقط رأسه

« رامتايم صوفيم » ، وهى التى أصبح اسمها بعد ذلك « الرامة » ، وكانت تقع فى الموضع المسمى اليوم « النبى صموئيل » فى الشمال الغربى من أورشليم على طريق يافا .

وكان الفلسطينيون بعد أن استولوا على تابوت العهد قد أتوا به من « حجر المعونة » الى « أشدود » المسماة اليوم « أسدود » فى منتصف الطريق بين يافا وغزة ، حيث وضعوه فى معبد الههم « داجون » كأنهم يريدون بذلك اذلال اله اليهود صاحب هذا التابوت واخضاعه لذلك الاله الذى كانوا يعدونه سيد الآلهة جميعا . ولكنهم لم يلبثوا أن تفشى بينهم مرض خبيث فنسبوا ذلك الى وجود تابوت العهد بينهم ، فنقلوه الى « جت » وهى المسماة اليوم « ذكرين » . ولكن ذلك المرض لم يلبث ان تفشى بين أهل هذه المدينة كذلك ، فنقلوا التابوت الى « عقرون » المسماة اليوم « عاقر » جنوبى « يافا » . ولكن أهلها خافوا من وجوده بينهم فقرروا التخلص منه بعد أن ظل فى حوزة الفلسطينيين سبعة أشهر ، ووضعوه على عجلة تجرها بقرتان ، وأطلقوها فى انجاه بلاد اليهود فسارتا فى حقل يهوشع فى « بيت شمس » المسماة اليوم « عين شمس » ، ففرح اليهود حين رأوا التابوت ، وجاء كهنتهم وأنزلوه ، وراحوا يفحصون ما به ، بيد أنهم لم يلبثوا أن تفشى بينهم مرض قتل منهم أكثر من خمسين ألفا ، فأرسلوا الى أهل قرية « يعاريم » المسماة اليوم « أبا غوش » غربى « أورشليم » ، وطلبوا اليهم أن يأخذوا التابوت عندهم ، فجاءوا وأخذوه الى قريتهم ووضعوه فى بيت أبيناداب ، ورسموا ابنه ألعازار كاهنا لحراسته ، فظل التابوت فى « يعاريم » عشرين سنة .

ولم يلبث الفلسطينيون أن عادوا الى الاغارة على اليهود ، فاشتكى هؤلاء الى قاضيهم صموئيل ، فطلب اليهم ان كانوا يريدون أن يرضى الله عنهم وينصرهم على الفلسطينيين أن يمتنعوا عن عبادة الآلهة الوثنية والاصنام ، ثم حشدهم

فى المصفاة . فلما علم الفلسطينيون أنهم احتشدوا هناك هجموا عليهم ، ولكن اليهود بتشجيع صموئيل هزموهم ، واستردوا منهم المدن التى سبق أن أخذوها منهم من « عقرون » التى هى اليوم « عاقر » الى « جت » التى هى اليوم « ذكرين » وعقدوا صلحا مع الأموريين .

وكان صموئيل لا يفتأ ينتقل من موطنه فى « الرامة » الى « بيت ايل » والى « الجلجال » والى « المصفاة » ، ليفصل فى المنازعات التى تنشب بين أهل كل من تلك البلاد ، حتى اذا تقدمت به السن أقام ابنيه يوئيل وأبيا قاضيين فى « بئر سبع » ، ولكنهما كانا كابنى عالى فاسدين فاسقين متكالبين على المال ، يقبلان الرشوة ، وينحازان فى حكمهما الى صف من يقـــدمها اليهما من الخصمين المتقاضيين ، مهما كان الحق فى جانب الخصم الآخر ، ومهما كان حكمهما ظالما ، فأفسدا بذلك القضاء ، وأساءا الى صموئيل أبيهما ، ومن ثم جاء شيوخ اليهود الى صموئيل وقالوا له انه قد شاخ وان ابنيـــه فاجـران لا يصلحان للحكم وطلبوا اليه أن يقيم لهم ملكا كسائر الشعوب ، فاســتاء صموئيل ، ولكنه رضخ آخر الأمر لهم . وكان لرجل من سبط بنيامين اسمه « قيس بن أبيئيل » ولد حسن المنظر يرعى الماشية اسمه شاول ، فقرر أن يقيمه ملكا ، واستدعى اليهود الى المصفاة وأوقفه أمامهم فكان أطول الجميع قامة ، فأعجبوا به وقبلوه ملكا عليهم . ولكن صموئيل لم يلبث بعد حين أن غضب على شاول فخلعه وأقام مكانه داود ، وظل صموئيل يرقب أعمال هذين الملكين وينصحهما زمنا حتى مات فى نحو عام ١٠٦٠ قبل الميلاد ، وهو فى الثامنة والتسعين من عمره ، فدفنه اليهود فى الرامة .

الفصل السادس

اليهود تحت حكم الملوك

١ — شاول :

كان أول ملوك اليهود هو شاول بن قيس بن أبيئيل بن صرور من سبط بنيامين ، وقد رسمه صموئيل آخر القضاة ملكا بأن مسحه بالدهن فى نحو عام ١٠٩٥ قبل الميلاد . وقد بايعه أغلب اليهود ، بينما رفضه بعضهم واحتقروه وأبوا الخضوع له .

ولم يمض شهر واحد على اختيار شاول ملكا حتى هجم ناحاش ملك العمونيين على مدينة « يابيش جلعاد » التى كانت لسبط يهوذا فى شرقى الاردن واستولى عليها ، فعرض أهلها عليه أن يقطع لهم عهدا بالمحافظة على حياتهم فيصيروا له عبيدا . فاشترط ناحاش لذلك أن يفقأ العين اليمنى لكل منهم

ليكون ذلك علامة على العار الذى ألحقه بهم ، فاستمهلوه سبعة أيام ليرسلوا رسلا الى كل أنحاء بلاد اليهود ، فان لم يتقدم أحد لانقاذهم أذعنوا له ، وقد جاء الرسل الى « جبعة » مدينة شاول ، وكان هو آت وراء البقر من الحقل ، فلما سمع ما قاله الرسل أخذ ثورين وقطعهما قطعا صغيرة وأعطاها لنرسل كى يذهبوا الى كل أنحاء البلاد ويقولوا لليهود ان من لا يخرج وراء شاول لقتال ناحاش يفعل هكذا ببقره ، فخاف اليهود وخرجوا جميعا فكان عددهم ـ كما جاء فى التوراة ـ ثلاثمائة وثلاثين ألف رجل ، وهجموا بقيادة شاول على ناحاش فقتلوه وشتتوا شمل العمونيين ، ثم ذهبوا جميعا الى الجلجال وجددوا البيعة لشاول .

وكان شاول متزوجا من امرأة تسمى أخينوعم ابنة أخيمعص ، وقد أنجب منها ثلاثة أبناء هم « يوناثان » و « يشوى » و « ملكيشوع » ، وابنتين هما «ميرب» و «ميكال» . وقد اختار لنفسه ثلاثة آلاف رجل من اليهود ليكونوا جنودا له ، يقومون على حراسته ويأتمرون بأمره . وقد احتفظ بألفين منهم فى جبل بيت ايل ، وفى « مكماش » المسماة اليوم « مخماس » شمالى أورشليم ، وجعل ألفا تحت امرة ابنه يوناثان فى مدينة جبعة التى لسبط بنيامين ، وكان الفلسطينيون قد استبقوا لانفسهم معسكرا فى جبعة ، فهجم يوناثان على المقيمين فيه ، فغضب الفلسطينيون وحشدوا لمحاربة اليهود جيشا عظيما يتألف كما جاء فى التوراة من ثلاثين ألف مركبة وستة آلاف فارس وعددا لا يحصى من المحاربين ، ونزلوا فى مخماس ، فاختبأ اليهود فى المغاور والغياض والصخور والصروح والآبار ، وهرب بعضهم عبر الاردن الى أرض جاد وجلعاد . وأما شاول فقد ظل مع رجاله فى الجلجال سبعة أيام ينتظر مجىء صموئيل ليقدم محرقة لله كى ينقذ اليهود ، ولكنه أبطأ ، واذ رأى شاول أن رجاله بدأوا ينفضون من حوله قدم هو المحرقة ، فما انتهى من تقديمها حتى جاء صموئيل ، فحين رآه فعل ذلك غضب جدا ، ووبخه توبيخا شديدا ، لان تقديم المحرقة لا يصح الا للكهنة ، وقال له انه لهذا السبب قد

اختار الله ملكا غيره ، ثم تركه وعاد الى جبعة . وفى هذه الاثناء هجم الفلسطينيون على بلاد اليهود ، ولكن يوناثان ابن شاول خدعهم بحيلة فانهزموا وفروا الى ديارهم . ومع ذلك أراد أبوه أن يقتله لانه خالف له أمرا كان قد أصدره أثناء المعركة ، غير أن الشعب حال بينه وبين أن يفعل ذلك، لان يوناثان كان هو الذى أنقذهم من الفلسطينيين .

ثم حارب شاول بعد ذلك كل من حول بلاد اليهود من الموآبيين والعمونيين والادوميين وملوك صوبة الذين كانوا يسيطرون على سهول البقاع وبعلبك . وقد طلب صموئيل من شاول أن يحارب العمالقة قائلا له كما جاء فى سفر صموئيل « انى قد افتقدت ما عمل عماليق باسرائيل حين وقف له فى الطريق عند صعوده من مصر ، فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا (أى أبيدوا) كل ما له ولا تعف عنهم ، بل اقتل رجلا وامرأة ، طفلا ورضيعا ، بقرا وغنما ، جملا وحمارا » (صموئيل الأول ١٥ : ٢ و ٣) .

فجمع شاول جيشا يتكون كما جاء فى ذلك السفر من مائتى ألف رجل، وجمع من سبط يهوذا وحده عشرة آلاف رجل . ثم جاء الى العمالقة وهاجم بلادهم من « حويلة » حتى « شور » التى تقع مقابل مصر ، وذبح جميع الشعب بحد السيف ، ولكنه عفا عن « أجاج » ملك عماليق ، كما استبقى السمان من الغنم والبقر والخراف ، فغضب صموئيل جدا وعنف شاول تعنيفا شديدا لانه لم يقتل ولم يهلك جميع الماشية كما أمره ، وعقابا له على ذلك قال له انه قد خلعه فلم يعد ملكا لليهود ، فاستعطفه شاول واعتذر له، فرفض اعتذاره واستدار ليمضى فأمسك شاول بذيل ردائه فتمزق، فقال له صموئيل « يمزق الرب مملكة اسرائيل عنك اليوم ويعطيها لصاحبك الذى هو خير منك » ، ثم طلب صموئيل احضار أجاج ملك عماليق أمامه ، فلما أحضروه قتله بيده ، ومزق بالسيف جسده ، ثم عاد الى الرامة ، بينما عاد شاول الى جبعة ، ومنذ ذلك اليوم رفض صموئيل أن يرى شاول الى يوم موته ، وأقام داود ملكا على اليهود بدلا منه .

٢ - داود :

وكان داود من بيت لحم التى كانت من مدن سبط يهوذا • وقد كان فى بيت لحم رجل يسمى « اليمالك » متزوجا من امرأة تسمى « نعمى » ، وكان له منها ولدان هما « محلون » و « كليون » • واذ حدث جوع فى تلك النواحى رحل « اليمالك » مع زوجته وولديه الى بلاد موآب • ولم يلبث هو أن مات ، وتزوج ولداه من امرأتين موآبيتين اسمهما « عرفة » و « راعوث » • وبعد عشر سنوات مات الولدان ، فعزمت أمهما نعمى على العودة الى مدينتها بيت لحم ، ومن ثم عرضت على أرملتى ولديها أن تعود كل منهما الى بيت أبيها، فعادت عرفة ، وأما راعوث فأبت الا أن تصاحب حماتها نعمى الى بيت لحم• ولم يكن لهما هناك مورد رزق • وكان هناك قريب لزوج نعمى يسمى بوعز بن سلمون بن نحشون بن عميناداب من سبط يهوذا ، وكان غنيا ، فذهبت راعوث الى حقله وراحت تلتقط ما يتناثر وراء الحصادين من سنابل الشعير • فلما جاء بوعز ورأى راعوث أعجب بها وعطف عليها ، فلما عادت الى حماتها أخبرتها بأمره ، فأوعزت اليها حماتها بأن تغتسل وتتطيب وترتدى أحسن ثيابها ثم تذهب الى بوعز فى الحقل ، حتى اذا اضطجع فى المساء لينام تكشف غطاءه وتنام عند قدميه ، ففعلت راعوث ذلك • فلما انتصف الليل استيقظ بوعز فوجدها بجانبه ، وعندئذ طلبت اليه أن يبسط ذيل ثوبه عليها لانه ولى لها • وقد كان من تقاليد اليهود أن المرأة التى يموت زوجها يتزوجها أقرب أقرباء زوجها •

وبالفعل أخذها بوعز الى بيته وتزوجها ، ثم أنجب منها ولدا يسمى عوبيد ، وأنجب عوبيد يسى ، وأنجب يسى داود • وكان داود فتى أشقر حسن الصورة جميل العينين ، يرعى غنم أبيه •

وقد ورد فى سفر صموئيل : « فقال الرب لصموئيل حتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته عن أن يملك على اسرائيل ؟ املأ قرنك دهنا وتعال

أرسلك الى يسى البيتلحمى ، لأنى قد رأيت لى فى بيته ملكا » .. (صموئيل الأول ١٦:١) . فذهب صموئيل الى بيتلحم واستدعى يسى بن عوبيد وطلب منه أن يجىء اليه بأصغر أبنائه داود الذى كان عندئذ فى البرية يرعى الغنم فجاء به ، فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه ملكا ، ولكنه أبقى ذلك سرا . وكان ذلك فى نحو عام ١٠٦٢ قبل الميلاد .

وأما شاول فمنذ أن انتزع صموئيل الملك منه أصابه داء فى عقله كان يسبب له نوبات من الاضطراب الشديد ، فأشار عليه رجاله بأن يختار رجلا يحسن الضرب على العود ، حتى اذا انتابه الاضطراب يرفه عنه ويخفف من أثر الاضطراب عليه ، وكان داود قد اشتهر بأنه يحسن الضرب على العود فأحضروه اليه فأعجب به وأحبه جدا وجعله حامل سلاحه . وكان اذا انتابه الاضطراب يضرب له على العود فيذهب عنه اضطرابه ويهدأ .

وقد حدث أن جمع الفلسطينيون جيشهم لقتال اليهود واحتشدوا فى بقعة غربى بيت لحم ، بين « شوكوه » المسماة اليوم « الشويكة » و « عزيقة » المسماة اليوم « تل زكريا » ، فحشد شاول جيشا من اليهود فى « وادى البطم » المسمى اليوم « وادى السنط » جنوب غربى أورشليم ، ووقف كل من الجيشين على جبل مرتفع يفصل بينهما الوادى ، فخرج رجل من صفوف الفلسطينيين اسمه « جليات » ، ضخم الجسم طويل القامة ، يلبس خوذة من نحاس ، ودرعا من نحاس على صدره وفوق كتفيه وحول قدميه ، ويحمل فى يده رمحا كنول النساج له سنان ثقيل من حديد ، وبين يديه رجل يحمل ترسه الضخم . وقد وقف بين صفوف اليهود متحديا اياهم أن يخرج واحد منهم لينازله فان قتله اليهودى صار الفلسطينيون جميعا لليهود عبيدا ، وان قتل هو اليهودى صار اليهود جميعا للفلسطينيين عبيدا . فلما سمع اليهود كلامه ارتاعوا وخافوا جدا ، ولم يجرؤ أحد منهم على أن يتقدم لينازل ذلك الجبار . وقد ظل أربعين يوما يكرر تحديه كل صباح ومساء ، واليهود

جبناء محجمون . ثم اتفق أن جاء داود من وراء الغنم التى يرعاها ليطمئن على اخوته الذين كانوا ضمن جيش اليهود ، فسمع ما يقوله جليات ، فأبدى استعداده لمنازلة ذلك الرجل ، ثم أخذ مقلاعه ووضع فيه حجرا وقذفه على الفلسطينى ، فأصابه فى جبهته ، فانطرح على الأرض ، وعندئذ ركض داود واستل سيف الفلسطينى وقطع به رأسه . فلما رأى الفلسطينيون أن جبارهم قد مات خافوا وهربوا فتبعهم اليهود وقتلوهم ونهبوا مدينتهم . ومنذ ذلك اليوم أحب شاول داود حبا جما ، كما أحبه يوناثان ابن شاول . بيد أن شاول لم يلبث أن سمع نساء اليهود يتغنين بشجاعة داود ، فحقد عليه . وحدث بعد ذلك أن انتابته نوبة الجنون وراح داود يضرب له على العود ، فحاول شاول مرتين أن يطعن داود بالرمح ولكنه تفاداه . ثم فكر شاول فى طريقة أخرى ليتخلص من داود ، فعرض عليه أن يزوجه من ابنته الكبرى «ميرب» على شرط أن يحارب الفلسطينيين ، عسى أن يقتلوه . ولكنه فى الموعد المحدد للزواج زف ابنته لرجل آخر يسمى عدريئيل . وأما داود فعرض عليه ابنته الأخرى « ميكال » ، على شرط أن يحارب الفلسطينيين أولا ويقتل منهم مائتى رجل فقام داود وهاجم الفلسطينيين وقتل منهم مائتى رجل . فلم يسع شاول الا أن يزوجه من « ميكال » ، ولكنه ظل يترقب فرصة لقتله ، وراح يحرض عليه ابنه يوناثان ، ولكن هذا اذ كان يحب داود أصلح بينه وبين أبيه ، فراح داود يجلس من جديد بين يدى شاول ويضرب له على العود . بيد أنه لم يلبث أن حاول مرة أخرى أن يضربه بالرمح ، فهرب داود الى بيته ، فأرسل بعض أعوانه ليقتلوه هناك . ولكن « ميكال » زوجته اذ كانت تحبه أنزلته من الكوة فنجا بنفسه ومضى الى صموئيل فى الرامة وأخبره بكل ما فعل شاول ، فأخذه صموئيل وأقام معه فى نايوت . فلما علم شاول بمكانه راح يطارده هناك . وقد أراد يوناثان بن شاول أن يخفف من حقد أبيه على دواد ليعفو عنه ، ولكن أباه ثار عليه ثورة عنيفة ووبخه توبيخا قاسيا . وفى ذلك تقول التوراة فى سفر صموئيل « فحمى غضب شاول على يوناثان وقال له يا ابن المتعوجة المتمردة ،

أما علمت أنك قد اخترت بن يسى لخزيك وخزى عورة أمك ، لأنه ما دام ابن يسى حيا على الأرض لا تثبت أنت ولا مملكتك . والآن أرسل وائت به الى لأنه ابن الموت هو ، فأجاب يوناثان شاول أباه وقال له لماذا يقتل ؟ ماذا عمل ؟ فصوب شاول الرمح نحوه ليطعنه . فعلم يوناثان أن أباه قد عزم على قتل داود » (صموئيل الأول ٢٠:٣٠ — ٣٣).وقد حذر يوناثان داود ونصحه بأن يهرب ، فهرب الى « جت » مدينة الفلسطينيين أعدائه ، فعرفه أهلها وأخبروا عنه ملكها « أخيش » ، فخاف داود وتظاهر بالجنون ، ثم هرب الى مغارة عدلام ، على ثمانية أيام جنوبى بيت لحم ، فلما سمع اخوته بأنه هناك ذهبوا اليه ، كما ذهب اليه كل رجل متضايق وكل من كان عليه دين ، وقد بلغوا اربعمائة رجل ، فاصبح رئيسا لهم ، وأخذهم الى ملك الموآبيين فى المصفاة ، وأودع عند أباه وأمه . ولكن صموئيل أرسل الى داود نبيا اسمه جاد ، طالبا اليه أن يعود الى أرض يهوذا . فجاء داود الى غيضة حارث التى كانت فى جبل الخليل على مقربة من القرية المسماة اليوم « حلحول » شمالى الخليل . فلم يلبث شاول أن سمع وهو فى « جبعة » بوجود داود هناك مع رجاله ، كما سمع أن أخيمالك بن أحيطوب كاهن مدينة « نوب » قد أواه حين مر به وأعطاه من خبز التقدمة ليأكل ، فأحضر اليه أخيمالك وقتله ، كما قتل كل كهنة مدينته ، وكانوا خمسا وثمانين كاهنا ، ثم قتل سائر أهل المدينة فلم يترك رجلا ولا امرأة ولا طفلا رضيعا .. كما قتل الثيران والحمير والغنم ، ولم ينج الا ولد واحد لأخيمالك بن أخيطوب اسمه أبياثار ، وقد هرب الى داود وأخبره بما فعل شاول .

وقد سمع داود أن الفلسطينيين يحاربون قعيلة ، فأخذ رجاله وحاربهم وانتصر عليهم ، فلما علم شاول أن داود فى قعيلة أراد أن يقتله هناك . ولكن داود هرب مع رجاله وأقام فى برية زيف المسماة اليوم « تل زيف » جنوب شرقى حبرون التى هى الخليل ، فخرج شاول فى طلبه . ولكن يوناثان بن شاول ذهب اليه فى مخبأه وحذره وبايعه لأن يكون ملكا وأن يكون هو

التالى له في السلطان ، وتعاهدا على ذلك . بيد أن أهل برية زيف ذهبوا الى شاول وعرضوا عليه أن يسلموه داود ، فلما علم داود بذلك انتقل الى برية معون المسماة اليوم « تل معين » جنوبى الخليل ، فتبعه شاول ، فانتقل الى برية عين جدى ، التى لا تزال محتفظة بهذا الاسم ، وهى على الشاطىء الغربى للبحر الميت ، فتبعه الى هناك ، وظل هكذا يطارده من موضع الى آخر .

وفى ذلك الوقت مات صموئيل ، فبكاه اليهود ودفنوه فى « الرامة » ، وكانت فى المكان الذى يسمى اليوم « النبى صموئيل » فى الشمال الغربى من أورشليم . وقد عاش صموئيل نحو ثمانى وتسعين سنة صرف منها عشرين سنة فى القضاء لليهود قبل أن يقيم شاول ملكا ، ثم عاش فى عهد شاول ونزاعه مع داود ثمانى وثلاثين سنة .

وقد نزل داود بعد ذلك مع رجاله الى برية فاران ، شرقى برية بئر سبع على حدود سيناء ، فلما احتاجوا الى الطعام أرسل الى رجل ثرى فى تل معون يدعى « نابال » ليمده ببعض الزاد فرفض ، فأخذ داود اربعمائة من رجاله ومضى للتنكيل به . بيد أنه كان لنابال زوجة رائعة الجمال اسمها «أبيجائيل» فأخذت مقادير من الخبز والخمر والفريك والزبيب والتين والخراف ومضت فقابلت داود فى الطريق وأعطته ما جاءت به فتقبله منها وأثنى عليها وعاد بغير قتال ، فلما علم نابال بما فعلت زوجته استولى عليه غضب شديد لم يلبث أن أدى الى موته بعد عشرة أيام ، فتزوج داود زوجته «أبيجائيل» ، كما تزوج امرأة أخرى من يزرعيل اسمها « أخينوعم » . واذ كان متزوجا من قبل من « ميكال » ابنة شاول ، أعطى شاول « ميكال » الى رجل آخر من « جليم » اسمه « فلطى بن لايش » .

وعاد أهل زيف يخبرون شاول بأن داود مختبىء فى « تل حخيلة » القريب منهم ، فأخذ شاول ثلاثة آلاف رجل وانطلق الى هناك ليهلكه ، ففر داود هو والستمائة رجل الذين معه الى أرض الفلسطينين ، وأقام عند

« أخيش بن معوك » ملك « جت » ، الذى فرح بهذا الانقسام بين اليهود أعدائه ، وقد اعطى داود مدينة صقلاج التى تقع جنوبى « بئر سبع » ليسكن فيها مع رجاله . فمكث هناك سنة وأربعة أشهر ، وكان لا يفتأ فى هذه الأثناء يغير على الجشوريين والجرزيين والعمالقة المجاورين للفلسطينيين ، فكان يذبح منهم كل رجل وكل امرأة ، ويأخذ غنمهم وبقرهم وحميرهم وجمالهم وثيابهم ويعود بها الى أخيش قائلا له ان غاراته كانت على اليهود ، فيبتهج « أخيش » بذلك ويطمئن الى داود .

وقد حدث فى تلك الأيام أن هجم الفلسطينيون على اليهود ، وقد حشدوا جيوشهم فى أفيق التى تقع مكانها اليوم بلدة « رأس العين » عند منبع نهر العوجة ، بينما اجتمع اليهود فى سهل يزرعيل الذى كان يمتد من البحر المتوسط الى نهر الأردن ، ومن الكرمل وجبال السامرة الى جبال الجليل . وقد انضم داود ورجاله الى جيش الفلسطينيين الذى يقوده أخيش . فلما رآه أقطاب الفلسطينيين طلبوا من أخيش أن يأمره بالعودة ، لعدم اطمئنانهم اليه . فلما عاد داود مع رجاله الى مدينة صقلاج التى كانوا يسكنونها وجدوا أن العمالقة أغاروا عليها ونهبوها وأحرقوها وأسروا جميع أهلها . وقد جاء فى سفر صموئيل : « فدخل داود ورجاله المدينة ، واذا هى محترقة بالنار ونساؤهم وبنوهم وبناتهم قد سبوا ، فرفع داود والشعب الذين معه أصواتهم وبكوا حتى لم يبق لهم قوة للبكاء ، وسبيت امرأتا داود أخينوعم اليزرعيلية وأبيجائيل امرأة نابال الكرملى ، فتضايق داود جدا لأن الشعب قالوا برجمه لأن أنفس جميع الشعب كانت مرة كل واحد على بنيه وبناته » (صموئيل الأول ٣٠ : ٣ ـ ٦) . ولكن داود أخذ رجاله وتعقب العمالقة وهزمهم واسترد منهم السبايا والغنائم كلها .

وأما الحرب بين الفلسطينيين واليهود فقد أسفرت عن هزيمة اليهود ، وقد هربوا بعد أن سقط منهم قتلى كثيرون فى جبل جلبوع المسمى اليوم جبل فقوع ، ويقع بالقرب من قرية « جلبون » . وقد تعقب الفلسطينيون شاول فى

هذا الجبل ، وقتلوا أبناءه يوناثان وأبيناداب وملكيشوع أمام عينيـــه ، ثم أصابوه هو بجرح خطير فألقى بنفسه على نصل سيفه فمات ، فقطعوا رأسه وسمروها في بيت الههم داجون ، وسمروا جسده على سور « بيت شان » ، المسماة اليوم « بيسان » غربي الأردن ، وأخذوا سلاحه ووضعوه في بيت الهتهم « عشتاروت » ، فلما رأى اليهود الذين في الوادي أن ملكهم قد مات ، وأن جيشهم قد انهزم وهرب ، تركوا مدنهم وانطلقوا هائمين على وجوههم ، فأتى الفلسطينيون وسكنوا في مدنهم ، وقد حدث ذلك كله في نحو عام ١٠٥٦ قبل الميلاد .

ولم يلبث أن جاء الى داود وهو في صقلاج رجل ممزق الثياب معفر الرأس بالتراب وأخبره بهزيمة اليهود وموت شاول وأبنائه ، فصعد داود مع زوجتيه ورجاله الى حبرون التي هي الخليل ، فجاء أبناء سبط يهوذا ومسحوه ملكا عليهم ، وكان عندئذ في الثلاثين من عمره . غير أن « أبنير بن نير » عم شاول وقائد جيشه أخذ « ايشبوشت » بن شاول ، وعبر به الأردن الى محنائيم المسماة اليوم « محنة » وجعله ملكا على جلعاد ويزرعيل وأفرائيم وبنيامين ، أي على كل اليهود ما عدا سبط يهوذا . وكان ايشبوشت يومئذ في الأربعين من عمره . وخرج أبنير بن نير على رأس جيش ليحارب داود ، فالتقى بجيش داود عند بركة جبعون المعروفة اليوم بالجب شمالي أورشليم ، فانهزم جيش أبنير أمام جيش داود ، وعاد خاسرا الى محنائيم . بيد أن الحرب استمرت بين الملكين سنوات عديدة ، كان داود أثناءها يزداد قوة ، وايشبوشت يزداد ضعفا . ثم حدث أن أبنير بن نير زنى مع امرأة اسمها رصفة كانت من سراري شاول فوبخه ايشبوشت ، فحنق أبنير وأرسل الى داود يعرض عليه أن يضيف الى مملكته مملكة ايشبوشت اذا قطع عهدا معه ، فوافق داود على شرط أن يرد اليه ميكال ابنة شاول التي كان شاول قد زوجها له ثم انتزعها منه وأعطاها لفلطئيل بن لايش ، فانتزعها أبنير من فلطئيل ليرسلها الى داود بناء على هذا الاتفاق ، فتبعها فلطئيل مسافة طويلة وهو يبكي ، فانتهره

أبنير وأرجعه ، ثم راح أبنير يحرض شيوخ اليهود على خلع ايشبوشت وقبول داود ملكا عليهم ، فلما وافقوا ذهب الى داود ليخبره ، ولكن يوآب قائد جيش داود خاف منه على نفسه وقتله .

وكان لدى ايشبوشت قائدا جند اسمهما « بعنة » و « ركاب » فدخلا عليه وقتلاه وهو في مخدعه وقطعا رأسه وأتيا به الى داود لينالا رضاه ، ولكن داود قتلهما وقطع أيديهما وأرجلهما وعلقهما على البركة فى حبرون .

وبذلك خلا الجو لداود ، فجاء اليه في حبرون نحو ثلاثمائة وستون ألف رجل يمثلون جميع أسباط اليهود ومسحوه ملكا عليهم . وكان ذلك فى نحو عام ١٠٤٨ قبل الميلاد . وكان داود عندئذ فى نحو الثامنة والثلاثين من عمره ، فاتخذ أورشليم عاصمة له واستولى من اليبوسيين على حصن صهيون الذى كانوا يحتلونه خارج أسوار أورشليم وأقام فى مكانه مدينة سماها مدينة داود . وقد استقر به الحال فاتجه الى مظاهر الفخامة الملكية . وقد أرسل اليه صديقه حيرام ملك صور قوما من البنائين والنجارين وكثلا من خشب الأرز الثمين ، فأقاموا له قصرا ، وأكثر من النساء والأبناء . وقد كانت له حتى الآن سبع زوجات هن : « أخينوعم » و « أبيجال » و « ميكال » و « معكة » و « حجيث » و « أبيطال » و « عجلة » . وقد أنجب منهن « أمنون » و « دانيئيل » و « أبشالوم » و « أدونيا » و « شفطيا » و « يثرعام » . فلما جاء الى أورشليم اتخذ نساء وسرارى أخريات ، وأنجب أبناء آخرين ، منهم « شمعى » و « شوباب » و « ناثان » و « سليمان » و « يبحار » و « اليشامع » و « اليفالط » و « نوجة » و « نافج » و « يافيع » و « اليشمع » و «الياداع» و « اليفلط » . وذلك ما عدا أبناء السرارى ، وما عدا ابنة له كان اسمها « تامار » .

وقد سمع الفلسطينيون بأن اليهود قد اتحدوا تحت رئاسة داود بعد أن كانت الخلافات تمزق صفوفهم ، فانزعجوا من ذلك واحتشدوا لمحاربة داود

فى وادى الرفائيين المسمى اليوم وادى البقاع بين « بيت لحم » و « أورشليم » فتصدى لهم داود فى جبل « بعل فراصيم » بالقرب من وادى جبعون وهزمهم هناك • ولكنهم لم يلبثوا أن عادوا مرة أخرى فهزمهم كذلك وراح يطارد فلولهم من « جبع » التى لا تزال محتفظة بهذا الاسم غربى « بيت لحم » الى مدخل « جازر » التى تسمى اليوم « تل الجزر » غربى أورشليم •

وقد أخذ داود تابوت العهد من بيت أبيناداب فى قرية يعاريم حيث ظل هناك منذ أن أعاده الفلسطينيون ، ونقله الى مدينة داود ، حيث أقام له هناك خيمة وضعه فيها ، وعين اللاويين لخدمته برئاسة صادوق وأبياثار الكاهنين •

ثم استأنف داود الحرب مع الفلسطينيين وهزمهم واستولى على مدينتهم « جت » وقراها ، ثم عبر الأردن وحارب الموآبيين فهزمهم وفرض الجزية عليهم ، وهاجم « هدد عزر بن رحوب » ملك صوبة فأخذ من جيشه ألف وسبعمائة فارس ، وعشرين ألف من المشاة ، كما أخذ منه ألف مركبة ، وغنم مقادير كبيرة من الذهب والنحاس • وكانت مملكة صوبة من ممالك الآراميين وكانت تقع شمالى سوريا المجوفة ، وتمتد حدودها من شمال شرقى لبنان الى حمص وحماة وحلب • وقد جاء الآراميون القاطنون فى دمشق لنجدة ملك صوبة ، فقتل منهم اثنين وعشرين ألف رجل ، واستولى منهم على غنائم عظيمة من الذهب والنحاس ، وأخضعهم للجزية • وسمع « توعى » ملك حماة بانتصار داود على ملك صوبة وأهل دمشق ، فأرسل ابنه يورام الى داود لتهنئته والتقرب اليه ، ومعه هدية من ذهب وفضة ونحاس • كما أخضع داود الموآبيين والعمونيين والأدوميين والعمالقة وفرض عليهم الجزية ، وبذلك أصبح مسيطرا على المنطقة كلها الواقعة بين الفرات والحدود الشرقية لصحراء سيناء • وقد ساعده على ذلك أن الامبراطورية المصرية التى كانت على الدوام صاحبة السيادة فى تلك البلاد وفى العالم القديم كله ، شغلتها

المنازعات الداخلية فى ذلك الحين عن الاهتمام بما يدور فى ولاياتها الأسيوية ، كما كانت دولة الأشوريين قد ضعفت وانكمش سلطانها ، وكانت بلاد سوريا منقسمة الى عدة ولايات صغيرة عاجزة عن صد أى عدوان عليها . فانتهز داود هذه الفرصة ليفرض سيطرته على البلاد المتاخمة لبلاده . ولكن هذه المملكة التى أقامها كانت قصيرة العمر فلم تستمر أكثر من أربعين سنة ، ثم لم تلبث أن انهارت فى عهد ابنه سليمان .

وقد خضع اليهود جميعا لداود فتوطدت مملكته ، وقد أقام ابن أخته « يوآب بن صرورية » قائدا للجيش ، و « يهوشافاط بن أخيلود » مسجلا ، أى بمثابة المستشار أو الوزير ، و « صادوق بن أحيطوب » و « أخيمالك بن أبياثار » كاهنين ، و « سرايا » كاتبا ، أى موظفا كبيرا ، وأقام « بناياهو بن يهوداع » رئيسا للجلادين الذين كانوا بمثابة الشرطة ، كما أقامه رئيسا للسعاة الذين كانوا بمثابة الحرس والخدم الخصوصيين للملك ، وكانوا متمرنين على سرعة السير لتوصيل الرسائل وقضاء الحاجات .

ولم يلبث العمونيون أن تمردوا على داود ، فاستأجروا - كما جاء فى التوراة - اثنين وثلاثين ألف مركبة مع فرسانها من مملكة «صوبة» ، ومن الآراميين القاطنين فى « معكة » وما بين النهرين ، وتحالفوا مع ملك « معكة » وجاءوا لمحاربة داود فأرسل اليهم جيشه بقيادة يوآب لمحاربتهم .

وفى هذه الأثناء اتفق أن كان داود يطل من سطح قصره ذات مساء ، فرأى فى البيت المجاور امرأة تستحم ، وكانت جميلة جدا ، فأرسل يسأل عنها فعلم أن اسمها « بتشبع بنت اليعام » وأنها زوجة رجل اسمه أوريا الحثى ، كان يحارب فى جيش يوآب . فأرسل داود وأخذ المرأة فى قصره واضطجع معها ، فلم تلبث أن حبلت وأرسلت الى داود تخبره بذلك ، فبعث الى يوآب طالبا منه أن يرسل اليه أوريا الحثى زوج هذه المرأة ، فأرسله ، فطلب داود منه أن يذهب ويبيت فى بيته ، فخرج أوريا ولكنه بات عند باب القصر مع

الخدم ولم يدخل بيته ، فاستدعاه داود فى الصباح وسأله عن سبب عـــدم مبيته فى بيته فقال انه لا يليق أن يذهب الى بيته ويأكل ويشرب ويضطجع مع زوجته بينما اخوانه يحاربون فى ساحة القتال • فدعاه داود وأجلسه الى مائدته ، وأعطاه خمرا فأسكره ، ثم طلب منه أن يذهب ويبيت فى بيته ، ولكنه بات أيضا عند باب القصر مع الخدم ولم يدخل بيته ، وعندئذ استدعاه داود وطلب منه أن يعود الى القتال معطيا اياه خطابا مغلقا الى يوآب يطلب اليه فيه أن يضع أوريا فى الصفوف الأولى عند الاشتباك بين المتحاربين حتى يهلك فى أقرب فرصة ، ففعل يوآب ذلك فى اليوم التالى ووضع أوريا حيث اشتدت وطأة القتال فسقط ومات • وعندئذ أرسل داود وأخذ زوجته « بثشـــبع » وتزوجها ، فكانت هى التى ولدت له بعد ذلك سليمان الذى أصبح ملكا بعده •

وحين علم داود أن جيشه بقيادة يوآب قد هزم العمونيين ، ذهب فاستولى على كل مدنهم ، وأخذ كل غنيمتها ، وأخرج كل أهلها ، وقتل بعضهـــم بالفؤوس أو بالمناشير ، وألقى بعضهم الآخر تحت النوارج فمزقتهم ، أو فى الأفران فأحرقتهم ، وهكذا أهلكهم جميعا أبشع هلاك •

وحدث بعد ذلك أن أمنون بن داود من زوجته أخينوعم اليزرعيلية ، عشق أخته الجميلة ثامار ، ابنة داود من زوجته الأخرى معكة بنت تلماى • فادعى أمنون المرض ، حتى اذا جاء أبوه ليراه طلب منه أن يرسل اليه ثامار لتطعمه بيدها • فلما ذهبت ثامار اليه وجاءته بالطعام أمسكها وطلب منها أن تضطجع معه ، فارتاعت ، وحاولت أن تتخلص منه ، ولكنه قهرها واضطجع معها ، ثم ألقى بها خارج بيته ، فمزقت ثيابها ، وهالت التراب على رأسها ، وذهبت فأخبرت شقيقها أبشالوم ، فاستبد به الغضب ، وذهب فقتل أخاه ممنون ، ثم هرب لاجئا الى جده أبى أمه « تلماى بن عميهود » ملك « جشور » التى كانت تقع بين « حرمون » و « باشان » ، فأقام عنده ثلاث سنين • بيد

أن يوآب بن أخت داود وقائد جيشه توسط لأبشالوم لدى داود فصفح عنه ، ومن ثم ذهب يوآب الى جشور وأتى بأبشالوم الى أورشليم ، فمكث هناك وأخذ يتودد الى الشعب فأحبه الجميع • وقد اتخذ له مركبة وخيلا وخمسين رجلا يجرون أمامه أينما ذهب • ثم لم يلبث أن تطلع الى خلع أبيه والمناداة بنفسه ملكا فى مكانه • ومن ثم ذهب الى حبرون ومعه مائة رجل من أتباعه وأرسل جواسيس الى كل أسباط اليهود ليقولوا لهم اذا سمعوا صوت البوق فليعلموا أن أبشالوم قد ملك فى حبرون • فلما سمع داود بهذه المؤامرة خاف وهرب مع كل أهل بيته ، وصعد جبل الزيتون باكيا وهو حافى القدمين • فلما بلغ « بحوريم » بالقرب من أريحا ، خرج عليه رجل من عشيرة بيت شاول اسمه « شمعى بن جيرا » وراح يسبه ويرشقه بالحجارة قائلا له « اخرج • أخرج يا رجل الدماء •• قد رد الرب عليك كل دماء بيت شاول الذى ملكت عوضا عنه ، وقد دفع الرب المملكة ليد أبشالوم ابنك ، وها أنت واقع فى شرك لأنك رجل دماء » (صموئيل الثانى ١٦ : ٧ - ٨) •

ودخل أبشالوم أورشليم ، وحشد جيشا كبيرا بقيادة رجل يسمى « عماسا » وتعقب أباه الذى كان قد عبر الأردن مع كل الذين كانوا معه وجاءوا الى « محنائيم » المسماة اليوم « محنة » فى جبل « عجلون » • ولم يلبث القتال أن نشب فى وعر أفرائيم شرقى الأردن ، فانتصر جنود داود على جنود أبشالوم وقتلوا منهم عشرين ألفا ، وقد ظفر يوآب قائد جيش داود بأبشالوم فقتله وألقى بجثته فى جب ورجمها بالحجارة • وركض رجل اسمه « كوشى » وأخبر داود بموت أبشالوم ، فراح يبكى ويندبه قائلا : « يا ابنى أبشالوم يا ابنى أبشالوم • يا ليتنى مت عوضا عنك يا ابنى أبشالوم » (صموئيل الثانى ١٨ : ٣٣) • واذ علم أن يوآب هو الذى قتل أبشالوم عزله عن قيادة الجيش ، وأقام فى مكانه « عماسا » قائد جيش أبشالوم •

وعبر داود نهر الأردن عائدا الى أورشليم ، وقد انضم اليه كل سبط يهوذا

ونصف الأسباط الأخرى • وكان هناك رجل من سبط بنيامين اسمه « شبع بن بكرى » حرض اليهود على التخلى عن داود ، فأرسل اليه داود الجيش ليقمع فتنته • وفى الطريق تقابل يوآب وعماسا ، فتظاهر يوآب بأنه يعانق عماسا ثم بقر بطنه بسيفه فاندلقت أمعاؤه ومات على الفور ، ثم ذهب يوآب يطارد « شبع بن بكرى » ، وكان قد تحصن فى مدينة « أبل بيت معكة » وهى المسماة اليوم « آبل » شمالى بحيرة الحولة غربى الأردن ، فحاصر يوآب المدينة وشرع فى هدم سورها • وعندئذ خاف أهل المدينة فقطعوا رأس « شبع بن بكرى » ، وألقوا به الى يوآب من فوق السور ، فانصرف يوآب مع جيشه الى أورشليم •

وحدث أن اشتد القحط ثلاث سنوات متوالية ، فأعلن داود أن ذلك بسبب الذين كان شاول قد قتلهم من الجبعونيين ، وهم من بقايا الأموريين الذين كانوا يسكنون جبعون ، فاستدعاهم داود وسألهم عما يرضيهم ، فطلبوا سبع رجال من بنى شاول ليصلبوهم • فأعطاهم الملك ابنى شاول من زوجته « رصفة » ، والأبناء الخمسة لميرب ابنة شاول الذين ولدتهم لعدرئيل بن برزلاى ، فصلبوهم على الجبل فى جبعون ، فمكثت رصفة بجانب جثثهم تحرسها نهارا وليلا من الحيوانات وطيور السماء حتى تحللت ولم يبق منها الا العظام • فلما سمع داود بذلك أخذ عظامهم ودفنها مع شاول ويوناثان فى أرض بنيامين •

وقد أحصى داود كل أسباط اليهود فى عهده فكانوا مليون وثلاثمائة ألف رجل غير النساء والشيوخ والأطفال • ولم يلبث أن تفشى بعد هذا الاحصاء وباء قتل من اليهود سبعين ألفا •

وكان فى أيام داود نبى اسمه جاد ، وقد جاء الى داود وأشار عليه بأن يبنى مذبحا للرب فى حقل أرنان اليبوسى فوق جبل المريا شرقى أورشليم • فاشترى داود ذلك الحقل بخمسين شاقلا من الفضة وبنى هناك مذبحا ، وفى موضع هذا المذبح بنى سليمان بعد ذلك هيكل أورشليم •

وحين شاخ داود ، كانوا يدثرونه بالثياب فلا يدفأ ، فراحوا يبحثون له عن فتاة عذراء لتضطجع فى حضنه فيدفأ ، فوجدوا فتاة جميلة جدا تسمى «أبيشج» الشونمية فأدخلوها عليه .

ولم يلبث « أدونيا » ابن داود من زوجته « حجيث » أن سلك مسلك أخيه أبشالوم ، اذ تطلع لأن يملك فى مكان أبيه ، فاتخذ لنفسه عجلات وفرسانا وخمسين رجلا يركضون بين يديه . وقد تحالف مع يوآب قائد الجيش ، وأبياثار الكاهن . وكان داود قد وعد ابنه سليمان بأن يملك بعده ، فدخلت بثشبع أم سليمان وأنبأت داود بما يدبره أدونيا ، فاستدعى صادوق الكاهن وناثان النبى وبناياهو بن يهوياداع وأمرهم بأن يأخذوا سليمان الى جيحون ويمسحوه هناك ملكا ، فأخذوه الى هناك ومسحوه ملكا وضربوا بالبوق ، فاجتمع الشعب هاتفين « يحيا الملك سليمان » وكان أدونيا قد أقام وليمة لأنصاره ، فلما سمع هتاف الشعب وعلم بما حدث ارتعد وأسرع الى المذبح محتميا به ، وأرسل الى سليمان ملتمسا عفوه ، فعفا عنه سليمان .

وحين حضرت الوفاة داود استدعى ابنه سليمان وزوده بوصاياه ، ومنها أن يتمسك بشريعة موسى ، وأن يبنى هيكل أورشليم ، وأن ينتقم من « يوآب » ابن أخته وقائد جيشه لأنه خانه ، وقد قال داود لسليمان : « لا تدع شيبته تنحدر بسلام الى الهاوية » وأوصاه بأن ينتقم كذلك من « شمعى بن جيرا » البنياميني ، لأنه سبق وقذفه بالحجارة يوم هروبه من وجه أبشالوم ، وقد قال داود لسليمان « أحدر شيبته بالدم الى الهاوية » .

ومات داود فى نحو عام ١٠١٥ قبل الميلاد ، بعد أن ملك أربعين سنة ، منها سبع سنين على سبط يهوذا فى حبرون ، وثلاث وثلاثون سنة على كل أسباط اليهود فى أورشليم . وكان عند موته فى السبعين من عمره . وقد دفنه ابنه سليمان فى مدينة داود عند أسوار أورشليم .

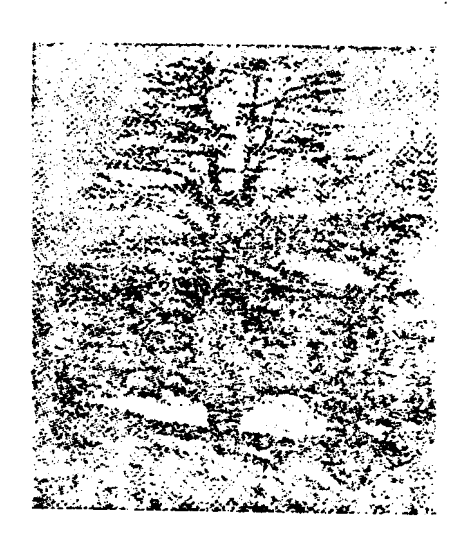
٣ - سليمان :

وكان سليمان فى العشرين من عمره حين خلف أباه داود عام ١٠١٥ قبل الميلاد • وكان أول ما فعله أنه قتل أخاه أدونيا لأنه كان يزاحمه فى عرشه ، وطرد أبياثار الكاهن لأنه كان مناصرا لأدونيا • وحين علم بذلك يوآب قائد الجيش - وكان هو أيضا مناصرا لأدونيا - خاف وهرب محتميا بالمذبح ، فأرسل سليمان « بناياهو بن يهوداع » فقتله فى المذبح • كما أرسل فقتل « شمعى بن جيرا » لأنه كان قد أساء الى أبيه • وهكذا تخلص سليمان من منافسيه وأعدائه ، فاستتب له الملك •

وقد أراد سليمان أن يحتمى بقوة مصر فتزوج احدى بنات فرعون ، وأحاط نفسه بنخبة من الرجال الأقوياء ليساندوا عرشه ، فأقام « عزرياهو بن صادوق » كاهنا ، و « اليحورث » و « أخيا » ابنا « شيشا » كاتبين،و«يهوشافاط بن أخيلود » مسجلا ، أى وزيرا ، و « بناياهو بن يهوياداع » قائدا للجيش كما أقام له اثنى عشر وكيلا فى مختلف أنحاء مملكته • وقد ظهر بمظهر العظمة ، وأسرف فى كل شىء : فقد صنع لنفسه عرشا من العاج المغشى بالذهب ، يصعد اليه على ست درجات تقف عند أطرافها تماثيل اثنى عشر أسدا من الذهب ، وكانت جميع آنيته من الذهب كذلك • وكان بيته يستهلك كل يوم من الطعام مقادير ضخمة • وقد جاء عن ذلك فى سفر الملوك « وكان طعام سليمان لليوم الواحد ثلاثين كر سميذ ، وستين كر دقيق (والكر يساوى نحو ٢٣٠ لترا) ، وعشرة ثيران مسمنة ، وعشرين ثورا من المراعى ، ومائة خروف ، ما عدا الأيائل والظباء واليحامير والأوز المسمن » (الملوك الأول ٤ : ٢٢ و ٢٣) •

وقد شرع سليمان يبنى هيكل أورشليم ، فأرسل الى حيرام ملك صور الذى كان صديقا لأبيه داود ، يطلب اليه أن يمده بخشب الأرز وبالبنائين والنجارين • فأرسل اليه حيرام ما أراد ، فى حين كان سليمان يرسل اليه

في نظير ذلك كل عام عشرين ألف كر من الحنطة ، وعشرين ألف كر من الشعير ، وعشرين ألف كر من الزيت ، وعشرين ألف كر من الخمر . وقد أرسل سليمان ثلاثين ألفا من اليهود الى لبنان ليقطعوا الخشب مع رجال حيرام . كما سخر من الأجانب المقيمين فى بلاده سبعين ألفا لحمل الأحمال وثمانين ألفا لقطع الحجارة من الجبل ، يشرف عليهم جميعا ثلاثة آلاف وثلاثمائة رجل . حتى اذا تم اعداد الأخشاب والحجارة بدأ بناء الهيكل فى الحقل الذى سبق أن اشتراه داود من أرنان اليبوسى فوق جبل المريا شرقى



شجرة الأرز اللبنانية

أورشليم . وكان الشروع فى البناء كما جاء فى سفر الملوك « فى السنة الأربعمائة والثمانين لخروج بنى اسرائيل من مصر ، فى السنة الرابعة للملك سليمان على اسرائيل » . وقد استخدم سليمان فى بنائه مقادير ضخمة من الحجر والخشب والذهب والنحاس . وقد تم البناء فى سبع سنين . ثم نقل سليمان تابوت العهد ، وخيمة الاجتماع من مدينة داود الى الهيكل فى احتفال عظيم . وقد جاء فى سفر الملوك أنه ذبح أثناء هذا الاحتفال اثنين وعشرين

ألفا من البقر ، ومائة وعشرين ألفا من الغنم • وأمر بأن يستمر تقديم المحرقات فى السبوت والأهلة ، وفى عيد الفطير ، وعيد الأسابيع ، وعيد المظال ، وعين لخدمة الهيكل الكهنة واللاويين والبوابين •

ثم بنى سليمان لنفسه قصرا ليقيم فيه عرشه ، استخدم فى بنائه مقادير ضخمة من الحجر والخشب والذهب والنحاس ، وقد تفنن فى زخرفته وأسرف فى ضخامته وفخامته حتى لقد استغرق بناؤه ثلاث عشرة سنة • ثم بنى قصرا ثانيا لزوجاته ــ وقد كان له ألف زوجة ــ وبنى قصرا ثالثا لزوجته المصرية ابنة فرعون لتقيم فيه وحدها تعظيما لقدرها وسعيا لاكتساب رضى أبيها • وأحاط هذه القصور بحدائق شاسعة جاب لها الماء من مكان بعيد به آبار لا تزال معروفة حتى اليوم ببرك سليمان •

وقد أحاط سليمان « أورشليم » بأسوار حصينة • كما قام بتحصين مدينة « حاصور » التى كانت من قبل عاصمة مملكة الكنعانيين فى شمال فلسطين ، كما قام بتحصين مدينة « مجدو » التى كانت من قبل من أملاك الكنعانيين أيضا ، وكانت تقع على مسافة عشرين ميلا جنوب شرقى حيفا ، وهى التى كان قد استولى عليها رمسيس الثالث فرعون مصر فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد فى موقعة مجدو الشهيرة • وقام سليمان باعادة بناء المدن التى أعطاها له حيرام ملك صور ، وأسكن فيها بنى اسرائيل • كما أعاد بناء مدن كثيرة أخرى منها مدينة « بعلة » و « تدمر » التى كانت تقع فى الشمال الشرقى من دمشق بين سوريا وما بين النهرين ولا تزال آثارها قائمة الى اليوم فى وسط الصحراء ، ومدينة « جازر » وهى مدينة كنعانية قديمة كان فرعون ملك مصر قد غزاها وأحرقها ثم أعطاها مهرا لابنته زوجة سليمان ، فأعاد سليمان بناءها ، وهى تقع على بعد ثمانية عشر ميلا شمال غربى أورشليم ، كما أعاد سليمان بناء مدينتى « بيت حور العليا » المسماة اليوم « بيت عور الفوقة » و « بيت حور السفلى » المسماة اليوم « بيت عور التحتة » وكانتا

تقعان على بعد اثنى عشر ميلا شمالى أورشليم على حدود أرض سبطى أفرائيم وبنيامين • وكان سليمان قد أخضع من تبقى من الأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، فاستعبدهم وسخرهم فى بناء هذه المدن •

وكانت نفقات سليمان المسرفة فى البذخ لا تكفى لها الضرائب والمكوس والجزيات والهدايا ، فراح يشتغل بالتجارة • وقد بنى لذلك الغرض أسطولا من السفن فى « عصيون جابر » الى جانب « ايله » على شاطىء بحر سوف الذى هو خليج العقبة فى أرض أدوم • وقد أرسل اليه حيرام ملك صور فريقا من صانعى السفن والنجارين ، فكانوا يصنعون له السفن ويبحرون بها فيأتون له بالذهب والفضة والأحجار الكريمة والعاج وخشب الصندل وغير ذلك من « أوفير » وهى البلاد الواقعة جنوبى البحر الأحمر وجنوبى آسيا ، فكان يتاجر بهذه السلع ، وكان يشترى من مصر المركبات والخيل ، فيستبقى بعضها لنفسه ويبيع باقيها لملوك الحثيين والآراميين ، فيكون له فى ذلك مكسب عظيم ، وقد بلغ ما اقتناه لنفسه ألف وأربعمائة مركبة ، يمتطيها اثنا عشر ألف فارس •

وقد ذاعت شهرة سليمان فى عصره لما كان عليه من حكمة ، وما كان يحيط به نفسه من بذخ ، ومن ثم سمعت به ملكة سبأ التى يسميها البعض بلقيس ، والتى كانت تحكم مملكة تمتد من اليمن الى الحبشة • وقد أشار اليه الانجيل باسم ملكة التيمن أى الجنوب ، فجاءت لتتحقق بنفسها مما سمعته ، وجاءت معها بهدايا ثمينة من ذهب وأحجار كريمة وأطياب نفيسة ، فأكرمها سليمان اكراما عظيما ، وأظهر لها من حكمته وثروته ما أدهشها ، فأقامت عنده أياما ، ثم عادت الى بلادها مسرورة راضية • وفى تقاليد الأحباش أنها أثناء اقامتها عنده اضطجعت معه وحبلت منه بولد هو أصل السلالة الملكية فى الحبشة • ولذلك فان من ألقاب ملك الحبشة أنه « الأسد الخارج من سبط يهوذا » ، اذ كان سليمان من سبط يهوذا •

وكان سليمان محبا للنساء ، ولذلك اتخذ لنفسه عددا كبيرا جدا من الزوجات والسراري من كل الأجناس وكل الديانات . ولم يكتف بذلك ، وانما أقام معبدا للاله الذي تعبده كل منهن وعبده هو نفسه . وكان يبني هذه المعابد الوثنية على جبل الزيتون تجاه هيكل أورشليم . وفي ذلك تقول التوراة في سفر الملوك « وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات ، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة . وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري ، فأمالت نساؤه قلبه . وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى .. فذهب سليمان وراء عشتورت الهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العمونيين ، وعمل سليمان الشر في عيني الرب .. حينئذ بنى سليمان مرتفعة (أي معبدا وثنيا) لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ، ولمولك رجس بني عمون . وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللاتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن » (الملوك الأول ١١ : ١ - ٨) . فلما رأى اليهود أن سليمان عاكف هكذا على ملذاته ، ساعيا الى الاكثار من زوجاته وأمواله ومقتنياته ، مثقلا رعاياه بالضرائب والمكوس ، كرهوه وحقدوا عليه .

ولم يلبث أن قام لسليمان خصوم يهددون عرشه . اذ حدث حين حارب داود الأدوميين وأفناهم أن كان لملكهم ابن صغير يسمى « هدد » استطاع أن يهرب مع عدد من عبيد أبيه الى مصر ، ولجأ الى فرعون فأكرمه وزوجه أخت زجته الملكة « تحفنيس » . فلما سمع هدد بأن داود قد مات عاد الى مصر وراح يناوىء سليمان ويسعى الى اسقاطه . وكان هناك رجل آخر يدعى « رزون بن أليداع » كان قد هرب من سيده « هدد عزر » ملك صوبة ، وجمع حوله رجالا غزا بهم دمشق واستولى عليها ، وراح يناوىء سليمان حتى أرهقه ارهاقا شديدا . وكان هناك رجل ثالث يدعى « يربعام بن نباط »

من سبط أفرائيم ، وكان عبدا لسليمان ، ولكنه تمرد عليه وتطلع لان يملك في مكانه ، فأراد سليمان أن يقتله فهرب الى مصر .

وقد مات سليمان عام ٩٧٥ قبل الميلاد وهو في الستين من عمره بعد أن ملك على اليهود أربعين سنة ، فدفن في مدينة داود وخلفه ابنه رحبعام الذى كان عندئذ في الحادية والأربعين من عمره .

٤ ــ ملوك « يهوذا » و « اسرائيل » :

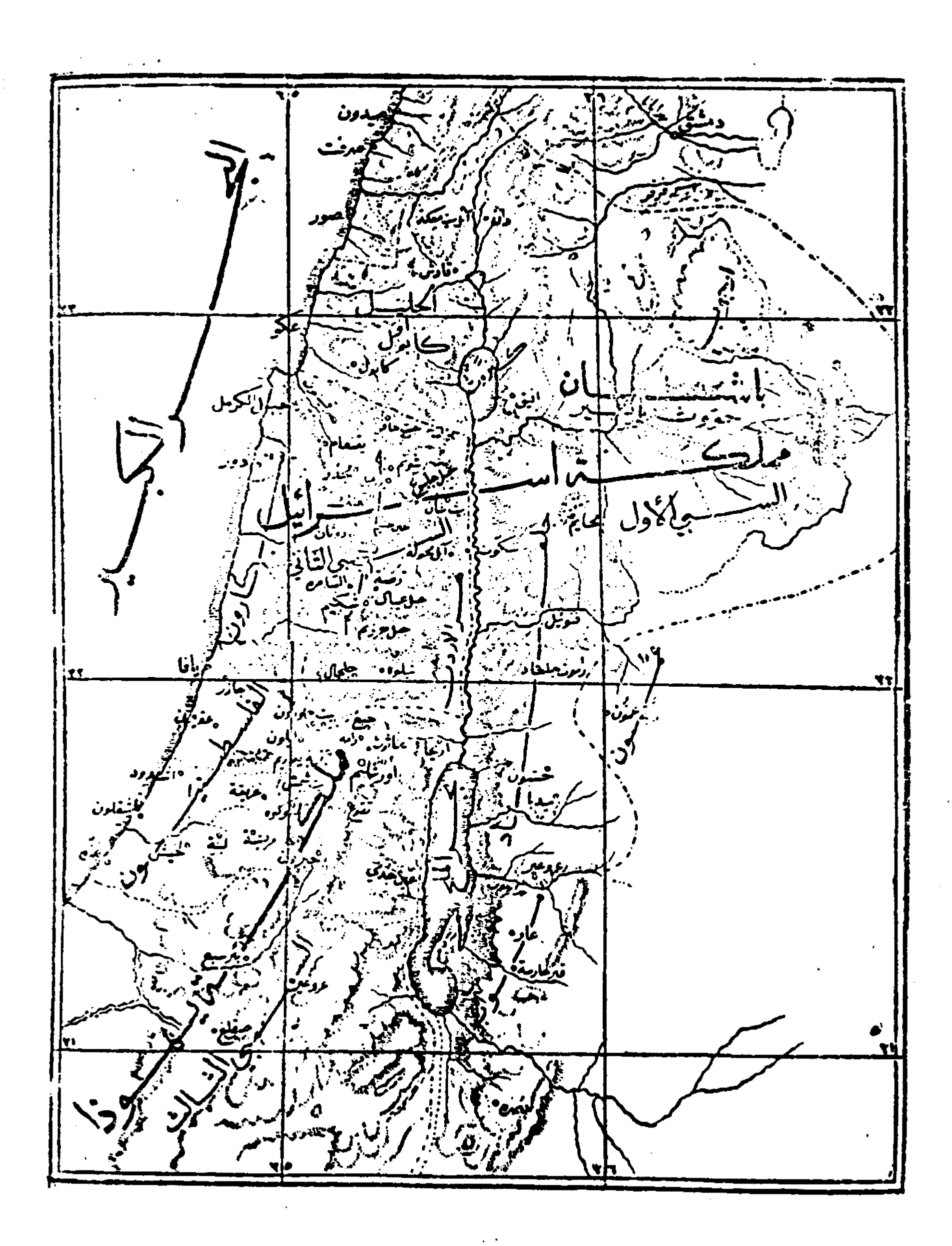
رحبعام ملك يهوذا ، ويربعام ملك اسرائيل :

وفي بداية عهد رحبعام ، الذى جلس على عرش أبيه سليمان عام ٩٧٥ قبل الميلاد ، انقسمت مملكة اليهود الى مملكتين . فقد حدث أن « يربعام بن نباط » الذى كان قد تمرد على سليمان وهرب الى مصر ، حين سمع بموت سليمان عاد من مصر وبدأ يستعد لمزاحمة رحبعام في عرشه . واذ كان قد بلغته أخبار رعونة رحبعام ، نصب له شركا فأقنع اليهود بأن يستدعوه الى شكيم المسماة اليوم نابلس لتنصيبه ملكا عليهم . فلما ذهب رحبعام الى هناك تقدم اليه يربعام وقال له نيابة عن الجميع أن أباه سليمان قد أثقل كاهل الشعب بالضرائب وأعمال السخرة حتى جعل الكل عبيدا له . فان خفف هو عنهم هذا النير وهذه العبودية بايعوه ملكا عليهم . فأجاب رحبعام قائلا « أبي ثقل نيركم وأنا أزيدكم على نيركم . أبي أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب » . فغضب سائر الأسباط وأقاموا يربعام ملكا عليهم في شكيم ، وكان ذلك عام ٩٧٥ قبل الميلاد . فلم يبق مع رحبعام الاسبط يهوذا وسبط بنيامين ومن ثم هرب الى أورشليم وجمع جيشا من الموالين له بلغ ــ كما جاء في سفر الملوك ــ مائة وثمانين ألفا ، لمحاربة يربعام والأسباط التى معه . ولكن « شمعيا » الذى كانوا يعتبرونه نبيا ويطيعونه نهاهم عن القتال قائلا لهم ان

الله قد أراد أن تتمزق مملكة اليهود بسبب ما ارتكبوا من شرور ، فأذعنوا لقوله وتفرقوا . وهكذا لم يبق لمملكة يهوذا سوى سبطا يهوذا وبنيامين وكان ملكها رحبعام وعاصمتها أورشليم ، وأما بقية الأسباط فأقاموا لهم مملكة أخرى هي مملكة اسرائيل وكان ملكها يربعام وعاصمتها شكيم .

وقد خشي يربعام بن نباط أن تذهب الأسباط الخاضعة له لتقديم ذبائحها في هيكل أورشليم فترتد الى الولاء لرحبعام ، فصنع صنمين على صورة عجلين من الذهب وأقام واحدا منهما في « دان » في أقصى الشمال من مملكته والآخر في « بيت ايل » في أقصى الجنوب ، وطلب الى شعبه عبادتهما ، وبنى معابد وثنية وأقام فيها كهنة من غير اللاويين ، وجعل نفسه رئيسا لهم . وقد جعل عاصمة ملكه في البداية « شكيم » ، ثم نقل العاصمة الى « فنوئيل » بالقرب من « سكوت » شرقي الأردن ، ثم نقلها مرة أخرى الى ترصة المسماة اليوم « تل الفرعة » بالقرب من نابلس غربي الأردن .

وأما رحبعام بن سليمان فقد قام بتحصين كثير من مدن مملكته . وظلت الحرب ناشبة بينه وبين يربعام . وقد اتخذ كل من الملكين حلفاء له يناصرونه ضد الآخر ، فسارع رحبعام الى محالفة ملك دمشق ، وسارع يربعام الى محالفة ملك مصر . وفي السنة الخامسة لرحبعام هجم شيشنق ملك مصر - وقد ورد اسمه في التوراة شيشق - على مملكته بجيش يتكون من ستين ألف فارس ، وألف ومائتي مركبة ، ومعه أعداد كبيرة من الليبيين والسكيين والكوشيين ، ونهب مدنها ، ثم دخل أورشليم واستولى على خزائن الهيكل ونفائسه ، كما استولى على خزائن بيت الملك . وكان شيشنق هذا هو أول ملوك الأسرة الثانية والعشرين الفرعونية ، وقد نقش صورته على جدران معبد الكرنك مع الأسرى الذين جاء بهم من غزواته ، ومنهم واحد تدل تقاطيع سحنته على أنه يهودي ، قد كتب تحته « مملكة يهوذا » . كما كتب شيشنق



« مملكة اسرائيل ومملكة يهوذا »

على جدران معبد الكرنك أسماء المدن التى غزاها فى آسيا ، فكانت كثير منه مطابقة لأسماء المدن التى جاء فى سفر أخبار الأيام أن رحبعام قام بتحصينها ، فقد جاء فى ذلك السفر انه « بنى مدنا للحصار فى يهوذا ، فبنى بيت لحم وعيطام وتقوع وبيت صور وسوكو وعدلام وجت ومريشة وزيف وأدورايم ولخيش وعزيقة وصرعة وأيالون وحبرون » (الأيام الثانى ١١ : ٥ - ١٠) . وقد جاء ضمن المدن التى ذكرها شيشنق : « تقوعان » وهى « تقوع » و « سوكة » وهى « سوكو » ، و « عدولما » وهى « عدولام » و « أدورام » وهى « أدورايم » ، و « صرعتان » وهى « صرعة » . و « أبولون » وهى



« شيشنق فرعون مصر »

« أيالون » . وعلى الرغم من أن كل الكهنة واللاويين الذين كانوا فى مملكة اسرائيل تركوها وهاجروا الى مملكة يهوذا - لأن يربعام قد ترك عبادة الله هو وشعبه كما رأينا وعبدوا الأصنام - فقد فعل اليهود الذين فى مملكة يهوذا فى عهد رحبعام ما فعله اخوانهم الذين فى مملكة اسرائيل وعلى رأسهم ملكهم رحبعام نفسه ، اذ عبدوا الأصنام وأقاموا لها المعابد . فقد جاء فى سفر الملوك أنهم « بنوا هم أيضا لأنفسهم مرتفعات وأنصابا وسوارى على كل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء .. حسب كل أرجاس الأمم » (الملوك الأول ١٤ : ٢٣ و ٢٤) . وجاء فى سفر أخبار الأيام ، ولما تثبتت مملكة

رحبعام وتشددت ترك شريعة الرب كل اسرائيل معه»(الأيام الثانى ١٢ : ١) وقد اتخذ رحبعام لنفسه ثمانى عشرة زوجة ، وستين سرية ، وأنجب ثمانية وعشرين ابنا وستين ابنة • وقد مات عام ٩٥٨ قبل الميلاد وهو فى الثامنة والخمسين من عمره بعد أن ملك فى يهوذا سبع عشرة سنة ، فخلفه أبيا وهو ابنه من زوجته معكة •

ابيا ملك يهوذا :

ولم تلبث الحرب أن نشبت بين أبيا ملك يهوذا ويربعام ملك اسرائيل • وقد جاء فى سفر الملوك أن الأول حشد أربعمائة ألف رجل ، وأن الثانى حشد ثمانمائة ألف رجل • وأن أبيا انتصر على يربعام وقتل من جيشه خمسمائة ألف رجل وأخذ من مدينة « بيت ايل » وأرباضها ، ومدينة «يشانه» وأرباضها ، وهى المسماة اليوم « الأسانة » ، ومدينة « عفرون » وأرباضها ، وهى المسماة اليوم « عفرائين » أو « عفرايم » • وقد اتخذ أبيا لنفسه أربع عشرة امرأة ، وأنجب اثنين وعشرين ابنا ، وست عشرة ابنة ، وسار سيرة أبيه فعبد الأصنام فى المشارف التى أقامها أبوه فى بيت ايل ، ودعا شعبه لعبادتها معه • وقد مات عام ٩٥٥ قبل الميلاد ، بعد أن ملك على يهوذا ثلاث سنين فخلفه ابنه آسا •

ناداب ملك اسرائيل :

وأما يربعام ملك اسرائيل فلم يعش بعد هزيمته من أبيا سوى سنتين قضاهما ذليلا مبتئسا ، ثم مات عام ٩٥٤ قبل الميلاد ، بعد أن ملك على اسرائيل اثنين وعشرين عاما ، فخلفه ابنه ناداب ، ولكنه لم يعش كذلك سوى سنتين ، ففى أثناء حرب كان يخوضها ضد الفلسطينيين اغتاله

« يعشا بن أخيا » من سبط يساكر واغتصب عرشه ، وقتل كل ذويه فلم يترك منهم أحدا ، وقد ألقى جثثهم فى العراء فأكلتها الطيور والكلاب •

آسا ملك يهوذا :

وقد اهتم آسا بن أبيا ملك يهوذا بتقوية جيشه حتى لتذكر التوراة أن عدد جنوده بلغ ثلاثمائة ألف من سبط يهوذا ومائتين وثمانين ألفا من سبط بنيامين ، فكان جيشا مرهوب الجانب • كما تذكر التوراة أن زارح الكوشى هجم عليه بجيش يبلغ مليون جندى تتقدمه ثلاثمائة مركبة فهزمه عند « مريشة » فى الجنوب الشرقى من « بيت جبرين » وأباد معظم جيشه وطارده حتى جرار ونهب المدن التى مر بها واستولى منها على غنيمة عظيمة ، ثم عاد الى أورشليم • ويعتقد فريق من المؤرخين أن زارح هذا هو « أوسركن الاول » الذى خلف أباه « شيشنق » على عرش مصر ، وقد كان هذا الملك من أصل ليبى • ويعتقد فريق آخر بأن زارح هو « أوسركن الثانى » وهو أيضا من سلالة « شيشنق » • فى حين يعتقد فريق ثالث أن تلقيبه بالكوشى يدل على أنه من سلالة كوش بن حام التى استوطنت جنوب الجزيرة العربية وبعض بلاد النوبة والحبشة • وكان فى عهد آسا نبى يسمى « عزريا بن عوديد » ، وقد كان يحضه على عبادة الله ، فجدد مذبح أورشليم ، ثم قام بتحطيم الاصنام والتماثيل التى صنعها آباؤه ، حتى اذا صنعت أمه « معكة » تمثالا لعشتاروت كى تعبده نزع عنها لقب الملكة وحطم التمثال وأحرقه فى وادى قدرون • لكنه أبقى على المعابد الوثنية التى كانت فى مملكته فلم يهدمها •

وفى السنة السادسة والثلاثين من عهد آسا نشبت الحرب بينه وبين بعشا ملك اسرائيل ، اذ أقام بعشا قلعة فى الرامة ليسد الطريق على آسا ، فما كان من هذا الا أن أخذ الذهب والفضة الباقية فى خزينة الهيكل وخزينة بيت الملك وأرسلها الى الملك بنهدد ملك الآراميين فى دمشق كى يهاجم أملاك

بعشا فيكف هذا عن مهاجمة أملاكه ، فاستجاب له وضرب كثيرا من مدن اسرائيل الشمالية ، ومنها « دان » في سفح جبل حرمون ، و « عيون » المسماة اليوم « مرج عيون » شمال غربي بانياس ، و « آبل بيت معكة » المسماة اليوم « آبل » شمالي بحيرة الحويلة غربي الاردن ، و « كروت » وهي الارض المحيطة بمدينة « كنارة » على الضفة الشمالية الغربية من بحر الجليل ، وقد عرفت فيما بعد بأرض جنيسارت • كما ضرب بنهدد كل أرض نفتالي ، ومن ثم هجم آسا على القلعة التي بناها بعشا في الرامة وأخذ كل أحجارها وأخشابها وبنى بها قلعتين له في المصفاة شمالي أورشليم ، و « جبع بيامين » المسماة اليوم « جبع » شرقي أورشليم • بيد أن نبيا اسمه حناني جاء بعد ذلك الى آسا ووبخه لانه استنجد بالآراميين الوثنيين وأنذره بسوء العاقبة ، فغضب عليه آسا وألقى به في السجن •

وقد ملك آسا على يهوذا احدى وأربعين سنة ثم مات عام ٩١٤ قبل الميلاد ، فخلفه ابنه يهوشافاط •

بعشا وايله وزمري وعمري واخاب ملوك اسرائيل :

وأما بعشا فقد ملك على اسرائيل عام ٩٥٣ قبل الميلاد وظل يحكمها أربعا وعشرين سنة ، وقد عبد الاصنام كآبائه ثم مات عام ٩٣٠ قبل الميلاد ، فخلفه ابنه ايلة ، ولكنه لم يحكم سوى سنتين • ففي عام ٩٢٩ قبل الميلاد قتله عبده زمري وجلس على عرشه وقتل كل ذويه وأصحابه فلم يبق منهم واحدا ، ولكن زمري لم يملك غير سبعة أيام ، اذ لم يلبث عمري قائد الجيش أن حاصره فدخل القصر الملكي وأحرقه على نفسه فمات ، ومن ثم أعلن عمري نفسه ملكا على اسرائيل ، فقام تبني بن جينة ينازعه على الملك ولكنه تغلب عليه بعد خمس سنوات وقتله ، ثم حكم اثنتي عشرة سنة ، قضى منها ست سنوات في « ترصة » التي كانت عاصمة ملك يربعام بن نباط وخلفائه • ثم اشترى

عمرى جبلا من رجل اسمه « سامر » وأقام عليه مدينة سماها « السامرة » على اسم صاحب الجبل ، وجعلها عاصمة لمملكته ، وقد عبد عمرى الاصنام كأسلافه . فلما مات عام ٩١٧ قبل الميلاد خلفه ابنه آخاب .

وقد ظل آخاب يحكم اسرائيل اثنتين وعشرين سنة ، وقد تزوج من ايزابيل ابنة أثبعل ملك صيدون المسماة أيضا صيدا ، وهى مدينة فينيقية قديمة كانت قائمة على جانب من رأس ناتىء فى الساحل الممتد بين جبال لبنان والبحر المتوسط على بعد اثنين وعشرين ميلا شمالى صور . وكان الصيدونيون يعادون اليهود ولا يفتأون يعتدون عليهم ، وقد كانت ايزابيل شديدة التأثير على آخاب ، فعبد انهيها بعل وعشتاروت ، وقد بنى لهما معابد فى السامرة ذاتها ، وأقام لبعل أربعمائة وخمسين كاهنا ، كما أقام لعشتاروت أربعمائة كاهن ، بينما راح يقتل الكهنة الذين يعبدون الله ، حتى قضى على معظمهم ، وحتى لقد أشفق عليهم عوبديا المكلف بقتلهم فأخفى مائة منهم فى بعض المغارات ، وكان يمدهم بالخبز والماء .

ومن أمثلة الظلم الذى ارتكبه آخاب بتأثير زوجته ايزابيل ، أنه كان قد بنى له قصرا فى « يزرعيل » المسماة اليوم زرعين ، وكان لرجل اسمه نابوت بجانب القصر كرم ورثه عن أبيه ، فطلب اليه الملك أن يبيعه له لينشىء فى مكانه حديقة لقصره ، ولكن الرجل اعتذر بأنه لا يستطيع أن يبيع ميراث أبيه ، فجمعت ايزابيل شيوخ المدينة وحرضتهم على اتهام نابوت بأنه سب الله وأهان الملك وأشهدت عليه شاهدى زور ، فحكموا عليه بالموت ، ورجموه بالحجارة حتى مات ، فاستولى الملك على كرمه .

وقد ظهر ايليا النبى فى عهد آخاب ، وكان من مدينة تشبة ، وبذلك لقب بالتشبى ، وكان يقيم فى جلعاد ، وكان يوبخ اليهود على آثامهم ، ويؤنب آخاب على عبادته للاصنام ، ويصنع المعجزات التى تدل على أنه كان مرسلا من الله . وكان آخاب دائم البحث عنه ليقتله .

ولم يلبث بنهدد ملك آرام التى هى سوريا أن جمع معه اثنين وثلاثين ملكا من الخاضعين له ، وزحف الى السامرة عاصمة آخاب وحاصرها .وقد تخاذل آخاب أول الامر ، وأوشك أن يستسلم له ويسلم اليه نساءه وأبناءه وما يملك من ذهب وفضة . ولكنه لم يلبث أن تشجع وقاومه فاستطاع أن يرده . ثم عاد بنهدد فى السنة التالية فزحف الى السامرة أيضا وحاصرها ، ولكن آخاب استطاع أن يرده فى هذه المرة كذلك . ثم تحالف معه ، على أن يرد بنهدد الى آخاب المدن التى أخذها أبوه من أبيه ، وأن يفتح كل منهما أسواق بلده لتجارة الأخر . ويبدو أن آخاب قد آثر التحالف مع بنهدد ملك آرام خوفا من شلمناصر الثالث ملك آشور الذى كان فى ذلك الحين يهدد مملكتى اسرائيل وآرام معا . وقد وردت فى الآثار الاشورية نصوص تفيد أن آخاب أرسل ألفى مركبة وعشرة آلاف جندى ليشتركوا مع جيش الآراميين ضد شلمناصر الثالث ملك آشور وأن هذا انتصر عليهم فى معركة « قرقر » بالقرب من حماة ، ولكن بنهدد لم يف بوعده فلم يرد الى آخاب مدينة راموت جلعاد . فتحالف آخاب مع يهوشافاط ملك يهوذا لمحاربة بنهدد . وقد استشار آخاب أربعمائة من الانبياء الوثنيين فى مملكته فنصحوه بأن يخوض هذه الحرب مؤكدين له أنه سينتصر فيها ، ولكن نبيا من أنبياء الله اسمه « ميخا بن يملة » نصحه بألا يخوض هذه الحرب محذرا اياه بأنه سينهزم فيها ، فألقى به الملك فى السجن وأمر بالتضييق عليه ، ثم زحف مع يهوشافاط ملك يهوذا على راموت جلعاد . بيد أنه ما بدأ القتال حتى سقط آخاب قتيلا ، فأخذوه ودفنوه فى السامرة وخلفه ابنه أخزيا .

يهوشافاط ويهورام ملكا يهوذا :

وكان يهوشافاط فى الخامسة والثلاثين من عمره حين ملك فى يهوذا مكان أبيه آسا . وقد تمسك بالشريعة اليهودية ، ومع ذلك ظل اليهود فى عهده يعبدون الاصنام . وقد صاهر آخاب ملك اسرائيل ، وكان متحالفا معه،

وحصن كثيرا من مدن يهوذا ، واهتم بتقوية الجيش ، وقد حدث أن جاء الموآبيون والعمونيون وسكان جبل سعير ، وهاجموا حصون ثامار في الجنوب الغربي من البحر الميت ، فخرج اليهم يهوشافاط بجيشه وهزمهم ، وأوقع بهم فحاربوا بعضهم بعضا ، ثم نهب أموالهم وكانت كثيرة جدا حتى أن رجاله ظلوا ثلاثة أيام ينقلونها • وقد بنى يهوشافاط بالاشتراك مع آخاب ملك اسرائيل سفنا لتجلب الذهب من شرق أفريقيا وجنوب آسيا ، ولكنها تحطمت في « عصيون جابر » ، عند الطرف الشمالي من خليج العقبة بالقرب من مرفأ ايلات ، ثم مات يهوشافاط عام ٨٩٢ قبل الميلاد وكان في الستين من عمره ، بعد أن ملك على يهوذا خمسا وعشرين سنة ، فخلفه ابنه يهورام •

وكان يهورام في الثامنة والثلاثين من عمره حين خلف أباه ، وكان له ستة اخوة ، فكان أول ما فعله أنه قتلهم جميعا • كما قتل كثيرا من الرؤساء في مملكته ، وقد تزوج عثليا بنت آخاب ملك اسرائيل ، ففعلت كما فعلت أمها ايزابيل ، اذ أغرت زوجها على عبادة آلهتها الوثنية ، فأقام لها معابد في أورشليم وعلى جبال يهوذا ، ولذلك كتب اليه ايليا النبي قائلا ، كما جاء في سفر أخبار الأيام « من أجل أنك لم تسلك في طريق يهوشافاط أبيك وطرق آسا ملك يهوذا ، بل سلكت في طرق ملوك اسرائيل ، وجعلت سكان يهوذا وسكان أورشليم يزنون كزنا بيت آخاب ، وقتلت أيضا اخوتك من بيت أبيك الذين هم أفضل منك ، هوذا يضرب الرب شعبك وبنيك ونساءك وكل مالك ضربة عظيمة » (أخبار الأيام الثاني ٢١ : ١٢ - ١٤) •

وفي عهد يهورام تمرد الأدوميون على حكم مملكة يهوذا وأقاموا لهم ملكا من جنسهم ، بعد أن كانوا منذ عهد داود يؤدون الجزية ، فزحف عليهم يهورام بجيشه ، ولكنه عجز عن اخضاعهم • كما تمردت عليه مدينة « لبنة » التي كانت تقع على الساحل بين « مقيدة » ولخيش في سهول يهوذا ، وكان يسكنها نسل هارون ولم يلبث الفلسطينيون والعرب المجاورون للكوشيين

أن هاجموا مملكة يهوذا ووصلوا الى أورشليم ونهبوا أموال بيت الملك وسبوا أبناءه ونساءه . فلم يتركوا الا يهوآحاز أصغر أبنائه ، الذى كان يسمى أيضا أخزيا ، ثم قفلوا راجعين . وأما يهورام فأصيب بداء فى أمعائه ظل يعذبه سنتين ، ثم مات عام ٨٨٥ قبل الميلاد ، بعد أن ملك ثمانى سنين ، فخلفه ابنه الاصغر أخزيا ، لأن كل أبنائه الآخرين قد قتلهم الغزاة الذين أغاروا على مملكته فى أيامه .

أخزيا ويهورام ملكا اسرائيل :

أما أخزيا بن آخاب فقد ملك على اسرائيل عام ٨٩٨ قبل الميلاد ، وسار سيرة أبيه وأمه فى عمل الشر وعبادة الاصنام . وفى عهده تمرد الموآبيون على مملكة اسرائيل بعد أن كانوا خاضعين لها . وقد حدث أن سقط أخزيا من نافذة قصره فى السامرة فمرض مرضا شديدا ، ومن ثم بعث رسلا الى « بعل زبوب » اله عقرون يسألونه عما اذا كان سيبرأ من مرضه ، فغضب ايليا النبى أشد الغضب اذ بعث الملك يسأل اله الوثنيين وقال له : « من أجل أنك أرسلت رسلا لتسأل بعل زبوب اله عقرون ، أليس لأنه لا يوجد فى اسرائيل اله لتسأل عن كلامه . لذلك ، السرير الذى صعدت عليه لا تنزل عنه بل موتا تموت » . (الملوك الثانى ١ : ١٦) .

وبالفعل لم يلبث أخزيا أن مات . وكان ذلك عام ٨٩٦ قبل الميلاد .

واذ لم يكن لاخزيا ابن خلفه أخوه يهورام بن آخاب على عرش اسرائيل وقد سلك مسلك أبيه وأخيه ، اذ تمادى فى فعل الشر وعبادة الاصنام ، وفى عهده ظهر أليشع النبى ، فخلف ايليا النبى فى صنع المعجزات وتوبيخ اليهود على آثامهم . ولم يلبث ملك الموآبيين أن امتنع عن أداء الجزية لمملكة اسرائيل ، فتحالف يهورام مع يهو شافاط ملك يهوذا ، وانضم اليهما ملك



« اليشع النبى »

آدوم ، وزحفوا على الموآبيين وهدموا مدنهم ونهبوها ثم عادوا . بيد أنه لم يلبث بنهدد ملك الآراميين أن هاجم السامرة عاصمة اسرائيـــل وحاصرها حصارا طويلا حتى كاد الجوع أن يهلك أهلها ، ولكن الآراميين توهموا أنهم يسمعون صوت جيوش آتية عليهم لتهاجمهم فهربوا .

اخزيا ملك يهوذا :

وأما أخزيا بن يهورام فكان حين ملك فى يهوذا عام ٨٨٥ قبل الميلاد فى الثانية والعشرين من عمره ، وكان واقعا تحت تأثير أمه عثليا بنت آخاب ملك اسرائيل ، ولذلك سلك مسلك بيت آخاب فى اقتراف الشر وعبادة الآلهـة الوثنية ولا سيما البعل الذى كان يعبده الكنعانيون ويعتقدون أنه ابن الاله ايل وزوج الالهة بعلة أو عنات أو عشيرة أو عشتارون ، ويعدونه اله المزارع ورب الخصب ، ويقدمون له الذبائح البشرية على قمم الجبال .. وقدتحالف أخزيا مع يهورام بن آخاب ملك اسرائيل لمقاتلـــة حزائيل ملك الآراميين لاستعادة « راموت جلعاد » ، ولكن يهورام لم يلبث أن جرح فعاد الى قصره فى يزرعيل ، كما عاد أخزيا يطمئن عليه ، بينما بقى « ياهو بن يهوشافاط » قائد الجيش مرابطا فى راموت جلعاد .

ياهو ملك اسرائيل :

وفى ذلك الوقت استدعى أليشع النبى أحد تلاميذه وأمره أن يذهب الى راموت جلعاد فيمسح « ياهو بن يهو شافاط » ملكا على اسرائيل ، ففعل ذلك، فانطلق ياهو الى يهورام فى يزرعيل وقتله . وعندئذ هرب أخزيا ملك يهوذا واختبأ فى السامرة ، فطارده ياهو وقتله ، ثم عاد الى يزرعيل ودخل عـــلى ايزابيل زوجة آخاب فطرحها من نافذة قصرها فتهشمت وماتت . وقد ترك جثتها ملقاة فى العراء حتى أكلتها الكلاب ، فلم يجدوا منها حين أرادوا دفنها الا جمجمتها وعظم ساقيها وكفيها ، وكان لآخاب سبعون ابنا فى الســـامرة ،

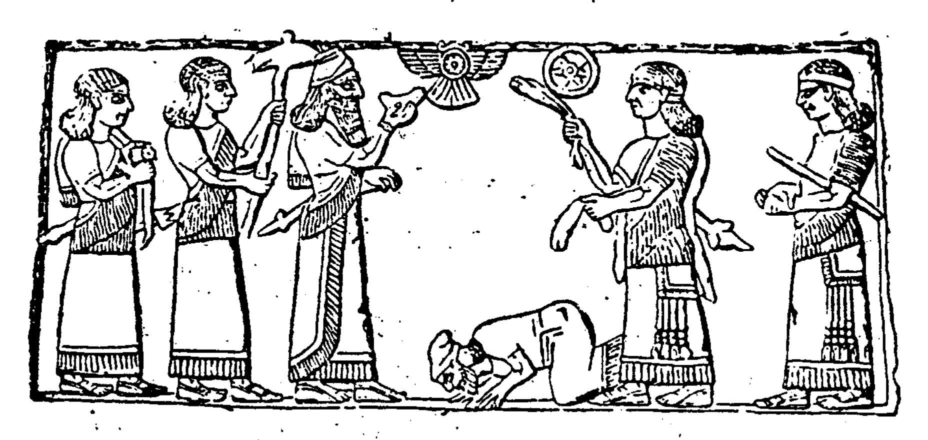
فكتب ياهو الى رؤسائها يأمرهم أن يقطعوا رؤوس السبعين جميعا ويرسلوها اليه فى الندى فقطعوا رؤوسهم ووضعوها فى سلال وأرسلوها اليه فى يزرعيل . ثم قتل ياهو كل من بقى لبيت آخاب فى يزرعيل وكل عظمائه ومعارفه وكهنته ، ثم مضى الى السامرة ، فرأى وهو فى الطريق اخوة أخزيا ملك يهوذا ، وكانوا اثنين وأربعين رجلا ، فقتلهم جميعا . حتى اذا بلغ السامرة قتل كل الذين بقوا لآخاب فيها ، وبذلك استتب له الأمر فى مملكة اسرائيل . وكان ذلك عام ٨٨٤ قبل الميلاد .



« لوحة أثرية تمثل اليهود وهم يقدمون الجزية لشلمناصر الثالث ملك الاشوريين »

وقد تظاهر ياهو بأنه يريد أن يقدم ذبيحة للبعل اله الوثنيين ، فدعى الى مذبح ذلك الاله كل عبدته وكهنته وأنبيائه وقتلهم جميعا ، وأخرج تماثيل البعل وحطمها وأحرقها وهدم معابدها . ومع ذلك يقول سفر الملوك « ولكن خطايا يربعام بن نباط الذى جعل اسرائيل يخطىء لم يحد ياهو عنها ، أى عجول الذهب التى فى بيت ايل والتى فى دان » (الملوك الثانى ١٠ : ٢٩) .

وفي عهد ياهو لم يفتأ حزائيل ملك الآراميين يهاجم اسرائيل من جميع جهاتها ، وقد اقتطع كثيراً من أراضيها ، كما عاد شلمناصر الثالث ملك اشور يهدد اسرائيل ، فاضطر ياهو أن يقدم اليه الجزية . وقد نقشت على مسلة نمرود المحفوظة في المتحف البريطاني صورة تمثل شلمناصر الثالث واقفاً يتقبل الهدايا والجزيات من سفراء الملوك الخاضعين له ، وبين هؤلاء رجل يخر على وجهه وهو يقبل الارض بين يدي الملك ، ومن ورائه أتباع له يحملون تقدمات على أيديهم وعلى أكتافهم وقد نقشت في أسفل الصورة عبارة



« لوحة أثرية تمثل ياهو ملك اليهود يسجد أمام شلمناصر ملك الاشوريين »

« جزية ياهو بن عمري » ، اذ كان ياهو من سلالة عمري ملك اسرائيل . وقد ظل يملك على اسرائيل ثمان وعشرين سنة ، ثم مات عام ٨٥٦ قبل الميلاد ، فخلفه ابنه يهوا حاز .

عثليا ويهواش ملكا يهوذا :

وأما أخزيا ملك يهوذا فحين رأت أمه عثليا ابنة آخاب أنه قد مات قتلت كل أبنائه وكل النسل الملكي كي تنفرد هي بالسلطان ، فلم يفلت منها أحد

سوى يهواش أصغر أبناء أخزيا ، اذ اختطفته عمته « يهوشبع » أثناء المذبحة من سريره ، وكان لا يزال طفلا رضيعا وخبأته فى هيكل أورشليم ، فظل هناك ست سنين فى حماية يهويا داع رئيس الكهنة ، الذى كان زوجا ليهو شبع .

ثم فى السنة السابعة لموت أخزيا - أى فى عام ٨٧٨ قبل الميلاد - استدعى يهوياداع الى أورشليم قواد الجيش والكهنة واللاويين وشيوخ الشعب وأراهم يهواش ، فأقسموا يمين الولاء له ، ثم وضع يهوياداع التاج على رأسه ومسحه ملكا على يهوذا . ثم قبض على عثليا وقتلها ، كما قتل كل أعدائه ، وفى مقدمتهم متان كاهن البعل ، وقد هدم مذبحه وحطم تماثيله . وكان يهواش عندئذ فى السابعة من عمره فتولى يهوياداع الوصاية عليه . وكانت عثليا قد هدمت بعض مبانى هيكل أورشليم وحولته الى معبد للبعل الهها الوثنى ، ففرض يهواش جزيةعلىاليهود لترميمهوتجديده بناءعلىمشورة يهوياداع ، وأعاده الى ما كان عليه . وقد مات يهوياداع بعد أن بلغ المائة والثلاثين من عمره ، فعاد الملك واليهود جميعا بعد موته الى عبادة الاصنام . فقام زكريا بن يهوياداع ليوبخهم على ذلك ، فأمر الملك بقتله ، مع أنه ابن الرجل الذى كان صاحب الفضل عليه ، اذ أجلسه على العرش وكان بمثابة معلمه وأبيه ، فرجم اليهود زكريا بالحجارة داخل الهيكل فمات . ولم يلبث حزائيل ملك الآراميين أن هجم على مملكة يهوذا وقضى على معظم جيشها واستولى على جت ، ثم اتجه الى أورشليم وقتل كل رؤسائها . فأخذ يهواش كل الذهب والفضة والنفائس التى فى الهيكل وفى بيت الملك ، وأعطاها لحزائيل ، فانصرف عن أورشليم . ولكن عبيد يهواش دخلوا عليه وقتلوه وهو فى سريره ودفنوه فى مدينة داود ، ولكن ليس فى قبور الملوك . وقد ظل يهواش يملك فى يهوذا أربعين سنة ، فلما مات عام ٨٣٩ قبل الميلاد خلفه ابنه أمصيا .

يهواحاز ويهواش ملكا اسرائيل :

وفى هذه الأثناء كان يهواحاز بن ياهو يملك على اسرائيل ، وقد سار هو أيضا سيرة أبائه فى ارتكاب الآثام وعبادة الاصنام ، وكان على الدوام عرضة لهجوم حزائيل ملك الآراميين ، وابنه بنهدد من بعده ، حتى أفنيا جيشه وأذلاه ، واستوليا منه على كل ما كان يملكه فى شرقى الأردن • وقد أنبأنا عاموس النبى بأن ملوك الآراميين « داسوا جلعاد بنوارج من حديد » (عاموس ١ : ٣ و ٤) •

وقد مات يهواحاز عام ٨٤٠ قبل الميلاد بعد أن ملك على اسرائيل سبعة عشرة سنة ، فخلفه ابنه يهواش فكان ملك اسرائيل وملك يهوذا فى ذلك الوقت يحملان ذات الاسم • وقد مرض أليشع النبى مرض الموت فى بداية حكم يهواش ملك اسرائيل ، فذهب يهواش ليراه ، فتنبأ له أليشع بأنه سيحارب الآراميين ويهزمهم • فتشجع يهواش وهجم على بنهدد ملك الآراميين واسترد منه المدن التى سبق أن استولى عليها أبوه حزائيل • وقد نشبت الحرب بعد ذلك بين يهواش ملك اسرائيل وأمصيا ملك يهوذا فانتصر يهواش على أمصيا وأسره وجاء به الى أورشليم ودك أسوارها من باب افرائيم شرقا الى باب الزاوية غربا ، وأخذ كل الذهب والفضة وكل الآنية الموجودة فى الهيكل وفى بيت الملك ، ثم عاد الى السامرة • وقد أطلق سراح أمصيا ،لكنه أخذ معه بعض كبراء مملكة يهوذا كرهينة تضمن لهعدم الهجوم عليه مرة أخرى • وقد استمر يهواش فى عبادة الاصنام ومات عام ٨٢٤ قبل الميلاد ، بعد أن ملك على اسرائيل ست عشرة سنة ، فخلفه ابنه يربعام الثانى •

امصيا ملك يهوذا :

أما أمصيا بن يهواش ملك يهوذا فقد كان فى الخامسة والعشرين من عمره حين خلف أباه عام ٨٣٩ قبل الميلاد ، ولم يلبث أن قتل العبيد الذين

قتلوا أباه ، وظل اليهود فى عهده يعبدون الاصنام • وقد أحصى عدد رعاياه من ابن عشرين سنة فأكثر فكانوا ثلاثمائة ألف رجل غير الشيوخ والأطفال والنساء •



« مدينة سالع وهى البتراء »

وقد عزم أمصيا على قتال الأدوميين فاستأجر من مملكة اسرائيل - كما جاء فى التوراة - مائة ألف مقاتل نظير مائة وزنة من الفضة • بيد أنه جاء اليه أحد الانبياء ونصحه بألا يأخذ معه أحدا من جنود اسرائيل لأن الله غاضب عليهم ، فأمر المائة الف أن يعودوا الى بلادهم ، فحقدوا عليه ، وراحوا فى

طريق عودتهم ينهبون المدن ويقتلون كل من يصادفهم من السامرة الى بيت حورون جنوبى أورشليم ، حتى اذا بلغ عدد من قتلوهم ثلاثة آلاف . وأما أمصيا فمضى بجيشه الى وادى الملح ، جنوبى بحر لوط ، وقتل من الأدوميين عشرة آلاف ، كما أسر منهم عشرة آلاف آخرين وجاء بهم الى صخرة مرتفعة تسمى رأس سالع ، وطرحهم من فوقها فتهشموا وماتوا جميعا ، وفتح مدينتهم « سالع » أو « الصخرة » ، وقد سماها « يقتيئيل » ، وهى التى سماها اليونان بعد ذلك « بترا » ، وهى مدينة « البتراء » الحالية بقرب سفح جبل هور بين أريحا وجبل سيناء . وقد عاد أمصيا من غزوته لبلاد الأدوميين ظافرا ، وقد أتى معه بتماثيل آلهة الأدوميين وأقامها فى أورشليم وسجد لها وقدم لها الذبائح . وقد تحرش أمصيا بعد ذلك بيهواش ملك اسرائيل ، ولكن هذا هزمه كما رأينا وأسره وهاجم عاصمته أورشليم ونهبها . فعاش أمصيا بعد ذلك خمسة عشرة سنة خاملا ذليلا ، ثم تمرد عليه بعض رجاله فى أورشليم فهرب الى لخيش ، فتبعوه وقتلوه هناك . وقد ملك فى يهوذا تسعا وعشرين سنة ، فخلفه بعد موته ابنه عزيا ، وكان ذلك عام ٨١٠ قبل الميلاد .

يربعام الثانى ملك اسرائيل :

وقد سلك يربعام الثانى ملك اسرائيل مسلك آبائه فتمادى فى ارتكاب الشرور وعبادة الأصنام . وقد ظهر فى أيامه يونان النبى وتنبأ له بأنه سينتصر على الآراميين ، فحاربهم وانتصر عليهم ، فأعاد حدود مملكة اسرائيل حتى أصبحت من مدخل حماة الى بحر العربة وهو البحر الميت ، كما أعاد اخضاع الموآبيين والعمونيين لمملكة اسرائيل ، وأنقذ الاسرائيليين الساكنين شرقى الاردن من الخضوع لملك الآراميين فى دمشق . وقد مات يربعام الثانى بعد أن ملك على اسرائيل احدى وأربعين سنة ، فخلفه ابنه زكريا

عزيا ملك يهوذا :

وكان عزيا فى السادسة عشرة من عمره حين ملك على يهوذا خلفا لأبيه امصيا ، وهو يسمى كذلك عزريا • وقد عبد اليهود فى عهده الاصنام أيضا• وقد حارب عزيا الفلسطينيين وهزمهم وهدم أسوار « جت » و « ينبة » و«أشدود»، وأقام حصونا على حدوده معهم • كما حارب الادوميين الساكنين فى « جور بعل » جنوبى بئر سبع ، وحارب المعونيين ، وهم سكان « معون » المسماة اليوم « تل معين » جنوب شرقى « البتراء » • وحارب العمونيين وفرض عليهم الجزية • وقد حصن أورشليم وبنى فيها أبراجا زودها بالمنجنيقات عند باب الزاوية وعند باب الوادى • وبنى أبراجا فى البرية وحفر آبارا كثيرة • وقد بلغ جيشه ـ كما جاء فى التوراة ـ ثلاثمائة ألف وسبعة آلاف وخمسمائة مقاتل • ولذلك ركبه الغرور ودخل الهيكل ليوقد على مذبح البخور بنفسه مع أنه ليس كاهنا ، فتصدى له عزريا رئيس الكهنة ومعه ثمانون كاهنا وطردوه من الهيكل ، فلم يلبث أن أصيب بالبرص واعتزل فى المكان المخصص للمصابين بهذا المرض ، فتولى ابنه يوثام شئون الحكم بدلا منه • وقد عاصر عزيا فى أواخر أيامه الانبياء اشعياء وهوشع وعاموس • وقد مات عزيا بعد أن ملك على اسرائيل اثنين وخمسين سنة ، فخلفه ابنه يوثام •

زكريا وشلوم ومنحيم وفقحيا وفقح ملوك اسرائيل :

أما زكريا بن يربعام فقد ملك على اسرائيل عام ٧٧٢ قبل الميلاد • ولكن لم تمض عليه ستة أشهر حتى قام رجل اسمه « شلوم بن يابيش » وقتله واغتصب عرشه • فانقضت بموت زكريا سلالة ياهو • وأما شلوم فلم يملك الا شهرا واحدا ، ثم قام عليه رجل يسمى « منحيم بن جادى » من « ترصة » التى كانت تقع شمال شرقى « نابلس » وقتله واغتصب عرشه • ولكنه حين عاد الى مدينته ترصة قاومه أهلها فهاجمها وارتكب فيها أبشع أعمال الوحشية ،

حتى لقد شق بطون كل من فيها من النساء الحوامل فقتلهن مع أجنتهن ،وظل عشر سنين يحكم بالقوة والبطش ، وعبد الاصنام • وقد غزا « فول » وهو « تغلث فلأسر » ملك آشور بلاده ، فأعطاه ألف وزنة من الفضة كي يؤيده في ملكه ، كما فرض على كل رجل من رعاياه خمسين شاقلا من الفضة يدفعها للملك آشور • ومن ثم عاد ملك آشور الى بلاده قانعا بهذه الغنيمة • وقد ملك منحيم على اسرائيل عشر سنين ثم مات عام ٧٦١ قبل الميلاد ، فخلفه ابنه فقحيا • ولكنه لم يحكم سوى سنتين • ففي عام ٧٥٩ قبل الميلاد قام عليه « فقح بن رمليا » أحد قواد جيشه وقتله واغتصب عرشه • وقد ظل فقح بن رمليا يحكم اسرائيل عشرين سنة • وفي عهده أغار « تغلث فلأسر » ملك آشور على اسرائيل واستولى على قادش وحاصور وجلعاد وعيون وآبل بيت معكة ويانوح والجليل وكل أرض نفتالي وأسر كل أهلها من أسباط رأوبين وجاد ومنسى ، وسباهم الى آشور • ثم حرض رجلا اسمه هوشع بن ايله فقتل فقحيا واغتصب عرشه • وكان ذلك عام ٧٢٩ قبل الميلاد •

يوثام وآحاز ملكا يهوذا :

وكان يوثام بن عزيا في الخامسة والعشرين من عمره حين ملك على يهوذا • وقد حارب العمونيين وانتصر عليهم وفرض عليهم الجزية • غير أن في عهده اتفق « رصين » ملك دمشق عاصمة الآراميين مع « فقح » ملك اسرائيل على أن يستوليا على مملكة يهوذا ويقتسماها بينهما • ولكن قبل أن يقوما بتنفيذ اتفاقهما مات يوثام عام ٧٤٢ قبل الميلاد بعد أن استمر في الحكم ستة عشرة سنة ، فخلفه ابنه آحاز •

وقد استمر آحاز ملك يهوذا يعبد الأصنام كآبائه وأقام لها التماثيل ، وبنى لها مذبحا في وادي ابن هنوم بجوار أورشليم وذبح عليه أبناءه تقدمة لها • فلم تلبث النكبات أن توالت عليه ، فقد هاجم الادوميون مملكته وأخذوا منها

عددا عظيما من الأسرى ، ثم اقتحم الفلسطينيون مدن الساحل وجنوبي يهوذا وأخذوا بيت شمس وأيلون وجديروت وسوكو وتمنة وجمزو ، وأقاموا في هذه المدن . ثم لم يلبث ملك دمشق وملك اسرائيل أن أغارا على مملكته ونهباها وقتلا ابنه معسيا ، كما قتلا من رعيته - كما جاء في التوراة - مائة وعشرين ألف رجل في يوم واحد وسبيا مائتي ألف امرأة وطفل . وقد استولى رصين على مدينة « ايلة » وطرد اليهود منها وأعطاها للآراميين . وعندئذ أرسل أحاز الى تغلت فلأسر ملك أشور يقول له « أنا عبدك .. فاصعد خلصني من يد ملك آرام ، ومن يد ملك فلسطين » ، وأخذ كل ما في الهيكل وخزائن بيت الملك من ذهب وفضة وأرسلها الى تغلت فلأسر ، متجاهلا نصيحة اشعياء النبي الذي قال له « لا تخف ولا يضعف قلبك من ذنبي هاتين الشعلتين المدخنتين في اضطرام غضب رصين ملك آرام وابن رمليا ، فان آرام وافرائيم وابن رمليا قد تآمروا عليك بالسوء قائلين نصعد على يهوذا ونقوضها ونمزقها بيننا ونملك عليها ابن طبئيل . لكن هكذا قال الرب لا يقوم الامر ولا يكون » (اشعياء ٧ : ٤ - ٧) . ومن ثم كان هذا التصرف وبالا على آحاز ، اذ انتهز تغلت فلأسر الفرصة وأغار على دمشق وقتل ملكها رصين وسبى عشرة آلاف من سكانها الى « قير » في أرض ما بين النهرين ، ثم أغار على مملكة اسرائيل ونهبها وأسر عددا كبيرا من رؤسائها وسباهم الى آشور ، وأمر بقتل فقح ملك اسرائيل وأقام هوشع بن ايلة ملكا عليها وفرض عليه الجزية . وقد كتب تغلت فلأسر على أحد آثاره يصف غارته على رصين ملك دمشق قائلا « أخذت جنوده وأبدتهم بالسيف وقبضت على قواد جيشه أحياء وعلقتهم على الصلبان . وأما هو فهرب ودخل مدينته دمشق فحاصرتها وحبسته فيها كعصفور في قفص » . ثم ذكر كيف أنه ترك فريقا من جنوده يحاصر دمشق ، ثم زحف جيشه على غيرها فاستولى على ستة عشر ولاية من ولايات سوريا ، ثم قال « انني أخضعت بعد ذلك سكان أرض بيت عمري (أي مملكة اسرائيل) وأسرت رؤساءهم وسبيتهم الى بلاد آشور مع أموالهم وأمرت بقتل فقح ملكهم وأقمت هوشع ملكا عليهم وأخذت منهم عشر

وزنات ذهب وألف وزنة فضة » . ولكنه لم يكتف بذلك وانما فرض سيادته على آحاز ملك يهوذا الذى استنجد به ، وألزمه بدفع الجزية ، فلما عاد الى أورشليم واستدعى اليه هناك الملوك الذين دانوا له ليملى عليهم أوامره قبل عودته الى بلاده ويحذرهم من التمرد عليه ، كان آحاز أحد أولئك الملوك الذين استدعاهم ، فذهب الى دمشق وهناك رأى مذبح آلهة الآراميين فأعجب به وأرسل الى أوريا الكاهن نموذجا له فأقام مذبحا مثله فى أورشليم . فلما عاد آحاز قدم ذبائح عليه لآلهة الآراميين قائلا « لان آلهة ملوك آرام تساعدهم أنا أذبح لهم فيساعدوننى » وأخذ مذبح النحاس الذى فى هيكل أورشليم ووضعه الى جانب ذلك المذبح الوثنى ، وأغلق أبواب هيكل أورشليم وأخذ كل آنيته وأجزاء من أبنيته وأقام لنفسه منها مذابح وثنية فى أورشليم وكل مدن يهوذا . وقد مات آحاز عام ٧٢٦ قبل الميلاد بعد أن ملك فى يهوذا ست عشرة سنة ، فخلفه ابنه حزقيا .

هوشع ملك اسرائيل :

أما هوشع بن ايله فملك على اسرائيل عام ٧٢٩ قبل الميلاد ، بعد أن قتل آخر ملوكها فاقح بن رمليا بتحريض من تغلث فلأسر ملك أشور . حتى اذا مات هذا وخلفه شلمناصر على عرش آشور ، أغار على مملكة اسرائيل وأخضع هوشع لسيادته وألزمه بدفع الجزية . ولكن هوشع لم يلبث أن تمرد عليه وامتنع عن دفع الجزية ، وراح يتآمر سرا مع سوا - وهو شباكا - ملك مصر . فقبض عليه شلمناصر وألقى به فى السجن . ثم أغار على السامرة عاصمة اسرائيل وحاصرها ثلاث سنين ، ثم دكها دكا واستولى عليها عام ٧٢١ قبل الميلاد ، ثم جاء بعد ذلك خليفته سرجون ، فأسر شعب اسرائيل الذى كان يتألف من كل أسباط اليهود ما عدا سبطى يهوذا وبنيامين ، وأسكن بعضهم فى « حلاح » المسماة اليوم « حلا » على نهر الخابور أحد فروع نهر الفرات ، وأسكن بعضهم الآخر فى « جوزان » وهى ولاية من ولايات ما بين النهرين بالقرب من « حران » . كما أسكن فريقا منهم فى مدن مادى التى كان

الأشوريون قد غزوها واستولوا عليها . ثم أتى ملك آشور بقوم من « بابل » و « كوث » و « عوا » و « حماة » و « سفروائيم » وأسكنهم فى مدن السامرة بدلا من بنى اسرائيل . وكانت « كوث » تقع فى الموضع المسمى اليوم تل ابراهيم فى الشمال الشرقى من بابل . وكانت « عوا » فى بلاد الكلدان . أما



« صورة سرجون الثانى ووزيره فى لوحة أثرية »

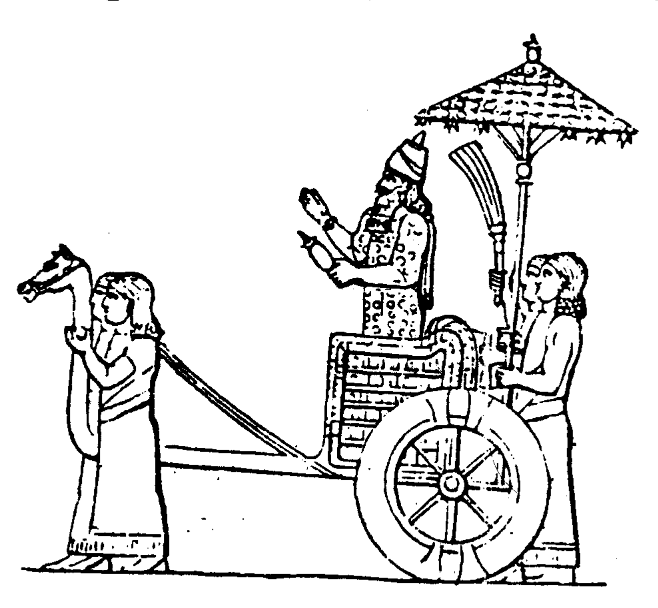
« حماة » فهى التى لا زالت تحمل هذا الاسم . وكانت مدينة حثية تقع على نهر العاصى شمالى دمشق . وأما « سفروائيم » فكانت مدينة بابلية تقع على نهر الفرات . وقد راح شعب كل بلد من هذه البلاد بعد أن استوطنوا فى السامرة يعبد آلهته . وقد جاء فى سفر الملوك : « فكانت كل أمة تعمل

آلهتها ، ووضعوها فى بيوت المرتفعات التى عملها السامريون كل أمة فى مدنها التى سكنت فيها ، فعمل أهل بابل سكوث بنوث (وهو احتفال كانت النساء تمارسن فيه الدعارة تكريما للالهة زربانيت) ، وأهل كوث عملوا نرجال (وهو اله الحرب عند البابليين) ، وأهل حماة عملوا أشيما (وهو الاله أشمون) • والعويون عملوا نبحز (وهو ابناحازا اله العيلاميين) ، وترتاق (وهو اله فى صورة حمار) • والسفروائيميون كانوا يحرقون بنيهم بالنار لأدرملك وعنملك الهى سفروائيم (وكان أدرملك يمثل قوة الذكورة فى الشمس ، بينما كانت عنملك تمثل قوة الأنوثة فيها) • (الملوك الثانى ١٧ : ٢٩ ـ ٣١) • وقد بعث ملك آشور الى هذه الشعوب التى أسكنها فى السامرة كاهنا من كهنة اليهود الذين سبق له أن سباهم ، فسلمهم توراة موسى ، ولكنه مع ذلك تركهم يعبدون آلهتهم الأولى ، ومن ثم خلطوا بين تعاليم التوراة وعقائدهم الوثنية •

حزقيا وآمون ويوشيا ويهواحاز ويهوياقيم ويهوياكين وصدقيا وجدليا ملوك يهوذا :

وفى ذلك الوقت كان حزقيا بن آحاز قد ملك على يهوذا وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، وقد كان يستمع الى نصيحة اشعياء النبى ، فبدأ عهده بترميم هيكل أروشليم وتطهيره مما وضعه فيه الملوك السابقون من أدوات العبادة الوثنية ، وحطم تماثيل الأصنام وهدم معابدها ، واحتفل بعيد الفصح بعد أن كان اليهود لم يحتفلوا به منذ زمان بعيد • وقد أرسل رسلا الى اليهود الذين تبقوا فى مدن مملكة اسرائيل يدعونهم الى الاحتفال بذلك العيد فى أورشليم • ولكن أولئك ضحكوا عليهم وهزأوا بهم ، فلم يستجب لهم الا عدد قليل من أسباط أشير ومنسى وزبولون • وقد هاجم حزقيا الفلسطينيين فى غزة وتخومها وأخضعهم له ، وكان حزقيا معاصرا لشلمناصر وسرجون وسنحاريب ملوك آشور • وقد شهد حصار الأشوريين للسامرة

واستيلائهم عليها وأسرهم لسكان مملكة اسرائيل وسبيهم اياهم الى بلادهم . ولم يهاجمه شلمناصر ولا سرجون لأن أباه آحاز كان حليفا لهما . ولكن الأشوريين في عهده كانوا يحيطون بمملكة يهوذا كحلقة من الحديد ، ومع ذلك تمرد حزقيا في السنة الرابعة عشرة من حكمه على سنحاريب ملك آشور وامتنع عن دفع الجزية له ، وأقام علاقات ودية مع عدوه « مردوخ بلادان » ملك بابل ، فاستشاط سنحاريب غضبا ، وزحف على « مردوخ بلادان » وهزمه



« لوحة أثرية تمثل سنحاريب ملك آشور في عربته الملكية

وأخضع بلاده . ثم اتجه الى سوريا وأخضع ملوكها ، ثم زحف ... يهوذا واستولى على مدنها ، فأرسل اليه ملكها حزقيا يقول له « قد ... ارجع عني » ، فطلب جزية مقدارها - كما جاء في التوراة - ثلاثمائة قنطار من الفضة وثلاثين قنطارا من الذهب ، فأخذ حزقيا كل ما في الهيكل وبيت الملك من الفضة والذهب وأعطاها له . وقد ورد في نصوص الآثار الأشورية أنه كان ضمن الجزية التي دفعها حزقيا بناته ونساؤه . ولكن سنحاريب لم



« اشعياء النبى »

يكتف بذلك ، وانما أرسل قواده على رأس جيش عظيم الى حـــزقيا فى أورشليم يطلب اليه التسليم • فبعث حزقيا الى اشعياء النبى يستشيره فشجعه على الصمود ، وبالفعل حدث أن سنحاريب قفل راجعا الى نينوى ، وهناك قتله اثنان من أبنائه هما « أدر ملك » و « شرأصر » ، فخلفه ابن ثالث له هو



« لوحة اثرية تمثل سنخاريب ملك آشور »

« آسرحدون » • وبذلك نجا حزقيا من بطش ملك آشور • وقد ملك حزقيا على مملكة يهوذا تسعا وعشرين سنة ، وكان يعيش فى عهده ثلاثة أنبياء هم اشيعاء وهوشع وميخا • وقد مات حزقيا عام ٦٩٨ قبل الميلاد ، فخلفه ابنـه منسى •

وكان منسى فى الثانية عشرة من عمره حين خلف أباه ، وقد عاد الى عبادة أصنام الكلدانيين وغيرهم ، وأعاد بناء المعابد الوثنية التى كان أبوه قد هدمها، وسجد لجميع جند السماء ، أى للكواكب والنجوم ، وبنى لها مذابح فى هيكل أورشليم ذاته وأقام تمثالا للالهة عشتروت ، وأحرق بنيه بالنار فى وادى ابن هنوم ذبيحة لمولوك اله الموآبيين ، واستخدم العرافين والسحرة وأصحاب الجان . ولم يصغ لنصائح اشعياء وغيره من الانبياء ، وانما على العكس ازدرى بتهديدهم ووعيدهم وانتقم منهم ، وقتل عددا عظيما من رعاياه . وقد جاء عن ذلك فى سفر الملوك « وسفك أيضا منسى دما بريئا كثيرا جدا حتى ملأ أورشليم من الجانب الى الجانب » (الملوك الثانى ٢١:١٦). وقد ورد فى تاريخ اليهود أن منسى قتل اشعياء بأن نشره بمنشار من خشب . وقد جاء قواد ملك آشور وقبضوا على منسى وأخذوه فى الاصفاد وقيدوه بسلاسل من نحاس وأخذوه الى بابل ، فظل هناك زمنا طويلا . وقد جاء فى سفر يهوديت أنه فى هذه الاثناء أرسل نبوخذ نصر ملك آشور جيشه بقيادة « أليفانا » ، فأخضع كل البلاد المحيطة بمملكة يهوذا ، فخاف أهلها خوفا عظيما وحصنوا مدنهم واستعدوا للقتال بزعامة ألياقيم رئيس الكهنة وعزيا بن ميخا أحد شيوخ اليهود . ولم يلبث أليفانا أن جاء بجيشه الى مدينة « بيت فلوى » وحاصرها وقطع عن أهلها مياه الينابيع التى كانوا يستقون منها ، فلما اشتد عليهم الحصار وكاد أن يقتلهم العطش طلبوا الى زعمائهم الاستسلام للاشوريين قائلين لهم « لنستسلم بأجمعنا الى أصحاب أليفانا من تلقاء أنفسنا ، فخير لنا أن نبارك الرب ونحن أحياء فى الجلاء من أن نموت ونكون عارا عند جميع البشر ، بعد أن نكون قد رأينا نساءنا وأطفالنا يموتون أمام أعيننا . ونستحلفكم اليوم بالسماء والارض وباله آبائنا الذى ينتقم منا بحسب خطايانا أن تسلموا المدينة الى أيدى جيش أليفانا فيقضى أجلنا سريعا بحد السيف ولا يتمادى فى أوار العطش » (يهوديت ٧ : ١٥ - ١٧) ، فاستمهلهم عزيا بن ميخا خمسة أيام ، حتى اذا لم تدركهم فيها رحمة الله استسلموا للأشوريين . وكانت هناك

أرملة يهودية رائعة الجمال واسعة الثراء اسمها يهوديت ، فتزينت وتبرجت وخرجت من المدينة تحت جنح الليل ، فلما رآها الأشوريون قبضوا عليها وذهبوا بها الى قائدهم أليفانا ، فسحره جمالها واستبقاها في خيمته ، فظلت تنادمه وتسقيه خمرا حتى سكر ، فأخذت خنجره وقطعت به رأسه ثم أخذته وتسللت في الظلام الى المدينة . فلما تبين الأشوريون أن قائدهم مقتول مقطوع الرأس خافوا وفروا ، فخرج اليهود من المدينة وتعقبوهم فقتلوا منهم كل من أدركوه ، وأخذوا كل ما تركوه وراءهم من غنيمة . وأما منسى فقد صفح عنه ملك آشور في أواخر أيامه وسمح له بالعودة الى بلاده ، فتاب الى الله وأزال المعابد الوثنية التي كان قد أقامها ، ولكن شعب يهوذا ظل يعبد الأصنام كما كان . وقد ذكر آسرحدون وآشوربانيبال ملكا آشور أن منسى ظل يدفع لهما الجزية . وقد مات منسى عام ٦٤٣ قبل الميلاد بعد خمس وخمسين سنة من جلوسه على عرش يهوذا فخلفه ابنه آمون .

وقد كان آمون في الثانية والعشرين من عمره حين جلس على عرش يهوذا ، وقد عبد الأصنام كما فعل أبوه . ولكنه لم يستمر في الحكم غير سنتين ، اذ في عام ٦٤١ قبل الميلاد قام عليه عبيده وقتلوه فخلفه ابنه يوشيا .

وكان يوشيا لم يتجاوز الثامنة من عمره حين خلف أباه آمون ، ولكنه كان ملكا صالحا ، وقد عزم على ترميم هيكل أورشليم ، فكلف « حلقيا » رئيس الكهنة بأن يحصي ما في خزينة الهيكل من فضة ليدفعها للعمال الذين قاموا بالترميم . وفيما كان حلقيا يبحث في الخزينة عثر على توراة موسى التي كانوا يسمونها سفر الشريعة ، فسلمها للكاتب شافان بن حلقيا فأخذها هذا الى الملك وقرأها على مسامعه ، فمزق الملك ثيابه لفرط شعوره بما ارتكبه اليهود في كل تاريخهم من مخالفة صارخة لتعاليم هذا السفر ، وأرسل فجمع كل شعب يهوذا عند هيكل أورشليم وقرأ لهم هذا السفر ، ثم أخرج من الهيكل كل الآنية والأدوات والمسبوكات التي وضعها الملوك السابقون

اكراما لبعل وعشتاروت وكل الآلهة الوثنيه وأحرقها خارج أورشليم ، وذبح كهنة الأصنام فى كل أنحاء مملكته ، وهدم المعابد القائمة فى وادى بن هنوم التى كان اليهود يحرقون فيها أبناءهم اكراما للاله مولوك معبود العمونيين . كما هدم المعابد التى كان سليمان قد أقامها فى مواجهة هيكل أورشليم لآلهة الصيدونيين والموآبيين والعمونيين ، والتى كان يربعام بن نباط قد أقامها فى بيت ايل ، ثم أمر بالاحتفال بعيد الفصح بعد أن كان الاحتفال بهذا العيد قد انقطع منذ عهد صموئيل النبى ، وفى عهد يوشيا ظهر نبيان هما أرميا وصفنيا ، كما أن فى عهده صعد نخو ملك مصر لمحاربة الأشوريين،وقد أراد يوشيا أن يتصدى له فقتله نخو فى مجدو ، وكان ذلك عام ٦١٠ قبل الميلاد . وكان قد ملك فى يهوذا احدى وثلاثين سنة فخلفه ابنه يهواحاز الثانى وكان حينئذ فى الثالثة والعشرين من عمره . ولكن نخو عزل يهواحاز بعد ثلاثة أشهر وقبض عليه وأخذه أسيرا الى مصر وأقام فى مكانه أخاه الياقيم بعد أن غير اسمه الى يهوياقيم ، وكان حينئذ فى الخامسة والعشرين من عمره .

وكان نخو قد فرض غرامة على مملكة يهوذا مقدارها قنطار ذهب ومائة قنطار فضة . فكان أول ما فعله يهوياقيم أنه فرض ضريبة على اليهود لوفاء مده الغرامة ، كما أثقل كاهلهم بضرائب أخرى ، وسخرهم فى اقامة ابنيه يتفاخر بها . وعاد الى عبادة الاصنام . وكان فى عهده نبى اسمه أوريا بن شمعيا ، وقد تنبأ بخراب المملكة ، ومن ثم أراد يهوياقيم أن يقتله ، فهرب الى مصر ، فأرسل قوما الى مصر جاءوا به من هناك وقتله . وكان ارميا النبى يعيش كذلك فى عهده ، وقد طلب الى تلميذه باروخ أن يكتب ما أوصى به الله اليه من توبيخ لليهود وتحذير لهم مما سيحل بهم ، وأن يقرأ ما كتبه فى هيكل أورشليم ، فأخذ الملك الورقة المكتوبة وألقى بها فى النار وأمر بالقبض على ارميا وباروخ ولكنهما هربا . وفى عهد يهوياقيم توالت على مملكته هجمات الشعوب المحيطة بها ، ومنها الكلدانيون والآراميون والموآبيون والعمونيون . ثم صعد « نبوخذ نصر » ملك بابل الى مملكة يهوذا ودخل أورشليم وهزم

يهوياقيم وقبض عليه وقيده بسلاسل من نحاس ليأخذه الى بابل ، ولكنه عاد فأبقاه وفرض عليه الجزية ، واستولى على بعض آنية الهيكل ووضعها فى أحد معابد بابل ، كما أخذ معه الى بابل فريقا من أبناء العائلات المعروفة فى مملكة يهوذا ليكونوا رهائن لاستمرار يهوياقيم فى طاعته والخضوع له . وكان ممن أخذهم « دانيال » ، و « حنانيا » و « ميشائيل » و « عزريا » ، ولكن يهوياقيم مع ذلك لم يلبث بعد ثلاث سنوات أن تمرد على نبوخذ نصر محاولا التملص من قبضته ، وقد تحالف ضده ملك مصر وملك صور ، فهجم عليه نبوخذنصر عام ٥٩٩ قبل الميلاد وقتله وألقى بجثته فى العراء خارج أورشليم ، بعد أن ملك فى يهوذا احدى عشرة سنة ، فخلفه ابنه يهوياكين ، وكان حينئذ فى الثامنة عشرة من عمره .

ولكن يهوياكين لم يحكم أكثر من ثلاثة أشهر وعشرة أيام ، اذ جاء نبوخذنصر وحاصر أورشليم ، فخرج اليه يهوياكين مسلما نفسه ومملكته اليه ، فأسره نبوخذنصر مع أمه وكل أهل بيته وأعوانه ، كما أسر عشرة آلاف من رؤساء أورشليم وكبرائها وسباهم الى بابل ، فلم يترك فى أورشليم الا الفقراء ، وأخذ معه كل كنوز الهيكل وبيت الملك ، ثم أقام فى مكان يهوياكين عمه متانيا بعد أن غير اسمه الى صدقيا ، وكان حينئذ فى الحادية والعشرين من عمره .

وقد ظل صدقيا ملكا على اليهودية احدى عشرة سنة ، وقد عبد الأوثان وأقامها فى هيكل أورشليم وأحاط نفسه بالأنبياء الكذبة ، فى حين اضطهد ارميا النبى ولم يستمع الى نصائحه . ثم لم يلبث أن تمرد صدقيا على نبوخذنصر ملك بابل وتحالف مع عدوه ملك الماديين ، كما تآمر ضده مع الأدوميين والموآبيين والعمونيين والصوريين والصيدونيين ، فاستشاط نبوخذنصر غضبا وجاء الى أرشليم وحاصرها بجيشه وبنى حولها أبراجا وظل يضيق الخناق على أهلها ثمانية عشر شهرا حتى كادوا أن يهلكوا جوعا ، ومن ثم فتحوا



« ارميا النبى »

ثغرة فى أحد أسوار المدينة وهرب صدقيا وكل قواده الى ناحية نهر الأردن ، فتبعهم الكلدانيون وأسروا الملك وأخذوه مع أولاده الى نبوخذنصر فى ربلة شمالى فلسطين ، وذبحوا أولاده أمام عينيه ، ثم قلعوا عينيه هو وقيدوه بسلسلتين من نحاس وجاءوا به الى بابل حيث ألقوا به فى السجن ، ثم عاد بوزرادان قائد جيش نبوخذنصر الى أورشليم ونهب الهيكل وبيت الملك ثم أحرقهما وأشعل النار فى المدينة كلها ودك أسوارها وأسر أهلها جميعا فلم يترك فيها الا أفقر الفقراء ، وقتل سرايا رئيس الكهنة ، كما قتل قواد الجيش وكبار رجال الملك . وأما سائر الشعب فأخذهم مقيدين بالسلاسل وسباهم فى بابل . وكان ذلك عام ٥٨٨ قبل الميلاد ، ثم أقام على الذين أبقاهم من الفقراء واليا يسمى جدليا بن أخيقام بن شافان .

وقد جعل جدليا قصره فى المصفاة بالقرب من أورشليم . ولكن لم تمض سبعة أشهر حتى جاء رجل من نسل ملوك يهوذا يسمى اسماعيل بن نثنيا ومعه عشرة رجال وقتلوا جدليا وكل الذين معه من اليهود والكلدانيين ، وأسروا جميع سكان المصفاة ، وكان من بينهم نساء الأسرة اليهودية المالكة . ومن ثم خاف اليهود المقيمون فى أرض يهوذا من انتقام البابليين واستعدوا للهرب الى مصر يتزعمهم رجل يسمى « يوحنان بن قاريح » ، وقد استشاروا فى ذلك ارميا النبى فقال لهم « ان كنتم تجعلون وجوهكم للدخول الى مصر وتذهبون لتتغربوا هناك ، يحدث أن السيف الذى أنتم خائفون منه يدرككم هناك فى أرض مصر ، والجوع الذى أنتم خائفون منه يلحقكم هناك فى مصر فتموتون هناك » (ارميا ٤٢ : ١٥ و ١٦) . ولكنهم لم يستمعوا لنصيحته ولم يحفلوا بتحذيره وانما ارتحلوا جميعا الى مصر وأجبروا ارميا النبى وتلميذه باروخ بن نيريا على أن يصاحباهم الى هناك .

وهكذا أصبح معظم اليهود مسبيين فى أشور وبابل ، وأصبحت فلة منهم مشردة فى مصر . فلم يبق فى فلسطين الا شرذمة من الفقراء المعدمين .

الفصل السابع

اليهود فى السبى
تحت حكم الآشوريين والبابليين

رأينا أن « شلمناصر » ملك آشور أغار على السامرة عاصـــمة مملكـة اسرائيل واستولى عليها عام ٧٢١ قبل الميلاد ، وأسر شعبها وسباهم الى بلاد آشور ، فأصبح كل أسباط اليهود ما عدا سبطى يهوذا وبنيامين عبيـــدا للأشوريين . كما رأينا أن « نبوخذنصر » ملك بابل أغـــار على أورشـــليم عاصمة مملكة يهوذا واستولى عليها عام ٥٨٩ قبل الميلاد وأسر شعبها وسباهم الى بابل ، فأصبح السبطان الباقيان من أسباط اليهود وهما سبطا يهـــوذا وبنيامين عبيدا للبابليين ، وبذلك سقط اليهود كلهم تحت نير العبوديـــة ، فاندثرت أمتهم ودالت دولتهم .

وقد كان هدف الأشوريين والبابليين من اجلاء الشعوب التى يغزونها من أوطانها الأصلية الى آشور وبابل ، هو استخدام أبنائها عبيدا ، وتسخيرهم فيما يفرضون عليهم من الأعمال الوضيعة والشاقة ، اذلالا لهم ، وانتفاعا بهم • كما كان هدفهم من الناحية الأخرى تشتيت أبناء هذه الشعوب لتفتيت قوتهم وقتل الروح الوطنية فيهم وانتزاع العصبية الدينية منهم ، بحيث تنعدم أمامهم



« مملكة آشور القديمة »

كل فرصة ، وينتفى لديهم كل دافع الى الثورة أو التمرد أو العصيان • وقد كان هذا ما حدث بالنسبة لليهود ، اذ لم يلبثوا أن أصبحوا — على الرغم من كبريائهم وصلفهم — خدما أذلاء للأشوريين والبابليين • وقد تشتتوا فى مختلف المدن والقرى والأودية والضياع المنتشرة فيما بين نهرى دجلة والفرات وما حولهما • فلم تتركز جماعة منهم فى مكان واحد ، ولم يعد أحد منهم يتشدق بانتسابه الى سبط من الأسباط ، وانما فنوا فى الشعوب التى أقاموا بينهـــا

وقد تعودوا عاداتها وتخلقوا بأخلاقها وعبدوا آلهتها . فلم تعد ثمة أمة يهودية ولا دين يهودى ، ولم يعد لليهود أى كيان بين الشعوب أو أى أحداث يسجلها التاريخ .

بيد أن التوراة تحدثنا عن بعض أشخاص من اليهود برزوا من بينهم فى زمن السبى ، أو نالوا حظوة لدى ملوك آشور وبابل ، ومنهم طوبيا ودانيال وحزقيال :

١ — طوبيا :

وقد كان طوبيا من سبط نفتالى ، وكان فى العشرين من عمره حين سباه الأشوريون الى نينوى . وهناك نال حظوة لدى شلمناصر ملك آشور ، فسمح امرأة من سبطه اسمها حنه ، فأنجب منها ولدا سماه طوبيا كذلك . ثم نقله الأشوريون الى نينوى . وهناك نال حظوة لدى شلمناصر ملك أشور ، فسمح له بأن يتنقل كيف شاء ، فكان لايفتأ يزور اليهود فى كل أماكن اقامتهم متفقدا أحوالهم . وقد ترك بابل وأقام فى مدينة من مدن مادى بين بحر قزوين وصحراء فارس تسمى « راجيس » . وأخذ معه المال الذى كان شلمناصر قد منحه اياه وهو عشر وزنات من الفضة . بيد أنه حدث أن رجلا يهوديا اسمه « غابيلوس » احتاج الى المال فأعطاه طوبيا الفضة وأخذ منه صكا بها . ثم حدث أن مات الملك شلمناصر فجلس ابنه سنحاريب فى مكانه على عرش آشور ، وكان يكره اليهود كراهية شديدة ، فقتل منهم عددا كبيرا ، فكان طوبيا يأخذ جثث القتلى ويدفنها سرا ، ومن ثم أمر سنحاريب بقتله ومصادرة جميع أمواله ، فهرب طوبيا مع زوجته وابنه . الا أنه حدث بعد خمسة وأربعين يوما أن قام اثنان من أبناء سنحاريب وقتلاه ، فعاد طوبيا الى بيته ، ولكنه لم يلبث أن أصيب بالعمى ، ثم اشتد عليه المرض ، كما اشتدت به الحاجة ، فاستدعى ابنه طوبيا وطلب اليه أن يذهب الى غابيلوس

في راميس ويسترد منه العشرة الوزنات من الفضة . فمضى ابنه متجهـا الى تلك المدينة في بلاد الماديين . وفي الطريق عرف رجلاً من ذوي قرابته يسمى « رعوئيل » ، وكانت له ابنة تسمى « سارة » فتزوجها ، ثم استرد الفضة من غابيلوس وعاد الى أبيه ، فما التقى به حتى استرد أبـوه البصر بمعجزة الهية ، وعاش طوبيا بعد ذلك اثنين وأربعين سنة ثم مات في نحو عام ٦٣١ قبل الميلاد ، وقد تجاوز المائة من عمره ودفن في نينوى . وأما ابنـه فقد ارتحل بعد ذلك وأقام مع نسيبه « رعوئيل » في بلاد الماديين مات في نحو عام ٩٥٤ قبل الميلاد وقد بلغ التاسعة والتسعين من عمره .

٢ — دانيال :

وكان نبوخذنصر قد انتقى من اليهود الذين سباهم الى بـلاده بعض الشبان من أبناء العائلة الملكية والعائلات البارزة ليخدموه في قصره . وكان من أولئك أربعة فتية من سبط يهوذا ، هم دانيال وحنانيا وميشائيل وعزريا . وقد غير رئيس الخصيان في القصر الملكي أسـماءهم العبرية الى أسـماء كلدانية ق فأطلق على دانيال اسم « بلطشاصر » وعلى حنانيا اسم « شدرخ »، وعلى ميشائيل اسم « ميشخ » وعلى عزريا اسم « عبدنغو » وقد سـار هؤلاء الأربعة فيما بينهم وبين أنفسهم على مقتضى شريعتهم اليهوديـة . واسترضوا رئيس الخصيان فـسمح لهم بألا يأكلوا أو يشربوا في القصر الملكي الا ما تسمح به هذه الشريعة . ولم يلبثوا أن تعلموا لغـة الآشوريين وحذقوا علومهم . وكان أكثرهم فطنة وحكمة هو دانيال . وقد كانت أول حادثـة تجلت فيها فطنته وحكمته هي التي تتعلق بامرأة جميلة كانت تسـمى « سوسنة » وكانت زوجة رجل يهودي يقيم في بابل اسمه يوياقيم ، وقـد كان يتردد على بيته شيخان يهوديان كانا يتوليان القضاء بين طائفـة اليهود ، وقد أغرما بالمرأة فانتهزا فرصة انفرادها في حديقة زوجها وراوداها عن نفسها ، فلما رفضت واستغاثت ة اتهماها بأنهما ضبطاها تعانق شابا في الحديقة،

وعقدا مجلس القضاء وشهدا عليها بذلك فصدقهما أعضاء المجلس لمكانتهما وحكموا على المرأة بالموت • بيد أنهم فيما كانوا يسوقونها ليقتلوها اعترض دانيال طريقهم ، وطلب اعادة محاكمتها لأنها بريئة ، ثم أبعد أحد الشيخين عن المجلس وسأل الآخر عن المكان الذى رأى فيه المرأة وصاحبها يعانقها ، فذكر مكانا معينا في الحديقة • ثم أبعده عن المجلس وجاء بالشيخ الآخر وسأله عن المكان الذى رآهما فيه يتعانقان ، فذكر مكانا آخر غير الذى ذكره الأول ، وعندئذ ظهر كذبهما كليهما ، فقضى أعضاء المجلس بقتلهما • وأما المرأة فأخلوا سبيلها • وهكذا ذاع أمر دانيال ، مع أنه كان لا يزال فتى صغيرا • ثم حدث بعد ذلك أن حلم الملك نبوخذنصر حلما أزعجه ، فاستدعى المجوس والسحرة والكلدانيين والعرافين وطلب منهم أن يخبروه بالحلم وتفسيره فعجزوا • فأمر بقتل كل حكماء بابل • واذ كان دانيال قد تعلم حكمة البابليين شمله هذا الأمر ، فطلب الدخول الى الملك ، وأخبره بأن الله كشف له فى الرؤيا عن حقيقة الحلم وتفسيره ، وكان الحلم كما ذكره دانيال أن الملك رأى تمثالا عظيما رأسه من ذهب ، وصدره وذراعاه من فضة ، وبطنه وفخذه من نحاس ، وساقاه من حديد ، وقدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف•ثم اذا حجر قدقطع بغير يدين ثم انقض على قدمى التمثال فسحقهما وسحق التمثال كله فأصبح هشيما حملته الريح فلم يعد للتمثال أثر • وأما الحجر الذى انقض على التمثال فصار جبلا كبيرا ولم يفتأ يتضخم ويتضخم حتى ملأ الأرض كلها • ثم قام دانيال بتفسير هذا الحلم قائلا ان الرأس الذهبى للتمثال يرمز الى نبوخذنصر نفسه ، لأنه سيطر على كل الممالك ، ومن ثم أصبح رأسا لكل الملوك • وأما الصدر والذراعان من فضة فمملكة أخرى أصغر من مملكته تقوم بعده • وأما البطن والفخذان من نحاس فمملكة ثالثة تقوم بعد ذلك وتتسلط على كل الأرض• وأما الساقان من حديد فمملكة رابعة صلبة كالحديد تقوم وتسحق كل تلك الممالك التى سبقتها • وأما القدمان اللذان بعضهما من حديد والبعض من خزف • فترمزا الى أن المملكة القوية السابقة لا تلبث أن تنقسم الى قسمين

أحدهما قوى جدا والآخر ضعيف جدا • وأما الحجر الذى لم تقطعه يدا انسان والذى سحق التمثال العظيم وأفناه ، فهو مملكة يقيمها الله لا البشر، وهى لا تلبث أن تقضى على تلك الممالك جميعا وتسيطر على الأرض كلها ويدوم سلطانها الى الأبد • وقد أعجب نبوخذنصر اعجابا شديدا بدانيال اذ استطاع أن يخبره عن حلمه وأن يفسره له على هذا النحو • ومن ثم عينه كبيرا للمجوس والسحرة والكلدانين والمنجمين فى مملكته ، كما عينه واليا على بابل وأصبح من الملازمين للملك • وقد مات نبوخذنصر عام ٥٦١



« دانيال النبى »

قبل الميلاد ففقد دانيال مكانته فى القصر الملكى • بيد أنه فى عهد بلشاصر ابن نبوخذنصر ، حدث أن أقام هذا الملك وليمة لعظماء مملكته • وأحضر الآنية التى كان أبوه قد أخذها من هيكل أورشليم وشرب فيها الخمر مع ضيوفه ، فلم يلبث الملك أن رأى يد انسان ظهرت وكتبت على الحائط الذى أمامه عبارة ثم اختفت ، فاستولى الذعر على الملك واستدعى كل السحرة والمنجمين وأمرهم أن يفسروا العبارة المكتوبة على الحائط ، ولكنهم عجزوا عن ذلك ، فأخبرته أمه الملكة عن دانيال وكيف كان يفسر أحلام أبيه

فاستدعاه فقرأ العبارة وقال له ان تفسيرها أن مملكته ستنزع منه وتعطى لمادى وفارس • وفى تلك الليلة ذاتها أرسل قورش ملك فارس داريوس المادى فقتل بلشاصر واستولى على مملكته ، ثم أقام عليها مائة وعشرين واليا من قبله وأقام على هؤلاء ثلاثة وزراء يشرفون على أعمالهم • وقد كان دانيال أحد هؤلاء الوزراء ، واذ كان ذكيا نشيطا حسده غيره من الوزراء والولاة ، ودبروا دسيسة يوقعون بها بينه وبين الملك ، فأقنعوا الملك بأن يصدر أمرا بأنه لايجوز لأحد أن يتوجه بالصلاة الا للملك وحده كشريعة مادي وفارس ، ومن خالف ذلك يطرح فى جب الأسود • حتى اذا أصدر الملك هذا الأمر جاءوا اليه وقالوا له انهم رأوا دانيال يصلى لالهه مخالفا الأمر الذى أصدره ، ومع أنه كان يحب دانيال فقد اضطر أن يأمر بطرحه فى جب الأسود فطرحوه فيه • ولكن الأسود بتدبير من الله لم تمسه بسوء ، فأمر الملك باخراجه من الجب ، وأتى بالرجال الذين وشوا به لديه وطرحهم فى الجب بدلا منه هم وأولادهم ونساءهم ، فبطشت بهم الأسود على الفور • وهكذا احتفظ دانيال بمكانته فى عهد داريوس ، كما ظل محتفظا بهذه المكانة فى عهد قورش ملك الفرس ، وقد مات دانيال ودفن فى بابل ، وهو من كبار أنبياء العهد القديم •

٣ — حزقيال :

وكان ضمن الذين سباهم البابليون مع يوياكين ملك يهوذا قبل خراب أورشليم بنحو عشر سنين ـ أى فى نحو عام ٥٩٩ قبل الميلاد ـ كاهن يسمى حزقيال بن بوزى ، وقد نقلوه الى بقعة عند نهر خابور فى بابل • وهناك أنعم الله عليه بروح النبوة وأرسله الى اليهود المسبيين ليبين لهم أن ما حل بهم من الذل والعار والتشرد انما كان بسبب شرورهم وآثامهم عسى أن يتوبوا ويرجعوا عنها • وكان مما قاله له الله كما ورد فى سفر حزقيال « يا ابن آدم أنا مرسلك الى بنى اسرائيل ، الى أمة متمردة قد تمردت على • هم

وآباؤهم قد عصوا على الى ذات هذا اليوم • والبنون القساة الوجوه والصلاب القلوب أنا مرسلك اليهم •• من كلامهم لا تخف ، ومن وجوههم لا ترتعب ، لانهم بيت متمرد •• لأن كل بيت اسرائيل صلاب الجباه وقساة القلوب •• اذهب الى المسبيين الى بنى شعبك وكلمهم •• قد جعلتك رقيبا لبيت اسرائيل فاسمع الكلمة من فمى وانذرهم من قبلى •• هذه أورشليم ، فى وسط الشعوب قد أقمتها وحواليها الأراضى ، فخالفت أحكامى بأشر من الأمم وفرائضى بأشر من الأراضى التى حواليها لأن أحكامى رفضوها وفرائضى لم يسلكوا فيها •• ولذلك قل لبيت اسرائيل هكذا قال السيد الرب • توبوا وارجعوا عن أصنامكم وعن رجاساتكم •• أما أنت فارفع مرثاة على رؤساء اسرائيل وقل ما هى أمك ؟ لبؤة ربضت بين الأسود وربت جراءها بين الأشبال • ربت واحدا من جرائها فصار شبلا وتعلم افتراس الفريسة • أكل الناس • فلما سمعت به الأمم أخذ من حضرتهم فأتوا به بخزائم الى أرض مصر • فلما رأت أنها قد انتظرت وهلك رجاؤها أخذت آخر من جرائها وصيرته شبلا ، فتمشى بين الأسود • صار شبلا وتعلم افتراس الفريسة • أكل الناس وعرف قصورهم وخرب مدنهم فأقفرت الأرض وملؤها من صوت زمجرته ، فاتفق عليه الامم من كل جهة من البلدان وبسطوا عليه شبكتهم فأخذ فى حضرتهم فوضعوه فى قفص بخزائم وأحضروه الى ملك بابل وأتوا به الى القلاع لكيلا يسمع صوته بعد على جبال اسرائيل •• ان بيت اسرائيل لما سكنوا أرضهم نجسوها بطريقهم وأفعالهم •• فسكبت غضبى عليهم لأجل الدم الذى سفكوه على الأرض وبأصنامهم نجسوها ، فبددتهم فى الأمم فتذروا فى الأراضى •• فلما جاءوا الى الأمم حيث جاءوا نجسوا اسمى القدوس •• فاخجلوا واخزوا من طرقكم يا بيت اسرائيل » •

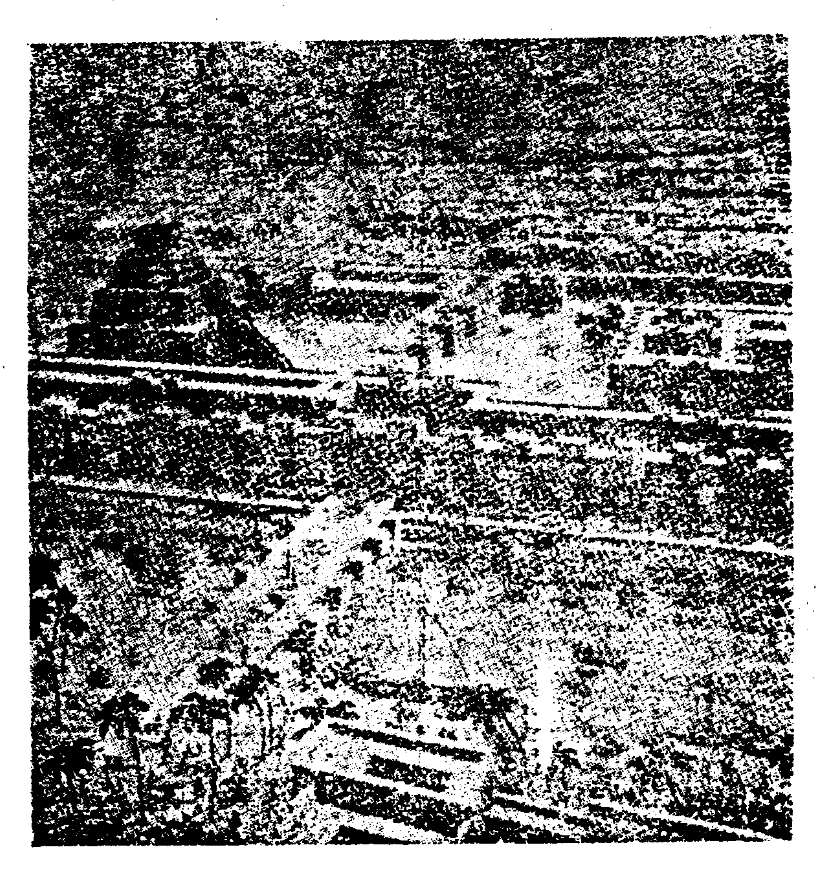
وقد ظل حزقيال يوبخ اليهود الذين فى السبى على هذا النحو وينذرهم ويحذرهم ويدعوهم الى التوبة نحو ثلاثين سنة ، ومن ثم حنقوا عليه وقتلوه •

الفصل الثامن

اليهود تحت حكم الفرس بعد عودة بعضهم إلى فلسطين

ولم يلبث أن ارتفع شأن دولة الفرس التى كانت تقع شمالى الخليج الفارسى ، اذ قام فيها ملك شديد البأس هو « قورش » الذى أعد جيشا عظيما وأغار به على الميديين فأخضعهم ، ثم استولى على آشور . ثم على بابل عام ٣٥٨ قبل الميلاد ، وسيطر على كل البلاد التى كانت من قبل تحت سلطان آشور وبابل ، وغيرهما حتى أصبحت دولته امبراطورية من أضخم امبراطوريات التاريخ . ولم يلبث دانيال النبى أن أصبح من المقربين الى قورش . فالتمس منه أن يسمح لليهود بأن يعودوا الى بلادهم وأن يبنوا هيكلهم فى أورشليم . واذ كان قورش ينتهج سياسة استرضاء الشعوب سمح بذلك . وكان اليهود قد أمضوا فى السبى مدة تتراوح بين مائتى سنة بالنسبة لأول من سباهم تغلتفلأسر ملك آشور ، وأربعين سنة بالنسبة لآخر من سباهم نبوخذنصر ملك بابل .

وقد فضل عدد كبير من اليهود البقاء فى بابل ، وقد رفضوا التخلى عما لهم فيها من أعمال وممتلكات ، فأصبحوا معروفين بيهود الشتات ، بينما بدأ البعض من سبطى يهوذا وبنيامين ومن الكهنة واللاويين يعودون الى أورشليم بقيادة زربابل بن شألتيل من بيت داود الذي أقامه قورش واليـــا عليهم ، وكان



« مدينة بابل ويبدو فيها برج بابل »

عددهم اثنين وأربعين ألفا وثلاثمائة وستين شخصا ، يصحبهم من العبيـــد والاماء سبعة آلاف ثلاثمائة وسبعة وثلاثون ، ومن المغنين والمغنيات مئتان . وذلك فضلا عن ستمائة واثنين خمســـين شخصا كانوا قد اختلطوا بالكلدانيين

اختلاطا شديدا حتى نسوا أنسابهم ولم يستطيعوا أن يحددوا السبط الذى ينتمون اليه . وقد قال بعضهم أنهم من أبناء الكهنة ، ولكنهم عجزوا عن اثبات ذلك فحرموا من ممارسة الكهنوت . ولما كان أغلب العائدين من السبى من سبط يهوذا ، أصبح العبرانيون منذ ذلك الحين معروفين جميعا باليهود وان كانوا من الأسباط الأخرى . وبذلك اتسع مدلول هذا اللقب مع تطورات التاريخ : فكان يطلق أولا على أبناء سبط يهوذا وحدهم . ثم حين انقسمت مملكة سليمان الى مملكتين أصبح هذا اللقب يطلق على رعايا مملكة يهوذا دون رعايا مملكة اسرائيل . ثم أصبح أخيرا يطلق بعد العودة من السبى على العبرانيين بنى اسرائيل جميعا ، وقد غلب استعماله على لقب العبرانيين ولقب بنى اسرائيل .

وقد حرص الذين عادوا من السبى على أن يأخذوا معهم ما استطاعوا من أموالهم وماشيتهم ، كما زودهم الذين فضلوا البقاء بما يحتاجون اليه فى بلادهم من أمتعة وآنية وبهائم وذهب وفضة وغير ذلك . واذ كان قورش يتظاهر باحترام آلهة الشعوب التى تخضع له ويبنى لها المعابد ، أصدر أمرا باعادة بناء هيكل أورشليم ، وأعاد مع العائدين ما سبق لنبوخذ نصر أن أخذه من آنية الهيكل ، وكان عددها خمسة آلاف واربعمائة قطعة ذهبية وفضية . وقد أقام العائدون فى أورشليم وفى الاقاليم المجاورة لها ، وبنوا مذبحا فى مكان المذبح الذى كان فى هيكل أورشليم ، وبدأ الكهنة يمارسون عليه طقوس العبادة برئاسة يشوع بن يوصاداق ، وراحوا يعدون العدة لاعادة بناء الهيكل . وقد تبرع أغنياؤهم لهذا الغرض بمبالغ بلغت جملتها واحدا وستين ألف درهم من الذهب وخمسمائة ألف درهم من الفضة ، فاستأجروا نحاتين ونجارين ، واشتروا خشب الأرز من لبنان . ثم فى السنة الثانية من عودتهم أسرعوا يبنون الهيكل تحت اشراف الوالى زربابل بن شألتئيل ، ورئيس الكهنة يشوع بن يوصاداق . بيد أنه لم يلبث أن جاء السامريون الذين كان الأشوريون والبابليون قد استقوهم وخلطوهم بشعوب

أخرى أتوا بها من آشور وبابل ، وهم الذين تسميهم التوراة « الأفرستكين ، والطرفليين ، والأفرسيين ، والأركويين ، والبابليين ، والشوشنيين ، والدهويين والعيلاميين » ، وطلبوا أن يشتركوا فى بناء الهيكل مع العائدين من السبى ، فرفض هؤلاء طلبهم هذا ، لأنهم كانوا أقرب الى الوثنيين فى عقائدهم وعاداتهم منهم الى اليهود . ومن ثم راح هؤلاء يناوئونهم ويحاولون بينهم وبين الاستمرار فى البناء ، حتى تمكنوا من تعطيلهم عن ذلك طوال عهد الملك قورش . ثم لما جلس على العرش ابنه الملك « قمبيز » عام ٥٢٩ قبل



« لوحة أثرية تمثل داريوس ملك الفرس »

الميلاد وهو الذى تسميه التوراة « أحشويرش » ، أرسل اليه السامريون وغيرهم من الشعوب التى كانت تقيم فى فلسطين أثناء سبى اليهود يقولون له « ان اليهود الذين خرجوا من عندك الينا قد أتوا الى أورشليم ، وهم يبنون هذه المدينة المتمردة الشقية ، وقد أكملوا أسوارها ورمموا أسسها . فليكن معلوما لدى الملك أن هذه المدينة اذا بنيت وأكملت أسوارها فلن يؤدى اليهود الجزية ولا الخراج ولا أى ضريبة ، وسيخرجون عن طاعتك » (عزرا ٤ : ١٢ - ١) .

فأصدر الملك أمره الى والى السامرة وسائر ولاة عبر النهر أن يمنعوا اليهود عن بناء هيكلهم أو مدينتهم ، فذهبوا اليهم ومنعوهم بالقوة عن مواصلة البناء ، فتوقفوا عن ذلك طوال عهد الملك قمبيز ، ثم فى السنة الثانية من حكم الملك « دارا » الذى تسميه التوراة داريوس ، والذى جلس على عرش فارس عام ٥٢١ قبل الميلاد ، طلب اليه اليهود أن يشرعوا فى بناء هيكلهم من جديد مستندين فى ذلك الى الأمر الذى سبق أن أصدره الملك قورش ، فاذن لهم فى ذلك ، فأتموا بناء الهيكل فى خمس سنوات . ولكن الهيكل الذى بنوه كان أصغر من هيكل سليمان وأقل منه فخامة كما أنهم لم يضعوا فيه تابوت العهد ، لأن أرميا النبى كان قد أخذ هذا التابوت ووضعه فى احدى مغارات جبل نبو فى موآب مقابل أريحا ، فلم يمكن لأحد أن يهتدى بعد ذلك الى مكانه حتى اليوم .

ثم فى عهد الملك « أرتكسترا » الذى اشتهر باسم « أرتاكسركسيس » والذى تسميه التوراة « أرتحششتا » كان فى بابل كاهن يهودى مقرب الى الملك يسمى « عزرا بن سرايا » من سبط هارون ، وقد طلب من الملك أن يسمح بعودة فوج آخر من اليهود الى أورشليم فسمح الملك بذلك ، فعاد الى أورشليم فى نحو عام ٤٥٨ قبل الميلاد ومعه قوم من الكتبة اللاويين وعامة الشعب ، كما حمل معه أموالا طائلة وكنوزا وفيرة وهبها له اليهود الذين بقوا فى بابل . وكان الذين سبق أن عادوا من السبى بما فيهم الكهنة واللاويون قد اختلطوا بالشعوب التى عاشوا بينها وصاهروها فاتخذوا لأنفسهم ولأبنائهم زوجات من الكنعانيين والحثيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين والموآبيين والمصريين والأموريين . فأصدر عزرا أمره اليهم بتطليق كل زوجاتهم الأجنبيات وطرد أبنائهم منهن . كما حض اليهود على العودة الى العمل بالشريعة الموسوية ، وقد دأب على تبصيرهم بهذه الشريعة وتفسيرها لهم ولذلك لقبوه بالكاهن ، كما لقبوه بالكاتب ، أى العالم والفقيه . والاعتقاد السائد لدى اليهود أنه هو الذى جمع أسفار التوراة ونظمها . وأنه هو

الذى حمل الى بلادهم حروف الأبجدية الآرامية التى اشتهرت بالخط الأشورى والتى نشأت منها الحروف العبرية فى آخر تطور لها . وقد كتب عزرا السفر المنسوب اليه فى التوراة بخليط من اللغتين الآرامية والعبرية .

وكان رجل يهودى من سبط يهوذا اسمه نحميا بن حكليا ساقيا للملك « أرتحتشتا » الذى اشتهر باسم « أرتاكسركسيس » ، فالتمس منه أن يعود الى بلاده لبناء سور أورشليم وترميم أبنيتها ، فأذن له الملك فى ذلك ، وعينه حاكما لليهودية ، وأرسل معه بعض الفرسان وقواد الجيش لحراسته ، فلما بلغ أورشليم فى نحو عام ٤٤٤ قبل الميلاد حض قومه على بناء سور المدينة ، وقسم العمل بينهم ، فبنى كل فريق منهم الجزء المقابل لمساكنه . وقد أتموا عملهم فى اثنين وخمسين يوما . ثم نظم نحميا اقامة اليهود فجعل العشر منهم فى أورشليم ووزع التسعة الأعشار الباقية على سائر بلاد فلسطين . وقد اشتكى اليه فقراء اليهود من أن رؤساءهم وأغنياءهم يقرضونهم الفضة والقمح بالربا الفاحش ويرهنون نظير ذلك بيوتهم وحقولهم حتى ساءت حالهم جدا ، فانتهر نحميا الرؤساء والأغنياء على تصرفهم هذا . كما وجد أن بعض اليهود ما زالوا يتخذون زوجات أشدوديات وعمونيات وموآبيات وقد أنجبوا منهن أبناء لايتكلمون لغة اليهود وانما لغة أمهاتهم ، حتى لقد كان أحد أبناء رئيس الكهنة ذاته يوياداع بن ألياشيب متزوجا من امرأة حورانية ، فأجبر نحميا هؤلاء على طرد زوجاتهم الأجنبيات مع أبنائهم منهن . وبعد أن حكم نحميا اليهودية مدة اثنتى عشرة سنة ، عاد عام ٤٣٣ قبل الميلاد الى الملك « أرتاكسركسيس » فى « سوسا » عاصمة فارس ، وهى التى تسميها التوراة « شوشن » ، ولكنه لم يلبث هناك طويلا ، وانما عاد الى أورشليم وظل واليا على اليهوديه الى أن مات فى نحو عام ٤١٥ قبل الميلاد ، بعد أن حكم اليهودية نحو ثلاثين سنة .

وقد ظل اليهود منذ موت نحميا عام ٤١٥ قبل الميلاد الى أن استولى الاسكندر الأكبر على بلادهم عام ٣٣٢ قبل الميلاد خاضعين للدولة الفارسيه . وكان يدير شئونهم الداخلية فى تلك الفترة رئيس كهنتهم تحت سلطان فارس .

الفصل التاسع

اليهود تحت حكم اليونان

كان الاسكندر الأكبر ملك اليونان قد اعتزم القضاء على الدولة الفارسية ، فنزل فى آسيا الصغرى عام ٣٣٤ قبل الميلاد ، وهزم جيوش الفرس التى كان يقودها دارا الثالث على نهر جرانيكوس ، ثم تقدم نحو الشرق وهزمهم مرة أخرى فى « اسوس » بكيليكيا ، ثم واصل زحفه الى سوريا فاستولى على دمشق ، ثم فتح صور بعد أن قاومته سبعة أشهر . ثم اتجه عام ٣٣٢ قبل الميلاد الى أورشليم ليستولى عليها ، فما علم « يدوع » رئيس كهنة اليهود باقترابه حتى أمر بتزيين المدينة بالزهور والرياحين وفتح أبوابها ، ثم خرج للقائه مرتديا حلة من الذهب والأرجوان ، يتبعه الكهنة بحللهم البيضاء

المزركشة ، ثم عامة الشعب يرتدون الملابس الزاهية ، وقد قدم رئيس الكهنة فروض الطاعة للاسكندر وهتف اليهود بالدعاء له ، وحين دخل هيكل أورشليم أطلعه رئيس الكهنة على نبوءات دانيال النبى التى تقول بأن ملكا عظيما سيقوم ويقضى على دولة الفرس ، وقال له أنه هو ذلك الملك،فطرب الاسكندر لذلك ، ولم يلبث أن دان له كل اليهود والسامريين ، وانتظم كثيرون منهم فى جيشه • ثم استولى على غزة بعد أن قاومته شهرين ، ثم زحف الى مصر فاستولى عليها ، وبعد أن دانت له عاد يتابع حملته على الفرس ولكنه فى طريق عودته علم أن السامريين قد قتلوا أندروماك الذى كان قد عينه واليا على سوريا ، فحنق الاسكندر عليهم وقتل عددا كبيرا منهم وطرد الباقين من السامرة وأقام فى مكانهم جالية من المقدونيين ، ثم واصل زحفه فعبر نهر دجلة والتحم بالجيوش الفارسية عند « جاوجا ميلا » فهزمها ثم استولى على بابل ، ثم بعد ذلك استولى على سوسا عاصمة فارس كما استولى على سائر مدنها ، وبذلك قضى قضاء نهائيا على الدولة الفارسية • ثم استولى على ميديا وأفغانستان • ثم زحف الى الهند معتزما التوغل فيها ، ولكنه لم يلبث أن عاد الى بابل واتخذها عاصمة له وشرع ينظم امبراطوريته المترامية الأطراف • غير أنه مات فجأة عام ٣٢٣ قبل الميلاد ، فعقد قواده مؤتمرا فى بابل وقسموا امبراطوريته فيما بينهم ، فكانت سوريا واليهودية من نصيب لاوميدون • بيد أنه لم تلبث أن برزت فى امبراطورية الاسكندر ثلاث شخصيات قوية ، هى شخصية أنتيجونوس الذى أصبح يحكم مقدونيا وممتلكات اليونان فى أوروبا والجزء الغربى من آسيا الصغرى ، وشخصية سيليوكوس ،أو سيلوق ، الذى أصبح يحكم سوريا الشمالية وشطرا كبيرا من الامبراطورية الفارسيةالقديمة يمتد الىالسند شرقا والىليديا غربا ، وشخصية بطليموس الذى أصبح يحكم سوريا الشمالية وشطرا كبيرا من الامبراطورية الفارسية القديمة يمتد ا السنة شرقا والى ليديا غربا ، وشخصية بطليموس الذى أصبح يحكم مصر وشمال أفريقيا ، ثم فى عام ٣١٩ قبل الميلاد زحف على آسيا واستولى على فلسطين وفينيقيا وسوريا الجنوبية حتى عكا ، ومن ثم أصبحت اليهودية وعاصمتها أورشليم من أملاك بطلموس الأول ملك مصر • وقد

الى مصر يتأجج غضبا وغيظا وانتقم من اليهود المقيمين فى مصر شر انتقام ، وقد جردهم من امتيازاتهم التى كانوا يتمتعون بها فلم يستردوها الا بعد ان ألزمهم بدفع غرامة فادحة .

ثم فى عهد بطليموس الخامس استولى أنطيوخوس الثالث على ممتلكات مصر فى آسيا ، وقد استولى على اليهودية فى موقعة بانياس عام ١٩٨ قبل الميلاد . واذ عجز بطليموس الخامس عن استردادها خرجت نهائيا من أملاك البطالمة ملوك مصر وظلت منذ ذلك الحين فى قبضة السيليوكيين ملوك سوريا . وقد حدث حين علم اليهود باقتراب أنطيوخوس من بلادهم أن خرجوا للقائه وفى أيديهم مفاتيح مدنهم وحصونهم . وحين دخل اورشليم خف لاستقباله رئيس الكهنة وشيوخ اليهود فى احتفال عظيم وساعدوه على طرد الحامية البطلمية التى كانت تعتصم فى قلعة أورشليم ، فاستتب له الأمر فى اليهودية وظل مسيطرا عليها حتى مات مقتولا عام ١٨٧ قبل الميلاد .

وفى عهد أنطيوخوس الرابع بدأ اليهود يتشبهون باليونان ويتعودون عاداتهم ويعتنقون دياناتهم . وقد كان منهم قوم لا يفتأون يتقربون الى الملك ويتذلفون اليه تطلعا الى المناصب والمكاسب . ومن ذلك أن رجلا اسمه سمعان من سبط بنيامين كان وكيلا على الهيكل ثم لم تلبث أن نشبت خصومة بينه وبين رئيس الكهنة أونياس ، فانطلق الى القائد اليونانى أبولونيوس وأخبره أن خزانة الهيكل مليئة بأكداس مكدسة من الذهب والفضة ، فأرسل هيرودس ليأتيه بما يجده فى الخزانة . وحين علم أونياس بقصده ذكر له أنه لا يوجد فى الخزانة سوى مائتى وزنة من الذهب وأربعمائة وزنة من الفضة ، ولكنه أصر على حملها الى خزانة الملك ، فلم يصرفه عن ذلك الا وقوع معجزة جاء وصفها فى سفر المكابيين . ولكن سمعان ظل يدس لرئيس الكهنة أونياس ، بل حاول قتله . ثم حدث أن طمع ياسون أخو أونياس فى رئاسة الكهنوت ، فذهب الى الملك ووعده بثلاثمائة وستين وزنة

من الذهب من دخل الهيكل ، وبمانين وزنه من دخل آخر ، اذا عينه مكان أخيه في هذه الوظيفة ، كما ضمن له مائه وخمسين وزنة غيرها اذا فوض اليه السلطة في منح أهل أورشليم رعوية أنطاكية وفي اقامة ناد من النـوادى التى كان اليونان يسمونها « الجمنازيوم » ، وكانوا يتلقون فيها العلوم العقلية والرياضة البدنية ، ويتلقون فيها عوائد اليونان وتقاليدهم • فأجابه الملك الى ذلك فتقلد رئاسة الكهنوت ، وراح يعمل بكل جهده على صبغ حياة اليهود بالصبغة اليونانية • معطلا كل معتقدات الشريعة الموسـوية ومبادئها • وقد جاء عن ذلك في سفر المكابيين « وفي تلك الأيام خرج من اسرائيل أبناء منافقون فأغروا كثيرين قائلين هلم نعقـد عهدا مع الأمم (أى الوثنيين) حولنا ، فانا منذ انفصلنا عنهم لحقتنا شرور كثيره ، فحسن الكلام في عيونهم ، وبادر نفر من الشعب وذهبوا الى الملك فأطلق لهم أن يصنعوا بحسب أحكام الأمم ، فابتنوا مدرسة في أورشليم على حسب سنن الأمم وعملوا لهم غلفا (أى أنهم لم يختتنوا) وارتدوا عن العهـد المقدس ومازجوا الأمم وباعوا أنفسهم لصـنيع الشر •• فتمكن الميـل الى عادات اليونان والتخلق بأخلاق الأجانب بشدة فجور ياسون الذى هو كافر لا كاهن أعظم ، حتى أن الكهنة لم يعودوا يحرصون على خدمة المذبح واستهانوا بالهيكل وأهملوا الذبائح •• وكانوا يستخفون بمـآثر آبائهم ويتنافسون بمفاخر اليونان » (المكابيين الأول ١ : ١٢ - ١٦ ، المكابيين الثانى ٤ : ١٣ - ١٥) •

وقد حدث أن أقيمت حفلة مصارعة في صور حضرها الملك لمناسبة عيـد الاله الوثنى هيراكليوس ، فأرسل ياسون بعض شبان اليهود ومعهم ثمن ذبيحة ليقدموها لذلك الاله في معبد صور •

وقد حدث بعد ذلك أن أرسل ياسون أموالا الى الملك مع رجل يسـمى منيلاوس ، فتذلف هذا الى الملك وعرض أن يتولى وظيفة رئاسة الكهنوت

بدلا من ياسون نظير أن يدفع ثلاثمائة وزنة من الذهب أكثر مما يدفع ياسون، فوافق الملك وعينه رئيسا للكهنة مع أنه كما جاء فى سفر المكابيين « لم يكن على شىء مما يليق بالكهنوت الأعظم ، وانما كانت له أخلاق غاشم عنيف وأحقاد وحش ضار » (المكابيين الثانى ٤ : ٢٥) ، ومن ثم فر ياسون الى أرض بنى عمون • أما منيلاوس فعجز عن وفاء ما وعـــد به الملك ، ومن ثم سرق بعض آنية الهيكل الذهبية وباعها ووفى ما عليه من ثمنها ، وكان أونياس رئيس الكهنة الأصلى فى هذه المدة مختبئا بالقرب من أنطاكية فاستدرجه منيلاوس وقتله ، وكان لمنيلاوس أخ يسمى ليسيماخوس ، وقد أعانه على سرقة كثير من أموال الهيكل • فلما سمع أهل أورشليم ذلك ثاروا على ليسيما خوس ، فسلح هذا ثلاثة آلاف رجل ونشب بين الفريقين قتال عنيف ، وقد انتصر الملك بتحريض منيلاوس ابريق لسيماخوس وقتل كل الذين ثاروا عليه •

وقد حاول بطليموس السادس ملك مصر أن يسترد سوريا الجنوبيـــة ومعها اليهودية من أنطيوخوس الرابع فأعلن الحرب عليه ، ولكن هذا هزمه وزحف على بلاده وهناك قبض عليه وتوج نفسه ملكا على مصر ، ثم اعتزم الزحف على الاسكندرية ، ولكنه لم تلبث أن بلغته أنباء اضطرابات وقلاقل أثارها اليهود فى بلادهم فقفل راجعا • وكان الذى حدث أنه أشيع فى أورشليم أن أنطيوخوس قد لقى مصرعه فى مصر ، فجاء ياسون رئيس الكهنة المخلوع على رأس جيش مكون من ألف جندى وهجم على أورشليم بغتة وتغلب على الحراس القائمين على الأسوار ، فلما أوشك أن يستولى على المدينة هرب منيلاوس الى القلعة فحاصره ياسون هناك ، ثم طفق يذبح أهل أورشليم • وفى هذه الأثناء علم أن أنطيوخوس قادم من مصر فهرب متنقلا من بلد الى بلد حتى دخل مصر • وأما أنطيوخوس فقد اتهم اليهود بالانتقاض عليه ودخل أورشليم بجيش ضخم وأمر جنوده بأن يقتلوا كل من صادفوه دون رحمة ويذبحوا المختبئين فى البيوت ، فراحوا يقتلون الرجال والنساء والشـــيوخ والأطفال دون تمييز حتى بلغ عدد الذين أهلكوهم فى ثلاثة أيام أربعين ألف

نفس • كما بلغ الذين باعوهم فى أسواق العبيد مثل هذا العدد • ثم اقتحم أنطيوخوس هيكل أورشليم وتعمد تدنيسه فدخل قدس الأقداس وقدم خنزيرا على مذبحه ، ثم راح بارشاد منيلاوس رئيس الكهنة يستولى على كل ما فى الهيكل من الآنية والنفائس الذهبية ، فكان مقدار ما حمله من الهيكل كما ورد فى سفر المكابيين ألف وثمانمائة وزنة من الذهب ، ثم عاد الى أنطاكية وقد أقام فيلبس حاكما على اليهودية ، وهو رجل يونانى من أصل فريجى ، شرس الأخلاق فظ الطباع • كما أقام رجلا داعرا يسمى أندرونيكوس حاكما للسامرة ، وأعاد منيلاوس رئيسا للكهنة ، ثم لم يلبث أنطيوخوس أن عاد الى أورشليم ، وكان لا يزال حاقدا على اليهود فأرسل اليهم أبولونيوس على رأس جيش مكون من اثنين وعشرين ألف جندى ، وقد أمره أن يذبح كل بالغ من الرجال وأن يبيع النساء والأطفال فى أسواق الرقيق • فدخل أبولونيوس أورشليم وأشاع فيها الخراب وقتل أهلها ونهب أموالها وهدم أسوارها ثم أحرقها بالنار • وبنى بعد ذلك سورا عظيما حول مدينة داود وجعلها قلعة للسيليوكيين ووضع فيها الغنائم التى سلبها من أورشليم وملأها بالجنود اليونان واليهود الموالين لهم ، فكانوا لا يفتأون يغيرون على أورشليم وينهبونها فهرب أهلها منها وأقفر هيكلها •

ولم يلبث أنطيوخوس الرابع أن قرر توحيد الديانة فى كل البلاد الخاضعة له فألزم كل شعوبها بترك دياناتها وعبادة الآلهة اليونانية • وقد أصدر أمره الى أهل أورشليم وكل مدن اليهودية أن يمتنعوا عن ممارسة العادات والطقوس اليهودية كختان أبنائهم ، وأن يمتنعوا عن تقديم الذبائح والمحرقات فى هيكل أورشليم ، وأن يبنوا مذابح وهياكل ومعابد للأصنام ويذبحوا فيها الخنازير والحيوانات التى يعتبرها اليهود نجسة • وقد أرسل الى أورشليم رجلا يونانيا اسمه أثينيوس ليعلم اليهود طقوس عبادة الأصنام وليحول هيكل أورشليم الى معبد للاله زيوس الأوليمبى ، ويحول هيكل السامريين فى جرزيم الى معبد للاله زيوس حامى الغرباء ، لأن أهل

السامرة كانوا غرباء . فامتثل أغلب اليهـــود لأوامر الملك ونبذوا الديانة اليهودية ، وبنوا مذبحا للأصنام فى هيكل أورشليم وفى كل مدن اليهودية ، ومزقوا كل ما وجدوه من نسخ التوراة وأسفار الشريعة وأحرقوه بالنار ، وقتلوا كل من وجدوه يخفى احدى هذه النسخ . كما قتلوا كل امرأة قامت بختان أبنائها وعلقوا أولئك الأبناء من أعناقهم فماتوا . وراح البعض يفسقون بالمأبونين ويضاجعون النساء فى الأماكن المقدسة ، بل فى هيكل أورشليم ذاته ، ولم يعد أحد من اليهود يحتفل بيوم السبت أو بالأعياد السنوية ، بل لم يعد أحد يعترف بأنه يهودى أصلا . وكانوا فى يوم مولد الملك من كل شهر يقدمون الضحايا للآلهة الوثنية ، كما كانوا فى عيد الاله اليونانى ديونيسوس يطوفون فى الشوارع محتفلين به وعليهم أكاليل من اللبلاب .

وكان ثمة فى « مودين » احدى مدن اليهودية كاهن يهودى اسمه متاثيا بن يوحنا بن سمعان ، من أبناء حشمون الذى كان من عشيرة يهوياريب من سبط لاوى ، وقد كان له خمسة أبناء هم « يوحنا » المسمى « كديس » ، و « سمعان » المسمى « بطسى » ، و « يهـــوذا » المسمى « مكابيوس » ، و « العازار » المسمى « أواران » ، و « يوناثان » المسمى « أفوس » . واذ كانوا متعصبين لديانتهم اليهودية ، رفضوا عبادة الآلهة الوثنية ، وقد حدث أن أقبل رجل يهودى ليقدم ذبيحة للاله اليونانى فى « مودين » ، فوثب عليه « متاثيا » وقتله على المذبح ، كما قتل مندوب الملك فى المدينة ، ثم هرب هو وبنوه الى الجبال ، فتبعهم بعض اليهود واعتصموا هناك ، فحاصرهم جنود الملك وهجموا عليهم فى يوم سبت فلم يقاوموهم فقتلوا منهم ألف نفس ، وعندئذ قرر متاثيا وجماعته ألا يمتنعوا عن قتال من يقاتلهم يوم سبت ، ولم يلبث أن انضم الى متاثيا كثير من اليهود ، فألف منهم جيشا كبيرا ، وراح يغير به على البلاد فيقتل اليهود الذين يذبحون للآلهة الوثنية ويهدم مذابحهم ويختن أطفالهم .

حتى اذا تقدم متانيا فى السن ثم مات فى نحو عام ١٦٧ قبل الميلاد ، خلفه فى قيادة المتمردين ابنه يهوذا المسمى مكابيوس ، وقد راح يتسلل مع رجاله الى القرى ، ويضمون اليهم من يستميلونه من اليهود ، حتى أصبح معهم نحو ستة آلاف رجل ، فأخذ يفاجىء المدن والقرى ليلا ويحرقها ويقتل الساكنين فيها ، فلم يلبث أن أصبح اسمه يرهب البلاد كلها . ومن ثم حشد «أبولونيوس» والى السامرة من قبل أنطيوخوس جيشا عظيما من السامرة ليحاربه ، فهزمه يهوذا وقتل عددا كبيرا من جيشه وسلب غنائمهم . فلما سمع بذلك «سارون» قائد جيش سوريا حرج على رأس جيشه ، فلما دنا من عقبة بيت حارون خرج اليه يهوذا وهزمه وقتل من جيشه ثمانمائة رجل وفر الباقون الى أرض فلسطين . وحين بلغت هذه الانباء مسامع الملك أنطيوخوس الرابع استشاط غضبا ، واذ كان مشغولا فى حرب أخرى عهد الى نائبه ليسياس بأن يرسل جيشا عظيما الى اليهود لينتقم منهم ويبيدهم عن آخرهم ويقسم أرضهم بين الأجانب ، فأرسل اليهم نكانور وجورجياس وبطليموس بن دوريمانس على رأس جيش مؤلف من أربعين ألف رجل وسبعة آلاف فارس . وقد جاءوا وعسكروا عند عماوس بالقرب من أورشليم ، وأخذ جورجياس خمسة آلاف جندى وألف فارس وسار بهم ليلا ليباغتوا يهوذا وأنصاره . بيد أنه فى هذه الاثناء كان يهوذا قد أخذ رجاله وتقدم لقتال الجيش المعسكر فى « عماوس » فهزمه وقتل منه ثلاثة آلاف رجل وتعقب فلوله الى جازر وسهول أورام وأشدود ويمنيا ، حتى اذا عاد جورجياس ورجاله ورأوا زملاءهم قد انهزموا وفروا ، لاذوا هم أيضا بالفرار . ثم فى السنة التالية جمع ليسياس ستين ألف جندى وخمسة آلاف فارس لمحاربة يهوذا وجماعته ، فأتوا الى أدوم ، ثم نزلوا ببيت صور فلاقاهم يهوذا فى عشرة آلاف رجل وهزمهم وقتل منهم خمسة آلاف رجل وأرغم الباقين على الفرار . ثم صعد يهوذا ورجاله الى جبل صهيون فرأوا هيكل أورشليم وقد أصبح خرابا ، وقد قام فى وسطه مذبح للآلهة الوثنيين ، فهدموا هذا المذبح ، وبنوا مذبحا للهيكل فى مكانه ، وأزالوا كل ما وضعه الوثنيون فى الهيكل وأعدوه للعبادة ثم دشنوه من جديد ،

وبنوا على جبل صهيون من حوله أسوارا عالية وبروجا حصينة وأقاموا عليه حراسة قوية . وقد كان ذلك فى نحو عام ١٦٤ قبل الميلاد .

وهكذا أصبحت أورشليم خاضعة ليهوذا المسمى « مكابيوس » منذ ذلك الحين ، واذ أصبح أبرز اخوته وأقوى أفراد أسرته ، أصبحوا جميعا كما أصبح أتباعهم يلقبون بالمكابيين .

الفصل العاشر

اليهود تحت حكم المكابيين

١ - يهوذ :

فلما سمعت الشعوب التى كانت تحيط باليهود أنهم استولوا بقيادة يهوذا زعيم المكابيين على أورشليم ، وبنوا مذبحهم ودشنوا هيكلهم ، حنقوا وراحوا يقتلون كل الذين يقيمون معهم من اليهود . ومن ثم شن يهوذا الحرب على الأدوميين بنى عيسو وهزمهم وسلب غنائمهم . ثم شن الحرب على بنى بيان وحاصرهم وأهلكهم وأحرق بروجهم وكل من كان فيها بالنار . ثم عبر الى بنى عمون ، وكان لهم جيش قوى بقيادة تيموثاوس من قبل أنطيوخوس فهزمهم وفتح « يعزير » وتوابعها ، ثم عاد الى اليهودية . وقد هجم الوثنيون الذين فى جلماد بقيادة تيموثاوس كذلك على اليهود عازمين على

ابادتهم ، فقتلوا منهم نحو ألف رجل فى أرض طوب وسبوا نساءهم وأولادهم ونهبوهم ، وقد فر الباقون الى حصن ديانما وأرسلوا يستنجدون بيهوذا • كما أغار الوثنيون فى صور وصيدا وبطاليمايس وهى عكا على اليهود القاطنين فى الجليل وقتلوا منهم كثيرين وسبوا نساءهم وأولادهم كذلك ونهبوهم ، فأرسلوا أيضا يستنجدون بيهوذا ، فزحف يهوذا ومعه أخوه يوناثان على رأس فريق من رجاله الى أرض جلعاد ، وزحف أخوه الآخر سمعان على رأس فريق آخر الى الجليل ، بينما بقى عزريا ويوسف بن زكريا على رأس بقية الجيش فى اليهودية للمحافظة عليها • وقد هزم سمعان الوثنيين فى الجليل وقتل منهم ثلاثة آلاف رجل وسبى نساءهم وأولادهم وسلب غنائمهم وجاء بها الى اليهودية • وأما يهوذا ويوناثان فقد عبرا الأردن وساروا ثلاثة أيام فى البرية ، وقد صادفهم النباطيون فأنبأوهم بما حل باليهود الذين فى أرض جلعاد ، اذ حاصرهم الوثنيون فى بصرة وباصر وعليم وكسفور ومكيد وقرنائيم وسائر مدن جلعاد ، وقد عزموا على ابادتهم • فاتجه يهوذا مع جيشه الى باصر واستولى عليها وقتل رجالها وسلب غنائمها وأحرق المدينة بالنار • ثم زحف الى المصفاة واستولى عليها وقتل رجالها وسلب غنائمها وأحرقها بالنار ، ثم زحف الى كسفور ومكيد وباصر وسائر مدن جلعاد ، فاستعد تموثاوس للقائه على رأس جيش عظيم ونزل قبالة رافون فى عبر الوادى ، ولكن يهوذا تقدم اليه وهزمه ، وقد فر جنوده الى المعبد الذى فى قرنائيم واحتموا به ، فاستولى يهوذا على المدينة وأحرق المعبد مع كل من كان فيه بالنار ، ثم جمع كل اليهود المقيمين فى أرض جلعاد وقفل راجعا بهم الى اليهودية ، ولما بلغ مشارف مدينة عقرون الحصينة وجد أنه لا يستطيع أن يحيد عنها بمن معه يمنة ولا يسرة لعدم وجود طريق عن يمينها أو عن يسارها فلم يكن ثمة مناص من أن يجتاز فى وسطها ، ولكن أهل المدينة رفضوا ذلك وأغلقوا منافذها فهجم على المدينة ودمرها وقتل رجالها وسلب غنائمها واجتازها من فوق قتلاها وتقدم عائدا الى اليهودية • بيد أنه بينما كان يهوذا فى جلعاد وسمعان أخوه فى الجليل ، سمع عزريا ويوسف بن

زكريا اللذين بقيا على رأس الجيش فى اليهودية بما حققه يهوذا وسمعان من انتصارات ، فطمعا هما أيضا فى أن تكون لهما انتصاراتهما ، ومن ثم زحفا بجيشهما على يمنيا ، فخرج اليهما جورجياس على رأس جيشه وهزمهما وقتل من جيشهما ألفى رجل وتبع الباقين الى حدود اليهودية ، وكاد أن يستولى عليها لولا أن أدركه يهوذا فصده عن بغيته . ثم خرج يهوذا بعد ذلك مع اخوته فحاربوا بنى عيسو فى أرض الجنوب وضربوا حبرون وتوابعها وهدموا سورها وأحرقوا البروج التى حولها ، ثم انطلقوا الى السامرة والى أشدود فنهبوا مدنهما وهدموا مذابح آلهتهما .

وقد مات أنطيوخوس الرابع ملك سوريا عام ١٦٣ قبل الميلاد ، فجلس على العرش فى مكانه ابنه أنطيوخوس الخامس وكان صغير السن فتولى الوصاية عليه ليسياس الذى كان والى سوريا وفينيقيا . وأما فيلبس الذى كان أنطيوخوس الرابع قد عهد اليه بالوصاية على ابنه فقد فر الى مصر . وقد تولى جورجياس الولاية على بلاد اليهودية فألف جيشا من الأجانب وكان لا يفتأ يهاجم به اليهود ، كما كان الأدوميون فى ذلك الحين يستعدون للاغارة على اليهود ، فهاجم يهوذا حصونهم وقتل منهم عشرين ألفا . وقد فر تسعة آلاف منهم الى برجين حصينين . فكلف يهوذا أخاه سمعان ومعه يوسف وزكا على رأس جانب من الجيش بمحاصرة الحصنين ، ثم انصرف للقتال فى موضع آخر . غير أن بعض الذين كانوا فى البرجين أعطوا رشوة للجنود اليهود التابعين لسمعان فمكنوهم من الهرب . حتى اذا عاد يهوذا وعرف ذلك قتل الخونة واستولى على البرجين وقتل ممن فيهما ما يزيد على عشرين ألفا . ولكن تيموثاوس الذى كان اليهود قد هزموه من قبل حشد جيشا عظيما من الأجانب وهاجم اليهودية فتصدى له يهوذا وقتل من جيشه أكثر من عشرين ألفا ، ففر تيموثاوس وفلول جيشه الى حصن جازر الذى كان حصنا منيعا تحت امرة كيراوس ، فحاصرهم يهوذا وأحرق الحصن بمن فيه وذبح تيموثاوس وكيراوس . وكان جنود القلعة المجاورة لأورشليم لا يفتأون

يغيرون على اليهود ليمنعوهم من زيارة الهيكل ، فحاصر يهوذا قلعتهم ونصب عليهم القذافات والمنجنيقات ، بيد أن بعضهم استطاعوا الفرار من الحصار وانضم اليهم بعض اليهود المنافقين وكان على رأسهم منيلاوس الذى كان رئيسا للكهنة ، وقد كان يسعى لأن يعود الى منصبه السابق ، ولكن ليسياس أثار حفيظة الملك عليه ، وقد أقنعه بأنه هو سبب كل الكوارث السابقــة ، فأرسله الملك الى بيرية ليقتل هناك كما كانت العادة تجرى عندذاك • وكان هناك برج ارتفاعه خمسون ذراعا يمتلىء رمادا وفيه آلة مستديرة تهوى بمن يوضع عليها فتدفنه فى الرماد ، فوضعوا منيلاوس على هذه الآلة فألقت به فى ذلك الرماد فمات فيه أبشع ميتة • بيد أن ليسياس انتهز هذه الفرصة للانتقام من اليهود فجمع جيشا عظيما يتألف من مائة ألف راجل وعشرين ألف فارس واثنين وثلاثين فيلا • وقد زحف الجيش مجتازا فى أدوم ونزل عنــد بيت صور • فخرج يهوذا من القلعة ونزل ببيت زكريا تجاه معسكر الملك • وعندئذ سقى جنود الملك الفيلة خمرا حتى هاجت وانطلقت تجرى وعلى ظهورها أبراج تحمل المنجنيقات ومن حولها الفرسان ثم سائر المشاة ، فارتد اليهود أمامهم مذعورين ، وظل الملك يتقدم بجيشه نحو أورشليم ، حتى اذا بلغها حاصرها ونصب حولها القاذفات والمنجنيقات والمقاليع حتى هددت المجاعة اليهود بالهلاك ، ولكن مدة الحصار طالت وفى هذه الأثناء بلغ أنطيوخوس أن فيلبس الذى كان قد فر الى مصر عاد الى أنطاكية وحاول اغتصاب العرش فاضطر أنطيوخوس الى عقد صلح مع يهوذا المكابى ونصبه قائدا وحاكما على اليهودية ، ثم عاد مسرعا الى أنطاكية حيث قضى على فتنة فيلبس •

بيد أنه على الرغم من الصلح الذى عقده أنطيوخوس مع يهوذا المكابى ، فان القواد الذين كانوا فى البلاد وهم ايرونيموس وديمفون وأبولونيوس بن جنايوس وتيموثاوس — وهو غير تيموثاوس الذى ســبق لليهـــــود أن قتلوه — وكذلك نكانور حاكم قبرص لم يتركوا اليهود يتمتعون بأى راحة أو سلام • ومن ذلك أن أهل يافا دعوا اليهود الساكنين بينهم لأن يركبوا هم

ونساؤهم وأبناؤهم قوارب كانوا قد أعدوها لهم بزعم النزهة حتى اذا أمعنوا فى البحر أغرقوهم • فلما سمع يهوذا بذلك سار مع رجاله الى يافا وأضرم النار فى المرفأ ليلا وأحرق القوارب وقتل الذين فروا الى هناك ، ثم لم يلبث أن علم أن أهل يمنيا عازمين على أن يصنعوا مثل ذلك بالساكنين معهم من اليهود ، فنزل على أهل يمنيا ليلا وأحرق المرفأ مع الأسطول ، ثم زحف من هناك قاصدا مهاجمة تيموثاوس ، فتصدى له قوم من الأدوميين فى الطريق يبلغون خمسمائة فارس وخمسة آلاف من المشاة ، فتغلب عليهم فطلبوا الصلح فصالحهم ، ثم أغار على مدينة حصينة اسمها كسفيس وفتحها وذبح عددا عظيما من أهلها ، حتى أن البحيرة التى كانت تجاور المدينة طفحت بالدماء ، ثم راح يطارد تيموثاوس فى الكرك فلم يجده ، ولكنه وجد حامية تركها هناك فقتل منها ما يزيد على عشرة آلاف ، ثم حمل على تيموثاوس ، وكان معه ألفان وخمسمائة فارس ومائة وعشرون ألفا من المشاة • فلما عرف تيموثاوس بمجىء يهوذا أرسل النساء والأطفال الى مكان منيع يسمى قرنيم • وقد هجم يهوذا على جيش تيموثاوس وقتل منه ثلاثين ألف رجل ثم قبض بعض رجال يهوذا على تيموثاوس نفسه ولكنه راح يتضرع اليهم ويعدهم باطلاق سراح أسراهم فأخلوا سبيله • ثم أغار يهوذا على قرنيم وهيكل أترجتيس وقتل خمسة وعشرين ألف نفس ، ثم زحف على عقرون وكان يسكنها ليسياس ، فاستولى عليها وقتل من أهلها خمسة وعشرين ألفا ، ثم عاد الى أورشليم • وبعد العيد المعروف بعيد الخمسين أغار على جورجياس قائد أرض أدوم وهزمه • ثم سار الى مدينة عدلام ، وحين عاد ليرفع جثث القتلى من اليهود ليدفنها وجد تحت ثياب كل واحد منهم تماثيل أصنام كانوا يعبدونها •

وفى عام ١٦١ قبل الميلاد قام ديمتريوس الابن الأكبر لسيليوكوس الرابع وقتل أنطيوخوس الخامس واغتصب عرشه ، كما قتل الوصى عليه ليسياس • ولم يلبث أن جاء الى ديمتريوس قوم من اليهود وفى مقدمتهم رجل من

بنى هارون الذين لا تحق لهم الرئاسة على الكهنوت اسمه يواقيم . وقد غير اسمه ليكون شبيها بالأسماء اليونانية ، تذلفا الى اليونان فجعله ألكيمس ، وكان يطمع فى أن يكون رئيسا للكهنة . وقد أهدى الى ديمتريوس اكليلا من الذهب وبعض نفائس هيكل أورشليم ، قائلا له ان يهوذا المكابى واخوته قد طردوهم من أرضهم لأنهم مخلصـــــون للملك ، وأهلكوا كثيرين من أنصار الملك ، وأشار على الملك بأن يرسل رجلا يثق به ليرى ما فعله يهوذا واخوته فى البلاد ويعاقبهم على ذلك . فاختار الملك أحد المقربين اليه وهو بكيديس الذى كان واليا لعبر الفرات وأرسله الى اليهودية بعد أن أمره بأن يقتل يهوذا ويهلك أنصاره ، وأن يقيم ألكيمس رئيسا للكهنة ، وأمره بأن ينتقم من اليهود . وقد سارا الى أرض اليهودية على رأس جيش كثيف ، وبعثا رسلا الى يهوذا واخوته يعرضان السلام ، ولكنهم لم يثقوا بهمـــا ولم يستجيبوا لطلبهما . بيد أنه اجتمعت اليهما جماعة الكتبة ، كمـــا اجتمعت اليهما جماعة الحسيديين وهم من أعيان اليهود عارضين الســـــلم ، فقبض بكيديس على ستين منهم وقتلهم فى يوم واحد ، فلم تفتح أورشليم له أبوابها ، ومن ثم ارتحل بكيديس عنها ونزل ببيت زيت وأرسل وقبض على كثيرين من الذين كانوا قد خذلوه وعلى بعض من الشعب وذبحهم ، ثم سلم البلاد الى ألكيمس ، وأبقى معه جيشا يؤازره وانصرف الى الملك . وكان ألكيمس يسعى لأن يكون رئيسا للكهنة ، وقد اجتمع اليه جميع المفسدين فى الشعب ، واستولوا على اليهودية وأدبوا اليهود تأديبا قاسيا . واذ رأى يهوذا المكابى أن الشر الذى أنزله ألكيمس ومن معه من اليهود بأهل اليهودية أبشع ممـــا أصابهم على أيدى الوثنيين ، قام بالسطو عليهم ، فما كان من ألكيمس الا أن ذهب الى الملك وحرضه ضد يهوذا ، فأرسل الملك أحد القواد المقربين اليـه وهو نكانور ، وكان يبغض اليهود ، وقد أمره بابادتهم . فزحف نكانور على أورشليم بجيش عظيم ، وقد انضم اليه كل الوثنيين الذين فى اليهودية ، وأرسل الى يهوذا متظاهرا بالرغبة فى الصلح ، فخرج يهوذا للقائه ، ولكنه شعر أنه يرغب فى اختطافه فلم يعد للقائه مرة أخرى . واشتبك الجانبان فى

القتال فسقط من جيش نكانور نحو خمسة آلاف رجل وفر الباقون الى مدينة داود ، وصعد نكانور الى جبل صهيون فخرج بعض الكهنة من هيكل أورشليم وبعض شيوخ اليهود يحيونه ويرحبون به ، فهددهم بأنهم آن لم يسلموا اليه يهوذا وجيشه يحرق هيكلهم ويقيم فى مكانه هيكلا للاله اليونانى ديونيسوس ، ثم خرج من أورشليم ونزل ببيت حورون ، فانحاز اليه جيش سوريا ، ونزل يهوذا الى أداسة فى ثلاثة آلاف رجل ، ثم التحم الجيشان فانكسر جيش نكانور وكان هو أول من سقط فى القتال ، وقد سقط من جنوده خمسة وثلاثون ألفا . فلما رأى جنوده ذلك هربوا فتعقبهم يهوذا من أداسة الى مدخل جازر وأبادهم جميعا وسلب غنائمهم وقطع رأس نكانور ويده اليمنى وعلقهما قبالة أورشليم ، كما قطع لسانه ومزق ما تبقى من جسده وألقاه الى الطيور . وكان ذلك عام ١٦١ قبل الميلاد ، وقد استتب الأمر ليهوذا المكابى فى اليهودية منذ ذلك الحين .

وقد سمع يهوذا عن السطوة التى بلغها الرومان فى عهده ، فأراد أن يتودد اليهم وأرسل اليهم فى روما « أوبولموس بن يوحنا بن أكوس » و « ياسون ابن ألعازار » ليقدموا فروض الولاء للرومان ، ويطلبوا اليهم انقاذهم من يد اليونان ، فقبل الرومان ولاء اليهود وهددوا الملك ديمتريوس بالانتقام منه لو أنه أوقع الأذى بالأمة اليهودية .

وحين علم ديمتريوس بأن نكانور وجنوده قد انهزموا وقتلوا عاد فأرسل الى اليهودية بكيديس وألكيمس على رأس جيش ، فانطلقا فى طريق الجلجال ونزلا عند حشالوت بأربيل فاستوليا عليها وأهلكا نفوسا كثيرة ، ثم نزلا بعد ذلك الى أورشليم ، ثم انطلقا الى بثروت على رأس ألفى فارس وعشرين ألفا من المشاة . وكان يهوذا قد نزل بلاشع ومعه ثلاثة آلاف رجل ، ولكنهم حين رأوا كثرة جيوش العدو خافوا وهربوا فلم يبق منهم الا ثمانمائة رجل . وقد التحم القتال من الصباح الى المساء . وكان بكيديس قد قسم جيشه الى جناحين ، فهاجم يهوذا الجناح الأيمن وهزمه وتعقب فلوله الى جبل أشدود ،

وعندئذ أطبق الجناح الأيسر من جيش بكيديس على جنود يهوذا فاشتد القتال وسقط قتلى كثيرون من الفريقين وسقط يهوذا وهرب الباقون فحمل يوناثان وسمعان جثة أخيهما يهوذا ودفناه فى قبر آبائه فى مودين ٠

٢ — يوناثان :

وكان بعد وفاة يهوذا أن المنافقين برزوا فى كل نواحى اليهودية وظهر كل فاعلى الاثم ٠ وفى تلك الأيام حدثت مجاعة عظيمة جدا ، وقد اختـــار بكيديس أراذل اليهود وأقامهم رؤساء على البلاد ، فكانوا يبحثون عن أنصار يهوذا ويأتون بهم الى بكيديس فيقتلهم ، فاجتمع كل أنصار يهوذا وأقاموا يوناثان قائدا لهم بدلا من أخيه يهوذا ، وعندئذ سعى بكيديس الى قتـــله ، فهرب مع كل أنصاره الى برية تقوع ونزلوا على ماء جب أسفار ، فزحف بكيديس عليهم بجيشه الى عبر الأردن يوم سبت ، وأرسل يوناثان أخاه على رأس جماعة من اليهود يطلب من النباطيين أن يعيروهم عـدتهم الوافرة ، فخرج بنوعير من ميدابا وقبضوا على يوحنا وكل من معه ٠ وبعد ذلك عرف يوناثان وأخوه سمعان أن بنى عير يقيمون عرسا ويزفون العروس من ميدابا باحتفال عظيم وهى ابنة بعض عظماء كنعان ، فصعدوا واختبأوا وراء الجبل ، حتى اذا أقبل موكب العرس خرجوا وهجموا على أصحاب العرس فقتلوا كثيرين منهم وهرب الباقون الى الجبل أخذوا كل أسلابهم ٠ وهكذا انتقموا لدم أخيهم ورجعوا الى غيضة الأردن ٠ فلما عرف بكيديس مكانهم وفد الى شطوط الأردن يوم سبت فى جيش عظيم وهاجم جنود يوناثان ، وقد مـــد يوناثان يده ليضرب بكيديس فتفادى ضربته ، وعندئذ ألقى يوناثان ومن معه بأنفسهم فى نهر الأردن وعاموا الى الضفة الأخرى فتركوهم ولم يعبروا الأردن اليهم ٠ وسقط من رجال بكيديس فى ذلك اليوم ألف رجل فعاد الى أورشليم ٠ ثم بنى مدائن حصينة فى اليهودية ، وحصن أريحا وعماوس وبيت حورون وبيت ايل وتمنة وفرعتون وتفون بأسوار عالية جدا ذات أبـــواب ومزاليج ، وجعل فيها حرسا ، وحصن مدينة بيت صور وجازر والقلعة وجعل

فيها جيوشا ومعدات . وأخذ أبناء قواد البلاد رهائن وجعلهم فى القلعة بأورشليم مسجونين . وقد أمر ألكيمس بهدم الحائط الداخلى لهيكل أورشليم ، وشرع فى تدمير ذلك الهيكل ، ولكنه أصيب بالشلل ثم مات . وأما بكيديس فقد عاد الى الملك ديمتريوس وهدأت اليهودية نحو سنتين . وبعد ذلك تآمر المنافقون من اليهود وذهبوا الى بكيديس وحرضوه على اعتقال يوناثان وأنصاره وقتلهم ، فقام وسار فى جيش عظيم وبعث سرا الى جميع أنصاره فى اليهودية أن يقبضوا على يوناثان والذين معه . ولكن المؤامرة كانت قد ذاع أمرها فلم يستطيعوا القبض على يوناثان أو أحد ممن معه ،وانما قبضوا على خمسين رجلا كانوا هم أصل الفتنة وقتلوهم . وأما يوناثان وسمعان ومن معهما فقد انصرفوا الى بيت حجلة فى البرية وقام يوناثان بترميم مبانيها وتحصينها . فلما علم بكيديس بذلك زحف بجيشه الى بيت حجلة وحاصرها ونصب حولها المنجنيقات . وفى ذلك الحين ترك يوناثان أخاه سمعان فى المدينة وخرج على رأس عدد من الجنود وانتشر فى البلاد يهاجم فيها كل أعدائه . وأما سمعان ومن معه فقد خرجوا من المدينة وأحرقوا المنجنيقات وهزموا بكيديس . فصب هذا جام غضبه على الرجال الذين خدعوه وحرضوه على الخروج للقتال فقتل كثيرين منهم وأزمع الانصراف الى أرضه . وعلم يوناثان فأرسل اليه رسلا لعقد الصلح وتبادل الاسرى ، فقبل بكيديس ذلك فاستراح يوناثان من الحرب وأقام فى مكماس ، وهى مخماس الحالية .

بيد أنه لم يلبث الاسكندر ابن أنطيوخوس الرابع أن نزل فى بطولمايس - وهى عكا - وأعلن نفسه ملكا لسوريا عام ١٥٣ قبل الميلاد بمؤازرة الرومان ، فجمع ديمتريوس جيشا عظيما وخرج لملاقاة الاسكندر . وقد اضطر لذلك أن يهادن يوناثان ويكسب اليهود الى جانبه قبل أن يكسبهم الاسكندر . وقد أذن ليوناثان بأن يجمع جيوشا لمؤازرته ورد اليه الرهائن الذين كانوا معتقلين فى القلعة . ولكن الاسكندر أيضا استمال يوناثان اليه وعرض عليه أن يقيمه رئيسا للكهنة وأن يكون واليا على اليهودية من قبل الملك وأرسل اليه حلة من الأرجوان وتاجا من الذهب ، فانحاز يوناثان الى

جانب الاسكندر • وقد حاول ديمتريوس أن يعاود التودد اليه ، واعدا بمنح اليهود كثيرا من المزايا وتخفيف الضرائب عليهم ، ولكنهم خافوا منه لما سبق لهم أن رأوه من عداوته لهم وغدره بهم • ولم يلبث القتال أن نشب بين ديمتريوس والاسكندر ، فتمكن الاسكندر من هزيمة ديمتريوس وقتله ، ثم تزوج من كليوباترا ابنة بطليموس السادس ملك مصر وعقد معاهدة معه• واستدعى الاسكندر يوناثان لمقابلته فى بطولمايس ، فذهب اليه ومعه هدايا نفيسة أدخلت السرور الى نفسه ، فرضى عنه وثبته فى ولايته • ثم فى عام ١٤٧ قبل الميلاد غزا ديمتريوس الثانى ابن ديمتريوس الأول سوريا • فانتقل الاسكندر الى انطاكية ، بينما نزلت جيوش ديمتريوس بقيادة أبولونيوس الى بيمنيا وبعث ديمتريوس الى يوناثان ينذره بأنه ان لم يقدم فروض الولاء له يهاجمه ، فخرج يوناثان على رأس عشرة آلاف رجل ونزل تجاه يافا التى كان فيها حرس أبولونيوس ، وحاصر المدينة ثم لم يلبث أن فتحها ، فتقدم أبولونيوس فى ثلاثة آلاف فارس وجيش كبير ، متجها نحو أشدود كأنه عابر سبيل ، ثم عطف بغتة الى السهل ، فتعقبه يوناثان الى أشدود ونشب القتال بين الفريقين ، ولم يلبث سمعان أن جاء بجيشه لمناصرة أخيه ، فانهزم جنود أبولونيوس فتعقبهم يوناثان وسمعان الى أشدود ، فدخلوا معبد الههم داجون ، فأحرق يوناثان أشدود والمدن التى حولها وسلب غنائم أهلها وأحرق معبد داجون بمن فيه ، فكان مجموع الذين قتلهم والذين أحرقهم ثمانية آلاف رجل • ثم سار يوناثان من هناك ونزل تجاه أشقلون فاستقبله أهل المدينة فى خضوع ، ورجع يوناثان بمن معه الى أورشليم ومعهم غنائم كثيرة • فلما سمع الاسكندر بكل هذا رضى عن يوناثان وقربه اليه ووهب له عقرون وتخومها ملكا له •

وفى عام ١٤٧ قبل الميلاد غزا ديمتريوس الثانى ابن ديمتريوس الأول سوريا ، فسارع بطليموس السادس ملك مصر على رأس جيشه وأسطوله لمساعدة الاسكندر ، فكان أهل المدن يلاقونه بالترحاب لأنه صهر ملكهم • وكان بطليموس يستبقى فى كل مدينة يدخلها حرسا من جنوده • فلما

وصل الى أشدود أروه معبد داجون المحترق وأشدود وضواحيها المهدومة وجثث الذين كان يوناثان قد قتلهم أو أحرقهم ، يريدون بذلك تحريضه ضد يوناثان • ولكن يوناثان لقى الملك فى يافا بالترحيب فلم يمسه بسوء • وقد استولى بطليموس على مدن الساحل الى سلوكية ، وكان يطمع فى أن يضم مملكة الاسكندر الى مملكته ، ومن ثم أرسل رسلا الى ديمتريوس يعرض عليه الصلح معه على أن يهبه ابنته التى كانت زوجة الاسكندر ويمكنه من استعادة مملكة أبيه • ثم دخل بطليموس أنطاكية ، ووضع على رأسه تاجين هما تاج آسيا وتاج مصر • وكان الاسكندر عند ذاك فى كيليكيا ، فعاد بجيشه ونشب القتال بينه وبين بطليموس ، ولكن بطليموس هزمه ففر الى بلاد الأدوميين • وهناك قطع رجل يسمى زبديئيل رأس الاسكندر وبعث بها الى بطليموس • ولكن لم تمض ثلاثة أيام حتى مات بطليموس أيضا ، فاستولى ديمتريوس على جيشه وجلس على عرش سوريا •

وفى تلك الأيام جمع يوناثان رجال اليهودية لفتح القلعة التى بأورشليم ونصب عليها مجانيق كثيرة • فانطلق قوم من اليهود المنافقين الى الملك وأخبروه بأن يوناثان يحاصر القلعة ، فاستشاط الملك غضبا وأرسل الى يوناثان يأمره بأن يفك الحصار عن القلعة وأن يأتى لمقابلته فى بطولمايس ، فأخذ يوناثان هدايا كثيرة من الفضة والذهب والحلل الفاخرة وانطلق الى الملك فنال حظوة لديه وأقره فى رئاسة الكهنوت ، وسأل يوناثان الملك أن يعفى اليهودية والمدن الثلاث الملحقة بها وهى أفيرمة ولدة والرامتائيم وأرض السامرة من كل جزية ووعده بثلاثمائة وزنة من الذهب ، فوافقه الملك على ذلك •

وقد رأى ديمتريوس أنه قد استتب له الأمر فى مملكته فسرح جيوشه ولم يستبق الا الجنود الاجانب فكرهه جنود أمته ، وكان تريفون من حزب الاسكندر ، فلما رأى تذمر الجنود الذين سرحهم ديمتريوس انطلق الى « ايملكوئيل » فى بلاد الأدوميين ، وكان يقوم بتربية أنطيوخوس بن الاسكندر وطلب منه أن يسلمه اليه ليملك مكان أبيه • وفى ذلك الحين أرسل يوناثان

الى ديمتريوس طالبا اليه أن يأمر بخروج الجنود الذين فى القلعة من أورشليم والذين فى الحصون ، لأنهم كانوا يحاربون اليهود ، فوعده ديمتريوس بذلك اذا أرسل اليه رجالا يحمونه من جنوده الغاضبين عليه ، فأرسل اليه يوناثان ثلاثة آلاف رجل • وكان مائة وعشرون ألف رجـــل من جنود الملك قد أحاطوا به ليقتلوه فهرب الى داره ، فاستولى أهل المدينة عليها وشرعوا فى القتال ، فدعا الملك اليهود الى نجدته فاجتمعوا اليه ثم تفرقوا فى المدينـــة وقتلوا فى ذلك اليوم مائة ألف رجل وأحرقوا المدينة وأخذوا غنائم كثيرة وأنقذوا الملك • وقد اضطر أهل المدينة أن يصالحوا الملك ، فكان ذلك سببا فى رضاء ديمتريوس على اليهود ، وقد عاد جنودهم الى أورشليم بغنائم كثيرة • ولكنه اذ رأى أن الأمر قد استتب له تراجع فى كل وعوده ليوناثان وضايقه جدا • وبعد ذلك رجع تريفون ومعـه أنطيوخوس الذى كان لا يزال غلاما صغيرا ، ونادى به ملكا على سوريا وألبسه التاج ، والتفت حوله كل الجيوش التى سرحها ديمتريوس وقاتلوا ديمتريوس ففر منهـــزما ، ففتح تريفون أنطاكية ، وكتب أنطيوخوس الى يوناثان يسترضيه ويقره على رئاســـته للكهنوت ، وأقام أخاه سمعان قائدا للجيش • وقد خرج يوناثان وطاف فى عبر النهر وفى المدن فاجتمعت لمظاهرته جميع جيوش سوريا • وقدم أشقلون فلاقاه أهل المدينة باحتفال ، وانصرف من هناك الى غزة ، فأغلق أهلها الأبواب فى وجهه فحاصرها وأحرق ضواحيها بالنار ونهبها • فسأل أهل غزة يوناثان الأمان فاستجاب لهم وأخذ أبناء رؤسائهم رهائن وأرسلهم الى أورشليم ، ثم جال فى البلاد الى دمشق • وقد سمع يوناثان أن قواد ديمتريوس قد بلغوا الى قادش الجليل فى جيش كثيف يريدون أن يعزلوه عن الولاية فزحف لملاقاتهم تاركا سمعان أخاه فى البلاد ، فحاصر سمعان بيت صور مدة طويلة ، ثم لم يلبث أن فتحها وأقام فيها حراسا • وأما يوناثان وجيشه فنزلوا عـلى بحيرة طبرية ، وقبل الفجر زحفوا الى سهل حاصور ، فاذا بجيش الأجانب يلاقيهم فى السهل وقد أقاموا عليهم كمينا فى الجبال ، فبينما هم يتقدمون تجاههم برز رجال الكمين من مخبأهم وهجموا على رجال يوناثان ففروا جميعا ، ولم يبق

منهم الا متاتيا بن أبشالوم ويهوذا بن حلفى قائدا الجيوش ، ولكن يوناثان استمر يحارب الأعداء حتى هربوا من وجهه ، فلما رأى ذلك الذين هربوا من رجاله رجعوا وتعقبوا العدو معه الى قادش ، ثم عاد يوناثان الى أورشليم بعد أن قتل من العدو فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف رجل .

وعاد يوناثان يتقرب الى الرومان فبعث وفدا الى روما ليؤكد ولاء اليهود لتلك الدولة التى تفاقمت قوتها ، كما أرسل رسلا الى أسبرطه ساعيا الى مناصرة تلك المدينة لليهود .

وقد بلغ يوناثان أن قواد ديمتريوس قد عادوا لمحاربته بجيش يزيد على جيشه الأول ، فخرج من أورشليم ووافاهم فى أرض حماة . ثم أرسل جواسيس الى معسكرهم فأخبروه حين عادوا أنهم مزمعون أن يهجموا عليهم فى الليل . فلما غربت الشمس أمر يوناثان رجاله بأن يسهروا تحت السلاح الليل كله استعدادا للقتال . فلما سمع رجال ديمتريوس أن جنود يوناثان مستعدون للقتال خافوا وأضرموا النار فى معسكرهم وهربوا ، فتعقبهم يوناثان ولكنه لم يدركهم ، لأنهم كانوا قد قطعوا نهر ألوطارس ، فارتد يوناثان الى البدو المعروفين بالزبديين وأغار عليهم وسلب غنائمهم . ثم راح يجوب أنحاء البلاد كلها . وأما سمعان فخرج وبلغ الى أشقلون والحصون القريبة منها ، ثم ارتد الى يافا واستولى عليها اذ سمع أن أهلها يزمعون أن يسلموا الحصون الى رجال ديمتريوس وأقام هناك حرسا يحافظون على المدينة .

وحين رجع يوناثان جمع شيوخ اليهود واتفق معهم على تحصين البلاد ورفع أسوار أورشليم واقامة حائط مرتفع يفصل بين القلعة والمدينة . وقام سمعان ببناء مدينة حاديد فى السهل وحصنها بالأبواب والمزاليج ، وهى المسماة اليوم « حديثة » شمال شرقى اللد .

وقد حاول تريفون أن يقبض على أنطيوخوس ويغتصب منه تاج آسيا ، ولكنه خشى من يوناثان فاعتزم أن يقتله ومن ثم تقدم الى بيت شان ، فخرج

يوناثان للقائه فى أربعين ألف رجل ، ولذلك لم يجسر على محاربته ، بيد أنه أخذه بالحيلة فأكرم وفادته وأقنعه بأن يصرف جيوشه وأن يذهب معه الى بطولمايس فيسلمها اليه مع سائر الحصون ، فصدقه يوناثان وصرف جيوشه فلم يستبق معه الا ثلاثة آلاف رجل ، ثم ترك ألفين منهم فى الجليل ، فلم يصحبه الا ألف . فلما دخل يوناثان بطولمايس أغلق أهلها الأبواب وقبضوا عليه وقتلوا جميع الذين دخلوا معه ، ثم أرسل تريفون جيشا الى الجليل والصحراء الواسعة للقضاء على جميع رجال يوناثان ، الا أن هؤلاء علموا بما حدث ليوناثان والذين كانوا معه ، فتأهبوا للقتال ، ومن ثم رجع عنهم رجال تريفون .

٣ ــ سمعان :

وقد علم سمعان أخو يوناثان أن تريفون قد جمع جيشا عظيما ليغير على أرض يهوذا ويدمرها فجمع الشعب وراح يحضهم على القتال فاختاروه قائدا لهم بدلا من أخيه يوناثان ، فشرع يكمل أسوار أورشليم وأحكم تحصينها . ولم يلبث تريفون أن زحف من بطولمايس على رأس جيش عظيم ، وقد اصطحب معه يوناثان مقبوضا عليه . فلما عرف أن سمعان يعسكر فى حاديد قبالة السهل أرسل اليه يقول له انه انما قبض على أخيه يوناثان بسبب مال كان عليه للملك فيما باشره من الأمور ، ومن ثم فانه مستعد لأن يطلق سراحه اذا أعطاه مائة قنطار من الفضة ، وأرسل اليه ابنى يوناثان كرهينة ليأمن من غدره . وقد أدرك سمعان أن تريفون يخدعه ولكنه أرسل المال والولدين لئلا يظن اليهود أنه امتنع عن ذلك فتسبب فى هلاك أخيه . الا أن تريفون أخذ المال وأسر الولدين ولم يطلق سراح يوناثان ، وانما زحف على مواقع اليهود . ولكن تراكم الثلج منعه من التقدم بجيشه فتحول عن طريق البرية الى أرض جلعاد ، حتى اذا اقترب من « بسكاما » قتل يوناثان ودفنه هناك ، ثم عاد الى سوريا . وهناك سلك بالغدر مع أنطيوخوس الملك الصغير وقتله واغتصب عرشه ولبس تاج آسيا ، وكان ذلك عام ١٤٣ قبل الميلاد .

أما سمعان فسارع الى بناء حصون اليهودية وتعزيزها بالبروج العالية والأسوار الضخمة ، ثم أرسل الى ديمتريوس بعض الهدايا الثمينة طالبا اليه أن يعفو عن اليهود ويعفيهم من الضرائب المفروضة عليهم ، قائلا له ان كل ما فعله تريفون كان اختلاسا ، فأصدر ديمتريوس عفوه عن اليهود وأعفاهم مما عليهم من الضرائب ، كما أباح لهم الانخراط فى جيشه • فبدأت بذلك فترة استقل فيها اليهود ، وبدأوا يوقعون العقود والصكوك باسم « سمعان الكاهن الأعظم وقائد اليهود ورئيسهم » • ولذلك يؤرخ اليهود لمملكتهم من السنة الأولى لسمعان وهى سنة ١٤٣ قبل الميلاد • وفى تلك السنة نزل سمعان على غزة وحاصرها بجيوشه ثم استولى عليها • كما أطلق سراح المعتقلين فى قلعة أورشليم واحتلها وأقام ابنه يوحنا قائدا على جميع الجيوش اليهودية وجعل مقره فى جازر المسماة اليوم تل جازر •

ولم يلبث الملك ديمتريوس أن جمع جيوشه واتجه بها الى مادى كى تمده بنجدة يستعين بها على محاربة تريفون • ولكن أرساكيس ملك فارس ومادى حين علم أن ديمتريوس دخل تخوم بلاده أرسل أحد قواده فهاجم جيشه وقبض عليه حيا ، وجاء به الى أرساكيس فألقى به فى السجن •

وحين استتب الأمر لسمعان فى بلاد اليهود استولى على يافا وجعلها مرفأ كما استولى على جازر وبيت صور • ولم يلبث أن جاءته رسالة من أنطيوخوس بن الملك ديمتريوس الأول وأخو ديمتريوس الثانى يقر فيها رئاسته على اليهود ، ويؤيد الامتيازات التى سبق لأبيه أن منحها لهم • وبعد ذلك أغار أنطيوخوس بجيوشه على تريفون فهرب من وجهه الى دورا فحاصرها أنطيوخوس ونصب عليها المنجنيقات ، وقد أرسل اليه سمعان ألفى رجل يناصرونه ، كما أرسل اليه كثيرا من الذهب والفضة ، ولكن أنطيوخوس رفض كل ذلك وأرسل الى سمعان واحدا من أتباعه يسمى أثينوبيوس يقول له انه استولى على يافا وجازر وقلعة أورشليم وغيرها من مدن مملكته ، فان لم يبادر الى تسليم المدن التى استولى عليها وأداء الخراج عن الأماكن التى

تسلط عليها خارج تخوم اليهودية ، فعليه أن يؤدى ألف قنطار من الفضة، والا أنفذ اليه جيوشه لتقاتله . فأجاب سمعان الرسول بأن ما استولوا عليه انما هو ميراث آبائهم ، فأما يافا وجازر فكانتا تجلبان على اليهود نكبات شديدة ، ولكنه رضى أن يؤدى عنها خراجا قدره مائة قنطار . فلما نقل الرسول هذا القول الى الملك غضب جدا . واذ كان تريفون قد فر الى طوسوس ثم انتهى الأمر بقتله فقد فوض الملك قيادة الساحل الى كندباوس . وأمره بأن يزحف بجيشه على اليهودية . فأغار عليها وراح يقتل ويسبى كل من سقط فى يده من اليهود ، وبنى حصونا فى قدرون وراح جنوده يخرجون منها وينتشرون فى اليهودية مهددين كل طرقها ، فدعا سمعان اليه ابنيه الأكبرين يهوذا ويوحنا وأرسلهما على رأس جيش يتألف من عشرين ألفا لمقاتلة كندباوس، ولكن يهوذا لم يلبث أن جرح فى القتال ، فتعقب يوحنا جنود كندباوس الى قدرون ، ففروا الى البروج التى بأرض أشدود فأشعل فيها النار وأحرقها بمن فيها ، ثم رجع الى أرض يهوذا .

وكان يتولى قيادة الجنود اليهود فى أريحا رجل يدعى بطلماوس بن أبوبوس ، واذ كان ذا ثروة طائلة ، كما كان صهر الكاهن الأعظم ، تشامخ فى قلبه وتطلع لأن يغدر بسمعان وبنيه ويستولى على السلطة فى البلاد .وقد اتفق أن جاء سمعان إلى أريحا مع ابنيه متاثيا ويهوذا ، فأنزلهم بن أبوبوس فى حصن كان قد بناه بالقرب من أريحا يدعى حصن الدوق ، وصنع لهم مأدبة عظيمة ، فلما سكر سمعان وابناه انقض عليهم مع رجاله وقتلوهم ، ثم أرسل الى الملك يطلب منه أن يبعث اليه جيشا لنصرته فيسلم اليه البلاد .كما أرسل الى سائر قواد اليهود يطلب اليهم الحضور ليغدق عليهم الذهب والفضة والهدايا . وأنفذ قوة من جنوده لتستولى على أورشليم وجبل الهيكل ، كما أنفذ قوما الى جازر ليقتلوا يوحنا ابن سمعان ، ولكن يوحنا علم بالمؤامرة فقبض على الرجال الذين أتوا ليقتلوه وقتلهم .

٤ — يوحنا هركانس :

ثم ذهب يوحنا الى أورشليم وحشد جيشاً لمقاتلة بطلماوس ، ففر هــذا الى حصن الدوق ، فحاصره يوحنا وكاد أن يقتحمه ، ولكن بطلماوس كان قد أسر أم يوحنا وأخوين له فأصعدهم الى أعلى السور وهدد يوحنا بالقائهم الى أسفل ان لم يرفع الحصار عن الحصن ، فرفع يوحنا الحصار ، ولــكن بطلماوس مع ذلك قتلهم ثم فر لاجئا الى زينون ملك فيلادلفيا ، وهى عمان الحالية . وقد أراد أنطيوخوس السابع أن ينتقم لقائده كندباوس من اليهود فهجم على اليهودية بجيشه وراح يشيع فيها الخراب والدمار ، ثم حاصر أورشليم وأوشك أن يقتحمها ، ولكنه لم يلبث أن عدل عن ذلك خوفا من الرومان ، وفرض على يوحنا شروطا للصلح لم تكن ثقيلة على اليهود ، ومنها أن يطرحوا سلاحهم ويقبلوا قيام حرس من جنوده فى مدنهم ، ويؤدوا اليه جزية يافا والمدن الخارجة من اليهودية . فقبل يوحنا هذه الشروط ، الا شرط اقامة الحرس فى المدن فقد طلب اعفاءه منه نظير أن يدفع مبلغا كبيرا من المال . وكان يوحنا هذا يلقب بهركانس ، وقد خلف أباه فى رئاسة الكهنوت والولاية على اليهودية .

وقد أراد أنطيوخوس السابع أن يستميل الرومان اليه فأرسل الى القائد الرومانى « سيبيو » وهو فى أسبانيا هدايا نفيسة . وكان ديمتريوس الثانى أسيرا عند فرآت الثانى ملك البرتيين فلم لبث أن أطلق هذا سراحه على ألا يخرج من مملكته ، لأنه كان يطمع فى الولاية على سوريا ، ولكى يحول أنطيوخوس دون ذلك حشد جيشا وهجم به على ملك البرتيين وهزمه واسترد منه بلاد بابل ومادى وجميع ولايات المشرق التى كانت فى مملكة سوريا . وقد كان يوحنا هركانس والى اليهودية مرافقا لأنطيوخوس فى هذه الحرب التى دارت رحاها عام ١٣١ قبل الميلاد . ولــكن ملك البرتيين لهم يلبث أن انقض بجيوشه على جيوش أنطيوخوس وقضى عليها ، ثم قتل أنطيوخــوس وتزوج ابنته ، وكان فى هذه الأثناء قد أرسل ديمتريوس الى سوريا على رأس

جيش ، فدخلها فى غيبة أنطيوخوس وجلس على عرشها . وقد انتهز يوحنا هركانس هذه الفرصة فمد حدود ولايته الى مواضع عديدة فى سوريا وفينيقيا وأدومية .

وكان بطليموس الثانى ملك مصر قد طرده الاسكندريون بسبب وحشيته، فاستقلت زوجته كليوباترا الثانية بعرش مصر ، ولكنه لم يلبث أن عاد على رأس جيشه لاسترداد عرشه ، فأرسلت زوجته الى ديمتريوس الثانى ملك سوريا الذى كان متزوجا ابنتها الكبرى « كليوبترا ثيا » طالبة اليه الحضور لنجدتها وواعدة اياه بتاج مصر ، فانتهز الفرصة لتحقيق أطماعه وزحف الى مصر على رأس جيش كبير ، ولكنه حين بلغ بلوزيون على حدود مصر امتنع جيشه عن الاشتباك بالجيش البطلمى فاضطر الى الانسحاب ، ومن ثم هربت كليوباترا الثانية الى سوريا حاملة معها كل أموالها ، وقد عقدت العزم على تكوين جيش تستعيد بواسطته سلطتها ، ولكن بطليموس الثامن عمل على احباط خطتها والانتقام فى ذات الوقت من ديمتريوس الثانى ، فأرسل الى أنطاكية شابا يدعى اسكندر ٦ وقد ادعى أنه ابن الملك اسكندر بالاس ، فى حين أنه فى الحقيقة ابن تاجر مصرى يدعى بروتارخوس ، وقد أقام بطليموس هذا الشاب منافسا لديمتريوس على العرش باعتباره الوارث الشرعى له . فما مضت ثلاث سنوات حتى تمكن من هزيمة ديمتريوس واغتصاب العرش منه، بينما حاول ديمتريوس الفرار الى عكا . ولكن زوجته السابقة «كليوبترا ثيا» أوصدت دونه أبواب هذه المدينة ، ثم ظلت تطارده حتى قتلته ، انتقاما منه بسبب زواجه من ابنة ملك البرتيين . ثم لم تلبث أن قتلت اسكندر الذى اغتصب عرشه ، كما قتلت ابنها سيليوكوس الخامس بيدها لأنه أعلن نفسه ملكا على سوريا دون استئذانها ، وأشركت معها على العرش ابنها الآخر أنطيوخوس الثامن الذى تزوج « كليوبترا تريفاينا » ابنة بطليموس الثامن من كليوبترا الثالثة . وقد حاولت « كليوبترا ثيا » بعد ذلك أن تدس السم لابنها أنطيوخوس الثامن لتنفرد بالسلطان ، ولكنه اكتشف مكيدتها فأرغمها

على أن تتجرع السم الذى كانت تريده أن يتجرعه . وكان ذلك عام ١٢٠ قبل الميلاد . وقد عقد الاسكندر قبل مقتله اتفاقية مع يوحنا هركانس والى اليهودية ، فانتهز هذا فرصة استتباب السلطة له ، فاستولى على ميديا وغيرها من المدن الواقعة شرقى الأردن وهاجم السامريين والأدوميين وقهرهم . كما أرسل وفدا الى روما يجدد عهد الموالاة بينه وبين الرومان . وكان أنطيوخوس قد انتزع من سمعان يافا وغزة وبعض المدن التى كانت تحت امرته ، فقرر مجلس الشيوخ الرومانى الزام ملوك سوريا بأن يردوا هذه المدن الى اليهود وأن يعوضوهم عن الخسائر التى لحقت بهم بسبب انتزاعها منهم .

وقد استقر الملك لانطيوخوس الثامن ست سنين منذ أن قتل أمه عام ١٢٠ قبل الميلاد . واذ رأى أن اليهودية يستفحل أمرها جهز جيشا لمحاربتها ، ولكن الأحداث عاقته عن ذلك ، اذ ثار عليه أخوه أنطيوخوس التاسع وحاول قتله ولكنه فشل . وفى هذه الأثناء مات بطليموس الثامن ملك مصر عام ١١٦ قبل الميلاد بعد أن ترك وصية يمنح فيها زوجته كليوبترا الثالثة حرية اختيار من تشركه معها فى الملك من ابنيهما بطليموس اسكندر وبطليموس سوتر الثانى . ولما كانت تحب الأول فقد اختارته ، ولكن الاسكندريين اختاروا الثانى وأرغموها على اسناد العرش اليه ، فأجلسته باسم بطليموس التاسع ، ولكنها سيطرت عليه سيطرة تامة حتى لقد أرغمته على أن يطلق ابنتها التى كانت تكرهها كليوبترا الرابعة ويتزوج ابنتها الأخرى كليوبترا الخامسة التى كانت تسمى كليوبترا سيلينى . فما كان من كليوبترا الرابعة الا أن رحلت الى قبرص حيث كونت جيشا من الجنود المقيمين هناك ، ثم أخذته الى سوريا حيث تزوجت أنطيوخوس التاسع بعد أن استطاع اغتصاب العرش من أخيه أنطيوخوس الثامن وهو زوج أختها « كليوبترا تريفانا » . ولكن أنطيوخوس الثامن لم يلبث أن عاد واستولى على أنطاكية فهربت كليوبترا الرابعة الى معبد أبوللون فى دافنى فقتلها أنطيوخوس الثامن بتحريض من أختها « كليوبترا تريفانا » . ثم لم تلبث كليوبترا تريفانا أن وقعت فى قبضة أنطيوخوس التاسع فقتلها انتقاما لأختها . وقد تمزقت المملكة السوريه بين

الأخوين : فاستولى أنطيوخوس التاسع على فينيقيا وجوف سوريا وكانت عاصمته دمشق ، واستولى أنطيوخوس الثامن على باقى المملكة وكانت عاصمته أنطاكية . وفى أثناء هذا النزاع بين الأخوين كان يوحنا هركانس يزيد فى قوته وثروته، وقد اعتزم أن يضم السامرة الى ولايته ، فأرسل ابنيه أرستبولوس وأنتيجونوس على رأس جيش من اليهود فحاصراها عام ١١٠ قبل الميلاد ، فاستنجد السامريون بأنطيوخوس التاسع ، فهرع هذا لنجدتهم بجيش تولى قيادته بنفسه ، ولكن اليهود هزموه وألجأوه الى الفرار ، ثم عادوا الى محاصرة المدينة ، فاستغاث أنطيوخوس التاسع ببطليموس التاسع ملك مصر ، فأرسل اليه جيشا مكونا من ستة آلاف رجل ، ولكن اليهود هزموه واستولوا على المدينة وذبحوا أهلها ودكوها دكا وحفروا فى أرضها أخاديد ملأوها بالماء فأحالوها الى مستنقعات حتى لا يمكن تجديد بنائها . وقد ظلت بالفعل أرضا جرداء نحو مائة عام منذ ذلك الحين . وبذلك أصبح يوحنا هركانس مسيطرا على اليهودية والجليل والسامرة ومدنا أخرى فى تخومها ، ومن ثم أصبح يسمى نفسه ملكا ويحيط نفسه بما يحيط به الملوك أنفسهم من مظاهر الفخامة والعظمة .

وكان بين اليهود فى ذلك الحين شيعتان هما الفريسيون والصدوقيون ، وقد كان الفريسيون قوما يتظاهرون بالمحافظة على الشريعة اليهودية فى تزمت وحذلقة ، ولكنهم كانوا يضيفون اليها تقليدات يدعون أنهم تلقوها عن قدمائهم، ومع أنها كانت تخالف الشريعة كانوا يتشبثون بها أكثر من تشبثهم بالشريعة ، وكانوا يتظاهرون بالفضيلة والتقوى ليبجلهم الشعب ، فى حين أنهم كانوا فى حقيقتهم جشعين طماعين محبين للمال ، يرتكبون فى سبيل اقتناصه كل اثم ورذيلة ، وأما الصدوقيون فقد كانوا هم الطائفة الكهنوتية التى تشرف على الهيكل ، وقد أثروا ثراء عظيما عن طريق العشور والهبات والتبرعات التى كانوا يجنونها من الشعب ، وقد كانوا على الرغم من أنهم رجال الدين قوما ماديين دنيويين لا يؤمنون بالآخرة ويعيشون فى الدنيا عيش التنعم والرفاهية. وكان يوحنا هركانس يعمل على استرضاء الفريسيين بسبب تأثيرهم على

الشعب . وقد حدث أن أقام وليمة لزعمائهم وألقى أثناء الوليمة خطابا قال فيه انه يبذل كل جهده في أن يكون عادلا بين الناس مرضيا لله حسب تعاليم الفريسيين . ثم طلب الى كل من يرى منهم في مسلكه اعوجاجا أن يصارحه به حتى يعمل بنفسه على تقويمه ، ولكنهم أطروه جميعا الا واحد منهم اسمه لعازر نهض وقال له « ما دمت تطلب منا أن نصارحك بالحقيقة في غير مداراة، فانا نطلب اليك ان كنت عادلا أن تترك رئاسة الكهنوت لغيرك مكتفيا بمنصبك كملك » ، فلما سأله هركانس عن الداعي لذلك أجابه قائلا : « ان كثيرا من الشيوخ الموثوق بصدقهم قدشهدوا بأن أمك كانت من السبايا في أيام أنطيوخوس أبيفانوس ، فلا يحل لك حسب الشريعة أن تكون رئيسا للكهنة » . فغضب هركانس غضبا شديدا وطلب مجازاة هذا الرجل ، فلم يحكم عليه رئيس الفريسيين الا بالسجن والجلد ، ومن ثم ازداد غضب هركانس اذ كان ينتظر منهم أن يقتلوه . وقد بادر أحد الصدوقيين من أصدقاء الملك ويسمى يوناثان فانتهز هذه الفرصة لاغراء الملك بمعاداة الفريسيين واحتضان الصدوقيين ، ففعل ذلك ، ولكنه لم يعش بعد هذا الا بضعة أشهر ثم مات عام ١٠٦ قبل الميلاد بعد أن ظل حاكما لليهود ورئيسا لكهنتهم تسعا وعشرين سنة .

٥ — أرستبولس :

وكان الذي خلف هركانس هو ابنه الأكبر أرستبولس ، وقد سمى نفسه ملكا كذلك وأشرك معه أخاه أنتيجونوس في ملكه ، وأما باقي اخوته فطرحهم في السجن ، واذ ادعت أمه أن أباه عند وفاته جعل الولاية في يدها ، اعتقلها ومنع عنها الطعام حتى ماتت جوعا ، ثم انقلب على أخيه أنتيجونوس فقتله . بيد أنه لم يلبث أن مات عام ١٠٥ قبل الميلاد ، فلم يملك الا سنة واحدة .

٦ — اسكندر نيبوس:

وبعد موت أرستبولس ، أخرجت زوجته سالومي اخوته من السجن ونادت

بأحدهم ـ وهو يوحنا المسمى اسكندر نيوس ـ ملكا . وقد قام أحد اخوته ينازعه في الملك فقتله ، وكان فظا غليظ القلب ، فلم يلبث أن ثارت عكا وغزة على حكمه ، فحاصر عكا بجيشه ، فاستنجد أهلها ببطليموس التاسع الذي كانت أمه كليوبترا الثالثة ملكة مصر قد طردته فأصبح ملكا لقبرص ، وقد بادر الى نجدة أهل عكا فجاء على رأس ثلاثين ألف جندي وقتل من جيش اليهود ثلاثين ألف رجل ، وأسر منهم عددا عظيما ، وقد قصد أن يشيع الرعب بين اليهود جميعا ، فحاصر احدى قراهم وذبح أهلها جميعا وقطع جثثهم ووضعها في مراجل ، متظاهرا بأنه يجهز منها عشاء جنده ، ثم أخذ يجوب بلاد اليهود مشيعا فيها الخراب والدمار ، ولكن أمه كليوبترا الثالثة خشيت أن يستولى على اليهودية وفينيقيا فيشتد ساعده ويتمكن من العودة الى مصر وانتزاع العرش منها فحشدت عام ١٠٣ قبل الميلاد جيشا جرارا عهدت بقيادته الى اثنين من اليهود هما كلسياس وأنانياس ، فما نزل الجيش في فينيقيا حتى تقهقر بطليموس التاسع الى جوف سوريا ، فأرسلت كليوبترا فريقا من جندها مع كلسياس ليتبع بطليموس ، وتولت هي مع بقية الجيش بقيادة أنانياس حصار عكا وظلت تضغط عليها حتى فتحتها ، فأقبل اليها اسكندر ملك اليهود يشكرها ويغمرها بالهدايا النفيسة فتلقته بالترحاب ، وقد زين لها بعض المقربين اليها أن تقبض على اسكندر وتستولى على مملكته ، ولكن قائدها اليهودي أنانياس عارض هذا الرأي وأقنع الملكة بالعدول عنه ، فتركت اسكندر يعود الى أورشليم . وأما بطليموس التاسع فانه بعد أن قضى فصل الشتاء في غزة رأى استحالة استيلائه على فلسطين فعاد الى قبرص . وحين عاد اسكندر الى أورشليم حشد جيشا عبر به الأردن وحاصر مدينة كدارا واستولى عليها كما استولى على غيرها من المدن الواقعة شرقي الأردن ، ثم ارتد الى غزة فحاصرها وفتحها بعد حصار طويل ، ثم نكل بأهلها أبشع تنكيل .

وقد استمرت الحرب بين ملكي سوريا الأخوين أنطيوخوس الثامن وأنطيوخوس التاسع الى أن اغتيل أنطيوخوس الثامن عام ٩٧ قبل الميلاد ، وكان له خمسة أبناء ، فخلفه أكبرهم سيليوكوس السادس ، ولكن أنطيوخوس

التاسع هاجم مملكة ابن أخيه لانتزاعها منه ، الا أن سيليوكوس هزمه وقتله عام ٩٥ قبل الميلاد واستتب له الأمر فى سوريا كلها • ثم لم يلبث أنطيوخوس العاشر ابن أنطيوخوس التاسع أن فر من أنطاكية الى أرواد وأعلن نفسه ملكا على سوريا عام ٩٦ قبل الميلاد وزحف بجيش جرار على سيليوكوس وهزمه ففر الى كيليكيا حيث لقى هناك مصرعه • ولكى يعزز أنطيوخوس العاشر عرشه تزوج كليوبترا سيلينى أرملة أنطيوخوس الثامن ، فأثار ذلك حقد بطليموس التاسع ملك مصر فجاء بديمتريوس رابع أبناء أنطيوخوس الثامن من كريت ونصبه ملكا على سوريا • وكان أنطيوخوس العاشر عندئذ منشغلا بمحاربة فيلبس بن أنطيوخوس الثامن ، فخلا الجو لديمتريوس فى دمشق وانتصر على أنطيوخوس العاشر وأرغمه على أن يترك مملكته ويلجأ الى ميثريداتس الثانى ملك البرتيين الذى تقع مملكته جنوب شرقى بحر قزوين ، فى مكان خراسان الحالية ، ومن ثم أصبح جزء من سوريا يخضع لديمتريوس وكانت عاصمته دمشق ، وأصبح الجزء الثانى منها يخضع لفيلبس وكانت عاصمته أنطاكية • بيد أن البرتيين لم يلبثوا أن أمدوا أنطيوخوس العاشر بجيش فعاد بعد سنتين - أى عام ٨٩ قبل الميلاد - الى سوريا واستولى على بعض المناطق التى كانت خاضعة له من قبل ، ثم أن أنطيوخوس الثانى عشر وهو خامس أبناء أنطيوخوس الثامن حشد جيشا واستولى به على دمشق فانتزع تاجها من أخيه ديمتريوس ونادى نفسه ملكا على جوف سوريا • غير أن السوريين لم يلبثوا أن ضاقوا ذرعا الصراع بين ملوكهم فأرسلوا الى تيجرانوس ملك أرمينيا عارضين عليه أن يجلس على عرش سوريا ، فقبل وجاء الى سوريا عام ٨٣ قبل الميلاد وطرد ملكيها وجلس على عرشها ثمانية عشر عاما ، وان كانت كليوبترا سيلينى أرملة أنطيوخوس العاشر استطاعت أن تستبقى لنفسها عكا وجانبا من فينيقيا ومن جوف سوريا ، فملكت فى هذه المناطق سنين عديدة • وفى هذه الأثناء مات بطليموس التاسع ملك مصر ولم يكن له أبناء فخلفته ابنته برينيكى الثالثة ، ولكن مجلس الشيوخ الرومانى أرسل الى مصر « بطليموس اسكندر » ابن بطليموس العاشر ليتزوج من زوجة أبيه برينيكى الثالثة ويشاركها فى العرش ، وقد نودى به ملكا باسم بطليموس الحادى

عشر ، الا أنه لم تمض على زواجه من برنيكى تسعة عشر يوما حتى قتلها، فثار الاسكندريون عليه وقتلوه • وعنـــــدئذ طمعت كليوبترا سيلينى أخت بطليموس التاسع وأرملة أنطيوخوس العاشر فى أن تستولى لنفسها على عرش مصر فأرسلت ابنيها أنطيوخوس وسيليوكوس عام ٧٣ قبل الميلاد الى روما لاقناع مجلس الشيوخ الرومانى بذلك فأخفقا • واذ لم يعد من ســـــلالة البطالمة وارث شرعى الا اثنان من أبناء بطليموس التاسع ، بادر الاسكندريون الى اقامة أكبرهما ملكا على مصر باسم بطليموس الثانى عشر • وحين مات عام ٥١ قبل الميلاد خلفه ابنه الأكبر بطليموس الثالث عشر ، وقد تزوج أختـــه الكبرى كليوبترا الشهيرة واشتركا معا فى الحكم • أما سوريا فظل يحكمها تيجرانوس ملك أرمينيا ، ولكن الرومان لم يلبثوا أن أعلنوا الحرب عليـــه ، وكان أنطيوخوس بن كليوبترا سيلينى قد عاد من روما فانتهز هذه الفرصـــة وجلس على عرش سوريا عام ٦٩ قبل الميلاد ، ولكن الرومان بعد أن هزموا تيجرانوس استولوا على سوريا عام ٦٤ قبل الميـــلاد ، وبذلك انتهت دولة ليونان نحيتها بعد أن حكموها ٢٦٩ سنة •

أما اسكندر ملك اليهودية فقد ساد عهده الاضطراب الشديد بسبب كراهية اليهود له • وقد كان من عادتهم أن يأتوا الى هيكل أورشليم فى عيد المظال ممسكين بأغصان النخيل والليمون ، فلما دخل الملك الهيكل فى ذلك العيد راحوا يرشقونه بثمار الليمون ويقذفونه بالشتائم قائلين انه كان أسيرا فلا يحق له أن يكون رئيسا للكهنة ، ولا يحق له أن يقدم الذبائح لله ، ولعلهم كانوا بذلك يرددون ما قاله لعازر الفريسى من قبل من أن أم هركانس كانت من السبايا • ومن ثم استشاط اسكندر غيظا وغضبا وأمر حرسه بالانقضاض عليهم فقتلوا منهم ستة آلاف رجل ، ولم يعد بعد ذلك يركن الى اليهود أو يطمئن اليهم ، فاتخذ لنفسه حرسا من الأجانب يتكون من نحو ستة آلاف رجل ، وقد جاء بهم من بيسيديا وكيليكيا ، ومن ثم ازدادت كراهية اليهود له واشتدت ثورتهم ضده وتمردهم عليه ، فقتل منهم نحو خمســـين ألفا •

وقد حدث أن تحصن العصاة في احدى المدن فاقتحمها عليهم وقبض على ألف رجل منهم وجاء بهم الى أورشليم وصلبهم جميعا في يوم واحد ، وقد جاء في نفس الوقت بنسائهم وأطفالهم فقتلهم أمام عيونهم وهم معلقون على الصلبان ، ثم صنع في ذلك اليوم وليمة لزوجاته وسراريه في مكان يشرف على ساحة المصلوبين والقتلى فكان هذا المشهد من أسباب تسليته ومسرته مع نسائه . وكان لا يكف عن اقامة المذابح وخوض الحروب ، فكان اذا انتهى من اخماد ثورات اليهود ضده ، سطا على بعض المدن والبقاع المحيطة ببلاده واغتصبها منتهزا فرصة انشغال ملوك سوريا لمحاربة بعضهم بعضا ، ثم يعود الى أورشليم ليقيم مذبحة جديدة لليهود ، وهكذا لم يكن يشبع أبدا من القتال ، أو يرتوى من سفك الدماء . كما أنه لم يكن يكف عن معاقرة الخمر والعكوف على الملذات الحيوانية حتى أصيب بمرض خبيث لازمه ثلاث سنوات ، وبينما كان يحاصر حصنا شرقي الأردن في احدى غزواته ، اشتد عليه ذلك المرض فدخلت عليه زوجته الملكة اسكندرة وهو يحتضر وقالت له وهي تبكي « ماذا نفعل أنا وأولادك من بعدك وأنت تعلم بكراهية الشعب كله لك ونقمته عليك ؟ » فقال لها « لا تعلني موتي الى جنودي حتى يفتحوا هذا الحصن ، فاذا رجعت منتصرة الى أورشليم فتذلفي الى الفريسيين لمالهم من نفوذ عند الشعب وأجيبيهم الى كل مطالبهم ، وأريهم جثتي وقولي لهم هذه جثة ملككم اصنعوا بها ما شئتم ، فان أردتم أن تواروها التراب بغير احتفال جزاء ما فعل بكم فافعلوا ، وان أردتم أن تحيطوا دفنه بما يليق بالملوك من الكرامة فسوف يكون ذلك مكرمة منكم ، ثم أكدي لهم أنك لن تبرمي شيئا من شئون الملك الا بمشورتهم ، فاذا فعلت ذلك فانني موقن أنهم سيجيبونك الى كل ما تطلبين » . ثم لم يلبث اسكندر أن مات ، وكان ذلك عام ٧٩ قبل الميلاد ، بعد أن حكم أمة اليهود سبعا وعشرين سنة ، وقد أوصى بالعرش من بعده لزوجته اسكندرة على أن يخلفها بعد موتها من تختاره من ابنيه هركانس وأرستبولس .

٧ - إسكندرة :

وهكذا أصبحت اسكندرة ملكة لليهود ، وقد عملت بمشورة زوجها قبل موته فتملقت الفريسيين ، وقد أرضى ذلك كبرياءهم ، فحثوا الشعب على الاحتفاء بدفنه ، وأنفقوا فى تشييع جنازته نفقات باهظة ، وأحاطوها بمظاهر التكريم التى لم يحظ بها أحد من أسلافه . وقد أقامت اسكندرة ابنها هركانس رئيسا للكهنة وعهدت الى الفريسيين بتدبير كل الأمور فى مملكتها بعد أن ألغت الأمر الذى كان يوحنا هركانس قد أصدره بابطال تقليداتهم ، فراحوا يمارسون هذه التقليدات ويتشبثون بها أكثر من أى وقت مضى واضطهدوا أشد الاضطهاد كل من كانوا يعادونهم أو يقاومونهم أو ينافسونهم ، بينما ظلت الملكة مغلولة الأيدى مشلولة الارادة لا تستطيع أن تقف فى وجههم ولا تملك أن تراجعهم فى شيء ، وكانوا لا يفتأون يختلقون كل يوم شكايات جديدة ضد أولئك المعادين والمقاومين والمنافسين لهم ، ويبتدعون كل يوم وسيلة للانتقام منهم والتنكيل بهم ، ومن ثم اشتد الضيق بمن كانوا أعوانا وخلانا وأنصارا للملك اسكندر أثناء حياته ، وقد ضاقوا ذرعا بمكائد الفريسيين ودسائسهم وخبثهم ومكرهم فجاءوا الى الملكة ومعهم ابنها أرستبولس وذكروها بخدماتهم لها ولزوجها وبأماناتهم فى خدمتها قائلين ان اخلاصهم لهما فى الماضى هو السبب فيما يلاقون اليوم من ضيق وعنت ، فعطفت الملكة عليهم وسمحت لهم بأن يقيموا فى القلاع والحصون ، وقد جمعت بذلك بين هدفين هما الوقاية لهم والانتفاع بهم عند الحاجة .

ولم تلبث الملكة اسكندرة أن مرضت عام ٧٠ قبل الميلاد ، فلما كانت تحتضر خرج ابنها أرستبولس من أورشليم ليلا ومضى الى القلاع والحصون التى كان فيها أصدقاء أبيه فحشدهم وتولى قيادتهم ليستولى بهم على السلطة فى أورشليم ، وكان اليهود قد سئموا استبداد الفريسيين فبايعوه ، ومن ثم أسرع الفريسيون الى الملكة ومعهم ابنها الآخر هركانس الذى كانت قد أقامته رئيسا للكهنة طالبين اليها تدارك الأمر ولكنها أجابتهم بأنها لم تعد قادرة

على تدبير هذه الأمور ، وإن كانت قد أوصت أن يخلفها هركانس ثم ماتت بعد أن ملكت تسع سنين ، وكان موتها عام ٧٠ قبل الميلاد .

٨ - هركانس وأرستبولس :

وقد تولى هركانس السلطة في مكان أمه يناصره الفريسيون ، وكانوا قد قبضوا على زوجة أرستبولس وابنه ووضعوهما في حصن ليكونا رهينة لديهم ، ثم حشدوا جيشا وزحفوا على القوات التي كان يقودها أرستبولس ، وقد نشب القتال بين الفريقين عند أريحا ، غير أن السواد الأعظم من جنود هركانس انضموا الى جيش أخيه ففر الى أورشليم واتخذ أنصاره الهيكل ملجأ لهم ولكنهم لم يسعهم أخيرا الا أن يخضعوا لأرستبولس ، وقد تخلى هركانس لأخيه عن العرش ورئاسة الكهنوت وارتضى أن يعيش كفرد من أفراد رعيته ، وبذلك لم يدم ملك هركانس الا ثلاثة أشهر خلال عام ٦٩ قبل الميلاد .

وهكذا أخذ أرستبولس من أخيه الأكبر هركانس عرشه ورئاسته للكهنة ، ولكنه لم يكد يبدأ يتمتع بسلطانه حتى وقع اضطراب في مملكته بسبب رجل يسمى أنتيباس ولقبه أنتيباتر ، وكان من الأدوميين الذين أجبرهم يوحنا هركانس على اعتناق اليهودية ، فلم يكن يهوديا من ناحية الجنس ، وقد أصبح من المقربين الى الملك اسكندر ثم الى زوجته اسكندرة ، ثم الى ابنه هركانس ، فلما سقط هركانس بذل قصارى جهده في اعادته الى عرشه ، وفي سبيل ذلك لجأ الى الحارث ملك النبطيين ، فجاء الحارث في خمسين ألف مقاتل الى اليهودية وانتصر على أرستبولس وحاصر أورشليم . الا أنه في هذه الأثناء قدم القائد الروماني بومبي الى سوريا ليخضعها عام ٦٤ قبل الميلاد ، فبعث هركانس وأرستبولس اليه ليحكم بينهما ، بينما بعث اليه كثيرون من اليهود يطلبون اليه أن يريحهم منهما كليهما . وقد بسط هركانس قضيته قائلا ان أخاه قد انتزع العرش منه في حين أنه صاحب الحق فيه لأنه الأكبر ، كما أنه ليس له من الأموال الا بعض الحقول التي

لا تقوم بأوده بينما أخوه يسطو كاللص على جيرانه وينهب أملاكهم ، فأجاب أرستبولس على ذلك بأنه لم ينتزع العرش من أخيه الا لأنه لم يكن أهلا له وقد ازدراه الشعب لأنه رجل بليد كسول فاضطر أن يقبض على زمام البلاد لئلا تقع فى يد أجنبية ، وقد أحضر كل من الأخوين شهودا كثيرين على دعواه • وقد تبين لبومبى أن أرستبولس قد اعتدى بالفعل على حق أخيه ولكنه لم يجهر بذلك حتى لا يتصرف أرستبولس تصرفا يكون من شأنه تعطيله عن مواصلة حملته • فصرف الأخوين دون أن يفصل فى النزاع القائم بينهما واعدا اياهما أنه سيمر على اليهودية بعد انتهاء حملته فيفصل عندئذ فى هذا النزاع ، ولكن أرستبولس أدرك أن بومبى ليس فى جانبه فبارح دمشق على الفور وأسرع الى اليهودية يتأهب للدفاع فجعل نفسه بهذا التصرف عدوا لبومبى ، فلما عاد بومبى من حملته اتجه بجيشه الى مهاجمة أرستبولس وكان عندئذ محتميا فى حصن يسمى ألكسندرون ، فأسره وقسره على أن يصدر أمرا مكتوبا الى كل قواد الحصون اليهودية بأن يسلموا ما لديهم من الأسلحة والعتاد ، ولكن أرستبولس لم يلبث أن أخذ جيشه الى أريحا ثم دخل أورشليم ، بيد أنه لم يلبث أن خاف وندم فعاد الى بومبى مستغفرا اياه ومبديا خضوعه المطلق له وعرض عليه مبلغا ضخما من المال تفاديا للحرب فقبل بومبى ما عرضه عليه وأوفد معه كابينيوس على رأس كتيبة من الجنود ليقبض المال ، غير أن أهل أورشليم أوصدوا أبواب مدينتهم وأخذوا يصيحون قائلين للقائد أنهم لا يقبلون الاتفاق فقبض بومبى على أرستبولس وكبله بالأغلال وزحف بجيشه على المدينة ، وقد اعتزم أنصار أرستبولس الدفاع عنها ، بينما اعتزم أنصار هركانس فتح أبواب المدينة أمام بومبى ، ولم يلبث هؤلاء أن تغلبوا فدخل بومبى المدينة وعندئذ اعتصم أنصار أرستبولس بالهيكل فحاصره بومبى ثلاثة أشهر ، واذ لاحظ الرومان أن اليهود لا يحاربون يوم السبت انتهزوا أيام السبوت لتركيب آلات الهدم حول السور حتى فتحوا منفذا فيه ثم وثبوا على اليهود وقتلوا منهم اثنى عشر ألفا ، واقتحم بومبى الهيكل ودخل قدس الأقداس فأثار ذلك ثائرة الذين تبقوا من اليهود ، ولكنه

لم يحفل بهم وانما جدم أسوار أورشليم. وأسر أبناء أرستبولس وأخذهم مع أبيهم الى روما وأقام هركانس حاكما لليهودية تحت سيادة روما ، بعد أن ألحق كثيرا من مدنها بمملكة سوريا ، وكان ذلك عام ٦٣ قبل الميلاد • ومنذ ذلك الحين أصبح اليهود خاضعين للرومان •

بيد أنه فى عام ٥٧ قبل الميلاد هرب اسكندر أحد أبناء أرستبولس من روما وعاد الى اليهودية ، وهناك حشد جيشا وبدأ يغزو البلاد ، فاستنجد هركانس بروما فأرسلت اليه جيشا بقيادة غابيتيوس ، فهزم اسكندر وأقر هركانس فى منصبه ، الا أنه أحدث كثيرا من التغييرات فى نظام الحكم ، ومن ذلك أنه ألغى المجمع العام الذى يضم شيوخ اليهود ويسمونه السنهدريم ، وقسم البلاد الى خمسة أقسام ، وأقام فى كل منها مجمعا يدبر أموره تحت امرة الرومان ، ومن ثم بطل حكم الملوك اليهود •

ولم يلبث أرستبولس أن فر من سجنه فى روما وعاد الى اليهودية مع ابنه انتيجونوس وهناك انضم اليه جم غفير من اليهود ، فأرسل غابيتيوس جيشه لملاقاته فقتل هذا الجيش من رجال أرستبولس خمسة آلاف ، وهزمه وأسره ، وقد أعاده غابيتيوس الى روما مع ابنه أنتيجونوس • ولكنه كتب الى مجلس الشيوخ الرومانى قائلا انه وعد زوجة أرستبولس بأن يرد اليها أبناءها مكافأة لها على تسليم بعض الحصون الى القوات الرومانية ، فرد مجلس الشيوخ أبناءها اليها • غير أن اسكندر بن أرستبولس انتهز فرصة غياب غابيتيوس فى مصر وحشد جيشا من اليهود ، وراح يقتل كل من يقع فى يده من الرومان • فلما عاد غابيتيوس من مصر استمال كثيرين من اليهود اليه فلم يبق مع اسكندر سوى ثلاثين ألفا ، فهاجمهم غابيتيوس وقتل منهم عشرة آلاف ، وأما الباقون ففروا وفر اسكندر معهم • الا أن مجلس الشيوخ الرومانى فى هذه الأثناء استدعى غابيتيوس الى روما لمحاكمته على أمور نسبها اليه وأقام كراسوس على سوريا فى مكانه ، فجاء كراسوس الى أورشليم عام ٥٣ قبل

الميلاد وأخذ أموال الهيكل وآنيته الذهبية ، ثم حارب أنصار اسكندر وأسر منهم ثلاثين ألفا . وبذلك استتب الأمر لهركانس فى حكم اليهودية .

حتى اذا استولى يوليوس قيصر على روما عام ٤٩ قبل الميلاد وفر بومبى وأنصاره من أعضاء مجلس الشيوخ الرومانى ، أطلق قيصر سراح أرستبولس وأرسله إلى اليهودية ليعضد حزبه فيها ، ولكن أنصار بومبى قتلوا أرستبولس ، كما قتلوا ابنه اسكندر فى أنطاكية ، ولم يلبث أنتيباتر الأدومى أن انحاز إلى قيصر ضد بومبى ، وحين غزا قيصر مصر وهو يلاحق بومبى ، أخذ أنتيباتر جيشا واتجه به الى الاسكندرية ليحارب هناك فى صفوفه ، وقد استبسل فى القتال حتي قيل ان فوز قيصر يومئذ كان بفضله ، ومن ثم عينه قيصر حاكما لليهودية سنة ٤٨ قبل الميلاد ، فتسلط على هركانس وأصبح صاحب الكلمة العليا ونائبا عن قيصر فى حكم البلاد ، ومن ثم قسم مدن فلسطين بين أبنائه الخمسة ، وقد عين ابنه الثانى هيرودس حاكما للجليل عام ٤٤ قبل الميلاد ولم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره ، وهو الذى عرفه التاريخ بعد ذلك بهيرودس الكبير . وهكذا سيطر هذا الأدومى على اليهودية هو وأولاده ، بينما ظل هركانس رئيس الكهنة وعظيم الأمة فى الظاهر فحسب . وقد سمح قيصر لهركانس باعادة بناء أسوار أورشليم التى كان بومبى قد هدمها ، فسارع هيرودس الى تنفيذ ذلك . ولكن قيصر مات مقتولا فى مجلس الشيوخ الرومانى عام ٤٤ قبل الميلاد ، وقد خلفه فى حكم الدولة الرومانية أنطونيوس وأوكتافيوس . وقد جاء أنطونيوس الى سوريا بعد حرب فيلبى عام ٤٢ قبل الميلاد ، فولى هيرودس وأخاه الأكبر فسائيل على شئون البلاد ، ثم ذهب أنطونيوس الى مصر وظل هناك الى جانب ملكتها كليوبترا ، فجاء البرتيون واستولوا على سوريا عام ٤٠ قبل الميلاد ، وعندئذ نهض أنتيجونوس بن أرستبولس وأعطى قائد البرتيين مبلغا كبيرا من المال وخمسمائة جارية ، طالبا اليه أن يفتح اليهودية ، ويعزل هركانس وهيرودس وأخاه فسائيل ويقيمه ملكا على اليهودية ، فأجابه ملك البرتيين الى ذلك وزحف

على اليهودية واستولى عليها وسلمها الى أنتيجونوس ، وقبض على هركانس وفسائيل وسلمهما اليه مكبلين بالحديد ، فجدع أنتيجونوس أذنى هركانس لكى لا يعود صالحا لرئاسة الكهنوت ، اذ توجب الشريعة أن يكون رئيس الكهنة خاليا من أى عيب أو عاهة ، ثم أسلمه الى البرتيين فسجنوه فى سيليوكية باقليم بابل . أما فسائيل أخو هيرودس فقد أدى به اليأس الى الانتحار فى السجن . وهكذا انتهى حكم هركانس لليهودية عام ٤٠ قبل الميلاد ، بعد أن حكمها ثلاثين عاما كانت تسودها القلاقل والاضطرابات .

وأما هيرودس فقد هرب هو وعائلته ولجأ الى أدومية ، وهناك ترك أسرته عند أخيه يوسف ، ثم رحل الى مصر ، ومنها رحل الى روما وهناك راح يبذل غاية جهده ليقنع ماركوس أنطونيوس بأن يمنح تاج اليهودية لأرستبولس بن اسكندر ابن أرستبولس أخى هركانس ، اذ كان هيرودس قد خطب « مريمنا » أخت أرستبولس هذا ، فكان يأمل فى أن يعهد اليه اذا أصبح ملكا بتدبير شئون المملكة تحت امرته ، كما كان يدبر أبوه أنتيباتر شئون المملكة تحت امرة هركانس . ولكن أنطونيوس فعل ما لم يكن يحلم به هيرودس اذ أقامه هو نفسه ملكا على اليهودية ، وقد وافق مجلس الشيوخ الرومانى على ذلك عام ٣٩ قبل الميلاد ، فأسرع هيرودس الى اليهودية وحشد الرجال وزحف على أورشليم وحاصرها . وكان يتولى حكمها أنتيجونوس بن أرستبولس منذ ثلاث سنوات ، فأصدر أنطونيوس أمره الى سوسيوس والى سوريا بأن يعمل على خلع أنتيجونوس وتمكين هيرودس من مباشرة سلطته كملك على اليهودية ، ومن ثم انضم جيش سوسيوس الى جيش هيرودس فبلغ الجيشان معا ستين ألف رجل ، وبذلك ازدادت وطأة الحصار على أورشليم ، ولكن سوسيوس لم يتمكن من اقتحامها الا بعد ستة أشهر ، وعندئذ نهبها وأشاع فيها الخراب والدمار وملأ طرقاتها وأزقتها بالقتلى من أهاليها ، وحين يئس أنتيجونوس من الاستمرار فى المقاومة ذهب الى سوسيوس وألقى بنفسه عند قدميه فى ضراعة وتذلل فكبله بالأغلال وأرسله

الى أنطونيوس الذى كان حينئذ فى أنطاكية • وقد أراد أنطونيوس أن يبقيه حيا ولكن هيرودس طلب اليه أن يقتله حتى يتم بذلك القضاء على سـلالة ملوك اليهود ويرتاح الجميع منهم ، فقتله أنطونيوس ، وكان ذلك عام ٣٧ قبل الميلاد ، فانقضى بموت أنتيجونوس عهد المكابيين فى اليهودية بعد أن ظلوا فى الحكم مائة وثلاثين عاما منذ أن استولى يهوذا المكابى على أورشليم، وانتقلت السلطة بعد ذلك الى هيرودس بن أنتيباس أنتيباتر الأدومى تحت سيطرة الرومان • وهو المعروف بهيرودس الكبير •

الفصل الحادى عشر

اليهود تحت حكم الرومان

١ – هيرودس الكبير :

وقد أصبح هيرودس الكبير ملكا على اليهودية عام ٣٩ قبل الميلاد بأمر من ماركوس أنطونيوس وبموافقة مجلس الشيوخ الرومانى ، ومن ثم كـــان يستمد سلطته من الرومان ، وكان شديد الخضوع لهم ، عاملا بكل وســيلة على ارضائهم والتقرب اليهم ، حتى لقد أقام هياكل وثنية لعبادة الامبراطور الرومانى فى أورشليم ذاتها ، ووضع على باب هيكل سليمان تمثالا ضخما من الذهب للنسر الذى هو شعار الدولة الرومانية ، مع أن اليهود كـــانوا يعتبرون ذلك النسر صنما وثنيا ، ويعتبرون أن فى وضعه على باب الهيكل تدنيسا للهيكل .

وكان هيرودس يخشى أن يقيم فى رئاسة الكهنوت رجلا من سلالة ملوك اليهود لئلا ينازعه فى عرشه ، فاستدعى من بابل رجلا يسمى « حنائيل » وقام بتعيينه رئيسا للكهنة ، ومن ثم غضبت اسكندرة أم مريمنا زوجة هيرودس، اذ كانت تطمع فى رئاسة الكهنوت لابنها أرستبولس ، فلجأت الى كليوبترا عشيقة أنطونيوس كى تغريه بأن يأمر هيرودس بتعيين أرستبولس فى هذه الوظيفة ، وبالفعل أمره بذلك ، فأذعن للأمر . ولكنه حقد على اسكندرة فحبسها فى قصرها ومنعها من أن ترى أحدا أو تكتب الى أحد ، فلجأت مرة أخرى الى كليوبترا ، فنصحتها هذه بأن تفر مع ابنها الى مصر ، وبالفعل حاولت الفرار ولكن هيرودس علم بما تدبره فحرض بعض أنصاره على قتل أرستبولس فقتلوه غريقا ، وعلى الرغم من أن هيرودس تظاهر بالحزن الشديد عليه ودفنه باحتفال عظيم ، الا أن اسكندرة عرفت أنه هو الذى أوعز بقتله فكتبت الى كليوبترا تطلب اليها أن تقنع أنطونيوس بالانتقام من هيرودس ، وكان أنطونيوس عندئذ فى كيليكيا فجاء الى اللاذقية واستدعى هيرودس فهرع اليه مرتعدا بعد أن أناب عنه فى تدبير المملكة زوج أخته يوسف . واذ كان شديد الغيرة على زوجته مريمنا طلب الى يوسف أن يقتلها اذا قتله أنطونيوس حتى لا تكون لغيره بعد موته . ثم لم يلبث أعداء هيرودس أن أشاعوا أن أنطونيوس قد قتله فطلبت اسكندرة الى يوسف أن يصحبها مع ابنتها مريمنا ليضعوا أنفسهم تحت حماية الجيش الرومانى . بيد أن الأنباء لم تلبث أن وردت بأن هيرودس لا يزال حيا وأنه أرضى أنطونيوس بالهدايا فعفى عنه . حتى اذا عاد هيرودس أخبرته أمه وأخته بما كان من حماته اسكندرة وزوجته مريمنا ، وقالا له ان يوسف كان على صلة مريبة بمريمنا أثناء غيابه ، فقتل يوسف وسجن اسكندرة .

ولم تلبث الحرب أن نشبت بين عاهلى الدولة الرومانية أنطونيوس وأوكتافيوس ، فانحاز هيرودس الى صف أنطونيوس ، لأنه كان هو الذى عينه ملكا على اليهود . وقد جمع لنجدته جيشا عظيما وزحف به كطلب أنطونيوس على بلاد الأدوميين ، فهزموه فى قانا التى كانت عبر الأردن ،

وهى غير قانا الجليل ، ولكن هيرودس عاود الهجوم عليهم وقتل منهم خمسة آلاف ، وحاصر عددا كبيرا منهم فى أحد الحصون ، ومنع عنهم الزاد والماء ، فعرضوا عليه الاستسلام على شرط أن يخلى سبيلهم ، فوافق ، ولكنهم حين خرجوا قتل منهم سبعة آلاف . غير أنه لم يلبث أن بلغته أنباء هزيمة أنطونيوس أمام أوكتافيوس فى موقعة أكتيوم ، فخاف على عرشه ، ولم يكن قد بقى من

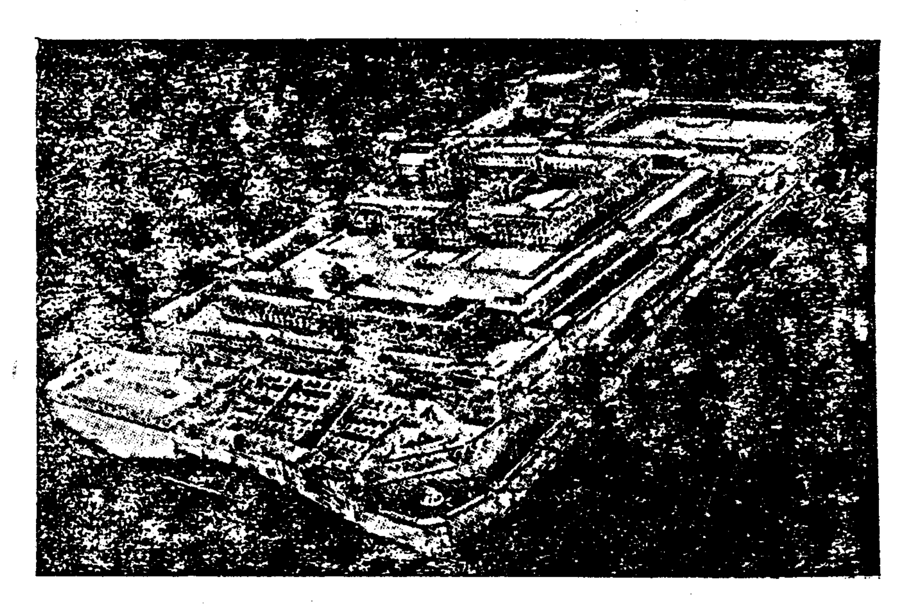


« الامبراطور أغسطس قيصر »

سلالة ملوك اليهود الا هركانس ــ وهو أبو حماته اسكندرة ــ فاذ خشى أن يعينه أوكتافيوس ملكا على اليهود فى مكانه قتله ، على الرغم من أنه كان قد جاوز الثمانين من عمره . ثم انطلق هيرودس مسرعا ليقدم ولاءه وخضوعه للقائد المنتصر أوكتافيوس ، بعد أن عهد بتدبير المملكة الى أخيه فيراروس بالاشتراك مع أمه وأخته سالومى ، واعتقل زوجته مريمنة وأمها اسكندرة

فى أحد الحصون تحت رقابة شديدة . وقد نجح هيرودس فعلا بدهائه وتذلله وما أخذ معه من المال والهدايا فى استرضاء أوكتافيوس ، حتى اذا عاد راحت أمه وأخته تحرضانه ضد زوجته مريمنة وأمها اسكندرة فقتلهما ، ثم استولت عليه سورة من الجنون فراح يقتل حتى أقرب المقربين إليه .

ولكى يتذلف هيرودس الى أوكتافيوس الذى أصبح امبراطورا للدولة الرومانية باسم « أغسطس قيصر » ، قام بتجديد مدينة السامرة وسماها



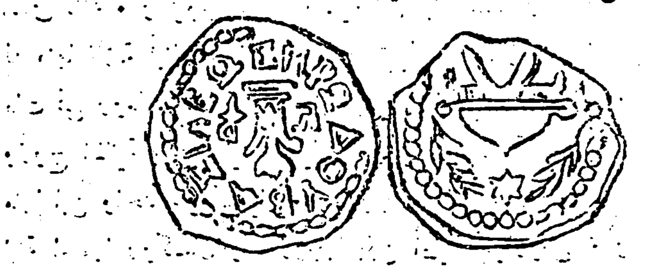
« هيكل أورشليم »

« سباستيا » وهو الاسم اليونانى الذى يرادف اسم « أغسطس » اللاتينى . كما قام ببناء مدينة جديدة فى موضع يسمى « برج ستراتون » يقع بين مدينتى يافا وحيفا وسماها « قيصرية » نسبة الى لقب أغسطس وهو « قيصر » .

وقد حاول هيرودس أن يخفف من كراهية اليهود له فهدم هيكل أورشليم الذى كان قد بناه « زربابل » وبنى فى مكانه هيكلا جديدا أنفق عليه أموالا طائلة وقد استغرق بناؤه ستا وأربعين سنة . ولكن اليهود مع ذلك ظلوا على كراهيتهم لهيرودس ورفضهم اياه كملك عليهم ، لأنه كان أدوميا ولم يكن

من أصل يهودى • وقد صارحوه بذلك على لسان مجلس شيوخهم الذى كانوا يسمونه السنهدريم ، وكان يتألف من سبعين شيخا ، فما كان منه الا أن قتلهم جميعا •

وقد كان لهيرودس من زوجته مريمنا التى قتلها ثلاثة أبناء هم اسكندر وأرستبولس وهيرودس ، وكان قد أرسلهم الى روما ليتلقوا العلم فمات هيرودس أصغرهم هناك ، ومن ثم أعاد هيرودس ابنيه الآخرين اسكندر وأرستبولس الى اليهودية • وقد زوج الاسكندر من كلافيرة ابنة أرخلاوس ملك الكبادوك ، وزوج أرستبولس من برنيس ابنة أخته سالومى • ولكن سالومى خشيت كما خشى كل الذين تسببوا فى قتل مريمنا من أن يخلف هذان الولدان أباهما فينتقما لأمهما ، ولذلك أرادوا الخلاص منهما فأدخلوا فى روع هيرودس أنهما يمقتانه ويسعيان الى قتله • وكان هيرودس قد سافر



« عملة يهودية من زمن هيرودس »

الى أغريبا فى بلاد اليونان ، فلما عاد اجتمعت اليه أخته سالومى مع أخيه فيراروس وابنه البكر أنتيباتروس وقالوا له ان ابنيه اسكندر وأرستبولس جاهرا أثناء غيابه بأنهما سيثأران لأمهما وأنهما قد رفعا شكواهما ضد أبيهما الى أغسطس قيصر بواسطة أرخلاوس ملك الكبادوك • فأسرع هيرودس الى روما مصطحبا معه هذين الابنين وطلب الى أغسطس محاكمتهما وتأديبهما • ولكن أغسطس تحقق من براءتهما مما ينسبه أبوهما اليهما ، فعاد هيرودس بهما الى اليهودية ، وهناك ألقى بهما فى السجن ، ثم حاكمهما محاكمة

صورية وقطع رأسيهما ، فلما سمع أغسطس بما فعله قال قولته المأثورة « ان المرء ليفضل أن يكون خنزيرا لهيرودس عن أن يكون ابنا له » .

وقد أوصى هيرودس بأن يخلفه في الملك ابنه البكر أنتيباتروس . ولكن هذا لم يطمئن الى نوايا أبيه فتآمر مع عمه فيراروس على قتل أبيه . ولكن هيرودس علم بالمؤامرة التي دبرها ابنه فقتله . كما علم أن الفريسيين اشتركوا في تلك المؤامرة فقتل عددا كبيرا منهم واضطهد الباقين اضطهادا عنيفا . وكان بين الفريسيين رجلان يدعى أحدهما « يهوذا بن سيبورى » ويدعى الآخر « متى بن مركلوت » ، وقد حرضا بعضا من تلاميذهما على تحطيم تمثال النسر اليوناني الذي كان هيرودس قد أقامه على باب هيكل أورشليم ، فقبض هيرودس على هذين الرجلين ، وعلى أربعين من تلاميذهما وأحرقهم أحياء .

وكان هيرودس قد تزوج عشر نساء ، أولاهن « دوريس » أم أنتيباتروس الذي قتله . والزوجة الثانية « مريمنا » ابنة اسكندر التي قتلها كذلك ، وكان له منها ثلاثة أبناء هم اسكندر وأرستبولس اللذان قتلهما ، وهيرودس الذي مات في روما ، كما كان له منها ابنتان ، زوج احداهما بابن أخته سالومى ، وزوج الثانية بابن أخيه فسائيل . والزوجة الثالثة هي بالاس ، وكان له منها ابن واحد هو فسائيل . والزوجة الرابعة هي « مذرة » ، وكان له منها ابنة اسمها روكسان وقد زوجها بابن أخيه فيراروس ، والزوجة الخامسة هي مريمنا « الأخرى ابنة سمعان وكان له منها ابن واحد هو هيرودس المسمى فيلبس الأول ، وهو الزوج الأول لهيرودية التي اغتصبها منه أخوه هيرودس أنتيباس ، والتي رقصت ابنتها سالومى أمام هذا الأخير وطلبت منه رأس يوحنا المعمدان . والزوجة السادسة هي « ملثاس » السامرية ، وكان له منها ابنان هما أرخيلاوس وهيرودس أنتيباس . والزوجة السابعة هي « كليوبترا » ، وكان له منها ابن واحد هو هيرودس المسمى فيلبس الثاني . والزوجة الثامنة هي « ألبيد » وكان له منها ابنة واحدة زوجها لابن أخيه فيراروس ، والزوجة التاسعة هي ابنة أخيه . والزوجة العاشرة هي ابنة عمه ، ولم يكن له من هاتين الأخيرتين أبناء أو بنات .

وقد غير هيرودس عدة مرات وصيته فيما يتعلق بمن يخلفه من أبنائه ، فأوصى أولا بأن يخلفه اسكندر وأرستبولس ثم قتلهما • وبعد ذلك أوصى بأن يخلفه أنتيباتروس ثم قتله • وبعد ذلك أوصى بأن يخلفه فيلبس الأول ، ولكنه حين علم أن أمه اشتركت في مؤامرة أنتيباتروس ضده استبعده • وأخيرا أوصى بأن يقتسم مملكته أبناؤه أرخيلاوس ، وهيرودس أنتيباس ، وفيلبس الثانى •

وقد اصطبغ عهد هيرودس كله بالدماء ، وبأبشع مذابح القتل التى شهدها التاريخ : فقد قتل أعضاء مجلس السنهدريم جميعا - كما رأينا - حين صارحوه بكراهيتهم له ، وذبح عددا كبيرا من شيوخ اليهود وكهنتهم الذين بدرت منهم أقل بادرة من المعارضة لحكمه • ولم يسلم من بطشه حتى أهل بيته وأقرب الأقربين اليه ، فقد رأينا أنه قتل زوجته مريمنا مع أنها كانت أكثر الناس اخلاصا له ، ولم ينج من وحشيته من أبنائه الذين أنجبهم من زيجاته العشر القانونية الا القلائل • وأما الباقيون فقد قتلهم جميعا ، ومنهم اسكندر وأرستبولس وأنتيباتروس ، كما قتل زوج أخته يوسف ، وقريبه كورثوباتوس ، وأصدقاءه دوسيتوس وجادياس وكستوبار ودوزيتاوس • لم ينجح ابنه أرخلاوس وأخوه فيراروس من الموت الذى دبره لهما الا بمعجزة • وكان مغرما بابادة أعداد كبيرة من الناس بالجملة : فقد أشرنا الى المذبحة التى قتل فيها مائة من تلاميذ الفريسيين مع اثنين من زعمائهم • وقد حدث في أواخر أيامه أن بلغه نبأ ميلاد السيد المسيح في مدينة بيت لحم ، وعلم أنه سيكون ملكا على اليهود ، فأمر - لكى يتخلص منه - بقتل كل الأطفال الذين فى هذه المدينة من ابن سنتين فأقل ، حتى يقتل من بينهم المسيح الذى لم يكن يعرف شخصيته بالتحديد ، فذهب ضحية هذه المذبحة عدة آلاف من الأطفال الأبرياء • وحين اقتربت ساعة موت هيرودس ، كان موقنا أن اليهود جميعا سيفرحون بموته فقرر أن يضطرهم اضطرارا الى البكاء فى تلك الساعة ، فأصدر أمره بدعوة شيوخ أكبر العائلات فى بلاد اليهودية كلها الى أريحا ، ثم أغلق عليهم ملعب الخيل

وطلب الى أخته سالومى أن تأمر الجنود بذبحهم جميعا فى اللحظة التى يموت هو فيها . وهكذا اتسم عهد هذا الطاغية بأبشع صور الشراسة والوحشية والتعطش الى الدماء والتفنن فى أساليب القتل بالخنق والشنق والحرق وتمزيق الجسم الى نصفين وانتزاع الاعترافات بتعذيبات لا مثيل لبشاعتها . كما اتسمت طبيعته بالشر والضغينة والحقد والرغبة العارمة فى التنكيل بكل من يحيطون به والتمثيل بهم والانتقام منهم حتى يقول يوسيفوس ان سفراء اليهود اشتكوه لدى قيصر قائلين « ان الذين بقوا أحياء أثناء حكمه كانوا أتعس من الذين أصابهم بطشه » .

وقد أصيب هيرودس فى أواخر أيامه بحمى شديدة تحرق جوفه ، وقد امتلأت أمعاؤه بالقروح التى تسبب آلاما فظيعة ، كما تسبب له شعورا كاذبا بجوع كلبى لا سبيل الى اشباعه ، وقد تورمت قدماه وتهرأت بعض أعضاء جسمه حتى أصبح الدود ينتشر منها ، وأصبحت تنبعث من فمه رائحة كريهة يتقزز منها كل من يحاول الاقتراب منه وأصبح تنفسه مصحوبا بآلام شديدة ، وقد انقلب الى حشرجة بشعة ، حتى لقد أقدم قبل موته بخمسة أيام على محاولة جنونية للانتحار خلاصا من الأوجاع الرهيبة التى تنتابه ، وظل هكذا فريسة العذاب الشنيع حتى كان كل من يراه يقرر أن هذا الذى يعانيه انما هو عقاب من الله على ما اقترف من جرائم ومظالم ، وما ارتكب من أعمال القتل والتنكيل والخيانة والغدر وسفك دماء الأبرياء . وقد زهقت روحه أخيرا وهو كاره للجميع مكروه من الجميع . وكان عندئذ فى السبعين من عمره .

وكان هيرودس قد قسم مملكته بعد موته بموجب آخر وصية له على ثلاثة من أبنائه هم فيلبس وهيرودس وأنتيباس وأرخيلاوس ، فكان اللجا والجولان الى ينابيع الأردن ، أى المناطق الواقعة شمال شرقي بحر الجليل من نصيب فيلبس ، وكان الجليل بيرية من نصيب هيرودس أنتيباس ، وكانت اليهودية والسامرة وأدومية من نصيب أرخيلاوس . بيد أن هيرودس علق تنفيذ

وصيته هذه على تصديق أغسطس قيصر عليها ، وقد ترك له الحق فى أن يدخل عليها من التعديلات ما يشاء .

٢ ـ خلفاء هيرودس الكبير :

١ ـ أرخيلاوس :

وما أن مات هيرودس حتى أعلن ابنه أرخيلاوس نفسه ملكا على اليهودية فى مكانه . وقد أيده الجيش فى ذلك ، ومن ثم جمع الشعب فى رواق الهيكل وخطب فيهم واعدا اياهم بأن يقضى على المظالم التى ارتكبها أبوه ، فطلبوا منه تخفيض الخراج ، والغاء الضرائب المفروضة على البيع والشراء ، واطلاق سراح الأسرى السياسيين ، وتغيير رئيس الكهنة ، ومعاقبة الذين تسببوا فى المذبحة التى راح ضحيتها اثنان من زعماء الفريسيين ومائة من تلاميذهم ، فأرجأ أرخيلاوس البت فى هذه المطالب حتى يصادق أغسطس على تعيينه ملكا فى مكان أبيه ، ولكنهم أصروا على تنفيذ طلباتهم فى الحال ، فأرسل اليهم أرخيلاوس جنوده وهم مجتمعون فى عيد الفصح ، فذبحوا ثلاثة آلاف منهم داخل الهيكل وأمر فرسانه بأن يرابطوا خارجه ويقتلوا كل من يحاولون الفرار منه وهكذا أراد كما يقول يوسيفوس ساخرا « أن يبرهن على أنه ابن أبيه حقا وأن يقدم مثلا من فضائله المستقبلة » .

ثم مضى أرخيلاوس واخوته الى روما ليلتمسوا من أغسطس قيصر المصادقة على وصية أبيهم ، وكانوا يتنافسون فيما بينهم على الاستئثار بالسلطان فى اليهودية ، كما كان كثيرون غيرهم يتطلعون الى الاطاحة بهم جميعا وانتزاع الحكم منهم ، فما غادروا اليهودية حتى قام بعض زعماء الأحزاب فأعلن كل منهم نفسه ملكا ، ومن ثم نشب الصراع بين أنصارهم واندلع لهيب الشقاق والتناحر بين الأهالى جميعا حتى أصبحت اليهودية ساحة حرب ، وقد تفشى القتل والسلب والنهب وتخريب المدن ، وقد ضربت الفوضى أطنابها فى طول

البلاد وعرضها . وكان أرخيلاوس قبـــل ذهابه إلى روما قد طلب من كونتيليوس فاروس والى سوريا الرومانى أن يتولى المحافظة على الأمن في اليهودية أثناء غيابه فأقام فيها مدة ، ثم عاد الى أنطاكية عاصمة ولايته تاركا مهمة المحافظة على الأمن الى سابينوس الذى كان أغسطس قد أرسله لجرد خزائن هيرودس ، غير أن سابينوس بدلا من أن يعمل على اطفاء نار الفتنة زادها اشتعالا . وكان اليهود قد أقبلوا الى أورشليم للاحتفال بعيد الفصح ، وهناك اضطرمت الخلافات بين أحزابهم فنشب القتال فيما بينهم وذبح بعضهم بعضا ، فهجم سابينوس على الهيكل ونهبه وأشعل النار فيه.وأطلق جنوده الرومان على اليهود فأعملوا فيهم السيف ، فثارت ثائرة اليهـــود وحاصروا قصر هيرودس وراحوا يدكون جدرانه ، وكان سابينوس قد لجأ الى الحصن المقابل للقصر فحاصروه فيه فاستنجد بفاروس والى سوريا فجاء الى نجدته على رأس جيش يتألف من عشرين ألف رجل ، كما استدعى أرتياس ملك الأدوميين فجاء على رأس جيشه وانضم الى جيش فاروس ، وهاجم الجميع اليهود فقتلوا منهم بضعة آلاف وأسروا بضعة آلاف أخرى وعلقوهم عــلى الصلبان ، وبذلك أخمدوا ثورة اليهود وأذلوهم .

أما أرخيلاوس واخوته فظلوا يكيدون بعضهم لبعض فى روما حتى حمل ذلك أغسطس على الاعتقاد بأنهم جميعا غير أهل للعرش ، ولا سيما أن اليهود كانوا قد أرسلوا اليه فى هذه الأثناء وفدا مؤلفا من خمسين رجلا يبـــدون استياءهم من أسرة هيرودس ويطلبون أن يحكمهم الرومان مباشرة ، وقد أيدهم فى مطلبهم هذا ثمانية آلاف يهودى كانوا يقيمون فى روما . غير أن أغسطس صادق على وصية هيرودس ، ولكنه لم يسمح لأرخيلاوس بأن يسمى نفسه ملكا ، وانما جعله حاكما على ربع مملكة أبيه فكان لقبه « رئيس ربع » ، وكانت ولايته قاصرة على اليهودية والسامرة وأدومية .

وقد تزوج أرخيلاوس من كلافيرة أرملة أخيه اسكندر وهى ابنـــة أرخلاوس ملك الكبادوك ، وكان هذا الزواج مخالفا للشريعة اليهودية ، لأن

كليوفيرة كان لها نسل من اسكندر زوجها الأول ، في حين أن الشريعة لا تجيز للأخ أن يتزوج أرملة أخيه الا اذا لم يكن أخوه قد أنجب منهـــا نسلا •

وقد كان أرخلاوس في حكمه عاتيا ظالما غليظ القلب عديم الرحمة فصرخ اليهود الى أغسطس ، مستجيرين به لينقذهم من بطشه ، فاستدعاه الى روما وحاكمه فعجز عن تبرئـة نفسه من الشكايات الواردة ضده ، ومن ثم عزله الامبراطور سنة ٦ ميلادية ونفاه الى فيين ببلاد الغال وهي فرنسا الحالية بعد أن ظل واليا نحو عشر سنين ، بعد ذلك ضم أغسطس الاقليم الذى كان يحكمه أرخيلاوس الى الممتلكات الرومانية ، وعين له واليا رومانيا هو كوبينوس ، فكان هذا أول روماني يتولى حكم اليهودية حكما مباشرا •

٢ - هيرودس انتيباس :

أما هيرودس أنتيباس فقد كان هو الابن الثاني لهيرودس الكبير من زوجته الرابعة ملتاس السامرية ، وقد أصبح بحكم وصية أبيه ومصادقة أغسطس عليها واليا على الجليل وبيرية • وقد انتهج سياسة أبيـــه في التذلف الى الرومان ، فجدد مدينة بيت صيدا وسماها « جوليا » على اسم ابنة الامبراطور الروماني أغسطس ، كما بنى بعد ذلك مدينة على اسم الامبراطور طيباريوس الذى خلف أغسطس وسماها « طبرية » ، وكانت تقع على الساحل الجنوبي لبحر الجليل الذى كان يسمى بحيرة جنيسارت ، ثم أصبح يسمى كذلك بحيرة طبرية •

وكان هيرودس أنتيباس يشبه أباه في مكره ودهائه وشهوانيته ، وقد حدث أن كان يزور روما ليقدم ولاءه لقيصر ، وقد نزل هناك ضيفا على أخيه فيلبس ابن هيرودس الكبير من زوجته مريمنة ، وكان أبوه قد طرده وحرمه من الميراث فأقام في روما • فلم يلبث أنتيباس أن عشق زوجة أخيه فيلبس ،

وهى فى ذات الوقت ابنة أخيه أرستبولس . وكان لها من فيلبس ابنة شابة فى ذلك الوقت تدعى سالومى . وقد اتفق انتيباس مع هيروديا على الهرب ليتزوجها بعد أن يطلق زوجته الأولى ابنة الحارث ملك النبطيين . حتى اذا أخذها خفية وعاد الى الجليل أصبحت هى صاحبة الأمر والنهى عليه وهى المسيطرة على كل شئون بيته ، فلم تنتظر زوجته الأولى ابنة الحـــارث حتى يطلقها ، بل تركته وعادت الى قصر أبيها ، فاستشاط هذا غضبا وشن عـــلى أنتيباس حربا ضارية هزمه فيها شر هزيمة . وكان فى فلسطين يومئذ رجل بار يعتبره اليهود نبيا وهو يوحنا المعمدان ، فكان يوحنا لا يفتأ يوبخ هيرودس توبيخا قاسيا لأنه يعاشر زوجة أخيه الذى لا يزال على قيد الحياة ، قائلا له « لا يحل أن تكون لك » ، فقبض عليه وسجنه ، ثم قطع رأسه بناء عـــلى طلب هيروديا أهداه اليها ، كى يشفى غليلها . وقد أدى به خضوعه لنزوات هيروديا وجشعها الجنونى الى الخراب والدمار آخر الأمر ، اذ كان أخوه فيلبس والى ايطورية وتراخونيس قد مات سنة ٣١ ميلادية ، ولم يكن له ولد ، فقام الامبراطور الرومانى كاليجولا بتعيين أغريبا بن أرستبولس بن هيرودس الكبير ملكا على ولاية فيلبس ، فأكلت الغيرة قلب أخته هيروديا زوجة هيرودس أنتيباس ، ومن ثم حرضت زوجها على السفر الى روما ليلتمس من كاليجولا أن يعطيه لقب ملك أسوة بأغريبا ، بدلا من لقب الوالى أو رئيس الربع الذى كان يحمله . فلما علم أغريبا بذلك بعث رسولا الى كاليجولا متهما هيرودس أنتيباس بأنه كان ضالعا فى المؤامرة ضد الامبراطور طيباريوس وأنه يمالىء ملك البرتيين على مناوأة الرومان ، وقد دلل على ذلك بأن فى خزائن أنتيباس من الأسلحة والعتاد ما يكفى سبعين ألف رجل ، فاستشاط كاليجولا غضبا وعزل أنتيباس عن ولايته ونفاه سنة ٣٩ ميلادية الى لاجدونم بالقرب من الحدود الأسبانية ، وقد صحبته هيروديا الى منفاه ، وهناك عاشا طريدين مجهولين حتى طواهما الموت . وقد استمرت ولايـــة هيرودس أنتيباس ٤٣ سنة . وقد كان أحد الذين اشتركوا فى محاكمة السيد المسيح وهزأوا به وأهانوه .

٣ - فيلبس :

وأما فيلبس فقد كان ابن هيرودس الكبير من زوجته الأورشليمية كليوبترا ، وقد أصبح بموجب وصية أبيه واليا على المناطق الواقعة شمال شرقي بحر الجليل وتشمل ايطورية وتراخونيس ، وكانت هذه المناطق مأهولة بالوثنيين . وقد اتبع فيلبس كذلك سياسة التذلف الى الرومان . ومن دلائل ذلك أنه أعاد بناء مدينة بانياس بالقرب من منابع الأردن وسماها « قيصرية » نسبة الى قيصر ، ثم دعيت فيما بعد « قيصرية فيلبس » ، تمييزا لها عن قيصرية الواقعة على البحر . كما أنه أعاد بناء مدينة بيت صيدا وسماها « جوليا » ، تكريما لجوليا ابنة الامبراطور أغسطس وزوجة الامبراطور طيباريوس . وقد حكم فيلبس فى ولايته ثلاثين عاما ، ثم مات سنة ٣١ ميلادية ، فخلفه أغريبا ابن أرستبولس بن هيرودس الكبير .

٣ - الولاة الرومان

رأينا أن الامبراطور الرومانى أغسطس قيصر حين اشتكى اليه اليهود من ظلم أرخلاوس والى اليهودية والسامرة وأدومية عزله سنة ٦ ميلادية وضم الاقليم الذى يحكمه الى الممتلكات الرومانية وعين له اليا رومانيا هو كوبينوس ، وقد خول قيصر للوالى الرومانى الذى يحكم اليهودية الحق فى طلب المعونة من والى بسوريا الرومانى كلما دعت الحاجة الى ذلك ، وجعل مقر ولايته مدينة قيصرية . بيد أنه كانت له دار للولاية فى أورشليم كان ينتقل اليها فى مواعيد معينة للفصل فى القضايا التى يعرضها اليهود عليه هناك .

وكان الوالى الرومانى الذى خلف كوبينوس فى ولاية اليهودية هو ماريوس أميفيوس ، وقد ظل يحكمها حتى استدعاه أغسطس الى روما وأقام فى مكانه اينوس روفوس . وفى عهد ولايته مات أغسطس فجلس على عرش الامبراطورية الرومانية بعده طيباريوس سنة ١٤ ميلادية . وفى

سنة ١٥ ميلادية أرسل طيباريوس الى اليهودية فاليريوس كراتوس الذى استمر واليا عليها عشر سنوات ، ثم أرسل طيباريوس الى اليهودية فى مكانه واليا آخر سنة ٢٦ ميلادية هو بيلاطس بونتيوس وهو الذى اشتهر بلقب البنطى .



« الأمبراطور طيباريوس قيصر »

وكان بيلاطس البنطى فظا متغطرسا ، وأنانيا ظالما ، وقد تمادى فى الظهور بمظهر العجرفة التى كان يتسم بها الحكام الرومان ، فكرهه اليهود ودأبوا على مناوأته والتمرد عليه ، وقد حدث أنه بمجرد أن تولى السلطة أمر جنوده بنقل النسور الفضية وغيرها من العلامات والرموز المتعلقة بالجيش الرومانى من مقر اقامته فى قيصرية الى أورشليم ، ولما كان اليهود يعتبرون هـــــذه

الأشياء من اشارات الوثنية ، فقد ثاروا عليه وظلوا يهاجمون قصره فى قيصرية خمسة أيام متوالية ، وهم يفترشون الأرض فى العراء ، ويصيحون مهددين متوعدين ، على الرغم من أنه أمر جنوده بالقبض عليهم وراح يهددهم بالذبح جميعا ان أصروا على عنادهم ، فلم يسعه آخر الأمر الا أن يرضخ لهم وأمر باعادة تلك الأشياء التى أثارتهم الى قيصرية . ثم حدث بعد ذلك أن أورشليم كانت تعانى من قلة موارد الماء ، فشرع بيلاطس فى انشاء قناة تجلب الماء الى أورشليم من ينابيع تبعد مسافة منها . واذ اعتبر مشروعه هذا للمنفعة العامة أراد أن يستعين لهذا الغرض ببعض النقود المودعة فى خزانة الهيكل ، فثار اليهود عليه وهاجموه وأهانوه ، فأمر جنوده بأن يخفوا أسلحتهم تحت ثيابهم ويحيطوا بهم ويذبحوا كل من يقع فى أيديهم ، فهلك منهم فى هذه المذبحة عدد عظيم . ثم ثار اليهود مرة ثالثة فى عهد بيلاطس كذلك ، اذ كان قد علق بعض الدروع الذهبية المهداة من طيباريوس فى قصر هيرودس أنتيباس بأورشليم ، وهو القصر الذى كان ينزل به هيرودس فى أيام الأعياد ، وكان ذلك لمجرد الزينة ، ولكن اليهود غضبوا وطلبوا ازالة هذه الدروع التى اعتبروها علامات وثنية . فلما لم يرضخ بيلاطس لطلبهم رفعوا شكواهم ضده الى الامبراطور طيباريوس ، واذ كان من سياسته ارضاء الولايات الخاضعة للرومان وبخ بيلاطس وأمره بنقل تلك الدروع الى هيكل أغسطس فى قيصرية . ولم يلبث أن ظهر زعيم يهودى يدعى يهوذا الجولانى راح ينادى بأنه لا يحل أداء اليهود الجزية لقيصر الوثنى وطفق يحرض اليهود على ذلك فتبعه كثيرون من أهل الجليل ، فأمر بيلاطس الجنود الرومان بقتلهم فذبحوا الكثيرين منهم وهم يقدمون ذبائحهم فى الهيكل ، حتى لقد اختلط دمهم بدم ذبائحهم . وأخيرا حدث أن اجتمع السامريون على جبل جرزيم ليبحثوا عن الآنية المقدسة التى أدخل البعض فى روعهم أن موسى النبى أخفاها هناك ، فهاجمهم بيلاطس بجنوده وهزمهم وقطع رؤوس زعمائهم وقتل عددا كبيرا منهم فشكوه الى لوسوسيوس فيتيليوس نائب الملك فى سوريا ، فأمره بأن يذهب الى روما ليبرىء نفسه من هذه التهمة لدى

الامبراطور . وقد ظهر أن سلوك بيلاطس فى تلك الواقعة كان متسرعـا وقاسيا بغير مبرر فعزله طيباريوس بعد أن ظل واليا على اليهودية عشر سنين. وقد روى يوسابيوس أنه نفى الى فيان بفرنسا ، وهناك اشتدت عليه وطأة اليأس فانتحر . وقد كان بيلاطس البنطى هو الوالى الرومانى الذى حاكم السيد المسيح وصادق على حكم السنهدريم اليهودى عليه بالموت .

الفصل الثانى عشر

خراب أورشليم واندثار الأمة اليهودية

وقد ظل اليهود هكذا شعبا عنيدا متمردا ، يتسم بالخيانة والغدر ، وينزع الى العداوة والشقاق ، وينتهز كل فرصة لمناوأة حكامه سواء أكانـــوا من جنسه أم من الأجانب عنه ، ولا يفتأ تطحنه الضغائن والمنازعات الداخليـة طحنا ، وقد زخرت عاصمة أورشليم بالشرور والآثام والمكائد والمؤامرات حتى صرخ السيد المسيح فى تلك الأيام قائلا « يا أورشليم يا أورشـــليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها ، كم من مرة أردت أن أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا . ها أنذا أترك لكم بيتكم خرابا .. فانه ستأتى أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويحـــدقون بــــك

ويحاصرونك من كل جهة ، ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركــــون فيك حجرا على حجر لأنك لم تعرفى زمان افتقادك » (لوقا ١٣ : ٣٤ و ٣٥ ، ١٩ : ٤٣ و ٤٤) . ثم قال لتلاميذه « متى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها . حينئذ ليهرب الذين فى اليهودية الى الجبال ، والذين فى وسطها فليفروا خارجا ، والذين فى المدن فلا يدخلوها ، لأن هذه



« الأمبراطور تيطوس »

أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب . وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام ، لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض وسخط على هذا الشعب ، ويقعون بفم السيف ويسبون الى جميع الأمم ، وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم » .. (لوقا ٢١ : ٢٠ - ٢٤) . وبذلك تنبأ السيد المسيح بأن اليهود ستندثر أمتهم ، فيموت البعض منهم بالسيف ويتشرد الذين يتبقون

منهم فى جميع الأمم ، وبأن أورشليم سيصيبها الخراب فلا تقوم لها قائمة بعد ذلك ».

ولم تمض خمس وثلاثون عاما من النطق بهذه النبوءة ، حتى تحققت بحذافيرها ، اذ لم يلبث الرومان أن ضاقوا ذرعا بخبث اليهود ومكرهم وعنادهم وتمردهم وما يحيكونه من دسائس وما يضرمونه من ثورات ، فأرسلوا اليهم عام ٧٠ ميلادية جيشا ضخما بقيادة فسباسيان فحاصر أورشليم وظل يضيق الخناق عليهم . فلما انتخبه الجيش فى هذه الأثناء امبراطورا للدولة الرومانية



« قطعة نقود من عهد فسباسيان عليها صورة امرأة يهودية مأخوذة فى الأسر ».

خلفه فى القيادة ابنه تيطس ، فاستمر في حصار ورشليم وواصل الضغط على اليهود . ولم يكن هؤلاء على الرغم من الخطر المحدق بهم ليتخلوا عن طبيعتهم الشكسة الشريرة التى تنزع الى الشقاق فيما بينهم ومحاربة بعضهم بعضا ، فقد كانوا أثناء الحصار المضروب حولهم منقسمين الى حزبين متنافرين متعادين ، أحدهما يتزعمه رجل يسمى شمعون ، وكان يحتل مرتفعات المدينة ، وقد انضم اليه عشرة آلاف من اليهود وخمسة آلاف من الأدوميين . والآخر يتزعمه رجل يسمى يوحنا ، وكان يحتل الهيكل

والمباخة المحيطة به ، وقد انضم إليه بضعة آلاف من اليهود ، وقد هد هذا النزاع الداخلي من قوة الأمة اليهودية ، حتى ليقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي أن اليهود نالهم من جراء الصراع بين أحزابهم في ذلك الحين أكثر مما نالهم من حصار الرومان . وقد عض الأمهات الجوع فأكلن أطفالهن . ومن ثم لم تلبث أورشليم أن وقعت أخيرا في قبضة تيطس فاقتحم أسوارها وأشاع فيها الخراب والدمار ، وأضرم النار في هيكلها بعد أن سلب كل ما فيه من نفائس وأموال ، ثم راح يذبح اليهود وقد صمم على أن يفنيهم من على الأرض ويقطع دابرهم ، حتى لقد أصبحت دماؤهم كالبحيرات في الشوارع وفي أروقة الهيكل التي أصبحت حطاما وأكواما من الرماد ، وقد حمل الرومان ستمائة ألف جثة فألقوها خارج الأسوار ، كما أسروا بضعة آلاف ممن تبقوا بعد المذبحة وعلقوهم على الصلبان . حتى لقد تجاوز عدد المذبوحين والمصلوبين مليونا من القتلى ، وقد أسر الرومان سبعة وتسعين ألفا آخرين ساقوهم للعمل في المناجم والمحاجر حيث هلك معظمهم تحت وطأة ما ساموهم من مذلة واستعباد . وقد وصف يوسيفوس خراب أورشليم فقال : « انني لا يمكن أن أفكر في سبب لهذا الا أن الله قد حتم خراب هذه المدينة النجسة ، اذ سمح بهلاك أولئك المدافعين عنها ، لأنه حتى أولئك الذين كانوا يرتدون الملابس المقدسة ويرأسون الصلوات العامة وكانوا موضع التبجيل من الناس جميعا قد طرحوا عراة في الوحل وصاروا مأكلا للكلاب وطعاما للحيوانات المفترسة » . ثم وصف يوسيفوس المذابح التي اجتاحت منطقة الجليل كذلك ومحتها محوا فقال : « ان الله هو الذي سخر الرومان لمعاقبة الجليليين وابادة مدنهم واحدة بعد أخرى . وقد قتلوا عشرات الألوف ، فبعضهم ذبحوه بالسيف وبعضهم الآخر طعنوه بالحراب ، حتى اذا أراد البعض منهم أن ينجوا بأنفسهم سابحين في البحيرة كانت النبال تلحق بهم فتشج رؤوسهم ، واذا تشبثوا بالسفن الرومانية بترت أيديهم أو قطعت رقابهم حتى غدت البحيرة مغطاة بالدماء ومكتظة بالجثث . وقد كانت العين ترى على الشاطىء في الأيام التالية منظرا بشعا يملأ النفس رعبا وفزعا ، اذ اكتظت الخلجان بالجثث

المتفخة ، وقد ضربتها الشمس ، فانبعثت منها رائحة الموت ، وتساقطت عليها الطيور تنهشها وتبعثر فى كل الأرجاء أشلاءها » .

وهكذا ألحق الرومان الخراب والدمار بأورشليم عاصمة اليهود ، كما ألحقوا الخراب والدمار بأكثر من ألف مدينة وقرية أخرى من مدنهم وقراهم ، وقد أبادوا معظمهم فلم يتبق منهم الا عدد قليل تفرقوا هائمين على وجوههم فى كل أنحاء الأرض ، وظلوا على مر العصور غرباء مشردين مطرودين مكروهين محتقرين من الناس فى كل أرض وفى كل جيل ، فتحققت بذلك نبوءات أنبياء اليهود أنفسهم . ومن ذلك ما تنبأ به ارميا النبى اذ قال « ها هى ذى أيام تأتى ، يقول الرب ، تصير جثث هذا الشعب أكلا لطيور السماء ولوحوش الأرض .. وأجعل أورشليم رجما ومأوى بنات آوى ، ومدن يهوذا أجعلها خرابا بلا سكن .. هاأنذا أطعم هذا الشعب أفسنتينا وأسقيهم ماء العلقم وأبددهم فى أمم لم يعرفوها هم ولا آباؤهم وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم .. وأوكل عليهم أربعة أنواع يقول الرب : السيف للقتل ، والكلاب للسحب ، وطيور السماء ووحوش الأرض للاكل والاهلاك ، وأدفعهم للقلق فى كل ممالك الأرض » (ارميا ٧ : ٣٢ ، ٩ : ١١ و١٥ و١٦ ، ١٢ : ١ - ٤) .

كما قال ارميا النبى يصف خراب أورشليم ويبكيها : « جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب .. صارت كأرملة .. كل أبوابها خربة .. نجح أعداؤها لأن الرب قد أذلها لأجل كثرة ذنوبها . ذهب أولادها الى السبى قدام العدو .. رأتها الاعداء ضحكوا على هلاكها . قد أخطأت أورشليم خطية . من أجل ذلك صارت رجسة .. نجاستها فى أذيالها .. بسط العدو يده على كل مشتهياتها .. الأمم دخلوا مقدسها .. غطى السيد بغضبه ابنة صهيون بالظلام .. نقض بسخطه حصون بنت يهوذا . أوصلها الى الأرض .. كره السيد مذبحه ، رذل مقدسه . حصر فى يد العدو أسوار قصورها .. قصد

الرب أن يهلك سور بنت صهيون .. أهلك وحطم عوارضها .. شيوخ بنت صهيون يجلسون على الأرض .. يرفعون التراب على رؤوسهم . يتنطقون بالمسوح .. فعل الرب ما قصد . تمم قوله الذى أوعد به منذ أيام القدم . قد هدم ولم يشفق . فلم يكن فى يوم غضب الرب ناج ولا باق .. صار علينا خوف ورعب ، هلاك وسحق .. انهالت حجارة القدس فى رأس كل شارع .. لصق لسان الراضع بحنكه من العطش . الأطفال يسألون خبزا وليس من يكسره لهم . الذين كانوا يأكلون المآكل الفاخرة قد هلكوا فى الشوارع . الذين كانوا يتربون على القرمز احتضنوا المزابل .. لصق جلدهم بعظمهم صار يابسا كالخشب . كانت قتلى السيف خيرا من قتلى الجوع .. أيادى النساء الحنائن طبخت أولادهن . صاروا طعاما لهن .. أتم الرب غيظه . سكب حمو غضبه وأشعل نارا فى صهيون فأكلت أسسها .. من أجل خطايا أنبيائها وآثام كهنتها السافكين فى وسطها دم الصديقين ، تاهوا كعمى فى الشوارع وتلطخوا بالدم حتى لم يستطع أحد أن يمس ملابسهم .. لم يرفعوا وجه الكهنة ولم يترأفوا على الشيوخ .. كملت أيامنا لأن نهايتنا قد أتت . صار طاردونا أخف من نسور السماء . على الجبال جدوا فى أثرنا . فى البرية كمنوا لنا .. قد تم اثمك يا بنت صهيون .. قد صار ميراثنا للغرباء . بيوتنا للاجانب . صرنا أيتاما .. أمهاتنا كأرامل . جلودنا اسودت كتنور من جراء نيران العدو .. الرؤساء بأيديهم يعلقون ، ولم نعتبر وجوه الشيوخ .. أخذوا الشبان للطحن والصبيان عثروا تحت الحطب .. مضى فرح قلبنا . صار رقصنا نوحا . سقط اكليل رأسنا . ويل لنا لاننا قد أخطأنا .. اظلمت عيوننا من أجل جبل صهيون الخرب . الثعالب ماشية فيه » (مراثى ارميا ١-٥)

وقد نفذ الله بذلك وعيده لليهود ان خانوا عهده وتمردوا عليه ، اذ قال لهم على فم نبيهم موسى : « ان لم تسمعوا لى .. وان رفضتم فرائضى وكرهت أنفسكم أحكامى .. أجعل وجهى ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم .. وأضربكم .. وأذريكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم .

فتأكلون لحم بنيكم ولحم بناتكم •• وأذريكم بين الأمم وأجرد وراءكم السيف فتصير أرضكم موحشة ، ومدنكم تصير خربة •• والباقون منكم ألقى الجبانة فى قلوبهم فيهزمهم صوت ورقة مندفعة ، فيهربون كالهرب من السيف •• ولا يكون لكم قيام أمام أعدائكم ، فتهلكون بين الشعوب وتأكلكم أرض أعدائكم ، والباقون منكم يفنون بذنوبهم •• وأيضا بذنوب آبائهم معهم » (اللاوين ٢٦ : ١ — ٣٩) • وقال الله لبيت اسرائيل : « ان لم تسمع لصوت الرب الهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التى أنا أوصيك بها اليوم •• يجعلك الرب منهزما أمام أعدائك • فى طريق واحدة تخرج عليهم وفى سبع طرق تهرب أمامهم • وتكون قلقا فى جميع ممالك الأرض ، وتكون جثتك طعاما لجميع طيور السماء ، ووحوش الأرض •• يسلم بنوك وبناتك لشعب آخر •• فلا تكون الا مظلوما ومسحوقا كل الأيام •• يذهب بك الرب وبملكك الذى تقيمه عليك الى أمة لم تعرفها أنت ولا آباؤك •• وتكون دهشا ومثلا وهزأة فى جميع الشعوب الذين يسوقك الرب اليهم •• الغريب الذى فى وسطك يستعلى عليك متصاعدا وأنت تنحط متنازلا •• هو يكون رأسا وأنت تكون ذنبا •• تستعبد لاعدائك الذين يرسلهم الرب عليك فى جوع وعطش وعرى وعوز كل شىء •• فيجعل نير حديد على عنقك حتى يهلكك • يجلب الرب عليك أمة من بعيد من أقصاء الارض كما يطير النسر • أمة لا تفهم لسانها • أمة جافية الوجه لا تهاب الشيخ ولا تحن الى الولد •• تحاصرك فى جميع أبوابك حتى تهبط أسوارك الشامخة الحصينة •• الرجل المتنعم فيك والمترفه جدا تبخل عينه على أخيه ، وامرأة حضنه وبقية أولاده الذين يبقيهم ، بأن يعطى أحدهم من لحم بنيه الذى يأكله لأنه لم يبق له شىء فى الحصار والضيقة التى يضايقك بها عدوك فى جميع أبوابك •• والمرأة المتنعمة فيك والمترفهة •• تبخل عينها على رجل حضنها وعلى ابنها وابنتها ، بمشيمتها الخارجة من بين رجليها وبأولادها الذين تلدهم ، لأنها تأكلهم سرا •• ويبددك الرب فى جميع الشعوب من أقصاء الأرض الى أقصائها •• وفى تلك الأمم لا تطمئن ولا يكون قرار لقدمك •• وترتعب ليلا ونهارا •••

ويردك الرب الى مصر .. فتباعون هناك لأعدائك عبيدا واماء وليس من يشترى .. هذه هى كلمات العهد الذى أمر الرب موسى أن يقطعه مع بنى اسرائيل فى أرض موآب ، فضلا عن العهد الذى قطعه معهم فى حوريب » (التثنية ٢٨ : ١٥ - ٦٨ ، ٢٩ : ١) .

وبذلك اندثرت الأمة اليهودية فلم تقم لها قائمة بعد ذلك ، ولن تقوم الى آخر الزمان ، مصداقا لقول السيد المسيح انه « يكون سخط على هذا الشعب ، ويقعون بفم السيف ، ويسبون الى جميع الأمم ، وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم » .

الباب الثاني

عقيدة اليهود

الفصل الأول

كيف عبد اليهود الله

١ — عبادة الله فى عهد الآباء الأوائل لليهود :

(أ) فى عهد ابراهيم :

رأينا أن إبراهيم — الأب الأول لليهود — كان يعيش مع ذويه بمدينة « أور » الواقعة فى المنطقة المعروفة اليوم بالعراق ، وإن أهل هذه المدينة كانوا من الكلدانيين الذين يعبدون الآلهة الوثنية ، ولا سيما « ننار » إله القمر ، وزوجته الإلهة « ننجال » . وكان آباء إبراهيم وكل ذويه يعبدون هذه الآلهة كسائر أهل مدينتهم . وقد ذكرت التوراة ذلك صراحة إذ جاء فى سفر يشوع « هكذا قال الرب إله إسرائيل : آباؤكم سكنوا فى عبر النهر منذ الدهر ، تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى . . . فالآن اخشوا الرب واعبدوه بكمال وأمانة وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم فى عبر النهر » (يشوع ٢٤ : ٢ و ١٤)

ثم لم يلبث إبراهيم أن انتقل مع أبيه وزوجته وابن أخيه لوط من مدينة « أور » إلى مدينة « حاران » فى بلاد الآراميين التى نعرفها اليوم باسم سوريا ، وكان أهلها كذلك يعبدون الآلهة الوثنية . وهناك مات تارح أبو إبراهيم .

وفى مدينة « حاران » تذكر لنا التوراة أن الله أعلن نفسه لابراهيم ، وكان اسمه فى ذلك الحين « أبرام » . إذ جاء فى سفر التكوين « . . وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك . . فذهب أبرام كما قال له الرب . . وكان أبرام بن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران . فأخذ أبرام ساراى امرأته ولوطاً ابن أخيه . . فأتوا إلى أرض كنعان . . واجتاز أبرام فى الأرض إلى مكان شكيم ، إلى بلوطة مورة . . وظهر الرب لأبرام وقال : لنسلك أعطى هذه الأرض — فبنى هناك مذبحاً للرب الذى ظهر له . . ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقى بيت إيل . . فبنى هناك مذبحاً للرب » (التكوين ١٢ : ١ — ٩) . وقد كان القدماء منذ بدء الخليقة يعدون المذابح من المستلزمات الضرورية لعبادة آلهتهم . وكانوا يقصدون بها الاستغاثة بهذه الآلهة أو تقديم الشكر لها . وكانوا يقيمونها فى الغالب فوق الجبال والأماكن المرتفعة ، أو فى مكان وقوع حادث تذكارى . ولم تكن المذابح التى يقيمها الأفراد لهذا الغرض تتعدى كومة من الحجارة أو تلا من التراب . حتى قام موسى — بعد عهد إبراهيم بنحو خسمائة عام — ببناء المذبح الكهنوتى فى خيمة الاجتماع بمواصفات دقيقة من الخشب والذهب والنحاس .

وحين حدث الجوع فى أرض كنعان ، هاجر إبراهيم إلى مصر وظل هناك بعض الوقت مع زوجته ولوط ابن أخيه ، ثم لم يلبث أن عاد معهما إلى أرض كنعان . وهناك قسم الأرض المحيطة ببيت إيل بينه وبين لوط . فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن وارتحل شرقا ، وسكن إبراهيم فى أرض كنعان . وعندئذ تقول التوراة « وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه إرفع عينيك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، لأن جميع الأرض التى أنت ترى ، لك أعطيها ولنسلك . . فنقل أبرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التى فى حبرون وبنى هناك مذبحا للرب » (التكوين ١٣ : ١٤ و ١٥) .

وبعد ذلك اشتبك ابراهيم فى حرب مع بعض ملوك المنطقة الذين كانوا قد أسروا ابن أخيه لوط فأنقذه منهم . وهنا تحدثنا التوراة عن رجل آخر غير إبراهيم كان يعبد الله وهو « ملكى صادق » ملك « شاليم » التى هى « أورشليم » الحالية ، وقد خرج لاستقبال إبراهيم بعد انتصاره على الملوك الذين أسروا ابن أخيه . إذ

جاء فى سفر التكوين « . . ومليكى صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً وكان كاهناً لله العلى وباركه وقال مبارك أبرام من الله العلى مالك السماوات والارض ، ومبارك الله العلى الذى أسلم أعداءك ليدك ، فأعطاه عشراً من كل شىء » (التكوين ١٤ : ١٨ — ٢٠) . فكان هذا الرجل — فى هذا العصر الذى كانت تسود فيه عبادة الاوثان — يؤمن بوجود الله ووحدانيته وتعاليه عن الدنيا وملكيته للسماء والارض وقدرته على حماية الإنسان . كما كان يدرك وجوب تقديم العشور لله ، ويؤدى باعتباره كاهناً له طقوس عبادته ، قبل أن يضع موسى طقوس الكهنوت اللاوى بنحو خسمائة عام . ويذهب علماء الكتاب المقدس إلى أن هذا الرجل كان من الاقلية التى ظلت تعبد الله منذ أيام نوح وبنيه سام وحام ويافث ، الذين تقول التوراة أنهم عرفوا الله وعبدوه ، وأنهم آباء كل البشر الذين بقوا على الارض بعد الطوفان . كما كان من هذه الاقلية التى تعبد الله رجل آخر حدثتنا عنه التوراة ، وهو أيوب الذى كان يعيش فى عصر يقارب عصر إبراهيم ، ويقطن أرض عوص الواقعة فوق الهضبة التى تكتنف فلسطين من الشرق والجنوب الشرقى .

وقد كان أيوب يؤمن إيماناً راسخاً بوجود الله الواحد وقدرته ورحمته وعدالته ، وقد تشبث بهذا الإيمان حتى فى أشد الضيقات التى ابتلاه الله بها ، واثقاً — على الرغم من ألمه ومرارته — من أن الله سينصفه آخر الامر ، إن لم يكن فى هذا العالم ، ففى العالم الآخر ، إذ يقول « أما أنا فقد علمت أن وليى حى والآخر على الارض يقوم ، وبعد أن يفنى جلدى هذا وبدون جسدى أرى الله » (أيوب ١٩ : ٢٥ و ٢٦) ، مما يدل على أن أيوب كان يؤمن بأبدية الله ، وخلود النفس البشرية ، وقيامة الإنسان بعد الموت ، ومجازاته على أعماله الصالحة والشريرة . وأما البلايا التى تصيب الانسان فإنما يقصد بها الله تنقيته وتطهيره ، وإن كان عقل الإنسان قاصر عن إدراك حكمة مقاصد الله القادر على كل شىء ، إذ يقول أيوب لربه بعد أن أزاح المحنة عنه « قد علمت أنك تستطيع كل شىء ولا يعسر عليك أمر ، فمن ذا الذى يخفى القضاء بلا معرفة ؟ ولكنى قد نطقت بما لم أفهم . بعجائب فوقى لم أعرفها . . أسألك فتعلمنى » (أيوب ٤٢ : ٢ — ٤) . وهذه كلها من أسمى الافكار التى جاءت بها العقائد السماوية فى كل العصور . ولا نفتأ نجد فى أسفار التوراة أناساً من غير نسل إبراهيم كانوا يعبدون الله ، أو على الاقل يعرفون عنه الكثير ، ويحترمونه ، أو فى القليل يخافونه ويتقون غضبه عليهم .

أما إبراهيم فقد كلمه الله بعد ذلك فى الرؤيا قائلا « لا تخف يا أبرام .. أجرك كثير جداً .. فقال أبرام أيها السيد الرب ماذا تعطينى وأنا ماض عقيما ومالك بيتى هو إليعازر الدمشقى . وقال أبرام أيضاً إنك لم تعطنى نسلا وهوذا ابن بيتى وارث لى . فإذا كلام الرب إليه قائلا لا يرثك هذا . بل الذى يخرج من أحشائك يرثك . ثم أخرجه إلى خارج وقال انظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تعدها . وقال له هكذا يكون نسلك ، فآمن بالرب فحسبه له براً (أى أنه بسبب إيمانه أعفاه من الدينونة المترتبة على خطيئة الإنسان) » (التكوين ١٥ : ١ — ٦) ثم جاء فى سفر التكوين أن الله ظهر لإبراهيم مرة أخرى وهو فى سبات وذكر له أن أبناء ذريته سيتغربون فى مصر ويستعبدهم المصريون فيذلونهم أربعمائة سنة، ثم قال له « لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ، (وكانت هذه بلاد) القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين » (التكوين ١٥ : ١٨ — ٢٠) .

وإذ كانت ساراى زوجة ابراهيم عاقراً ، طلبت إليه أن يدخل على جاريتها المصرية « هاجر » فولدت « اسماعيل » وبعد ذلك جاء فى سفر التكوين « ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير ، سر أمامى وكن كاملا ، فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيراً جداً . فسقط أبرام على وجهه وتكلم الله معه قائلا : أما أنا فهوذا عهدى معك وتكون أباً لجمهور من الامم فلا يدعى اسمك بعد أبرام (أى الأب الرفيع المقام) ، بل يكون اسمك إبراهيم (أى أبو الشعب) ، لأنى أجعلك أباً لجمهور من الامم .. وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك ، كل أرض كنعان ، ملكاً أبدياً ، وأكون إلههم .. وأما أنت فتحفظ عهدى . أنت ونسلك من بعدك .. هذا هو عهدى الذى تحفظونه .. يختن منكم كل ذكر .. فيكون علامة عهد بينى وبينكم .. وقال الله لابراهيم : ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى بل اسمها سارة وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابنا .. وتدعو اسمه إسحق .. عهدى أقيمه مع إسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة الآتية . فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم » . (التكوين ١٧ : ١ — ٢٢)

ثم يذكر سفر التكوين أن الله تراءى بعد ذلك لإبراهيم مع ملاكين في

صورة ثلاثة رجال ، وقد أكد له الله وعده بأن تنجب زوجته ولداً .. وبالفعل حبلت سارة وولدت إسحق . ثم يذكر سفر التكوين أن « الله امتحن إبراهيم فقال له يا إبراهيم .. خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة .. فبكر إبراهيم .. وأخذ اثنين من غلمانه معه وإسحق ابنه .. وذهب إلى الموضع الذى قال له الله . . فلما أتيا إلى الموضع .. بنى هناك إبراهيم المذبح . ورتب الحطب وربط إسحق ابنه ووضعه على المذبح . . ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه فناداه ملاك الرب من السماء وقال . . لا تمد يدك إلى الغلام . . لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى . فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه . . فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه » (التكوين ٢٢ : ١ — ١٣) . وقد دلل ابراهيم بذلك على قوة إيمانه بالله وطاعته له وتفانيه فى عبادته حتى لقد أوشك أن يقدم ابنه الوحيد قربانا له إذ أمره بذلك . ولذلك كرر الله وعده لإبراهيم بأن يبارك نسله .

وهكذا أخذ الله بيد إبراهيم وهو لا يفتأ يكلمه ويظهر له بصور شتى فى يقظته أو نومه ، حتى عرف إبراهيم كثيراً من الحقائق عن الله ، فأدرك — طبقا لأقواله التى وردت فى التوراة — أنه هو « الرب الاله العلى مالك السماء والأرض » (التكوين ١٤ : ٢٢) وأنه هو « الرب الإله السرمدى » (التكوين ٢١ : ٢٣) وأنه قادر على كل شىء لأنه « هل يستحيل على الرب شىء ؟ » (التكوين ١٨ : ١٤) وهو الديان (التكوين ١٥ : ١٤) العادل (التكوين ١٨ : ٢٥) الحليم (التكوين ٢٠ : ٦) البار (التكوين ١٠ : ١٩) . ولذلك استحق إبراهيم رضاء الله عنه ومحبته له . ومن ثم جاء فى التوراة أن الله اعتبره خليله إذ قال « أنت يا إسرائيل عبدى ، يا يعقوب الذى اخترته نسل إبراهيم خليلى الذى أمسكته من أطراف الأرض من أقطارها دعوته . . » (إشعياء ٤١ : ٨ و ٩) وجاء فى سفر أخبار الأيام « ألست أنت إلهنا الذى طردت سكان هذه الأرض من أمام شعب إسرائيل وأعطيتها لنسل إبراهيم خليلك » (أخبار الأيام الثانى ٢٠ : ٧) .

ب — فى عهد اسحق :

وقد ورث إسحق عن أبيه إبراهيم معرفة الله والإيمان به وعبادته . وقد جاء فى

التوراة « وكان إسحق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة، رفقة بنت بتوئيل الآرامى . . وصلى إسحق إلى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقراً، فاستجاب له الرب فحبلت رفقة امرأته . . وتزاحم الولدان فى بطنها . . فمضت لتسأل الرب . فقال لها الرب فى بطنك أمتان ومن أحشائك يفترق شعبان » (التكوين ٢٥ : ٢٠ — ٢٣) . وقد ولدت رفقة عيسو ويعقوب . ثم جاء فى التوراة «وكان فى الأرض جوع غير الجوع الأول الذى كان فى أيام إبراهيم ، فذهب إسحق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين ، إلى جرار ، وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر . اسكن فى الأرض التى أقول لك . . لأن لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد وأفى بالقسم الذى أقسمت لإبراهيم أبيك . . فأقام إسحق فى جرار » (التكوين ٢٦ : ١ — ٤) ثم انتقل إسحق من جرار إلى بئر سبع .. « فظهر له الرب فى تلك الليلة وقال أنا إله إبراهيم أبيك . . لا تخف لأنى معك وأباركك وأكثر نسلك من أجل إبراهيم عبدى . . فبنى هناك مذبحا . . ونصب هناك خيمته » (التكوين ٢٦ : ٢٤ و ٢٥)

وهكذا ثبت إسحق على إيمان أبيه إبراهيم بالله ، وقد كان من عوامل توطيد هذا الإيمان ظهور الله له كما ظهر لأبيه ، وكلامه معه كما تكلم مع أبيه ، وتأكيده له الوعد الذى سبق أن أعطاه لأبيه بأن يبارك نسله ويعطيه الأرض التى وعده بها .

جـ — فى عهد يعقوب :

وقد ورث يعقوب كذلك عن أبيه إسحق وعن جده إبراهيم معرفة الله والإيمان به وعبادته . وقد حدث أن احتال يعقوب على أبيه وأخذ منه البركة التى كان هذا يريد أن يعطيها لأخيه عيسو ، فحقد عليه عيسو واعتزم أن يقتله . ومن ثم هرب يعقوب من وجهه إلى حاران . وقد جاء فى التوراة : « فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران . وصادف مكانا وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت . وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه فاضطجع فى ذلك المكان . ورأى حلما وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء . وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها . وهوذا الرب واقف عليها . فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق . الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك . . ويتبارك فيك وفى نسلك جميع قبائل الأرض .. فاستيقظ يعقوب من نومه ، وقال حقا إن الرب فى هذا المكان

وأنا لم أعلم . وخاف وقال ما أرهب هذا المكان . . ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء . وبكر يعقوب فى الصباح وأخذ الحجر الذى وضعه تحت رأسه وأقامه عموداً وصب زيتا على رأسه . ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل (أى بيت الله) ولكن اسم المدينة أولا كان لوز . ونذر يعقوب نذراً إن كان الله معى وحفظنى فى هذا الطريق الذى أنا سائر فيه . . ورجعت بسلام إلى بيت أبى يكون الرب لى إلها . وهذا الحجر الذى أقمته عموداً يكون بيت الله ، وكل ما تعطينى فإنى أعشره لك (أى أعطيك عشره) » (التكوين ٢٨ : ١٠ — ٢٢) .

وتزوج يعقوب فى حاران بنتى خاله لابان ، وهما راحيل وليئة ، وقد أحب راحيل أكثر من ليئة . . « ورأى الرب أن ليئة مكروهة ففتح رحمها ، وأما راحيل فكانت عاقراً . . فلما رأت راحيل أنها لم تلد ليعقوب غارت . . وقالت ليعقوب هب لى بنين وإلا فأنا أموت . فحمى غضب يعقوب على راحيل وقال ألعلى مكان الله الذى منع عنك ثمرة البطن ! » (التكوين ٢٩ : ٣١ ، ٣٠ : ١ و ٢) . ولكن راحيل لم تلبث أن حبلت وولدت أولاداً ليعقوب . كما أنجب أولاداً من جاريتى زوجتيه . ولم يلبث يعقوب أن هرب من خاله لابان مع زوجتيه وجاريتيه وأبنائه وعبيده ومواشيه ، فلحق به لابان . . « وقال لابان ليعقوب ماذا فعلت وقد خدعت قلبى وسقت بناتى كسبايا السيف . . فى قدرة يدى أن أصنع بكم شرا ، ولكن إله أبيكم كلمنى البارحة قائلا احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر . . ولكن لماذا سرقت آلهتى ؟ . فأجاب يعقوب . . الذى تجد آلهتك معه لا يعيش . . ولم يكن يعقوب يعلم أن راحيل سرقتها (وهى تماثيل صغيرة تمثل آلهة وثنية) . فدخل لابان خباء يعقوب وخباء ليئة وخباء الجاريتين ولم يجد . وخرج من خباء ليئة ودخل خباء راحيل . وكانت راحيل قد أخذت الأصنام ووضعتها فى حداجة الجمل وجلست عليها . . ففتشه ولم يجد الأصنام . . فاغتاظ يعقوب . . وقال للابان ما خطيتى حتى حميت ورائى ؟ . . الآن عشرين سنة أنا معك . . كنت فى النهار يأكلنى الحر وفى الليل الجليد وطار نومى من عينى . . خدمتك أربع عشرة سنة بابنتيك وست سنين بغنمك ، وقد غيرت أجرتى عشر مرات . لولا أن إله أبى إله إبراهيم وهيبة إسحق كان معى لكنت الآن قد صرفتنى فارغا . مشقتى وتعب يدى قد نظر الله فوبخك البارحة . . » (التكوين ٣١ : ٢٦ — ٤٢) .

وحين اقترب يعقوب من الموضع الذى كان يقيم فيه أخوه عيسو خاف أن ينتقم هذا منه، فصلى قائلا : « يا إله أبى إبراهيم وإله أبى إسحق ، الرب الذى قال لى ارجع إلى أرضك وإلى عشيرتك فأحسن إليك . صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التى صنعت إلى عبدك . فإنى بعصاى عبرت هذا الأردن والآن قد صرت جيشين . نجنى من يد أخى .. لأنى خائف منه أن يأتى ويضربنى ، الأم مع البنين . وأنت قد قلت إنى أحسن إليك وأجعل نسلك كرمل البحر الذى لا يعد للكثرة .. وبات هناك تلك الليلة وأخذ مما أتى به هدية لعيسو أخيه .. ودفعها ليد عبيده .. وقال لعبيده اجتازوا قدامى .. فاجتازت الهدية قدامه . وأما هو فبات تلك الليلة فى المحلة .. ثم قام فى تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضة يبوق .. فبقى يعقوب وحده . وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه ، وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر . فقال لا أطلقك إن لم تباركنى . فقال له ما اسمك ؟ فقال : يعقوب . فقال : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب ، بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت ، وسأل يعقوب وقال أخبرنى باسمك . فقال لماذا تسأل عن اسمى ؟ وباركه هناك . فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل (أى وجه الله) قائلا لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسى . وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يخمع . لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذى على حق الفخذ إلى هذا اليوم لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا » (التكوين ٣٢ : ٩ — ٣١) . ومعنى هذا أن الله ظهر ليعقوب فى صورة إنسان وصارعه ، ولذا سماه « إسرائيل » أى « الذى صارع الله » أو « الذى جاهد مع الله » .

وقد عفا عيسو عن يعقوب فارتحل هذا إلى سكوت ثم إلى شكيم .. « ثم قال الله ليعقوب قم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك واصنع هناك مذبحا لله الذى ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك . فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه اعزلوا الآلهة الغريبة التى بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم . ولنقم ونصعد إلى بيت إيل ، فأصنع هناك مذبحا لله الذى استجاب لى فى يوم ضيقتى وكان معى فى الطريق الذى ذهبت فيه ، فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التى فى أيديهم والأقراط التى فى آذانهم فطمرها يعقوب تحت البطمة التى عند شكيم . ثم رحلوا . وكان خوف الله على المدن

التى حولهم ، فلم يسعوا وراء بنى يعقوب ، فأتى يعقوب إلى لوز التى فى أرض كنعان وهى بيت إيل . . وبنى هناك مذبحا ودعا المكان إيل بيت إيل ، لأنه هناك ظهر له الله حين هرب من وجه أخيه . . وظهر الله ليعقوب أيضا حين جاء من فدان آرام وباركه وقال له الله : لايدعى اسمك يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل . وقال له الله : أنا الله القدير .. أمة وجماعة أمم تكون منك .. والأرض التى أعطيت إبراهيم وإسحق لك أعطيها ، ولنسلك من بعدك أعطى الأرض . ثم صعد الله عنه فى المكان الذى فيه تكلم معه . فنصب يعقوب فى المكان الذى فيه تكلم معه عموداً من حجر ، وسكب عليه سكيبا وصب عليه زيتا ودعا يعقوب اسم المكان الذى فيه تكلم الله معه بيت إيل . . وجاء يعقوب إلى إسحق أبيه ، إلى ممرا قرية أربع التى هى حبرون » (التكوين ٣٥ : ١ — ٣٨) .

وحدث بعد ذلك أن أبناء يعقوب إذ رأوه يؤثر أخاهم يوسف بالحب ، غاروا منه وباعوه لتجار ذاهبين إلى مصر وقالوا لأبيه إن وحشا افترسه . ولم يلبث يوسف أن أصبح الوزير الأول لفرعون مصر والمتصرف فى كل شئون البلاد . وحدث جوع فى مصر والبلاد المتاخمة لها ، فأرسل يعقوب أبناءه إلى مصر لشراء قمح ، فعرفهم يوسف وبعث إخوته ليأتوا بأبيه يعقوب . . « فارتحل إسرائيل وكل ما كان له وأتى إلى بئر سبع وذبح ذبائح لإله أبيه إسحق . فكلم الله إسرائيل فى رؤى الليل وقال : يعقوب يعقوب ، فقال : ها أنذا . فقال : أنا الله إله أبيك . لا تخف من النزول إلى مصر ، لأنى أجعلك أمة عظيمة هناك . أنا أنزل معك إلى مصر وأنا أصعدك أيضا » (التكوين ٤٦ : ١ — ٤) . وقد أقطع يوسف أباه مع أبنائه بقعة من أجود أراضى مصر . وبعد سبعة عشر عاما مرض يعقوب مرض الموت ، فجاء إليه يوسف بولديه منسى وأفرايم . . « فمد إسرائيل يمينه ووضعها على رأس أفرايم . . ويساره على رأس منسى . . وبارك يوسف وقال : الله الذى سار أمامه أبواى إبراهيم وإسحق . الله الذى رعانى منذ وجودى إلى هذا اليوم . الملاك الذى خلصنى من كل شر ، يبارك الغلامين . . ها أنا أموت ولكن الله سيكون معكم ويردكم إلى أرض آبائكم » (التكوين ٤٨ : ١٤ — ٢١) . ثم بارك يعقوب بقية أبنائه الاثنى عشر ومات وهو فى السنة السابعة والأربعين بعد المائة من عمره .

ومن هذه الوقائع نرى أن الله أعلن نفسه ليعقوب الذى سماه إسرائيل ، كما أعلن نفسه من قبل لأبيه إسحق وجده إبراهيم ، وأن يعقوب آمن بالله على منوال أبيه وجده . وقد رأى منه هذا الإيمان أبناؤه الإثنا عشر الذين هم آباء أسباط اليهود جميعا ، وسمعوا ما كان أبوهم يقوله عن الله وشهدوا ما كان يفعله فى تمجيده وعبادته .

٢ — عبادة الله فى عهد خضوع اليهود للمصريين :

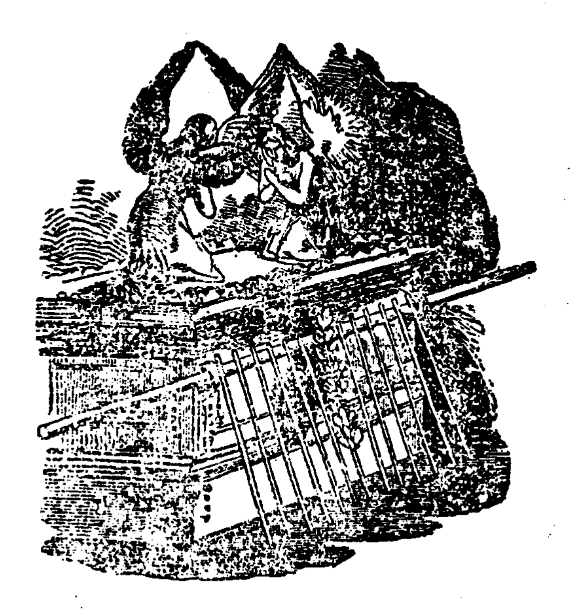
ولا ندرى إلى أى زمن أو إلى أى حد احتفظ أبناء يعقوب بإيمان أبيهم بالله وحافظوا على عبادتهم له خلال الأربعمائة والثلاثين سنة التى تذكر التوراة أنهم عاشوها فى مصر تحت سيادة المصريين ، بعد أن تكاثروا وتضاعفوا على مر السنين حتى تجاوز عددهم المليون وخمسمائة ألف نسمة . ولا شك أنهم — على مقتضى ما يتضح فى كل أسفار التوراة من سرعة تحولهم عن عبادة الله فى كل عصور تاريخهم — سرعان ما نسوا إله آبائهم وعبدوا المعبودات التى كان المصريون سادتهم يعبدونها . وقد ذكرت التوراة ذلك صراحة ، إذ جاء فيها قول يشوع لليهود « فالآن اخشوا الرب واعبدوه بكمال وأمانة وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم فى عبر النهر وفى مصر واعبدوا الرب » (يشوع ٢٤ : ١٤) . ويؤكد هذه الحقيقة أن موسى النبى حين أعلن الله له نفسه فى سيناء فى نهاية الأربعمائة والثلاثين عاماً التى قضاها اليهود فى مصر ، لم يكن يعرف الله ، كما سيتضح لنا فيما يلى . كما أنه حين ذهب إلى اليهود فى مصر لينبئهم بما أعلنه الله له ، لم يكونوا يعرفون عن الله شيئاً . وحتى بعد أن أقنعهم موسى برسالة الله إليهم وخرج بهم من مصر إلى سيناء ، انتهزوا أول فرصة غاب فيها موسى عنهم فأقاموا لهم عجلا من الذهب وعبدوه .

٣ — عبادة الله فى عهد موسى :

ومما من شك فى أن فكرة اليهود عن الله لم تتخذ شكلها الواضح المتكامل إلا على يد موسى النبى الذى أخرجهم من مصر وأنزل الله عليه شريعته ، فأعطاهم إياها ، ووضع بها أساس ديانتهم .

وقد جاء فى سفر الخروج : « وحدث فى تلك الأيام .. أن ملك مصر مات ،

حيث حلت السحابة هناك كان بنو إسرائيل ينزلون . حسب قول الرب كان بنو إسرائيل يرتحلون وحسب قول الرب كانوا ينزلون . . وتابوت عهد الرب راحل أمامهم . . ليلتمس لهم منزلا .. وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول : قم يارب فلتبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك . وعند حلوله كان يقول : ارجع يارب إلى ربوات ألوف إسرائيل » (العدد ٩ : ١٥ — ١٨ ، ١٠ : ٣٣ — ٣٦) .



« تابوت العهد أو تابوت الشهادة »

« واللفيف الذى فى وسطهم اشتهى شهوة ، فعاد بنو إسرائيل أيضا وبكوا وقالوا من يطعمنا لحما . قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجانا والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم ، والآن قد يبست أنفسنا .. فلما سمع موسى الشعب يبكون .. وحمى غضب الرب جداً ، ساء ذلك فى عينى موسى ، فقال موسى للرب لماذا أسأت الى عبدك ، ولماذا لم أجد نعمة فى عينيك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب على ؟ ألعلى حبلت بجميع هذا الشعب أو لعلى ولدته حتى تقول لى احمله فى حضنك كما يحمل المربى الرضيع إلى الأرض التى حلفت لآبائه . من أين لى لحم حتى أعطى جميع هذا الشعب لأنهم يبكون على قائلين أعطنا لحما لنأكل . فقال الرب لموسى .. اجمع إلى سبعين رجلا من شيوخ اسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه وأقبل بهم إلى خيمة

الاجتماع .. فأنزل أنا وأتكلم معك هناك وآخذ من الروح الذى عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب فلا تحمل أنت وحدك . وللشعب تقول تقدسوا للغد فتأكلوا لحما . تأكلون لا يوما واحداً ولا يومين ولا خمسة أيام ولا عشرة أيام ولا عشرين يوما ، بل شهراً من الزمان حتى يخرج من مناخركم ويصير لكم كراهة لأنكم رفضتم الرب الذى فى وسطكم وبكيتم أمامه قائلين لماذا خرجنا من مصر . فقال موسى : ستمائة ألف ماش هو الشعب الذى أنا فى وسطه، وأنت قد قلت أعطيهم لحما ليأكلوا شهراً من الزمان . أيذبح لهم غنم وبقر ليكفيهم ، أم يجمع لهم كل سمك البحر ليكفيهم ؟ فقال الرب لموسى : هل تقصر يد الرب ؟ الآن ترى أيوافيك كلامى أم لا .. ثم انحاز موسى إلى المحلة هو وشيوخ إسرائيل ، فخرجت ريح من قبل الرب وساقت سلوى من البحر (وهى نوع من الطيور) وألقتها على المحلة نحو مسيرة يوم من هنا ومسيرة يوم من هناك حوالى المحلة ونحو ذراعين فوق وجه الأرض . فقام الشعب كل ذلك النهار وكل الليل وكل يوم الغد ، وجمعوا السلوى .. وسطحوها لهم مساطح حوالى المحلة » (العدد ١١ : ٤ - ٦ ، ١٠ : ٢٣ و ٣٠ - ٣٢) .

وقد أرسل موسى رجالا ليتجسسوا أرض كنعان التى كانوا مزمعين أن يدخلوها، فتجسسوا الأرض وعادوا .. «وأخبروه .. إنها تفيض لبنا وعسلا .. غير أن الشعب الساكن فى الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جداً .. لانقدر أن نصعد الى الشعب لأنهم أشد منا . فأشاعوا مذمة الأرض التى تجسسوها فى بنى إسرائيل قائلين .. جميع الشعب الذين رأينا فيها أناس طوال القامة . وقد رأينا هناك الجبابرة بنى عناق .. فكنا فى أعيننا كالجراد . وهكذا كنا فى أعينهم .. فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة وتذمر على موسى وعلى هارون .. وقال لهما كل الجماعة ليتنا متنا فى أرض مصر .. ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف .. فقال بعضهم لبعض نقيم رئيسا ونرجع إلى مصر .. فسقط موسى وهارون على وجهيهما .. ويشوع بن نون وكالب بن يفنه من الذين تجسسوا الأرض .. كلما كل جماعة بنى إسرائيل قائلين .. لاتخافوا من شعب الأرض .. ولكن قال كل الجماعة أن يرجما بالحجارة .. ثم ظهر مجد الرب فى خيمة الاجتماع لكل بنى إسرائيل . وقال الرب لموسى حتى متى يهيننى هذا الشعب ، وحتى متى لا يصدقوننى بجميع الآيات التى عملت فى

قائلا : ادخل قل لفرعون ملك مصر أن يطلق بنى إسرائيل من أرضه . فتكلم موسى أمام الرب قائلا هو ذا بنو إسرائيل لم يسمعوا لى ، فكيف يسمعنى فرعون وأنا أغلف الشفتين ؟ فكلم الرب موسى وهارون وأوصى معهما الى بنى إسرائيل والى فرعون ملك مصر فى إخراج بنى إسرائيل عن مصر » (الخروج ٦ : ٢ — ٢٧) .

ثم تذكر التوراة أنه حين رفض فرعون إخراج اليهود من مصر أنزل الله على المصريين الضربات العشر . . « فقام فرعون ليلا هو وكل عبيده وجميع المصريين . . فدعا موسى وهارون . . وقال قوموا اخرجوا من بين شعبى أنتما وبنى إسرائيل جميعا . . فحمل الشعب (اليهودى) عجينهم قبل أن يختمر ومعاجنهم مصرورة فى ثيابهم على أكتافهم . . وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم فى طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة ، لأن الله قال لئلا يندم الشعب اذا رأوا حربا ويرجعوا الى مصر ، فأدار الله الشعب فى طريق برية بحر سوف . . وكان الرب يسير أمامهم نهاراً فى عمود سحاب ليهديهم الطريق وليلا فى عمود نار ليضىء لهم ، لكى يمشوا نهاراً وليلا . . لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلا من أمام الشعب . . فلما أخبر ملك مصر أن الشعب قد هرب تغير قلب فرعون وعبيده على الشعب ، فقالوا ماذا فعلنا حتى أطلقنا إسرائيل من خدمتنا . فشد مركبته وأخذ قومه معه وأخذ ستمائة مركبة منتخبة وسائر مركبات مصر وجنوداً مركبية على جميعها .. فسعى المصريون وراءهم وأدركهم .. فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم .. ففزعوا جداً وصرخ بنو إسرائيل الى الرب .. قالوا لموسى هل لأنه ليست قبور فى مصر أخذتنا لنموت فى البرية .. ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر .. أليس هذا هو الكلام الذى كلمناك به فى مصر قائلين كف عنا فنخدم المصريين ، لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت فى البرية .. فقال الرب لموسى .. ارفع أنت عصاك ومد يدك على البحر وشقه ، فيدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة . . فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل وسار وراءهم وانتقل عمود السحاب من أمامهم ووقف وراءهم . . ومد موسى يده الى البحر ، فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء ، فدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم . وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم . . وكان فى هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين فى عمود النار والسحاب وأزعج

عسكر المصريين .. فقال الرب لموسى : مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين .. فمد موسى يده على البحر .. فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون .. لم يبق منهم ولا واحد . . ونظر إسرائيل المصريين أمواتا على شاطىء البحر . . فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وعبده موسى » (الخروج ١٢ — ١٤) . .

« حينئذ رنم موسى وبنو اسرائيل هذه التسبيحة للرب وقالوا . أرنم للرب فإنه قد تعظم . . الرب قوتى ونشيدى وقد صار خلاصى . . يمينك يارب معتزة بالقدرة . . وبكثرة عظمتك تهدم مقاوميك . . نفخت بريحك فغطاهم البحر . . من مثلك بين الآلهة يارب . من مثلك معتزاً فى القداسة ، مخوفا بالتسابيح ، صانعا عجائب . . الرب يملك الى الدهر والأبد » (الخروج ١٥ : ١ — ١٨) .

« ثم ارتحلوا من إيليم وأتى كل جماعة بنى اسرائيل الى برية سين التى بين إيليم وسيناء فى اليوم الخامس عشر من الشهر الثانى بعد خروجهم من أرض مصر فتذمر كل جماعة بنى إسرائيل على موسى وهارون فى البرية . . وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع ، فإنكما أخرجتمانا الى هذا القفر لكى تميتا كل هذا الجمهور بالجوع . فقال الرب لموسى ها انا أمطر لكم خبزاً من السماء ، فيخرج الشعب ويلتقطون حاجة اليوم بيومها لكى أمتحنهم أيسلكون فى ناموسى أم لا . . وإذا بمجد الرب قد ظهر فى السحاب ، فكلم الرب موسى قائلا : سمعت تذمر بنى إسرائيل . كلمهم قائلا فى العشية تأكلون لحما وفى الصباح تشبعون خبزاً وتعلمون أنى انا الرب إلهكم . فكان فى المساء أن السلوى (وهى نوع من الطيور) صعدت وغطت المحلة . وفى الصباح كان سقيط الندى حوالى المحلة . ولما ارتفع سقيط الندى اذا على وجه الأرض شىء دقيق مثل قشور . دقيق كالجليد على الأرض . فلما رأى بنو اسرائيل قالوا بعضهم لبعض : من هو ؟ (ولذلك أصبح اسمه المن) لأنهم لم يعرفوا ما هو ، فقال لهم موسى : هو الخبز الذى أعطاكم الرب لتأكلوا .. وكانوا يلتقطونه صباحا فصباحا .. وإذا حميت الشمس كان يذوب .. وأكل بنو اسرائيل المن أربعين سنة ، حتى جاءوا الى أرض عامرة » (الخروج ١٦)

ثم جاء فى التوراة : « فى الشهر الثالث بعد خروج بنى إسرائيل من أرض مصر جاءوا الى برية سيناء .. هناك نزل إسرائيل مقابل الجبل . وأما موسى فصعد الى الله فناداه الرب من الجبل قائلا : هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بنى إسرائيل . . أنتم

رأيتم ما صنعت بالمصريين .. فالآن إن سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب . فإن لى كل الأرض .. ها أنا آت إليك فى ظلام السحاب لكى يسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمنوا بك أيضا الى الأبد .. اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغداً وليغسلوا ثيابهم ويكونوا مستعدين لليوم الثالث ، لأنه فى اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء . وتقيم للشعب حدوداً من كل ناحية قائلا احترزوا من أن تصعدوا الى الجبل وتمسوا طرفه . كل من يمس الجبل يقتل قتلا .. بهيمة كان أم إنسانا لا يعيش . أما عند صوت البوق فهم يصعدون إلى الجبل .. وحدث فى اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً ، فارتعد كل الشعب الذى فى المحلة ، وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله فوقفوا فى أسفل الجبل . وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار ، وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً فكان صوت البوق يزداد اشتداداً جداً وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت . ونزل الرب على جبل سيناء الى رأس الجبل . ودعا الله موسى إلى رأس الجبل فصعد موسى .. فقال الرب لموسى انحدر حذر الشعب لئلا يقتحموا إلى الرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون . وليتقدس أيضا الكهنة الذين يقتربون إلى الرب لئلا يبطش بهم الرب .. فانحدر موسى إلى الشعب وقال لهم .. ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا : أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية . لا يكن لك آلهة أخرى أمامى . لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق ، وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن . لأنى أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياى . لا تنطق باسم الرب الهك باطلا لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا . أذكر يوم السبت لتقدسه . ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك ، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك . لا تصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك . لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح فى اليوم السابع . لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه . أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك . لا تقتل . لا تزن .

لا تسرق . لا تشهد على قريبك شهادة زور . لا تشته بيت قريبك . لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك . وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن . ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد . وقالوا لموسى تكلم أنت معنا فنسمع ، ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت . فقال موسى للشعب لا تخافوا . لأن الله إنما جاء ليمتحنكم ولكى تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا . فوقف الشعب من بعيد ، وأما موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان الله . فقال الرب لموسى : هكذا تقول لبنى إسرائيل : أنتم رأيتم أننى من السماء تكلمت معكم . لا تصنعوا معى آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب . مذبحا من تراب تصنع لى وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك » (الخروج ١٩ و ٢٠) .

ثم أعطى الله موسى أحكام الشريعة الادبية والمدنية والجنائية ليسلمها إلى اليهود ثم قال له « اصعد إلى الرب أنت وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل واسجدوا من بعيد ، ويقترب موسى وحده إلى الرب وهم لا يقتربون . وأما الشعب فلا يصعد معه . ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ، ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة ، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل ، فرأوا الله وأكلوا وشربوا . وقال الرب لموسى اصعد إلى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم . فقام موسى ويشوع خادمه ، وصعد موسى إلى جبل الله . . فغطى السحاب الجبل وحل مجد الرب على جبل سيناء وغطاه السحاب ستة أيام . وفى اليوم السابع دعى موسى من وسط السحاب . وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على رأس الجبل أمام عيون بنى إسرائيل ودخل موسى فى وسط السحاب وصعد إلى الجبل ، وكان موسى فى الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة » (الخروج ٢٤ : ١ — ١٨) .

ثم طلب الله من موسى إقامة خيمة ليجتمع فيها اليهود لعبادته ، ولذلك أضحى اسمها « خيمة الاجتماع » . وقد وصف له كيفية صناعتها وحدد له شكلها وأطوالها ومشتملاتها تحديداً دقيقا . ويدخل فى مشتملاتها تابوت العهد من خشب مغشى بالذهب وعليه

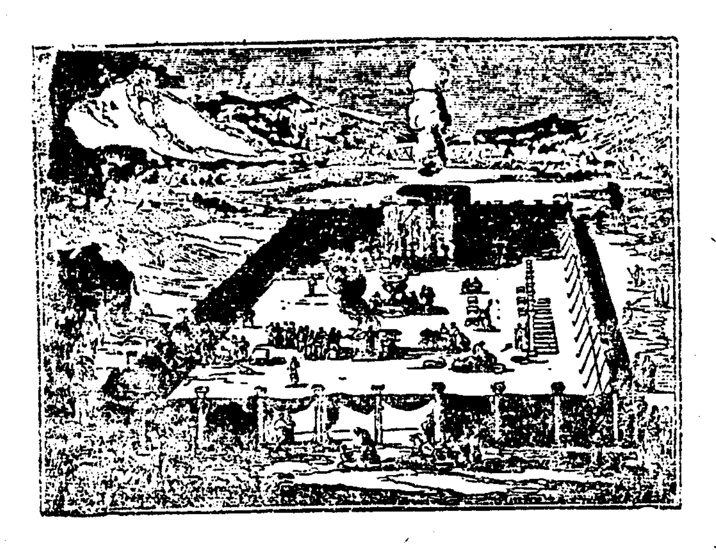
غطاء من الذهب الخالص يعلوه تمثالا كروبين ، أى ملاكين ، من ذهب كذلك (الخروج ٢٥ — ٢٧) كما أمر الله موسى بتعيين هارون أخيه رئيسا للكهنة ، يعاونه أبناؤه ناداب وأبيهو وألعازار وإيثامار ، وحدد له كيفية صناعة ملابسهم الكهنوتية ، وطقوس تكريسهم للكهنوت (الخروج ٢٨ و ٢٩) وفى النهاية أعطى الله موسى لوحى الشهادة .. «لوحى حجر مكتوبين بأصبع الله» (الخروج ٣١ : ١٨).

وهنا تحكى التوراة هذه القصة التى تدل على أن اليهود لم يؤمنوا بالله فى يوم من الأيام إيمانا راسخا ، وإنما كانوا سرعان ما ينقلبون إلى عبادة الأوثان. وسنرى أنهم فعلوا ذلك فى كل مراحل تاريخهم . فقد جاء فى سفر الخروج : « ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا . لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا . فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر . فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ونادى هارون وقال غداً عيد للرب . فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة ، وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب . فقال الرب لموسى : اذهب انزل . لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر ، فزاغوا سريعا عن الطريق الذى أوصيتهم به . صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر . وقال الرب لموسى : رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة .. فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده . لوحان مكتوبان على جانبيهما . من هنا ومن هنا كانا مكتوبين . واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين . . وكان عندما اقترب إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص . فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما فى أسفل الجبل . ثم أخذ العجل الذى صنعوا وأحرقه بالنار . . وقال موسى لهارون ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطيئة عظيمة ؟ فقال هارون . . أنت تعرف الشعب أنه فى شر ، فقالوا لى اصنع لنا آلهة تسير أمامنا . . فقلت لهم من له ذهب فلينزعه ويعطينى ، فطرحته فى النار

فخرج هذا العجل . . وقف موسى فى باب المحلة وقال من للرب فإلى ، فاجتمع إليه جميع بنى لاوى . فقال لهم هكذا قال الرب إله إسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب إلى باب فى المحلة واقتلوا كل واحد أخاه ، وكل واحد صاحبه ، وكل واحد قريبه ، ففعل بنو لاوى بحسب قول موسى . ووقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل . . وكان فى الغد أن موسى قال للشعب أنتم قد أخطأتم خطيئة عظيمة ، فأصعد الآن إلى الرب لعلى أكفر خطيتكم . فرجع موسى إلى الرب » (الخروج ٣٢ : ١ — ٣٥) .

ثم جاء بعد ذلك فى سفر الخروج : « وأخذ موسى الخيمة ونصبها له خارج المحلة .. ودعاها خيمة الاجتماع . فكان كل من يطلب الرب يخرج إلى خيمة الاجتماع التى خارج المحلة . وكان جميع الشعب إذا خرج موسى إلى الخيمة يخرجون ويقفون كل واحد فى باب خيمته وينظرون وراء موسى حتى يدخل الخيمة . وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة . ويتكلم الرب مع موسى . فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفا عند باب الخيمة . ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد فى باب خيمته ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه . . وقال موسى للرب . . إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك . . أرنى مجدك . . قال لا تقدر أن ترى وجهى ، لأن الإنسان لا يرانى ويعيش . . ثم قال الرب لموسى انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التى كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما . . فنحت لوحين من حجر كالأولين . وبكر موسى فى الصباح وصعد إلى جبل سيناء كما أمره الرب وأخذ فى يده لوحى الحجر فنزل الرب فى السحاب . فوقف عنده هناك ونادى باسم الرب ، فاجتاز الرب قدامه ونادى الرب : إله رحيم ورؤوف بطىء الغضب وكثير الإحسان والوفاء . . غافر الإثم والمعصية والخطيئة . ولكنه لن يبرىء إبراء . مفتقد إثم الآباء فى الأبناء وفى أبناء الأبناء فى الجيل الثالث والرابع . فأسرع موسى وخر إلى الأرض وسجد » (الخروج ٣٣ : ٧ — ٢٣ ، ٣٤ : ١ — ٨) . ثم أوصى الرب موسى بأن يبتعد اليهود عن عبادة الأصنام ، وأن يقدموا تقدماتهم لله وحده ، ثم قال له « اكتب لنفسك هذه الكلمات لأنى بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل . وكان (موسى) هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء . فكتب على اللوحين

كلمات العهد ، الكلمات العشر . وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع فى كلامه معه ، فنظر هارون وجميع بنى إسرائيل موسى وإذا جلد وجهه يلمع ، فخافوا أن يقتربوا إليه ، فدعاهم موسى . . وبعد ذلك اقترب جميع بنى إسرائيل فأوصاهم بكل ما تكلم به الرب معه فى جبل سيناء . ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقعا . وكان موسى عند دخوله أمام الرب ليتكلم معه ينزع البرقع حتى



« صورة خيمة الاجتماع وفوقها عامود السحاب »

يخرج . ثم يخرج ويكلم بنى إسرائيل بما يوصى . فإذا رأى بنو إسرائيل وجه موسى أن جلده يلمع كان موسى يرد البرقع على وجهه حتى يدخل ليتكلم معه » (الخروج ٣٤ : ٢٧ — ٣٥) .

وبعد أن تم بناء خيمة الاجتماع .. « غطت السحابة خيمة الاجتماع وملأ بهاء الرب المسكن ، فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع .. وعند ارتفاع السحابة عن المسكن كان بنو إسرائيل يرتحلون فى جميع رحلاتهم ، وإن لم ترتفع السحابة لا يرتحلون إلى يوم ارتفاعها . لأن سحابة الرب كانت على المسكن نهاراً وكانت

فيها نار ليلا أمام عيون كل بيت إسرائيل فى جميع رحلاتهم » (الخروج ٤٠ : ٣٤ — ٣٨) .

ثم أعطى الرب موسى وصاياه بما ينبغى على اليهود أن يقدموا إليه من القرابين والذبائح المختلفة من أجل الأغراض المتباينة : كقربان التقدمة وذبيحة السلامة ، وذبيحة الخطيئة ، وذبيحة الإثم ، وما يجوز ذبحه لهذه الأغراض من أنواع الحيوانات والطيور الطاهرة التى لاعيب فيها ، ومن يجوز لهم تقديم هذه الذبائح وإحراق البخور على المذبح . وقد أمر الله بأن ذلك لا يجوز إلا لأشخاص بعينهم ، وبطقوس معينة . وقد حدث أن « أخذ ابنا هارون ناداب وأبيهو كل منهما مجمرته وجعلا فيهما ناراً ووضعا عليها بخوراً وقربا أمام الرب نارا غريبة لم يأمرهما بها ، فخرجت نار من عند الرب وأكلتهما فماتا أمام الرب . فقال موسى لهارون هذا ما تكلم به الرب قائلا فى القريبين منى أتقدس وأمام جميع الشعب أتمجد » . (اللاويين ١٠ : ١ — ٣) .

« ويوم فرغ موسى من إقامة المسكن ومسحه وقدسه وجميع أمتعته والمذبح وجميع أمتعته ومسحها وقدسها ، قرب رؤساء إسرائيل رؤوس بيوت آبائهم . هم رؤساء الأسباط . . أتوا بقرابينهم أمام الرب . . وقرب الرؤساء لتدشين المذبح يوم مسحه وقدم الرؤساء قرابينهم أمام المذبح . . فلما دخل موسى إلى خيمة الاجتماع ليتكلم معه (مع الله) كان يسمع الصوت يكلمه من على الغطاء الذى على تابوت الشهادة من بين الكروبين (أى تماثيل الملائكين) » (العدد ٧ : ١ — ٣ و ١٠ و ٨٩) .

« وكلم الرب موسى قائلا خذ اللاويين (وهم ذرية لاوى بن يعقوب) من بين بنى إسرائيل وطهرهم .. يكونون ليخدموا خدمة الرب .. فى خيمة الاجتماع .. أمام هارون وأمام بنيه » (العدد ٨ : ٥ — ٢٢) .

« وفى يوم اقامة المسكن غطت السحابة المسكن ، خيمة الاجتماع . وفى المساء كان على المسكن كمنظر نار إلى الصباح . هكذا كان دائما . السحابة تغطيه ومنظر النار ليلا ومتى ارتفعت السحابة عن الخيمة كان بعد ذلك بنو إسرائيل يرتحلون . وفى المكان

وتنهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا ، فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية ، فسمع الله أنينهم ، فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب . . وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان ، فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب ، وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة . فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق . فقال موسى أميل الآن لانظر هذا المنظر العظيم . لماذا لاتحترق العليقة . فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال : موسى موسى . فقال : ها أنذا . فقال : لاتقترب إلى هنا . إخلع حذاءك من رجليك ، لان الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة . ثم قال : أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب . فغطى موسى وجهه لانه خاف أن ينظر إلى الله . فقال الرب إنى رأيت مذلة شعبي الذى فى مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم . إنى علمت أوجاعهم ، فنزلت لانقذهم من أيدى المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة . إلى أرض تفيض لبنا وعسلا . إلى مكان الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين . والآن هوذا صراخ بنى إسرائيل قد أتى إلى ورأيت أيضا الضيقة التى يضايقهم بها المصريون . فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بنى إسرائيل من مصر . فقال موسى : من أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بنى إسرائيل من مصر ؟ فقال إنى أكون معك وهذه تكون لك العلامة إنى أرسلتك . حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل . فقال موسى لله : ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلنى إليكم . فإذا قالوا لى ما اسمه فماذا أقول لهم ؟ . فقال الله لموسى : أهيه الذى أهيه . وقال هكذا تقول لبنى إسرائيل أهيه أرسلنى إليكم . وقال الله أيضاً لموسى : هكذا تقول لبنى إسرائيل : يهوه إله آبائكم ، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم . هذا إسمى إلى الأبد وهذا ذكرى إلى دور فدور . إذهب واجمع شيوخ إسرائيل وقل لهم الرب إله آبائكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ظهر لى قائلا إنى قد افتقدتكم وماصنع بكم فى مصر ، فقلت أصعدكم من مذلة مصر إلى أرض الكنعانيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين . إلى أرض تفيض لبنا وعسلا . فإذا سمعوا لقولك تدخل أنت وشيوخ بنى إسرائيل إلى ملك مصر وتقولون له الرب إله العبرانيين التقانا ، فالآن نمضى سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب إلهنا . . فأجاب موسى وقال : ولكن ها هم لا يصدقوننى ولا يسمعون

لقولى ، بل يقولون لم يظهر لك الرب . فقال له الرب : ما هذه فى يدك ؟ . فقال : عصا . فقال: اطرحها إلى الأرض . فطرحها إلى الأرض فصارت حية فهرب موسى منها. ثم قال الرب لموسى : مد يدك وأمسك بذنبها . فمد يده وأمسك به ، فصارت عصا فى يده . لكى يصدقوا أنه قد ظهر لك الرب إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب .. فقال موسى للرب : استمع أيها السيد . لست أنا صاحب كلام .. بل أنا ثقيل الفم واللسان .. فقال له الرب : من صنع للإنسان فما ، أو من يصنع أخرس أو أصم ، أو بصيراً أو أعمى ، أما هو أنا الرب ؟ فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به . فقال : استمع أيها السيد . أرسل بيد من ترسل . فحمى غضب الرب على موسى وقال : أليس هارون اللاوى أخاك ؟ .. أنا أعلم أنه هو يتكلم وأيضا ها هو خارج لاستقبالك . فحينما يراك يفرح بقلبه فتكلمه وتضع الكلمات فى فمه ، وأنا أكون مع فمك ومع فمه وأعلمكما ماذا تصنعان ، وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فما وأنت تكون له إلها ، وتأخذ فى يدك هذه العصا التى تصنع بها الآيات .. وقال الرب لهارون اذهب إلى البرية لاستقبال موسى .. فأخبر موسى هارون بجميع كلام الرب الذى أرسله ، وبكل الآيات التى أوصاه بها ، ثم مضى موسى وهارون وجمعا جميع شيوخ بنى إسرائيل ، فتكلم هارون بجميع الكلام الذى كلم الرب موسى به ، وصنع الآيات أمام عيون الشعب .. فآمن الشعب .. ولما سمعوا أن الرب افتقد بنى إسرائيل وأنه نظر مذلتهم خروا وسجدوا » (الخروج ٣ — ٥) .

وقد دخل موسى وهارون إلى فرعون مصر وطلبا منه أن يسمح لليهود بأن يخرجوا إلى سيناء ليحتفلوا هناك بعيد إلههم ، ولكن فرعون شك فى نواياهم فرفض أن يسمح لهم بالخروج إلى سيناء وضيق الخناق عليهم واشتد فى معاملتهم .. « ثم كلم الله موسى وقال له : أنا الرب . وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شىء . وأما باسمى يهوه فلم أكن أعرف عندهم . وأيضا أقمت معهم عهدى أن أعطيهم أرض كنعان ، أرض غربتهم التى تغربوا فيها . وأنا أيضا قد سمعت أنين بنى إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتذكرت عهدى . لذلك قل لبنى إسرائيل أنا الرب . وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم .. فتعلمون أنى أنا الرب إلهكم .. فكلم موسى هكذا بنى إسرائيل .. ولكن لم يسمعوا لموسى من صغر النفس ومن العبودية القاسية . ثم كلم الرب موسى

وسطهم .. إنى أضربهم بالوباء وأبيدهم .. فقال موسى للرب : فيسمع المصريون الذين أصعدت بقوتك هذا الشعب من وسطهم ، ويقولون لسكان هذه الأرض الذين قد سمعوا انك يارب فى وسط هذا الشعب الذين أنت يارب قد ظهرت لهم عينا لعين ، وسحابتك واقفة عليهم ، وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهاراً وبعمود نار ليلا . فان قتلت هذا الشعب كرجل واحد ، يتكلم الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين لأن الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب الى الأرض التى حلف لهم قتلهم فى القفر . فالآن لتعظم قوة سيدى كما تكلمت قائلا الرب طويل الروح كثير الإحسان يغفر الذنب والسيئة ، لكنه لايبرىء ، بل يجعل ذنب الآباء على الابناء الى الجيل الثالث والرابع . اصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك ، وكما غفرت لهذا الشعب من مصر الى هنا . فقال الرب : قد صفحت حسب قولك . ولكن حى أنا .. إن جميع الرجال الذين رأوا مجدى وآياتى التى عملتها فى مصر وفى البرية وجربونى الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولى ، لن يروا الأرض التى حلفت لآبائهم ، وجميع الذين أهانونى لايرونها .. حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة على ؟ .. حى أنا .. لأفعلن بكم كما تكلمتم فى أذنى . فى هذا القفر تسقط جثثكم .. من ابن عشرين سنة فصاعداً الذين تذمروا على . لن تدخلوا الأرض التى رفعت يدى لاسكنكم فيها ماعدا كالب بن يفنة ويشوع بن نون . واما أطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمة فإنى سأدخلهم فيعرفون الأرض التى احتقرتموها . فجثثكم أنتم تسقط فى هذا القفر وبنوكم يكونون رعاة فى القفر اربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم فى القفر . كعدد الأيام التى تجسستم فيها الأرض أربعين يوما ، للسنة يوم . تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادى . انا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة على . فى هذا القفر يفنون وفيه يموتون » (العدد ١٣ و ١٤) .

« وأتى بنو إسرائيل .. إلى برية صين فى الشهر الأول ، واقام الشعب فى قادش .. ولم يكن ماء للجماعة .. وخاصم الشعب موسى وكلموه قائلين .. لماذا أتيتما بجماعة الرب الى هذه البرية لكى نموت فيها ؟ .. ولماذا أصعدتمانا من مصر لتأتيا بنا الى هذا المكان الردىء ؟ ليس هو مكان زرع وتين وكرم ورمان ولافيه ماء للشرب . فأتى موسى وهارون من أمام الجماعة الى باب خيمة الاجتماع وسقطا على وجهيهما ، فتراءى لهما مجد الرب . وكلم الرب موسى قائلا : خذ العصى واجمع الجماعة

أنت وهارون أخوك وكلما الصخرة أمام أعينهم أن تعطى ماءها ، فتخرج لهم ماء من الصخرة وتسقى الجماعة ومواشيهم . فأخذ موسى العصا من أمام الرب كما أمره . وجمع موسى وهارون الجمهور أمام الصخرة فقال لهم : اسمعوا ايها المردة ، أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء ؟ ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماء غزير ، فشربت الجماعة ومواشيها . فقال الرب لموسى وهارون من أجل أنكما لم تؤمنا بى حتى تقدسانى أمام أعين بنى إسرائيل . لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التى أعطيتهم إياها . هذا ماء مريبة حيث خاصم بنو إسرائيل الرب » (العدد ٢٠ : ١ - ١٢)

وارتحل اليهود من قادش الى جبل هور .. « وكلم الرب موسى وهارون فى جبل هور على تخم أرض أدوم قائلا يضم هارون الى قومه لأنه لا يدخل الأرض التى أعطيت لبنى إسرائيل ، لأنكم عصيتم قولى عند ماء مريبة . خذ هارون والعازار ابنه واصعد بهما إلى هور واخلع عن هارون ثيابه وألبس العازار ابنه إياها فيضم هارون ويموت هناك .. ففعل موسى كما أمر الرب .. فمات هارون هناك على رأس الجبل » (العدد ٢٠ : ٢٣ - ٢٨) .

ثم ارتحل اليهود من جبل هور وراحوا ينتقلون من موضع الى آخر حتى حلوا فى عربات موآب ، على الأردن ، مقابل اريحا .. « وقال الرب لموسى اصعد الى جبل عباريم هذا وانظر الأرض التى أعطيت بنى اسرائيل ، ومتى نظرتها تضم الى قومك أنت أيضا كما ضم هارون أخوك ، لأنكما فى برية صين عند مخاصمة الجماعة عصيتما قولى أن تقدسانى بالماء أمام أعينهم . ذلك ماء مريبة قادش فى برية صين . فكلم موسى الرب قائلا : ليوكل الرب إله أرواح جميع البشر رجلا على الجماعة يخرج أمامهم ويدخل أمامهم .. لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التى لا راعى لها . فقال الرب لموسى : خذ يشوع بن نون ، رجلا فيه روح ، وضع يدك عليه ، وأوقفه قدام ألعازار الكاهن وقدام كل الجماعة وأوصه أمام أعينهم ، واجعل من هيبتك عليه لكى يسمع له كل جماعة بنى إسرائيل .. ففعل موسى كما أمره الرب» (العدد ٢٧ : ١٢ - ٢٢)

ثم أملى الله على موسى بقية أحكام شريعته ، ثم قال له « انتقم نقمة لبنى إسرائيل من المديانيين ، ثم تضم الى قومك » (العدد ٢١ : ٢) فكلف موسى اليهود بغزو بلاد المديانيين فغزوها وقتلوا كل أهلها ، واستولوا عليها ، فأعطاها موسى لبنى جاد وبنى رأوبين ونصف سبط منسى كما سبق أن رأينا .

٤ — عبادة الله فى عهد يشوع :

كان يشوع بن نون هو تلميذ موسى النبى ، وقد لازمه منذ زعامته لليهود . وكان عند خروج اليهود من مصر فى الخامسة والأربعين من عمره ، وحين خلف موسى فى زعامة اليهود كان فى الخامسة والثمانين . وقد شهد كل الأحداث التى وقعت لليهود منذ خروجهم من مصر إلى حين وقوفهم على مشارف فلسطين لكى يغزوها . ومن ثم أخذ عن موسى إيمانه بالله ، وتلقى عنه كل الوصايا التى أمر الله موسى بأن يبلغها لليهود . وقد كان يشوع من الذين تجسسوا أرض فلسطين ورأى أن اليهود قادرون على اغتصابها ، فرضى الله عنه - كما جاء فى التوراة - وقضى بأن يدخل فلسطين هو وزميله الذى وافقه على رأيه كالب بن يفنة ، بعد أن حرم الله من ذلك كل بنى اسرائيل الذين كانوا يتجاوزون العشرين من عمرهم حين خرجوا من مصر ، عقاباً لهم على تخاذلهم عن تنفيذ مشيئة الله . كما حرم الله موسى نفسه مع أخيه هارون من دخول أرض فلسطين لأنهما أبديا الشك لليهود - حين طلبوا ماء فى الصحراء - فى أن الله قادر على أن يخرج لهم من الصخر ماء ، وذلك بعد كل ما رأوه من آيات الله ومعجزاته ودلائل قدرته التى لا يستحيل عليها شىء . وحين طلب موسى من الله أن يختار خليفة له لزعامة اليهود بعد موته قال له « خذ يشوع بن نون ، رجلا فيه روح ، وضع يدك عليه ، وأوقفه قدام ألعازار الكاهن . . واجعل من هيبتك عليه لكى يسمع له كل جماعة بنى إسرائيل . . حسب قوله يخرجون وحسب قوله يدخلون » (العدد ٢٧ : ١٨ - ٢١)

« وكان بعد موت موسى عبد الله أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا : موسى عبدى قد مات . فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لهم . . . من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير ، نهر الفرات . . كما كنت مع موسى أكون معك . لا أهملك ولا أتركك . تشدد وتشجع لأنك أنت تقسم لهذا الشعب الأرض التى حلفت لآبائهم أن أعطيهم . إنما كن متشددا وتشجع جدا لكى تتحفظ للعمل حسب كل الشريعة التى أمرك بها موسى عبدى ، لا تمل عنها يمينا ولا شمالا لكى تفلح حيثما تذهب . لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك » (يشوع ١ : ١ - ٨)

« فبكر يشوع .. وارتحلوا من شطيم وأتوا إلى الأردن هو وكل بنى اسرائيل .. وباتوا هناك قبل أن عبروا . وكان بعد ثلاثة أيام أن العرفاء جازوا فى وسط المحلة وأمروا الشعب قائلين عند ما ترون تابوت عهد الرب إلهكم والكهنة اللاويين حاملين إياه .. سيروا وراءه .. وقال يشوع للشعب تقدسوا لأن الرب يعمل غداً فى وسطكم عجائب .. وقال يشوع للكهنة احملوا تابوت العهد واعبروا أمام الشعب ، فحملوا تابوت العهد وساروا أمام الشعب .. فقال الرب ليشوع : اليوم ابتدىء أعظمك فى أعين جميع إسرائيل ، لكى يعلموا أنى كما كنت مع موسى أكون معك .. فقال يشوع لبنى إسرائيل : تقدموا إلى هنا واسمعوا كلام الرب إلهكم .. بهذا تعلمون أن الله الحى فى وسطكم وطردا يطرد من أمامكم الكنعانيين والحثيين والحويين والفرزيين والجرجاشيين والأموريين واليبوسيين . هوذا تابوت عهد سيد كل الأرض عابر أمامكم فى الأردن ، فالآن انتخبوا اثنى عشر رجلا من أسباط إسرائيل . رجلا واحدا من كل سبط ، ويكون حينما تستقر بطون أقدام الكهنة حاملى تابوت الرب سيد الأرض كلها فى مياه الأردن أن مياه الأردن ، المياه المنحدرة من فوق تنفلق وتقف ندا واحدا .. فعند إتيان حاملى التابوت إلى الأردن وانغماس أرجل الكهنة حاملى التابوت فى ضفة المياه والأردن ممتلىء الى جميع شطوطه كل أيام الحصاد ، وقفت المياه المنحدرة من فوق وقامت ندا واحدا .. انقطعت تماما وعبر الشعب مقابل أريحا .. وكان لما انتهى جميع الشعب من عبور الأردن أن الرب كلم يشوع قائلا انتخبوا من الشعب اثنى عشر رجلا . رجلا واحدا من كل سبط . وأمروهم قائلين، احملوا من هنا من وسط الأردن ، من موقف أرجل الكهنة اثنى عشر حجرا وعبروها معهم .. لكى تكون هذه علامة وسطكم إذا سأل غدا بنوكم قائلين مالكم وهذه الحجارة ، تقولون لهم إن مياه الأردن قد انفلقت أمام تابوت عهد الرب .. وأسرع الشعب فعبروا .. وكان لما انتهى كل الشعب من العبور أنه عبر تابوت الرب والكهنة فى حضرة الشعب .. فى ذلك اليوم عظم الرب يشوع فى أعين جميع اسرائيل ، فهابوه كما هابوا موسى كل أيام حياته .. فكان لما صعد الكهنة حاملو تابوت عهد الرب من وسط الأردن .. أن مياه الأردن رجعت إلى مكانها وجرت كما من قبل .. لكى تعلم جميع شعوب الأرض يد الرب أنها قوية » (يشوع ٣ و ٤) ..

« وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر ، وإذا برجل واقف

قبالته وسيفه مسلول بيده . فسار يشوع إليه وقال له : هل لنا أنت أو لأعدائنا ؟ فقال كلا بل أنا رئيس جند الرب . . فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وقال له : بماذا يكلم سيدى عبده ؟ فقال رئيس جند الرب ليشوع اخلع نعلك من رجلك لأن المكان الذى أنت واقف عليه مقدس ، ففعل يشوع كذلك » (يشوع ٥ : ١٣ — ١٥) .

« وكانت أريحا مغلقة مقفلة بسبب بنى إسرائيل . . فقال الرب ليشوع : . . قد دفعت بيدك أريحا . . تدورون . . حول المدينة مرة واحدة . . هكذا تفعلون ستة أيام . وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة أمام التابوت ، وفى اليوم السابع تدورون دائرة المدينة سبع مرات ، والكهنة يضربون بالأبواق . ويكون عند امتداد صوت قرن الهتاف ، عند استماعكم صوت البوق أن جميع الشعب يهتف هتافا عظيما فيسقط سور المدينة فى مكانه . . » (يشوع ٦ : ١ إلخ) وقد فعل يشوع ذلك فسقطت المدينة فى يده . . « وكان الرب مع يشوع وكان خبره فى جميع الأرض » (يشوع ٦ : ٢٧) .

وقد أمر الله يشوع كذلك بمهاجمة مدينة « عاى » قائلا له « قد دفعت بيدك ملك عاى وشعبه ومدينته وأرضه ، فتفعل بعاى وملكها كما فعلت بأريحا وملكها . . اجعل كمينا للمدينة من ورائها . . ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار . . ودخلوا المدينة وأخذوها وأسرعوا وأحرقوا المدينة بالنار . . حينئذ بنى يشوع مذبحا للرب إله إسرائيل فى جبل عيبال . . مذبح حجارة . . وأصعدوا عليه محرقات للرب وذبحوا ذبائح سلامة . وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى » (يشوع ٨ : ١ - ٣٥) .

« فلما سمع أدونى صادق ملك أورشليم أن يشوع قد أخذ عاى . . وأن سكان جبعون قد صالحوا إسرائيل . . خاف جداً لأن جبعون مدينة عظيمة . . وكل رجالها جبابرة . . فأرسل أدونى صادق ملك أورشليم إلى هوهام ملك حبرون وفرام ملك يرموت ويافيع ملك لخيش ودبير ملك عجلون . . فاجتمع ملوك الأموريين الخمسة . .

وصعدوا هم وكل جيوشهم .. فقال الرب ليشوع لا تخفهم لأنى بيدك قد أسلمتهم .. فأتى اليهم يشوع بغتة .. فأزعجهم الرب أمام إسرائيل وضربهم ضربة عظيمة فى جبعون .. وبينما هم هاربون من أمام إسرائيل .. رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء .. فماتوا .. حينئذ كلم يشوع الرب .. وقال : أمام عيون إسرائيل يا شمس دومى على جبعون ويا قمر على وادى أيلون . فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه .. فوقفت الشمس فى كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب صوت إنسان ، لأن الرب حارب عن إسرائيل » (يشوع ١٠ : ١ - ١٤) .

وعلى هذا المنوال استولى يشوع على « مقيده » و « لبنة » و « لخيش » و « عجلون » و « حبرون » و « دبير » .. « فلما سمع يابين ملك حاصور أرسل الى يوباب ملك مادون والى ملك شمرون والى ملك أكشاف والى الملوك الذين إلى الشمال فى الجبل وفى العربة .. وفى السهل وفى مرتفعات دور .. فخرجوا وكل جيوشهم معهم شعبا غفيرا كالرمل الذى على شاطىء البحر فى الكثرة بخيل ومركبات كثيرة جداً .. لكى يحاربوا إسرائيل .. فقال الرب ليشوع لا تخفهم لأنى غداً فى مثل هذا الوقت أدفعهم جميعا قتلى أمام إسرائيل ، فتعرقب خيلهم وتحرق مركباتهم بالنار ، فجاء يشوع وجميع رجال الحرب معه .. وسقطوا عليهم ، فدفعهم الرب بيد إسرائيل فضربوهم وطردوهم .. حتى لم يبق لهم شارد » (يشوع ١١ : ١ - ٩) .

« فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التى أقسم أن يعطيها لآبائهم فامتلكوها وسكنوا بها . فأراحهم الرب حواليهم حسب كل ما أقسم لآبائهم ولم يقف قدامهم رجل من جميع أعدائهم ، بل دفع الرب جميع أعدائهم بأيديهم . لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذى كلم به الرب بيت اسرائيل ، بل الكل صار » (يشوع ٢١ : ٤٣ - ٤٥) وقد قام يشوع بن نون بقسمة الأرض التى استولى عليها بالقرعة أسباط إسرائيل .

.. وإذ كان نصيب سبط رأوبين وسبط جاد ونصف سبط منسى فى أرض جلعاد شرقى الأردن ، ويفصل النهر بينهم وبين نصيب بقية الأسباط ، بنوا لأنفسهم مذابح

مستقلا .. « ولما سمع بنو إسرائيل اجتمعت كل جماعة بنى إسرائيل فى شيلوه لكى يصعدوا اليهم للحرب .. فأرسل بنوا اسرائيل الى بنى رأوبين وبنى جاد ونصف سبط منسى .. قائلين .. ما هذه الخيانة التى ختتم بها إله إسرائيل بالرجوع اليوم عن الرب ببنيانكم لأنفسكم مذبحا لتتمردو اليوم على الرب .. وهو غداً يسخط على كل جماعة إسرائيل .. فأجاب بنوا رأوبين وبنو جاد ونصف سبط منسى وقالوا لرؤساء ألوف إسرائيل إله الآلهة الرب ، إله الآلهة الرب هو يعلم وإسرائيل سيعلم ، ان كان بتمرد وإن كان بخيانة على الرب لا تخلصنا هذا اليوم ، ببنياننا لانفسنا مذبحا للرجوع عن الرب أو لإصعاد محرقة عليه أو تقدمة أولعمل ذبائح سلامة عليه فالرب هو يطالب . وان كنا نفعل ذلك خوفا وعن سبب قائلين غداً يكلم بنوكم بنينا قائلين ما لكم وللرب إله إسرائيل . قد جعل الرب تخما بيننا وبينكم يابنى رأوبين وبنى جاد . الاردن . ليس لكم قسم فى الرب : فيرد بنوكم بنينا حتى لا يخافوا الرب . فقلنا نصنع نحن لانفسنا . نبنى مذبحا لا للمحرقة ولا للذبيحة ، بل ليكون هو شاهداً بيننا وبينكم وبين أجيالنا بعدنا لكى نخدم خدمة الرب أمامه بمحرقاتنا وذبائحنا وذبائح سلامتنا ولا يقول بنوكم غداً لبنينا ليس لكم قسم فى الرب . وقلنا يكون متى قالوا كذا لنا ولاجيالنا غداً أننا نقول : أنظر وأشبه مذبح الرب الذى عمل آباؤنا لا للمحرقة ولا للذبيحة بل هو شاهد بيننا وبينكم . حاشا لنا منه أن نتمرد على الرب ونرجع اليوم عن الرب لبناء مذبح للمحرقة أو التقدمة أو الذبيحة عدا مذبح الرب إلهنا الذى هو قدام مسكنه .. فقال فينحاس بن ألعازار الكاهن لبنى رأوبين وبنى جاد وبنى منسى : اليوم علمنا أن الرب بيننا لانكم لم تخونوا الرب بهذه الخيانة . فالآن قد أنقذتم بنى إسرائيل من يد الرب . وبارك بنو إسرائيل الله ولم يفتكروا بالصعود إليهم للحرب .. وسمى بنو رأوبين وبنو جاد المذبح عيداً لأنه شاهد بيننا أن الرب هو الله » (يشوع ٢٢ : ١٢ - ٣٤) .

« وكان غب أيام كثيرة بعدما أراح الرب إسرائيل من أعدائهم حواليهم أن يشوع شاخ .. فدعا يشوع جميع إسرائيل وشيوخه ورؤساءه وقضاته وعرفاءه وقال لهم : أنا قد شخت .. وأنتم قد رأيتم كل ما عمل الرب الهكم بجميع أولئك الشعوب من أجلكم ، لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم .. لقد قسمت لكم بالقرعة هؤلاء

الشعوب الباقين ملكاً حسب أسباطكم من الأردن وجميع الشعوب التى قرضتها والبحر العظيم نحو غروب الشمس . والرب إلهكم هو ينفيهم من أمامكم ويطردهم من قدامكم فتملكون أرضهم كما كلمكم الرب إلهكم ، فتشددوا جداً لتحفظوا وتعملوا كل المكتوب فى سفر شريعة موسى حتى لا تحيدوا عنها يمينا أو شمالا . . قد طرد الرب من أمامكم شعوبا عظيمة وقوية . . وها أنا اليوم ذاهب فى طريق الأرض كلها . وتعلمون بكل قلوبكم وكل أنفسكم أنه لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذى تكلم به الرب عنكم .. لم تسقط منه كلمة واحدة . ويكون كما أنه أتى عليكم كل الكلام الصالح الذى تكلم به الرب إلهكم عنكم ، كذلك يجلب عليكم الرب كل الكلام الردىء ، حتى يبيدكم عن هذه الأرض الصالحة التى أعطاكم الرب إلهكم حينما تتعدون عهد الرب إلهكم الذى أمركم به ، وتسيرون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها يحمى غضب الرب عليكم فتبيدون سريعاً عن الأرض الصالحة التى أعطاكم . . فالآن انزعوا الآلهة الغريبة التى فى وسطكم وأميلوا قلوبكم الى الرب إله إسرائيل . . وكان بعد هذا الكلام أنه مات يشوع بن نون عبد الرب » (يشوع ٢٣ و ٢٤) .

وهكذا نرى أن عهد يشوع كان امتداداً لعهد موسى فيما يتعلق بعلاقة اليهود بالله. فالله قائدهم وحاميهم وناصرهم على غيرهم من الشعوب، ومع ذلك يخونونه ويتمردون عليه ، ويعبدون تلك الآلهة الغريبة التى طلب إليهم يشوع أن ينزعوها من بينهم ، كما سبق لهم أن عبدوا العجل فى عهد موسى ، على الرغم من كل ما فعله الله من أجلهم ، وما أظهره من المعجزات أمام أعينهم .

٥ — عبادة الله فى عهد القضاة :

وقد ظلت عبادة الله معروفة لدى اليهود بعض الوقت فى عهد القضاة . كما ورثوها من تعاليم موسى ويشوع . ولكنهم سرعان ما انقسموا الى عشائر متفرقة متباعدة متعادية . وسرعان ما ضعف ايمانهم بالله . حتى نسوه تماما . فلم يكونوا يتذكرونه إلا حين يغير عليهم شعب آخر ويحتل أرضهم ويستعبدهم . ثم إذا انتصروا يعودون بعد ذلك إلى نسيان إلههم . أو عبادة آلهة وثنية معه . ولعل استعراض بعض نصوص سفر القضاة، يثبت لنا هذه الحقيقة بصراحة ووضوح . فمما جاء فى هذا السفر :

« ... وكان بعد موت يشوع أن بنى اسرائيل سألوا الرب قائلين : من منا يصعد الى الكنعانيين أولا لمحاربتهم ؟ فقال الرب : يهوذا يصعد . وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل » (القضاة ١ : ١ و ٢ و ١٩) .

« وصعد ملاك الرب من الجلجال الى بوكيم وقال قد أصعدتكم من مصر وأتيت بكم الى الأرض التى أقسمت لآبائكم وقلت لا أنكث عهدى معكم إلى الأبد ، وأنتم فلا تقطعوا عهداً مع سكان هذه الأرض . إهدموا مذابحهم . ولم تسمعوا لصوتى . فماذا عملتم ؟ فقلت أيضا لا أطردهم من أمامكم بل يكونون لكم مضايقين وتكون آلهتهم لكم شركا . وكان لما تكلم ملاك الرب بهذا الكلام إلى جميع بنى إسرائيل أن الشعب رفعوا صوتهم وبكوا » (القضاة ٢ : ١ — ٤) .

« وفعل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب وعبدوا البعليم وتركوا الرب إله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب . تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت ، فحمى غضب الرب على إسرائيل فدفعهم بأيدى ناهبين نهبوهم ، وباعهم بيد أعدائهم حولهم .. ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم . حينما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر كما تكلم الرب وكما أقسم الرب لهم . فضاق بهم الأمر جداً ، وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم ، ولقضاتهم أيضاً لم يسمعوا ، بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها . حادوا سريعاً عن الطريق التى سار بها آباؤهم لسمع وصايا الرب . . وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضى وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضى .. وعند موت القاضى كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها . لم يكفوا من أفعالهم وطرقهم القاسية .. فحمى غضب الرب على إسرائيل وقال من أجل أن هذا الشعب قد تعدوا عهدى الذى أوصيت به آباءهم ولم يسمعوا لصوتى ، فأنا أيضاً لا أعود أطرد إنسانا من أمامهم من الامم الذين تركهم يشوع عند موته » . (القضاة ٢ : ١١ — ٢٢) .

« فسكن بنو إسرائيل فى وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، واتخذوا بناتهم لانفسهم نساء ، وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم ، فعمل بنو اسرائيل الشر فى عينى الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسوارى فحمى غضب الرب على إسرائيل ، فباعهم بيد كوشان رشعتايم ملك آرام

النهرين .. وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب فأقام الرب مخلصا لبنى اسرائيل فخلصهم : عثنيئيل بن قناز . أخا كالب الأصغر .. فدفع الرب ليده كوشان رشعتايم ملك آرام » (القضاة ٣ : ٥ — ١٠) .

« وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب فشدد عجلون ملك موآب على إسرائيل .. فجمع إليه بنى عمون وعماليق .. وسار وضرب إسرائيل .. وصرخ بنو اسرائيل الى الرب ، فأقام لهم الرب مخلصا : أهود بن جيرا .. فذل الموآبيون فى ذلك اليوم تحت يد إسرائيل » (القضاة ٣ : ١٢ و ١٣ و ٣٠) .

« وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب بعد موت أهود ، فباعهم الرب بيد يابين ملك كنعان .. فصرخ بنو إسرائيل الى الرب . ودعا باراق زبولون ونفتالى إلى قادش وصعد ومعه عشرة آلاف رجل وصعدت دبورة معه .. فأذل الله فى ذلك اليوم يابين ملك كنعان أمام بنى اسرائيل » . (القضاة ٤ : ١ و ٥ و ١٠ و ٢٣)

« وعمل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب فدفعهم الرب ليد مديان . . وصرخ بنو إسرائيل الى الرب .. وأتى ملاك الرت وجلس تحت البطمة التى فى عفرة ، التى ليوآش الأبيعزرى ، وابنه جدعون كان يخبط حنطة فى المعصرة .. فظهر له ملاك الرب وقال له .. اذهب بقوتك هذه وخلص إسرائيل من كف مديان .. إنى أكون معك .. فقال له إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فاصنع لى علامة أنك أنت تكلمنى . لا تبرح من هنا حتى آتى اليك وأخرج تقدمتى وأضعها أمامك . فقال إنى أبقى حتى ترجع . فدخل جدعون وعمل جدى معزى وإيفة دقيق فطيراً .. وخرج بها إليه .. وقدمها .. فمد ملاك الرب طرف العكاز الذى بيده ومس اللحم والفطير فصعدت نار من الصخرة وأكلت اللحم والفطير .. وذهب ملاك الرب عن عينيه . فرأى جدعون انه ملاك الرب فقال جدعون آه ياسيدى الرب ، لأنى قد رأيت ملاك الرب وجهاً لوجه . فقال له الرب السلام لك . لا تخف . لا تموت . فبنى جدعون هناك مذبحاً للرب ودعاه يهوه شلوم .. وصعد جدعون .. وأمسك ملكى مديان زبح وصلناع وأزعج كل الجيش » (القضاة ٦ : ١ — ٤ ، ٨ : ١٢) .

« وكان بعد موت جدعون أن بنى إسرائيل رجعوا وزنوا وراء البعليم ، وجعلوا لهم بعل بريت إلها . ولم يذكر بنو إسرائيل الرب إلههم الذى انقذهم من يد جميع اعدائهم .. فترأس أبيمالك على إسرائيل ثلاث سنين .. » (القضاة ٨ : ٣٣ - ٣٥ ، ٩ : ٢٢) .

« وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب وعبدوا البعليم والعشتاروث وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بنى عمون وآلهة الفلسطينيين ، وتركوا الرب ولم يعبدوه . فحمى غضب الرب على إسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بنى عمون .. فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب قائلين أخطأنا اليك .. فكان روح الرب على يفتاح .. ونذر يفتاح نذراً للرب قائلا إن دفعت بنى عمون ليدى فالخارج الذى يخرج من أبواب بيتى للقائى عند رجوعى بالسلامة من عند بنى عمون يكون للرب وأصعده محرقة . ثم عبر يفتاح إلى بنى عمون لمحاربتهم ، فدفعهم الرب ليده .. ثم أتى يفتاح إلى المصفاة إلى بيته ، وإذا بابنته خارجة للقائه بدفوف ورقص وهى وحيدة . لم يكن له ابن ولا ابنة غيرها . وكان لما رآها انه مزق ثيابه وقال آه يا بنتى قد أحزنتنى حزناً وصرت بين مكدرى لأنى قد فتحت فمى الى الرب ولا يمكننى الرجوع . فقالت له ياأبى هل فتحت فاك إلى الرب فافعل بى كما خرج من فيك ، بما ان الرب قد انتقم لك من أعدائك بنى عمون . ثم قالت لأبيها فليفعل لى هذا الأمر . اتركنى شهرين فأذهب وأنزل على الجبال وأبكى عذراويتى أنا وصاحباتى .. وكان عند نهاية الشهرين أنها رجعت إلى أبيها ففعل بها نذره الذى نذر .. فصارت عادة فى إسرائيل أن بنات إسرائيل يذهبن من سنة إلى سنة لينحن على بنت يفتاح الجلعادى أربعة أيام فى السنة » (القضاة ١٠ : ٦ و٧ و١٠ و٢٩ — ٤٠) .

« ثم عاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب ، فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة . . وكان رجل من صرعة ، من عشيرة الدانيين اسمه منوح ، وامرأته عاقر لم تلد ، فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها : ها أنت عاقر لم تلدى . ولكنك تحبلين وتلدين ابناً .. يكون نذيراً لله من البطن ، وهو يبدأ يخلص اسرائيل من يد الفلسطينيين .. فقال منوح لملاك الرب دعنا نعوقك ونعمل لك جدى معزى . فقال ملاك الرب لمنوح ولو عوقتنى لا آكل من خبزك ، وان عملت محرقة للرب أصعدها . لأن منوح لم يعلم انه ملاك الرب . فقال منوح لملاك الرب : ما اسمك ، حتى إذا

جاء ملاككك نكرمك؟ فقال له ملاك الرب لماذا تسأل عن اسمى وهو عجيب؟ فأخذ منوح جدى المعزى والتقدمة وأصعدهما على الصخرة للرب. فعمل عملا عجيباً ومنوح وامرأته ينظران. فكان عند صعود اللهيب عن المذبح نحو السماء أن ملاك الرب صعد فى لهيب المذبح ومنوح وامرأته ينظران، فسقطا على وجيهما الى الأرض.. فقال منوح لامرأته نموت موتا لأننا قد رأينا الله. فقالت له امرأته لو أراد الرب ان يميتنا لما أخذ من يدنا محرقة وتقدمة، ولما أرانا كل هذه، ولما كان فى مثل هذا الوقت أسمعنا مثل هذه. فولدت المرأة ابناً ودعت اسمه شمشون.. فكبر الصبى وباركه الرب» (القضاة ١٣ : ١ — ٢٥). وقد ظل شمشون يحارب الفلسطينيين حتى تمكنوا منه أخيراً وأسروه وفقأوا عينيه وكانوا يحتفلون بانتصارهم عليه فى معبد إلههم داجون. فجاءوا به ليسخروا منه .. «فدعا شمشون الرب وقال ياسيدى الرب اذكرنى وشددنى يا ألله هذه المرة فقط، فأنتقم نقمة واحدة عن عينى من الفلسطينيين. وقبض شمشون على العمودين المتوسطين اللذين كان البيت قائماً عليهما واستندعليهما الواحد بيمينه والآخر بيساره. وقال شمشون لتمت نفسى مع الفلسطينيين، وانحنى بقوة، فسقط البيت على الأقطاب وعلى كل الشعب الذى فيه. فكان الموتى الذين أماتهم فى موته اكثر من الذين أماتهم فى حياته» (القضاة ١٦ : ٢٨ — ٣٠).


«الإله داجون»

وفى أواخر عهد القضاة .. «كان رجل من رامتايم صوفيم من جبل أفرايم اسمه ألقانة .. وله امرأتان اسم الواحدة حنة واسم الأخرى فننه. وكان لفننة أولاد، وأما حنة فلم يكن لها أولاد. وكان هذا الرجل يصعد من مدينته من سنة إلى سنة ليسجد ويذبح لرب الجنود فى شيلوه (حيث كانت خيمة الاجتماع).. فقامت حنة.. فصلت إلى الرب.. ونذرت نذراً وقالت يارب الجنود إن نظرت نظرا إلى مذلة أمتك وذكرتنى ولم تنس أمتك، بل أعطيت أمتك زرع بشر، فإنى أعطيه للرب أيام حياته.. وكان فى مدار السنة أن حنة حبلت وولدت ابنا ودعت اسمه صموئيل. فصلت حنة وقالت: فرح قلبى بالرب.. لأنى قد ابتهجت بخلاصك. ليس قدوس مثل

رب . لأنه ليس غيرك وليس صخرة مثل إلهنا .. الرب إله عليم وبه توزن الأعمال ..
الرب يميت ويحيي .. الرب يفقر ويغني . يضع ويرفع . . يرفع الفقير من المزبلة
للجلوس مع الشرفاء . . لأن للرب أعمدة الأرض وقد وضع عليها المسكونة . .
المخاصمو الرب ينكسرون . من السماء يرعد عليهم . الرب يدين أقاصي الأرض . .
وكان الصبي (صموئيل) يخدم الرب أمام عالي الكاهن . وكان بنو عالي بني بليعال .
لم يعرفوا الرب ، ولا حق الكهنة من الشعب . كلما ذبح رجل ذبيحة يجيء غلام
الكاهن عند طبخ اللحم ومنشال ذو ثلاثة أسنان بيده . فيضرب في المرحضة أو
المرجل أو القدر . كل ما يصعد به المنشل يأخذه الكاهن لنفسه . هكذا كانوا يفعلون
جميع إسرائيل الآتين إلى هناك في شيلوه . . وشاخ عالي جداً وسمع بكل ما عمله
بنوه بجميع إسرائيل ، وبأنهم كانوا يضاجعون النساء المجتمعات في باب خيمة
الاجتماع . . وأما الصبي صموئيل فتزايد نمواً وصلاحاً لدى الرب والناس أيضا ..
وكانت كلمة الرب عزيزة في تلك الأيام . لم تكن رؤيا كثيرة . وكان في ذلك
الزمان إذ كان عالي مضطجعا في مكانه . . . وصموئيل مضطجع في هيكل الرب .. أن
الرب دعا صموئيل فقال ها أنذا وركض إلى عالي وقال : ها أنذا لأنك دعوتني .
فقال : لم أدع . . فذهب واضطجع . ثم عاد الرب ودعا أيضا صموئيل فقام
صموئيل وذهب إلى عالي وقال ها أنذا لأنك دعوتني . فقال لم أدع يا بني . . وعاد
الرب فدعا صموئيل ثالثة . فقام وذهب إلى عالي وقال : ها أنذا لأنك دعوتني .
ففهم عالي أن الرب يدعو الصبي . فقال عالي لصموئيل : اذهب اضطجع ، ويكون
إذا دعاك تقول تكلم يارب لأن عبدك سامع . فذهب صموئيل واضطجع في مكانه .
فجاء الرب ووقف ودعا كالمرات الأول : صموئيل صموئيل . فقال صموئيل : تكلم
يارب لأن عبدك سامع . فقال الرب لصموئيل : هوذا أنا فاعل أمرا في إسرائيل
كل من يسمع به تطن أذناه . في ذلك اليوم أقيم على عالي بما تكلمت به على بيته .
أبتدىء وأكمل . . وقد أخبرته بأني أقضي على بيته إلى الأبد من أجل الشر الذي
يعلم أن بنيه قد أوجبوا به اللعنة على أنفسهم .. وكبر صموئيل وكان الرب معه ..
وعرف جميع إسرائيل من دان إلى بئر سبع أنه قد أؤتمن صموئيل نبيا للرب . وعاد
الرب يتراءى في شيلوه لأن الرب استعلن لصموئيل في شيلوه بكلمة الرب » (صموئيل
الأول ١ — ٣) وهكذا كان صموئيل هو أول أنبياء اليهود بعد موسى النبي .

« وخرج إسرائيل للقاء الفلسطينيين للحرب .. فانكسر إسرائيل أمام الفلسطينيين .. وقال شيوخ إسرائيل لماذا كسرنا اليوم الرب أمام الفلسطينيين ؟ لنأخذ لأنفسنا من شيلوه تابوت عهد الرب فيدخل فى وسطنا ويخلصنا من يد أعدائنا . فأرسل الشعب إلى شيلوه وحملوا من هناك تابوت عهد رب الجنود الجالس على الكروبيم . وكان هناك ابنا عالى حفنى وفنحاس مع تابوت عهد الله .. فحارب الفلسطينيون وانكسر إسرائيل .. وكانت الضربة عظيمة جدا .. وأخذ تابوت الله ومات ابنا عالى وفينحاس .. فسمع عالى .. وكان لما ذكر تابوت الله أنه سقط على الكرسى إلى الوراء .. فانكسرت رقبته ومات .. فأخذ الفلسطينيون تابوت الله وأتوا به من حجر المعونة إلى أشدود .. وأخذ الفلسطينيون تابوت الله وأدخلوه إلى بيت داجون .. فثقلت يد الرب على الأشدوديين وأخربهم وضربهم بالبواسير ولما رأى أهل أشدود الأمر كذلك قالوا لا يمكث تابوت إله إسرائيل عندنا لأن يده قد قست علينا .. فأرسلوا تابوت الله إلى عقرون .. وكان تابوت الله فى بلاد الفلسطينيين سبعة أشهر .. ووضعوا تابوت الرب على العجلة .. وكان أهل بيت شمس يحصدون حصاد الحنطة فى الوادى فرفعوا أعينهم ورأوا التابوت وفرحوا برؤيته .. وضرب أهل بيت شمس لأنهم نظروا الى تابوت الرب .. وضرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين رجلا فناح الشعب .. وقال أهل بيت شمس من يقدر أن يقف أمام الرب الإله القدوس هذا .. وأرسلوا رسلا الى سكان قرية يعاريم قائلين قد رد الفلسطينيون تابوت الرب فانزلوا وأصعدوه إليكم .. فجاء أهل قرية يعاريم وأصعدوا تابوت الرب وأدخلوه الى بيت أبينا داب .. وكان من يوم جلوس التابوت فى قرية يعاريم أن المدة طالت وكانت عشرين سنة » (صموئيل الأول ٤ - ٧) .

« وناح كل بيت إسرائيل وراء الرب . وكلم صموئيل كل بيت إسرائيل قائلا إن كنتم بكل قلوبكم راجعين لى الرب فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروث من وسطكم ، وأعدوا قلوبكم للرب واعبدوه وحده فينقذكم من يد الفلسطينيين » (صموئيل الأول ٧ : ٢و٣) ..

وهكذا مضى عهد القضاة كله — طوال اربعمائة عام — ولم يكف اليهود عن عبادة الآلهة الوثنية على الرغم من تحذير أنبيائهم ، وعلى الرغم من كل ما أصابهم

وكل بيت إسرائيل يلعبون أمام الرب بكل أنواع الآلات من خشب السرو بالعيدان وبالرباب وبالدفوف وبالجنوك وبالصنوج . ولما انتهوا الى بيدر ناخون مد عزة يده الى تابوت الله وأمسكه لأن الثيران انشمصت . فحمى غضب الرب على عزة وضربه الله هناك لأجل غفله ، فمات هناك لدى تابوت الله . فاغتاظ داود لأن الرب اقتحم عزة اقتحاما . . وخاف داود من الرب فى ذلك اليوم وقال كيف يأتى إلى تابوت الرب . ولم يشأ داود أن ينقل تابوت الرب إليه ، إلى مدينة داود ، فمال به داود إلى بيت عوبيد أدوم الجتى ، وبقى تابوت الرب فى بيت عوبيد أدوم الجتى ثلاثة أشهر . . فأخبر داود الملك داود وقيل له قد بارك الرب بيت عوبيد أدوم وكل ماله بسبب تابوت الله ، فذهب داود وأصعد تابوت الله من بيت عوبيد أدوم إلى مدينة داود بفرح . وكان كلما خطا حاملو تابوت الرب ست خطوات يذبح ثوراً وعجلا معلوفاً . وكان داود يرقص بكل قوته أمام الرب . . ولما دخل تابوت الرب مدينة داود أشرفت (زوجته) ميكال بنت (الملك) شاول من الكوة ورأت الملك داود يطفر ويرقص أمام الرب فاحتقرته فى قلبها . فأدخلوا تابوت الرب وأوقفوه فى مكانه فى وسط الخيمة التى نصبها له داود وأصعد داود محرقات أمام الرب وذبائح سلامة . . فخرجت ميكال بنت شاول لاستقبال داود وقالت : ما كان أكرم ملك إسرائيل اليوم ، حيث تكشف اليوم فى أعين إماء عبيده كما يتكشف أحد السفهاء . فقال داود لميكال : إنما أمام الرب الذى اختارنى دون أبيك ودون كل بيته ليقيمنى رئيساً على شعب الرب إسرائيل . فلعبت أمام الرب . وإنى أتصاغر دون ذلك وأكون وضيعاً فى عينى نفسى . وأما عند الإماء التى ذكرت فأتمجد » (صموئيل الثانى ٦ : ٢ — ٢٣) .

« وكان لما سكن الملك (داود) فى بيته وأراحه الرب من كل الجهات ، من جميع أعدائه . أن الملك قال لناثان النبى : أنظر . أنى ساكن فى بيت من أرز ، وتابوت الله ساكن داخل الشقق . فقال ناثان للملك اذهب افعل كل ما بقلبك لأن الرب معك . وفى تلك الليلة كان كلام الرب إلى ناثان قائلا اذهب وقل لعبدى داود هكذا قال الرب . أأنت تبنى لى بيتاً لسكناى ، لأنى لم أسكن فى بيت منذ يوم أصعدت بنى إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم ، بل كنت أسير فى خيمة وفى مسكن . فى كل ما

سرت مع جميع بنى إسرائيل : هل تكلمت بكلمة إلى أحد قضاة إسرائيل الذين أمرتهم بأن يرعوا شعبى إسرائيل قائلا لماذا لم تبنوا لى بيتاً من الارز ؟ والآن فهكذا تقول لعبدى داود . هكذا قال رب الجنود . . متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته . هو يبنى بيتاً لاسمى . . فحسب جميع هذا الكلام وحسب هذه الرؤيا ، كذلك كلم ناثان داود » (صموئيل الثانى ٧ : ١ — ١٧) .

« وجمع داود كل رؤساء إسرائيل . . وقال اسمعونى يا إخوتى وشعبى . كان فى قلبى أن أبنى بيت قرار لتابوت عهد الرب ولموطىء قدمى إلهنا . وقد هيأت للبناء ولكن الله قال لى لاتبنى بيتا لاسمى لانك أنت رجل حروب وقد سفكت دماً . . ومن كل بنى . . اختار سليمان ابنى ليجلس على كرسى مملكة الرب ، على إسرائيل . وقال لى إن سليمان ابنك هو يبنى بيتى » (أخبار الايام الاول ٢٨ : ١ — ٨) .

« ولما قربت أيام وفاة داود أوصى سليمان ابنه قائلا : أنا ذاهب فى طريق الارض كلها . فتشدد وكن رجلا . احفظ شعائر الرب إلهك إذ تسير فى طرقه وتحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه وشهاداته . كما هو مكتوب فى شريعة موسى لكى تفلح فى كل ما تفعل وحيثما توجهت ، لكى يقيم الرب كلامه الذى تكلم به عنى قائلا إذا حفظ بنوك طريقهم وسلكوا أمامى بالامانة من كل قلوبهم وكل أنفسهم . قال لا يعدم لك رجل عن كرسى إسرائيل . . واضطجع داود مع آبائه ودفن فى مدينة داود .. وجلس سليمان على كرسى داود أبيه » (الملوك الاول ٢ : ١ — ١٢)

« وصاهر سليمان فرعون ملك مصر وأخذ بنت فرعون وأتى بها إلى مدينة داود إلى أن كمل بناء بيته وبيت الرب وسور أورشليم حواليها . إلا أن الشعب كانوا يذبحون فى المرتفعات . . وأحب سليمان الرب سائراً فى فرائض داود أبيه . إلا أنه كان يذبح ويوقد فى المرتفعات . وذهب الملك إلى جبعون ليذبح هناك ، لانها هى المرتفعة العظمى . وأصعد سليمان ألف محرقة على ذلك المذبح . فى جبعون تراءى الرب لسليمان فى حلم ليلا . وقال الله : اسأل ماذا أعطيك . فقال سليمان إنك قد فعلت مع عبدك داود أبى رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبر واستقامة قلب معك . فحفظت له هذه الرحمة العظيمة ، وأعطيته إبناً يجلس على كرسيه كهذا اليوم .

والآن أيها الرب إلهى أنت ملكت عبدك مكان داود أبى وأنا فتى صغير لا أعلم الخروج والدخول . وعبدك فى وسط شعبك الذى اخترته . شعب كثير لا يحصى ولا يعد من الكثرة . فأعط عبدك قلباً فهيماً لاحكم على شعبك وأميز بين الخير والشر ، لانه من يقدر أن يحكم على شعبك العظيم هذا ؟ لحسن الكلام فى عينى الرب لان سليمان سأل هذا الامر . فقال له الله : من أجل أنك قد سألت هذا الامر ولم تسأل لنفسك أياماً كثيرة . ولا سألت لنفسك غنى ولا سألت أنفس أعدائك بل سألت لنفسك تمييزاً لتفهم الحكم . هوذا قد فعلت حسب كلامك . هوذا أعطيتك قلباً حكيماً ومميزاً حتى أنه لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعدك نظير . وقد أعطيتك أيضاً مالم تسأله . غنى وكرامة حتى أنه لا يكون رجل مثلك فى الملوك كل أيامك . فان سلكت فى طريقى وحفظت فرائضى ووصاياى كما سلك داود أبوك فإنى أطيل أيامك . فاستيقظ سليمان وإذا هو حلم . وجاء إلى أورشليم ووقف أمام تابوت عهد الرب وأصعد محرقات وقرب ذبائح سلامة وعمل وليمة لكل عبيده » (الملوك الأول ٣ : ١ — ١٥) .

« وأرسل حيرام ملك صور عبيده إلى سليمان ، لانه سمع أنهم مسحوه ملكا مكان أبيه . لان حيرام كان محباً لداود كل الايام . فأرسل سليمان إلى حيرام يقول أنت تعلم داود أبى أنه لم يستطع أن يبنى بيتاً لاسم الرب إلهه بسبب الحروب التى أحاطت به . . والآن فقد أراحنى الرب إلهى من كل الجهات . . وها أنذا قائل على بناء بيت لاسم الرب إلهى ، كما كلم الرب داود أبى قائلا ابنك الذى أجعله مكانك على كرسيك هو يبنى البيت لاسمى . والآن فأمر أن يقطعوا لى أرزاً من لبنان . . وكان فى سنة الاربعمائة والثمانين لخروج بنى إسرائيل من أرض مصر فى السنة الرابعة للملك سليمان على إسرائيل فى شهر زيو وهو الشهر الثانى أنه بنى البيت للرب . . وكان كلام الرب إلى سليمان قائلا هذا البيت الذى أنت بانيه إن سلكت فى فرائضى وعملت أحكامى وحفظت كل وصاياى للسلوك بها فانى أقيم معك كلامى الذى تكلمت به إلى داود أبيك وأسكن فى وسط بنى إسرائيل ولا أترك شعبى إسرائيل . . وفى السنة الحادية عشرة فى شهر بول . وهو الشهر الثامن أكمل البيت فى جميع أموره وأحكامه . فبناه فى سبع سنين . . . حينئذ جمع سليمان شيوخ إسرائيل وكل رؤوس الاسباط رؤساء الآباء من بنى إسرائيل إلى الملك سليمان فى أورشليم

لإصعاد تابوت عهد الرب من مدينة داود . . وحمل الكهنة التابوت ، وأصعدوا تابوت الرب وخيمة الاجتماع مع جميع آنية القدس . . وأدخل الكهنة تابوت عهد الرب إلى مكانه فى محراب البيت فى قدس الأقداس إلى تحت جناحى الكروبيم . . لم يكن فى التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك فى حوريب . . وكان لما خرج الكهنة من القدس أن السحاب ملأ بيت الرب . ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب ، لأن مجد الرب ملأ بيت الرب . . حينئذ تكلم سليمان : قال الرب إنه يسكن فى الضباب . إنى قد بنيت لك بيت سكنى ، مكاناً لسكناك إلى الأبد . . أيها الرب إله إسرائيل ليس إله مثلك فى السماء من فوق ولا على الأرض من أسفل . حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم . . يا إله إسرائيل فليتحقق كلامك الذى كلمت به عبدك داود أبى ، لأنه هل يسكن الله حقاً على الأرض ؟ هوذا السماوات وسماء السماوات لا تسعك فكم بالأقل هذا البيت الذى بنيت . . لتكون عيناك مفتوحتين على هذا البيت ليلا ونهاراً على الموضع الذى قلت إن اسمى يكون فيه لتسمع الصلاة التى يصليها عبدك فى هذا الموضع . . إسمع أنت فى موضع سكناك فى السماء . وإذا سمعت فاغفر . . واقض بين عبيدك إذ تحكم على المذنب فتجعل طريقه على رأسه وتبرر البار إذ تعطيه حسب بره . . لأنك أنت وحدك قد عرفت قلوب كل بنى البشر . . ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر » (الملوك الأول ٥ — ٨) .

« وكان لما أكمل سليمان بناء بيت الرب . . أن الرب تراءى لسليمان ثانية كما تراءى له فى جبعون . وقال له الرب قد سمعت صلاتك وتضرعك الذى تضرعت به أمامى . قدست هذا البيت الذى بنيته لأجل وضع اسمى فيه إلى الأبد ، وتكون عيناى وقلبى هناك كل الأيام . وأنت إن سلكت أمامى كما سلك داود أبيك بسلامة قلب واستقامة وعملت حسب كل ما أوصيتك وحفظت فرائضى وأحكامى ، فإنى أقيم كرسى ملكك على إسرائيل إلى الأبد ، كما كلمت داود أباك قائلا لا يعدم لك رجل على كرسى إسرائيل . وإن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائى ولا تحفظون وصاياى . فرائضى التى جعلتها أمامكم ، بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها ، فإنى أقطع إسرائيل من وجه الأرض التى أعطيتهم إياها ، والبيت

الذى قدسته لاسمى أنفيه من أمامى . ويكون إسرائيل مثلا وهزأة فى جميع الشعوب . وهذا البيت يكون عبرة . كل من يمر عليه يتعجب ويصفر . ويقولون لماذا عمل الرب هكذا لهذه الارض ولهذا البيت ؟ فيقولون من أجل أنهم تركوا الرب إلههم الذى أخرج آباءهم من أرض مصر وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها . لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر » (الملوك الاول ٩ : ١ — ٩).

« وأحب سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون : موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات ، من الامم الذين قال عنهم الرب لبنى اسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لايدخلون إليكم لانهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة . وكانت له سبعمائة من النساء السيدات ، وثلاثمائة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه . وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى . ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتورت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم ولمولك رجس بنى عمون . وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن . فغضب الرب على سليمان لان قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين وأوصاه فى هذا الامر أن لا يتبع آلهة أخرى . فلم يحفظ ما أوصى به الرب . فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فانى أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك » . (الملوك الاول ١١ : ١ — ١١) .

« ويربعام بن نباط .. عبد لسليمان . . وكان فى ذلك الزمان لما خرج يربعام من أورشليم أنه لاقاه أخيا الشيلونى النبى فى الطريق وهو لابس رداء جديداً ... فقبض أخيا على الرداء الجديد الذى عليه ومزقه اثنتى عشرة قطعة . وقال ليربعام خذ لنفسك عشر قطع . لانه هكذا قال الرب إله إسرائيل ها أنذا أمزق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط . ويكون له سبط واحد .. لانهم تركونى وسجدوا لعشتورت إلهة الصيدونيين . ولكموش إله الموآبيين . ولملكوم إله بنى عمون . . وآخذك فتملك . . وتكون ملكا على إسرائيل » (الملوك الاول ١١ : ٢٦ — ٣٩).

« ثم اضطجع سليمان مع آبائه . . ولما سمع جميع إسرائيل أن يربعام قد رجع أرسلوه فدعوه ، وملكوه على جميع إسرائيل . . ولما جاء رحبعام (ابن سليمان) إلى أورشليم جميع كل بيت يهوذا وسبط بنيامين . . ليحاربوا بيت إسرائيل ويردوا المملكة لرحبعام بن سليمان . وكان كلام الله إلى شمعيا رجل الله قائلا : كلم رحبعام بن سليمان ملك يهوذا وكل بيت يهوذا وبنيامين وبقية الشعب قائلا هكذا قال الرب لا تصعدوا ولا تحاربوا إخوتكم بنى إسرائيل . . لأن من عندى هذا الأمر . فسمعوا لكلام الرب ورجعوا » (الملوك الأول ١١ : ٤٣ ، ١٢ : ١ — ٢٤) .

« وقال يربعام فى قلبه الآن ترجع المملكة إلى بيت داود . إن صعد هذا الشعب ليقربوا ذبائح فى بيت الرب فى أورشليم يرجع قلب هذا الشعب إلى سيدهم ، إلى رحبعام ملك يهوذا ويقتلونى ويرجعوا إلى رحبعام ملك يهوذا . فاستشار الملك وعمل عجلى ذهب وقال لهم كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم . هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر . ووضع واحداً فى بيت إيل وجعل الآخر فى دان . . وبنى بيت المرتفعات وصير كهنة من أطراف الشعب لم يكونوا من بنى لاوى . . وأصعد على المذبح . . وإذا برجل الله قد أتى من يهوذا بكلام الرب إلى بيت إيل ويربعام واقف لدى المذبح لكى يوقد . فنادى نحو المذبح بكلام الرب و ال . . هوذا المذبح ينشق . . فلما سمع الملك كلام رجل الله . . مد يربعام يده على المذبح قائلا أمسكوه ، فيبست يده التى مدها نحوه ولم يستطع أن يردها إليه ، وانشق المذبح . . فأجاب الملك وقال لرجل الله تضرع إلى وجه الرب إلهك وصل من أجلى فترجع يدى إلى . فتضرع رجل الله إلى وجه الرب فرجعت يد الملك إليه » (الملوك الأول ١٢ : ٢٦ — ٣٣ ، ١٣ : ١ — ٦) .

« وأما رحبعام بن سليمان فملك فى يهوذا . . وعمل يهوذا الشر فى عينى الرب وأغاروه أكثر من جميع ما عمل آباؤهم بخطاياهم . . وبنوا هم أيضاً مرتفعات وأنصاباً وسوارى على كل تل مرتفع ، وتحت كل شجرة خضراء . وكان أيضاً مأبونون فى الأرض ، فعلوا حسب كل أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل » (الملوك الأول ١٤ : ٢١ — ٢٤) .

«وفى السنة الثامنة عشرة للملك يربعام بن نباط ملك أبيام على يهوذا .. وسار فى جميع خطايا أبيه التى عملها قبله» (الملوك الاول ١٥ : ١ — ٣).

«وفى السنة العشرين ليربعام ملك إسرائيل ملك آسا على يهوذا .. وعمل آسا ما هو مستقيم فى عينى الرب .. وأزال المأبونين من الارض ونزع جميع الاصنام التى عملها آباؤه. حتى أن معكة أمه خلعها من أن تكون ملكة لأنها عملت تمثالا لسارية، وقطع آسا تمثالها وأحرقه فى وادى قدرون. وأما المرتفعات فلم تنزع .. وكانت حرب بين آسا وبعشا ملك إسرائيل .. وأخذ آسا جميع الفضة والذهب الباقية فى خزائن بيت الرب .. ودفعها ليد عبيده وأرسلهم الملك آسا، إلى بنهدد بن طريمود بن حزبون ملك آرام الساكن فى دمشق قائلا .. أنقض عهدك مع بعشا ملك إسرائيل فيصعد عنى» (الملوك الاول ١٥ : ٩ — ١٩)

«وملك ناداب بن يربعام على إسرائيل فى السنة الثانية لآسا ملك يهوذا .. وعمل الشر فى عينى الرب وسار فى طريق أبيه .. باغاظته التى أغاظ بها الرب إله إسرئيل» (الملوك الاول ١٥ : ٢٥ — ٣٣).

«وفى السنة الثالثة لآسا ملك يهوذا ملك بعشا بن أخيا على جميع إسرائيل .. وعمل الشر فى عينى الرب وسار فى طريق يربعام وفى خطيئته التى جعل بها إسرائيل يخطىء .. وكان كلام الرب إلى يا هو بن حنانى على بعشا قائلا من أجل أنى رفعتك من التراب وجعلتك رئيساً على شعبى إسرائيل فسرت فى طريق يربعام وجعلت شعبى إسرائيل يخطئون ويغيظوننى بخطاياهم. ها أنذا أنزع نسل بعشا ونسل بيته وأجعل بيتك كبيت يربعام بن نباط. فمن مات لبعشا فى المدينة تأكله الكلاب، ومن مات له فى الحقل تأكله طيور السماء»
(الملوك الاول ١٥ : ٣٣ و ٣٤، ١٦ : ١ — ٤).

«وفى السنة الواحدة والثلاثين لآسا ملك يهوذا ملك عمرى على إسرائيل .. وعمل وعمرى الشر فى عينى الرب وأساء أكثر من جميع الذين قبله .. وسار فى جميع طريق يربعام بن نباط وفى خطيته التى جعل بها إسرائيل يخطىء لإغاظة الرب إله إسرائيل بأباطيلهم» (الملوك الاول ١٦ : ٢٣ — ٢٦).

« وملك آخاب بن عمرى الشر على إسرائيل فى السامرة . . وعمل آخاب بن عمرى الشر فى عينى الرب أكثر من جميع الذين قبله . وكأنه وكان أمراً زهيداً سلوكه فى خطايا يربعام بن نباط حتى اتخذ إيزابيل بنة أثبعل ملك الصيدونيين إمرأة وسار وعبد البعل وسجد له وأقام مذبحاً للبعل فى بيت البعل الذى بناه فى السامرة . وعمل آخاب سوارى وزاد آخاب فى العمل لإغاظة الرب إله إسرائيل أكثر من جميع ملوك إسرائيل الذين كانوا قبله . . وقال (النبى) إيليا التشبى . . لآخاب حى هو الرب إله إسرائيل الذى وقفت أمامه أنه لا يكون ظل ولا مطر فى هذه السنين إلا عند قولى . . وكان بعد مدة من الزمان أن النهر يبس لأنه لم يكن مطر فى الأرض . وبعد أيام كثيرة كان كلام الرب إلى إيليا فى السنة الثالثة قائلا إذهب وتراء لآخاب فأعطى مطراً على وجه الأرض . فذهب إيليا ليتراءى لآخاب وكان الجوع شديداً فى السامرة . فدعا آخاب عوبديا الذى على البيت ، وكان عوبديا يخشى الرب جداً . وكان حينما قطعت إيزابيل أنبياء الرب (أى قتلتهم) أن عوبديا أخذ مائة نبى وخبأهم خمسين رجلا فى مغارة وعالهم بخبز وماء . وقال آخاب لعوبديا إذهب فى الأرض إلى جميع عيون الماء وإلى جميع الأودية لعلنا نجد عشباً فنحيي الخيل والبغال ولا نعدم البهائم كلها . . وفيما كان عوبديا فى الطريق إذا بإيليا قد لقيه . . فذهب عوبديا للقاء آخاب وأخبره فسار آخاب للقاء إيليا . . ولما رأى أخاب إيليا قال له آخاب أأنت هو مكدر إسرائيل ؟ فقال لم أكدر إسرائيل ، بل أنت وبيت أبيك بترككم وصايا الرب وبسيرك وراء البعليم . فالآن أرسل واجمع إلى كل إسرائيل إلى جبل الكرمل وأنبياء البعل الاربعمائة والخمسين ، وأنبياء السوارى الاربعمائة الذين يأكلون على مائدة إيزابيل ، فأرسل آخاب إلى جميع بنى إسرائيل وجمع الأنبياء إلى جبل الكرمل ، فتقدم إيليا إلى جميع الشعب وقال حتى متى تعرجون بين الفرقتين ؟ إن كان الرب هو الله فاتبعوه ، وان كان البعل فاتبعوه . . أنا بقيت نبياً للرب وحدى . وأنبياء البعل أربعمائة وخمسون رجلا، فليعطونا ثورين فيختاروا لأنفسهم ثوراً واحداً ويقطعوه ويضعوه على الحطب ولكن لا يضعوا ناراً . وأنا أقرب الثور الآخر وأجعله على الحطب ولكن أضع ناراً . ثم تدعون باسم آلهتكم وأنا أدعو باسم الرب، والإله الذى يجيب بنار فهو الله . . فأخذوا الثور الذى أعطى لهم وقربوه ودعوا باسم البعل من الصباح الى الظهر قائلين يابعل أجبنا . فلم

يكن صوت ولا مجيب . وكانوا يرقصون حول المذبح الذى عمل . وعند الظهر سخر بهم ايليا وقال ادعوا بصوت عال لأنه إله ، لعله مستغرق أو فى خلوة أو فى سفر ، أو لعله نائم فيتنبه ، فصرخوا بصوت عال وتقطعوا حسب عادتهم بالسيوف والرماح حتى سال منهم الدم .. ولم يكن صوت ولا مجيب . . قال إيليا لجميع الشعب تقدموا الى ، فتقدم جميع الشعب إليه ، فرمم مذبح الرب المتهدم ، ثم أخذ إيليا اثنى عشر حجراً بعدد أسباط بنى يعقوب الذى كان كلام الرب إليه قائلا إسرائيل يكون إسمك . . ثم رتب الحطب وقطع الثور ووضعه على الحطب .. وكان عند إصعاد التقدمة أن إيليا النبى تقدم وقال أيها الرب إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ليعلم اليوم أنك أنت الله فى إسرائيل وأنى أنا عبدك وبأمرك فعلت كل هذه الامور . استجبنى يارب استجبنى ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله . . فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب . . فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا الرب هو الله ، الرب هو الله . فقال لهم إيليا أمسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل . فأمسكوهم ، فنزل بهم إيليا إلى نهر قيشون وذبحهم هناك . . وكان من هنا إلى هنا أن السماء اسودت من الغيم والريح وكان مطر عظيم . . وأخبر آخاب إيزابيل بكل ما عمل إيليا وكيف أنه قتل جميع الأنبياء بالسيف . فأرسلت إيزابيل رسولا إلى إيليا تقول هكذا تفعل الآلهة وهكذا تزيد ان لم أجعل نفسك كنفس واحد منهم فى نحو هذا الوقت غداً . . فلما رأى ذلك قام ومضى . وأتى إلى بئر سبع . . ثم سار فى البرية مسيرة يوم حتى أتى وجلس تحت رتمة . . واضجع ونام . . وإذا بملاك الرب قد مسه وقال قم وكل ، فتطلع وإذا كعكة رضف وكوز ماء عند رأسه . فأكل وشرب . ثم رجع فاضطجع . ثم عاد ملاك الرب ثانية فمسه وقال قم وكل لأن المسافة كثيرة عليك . فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة أربعين نهاراً وأربعين ليلة إلى جبل الله حوريب ودخل هناك المغارة بات فيها . . وكان كلام الرب إليه يقول له مالك ههنا ياإيليا . فقال قد غرت غيرة للرب اله الجنود ، لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها . فقال اخرج وقف على الجبل أمام الرب . وإذا بالرب عابر وريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور أمام الرب ولم يكن الرب فى الريح . وبعد الريح زلزلة

ولم يكن الرب فى الزلزلة . وبعد الزلزلة نار ولم يكن الرب فى النار . وبعد النار صوت منخفض خفيف . فلما سمع إيليا لف وجهه بردائه وخرج ووقف فى باب المغارة . وإذا بصوت إليه يقول مالك ههنا يا إيليا ؟ فقال غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها . فقال له الرب إذهب راجعاً فى طريقك إلى برية دمشق وادخل وامسح حزائيل ملكا على آرام . وامسح ياهو بن نمشى ملكا على إسرائيل . وامسح أليشع بن شافاط من آبل محولة نبياً عوضاً عنك عنك . فالذى ينجو من سيف حزائيل يقتله ياهو . والذى ينجو من سيف ياهو يقتله أليشع . وقد أبقيت فى إسرائيل سبعة آلاف . كل الركب التى لم تجث للبعل وكل فم لم يقبله . . فذهب من هناك . ووجد أليشع بن شافاط يحرث . فمر إيليا به وطرح رداءه عليه . . ومضى وراء إيليا وكان يخدمه . . ولم يكن كآخاب الذى باع نفسه لعمل الشر فى عينى الرب . الذى أغوته إيزابيل إمرأته . ورجس جداً بذهابه وراء الأصنام حسب كل ما فعل الأموريون الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل » (الملوك الأول ١٩ : ١١ — ٢١) .

« وملك يهوشافاط بن آسا على يهوذا فى السنة الرابعة لآخاب ملك إسرائيل . . وسار فى كل طريق آسا أبيه . . إذ عمل المستقيم فى عينى الرب . إلا أن المرتفعات لم تنتزع . بل كان الشعب لا يزال يذبح ويوقد على المرتفعات » (الملوك الأول ٢٢ : ٤١ — ٤٣) .

و « أخزيا بن آخاب ملك على إسرائيل فى السامرة فى السنة السابعة عشرة ليهوشافاط ملك يهوذا . . وعمل الشر فى عينى الرب وسار فى طريق أبيه وطريق أمه وطريق يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطىء وعبد البعل سجد له وأغاظ الرب إله إسرائيل حسب كل ما فعله أبوه .. وسقط أخزيا من الكوة التى فى عليته التى فى السامرة فمرض وأرسل رسلا وقال لهم اسألوا بعل زبوب إله عقرون إن كنت أبرأ من هذا المرض . فقال ملاك الرب لإيليا التشبي قم اصعد للقاء رسل ملك السامرة وقل لهم أليس لأنه لا يوجد فى إسرائيل إله تذهبون لتسألوا بعل زبوب إله عقرون ؟ فلذلك هكذا قال الرب إن السرير الذى صعدت عليه لا تنزل عنه بل

موتا تموت . . فمات حسب كلام الرب » (الملوك الأول ٢٢ : ٥١ — ٥٣ والملوك الثانى ١ : ١ — ١٨) .

«وكان عند إصعاد إيليا فى العاصفة إلى السماء أن إيليا وأليشع ذهبا من الجلجال .. ونزلا إلى بيت إيل . . وأتيا إلى أريحا . . ثم قال له إيليا امكث هنا لأن الرب قد أرسلنى إلى الأردن . فقال حى هو الرب وحية هى نفسك إنى لا أتركك . وانطلقا كلاهما . . وأخذ إيليا رداءه ولفه وضرب الماء فانفلق إلى هنا وهناك فعبرا كلاهما فى اليبس . ولما عبرا قال إيليا لأليشع اطلب ماذا أفعل لك قبل أن أؤخذ منك ؟ فقال أليشع ليكن نصيب اثنين من روحك على . . وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما . فصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء » (الملوك الثانى ٢ : ١ — ١١) .

« وملك يهورام بن آخاب على إسرائيل فى السامرة فى السنة الثامنة عشرة ليهوشافاط ملك يهوذا . . وعمل الشر فى عينى الرب . ولكن ليس كأبيه وأمه . فانه أزال تمثال البعل الذى عمله أبوه . إلا أنه لصق بخطايا يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطىء لم يحد عنها . . وخرج الملك يهورام . . وأرسل يهوشافاط ملك يهوذا يقول قد عصى على ملك موآب . فهل تذهب معى إلى موآب للحرب ؟ فقال أصعد . . ولم يكن ماء للجيش والبهائم . . فقال يهوشافاط أليس هنا نبى للرب فنسأل الرب به ؟ فأجاب واحد من عبيد ملك إسرائيل وقال : هنا أليشع بن شافاط .. إفنزل ملك إسرائيل ويهوشافاط وملك أدوم . فقال أليشع لملك إسرائيل مالى ولك . اذهب إلى أنبياء أبيك وإلى أنبياء أمك . . حى هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه أنه لولا أنى رافع وجه يهو شافاط ملك يهوذا لما كنت أنظر إليك ولا أراك . والآن فأتونى بعواد . ولما ضرب العواد بالعود كانت عليه يد الرب . فقال هكذا قال الرب . . لا ترون ريحاً ولا ترون مطراً . وهذا الوادى يمتلىء ماء فتشربون أنتم وماشيتكم وبهائمكم . وذلك يسير فى عينى الرب فيدفع موآب إلى أيديكم . . وفى الصباح عند إصعاد التقدمة إذا مياه آتية عن طريق أدوم فامتلأت الأرض ماء . . فقام اسرائيل وضربوا الموآبيين فهربوا من أمامهم » (الملوك الثانى ٣ : ١ — ٢٧)

« وفى السنة الخامسة ليورام بن آخاب ملك إسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا ملك يهورام بن يهوشافاط ملك يهوذا . . وسار فى طريق ملوك إسرائيل كما فعل بيت آخاب لأن بنت آخاب كانت له امرأة . وعمل الشر فى عينى الرب » (الملوك الثانى ٨ : ١٦ — ١٨) .

« وفى السنة الثانية عشرة ليورام بن آخاب ملك إسرائيل ملك أخزيا بن يهورلم ملك يهوذا . . وسار فى طريق بيت آخاب وعمل الشر فى عينى الرب كبيت آخاب لانه كان صهر بيت آخاب . . ودعا أليشع النبي واحداً من بنى الانبياء وقال له شد حقويك وخذ قنينة الدهن هذه بيدك واذهب إلى راموت جلعاد . . فانظر هناك ياهو بن يهو شافاط . . ثم خذ قنينة الدهن وصب على رأسه وقل هكذا قال الرب قد مسحتك ملكا على إسرائيل . . فانطلق . . فقال لى كلام معك يا قائد . . فقام ودخل البيت فصب الدهن على رأسه وقال له هكذا قال الرب إله إسرائيل قد مسحتك ملكا على شعب الرب إسرائيل . فتضرب بيت آخاب سيدك وانتقم لدماء عبيدى الانبياء ودماء جميع عبيد الرب من يد إيزابيل . فيبيد كل بيت آخاب . . وأجعل بيت آخاب كبيت يربعام بن نباط وكبيت بعشا بن أخيا وتأكل الكلاب إيزابيل.. وليس من يدفنها » (الملوك الثانى ٨ : ٢٥ — ٢٩ ، ٩ : ١ — ٣٧) .

وقد قتل ياهو كل بيت آخاب واغتصب العرش . . « ثم جمع ياهو كل الشعب وقال لهم إن آخاب قد عبد البعل قليلا وأما ياهو فانه يعبده كثيراً . والآن فادعوا إلى جميع أنبياء البعل وكل عابديه وكل كهنته .. لان لى ذبيحة عظيمة للبعل.. وأرسل ياهو فى كل إسرائيل فأتى جميع عبدة البعل ولم يبق أحد إلا أتى ودخلوا بيت البعل . . وأما ياهو فأقام خارجاً ثمانين رجلا وقال الرجل الذى ينجو من الرجال الذين أتيت بهم إل أيديكم تكون أنفسكم بدل نفسه . . فضربوهم بحد السيف . . وأخرجوا تماثيل بيت البعل وأحرقوها . وكسروا تمثال البعل وهدموا بيت البعل وجعلوه مزبلة . . واستأصل ياهو البعل من إسرائيل . ولكن خطايا يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطىء لم يحد ياهو عنها ، أى عجول الذهب التى فى بيت إيل والتى فى دان » (الملوك الثانى ١٠ : ١٨ — ٣٦) .

ولما مات أخزيا ملك يهوذا أخذ يهويا داع الكاهن يهواش بن أخزيا ومسحه ملكا . . « وقطع يهوياداع عهداً بين الرب وبين الملك والشعب ليكون شعبا للرب.. ودخل جميع شعب الارض إلى بيت البعل وهدموا مذابحه وكسروا تماثيله تماماً وقتلوا متان كاهن البعل أمام المذبح . . وعمل يهواش ما هو مستقيم فى عينى الرب كل أيامه التي فيها علمه يهويا داع الكاهن . . إلا أن المرتفعات لم تنزع. بل كان الشعب

لا يزالون يذبحون ويوقدون على المرتفعات . . وبعد موت يهويا داع جاء رؤساء يهوذا وسجدوا للملك . حينئذ سمع الملك لهم . وتركوا بيت الرب إله آبائهم وعبدوا السوارى والأصنام . فكان غضب على يهوذا وأورشليم لأجل إثمهم هذا . وأرسل إليهم أنبياء لإرجاعهم إلى الرب وأشهدوا عليهم فلم يصغوا . ولبس روح الله زكريا بن يهويا داع الكاهن فوقف فوق الشعب وقال لهم هكذا يقول الله : لماذا تتعدون وصايا الرب فلا تفلحون . لأنكم قد تركتم الرب قد ترككم الرب . ففتنوا عليه ورجموه بحجارة بأمر الملك فى دار بيت الرب . ولم يذكر يهواش الملك المعروف الذى عمله يهويا داع أبوه معه . بل قتل ابنه . . وفى مدار السنة فتن عليه عبيده . . وقتلوه على سريره » (أخبار الأيام الثانى ١١ : ١٧ — ٢١ ، ٢٤ : ١٧ — ٢٥) .

« وفى السنة الثالثة والعشرين ليهواش بن أخزيا ملك يهوذا ، ملك يهواحاز بن ياهو على إسرائيل . . وعمل الشر فى عينى الرب وسار وراء خطايا يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطىء . لم يحد عنها . فحمى غضب الرب على إسرائيل فدفعهم ليد حزائيل ملك آرام وليد بنهدد بن حزائيل كل الأيام . وتضرع يهواحاز إلى وجه الرب فسمع له الرب لأنه رأى ضيق إسرائيل . . وأعطى الرب إسرائيل مخلصاً فخرجوا من تحت الآراميين . . ولكنهم لم يحيدوا عن خطايا بيت يربعام الذى جعل إسرائيل يخطىء ، بل ساروا بها ، ووقفت السارية أيضاً فى السامرة . . ثم اضطجع يهواحاز مع آبائه » (الملوك الثانى ١٣ : ١ — ٩) .

و « فى السنة السابعة والثلاثين ليهواش ملك يهوذا ملك يهواش بن يهواحاز على إسرائيل فى السامرة . . وعمل الشر فى عينى الرب . ولم يحد عن جميع خطايا يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطىء ، بل سار بها . . ثم اضطجع يهواش مع آبائه » . (الملوك الثانى ١٣ : ١٠ — ١٣) .

و « فى السنة الثانية ليهواش بن يواحاز ملك إسرائيل ملك أمصيا بن يهواش ملك يهوذا . . وعمل ما هو مستقيم فى عينى الرب . . إلا أن المرتفعات لم تنتزع . بل كان الشعب لا يزالون يذبحون ويوقدون على المرتفعات . . وفتنوا عليه فتنة

فى أورشليم فهرب إلى لخيش فأرسلوا وراءه إلى لخيش وقتلوه هناك » (الملوك الثانى ١٤ : ١ — ٢٢).

« وفى السنة الخامسة عشرة لأمصيا بن يوآش ملك يهوذا ملك يربعام بن يهواش ملك إسرائيل فى السامرة . . وعمل الشر فى عينى الرب . لم يحد عن شىء من خطايا يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطىء . . ثم اضطجع يربعام مع آبائه » (الملوك الثانى ١٤ : ٢٣ — ٢٩).

« وفى السنة السابعة والعشرين ليربعام ملك إسرائيل ملك عزريا بن أمصيا ملك يهوذا . . وعمل ما هو مستقيم فى عينى الرب حسب كل ما عمل أمصيا أبوه ، ولكن المرتفعات لم تنتزع ، بل كان الشعب لا يزالون يذبحون ويوقدون على المرتفعات . . ثم اضطجع عزريا مع آبائه » (الملوك الثانى ١٥ : ١ — ٧).

« وفى السنة الثامنة والثلاثين لعزريا ملك يهوذا ملك زكريا بن يربعام على إسرائيل فى السامرة . . وعمل الشر فى عينى الرب كما عمل آباؤه ، لم يحد من خطايا يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطىء . ففتن عليه شلوم بن يابيش . . فقتله وملك عوضاً عنه » (الملوك الثانى ١٥ : ٨ — ١٢).

« وفى السنة التاسعة والثلاثين لعزريا ملك يهوذا ملك منحيم بن جادى على إسرائيل فى السامرة .. وعمل الشر فى عينى الرب . لم يحد عن خطايا يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطىء كل أيامه . . ثم اضطجع منحيم مع آبائه » (الملوك الثانى ١٥ : ١٧ — ٢٢).

« وفى السنة الخمسين لعزريا ملك يهوذا ملك فقحيا بن منحيم على إسرائيل فى السامرة . . وعمل الشر فى عينى الرب . لم يحد عن خطايا يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطىء .. ففتن عليه فقح بن رمليا .. قتله وملك عوضاً عنه » (الملوك الثانى ١٥ : ٢٣ — ٢٦).

و « فى السنة الثانية والخمسين لعزريا ملك يهوذا ملك فقح بن رمليا على إسرائيل فى السامرة ..وعمل الشر فى عينى الرب . لم يحد عن خطايا يربعام بن نباط الذى

جعل إسرائيل يخطىء .. وفتن هوشع بن إيلة على فقح بن رمليا .. فقتله وملك عوضاً عنه » (الملوك الثانى ١٥ : ٢٧ — ٣٠)

و « فى السنة الثانية لفقح بن رمليا ملك إسرائيل ملك يوثام بن عزيا ملك يهوذا .. وعمل ما هو مستقيم فى عينى الرب . عمل حسب كل ما عمل عزيا أبوه . إلا أن المرتفعات لم تنتزع . بل كان الشعب لا يزالون يذبحون ويوقدون على المرتفعات .. واضطجع يوثام مع آبائه » (الملوك ١٥ : ٣٢ — ٣٨)

و « فى السنة السابعة عشرة لفقح بن رمليا ملك آحاز بن يوثام ملك يهوذا .. ولم يعمل المستقيم فى عينى الرب .. بل سار فى طريق ملوك إسرائيل حتى أنه عبر ابنه فى النار حسب أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل ، وذبح وأوقد على المرتفعات وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء .. حينئذ صعد رصين ملك آرام وفقح بن رمليا ملك إسرائيل إلى أورشليم للمحاربة .. وأرسل آحاز رسلا إلى تغلث فلاسر ملك آشور قائلا أنا عبدك .. اصعد وخلصنى .. فأخذ آحاز الفضة والذهب الموجودة فى بيت الرب .. وأرسلها إلى ملك آشور هدية ، فسمع له ملك آشور ، وصعد ملك آشور إلى دمشق وأخذها .. وسار الملك آحاز للقاء تغلث فلاسر ملك آشور إلى دمشق . ورأى المذبح الذى فى دمشق وأرسل الملك آحاز إلى أوريا الكاهن شبه المذبح وشكله حسب كل صناعته ، فبنى أوريا الكاهن مذبحاً حسب كل ما أرسل الملك آحاز من دمشق .. فلما قدم الملك من دمشق ، رأى الملك المذبح .. وأصعد عليه وأوقد محرقته وتقدمته » (الملوك الثانى ١٦ : ١ — ٢٠)

و « فى السنة الثانية عشرة لآحاز ملك يهوذا ملك هوشع بن إيله فى السامرة على إسرائيل .. وعمل الشر فى عينى الرب .. فى السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك آشور (شلمناصر) السامرة ، وسبى إسرائيل إلى آشور » (الملوك الثانى ١٧ : ١ — ٦)

« وفى السنة الثالثة لهوشع بن إيلة ملك إسرائيل ملك حزقيا بن آحاز ملك يهوذا .. وعمل المستقيم فى عينى الرب .. أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السوارى وسحق حية النحاس التى عملها موسى ، لأن بنى إسرائيل كانوا فى ملك

الأيام يوقدون لها (أى عبدوها كما كانوا يعبدون الأصنام) ودعوها نحشتان .. على إله إسرائيل اتكل وبعده لم يكن مثله فى جميع ملوك يهوذا ولا فى الذين كانوا قبله ، والتصق بالرب ولم يحد عنه ، بل حفظ وصاياه التى أمر بها الرب موسى . وكان الرب معه ، وحيثما كان يخرج كان ينجح ، وعصى على ملك آشور ولم يتعبد له .. وسبى ملك آشور إسرائيل إلى آشور .. لأنهم لم يسمعوا لصوت الرب إلههم ، بل تجاوزوا عهده وكل ما أمر به موسى عبد الرب فلم يسمعوا ولم يعملوا .. وفى السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا صعد سنحاريب ملك آشور على جميع مدن يهوذا الحصينة وأخذها .. فى ذلك الزمان قشر حزقيا الذهب من أبواب هيكل الرب والدعائم التى كان قد غشاها حزقيا ملك يهوذا ودفعه لملك آشور .. فى تلك الأيام مرض حزقيا للموت فجاء إليه إشعياء بن آموص النبى وقال له هكذا قال الرب أوص بيتك لأنك تموت ولا تعيش ، فوجه وجهه إلى الحائط وصلى إلى الرب قائلا آه يارب اذكر كيف سرت أمامك بالأمانة وبقلب سليم وفعلت الحسن فى عينيك . وبكى حزقيا بكاء عظيماً ولم يخرج إشعياء إلى المدينة الوسطى حتى كان كلام الرب إليه قائلا ارجع وقل لحزقيا رئيس شعبى هكذا قال الرب إله داود أبيك ، قد سمعت صلاتك قد رأيت دموعك ، ها أنذا أشفيك ، فى اليوم الثالث تصعد إلى بيت الرب . وأزيد على أيامك خمس عشرة سنة وأنقذك من يد ملك آشور مع هذه المدينة وأحامى عن هذه المدينة من أجل نفسى ، ومن أجل داود عبدى ، فقال إشعياء خذوا قرص تين ، فأخذوها ووضعوها على الدبل فبرىء ، وقال حزقيا لإشعياء ما العلامة أن الرب يشفينى .. فقال إشعياء هذه لك علامة من قبل الرب على أن الرب يفعل الأمر الذى تكلم به . هل يسير الظل عشر درجات أو يرجع عشر درجات ؟ فقال حزقيا إنه يسير على الظل أن يمتد عشر درجات . لا بل يرجع الظل إلى الوراء عشر درجات . فدعا أشعياء النبى الرب فأرجع الظل بالدرجات التى نزل بها بدرجات آحاز عشر درجات إلى الوراء .. ثم اضطجع حزقيا مع آبائه وملك منسى ابنه عوضاً عنه » (الملوك الثانى ١٨ — ٢٠)

و « كان منسى ابن اثنتى عشرة سنة حين ملك . . وعمل الشر فى عينى الرب حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل . وعاد فبنى المرتفعات التى أبادها حزقيا أبوه وأقام مذابح للبعل وعمل سارية كما عمل آخاب

ملك إسرائيل وسجد لكل جند السماء وعبدها . وبنى مذابح فى بيت الرب الذى قال الرب عنه فى أورشليم أضع اسمى ، وبنى مذابح لكل جند السماء فى دارى بيت الرب، وعبر ابنه فى النار ، وعاف وتفاءل واستخدم جاناً وتوابع وأكثر عمل الشر فى عينى الرب لإغاظته ، ووضع تمثال السارية التى عمل فى البيت الذى قال الرب عنه لداود وسليمان ابنه فى هذا البيت وفى أورشليم التى اخترت من جميع أسباط إسرائيل أضع اسمى إلى الأبد . . وذلك إذا حفظوا وعملوا حسب كل ما أوصيتهم به وكل الشريعة التى أمرهم بها عبدى موسى ، فلم يسمعوا ، بل أضلهم منسى ليعملوا ما هو أقبح من الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل . وتكلم الرب عن يد عبيده الأنبياء قائلا : من أجل أن منسى ملك يهوذا قد عمل هذه الأرجاس وأساء أكثر من جميع الذى عمله الأموريون الذين قبله ، وجعل أيضاً يهوذا يخطىء بأصنامه . لذلك هكذا قال الرب إله إسرائيل : ها أنذا جالب شراً على أورشليم ويهوذا حتى أن كل من يسمع به تطن أذناه . . وأمسح أورشليم كما يمسح واحد صحناً . يمسحه ويقلبه على وجهه . وأرفض بقية ميراثى وأدفعهم إلى أيدى أعدائهم فيكونون غنيمة ونهباً لجميع أعدائهم ، لأنهم عملوا الشر فى عينى وصاروا يغيظوننى من اليوم الذى فيه خرج آباؤهم من مصر إلى هذا اليوم . . ثم اضطجع منسى مع آبائه . . وملك آمون ابنه عوضاً عنه » (الملوك الثانى ٢١ : ١ — ١٨) .

« كان آمون ابن اثنين وعشرين سنة حين ملك . . وعمل الشر فى عينى الرب كما عمل منسى أبوه ، وسلك فى الطريق الذى سلك فيه أبوه وعبد الأصنام التى عبدها أبوه وسجد لها وترك الرب إله آبائه ولم يسلك فى طريق الرب . وفتن عبيد آمون عليه فقتلوا الملك فى بيته . . وملك يوشيا عوضاً عنه » (الملوك الثانى ٢١ : ١٩ — ٢٣) .

« كان يوشيا ابن ثمانى سنين حين ملك ، وملك إحدى وثلاثين سنة فى أورشليم . . وعمل المستقيم فى عينى الرب . . وفى السنة الثامنة عشرة للملك يوشيا أرسل الملك شافان بن أصليا . . قائلا اصعد إلى حلقيا الكاهن العظيم فيحسب الفضة المدخلة إلى بيت الرب . . فيدفعوها ليد عاملى الشغل الموكلين ببيت الرب . . لأجل ترميم البيت . . فقال حلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب قد وجدت سفر

الشريعة فى بيت الرب .. وأخبر شافان الكاتب الملك قائلا قد أعطانى حلقيا الكاهن سفراً وقرأه شافان أمام الملك . فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه . وأمر الملك حلقيا الكاهن وأخيقام بن شافان وعكبور بن ميخا وشافان الكاتب وعسايا عبد الملك قائلا اذهبوا إسألوا الرب لأجلى ولأجل الشعب ولأجل كل يهوذا من جهة كلام هذا السفر الذى وجد لأنه عظيم هو غضب الرب الذى اشتعل علينا من أجل أن آباءنا لم يسمعوا لكلام هذا السفر ليعملوا حسب كل ما هو مكتوب علينا ، فذهب حلقيا الكاهن وأخيقام وعكبور وشافان وعسايا إلى خلدة النبية .. وهى ساكنة فى أورشليم .. وكلموها فقالت لهم هكذا قال الرب إله إسرائيل . قولوا للرجل الذى أرسلكم إلى . هكذا قال الرب ها أنذا جالب شراً على هذا الموضع وعلى سكانه . كل كلام السفر الذى قرأه ملك يهوذا ، من أجل أنهم تركونى وأوقدوا لآلهة أخرى لكى يغيظونى بكل عمل أيديهم فيشتعل غضبى على هذا الموضع ولا ينطفىء .. وأرسل الملك فجمعوا إليه كل شيوخ يهوذا وأورشليم ، وصعد الملك إلى بيت الرب وجميع رجال يهوذا وكل سكان أورشليم معه والكهنة والأنبياء وكل الشعب من الصغير إلى الكبير وقرأ فى آذانهم كل كلام سفر الشريعة الذى وجد فى بيت الرب . ووقف الملك على المنبر وقطع عهداً أمام الرب للذهاب وراء الرب ولحفظ وصاياه وشهاداته وفرائضه بكل القلب وكل النفس ، لإقامة كلام هذا العهد المكتوب فى هذا السفر ووقف جميع الشعب عند العهد . وأمر الملك حلقيا الكاهن العظيم وكهنة الفرقة الثانية وحراس الباب أن يخرجوا من هيكل الرب جميع الآنية المصنوعة للبعل وللسارية ولكل أجناد السماء وأحرقها خارج أورشليم فى حقول قدرون وحمل رمادها إلى بيت إيل ، ولاشى كهنة الأصنام الذين جعلهم ملوك يهوذا ليوقدوا على المرتفعات فى مدن يهوذا وما يحيط بأورشليم والذين يوقدون للبعل ، للشمس والقمر والمنازل ولكل أجناد السماء ، وأخرج السارية من بيت الرب خارج أورشليم إلى وادى قدرون وأحرقها فى وادى قدرون ودقها إلى أن صارت غباراً وذرى الغبار على قبور عامة الشعب . وهدم بيوت المأبونين التى عند بيت الرب حيث كانت النساء ينسجن بيوتاً للسارية . وجاء بجميع الكهنة من مدن يهوذا ونجس المرتفعات حيث

كان الكهنة يوقدون من جبع إلى بئر سبع ، وهدم مرتفعات الأبواب التى عند مدخل باب يشوع رئيس المدينة .. إلا أن كهنة المرتفعات لم يصعـــدوا إلى مذبح الرب فى أورشليم ، بل أكلوا فطيراً بين إخوتهم . ونجس توفة التى فى وادى بنى هنوم لكى لا يعبر أحد ابنه أو ابنته فى النار لمولك ، وأباد الخيل التى أعطاها ملوك يهوذا للشمس عند مدخل بيت الرب .. ومركبات الشمس أحرقها بالنار ، والمذابح التى على سطح علية آحاز التى عملها ملوك يهوذا والمذابح التى عملها منسى فى دارى بيت الرب هدمها الملك وركض من هناك وذرى غبارها فى وادى قدرون . والمرتفعات التى قبالة أورشليم التى عن يمين جبل الهلاك التى بناها سليمان ملك إسرائيل لعشتورث رجاسة الصيدونيين ولكموش رجاسة الموآبيين ولملكوم كراهة بنى عمون نجسها الملك ، وكسر التماثيل ، وقطع السوارى وملأ مكانها من عظام الناس وكذلك المذبح الذى فى بيت إيل فى المرتفعات التى عملها يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطىء ، فذانك المذبح والمرتفعة هدمهما وأحرق المرتفعة وسحقها حتى صارت غباراً وأحرق السارية .. والتفت يوشيا فرأى القبور التى هناك فى الجبل فأرسل وأخذ العظام من القبور وأحرقها على المذبح ونجسه حسب كلام الرب الذى نادى به رجل الله الذى نادى بهذا الكلام .. وكذا جميع بيوت المرتفعات التى فى مدن السامرة التى عملها ملوك إسرائيل للإغاظة أزالها يوشيا وعمل بها حسب جميع الأعمال التى عملها فى بيت إيل . وذبح جميع كهنة المرتفعات التى هناك على المذابح وأحرق عظام الناس عليها ثم رجع إلى أورشليم . وأمر الملك جميع الشعب قائلا اعملوا فصحاً للرب إلهكم كما هو مكتوب فى سفر العهد هذا . إنه لم يعمل مثل هذا الفصح منذ أيام القضاة الذين حكموا على إسرائيل ولا فى كل أيام ملوك إسرائيل وملوك يهوذا . ولكن فى السنة الثامنة عشرة للملك يوشيا عمل هذا الفصح للرب فى أورشليم . وكذلك السحرة والعرافون والترافيم والأصنام وجميع الرجاسات التى رئيت فى أرض يهوذا وفى أورشليم أبادها يوشيا ليقيم كلام الشريعة المكتوب فى السفر الذى وجده حلقيا الكاهن فى بيت الرب . ولم يكن قبله ملك مثله قد رجع إلى الرب بكل قلبه وكل نفسه وكل قوته حسب كل شريعة موسى وبعده لم يقم مثله . ولكن الرب لم يرجع عن حمو غضبه العظيم لأن غضبه حمى على يهوذا من أجل

جميع الإغاظات التى أغاظه إياها منسى . فقال الرب إنى أنزع يهوذا أيضاً من أمامى . كما نزعت إسرائيل وأرفض هذه المدينة التى اخترتها ، أورشليم ، والبيت الذى قلت يكون اسمى فيه (الملوك الثانى ٢٢ و ٢٣) وقد جاء نخو فرعون مصر وقتل يوشيا فخلفه ابنه يهواحاز .

« وكان يهواحاز ابن ثلاث وعشرين سنة حين ملك .. فعمل الشر فى عينى الرب حسب كل ماعمله آباؤه وأسره فرعون نخو .. وملك فرعون نخو إلياقيم بن يوشيا عوضاً عن يوشيا أبيه وغير اسمه إلى يهوياقيم .. وعمل الشر فى عينى الرب حسب كل ماعمله آباؤه .. فى أيامه صعد نبوخذ ناصر ملك بابل فكان له يهوياقيم عبداً ثلاث سنين ثم عاد فتمرد عليه فأرسل الرب عليه غزاة الكلدانيين وغزاة الآراميين وغزاة الموآبيين وغزاة بنى عمون وأرسلهم على يهوذا ليبيدها حسب كلام الرب الذى تكلم به عن يد عبيده الأنبياء . إن ذلك كان حسب كلام الرب على يهوذا لينزعهم من أمامه لأجل خطايا منسى حسب كل ما عمل . وكذلك لأجل الدم البرىء الذى سفكه ، لأنه ملأ أورشليم دماً بريئاً ولم يشأ الرب أن يغفر .. ثم اضطجع يهوياقيم مع آبائه وملك يهوياكين ابنه عوضاً عنه » (الملوك الثانى ٢٣ : ٣١ — ٣٣ و ٢٤ : ١ — ٧) .

« وكان يهوياكين ابن ثمانى عشرة سنة حين ملك .. وعمل الشر فى عينى الرب حسب كل ما عمل أبوه . فى ذلك الزمان صعد عبيد نبوخذ ناصر ملك بابل إلى أورشليم .. فخرج يهوياكين ملك يهوذا إلى ملك بابل هو وأمه وعبيده ورؤساؤه وخصيانه ، وأخذه ملك بابل .. وسبى كل أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس ، عشرة آلاف مسبى .. سباهم ملك بابل إلى بابل ، وملك ملك بابل متانيا عمه عوضاً عنه وغير اسمه إلى صدقيا » (الملوك الثانى ٢٤ : ٨ — ١٧) .

« وكان صدقيا ابن إحدى وعشرين سنة حين ملك .. وعمل الشر فى عينى الرب حسب كل ما عمل يهوياقيم ، لأنه لأجل غضب الرب على أورشليم وعلى يهوذا حتى طرحهم من أمام وجهه ، كان أن صدقيا تمرد على ملك بابل .. وفى السنة التاسعة لملكه .. جاء نبوخذ ناصر ملك بابل هو وكل جيشه .. وقتلوا بنى صدقيا أمام

عينيه ، وقلعوا عيني صدقيا وقيدوه بسلسلتين من نحاس وجاءوا به إلى بابل .. وبقية الشعب الذين بقوا فى المدينة والهاربون .. وبقية الجمهور سباهم نبوزادان رئيس الشرط » (الملوك الثانى ٢٤ : ١٨ — ٢٠ ، ٢٥ : ١ — ٣٠) .

ومن هذه النبذات التاليه الموجزة المنقولة نقلا عن التوراة يتضح أن اليهود فى عهد الملوك قد تمردوا على الله فى معظم هذا العهد وعبدوا الآلهة الوثنية ، وحتى إذا حدث أنهم عبدوا الله فى فترات قصيرة من هذا العهد فانهم كانوا يعبدون الآلهة الوثنية معه . فلم يحدث قط أنهم عبدوا الله وحده ، أو عبدوه عبادة خالصة باعتباره الإله الأوحد . ولذلك غضب الله عليهم — كما رأينا فى نصوص التوراة — وسلط عليهم أعداءهم الأشوريين والبابليين ، فطردوهم من بلادهم إلى بلاد أخرى ، وهناك استعبدوهم فى السبي أبشع استعباد .

٧ — عبادة الله فى عهد خضوع اليهود فى السبي للأشوريين والبابليين

فقد حدث — كما جاء فى سفر الملوك — أنه « فى السنة الثانية عشرة لآحاز ملك يهوذا ، ملك هوشع بن إيلة فى السامرة على إسرائيل تسع سنين ، وعمل الشر فى عيني الرب .. وصعد عليه شلمناصر ملك آشور فصار له هوشع عبداً ، ودفع له جزية . ووجد ملك آشور فى هوشع خيانة ، لأنه أرسل رسلا إلى سوا ملك مصر ولم يؤد جزية إلى ملك آشور حسب كل سنة ، فقبض عليه ملك آشور وأوثقه فى السجن . وصعد ملك آشور على كل الأرض ، وصعد إلى السامرة وحاصرها ثلاث سنين .. فى السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك آشور السامرة وسبي (شعب) إسرائيل إلى آشـــور وأسكنهم فى حلح وخابور نهر جوزان وفى مدن مادى ، وكان أن بنى إسرائيل أخطأوا إلى الرب إلههم الذى أصعدهم من أرض مصر ، من تحت يد فرعون ملك مصر واتقوا آلهة أخرى ، وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل وملوك إسرائيل الذين أقاموهم . وعمل بنو إسرائيل سراً ضد الرب إلههم أموراً ليست مستقيمة وبنوا لأنفسهم مرتفعات فى جميع

مدنهم من برج النواطير إلى المدينة المحصنة ، وأقاموا لأنفسهم أنصاباً وسوارى على كل تل عال وتحت كل شجرة خضراء ، وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات مثل الأمم الذين ساقهم الرب من أمامهم وعملوا أموراً قبيحة لإغاظة الرب وعبدوا الأصنام التى قال الرب لهم عنها لا تعملوا هذا الأمر ، وأشهد الرب على اسرائيل وعلى يهوذا عن يد جميع الأنبياء ، وكل راء قائلا ارجعوا عن طرقكم الرديئة واحفظوا وصاياى ، فرائضى حسب كل الشريعة التى أوصيت بها آباءكم والتى أرسلتها إليكم عن يد عبيدى الأنبياء ، فلم يسمعوا بل صلبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلهم ، ورفضوا فرائضه وعهده الذى قطعه مع آبائهم وشهاداته التى شهد بها عليهم ، وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا ، ووراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم وتركوا جميع وصايا الرب إلههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات ، عجلين ، وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل وعبروا بنيهم وبناتهم فى النار وعرفوا عرافة وتفاءلوا وباعوا أنفسهم لعمل الشر فى عينى الرب لإغاظته ، فغضب الرب جداً على إسرائيل ونحاهم من أمامه ، ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده . ويهوذا أيضاً لم يحفظوا وصايا الرب إلههم ، بل سلكوا فى فرائض إسرائيل التى عملوها . فرذل الرب كل نسل إسرائيل وأذلهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من أمامه ، لأنه شق إسرائيل عن بيت داود فملكوا يربعام بن نباط ، فأبعد يربعام إسرائيل من وراء الرب وجعلهم يخطئون خطية عظيمة ، وسلك بنو إسرائيل فى جميع خطايا يربعام التى عمل ، لم يحيدوا عنها ، حتى نحى الرب إسرائيل من أمامه كما تكلم عن يد جميع عبيده الأنبياء ، فسبي إسرائيل من أرضه الى آشور .. وأتى ملك آشور بقوم من بابل وكوث وعوا وحماه وسفروايم وأسكنهم فى مدن السامرة عوضاً عن بنى إسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا فى مدنها . وكان فى ابتداء سكنهم هناك أنهم لم يتقوا الرب ، فأرسل الرب عليهم السباع فكانت تقتل منهم .. فكلموا ملك آشور قائلين إن الأمم الذين سبيتهم وأسكنتهم فى مدن السامرة لا يعرفون قضاء إله الأرض فأرسل عليهم السباع فهى تقتلهم لأنهم لا يعرفـــون قضاء إله الأرض . فأمر ملك آشور قائلا ابعثوا إلى هناك واحداً من الكهنة الذين سبيتموهم من هناك فيذهب ويسكن هناك ويعلمهم قضاء إله الأرض . فأتى واحد من الكهنة الذين سبوهم من السامرة وسكن فى بيت إيل وعلمهم كيف يتقون الرب .

فكانت كل أمة تعمل آلهتها ووضعوها فى بيوت المرتفعات التى عملها السامريون كل أمة فى مدنها التى سكنت فيها . فعمل أهل بابل سكوث بنوث ، وأهل كوث عملوا نرجل وأهل حماه عملوا أشيما ، والعويون عملوا نبحز وترتاق ، والسفروايميون كانوا يحرقون بنيهم بالنار لأدرملك وعنملك إلهى سفروايم ، فكانوا يتقون الرب ويعملون لأنفسهم من أطرافهم كهنة مرتفعات كانوا يقربون لأجلهم فى بيوت المرتفعات . كانوا يتقون الرب ويعبدون آلهتهم كعادة الأمم الذين سبوهم من بينهم إلى هذا اليوم يعملون كعاداتهم الأول . لا يتقون الرب ولا يعملون حسب فرائضهم وعوائدهم ولا حسب الشريعة والوصية التى أمر بها الرب بنى يعقوب الذى جعل اسمه إسرائيل ، وقطع الرب معهم عهداً وأمرهم قائلا لا تتقوا آلهة أخرى ولا تسجدوا لها ولا تعبدوها ولا تذبحوا لها ، بل إنما اتقوا الرب الذى أصعدكم من أرض مصر بقوة عظيمة وذراع ممدودة وله اسجدوا وله اذبحوا واحفظوا الفرائض والأحكام والشريعة والوصية التى كتبها لكم لتعملوا بها كل الأيام ولا تتقوا آلهة أخرى ولا تنسوا العهد الذى قطعت معكم ولا تتقوا آلهة أخرى . بل إنما اتقوا الرب إلهكم وهو ينقذكم من أيدى جميع أعدائكم ، فلم يسمعوا ، بل عملوا حسب عادتهم الأولى . فكان هؤلاء الأمم يتقون الرب ويعبدون تماثيلهم وأيضاً بنوهم وبنو بنيهم . فكما عمل آباؤهم هكذا هم عاملون إلى هذا اليوم » (الملوك الثانى ١٧ : ١ — ٤٠) .

ثم حدث — كما سبق أن رأينا — أنه فى السنة التاسعة للملك صدقيا ملك يهوذا جاء « نبوخذ ناصر » ملك بابل وحاصر أورشليم وضيق عليها الخناق تسعة أشهر ، فهرب الملك صدقيا مع رجال جيشه ، فقبض البابليون عليه وأحرقوا أورشليم وهدموا أسوارها وسبوا أهلها وأهل مملكة يهوذا كلهم إلى بابل ، وهناك استخدموهم عبيداً وأذلوهم أبشع إذلال ومحوا من أذهانهم كل ذكرى لعبادة إلههم ، فعبدوا آلهة البابليين كما فعل من قبلهم اليهود الذين سباهم الأشوريون إذ عبدوا آلهة الأشوريين . وهكذا ظل اليهود جميعاً متمردين على ربهم كما كان شأنهم فى كل عصور تاريخهم . ولذلك جاء فى التوراة أن الله أرسل إليهم وهم فى السبي حزقيال النبي الذى يقول فى السفر الذى يحمل اسمه : « سمعت صوت متكلم .. وقال لى يا ابن آدم أنا مرسلك إلى بنى إسرائيل ، إلى أمة متمردة قد تمردت على . هم وآباؤهم عصوا على إلى ذات هذا اليوم . والبنون القساة الوجوه والصلاب القلوب أنا مرسلك إليهم .. من

كلامهم لا تخف ومن وجوههم لا ترتعب، لأنهم بيت متمرد، وتتكلم معهم بكلامى.. لأن كل بيت إسرائيل صلاب الجباه وقساة القلوب . ها أنذا قد جعلت وجهك صلباً مثل وجوههم وجبهتك صلبة مثل جباههم .. فلا تخفهم ولا ترتعب من وجوههم.. إذهب إلى المسبيين ، إلى بنى شعبك وكلمهم .. فجئت إلى المسبيين عند تل أبيب الساكنين عند نهر خابور .. (وقلت لهم) هكذا قال السيد الرب .. كل إنسان من بيت إسرائيل الذى يصعد أصنامه إلى قلبه ويضع معثرة إثمه تلقاء وجهه .. فانى أنا الرب أجيبه حسب كثرة أصنامه ، لكى آخذ بيت إسرائيل بقلوبهم ، لأنهم كلهم قد ارتدوا عنى بأصنامهم .. وكانت إلى كلمة الرب قائلة ياابن آدم عرف أورشليم برجاساتها ، وقل هكذا قال السيد الرب لأورشليم . مخرجك ومولدك من أرض كنعان . أبوك أمورى وأمك حثية . أما ميلادك يوم ولدت فلم تقطع سرتك ولم تغسلى بالماء للتنظيف ، ولم تملحى تمليحاً ولم تقمطى تقميطاً . ولم تشفق عليك عين لتصنع لك واحدة من هذه . لترق لك. بل طرحت على وجه الحقل بكراهة نفسك يوم ولدت . فمررت بك ورأيتك مدوسة بدمك ، فقلت لك بدمك عيشى .. جعلتك ربوة كنبات الحقل فربوت وكبرت وبلغت زينة الأزيان . نهد ثدياك ونبت شعرك وقد كنت عريانة وعارية ، فمررت بك ورأيتك وإذا زمنك زمن الحب فبسطت ذيلى عليك وسترت عورتك وحلفت لك ودخلت معك فى عهد .. فصرت لى . فحممتك بالماء وغسلت عنك دماءك ومسحتك بالزيت وألبستك مطرزة ونعلتك بالتخس وأزرتك بالكتان وكسوتك بزا وحليتك بالحلى ، فوضعت أسورة فى يديك وطوقاً فى عنقك ووضعت خزامة فى أنفك وأقراطاً فى أذنيك وتاج جمال على رأسك . فتحليت بالذهب والفضة ولباسك الكتان والبز والمطرز وأكلت السميذ والعسل والزيت ، وجملت جداً جداً فصلحت لمملكة ، وخرج لك اسم فى الأمم لجمالك ، لأنه كان كاملا ببهائى الذى جعلته عليك . فاتكلت على جمالك وزنيت على اسمك وسكبت زناك على كل عابر فكان له ، وأخذت من ثيابك وصنعت لنفسك مرتفعات موشاة وزنيت عليها . . وأخذت أمتعة زينتك من ذهبى ومن فضتى التى أعطيتك وصنعت لنفسك صور ذكور وزنيت بها ، وأخذت ثيابك المطرزة وغطيتها . ووضعت أمامها زيتى وبخورى وخبزى الذى أعطيتك ، السميذ والزيت والعسل الذى أطعمتك وضعتها أمامها رائحة سرور . . أخذت بنيك وبناتك الذين ولدتهم لى وذبحتيهم لها طعاماً . أهو قليل من زناك أنك ذبحت بنى وجعلتهم يجوزون

فى النار لها ؟ . وفى كل رجاساتك وزناك لم تذكرى أيام صباك إذ كنت عريانة وعارية وكنت مدوسة بدمك . وكان بعد كل شرك . . أنك بنيت لنفسك قبة وصنعت مرتفعة فى كل شارع . فى رأس كل طريق بنيت مرتفعتك ورجست جمالك . . وأكثرت زناك . وزنيت مع جيرانك بنى مصر . . وزدت فى زناك لاغاظتى . فها أنذا قد مددت يدى عليك . ومنعت عنك فريضتك وأسلمتك لمرام مبغضاتك بنات الفلسطينيين اللواتى يخجلن من طريقك الرذيلة . وزنيت مع بنى أشور ، إذ كنت لم تشبعى فزنيت بهم ولم تشبعى أيضاً . وكثرت زناك فى أرض كنعان إلى أرض الكلدانيين . وبهذا أيضاً لم تشبعى . ما أمرض قلبك . . إذ فعلت كل هذا فعل امرأة زانية سليطة . . أيتها الزوجة الفاسقة تأخذ أجنبيين مكان زوجها . لكل الزوانى يعطون هدية ، أما أنت فقد أعطيت كل محبيك هداياك ورشيتهم ليأتوك من كل جانب للزنا بك وصار فيك عكس عادة النساء فى زناك إذ لم يزن وراءك ، بل أنت تعطين أجرة ولا أجرة تعطى لك ، فصرت بالعكس . فلذلك يا زانية اسمعى كلام الرب .. ها أنذا أجمع جميع محبيك الذين لذذت لهم وكل الذين أحببتهم مع كل الذين أبغضتهم فأجمعهم عليك من حولك . . وأحكم عليك أحكام الفاسقات السافكات الدم . . ما هى أمك ؟ لبوة ربضت بين الأسود وربت جراءها بين الأشبال . ربت واحداً من جرائها فصار شبلا ، وتعلم افتراس الفريسة . أكل الناس . فلما سمعت به الأمم أخذ فى حفرتهم فأتوا به بخزائم إلى أرض مصر . فلما رأت أنها قد انتظرت وهلك رجاؤها أخذت آخر من جرائها وصيرته شبلا ، فتمشى بين الأسود . صار شبلا وتعلم افتراس الفريسة. أكل الناس ، وعرف قصورهم وخرب مدنهم فأقفرت الأرض وملؤها من صوت زمجرته . فاتفق عليه الأمم من كل جهة من البلدان وبسطوا عليه شبكاتهم فأخذ فى حفرتهم ، فوضعوه فى قفص بخزائم وأحضروه إلى ملك بابل ، وأتوا به إلى القلاع لكيلا يسمع صوته بعد على جبال إسرائيل . . إذهبوا اعبدوا كل إنسان أصنامه ، وبعد إن لم تسمعوا لى فلا تنجسوا اسمى القدوس بعد بعطاياكم وأصنامكم . لأنه فى جبل قدسى ، فى جبل إسرائيل العالى . . هناك يعبدنى كل بيت إسرائيل . . أرضى عنكم حين أخرجكم من بين الشعوب وأجمعكم من الأراضى التى تفرقتم فيها . . فتعلمون أنى أنا الرب . . هناك تذكرون طرقكم وكل أعمالكم التى تنجستم بها وتمقتون أنفسكم لجميع الشرور التى فعلتم ، فتعلمون أنى أنا الرب » . (حزقيال ١ — ٢٠)

وهكذا نرى من نصوص التوراة أن اليهود حين أجلاهم الأشوريون والبابليون إلى البلاد الأشورية والبابلية ، عبدوا الآلهة الوثنية التى كان أهل تلك البلاد يعبدونها، ومن ثم أثاروا نقمة الله وغضبه عليهم .

٨ — عبادة الله فى عهد خضوع اليهود للفرس :

وقد جاء فى التوراة أنه « ثار غضب الرب على شعبه . . فأصعد عليهم ملك الكلدانيين (نبوخذ ناصر) فقتل مختاريهم بالسيف . . وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيداً ، إلى أن ملكت مملكة فارس. (أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ١٦ — ٢٠)

« وفى السنة الأولى لكورش ملك فارس . . نبه الرب روح كورش ملك فارس فأطلق نداء فى كل مملكته . . قائلا . . جميع ممالك الأرض دفعها لى الرب إله السماء وهو أوصانى أن أبنى له بيتاً فى أورشليم التى فى يهوذا . من منكم من كل شعبه . . ليكن إلهه معه ويصعد إلى أورشليم التى فى يهوذا فيبنى بيت الرب إله إسرائيل . . وكل من بقى فى أحد الأماكن حيث هو متغرب فلينجده أهل مكانه بفضة وذهب وأمتعة وبهائم مع التبرع لبيت الرب الذى فى أورشليم . . فقام رؤوس آباء يهوذا وبنيامين والكهنة واللاويون مع كل من نبه الله روحه ليصعدوا ليبنوا بيت الرب الذى فى أورشليم . . والملك كورش أخرج آنية بيت الرب التى أخرجها نبوخذناصر من أورشليم وجعلها فى بيت آلهته ، أخرجها كورش ملك فارس . . وعدها لشيشبصر رئيس يهوذا . . جميع الآنية من الذهب والفضة خمسة آلاف وأربعمائة. الكل أصعده شيشبصر عند إصعاد السبى من بابل إلى أورشليم . . وقام يشوع بن يوصاداق وإخوته الكهنة وزربابل بن شألتئيل إخوته . . وأقاموا المذبح فى مكانه . . وأصعدوا عليه محرقات للرب . . وفى السنة الثانية من مجيئهم إلى بيت الله ، إلى أورشليم . . شرع زربابل بن شألتئيل ويشوع بن يوصاداق وبقية إخوتهم الكهنة واللاويين وجميع القادمين من السبى إلى أورشليم وأقاموا اللاويين . . للمناظرة على بيت الرب . . ولما أسس البانون هيكل الرب أقاموا الكهنة بملابسهم بأبواق

واللاويين بنى آساف بالصنوج لتسبيح الرب على ترتيب داود ملك إسرائيل » (عزرا ١ — ٣)

« وبعد هذه الأمور فى ملك أرتحشتا ملك فارس ، عزرا بن سرايا . . وهو كاتب ماهر فى شريعة موسى . . صعد معه من بنى إسرائيل والكهنة واللاويين والمغنين والبوابين والنثينيم إلى أورشليم فى السنة السابعة لارتحشتا الملك » (عزرا ٧ : ١ — ٧) .

وقد تزعم عزرا اليهود فى أورشليم ، ولم يلبث أن تقدم إليه رؤساؤهم قائلين . .

« لم ينفصل شعب إسرائيل والكهنة واللاويون من شعوب الأراضى حسب رجاساتهم من الكنعانيين والحثيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين والموآبيين والمصريين والأموريين ، لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم واختلط الزرع المقدس بشعوب الأراضى . وكانت يد الرؤساء والولاة فى هذه الخيانة أولا . فلما سمعت بهذا الأمر مزقت ثيابى وردائى ونتفت شعر رأسى وذقنى وجلست متحيراً (والذى يتكلم هنا هو عزرا) . فاجتمع إلى كل من ارتعد من كلام إله إسرائيل من أجل خيانة المسبيين . . وعند تقدمة المساء . . جثوت على ركبتى وبسطت يدى إلى الرب إلهى وقلت اللهم إنى أخجل وأخزى من أن أرفع يا إلهى وجهى نحوك لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا وآثامنا قد تعاظمت إلى السماء . منذ أيام آبائنا نحن فى إثم عظيم إلى هذا اليوم . ولأجل ذنوبنا قد دفعنا نحن وملوكنا وكهنتنا ليد ملوك الأراضى ، للسيف والسبى والنهب وخزى الوجوه كهذا اليوم ، والآن كلحيظة كانت رأفة من لدن الرب إلهنا ليبقى لنا نجاة ويعطينا وتداً فى مكان قدسه لينير إلهنا أعيننا ويعطينا حياة قليلة فى عبوديتنا ، لأننا عبيد نحن وفى عبوديتنا لم يتركنا إلهنا ، بل بسط علينا رحمته أمام ملوك فارس ليعطينا حياة لنرفع بيت إلهنا ونقيم خرائبه وليعطينا حائطاً فى يهوذا وفى أورشليم . والآن فماذا نقول يا إلهنا بعد هذا لأننا قد تركنا وصاياك التى أوصيت بها عن يد عبيدك الأنبياء . . وبعد كل ما جاء علينا لأجل أعمالنا الرديئة وآثامنا العظيمة . لأنك قد جازيتنا يا إلهنا أقل من آثامنا وأعطيتنا نجاة كهذه . أفنعود ونتعدى وصاياك ونصاهر شعوب هذه الرجاسات ؟ أما تسخط علينا حتى تفنينا فلا تكون بقية ولا نجاة ؟ . . فلما صلى عزرا واعترف وهو باك وساقط أمام بيت الله ، اجتمع إليه من إسرائيل جماعة كثيرة جداً . . وأجاب شكنيا بن

يحيئيل من بنى عيلام وقال لعزرا إننا قد خنا إلهنا واتخذنا نساء غريبة من شعوب الأرض . . فلنقطع الآن عهداً مع إلهنا أن نخرج كل النساء والذين ولدوا منهن حسب مشورة سيدى . . فقام عزرا واستحلف رؤساء الكهنة واللاويين وكل إسرائيل أن يعملوا حسب هذا الأمر فحلفوا . . وأطلقوا نداء فى يهوذا وأورشليم إلى جميع بنى السبي لكى يجتمعوا إلى أورشليم . . وجلس جميع الشعب فى ساحة بيت الله مرتعدين من الأمر . . فوجد بين بنى الكهنة من اتخذ نساء غريبة . . ومن اللاويين . . ومن المغنين . . ومن (كل شعب) إسرائيل » (عزرا ٩ و ١٠) .

وفى تلك الأيام « اجتمع كل الشعب . . وقالوا لعزرا الكاتب أن يأتى بسفر شريعة موسى التى أمر بها الرب إسرائيل ، فأتى عزرا الكاتب بالشريعة . . وقرأ فيها أمام الساحة التى أمام باب الماء من الصباح إلى نصف النهار . . ووقف بجانبه متثيا وشمع وعنايا وأوريا . . وفسروا المعنى وأفهموهم . . وعزرا الكاهن الكاتب واللاويون .. قالوا لجميع الشعب هذا اليوم مقدس للرب إلهكم ، لا تنوحوا ولا تبكوا . لأن جميع الشعب بكوا حين سمعوا كلام الشريعة .. وفى اليوم الثانى اجتمع رؤوس آباء جميع الشعب والكهنة واللاويون إلى عزرا الكاتب ليفهمهم كلام الشريعة ، فوجدوا مكتوباً فى الشريعة .. أن بنى إسرائيل يسكنون فى مظال فى العيد فى الشهر السابع .. فخرج الشعب .. وعمل كل الجماعة الراجعين من السبى مظال وسكنوا فى المظال ، . لأنه لم يعمل بنو إسرائيل هكذا من أيام يشوع بن نون إلى ذلك اليوم . . وفى اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر اجتمع بنو إسرائيل بالصوم وعليهم مسوح وتراب . وانفصل نسل إسرائيل من جميع بنى الغرباء ووقفوا واعترفوا بخطاياهم وذنوب آبائهم . . وقال اللاويون . . قوموا باركوا الرب إلهكم من الأزل إلى الأبد . وليتبارك اسم جلالك المتعالى على كل بركة وتسبيح أنت هو الرب وحدك . أنت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها والأرض وكل ما عليها . والبحار وكل ما فيها وأنت تحييها كلها . وجند السماء لك يسجد . أنت هو الرب الإله الذى اخترت أبرام وأخرجته من أور الكلدانيين . . وقطعت معه العهد أن تعطيه أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين واليبوسيين والجرجاشيين وتعطيها لنسله . وقد أنجزت وعدك لأنك صادق . . ورأيت ذل آبائنا فى مصر وسمعت صراخهم . . وفلقت اليم أمامهم . وعبروا فى وسط البحر

على اليابسة . . ونزلت على جبل سيناء وكلمتهم من السماء وأعطيتهم أحكاماً مستقيمة وشرائع صادقة . . ولكنهم بغوا هم وآباؤنا وصلبوا رقابهم ولم يسمعوا لوصاياك . . وعصوا وتمردوا عليك وطرحوا شريعتك وراء ظهورهم ، وقتلوا أنبياءك الذين أشهدوا عليهم ليردوهم إليك .. فدفعتهم ليد شعوب الاراضى ، ولكن لاجل مراحمك الكثيرة لم تفنهم ولم تتركهم لانك إله حنان ورحيم . . عملت بالحق ونحن أذنبنا . وملوكنا ورؤساؤنا وكهنتنا وآباؤنا لم يعملوا شريعتك ولا أصغوا إلى وصاياك . . وهم لم يعبدوك فى مملكتهم وفى خيرك الكثير الذى أعطيتهم وفى الارض الواسعة السمينة التى جعلت أمامهم ولم يرجعوا عن أعمالهم الردية . . والارض التى أعطيت لآبائنا ليأكلوا ثمارها وخيرها نحن عبيد فيها ، وغلاتها كثيرة للملوك الذين جعلتهم علينا لاجل خطايانا . . ونحن فى كرب عظيم . . من أجل كل ذلك نحن نقطع ميثاقاً ونكتبه ورؤساؤنا ولاويونا وكهنتنا يختمون . . ودخلوا فى قسم وحلف أن يسيروا فى شريعة الله التى أعطيت عن يد موسى عبد الله » (نحميا ٨ — ١١) . بيد أنه على الرغم من ذلك القسم الذى أقسمه اليهود والحلف الذى حلفوه أن يسيروا فى شريعة الله ، استمروا متجاهلين كل أحكام هذه الشريعة ، إذ يقول نحميا الذى كان رئيسهم حينذاك : « فى تلك الايام رأيت فى يهوذا قوماً يدوسون معاصر فى السبت .. وأيضاً يدخلون أورشليم فى يوم السبت بخمر وعنب وتين وكل ما يحمل فأشهدت عليهم يوم بيعهم الطعام ، والصوريون الساكنون بها كانوا يأتون بسمك وكل بضاعة ويبيعون فى السبت لبنى يهوذا فى أورشليم ، فخاصمت عظماء يهوذا وقلت لهم ما هذا الامر القبيح الذى تعملونه وتدنسون يوم السبت ؟ ألم يفعل آباؤكم هكذا فجلب إلهنا علينا كل هذا الشر ، وعلى هذه المدينة ، وأنتم تزيدون غضباً على إسرائيل إذ تدنسون السبت . وكان لما أظلمت أبواب أورشليم قبل السبت أنى أمرت بأن تغلق الابواب وقلت ألا يفتحوها إلى ما بعد السبت . . فى تلك الايام أيضاً رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ، ونصف كلام بنيهم باللسان الاشدودى ، ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى . . فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم أناساً ونتفت شعورهم . . واستحلفتهم بالله قائلا لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا من بناتهم لبنيكم ولا لانفسكم . أليس من أجل هؤلاء أخطأ سليمان ملك إسرائيل ؟ . . هو أيضاً جعلته النساء الاجنبيات يخطىء . فهل نسكت لكم أن تعملوا كل هذا الشر العظيم بالخيانة ضد إلهنا بمساكنة نساء أجنبيات ؟ وكان واحد من بنى يوياداع

بن ألياشيب الكاهن العظيم صهراً لسنبلط الحورونى فطردته من عندى . . أذكرهم يا إلهى لأنهم نجسوا الكهنوت » (نحميا ١٣ : ١٥ — ٣١) .

٩ — عبادة الله فى عهد خضوع اليهود لليونان :

فلما استولى الإسكندر الأكبر على الامبراطورية الفارسية ، كانت بلاد اليهود — كما سبق أن رأينا — من البلاد التى خضعت له ، ثم خضعت من بعده لخلفائه ، وقد ظل يتنازع السيادة عليها البطالمة ملوك مصر ، والسيليوكيون ملوك سوريا . وفى هذا العهد ظل اليهود كعهدهم فى كل تاريخهم أقرب ما يكون إلى عبادة الاصنام وأبعد ما يكون عن عبادة الله . كما يتضح مما جاء بسفر المكابيين ، فمما جاء فى هذاالسفر أن الملك أنطيوخوس ملك سوريا أراد توحيد الديانة فى كل البلاد الخاضعة له ، وكان منها بلاد اليهود . . « فأذعنت الامم بأسرها لكلام الملك ، وكثيرون من إسرائيل ارتضوا دينه وذبحوا للأصنام ودنسوا السبت . وأنفذ الملك كتباً على أيدى رسل إلى أورشليم ومدن يهوذا أن يتبعوا سنن الاجانب فى الارض ، ويمتنعوا عن المحرقات والذبيحة والسكيب المقدس . ويدنسوا السبوت والاعياد ، وينجسوا المقادس والقديسين ، ويبنوا مذابح وهياكل ومعابد الأصنام ويذبحوا الخنازير والحيوانات النجسة ويتركوا بنيهم قلفاً ، ويقذروا نفوسهم بكل نجاسة ورجس حتى ينسوا الشريعة . . فانضم إليهم كثيرون من الشعب (اليهودى) ، كل من نبذ الشريعة ، فصنعوا الشر فى الأرض . . وفى اليوم الخامس عشر من كسلوفى السنة المائة والخامسة والاربعين بنوا رجاسة الخراب على المذبح وبنوا مذابح فى مدن يهوذا من كل ناحية . . وما وجدوه من أسفار الشريعة مزقوه وأحرقوه بالنار . . وفى اليوم الخامس والعشرين من الشهر ذبحوا على مذبح الاصنام الذى فوق المذبح » (المكابيين الاول ١ : ٤٣ — ٤٧) .

كما جاء فى سفر المكابيين أنه « فى تلك الأيام خرج مر أورشليم متاثيا بن يوحنا بن سمعان ، كاهن من بنى يوياريب ، وسكن فى مودين ، وكان له خمسة بنين : يوحنا الملقب بكديس ، وسمعان المسمى يطسى ، ويهوذا الملقب بالمكابى ، والعازار الملقب باوران ، ويوناثان الملقب بأفوس . . ولما رأى ما يصنع من المنكرات فى يهوذا وأورشليم . . مزق متاثيا وبنوه ثيابهم وتحزموا بالمسوح . . وإن الذين أرسلهم الملك . .

قدموا إلى مدينة مودين ليذبحوا ، فأقبل عليهم كثيرون من إسرائيل . . واجتمع متاثيا وبنوه . . وقال . . إنا لن نسمع لكلام الملك فنحيد عن ديننا . . ولما فرغ من هذا الكلام أقبل رجل يهودى على عيون الجميع ليذبح على المذبح الذى فى مودين.. فلما رأى متاثيا ذلك . . استشاط غضباً . . فوثب عليه وقتله على المذبح . . وهرب هو وبنوه إلى الجبال .. وانضم إليهم الذين فروا . . وألفوا جيشاً وأوقعوا بالخطاة فى غضبهم وبرجال النفاق فى حنقهم ، وفر الباقون إلى الامم طالبين النجاة » (المكابيين الأول ٢ : ١ — ٧٠) .

١٠ — عبادة الله فى عهد المكابيين :

وقد نجح يهوذا المكابى ابن متاثيا فى الاستيلاء مع جيشه على أورشليم . . « فاجتمع كل الجيش وصعدوا إلى جبل صهيون ، فرأوا المقدس خالياً والمذبح منجساً ، والأبواب محرقة ، وقد طلع النبات فى الديار كما يطلع فى غابة أو جبل من الجبال ، والغرفات مهدومة ، فمزقوا ثيابهم . . وحثوا على رؤوسهم رماداً ، وسقطوا بوجوههم على الأرض . . ثم أخذوا حجارة غير منحوتة وفاقاً للشريعة ، وبنوا المذبح الجديد على رسم الاول ، وبنوا المقادس وداخل البيت وقدسوا الديار ، وصنعوا آنية مقدسة جديدة وحملوا المنارة ومذبح البخور والمائدة إلى الهيكل . . وأتموا تدشين الهيكل .. وقدموا المحرقات .. وأزيل تعيير الامم » (المكابيين الأول ٤ : ٣٧ — ٦١) .

« وفى السنة المائة والحادية والخمسين خرج ديمتريوس بن سلوكوس من رومية .. وجلس ديمتريوس على عرش ملكه ، فأتاه جميع رجال النفاق والكفر من إسرائيل ، وفى مقدمتهم ألكيمس ، وهو يطمع أن يصير كاهناً أعظم ، ووشوا على الشعب عند الملك قائلين إن يهوذا وإخوته قد أهلكوا أصحابك وطردونا من أرضنا ، فالآن أرسل رجلا تثق به يذهب ويفحص عن جميع ما أنزله بنا وببلاد الملك من الدمار ، ويعاقبهم مع جميع أعوانهم . فاختار الملك بكيديس أحد أصحاب الملك أمير عبر النهر ، وكان عظيما فى المملكة وأميناً للملك وأرسله هو وألكيمس الكافر ، وقد قلده الكهنوت وأمره أن ينتقم من بنى إسرائيل .. وكان ألكيمس يجهد فى تولى الكهنوت الاعظم واجتمع إليه جميع المفسدين فى الشعب واستولوا

على أرض يهوذا وضربوا إسرائيل ضربة عظيمة . ورأى يهوذا جميع الشر الذى صنعه ألكيمس ومن معه فى بنى إسرائيل ، وكان فوق ما صنعت الامم ، فخرج إلى جميع حدود اليهودية مما حولها وأنزل نقمة بالقوم الذين خذلوه .. فلما رأى ألكيمس أن قد تقوى يهوذا ومن معه .. رجع إلى الملك ووشى عليهم بجرائم . فأرسل الملك نكانور أحد رؤسائه المشهورين ، وكان عدواً مبغضاً لإسرائيل .. و .. صعد نكانور إلى جبل صهيون ، فخرج بعض الكهنة من المقادس وبعض شيوخ الشعب يحيونه تحية السلم ويرونه المحرقات المقربة عن الملك .. ثم ألحم الجيشان القتال ، فانكسر جيش نكانور ، وكان هو أول من سقط فى القتال .. ولما سمع ديمتريوس بأن نكانور وجيوشه قد سقطوا فى الحرب عاد ثانية فأرسل إلى أرض يهوذا بكيديس والكيمس . . فاشتد القتال وسقط قتلى كثيرون من الفريقين وسقط يهوذا وهرب الباقون .. وكان بعد وفاة يهوذا أن المنافقين برزوا فى جميع تخوم إسرائيل وظهر كل فاعلى الاثم .. فاجتمع جميع أصحاب يهوذا وقالوا ليوناثان إنه منذ وفاة يهوذا أخيك لم يقم له كفاء يخرج على العدو وعلى بكيديس والمبغضين لامتنا . فنحن نختارك اليوم رئيساً لنا وقائداً مكانه تحارب حربنا .. ومات ألكيمس . . وبعد ذلك أتتمر المنافقون كلهم وقالوا ها إن يوناثان والذين معه فى منازلهم هادئون مطمئنون فهلموا الآن نحمل عليهم بكيديس فيقبض عليهم أجمعين فى ليلة واحدة . وانطلقوا وأشاروا عليه بذلك ، فقام وسار فى جيش عظيم وبعث سراً يكتب إلى جميع نصرائه فى اليهودية أن يقبضوا على يوناثان والذين معه . فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا . . وسكن يوناثان فى مكماش . أخذ يوناثان يحاكم الشعب واستأصل المنافقين من إسرائيل» (المكابيين الاول ٧ — ٩) .

« وكان أنه بعد وفاة سيليوكوس واستيلاء انطيوخوس الملقب بالشهير على الملك شمع ياسون أخو أونياق الكهنوت الاعظم . فوفد على الملك ووعده بثلاثمائة وستين قنطار فضة ، وبثمانين قنطاراً من دخل آخر ، وماعدا ذلك ضمن له مائة وخمسين قنطاراً غيرها إن رخص له بسلطة الملك فى إقامة مدرسة الترويض (جيمنا زيوم) وموضع للفتيان . وأن يكتتب أهل أورشليم فى رعوية أنطاكية ، فأجابه الملك إلى ذلك فتقلد الرئاسة ومالبث أن صرف شعبه إلى عادات الامم ..وأبطل رسوم الشريعة وأدخل سنناً تخالف الشريعة ، وبادر فأقام مدرسة الترويض تحت القلعة وساق نخبة الفتيان لجعلهم تحت القلعة ، فتمكن الميل إلى عادات اليونان والتخلق بأخلاق الاجانب

بشدة لجور ياسون الذى هو كافر لا كاهن أعظم حتى أن الكهنة لم يعودوا يحرصون على خدمة المذبح واستهانوا بالهيكل وأهملوا الذبائح لينالوا حظاً فى جوائز الملعب المحرمة بعد المباراة فى رمى المطاث ، وكانوا يستخفون بمآثر آبائهم ويتنافسون بمفاخر اليونان. فلذلك أحاقت بهم رزيئة شديدة ، فإن الذين أولعوا برسومهم وحرصوا على التشبه بهم هم صاروا أعداء لهم ومنتقمين، لأن النفاق فى الشريعة الإلهية لا يذهب سدى.. ولما جرت فى صور المصارعة التى تجرى كل سنة خامسة والملك حاضر . أنفذ ياسون الخبيث رسلا من أورشليم أنطاكيي الرعوية ومعهم ثلاثمائة درهم فضة لذبيحة هركليس.. وأرسل أبولونيوس بن منستاوس إلى مصر لمبايعة بطليموس فيلوماتور الملك ، فعلم أنطيوخوس أنه قد نحى عن تدبير الأمور فوجه اهتمامه إلى تحصين نفسه ورجع إلى يافا ثم سار إلى أورشليم ، فاستقبله ياسون وأهل المدينة استقبالا جليلا ، ودخل بين المشاعل والهتاف . . وبعد مدة ثلاث سنين وجه ياسون منلاوس أخا سمعان المذكور ليحمل أموالا للملك ويفاوضه فى أمور مهمة، فتذلف إلى الملك وأطرى عظمة سلطانه وأحال الكهنوت الأعظم إلى نفسه بأن زاد ثلاثمائة قنطار فضة على ما أعطى ياسون. ثم رجع ومعه أوامر الملك . ولم يكن على شيء مما يليق بالكهنوت الأعظم وإنما كانت له أخلاق غاشم عنيف وأحقاد وحش ضار . وهكذا فإن ياسون الذى ختل أخاه ختله آخر فطرد وفر إلى أرض بنى عمون واستولى منيلاوس على الرئاسة ، إلا أنه لم يوف شيئاً من الأموال التى كان وعدها الملك . فكان سستراتس رئيس القلعة يطالبه لأنه كان مولى أمر الجباية ولهذا السبب استدعيا كلاهما إلى الملك ، فاستخلف منلاوس ليسياخس أخاه على الكهنوت الأعظم، واستخلف سستراتس كراتيس والى قبرص. وحدث بعد ذلك أن أهل طرسوس وملو تمردوا لأنهم جعلوا هبة لأنطيوخوس سرية الملك . فبادر الملك لإطفاء الفتنة واستخلف مكانه أندرونكس أحد ذوى المناصب . فرأى منلاوس أنه قد أصاب فرصة فسرق من الهيكل آنية من الذهب، أهدى بعضها إلى أندرونكس وباع بعضها فى صور والمدن التى بجوارها . ولما تيقن أونيا ذلك ندده وكان قد انصرف إلى حمى بدفنة بالقرب من انطاكية، فخلا منلاوس بأندرونكس وأغراه أن يقبض على أونيا ، فصار إلى أونيا وخدعه بمكره . . ثم اغتاله . . فوقع ذلك موقع المقت عند اليهود . . وكان ليسياخس فى المدينة قد سلب بإغراء منلاوس كثيراً من مال الأقداس، فذاع الخبر فى الخارج . . وأقيم الحكم فى هذه الأمور على منلاوس . فلما قدم الملك إلى صور أرسلت . المشيخة ثلاثة رجال

فرفعوا عليه الدعوى . وإذ رأى منلاوس أنه مغلوب وعد بطلماوس بن دوريانس بمال جزيل ليستميل الملك ، فدخل بطلماوس على الملك . . وصرفه عن رأيه ، فحكم لمنلاوس الذى هو علة الشر كله . . واستقر منلاوس فى الرئاسة بشره ذوى الاحكام ، وكان لايزداد إلا خبثاً ولم يزل لاهل وطنه كميناً مهلكاً » (المكابيين الثانى ٤ و ٥)

« وبعد ذلك بيسير أرسل الملك شيخاً أثينياً ليضطر اليهود أن يرتدوا عن شريعة آبائهم ولا يتبعوا شريعة الله وليدنس هيكل أورشليم ويجعله على اسم زيوس الاولمبى ويجعل هيكل جرزيم على اسم زيوس مؤوى الغرباء لان أهل الموضع كانوا غرباء . . وامتلأ الهيكل عهراً وقصوفاً ، وأخذ الامم يفسقون بالمأبونين ويضاجعون النساء فى الدور المقدسة ويدخلون إليها مالايحل . وكان المذبح مغطى بالمحارم التى نهت الشريعة عنها . . لان الرب لايمهل عقابنا بالاناة إلى أن يستوفى كيل الآثام كما يفعل مع سائر الأمم » (المكابيين الثانى ٦ : ١ — ١٤) .

١١ — عبادة الله فى عهد خضوع اليهود للرومان :

وحين استولى الرومان على بلاد اليهود وأقاموا هيرودس الكبير ملكا عليها . كان كل همه منصرفاً — كما سبق أن رأينا — إلى تملقهم والتذلف إليهم . فأقام هياكل وثنية لعبادة الامبراطور الرومانى فى أورشليم ذاتها . ولما مات انتهج أبناؤه الذين اقتسموا سلطانه ذات سياسته فى تملق الرومان والتذلف إليهم وإقامة الهيا كل لعبادة أباطرتهم ومتابعتهم فى كثير من عاداتهم وتقاليدهم الوثنية ، متجاهلين أحكام الشريعة اليهودية . وكان يساندهم فى ذلك كثير من طوائف اليهود ولاسيما طائفتا الصدوقيين والهيرودسيين . بل كان يساندهم الكهنة ورؤساء الكهنة أنفسهم . وقد استمر اليهود جميعاً فى ذلك العهد كما كانوا فى كل عهود تاريخهم موصومين بالضلال والانحلال والنفاق واضمحلال الأخلاق . فكانوا يتظاهرون تظاهراً باحترام الشريعة اليهودية ، مدعين الحرص على أحكامها والتزمت فى تطبيق هذه الاحكام ، بينما هم فى حقيقتهم — كما كانوا على الدوام — عبيد شهواتهم وعباد أصنام . وفى هذا العهد ظهر السيد المسيح ، فكان هذا هو المجتمع اليهودى الذى عاصره وهو على الأرض . وبين ظهرانيه أدى رسالته السماوية السامية ، فكان طبيعياً أن يرفضه هذا المجتمع الدنىء الموبوء . وكان طبيعياً أن يكافىء ذلك الذى جاء ليمنحه الحياة ، بأن

يحكم عليه بالموت . لأن الشر يرفض الخير . والباطل يمقت الحق . والإثم لايفتأ يحاول القضاء على الصلاح . ونزعة العداوة والعدوان فى الإنسان لاتفتأ تحاول القضاء على دعوة المحبة والسلام .

* * *

هذه نبذات موجزة نقلناها نقلا بذات عبارتها وأسلوبها من أسفار التوراة التى هى الكتاب المقدس لليهود ، لنرسم صورة عامة — مأخوذة من ذات كتابهم — للكيفية التى عرفوا بها عبادة الله منذ بداية تاريخهم ، ومقدار ولائهم أو تنكرهم لهذه العبادة ، على مدى هذا التاريخ منذ أن أعلن الله نفسه لأبيهم الأول إبراهيم ، إلى أن جاء السيد المسيح على الأرض . وقد تعمدنا أن نورد عبارات التوراة كما هى ، دون أى تغيير أو تحريف ، ودون أى تعليق من جانبنا إلا ما اقتضاه الإيضاح والتفسير . وسنعمل فى الفصول التالية على شرح ما أجملناه فى هذا الفصل بمزيد من التفصيل والتحليل ، حتى تزداد هذه الصورة العامة التى رسمناها وضوحاً فى كثير من معالمها وجزئياتها، وحتى نحيط بأكبر قدر ممكن من عقائد الديانةاليهودية وأحكامها وكيفية فهم اليهود لهذه العقائد والأحكام وتطبيقهم لها على مدىالعصور.لأنذلك من ألزم الأمور لإدراك طبيعة التكوين العنصرى والفكرى والعاطفى والسياسى والاجتماعى والتطلعى لليهود فى كل زمان وكل مكان ، قبل المسيح وبعده ، ومادامت لليهود بقية بين بنى الإنسان .

الفصل الثانى

أسماء الله عند اليهود

١ — ألوهيم :

كان الاسم الذى أطلقته الأسفار الأولى من التوراة على الله ، ولا سيما الفصل الأول من سفر التكوين، هو « ألوهيم » . وقد تردد هذا الاسم بعد ذلك مع أسماء الله الأخرى لدى اليهود فى بقية أسفار العهد القديم ، وعلى الخصوص المزامير من ٤٢ إلى ٧٢ ولذلك سميت « مزامير ألوهيم » . وهو لفظ فى صيغة الجمع باللغة العبرية ، أى أن معناه الدقيق فى تلك اللغة هو « الآلهة » ، ولكنه جاء فى الترجمات العربية بصيغة المفرد وهو « الله » . وقد أطلقت التوراة اسم « ألوهيم » على الله فى المواضع التى وصفته فيها بأنه الخالق لكل بشر ولكل شىء ، وهو الإله الذى يخضع له كل بشر وكل شىء .

٢ — يهوه :

ثم ورد بعد ذلك فى سفر الخروج اسم آخر لله وهو « يهوه » ، وهو لفظ عبرى

معناه « الموجود » أو « الكائن » أو « الذى كان » ، لأنه مشتق من اللفظ العبرى « هيه » أو « هوه » الذى يفيد الوجود أو الكينونة . وقد أطلقت التوراة اسم « يهوه » على الله فى المواضع التى اعتبرته فيها إله اليهود وحدهم ، وهو الذى أعلن نفسه بهذا الاسم لموسى النبى ، وكلفه بأن يبلغه لليهود كى يعرفوه بهذا الاسم ، إذ جاء فى سفر الخروج « فقال موسى لله ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلنى إليكم ، فإذا قالوا لى ما اسمه فماذا أقول لهم ؟ فقال الله لموسى.. هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله آبائكم ، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم . هذا اسمى إلى الأبد » (الخروج ٣ : ١٣ — ١٥) .

وقد ورد لفظ « يهوه » فى صيغة أخرى من ذات مادته ، حيث قال الله عن نفسه أن اسمه « أهيه » أى « أوجد » أو « أكون » ، إذ جاء فى ذات الموضع السابق ، فقال موسى لله . . فإذا قالوا لى ما اسمه فماذا أقول ؟ . . فقال الله لموسى أهيه الذى أهيه . وقال هكذا تقول لبنى إسرائيل أهيه أرسلنى إليكم » (الخروج ٣ : ١٣ و ١٤) . فالله حين يتحدث عن نفسه يقول ما معناه « أنا الموجود » أو « أنا الكائن » . أما حين يتحدث اليهود عنه فهو يريدهم أن يقولوا ما معناه « هو الموجود » أو « هو الكائن » .

ولم يكن اليهود يعرفون الله باسم « يهوه » قبل أن يعلنه إليهم بواسطة موسى النبى ، إذ جاء فى سفر الخروج « ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب ، وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شىء . وأما باسمى يهوه فلم أعرف عندهم » (الخروج ٦ : ٢ و ٣) .

وكان اليهود ينسبون إلى اسم « يهوه » أسماءهم أو أسماء مدنهم ، أو أسماء المواضع المقدسة لديهم : فكان من أسمائهم « يهو ياداع » أى « الله يعرف » (صموئيل الثانى ٨ : ١٨) و « يهوياريب » أى « الله يحارب » (أخبار الأيام الأول ٢٤ : ١) . و « يهوياقيم » أى « الله يقيم » (الملوك الثانى ٢٣ : ٣٤) . وكان من أسماء مدنهم « يهوه شمة » أى « الله هناك » وهو اسم لأورشليم (الخروج ٤٨ : ٣٥) . وكان من أسماء مذابحهم « يهوه شلوم » أى « الله سلام » وهو اسم مذبح أقامه جدعون فى عفرة (القضاة ٦ : ٢٤) وكان من أسماء المواضع

المقدسة « لديهم « يهوه يرأة » أى « الله يرى » ، وهو الاسم الذى أعطاه إبراهيم للموضع الذى أمره الله أن يقدم فيه ابنه اسحق ذبيحة (التكوين ٢٢ : ١٤) .

وقد كانوا يختصرون أحياناً اسم « يهوه » فى أول الاسم الذى ينسبونه إليه ، فيقولون « يوحنان » أى « الله حنون » (الملوك الثانى ٢٥ : ٢٣) و « يوصاداق » أى « الله عادل » (عزرا ٣ : ٢) و « يوناثان » أى « الله أعطى » (القضاة ١٨ : ٣٠) و « يوناداب » اى « الله كريم » (صموئيل الثانى ١٣ : ٣) و « يوشافاط » أى « الله أدان » (أخبار الأيام الأول ٢١ : ٤٣) . كما كانوا يختصرون اسم « يهوه » فى آخر الاسم الذى ينسبونه إليه ، فيقولون « بناياهو » أى « الذى بناه الله » (صموئيل الثانى ٢٣ : ٢٠ — ٢٣) .

وكما تعبر الترجمات العربية عادة عن اسم « ألوهيم » بكلمة « الله » كما رأينا ، تعبر هذه الترجمات عن اسم « يهوه » بكلمة « الرب » .

٣ ـ أدونى .

ومنذ أواخر القرن الرابع قبل المسيح رأى كهنة اليهود وعلماؤهم الدينيون أنهم يرددون اسم « يهوه » فى كثير من الاستهانة والاستهتار مما لا يليق بلفظ الجلالة ، فحرموا على الجميع النطق بهذا الاسم ، فلم يعد يحل لأحد أن ينطق به إلا رئيس الكهنة وحده أثناء الصلاة فى الهيكل ، ومن ثم أصبحوا حين يريدون أن ينطقوا باسم الله يقولون « أدونى » أى « السيد » أو « الرب » ، وهما اللفظان اللذان وردا فى الترجمات العربية .

وقد نسب اليهود إلى إسم « أدونى » بعض أسمائهم ، ومن ذلك « أدونى صادق » أى « الرب عادل » (يشوع ١٠ : ١ — ٢٧) و « أدونيا » أى « الرب هو الله » (صموئيل الثانى ٣ : ٢ و ٤)

٤ — إيل .

وكان اليهود يسمون الله كذلك « إيل » وهو لفظ عبرى ولكنه ورد فى بعض

اللغات السامية الأخرى التى كان يتكلمها الوثنيون بمعنى « الله » أيضاً ، فهو فى اللغة الأكادية مثلا يدل على معنى الإله على العموم ، وهو فى اللغة الأوجريتية إسم أبى الآلهة . وكان أيضاً من آلهة الكنعانيين : ولذلك تستخدم التوراة لفظ « إيل » أحياناً للدلالة على إله من آلهة الوثنيين ، كما ورد فى النص العبرى للآية الرابعة عشرة من الفصل الرابع والثلاثين من سفر الخروج .

وكان اليهود ينسبون إلى اسم « إيل » كذلك كثيراً من أسماء الأشخاص والمدن وغيرها . فكانوا يضيفونه أحياناً فى أول الاسم فيقولون : « إيليا » أى « إلهى يهوه » (الملوك ١٧ : ١) و « إيليئيل » أى « إيل هو الله » (أخبار الأيام الأول ٦ : ١) و « إيلبداع » أى « من يعرف الله » (صموئيل الثانى ٥ : ١٦) و « إليشع » أى « الله خلاص » (الملوك الأول ١٩ : ١٦) و « إيل بريث » أى « إله العهد » (القضاة ٩ : ٤٦) و « إليعازر » أى « الله معين » (التكوين ١٥ : ٢) و « إليصابات » أى « الله قسم » (لوقا ١ : ٥) .

وكانوا يضيفون لفظ « إيل » أحياناً أخرى فى آخر الاسم ، فيقولون « إسرائيل » أى « الذى جاهد مع الله » (التكوين ٣٢ : ٢٨) و « ميخائيل » أى « من مثل الله » العدد ١٣ : ١٣) و « جبرائيل » أى « رجل الله » (دانيال ٨ : ١٦ — ٢٧) و « صموئيل » أى « إسم الله إيل » (صموئيل الأول ١ : ١) و « فنوئيل » أى « وجه الله » (أخبار الأيام الأول ٤ : ٤) و « بتوئيل » أى « بيت الله » (التكوين ٢٢ : ٢٢) و « بيت إيل » أى « بيت الله » كذلك (التكوين ١٢ : ٨) . وربما اختصروا اسم « إيل » فى نهاية الاسم المنسوب إليه فقالوا « دانيال » أى « الله قضى » (دانيال ١ : ٣) . و « حزقيال » أى « الله يقوى » (حزقيال ١ : ٣) .

وكثيراً ما تستعمل التوراة اسم « إيل » مع لقب من ألقاب الله ، مثل « إيل عليون » كما جاء فى الأصل العبرى ، أى « الله العلى » ، و « إيل شداى » كما جاء فى الأصل العبرى كذلك ، أى « الله القدير » (التكوين ٣٥ : ١١) .

٥ — البعل .

« البعل » فى اللغة السامية يعنى « الرب » أو « السيد » وهو إله كان يعبده

الكنعانيون ويعتقدون أنه ابن الإله « إيل » وزوج الإلهة « بعلة » أو « عنات » أو « عشيرة » أو « عشتاروت » . وكانت أكثر الشعوب الوثنية الشرقية تؤمن بذلك الإله المسمى « البعل » ، وتنسب كل مدينة هذا الإله لنفسها ، فتقول « بعل فغور » أو « بعل زبوب » أو « بعل معون » أو « بعل هامان » ، وهكذا . وكانت جميع تلك الشعوب ترهب هذا الإله ، وتقدم إليه الذبائح البشرية، إكتساباً لرضاه واتقاء لغضبه . وقد فعل اليهود أنفسهم هذا ، إذ جاء فى سفر إرميا : « ياملوك يهوذا وسكان أورشليم . هكذا قال رب الجنود . . ها أنذا جالب على هذا الموضع شراً كل من سمع به تطن أذناه ، من أجل أنهم تركونى وأنكروا هذا الموضع وبخروا فيه لآلهة أخرى . . وملأوا هذا الموضع من دم الأزكياء ، وبنوا مرتفعات للبعل ، ليحرقوا أولادهم بالنار محرقات للبعل » (إرميا ١٩ : ٣ — ٥)

وكان اليهود أحياناً يعتبرون اسم البعل مرادفاً لاسم « الله » أو « الرب » ، فكان « بعل بريث » أى « رب العهد » هو الاسم الذى يعبدون به الله فى شكيم فى زمن القضاة (القضاة ٨ : ٣٣ ، ٩ : ٤) .

وقد نسب اليهود إلى « البعل » بعض أسماء أبنائهم وأسماء مدنهم : فكان من أسماء الأبناء « بعليا » أى « بعل يهوه » وهو اسم رجل من سبط بنيامين (أخبار الأيام الأول ١٢ : ٥) و « بعلياداع » أى « البعل يعلم » وهو اسم أحد أبناء الملك داود (أخبار الأيام الأول ١٤ : ٧) . وكان من أسماء المدن « بعل يهوذا » (صموئيل الثانى ٦ : ٢) و « بعل ثامار » (القضاة ٢٠ : ٣٣) و « بعل جاد » (يشوع : ١١ : ١٧) و « بعل حاصور » (صموئيل الثانى ١٣ : ٢٣) و « بعل حرمون » (القضاة ٣ : ٣) و « بعل صفون » (الخروج ١٤ : ٢٢) و « بعل فراصيم » (صموئيل الثانى ٥ : ٢٠) .

الفصل الثالث

طبيعة الله وصفاته وأعماله كما عرفها أنبياء اليهود

على قدر ما كان اليهود شعباً صغيراً حقيراً ، لا أرض له ولا وطن ، و على قدر ما كانوا أشراراً متمردين معاندين لله حتى بعد أن أعلن لهم ذاته وأعطاهم شريعته دون غيرهم من الشعوب الضخمة العظيمة التى كانت تسود الدنيا فى عهد نشأتهم وطوال تاريخ أمتهم ، على قدر ما ظهر بينهم من أنبياء أبرار أطهار قديسين، كشف الله لهم عن وجوده ووحدانيته وأزليته وسائر صفاته وأعماله التى كان العالم كله يجهلها ، فعرفوه أعمق معرفة ، ووصفوه أروع وصف يصدر عن بشر ، لخالق البشر السماوى غير المنظور وغير الممكن إدراكه إلا بالإلهام الصادر عنه هو ذاته ، إلى الأبرار الأطهار القديسين من السالكين سبله ، والسائرين على مقتضى إرادته التى أودعها ضمير الإنسان ، وعلى مقتضى شريعته التى هداه إليها حين وهبه نسمة حياته، وإن كان الانسان قد ضل بعد ذلك فمات فيه ضميره ، وحاد عن شريعة الله فانغمس فى الشر، وانطمس فيه بصره كما انطمست بصيرته ، ولم يعد يرى الله أو يدرك حقيقة وجوده أو صفاته ، وراح يعبد آلهة أخرى من الحيوانات أو الجمادات أو غيرها من الكائنات ، ابتدعها لنفسه بعقله القاصر ، وخياله القصير المدى .

فكانت أقوال الأنبياء هي شعاع النور الذى أرسله الله إلى الناس ليخترق ظلمات الجهل والشر التي أحاطوا بها أنفسهم ، حتى يدركوا على هداه حقيقة الله ، ومن ثم يدركوا حقيقة أنفسهم ، لأن نسمة الله فيهم . ولا يعود الانسان فى نظر نفسه مجرد جسم حيوانى ، وإنما يتبين أن هذا الجسم ليس إلا مسكناً لروح الله التى أودعها فيه . فهو كائن إلهى . وعلى هذا الأساس ينبغى أن يبنى كل أفكاره وكل مشاعره وكل صفاته وكل تصرفات حياته .

بيد أنه على الرغم من أن أنبياء اليهود قد أعلنوا لهم حقيقة الله وشريعته على مقتضى إعلاناته الإلهية ، إلا أن اليهود فهموها فى الغالب على مقتضى فهم الشعوب الوثنية المحيطة بهم لحقيقة آلهتهم وما نسبوا إليها من شرائع . فكانوا يعبدون الله بنفس الطريقة التى يعبد بها الوثنيون أوثانهم ، وكانوا يتصرفون كما يتصرف الوثنيون فى كل تقاليدهم وعاداتهم ومباهجهم وأحزانهم وفى كل شئون حياتهم . ومن ثم لم يكونوا يعبدون الله — حتى إذا عبدوه — إلا بوصفه واحداً من الآلهة الوثنية . فهو إله اليهود ، كما أن آشور هو إله الأشوريين ، وبعل هو إله البابليين ، ومولوك هو إله الفينيقيين ، وداجون هو إله الفلسطينيين ، وهكذا .

لذلك نتكلم فى هذا الفصل عن وجود الله وطبيعته ووحدانيته وصفاته وأعماله كما عرفها أنبياء اليهود . وأما مدى فهم اليهود لذلك كله فسيتبين لنا فى الفصول التالية .

١ — وجود الله .

وقد ثبت وجود الله لآباء اليهود الأوائل إبراهيم وإسحق ويعقوب ، حين أعلن نفسه لهم بحديثه إليهم وترائيه لهم بوسائل مختلفة ، والمعجزات التى صنعها معهم تثبيتاً لإيمانهم . ثم حين سأله موسى النبي عن اسمه . وكان الاسم الذى ذكره له وهو « يهوه » يتضمن فى ذاته دليل وجوده ، إذ أن معنى هذا الاسم — كما سبق أن رأينا — هو « الموجود » . ثم أيد حقيقة وجوده لموسى واليهود جميعاً باستمرار حديثه إليهم وترائيه لهم والمعجزات التى صنعها معهم طوال وجودهم فى صحراء سيناء ، ثم طوال تاريخهم كله حتى اندثار أمتهم بعد مجىء السيد المسيح وانتهاء دورهم فى الحياة الدينية للعالم وخراب أورشليم وسائر مدنهم .

ولا يوجد الله مجرد وجود تنتفي به نسبة العدم إليه فحسب . كما أنه لا يوجد مجرد وجود لا حياة فيه كما توجد سائر الكائنات غير الحية . وإنما وجوده يتضمن الكينونة ذات الفاعلية في أقوى درجاتها . كما أن وجوده مقترن بالحياة في أقوى مفهوم لها ، وبكل ما تتضمنه من قدرات لا حد لها ولا قيد عليها . ولذلك تكرر وصف الأنبياء لله بأنه الإله الحي ، تمييزاً له على وجه الخصوص عن الآلهة الوثنية التي لا حياة فيها . ومن ذلك ماجاء في التوراة إذ تقول « ثم قال يشوع بهذا تعلمون أن الله الحي في وسطكم » (يشوع ٣ : ١٠) وتقول « افتح يارب عينيك .. واسمع كلام سنحاريب الذي أرسله ليعير الله الحي » (الملوك الثاني ١٩ : ١٦) وقوله « لأنه من هو من جميع البشر الذي سمع صوت الله الحي يتكلم من وسط النار مثلنا وعاش ؟ » (التثنية ٥ : ٢٦) وقد كانوا حين يحلفون ، يحلفون بالله الحي قائلين « حي هو الرب » (صموئيل الأول ١٩ : ٦) : وكان الله ذاته يقول ذلك عن نفسه ، ومن ذلك قوله « إني أرفع إلى السماء يدي وأقول حي أنا إلى الأبد » (التثنية ٣٢ : ٤٠)

والله الحي هو ينبوع الحياة ، إذ يقول « أنا ينبوع الحياة الحية » (إرميا ٢ : ١١) ويقول « الحائدون عني في التراب يكتبون لأنهم تركوا الرب ينبوع الحياة الحية » (إرميا ١٧ : ١٣) :

٢ — طبيعة الله .

والله روح ، إذ جاء في سفر التكوين « كانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه » (التكوين ١ : ٢)

وحين يريد الله أن يمنح موهبة صالحة لإنسان يملأه من روحه ، إذ يقول « قد دعوت بصلئيل بن أوري .. وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة » (الخروج ٣١ : ٢ و ٣) . ويقول موسى النبي « ياليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذا جعل الرب روحه عليهم » (العدد ١١ : ٢٤ — ٢٩) . وجاء في سفر العدد « ورفع بلعام عينيه ورأى إسرائيل .. فكان عليه روح الله » (العدد ٢٣ : ٣) . وحين تحل روح الله على إنسان تمنحه قوة تفوق قوة الإنسان العادية ، فقد جاء في سفر القضاة عن شمشون « فأوثقوه بحبلين جديدين .. فحل عليه روح الرب فكان

الحبلان اللذان على ذراعيه كـكتان أحرق بالنار فانحل الوثاق عن يديه » (القضاة ١٥ : ١٣ — ١٥) :

والله روح خالص منزه عن المادة ، فهو لا صورة مادية له . وقد خشى موسى النبي أن يفهم اليهود أن لله صورة كأصنام الوثنيين فقال لهم « فى اليوم الذى وقفت فيه أمام الرب إلهك فى حوريب ، حين قال لى الرب اجمع لى الشعب فأسمعهم كلامى لكى يتعلموا أن يخافونى كل الآيام التى هم فيها أحياء على الأرض ويعلموا أولادهم ، فتقدمتم ووقفتم فى أسفل الجبل والجبل يضطرم بالنار إلى كبد السماء بظلام وسحاب وضباب ، فكلمكم الرب من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ، ولكن لم تروا صورة بل صوتاً .. فاحتفظوا جداً لأنفسكم ، فإنكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب فى حوريب من وسط النار لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالا منحوتاً، صورة مثال ما شبه ذكر أو أنثى » (التثنية ٤ : ١٠ — ١٢ و ١٥ و ١٦) وقال أيوب عن الله : « هوذا يمر على ولا أراه ويجتاز فلا أشعر به » (أيوب ٩ : ١١) وجاء فى سفر إشعياء « حقاً أنت إله محتجب يا إله إسرائيل » (إشعياء ٤٥ : ١٥) :

لذلك لا ينبغى أن نتصور الله على صورة الإنسان ، وقد أدرك أيوب ذلك فقال « لأنه ليس هو إنساناً مثلى فأجاوبه فنأتى جميعاً إلى المحاكمة » ثم يقول « ألك عينا بشر ، أم كنظر الانسان تنظر ؟ أأيامك كأيام الانسان ، حتى تبحث عن إثمى وتفتش عن خطيتى ؟ » (أيوب ٩ : ٣٢ ، ١٠ : ٤ — ٦)

وطبيعة الله ثابتة لا تتغير ، فهو لا يتغير فى جوهره ، ولا يتغير فى أى صفة من صفاته . وقد قال عن نفسه « أنا الرب لا أتغير » (ملاخى ٣ : ٦) .

والله سرمدى ، أزلى وأبدى ، أى أنه عديم الابتداء وعديم الانتهاء فى وجوده الذى لا يقترن بزمن ، وفى طبيعته التى لا تتغير مهما طال الزمن . لأنه كما أن الله منزه عن التغير ، فهو كذلك منزه عن العدم ومنزه عن الفناء . وهذا ما أعلنه إبراهيم إذ جاء فى سفر التكوين أنه « دعا هناك باسم الرب الإله السرمدى » (التكوين ٢١ : ٣٣) كما أعلنه موسى النبى إذ قال « من قبل أن تولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة منذ الأزل إلى الأبد أنت الله » (المزمور ٩٠ : ٢) وقال داود النبي « مبارك أنت أيها الرب إله إسرائيل أبينا من الأزل وإلى الأبد» (أخبار

الأيام الأول ٢٩ : ١٠) . وجاء فى المزامير « أذكر مراحمك يا رب وإحساناتك لأنها منذ الأزل هى » (المزمور ٢٥ : ٦) وجاء فى مراثى إرميا « أنت يا رب إلى الأبد تجلس » (مراثى إرمياء : ١٩) .

والله غير محدود ولا محصور فى مكان ، بل موجود فى كل مكان ، فى وقت واحد على مدى الزمان ، منذ الأزل وإلى الأبد . وهو يشمل بقدرته وعنايته وعدالته كل الكون فى كل مكان وكل زمان . وفى ذلك يقول الله : « ألعلى إله من قريب .. ولست إلهاً من بعيد ؟ .. إذا اختبأ إنسان فى أماكن مستترة أفما أراه أنا ؟ .. أما أملأ أنا السماوات والأرض ؟ » (إرميا ٢٣ : ٢٣ و ٢٤) . ويقول سليمان الحكيم : « أيها الرب إله إسرائيل .. هل يسكن الله حقاً على الأرض ؟ .. هوذا السماوات وسماء السماوات لا تسعك » (الملوك الأول ٨ : ٢٢ — ٢٨) كما يقول سليمان « فى كل مكان عينا الرب مراقبتين الصالحين والطالحين » (الأمثال ١٥ : ٣) . ويقول داود النبى « أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب ؟ إن صعدت إلى السماوات فأنت هناك . إن فرشت فى الهاوية فها أنت . إن أخذت جناحى الصبح وسكنت فى أقاصى البحر فهناك أيضاً تهدينى يدك وتمسكنى يمينك .. فقلت إنما الظلمة تغشانى ، فالليل يضىء حولى . الظلمة أيضا لا تظلم لديك ، والليل مثل النهار يضىء . كالظلمة هكذا النور » (المزمور ١٣٩ : ٧ — ١٢) .

وقد جاء فى كثير من آيات التوراة ما يفيد أن الله موجود فى السماء . ومهما أخطأ اليهود فى فهم هذه الآيات معتبرين السماء مكاناً يقيم فيه الله ، فلا شك أن المقصود بالسماء دائماً هو العالم الروحى الذى لا يحده حد ، وإن كان العقل البشرى المحدود لا يسعه إلا أن يتصوره مكاناً علياً يليق بالله العلى . وفى ذلك تقول التوراة « فقال الرب لموسى هكذا تقولون لبنى إسرائيل ، أنتم رأيتم أنى من السماء تكلمت معكم .. » (الخروج ٢٠ : ٢٢) وتقول « الرب من السماء أشرف على بنى البشر » (المزمور ١٤ : ٢) وتقول « من السماوات نظر الرب .. من مكان سكناه تطلع إلى جميع سكان الأرض » (المزمور ٣٣ : ١٣ و ١٤) . وتقول « الرب فى السماء كرسيه » (المزمور ١١ : ٤) وتقول « لماذا يقول الأمم أين هو إلههم ؟ إن إلهنا فى السماء » (المزمور ١١٥ : ٢ و ٣) وتقول « فاسمع أنت من السماء مكان سكناك واغفر » (الملوك الأول ٨ : ٣٩) .

ولما كان الضباب يبدو مرتفعاً ناحية السماء ، حتى ليبدو كأنه جزء من الملأ الأعلى ، قال سليمان « قال الرب إنه يسكن فى الضباب » (أخبار الأيام الثانى ٦ : ١)

وقد أدى القول بأن الله متميم فى السماء إلى القول بأنه هو إله السماء ، إذ قال يونان النبي « أنا خائف من الرب إله السماء » (يونان ١ : ٦) .

٣ — وحدانية الله :

والله واحد لا إله غيره ولا شريك له ، وكل من يزعم أن هناك إلهاً غيره فزعمه كاذب وإلهه باطل . وقد تأكد ذلك على لسان كل الأنبياء : إذ قال موسى النبي « اسمع يا إسرائيل . الرب إلهنا رب واحد » (التثنية ٦ : ٤) وقال « الرب هو الإله . ليس آخر سواه » (التثنية ٤ : ٣٥) . وقال داود النبي « يارب .. لا إله غيرك حسب كل ما سمعناه بآذاننا » (أخبار الأيام الأول ١٧ : ٢٠) . وقال إشعياء النبي « أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض » (إشعياء ٢٧ : ١٦) . وقال نحميا النبي « أنت هو الرب وحدك » (نحميا ٩ : ٢) . وجاء فى المزامير « من هو إله غير الرب » (المزمور ١٨ : ٣١) وجاء فى سفر الملوك « ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر » (الملوك الأول ٨ : ٦٠) وجاء فيه « أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض » (الملوك الثانى ١٩ : ١٦) . كما جاء فيه « أيها الرب إلهنا خلصنا من يده فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب الإله وحدك » (الملوك الثانى ١٩ : ١٩) . وقد أعلن الله نفسه هذه الحقيقة فقال « أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى » (إشعياء ٤٤ : ٦) . وقال « أنا الرب وليس آخر . لا إله سواى » (إشعياء ٤٥ : ٥) . وقال « أنا أنا هو وليس إله معى » (التثنية ٣٢ : ٢٩) .

وقد نتج عن وجود الآلهة الوثنية والأصنام التى كانت الشعوب المحيطة باليهود تعبدها ، والتى عبدها اليهود أنفسهم ، أن أشارت بعض أقوال التوراة إلى آلهة أخرى ، كقوله « من مثلك بين الآلهة يارب » (الخروج ١٥ : ١١) وقوله « أى إله فى السماء وعلى الأرض يعمل كأعمالك وجبروتك » (التثنية ٣ : ٢٤) وقوله « الله قائم فى مجمع الله . فى وسط الآلهة يقضى » (المزمور ٨٢ : ١) وقوله «واسجدوا له يا جميع الآلهة » (المزمور ٩٧ : ٧) ، وقوله « قدام الآلهة أرنم لك » (المزمور ١٣٨ : ١)

وقوله « أنت يارب علي على كل الأرض. علوت جداً على كل الآلهة » (المزمور ٩٣ : ٩) وقوله « الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب » (التثنية ١٠ : ١٧) وقوله « إله الآلهة الرب تكلم » (المزمور ٥٠ : ١) وقوله « الرب إله عظيم ، ملك كبير على كل الآلهة » (المزمور ٩٥ : ٣) وقوله « ربنا فوق جميع الآلهة » (المزمور ١٣٥ : ٥) وقوله « احمدوا إله الآلهة ، لأن إلى الأبد رحمته . إحمدوا رب الأرباب لأن إلى الأبد رحمته » (المزمور ١٣٦ : ٢و٣) . وقد قال سليمان حين بنى هيكل أورشليم إن « البيت الذى أنا بانيه عظيم لأن إلهنا أعظم من جميع الآلهة » (أخبار الأيام الثانى ٢ : ٥) وقال « أيها الرب إله إسرائيل لا إله مثلك فى السماء والأرض » (أخبار الأيام الثانى ٦ : ١٤) . وقد ينصرف معنى « الآلهة » فى بعض هذه الآيات إلى الملائكة وكل القوات التى تخضع لله وتسجد له .

وقد غضب الله على اليهود لأنهم أشركوا به آلهة أخرى فقال لهم « بمن تشبهوننى وتسووننى وتمثلوننى لنتشابه .. أذكروا هذا وكونوا رجالا . ردده فى قلوبكم أيها العصاة .. أذكروا الأوليات منذ القديم ، لأنى أنا الله وليس آخر . الإله وليس مثلى » (إشعياء ٤٦ : ٥ و ٨ و ٩) وقال « هم أغارونى بما ليس إلهاً . أغاظونى بأباطيلهم » (التثنية ٣٢ : ٢١) : وقال « من ذبح لآلهة غير الرب وحده يهلك » (الخروج ٢٢ : ٢٠) . وجاء فى المزامير « كل آلهة الشعوب أصنام » (المزمور ٩٦ : ٥) . وجاء فيها : « أصنامهم فضة وذهب . عمل أيدى الناس . لها أفواه ولا تتكلم . لها أعين ولا تبصر . لها آذان ولا تسمع .. لها أيد ولا تلمس . لها أرجل ولا تمشى . ولا تنطق بحناجرها . مثلها يكون صانعوها ، بل كل من يتكل عليها » (المزمور ١١٥ : ٤ — ٨) . وجاء فى سفر الملوك « حقاً يا رب إن ملوك آشور قد خربوا الأمم وأراضيهم ودفعوا آلهتهم إلى النار ولأنهم ليسوا آلهة بل صنعة أيدى الناس ، خشب وحجر ، فأبادهم » (الملوك الثانى ١٩ : ١٧ و ١٨) .

٤ — صفات الله وأعماله :

١ — الله كامل :

والله كامل كمالا مطلقاً منزهاً عن أى نقص أو قصور فى أى ناحية يمكن أن يتصورها الإنسان . فهو التمة العليا للكمال فى كل صفاته وكل وسائله وغاياته . ومما تقوله التوراة فى ذلك إن « الله طريقه كامل » (المزمور ١٨ : ٣٠) و « ناموس الرب كامل » (المزمور ١٩ : ٧) وهو « الكامل العارف » (أيوب ٣٧ : ١٦) كما تتصف بالكمال كل صفة أخرى ذكرتها التوراة من صفات الله التى سنذكر بعضها فيما يلى ، حتى لتكتمل من مجموع الصفات الإلهية أكمل صورة للكمال يمكن أن يصل إليها العقل أو يبلغ مداها الخيال .

٢ — الله عالم بكل شىء :

والله عالم بكل شىء فى الكون ، لا يخفى عليه شىء فى أى مكان منه أو فى أى زمان يمر به ، سواء فى ذلك الماضى والحاضر والمستقبل . إذ تقول التوراة إن « الرب إله عليم » (صموئيل الأول ١ : ٣) . وقد أنبأ الله إبراهيم بما سيحدث له فى المستقبل قائلا « اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً فى أرض ليست لهم ويستعبدون لهم ، فيذلونهم اربعمائة سنة .. وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة . وأما أنت فتمضى إلى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة ، وفى الجيل الرابع يرجعون إلى هنا » (التكوين ١٥ : ١٢ — ١٧)

والله يعلم أخفى خفايا الانسان ، وما يجول من أفكار فى خاطره ، وما يختلج من نوايا صالحة أو شريرة فى ضميره ، وما يعتاج من مشاعر طاهرة أو فاجرة فى قلبه ، وهو يحاسبه على مقتضى حقيقة أفكاره ونواياه ومشاعره كما أحاط بها علمه الكامل فى دقة كاملة . فهو يقول فى سفر إرميا النبى « أنا الرب فاحص القلوب مختبر الكلى لأعطى كل واحد حسب طرقه وحسب ثمر أعماله » (إرميا ١٧ : ١٠) . ويقول سليمان الحكيم « أفلا يفهم وازن القلوب ؟ . . ألا يعلم فيرد على الإنسان مثل

عمله ؟ » (الأمثال ٢٤ : ١٢) كما يقول « أنت وحدك تعرف قلوب بنى البشر » (أخبار الأيام الثانى ٦ : ٣٠) ويقول داود النبى « يارب قد اختبرتنى وعرفتنى. أنت عرفت جلوسى وقيامى . فهمت فكرى من بعيد . مسلكى ومربضى دريت وكل طرقى عرفت . لأنه ليس كلمة فى لسانى إلا وأنت يارب عرفتها كلها .. عجيبة هذه المعرفة فوقى . إرتفعت ولا أستطيعها . أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب ؟ » (المزمور ١٣٩ : ١ — ٧)

وقد أعطى الله الإنسان حين خلقه القدر من المعرفة اللازم لحياته على الأرض ، والكفيل بنفعه ، ومنع عنه القدر من المعرفة غير اللازم له فى تلك الحياة ، والكفيل بضرره ، على مقتضى حكمة الله وعلمه الشامل . ولكن الإنسان لم يلبث أن ضل وغوى وأراد أن يتجاوز المدى الذى رسمه الله له ، ويقتحم نطاق المعرفة الذى منعه عن تخطى حدوده ، فسقط فى خطيئة المخالفة لله والتمرد على أوامره ووصاياه . وكان من جراء ذلك أن حرمه الله من نعيمه ، وكتب عليه الشقاء فى حياته على الأرض . وهذا هو المعنى الذى صورته القصة الواردة فى بداية سفر التكوين ، إذ جاء بها : « وغرس الرب الإله جنة فى عدن .. ووضع هناك آدم الذى جبله . وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل . وشجرة الحياة فى وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر . . وأوصى الرب آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت .. وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم إمرأة .. وكانا كلاهما عريانين ، آدم وامرأته وهما لا يخجلان .. وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله ، فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟ فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا ، فقالت الحية للمرأة لن تموتا ، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر ، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان . فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر . وسمعا صوت الرب الإله . . فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت ؟ فقال سمعت

صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت . فقال من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك ألا تأكل منها؟ فقال آدم : المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت . . فقال الرب الإله للمرأة . . تكثيراً أكثر أتعاب حبلك . بالوجع تلدين أولاداً وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك . وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلا لا تأكل منها ، ملعونة الأرض بسببك . بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك . . بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها . لأنك تراب وإلى التراب تعود.. وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر . والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد . فأخرجه الرب الإله من جنة عدن » (التكوين ٢ و ٣) .

٣ — الله قادر على كل شىء :

وكما أن الله عالم بكل شىء ، فإنه كذلك قادر على كل شىء، وليس لقدرته حدود، فلا عسير عليه ، ولا مستحيل لديه . وفى ذلك قال الله « أنا الله القدير » (التكوين ١٧ : ١) وقال « هل يستحيل على الرب شىء ؟ » (التكوين ١٨ : ١٤) . وقال « أنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شىء » (الخروج ٦ : ٢) . وقال يعقوب لابنه يوسف « الله القادر على كل شىء ظهر لى فى لوز فى أرض كنعان وباركنى » (التكوين ٤٨ : ٣) وقال له « من إله أبيك الذى يعينك ومن القادر على كل شىء الذى يباركك تأتى بركات السماء » (التكوين ٤٩ : ٢٥) . وقال أيوب يخاطب الله « قد علمت أنك تستطيع كل شىء ، ولا يعسر عليك أمر » (أيوب ٤٢ : ١) وقال يوئيل النبى إن « يوم الرب قريب ، يأتى كخراب القادر على كل شىء » (يوئيل ١ : ١٥) . وجاء فى سفر التكوين « هل يستحيل على الله شىء ؟ » (التكوين ١٨ : ١٤) .

وقد صنع الله أمام اليهود — ليقنعهم بالإيمان به — أعمالا يبدو للإنسان أنها عجائب ومعجزات خارقة للطبيعة ، وأنها مستحيلة الوقوع لما يبدو من مخالفتها للنظام الدقيق الذى يسير عليه الكون . ولكن العجائب والمعجزات والخوارق بالنسبة لله لا استحالة فيها وإنما هى داخلة فى نطاق قدرته التى لا تحدها حدود ولا تقف أمامها حوائل ولا قيود ولا سدود : وقد سبق أن رأينا كيف

جعل الله سارة زوجة إبراهيم تحبل بعد أن كانت عاقراً ، وكانت فى التسعين من عمرها (التكوين ١٥ — ٢١) ، ورأينا كيف أخرج الله اليهود من مصر بعد سلسلة من المعجزات التى صنعها بنفسه أو منح موسى القدرة عليها ، إذ قال له « عندما تذهب لترجع إلى مصر انظر جميع العجائب التى جعلتها فى يدك، واصنعها قدام فرعون » (الخروج ٤ : ٢١) وقال له « أكثر آياتى وعجائبى فى أرض مصر حتى أجعل يدى على مصر » (الخروج ٧ : ٣) وقال له « ها أنا قاطع عهداً قدام جميع شعبك ، أفعل عجائب لم تخلق فى كل الأرض وفى جميع الأمم فيرى جميع الشعب الذى أنت فى وسطه فعل الرب » (الخروج ٣٤ : ١٠) ، وقد هتف موسى قائلا لله « من مثلك بين الآلهة يارب . . صانعاً عجائب » (الخروج١٥ : ١١) . وقال لليهود « هل شرع الله أن يأتى ويأخذ لنفسه شعباً من وسط شعب بتجارب وآيات وعجائب وحرب ويد شديدة وذراع رفيعة ومخاوف عظيمة مثل كل ما فعل لكم الرب إلهكم فى مصر أمام أعينكم » (التثنية ٤ : ٣٤) وقد جاء فى المزامير « مبارك الرب . . إله إسرائيل ، الصانع العجائب وحده » (المزمور ٧٢ : ١٨) . وقد رأينا فيما سبق عدداً من المعجزات التى صنعها الله أمام اليهود ، وقد سردت المزامير كثيراً منها إذقالت إن اليهود «لم يحفظوا عهدالله وأبوا السلوك فى شريعته، ونسوا أفعاله وعجائبه التى أراهم . قدام آبائهم صنع أعجوبة فى أرض مصر . . شق البحر فعبرهم ونصب المياه كند وهداهم بالسحاب نهاراً والليل كله بنور نار . شق صخوراً فى البرية وسقاهم كأنه من لجج عظيمة . أخرج مجارى من صخرة وأجرى مياهاً كالأنهار . ثم عادوا أيضاً ليخطئوا إليه ، لعصيان العلى فى الأرض الناشفة . . وجربوا الله فى قلوبهم بسؤالهم طعاماً لشهوتهم ، فوقعوا فى الله . قالوا هل يقدر الله أن يرتب مائدة فى البرية؟ هوذا ضرب الصخرة فجرت المياه وفاضت الأودية . هل يقدر أيضاً أن يعطى خبزاً أو يهيء لحماً لشعبه ؟ . لذلك سمع الرب فغضب واشتعلت نار فى يعقوب وسخط أيضاً صعد على إسرائيل ، لأنهم لم يؤمنوا بالله ولم يتكلوا على خلاصه ، فأمر السحاب من فوق وفتح مصاريع السماوات وأمطر عليهم مناً للأكل وبر السماء أعطاهم . أكل الانسان خبز الملائكة . أرسل عليهم زاداً للشبع . أهاج شرقية من السماء وساق بقوته جنوبية وأمطر عليهم لحما مثل التراب وكرمل البحر طيوراً ذات أجنحة ، وأسقطها فى وسط محلتهم حوالى مساكنهم فأكلوا وشبعوا

جداً وأتاهم بشهوتهم . لم يزوغوا عن شهوتهم ، طعامهم بعد فى أفواههم . فصعد عليهم غضب الله وقتل من أسمنهم .. فى هذا كله أخطأوا بعد ولم يؤمنوا بعجائبه .. فخادعوه بأفواههم وكذبوا عليه بألسنتهم . أما قلوبهم فلم تثبت معه ولم يكونوا أمناء فى عهده » (المزمور ٧٨ : ١٠ — ١٧) . وقد رأينا المعجزات التى أجراها الله على يد أنبيائه ولا سيما يشوع وإيليا وأليشع وإشعياء وإرميا ودانيال ويونان وغيرهم ، ليؤمن الناس به وبقدرته . وقد وبخ موسى اليهود لما أبدوا من شك فى وجود الله بينهم ، وفى قدرته على كل شىء يريده ، إذ حدث فى صحراء سيناء أنه « لم يكن ماء ليشرب الشعب ، فخاصم الشعب موسى وقالوا أعطونا ماء لنشرب .. فقال لهم موسى لماذا تخاصموننى ؟ لماذا تجربون الرب ؟ . . فصرخ موسى إلى الرب .. فقال الرب لموسى .. ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة فى حوريب . فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب . ففعل موسى هكذا أمام عيون شيوخ إسرائيل . ودعا اسم الموضع مسة ومريبة من أجل مخاصمة بنى إسرائيل ومن أجل تجربتهم للرب قائلين أفى وسطنا الرب أم لا » (الخروج ١٧ : ١ — ٧) . وقد حدث أن أبدى موسى وهارون نفسيهما الشك فى قدرة الله بعد كل ما صنع من معجزات أمامهما فغضب الله عليهما وعاقبهما ، إذ جاء فى سفر العدد « وكلم الرب موسى قائلا خذ العصا واجمع الجماعة أنت وهارون أخوك ، وكلما الصخرة أمام أعينهم أن تعطى ماءها . . فأخذ موسى العصا . . وجمع موسى وهارون الجمهور أمام الصخرة فقال لهم اسمعوا أيها المردة . أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء ؟ . ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماء غزير . . فقال الرب لموسى وهارون : من أجل أنكما لم تؤمنا بى حتى تقدسانى أمام أعين بنى إسرائيل . لذلك لا تدخلان هذه الجماعة التى أعطيتكم إياها » (العدد ٢٠ : ١ — ١٣) .

وقد أثبتت هذه المعجزات كلها أن الله قادر على كل شىء ، لأن الكون كله طوع أمره وخاضع لمشيئته ومنقاد لإرادته انقياداً حتمياً جبرياً . وهو يقول فى ذلك : « أنا الرب أتكلم ، والكلمة التى أتكلم بها تكون » (حزقيال ١٢ : ٢٥) ويقول « هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى . لا ترجع إلى فارغة . بل تعمل ما سررت به وتنجح فيما أرسلتها له » (إشعياء ٥٥ : ١١) ويقول « رأيى يقوم . . قد تكلمت فأجريه . قضيت فأفعله » (إشعياء ٤٦ : ١٠ و ١١) ويقول

كما قصدت يصير ، وكما نويت يثبت » (إشعياء ١٤ : ٢٤). ويقول « رب الجنود قد قضى ، فمن يبطل يده . ويده هى الممدودة فمن يردها » (إشعياء ١٤ : ٢٧) .

٤ — الله عظيم وقوى وجبار :

ومن أبرز كلام الأنبياء وأكثره ما يرددونه على الدوام عن عظمة الله وقوته وجبروته ، إذ يقول موسى النبى « يا سيد الرب أنت قد ابتدأت ترى عبدك عظمتك ويدك الشديدة . فإنه أى إله فى السماء وعلى الأرض يعمل كأعمالك وجبروتك » (التثنية ٣ : ٢٤) ويقول « لأن الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب الإله العظيم الجبار » (التثنية ١٠ : ١٧) ويقول « هوذا الرب إلهنا قد أرانا مجده وعظمته » (التثنية ٥ : ٢٤) . ويقول « أرنم للرب فانه قد تعظم » (الخروج ١٥ : ١) وقد جاء فى سفر الخروج « قال الرب لموسى . . قف أمام فرعون وقل هكذا يقول الرب . . ليس مثلى فى كل الأرض . . أقمتك لكى أريك قوتى » (الخروج ٩ : ١٣ — ٢١) . ويقول داود النبى « لك يارب العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد » (أخبار الأيام الأول ٢٩ : ١٠) ويقول « أنت متسلط على الجميع وبيدك القوة والجبروت » (أخبار الأيام ٢٩ : ١٢) . ويقول « يا رب إلهى قد عظمت جداً ، مجداً وجلالا لبست » (المزمور ١٠٤ : ١) ، ويقول إرميا النبى « لا مثيل لك يارب . عظيم أنت وعظيم اسمك فى الجبروت » (إرميا ١٠ : ٦) .

٥ — الله قدوس ومقدس وطاهر :

والله قدوس ، إذ قال لليهود « إنى أنا الرب إلهكم فتتقدسون وتكونون قديسين لأنى أنا قدوس » (اللاويين ١١ : ٤١) . وقال لهم « لا تدنسون اسمى القدوس فأتقدس فى وسط بنى إسرائيل أنا الرب مقدسكم » (اللاويين ٢٢ : ٣٢) وقد جاء فى سفر صموئيل « ليس قدوس مثل الرب » (صموئيل الأول ٢ : ٢) . كما جاء فيه « من يقدر أن يقف أمام الرب الإله القدوس » (صموئيل الأول ٦ : ٢٠) وجاء فى سفر الملوك « هكذا قال الرب إله إسرائيل . . من جهة سنحاريب ملك آشور . . على من عليت صوتاً وقد رفعت عينيك على قدوس إسرائيل » (الملوك الثانى ١٩ : ٢٠ — ٢٢) .

والله مقدس وطاهر ولا يصح أن يقترب منه إلا كل مقدس وطاهر ، فقد قال « تكونون لى أناساً مقدسين » (الخروج ٢٢ : ٣١) . وقال « تكونون قديسين لأنى قدوس » (اللاويين ١٩ : ١) . وقال « فتتقدسون وتكونون قديسين لأنى أنا الرب إلهكم . . أنا الرب مقدسكم » (اللاويين ٢٠ : ٧) وقال « تكونون لى قديسين لأنى قدوس أنا الرب » (اللاوين ٢٠ : ٢٦) . وقد جاء فى سفر الخروج « من مثلك بين الآلهة يارب . . من مثلك معتزاً بالقداسة » (الخروج ١٥ : ١١) . وحين كلم الله موسى أول مرة من النار المشتعلة فى العليقة . . « قال موسى موسى . فقال ها أنذا . فقال لا تقترب إلى هنا . إخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة » (الخروج ٣ : ٥) . وحين أراد الله أن يعلن نفسه لليهود قال لموسى « إذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغداً وليغسلوا ثيابهم ويكونوا مستعدين لليوم الثالث لأنه فى اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب » . (الخروج ١٩ : ١٠ و ١١) . وقد أراد الله أن يكون الكهنة الذين يخدمونه فى خيمة الاجتماع مقدسين أطهاراً ، فقال لموسى « تأخذ من الدم الذى على المذبح ومن دهن المسحة وتنضح على هارون وثيابه وعلى بنيه وثياب بنيه معه ، فيتقدس هو وثيابه وبنوه وثياب بنيه معه » (الخروج ٢٩ : ٢١) وقال له « اصنع ثياباً مقدسة لهارون أخيك للمجد والبهاء . . ليكهن لى » (الخروج ٢٨ : ٢ و ٤) . وقال له « كلم الكهنة بنى هارون . . مقدسين يكونون لإلهم ولا يدنسون اسم إلهم لأنهم يقربون وقائد الرب طعام إلهم فيكونون قدساً . إمرأة زانية أو مدنسة لا يأخذوا . ولا يأخذ امرأة مطلقة من زوجها ، لأنه مقدس لإلهه ، فتحسبه مقدساً لأنه يقرب خبز إلهك . مقدساً يكون عندك لأنى قدوس أنا الرب مقدسكم .. ولا يخرج من القدس لئلا يدنس مقدس إلهه . . لأن إكليل دهنَ مسحة إلهه عليه » (اللاويين ٢١ : ١ — ٢٤) . وفى كل مرة يدخلونَ خيمة الاجتماع ليؤدوا خدمتهم الكهنوتية فليتطهروا . . فيغسل هارون وبنوه أيديهم وأرجلهم . . لئلا يموتوا . أو عند اقترابهم إلى المذبح للخدمة ليوقدوا وقوداً للرب . يغسلون أيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا . ويكون لهم فريضة أبدية له ولنسله فى أجيالهم » (الخروج ٣٠ : ١٧ — ٢١) . « وكلم الرب موسى قائلا أوص بنى إسرائيل أن ينفوا من المحلة . . كل متنجس .. حيث أنا ساكن فى وسطهم » (العدد ٥ : ١ — ٣) وقال يشوع لليهود « تقدسوا لأن الرب يعمل غداً فى وسطكم عجائب » (يشوع ٣ : ٥) . ومما يدل على شناعة الجريمة التى

رتكبها فى حق الله من يدخل خيمة الاجتماع ليتعبد له بغير أن يتطهر ، إن عقوبة هذه الجريمة هى الموت ، إذ قال الله « وأما الإنسان الذى يتنجس ولا يتطهر فتباد تلك النفس من بين الجماعة ، لأنه نجس مقدس الرب » (العدد ١٩ : ٢٠) . وقال « كل إنسان من جميع نسلكم اقترب إلى الأقداس التى يقدسها بنو إسرائيل للرب ونجاسته عليه تقطع تلك النفس من أمامى ، أنا الرب » (اللاويين ٢٢ : ٣) . وذلك لأن الله لكمال قدسيته وطهارته يرفض النجاسة بطبيعته، ويعتبر كل نجس غير أهل للاقتراب منه ، بل يعتبره قد أجرم فى حقه ، لأنه بنجاسته وعدم طهارته قد أهان قدسية الله وطهارته فاستحق العقاب الذى يستحقه من أهان الله واستهان بصفة من ألزم صفات كماله وألوهيته .

٦ — الله بار وصالح وصادق وأمين ووف ومحسن :

ومن صفات الله التى ذكرها الأنبياء كذلك البر والصلاح والصدق والأمانة والوفاء والإحسان . فقد قال داود النبى « فاحص القلوب والكلى ، الله البار » (المزمور ٧ : ٩) وقال « احمدوا الرب لأنه صالح » (أخبار الأيام الأول ١٦ : ٣٤) وقال الله « أنا الرب متكلم بالصدق » (إشعياء ٤٥ : ١٩) وقال « بذاتى أقسمت . خرج من فمى الصدق » (إشعياء ٤٥ : ٢٣) . وجاء فى سفر العدد « ليس الله إنساناً فيكذب . . هل يقول ولا يفعل ، أو يتكلم ولا يفى ؟ » (العدد ٢٣ : ١٩) . وجاء فى سفر الملوك « إن كلام الرب . . حق » (الملوك ١٧ : ٢٤) . وجاء فى سفر التثنية « فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل » (التثنية ٧ : ٩) . وجاء فى سفر الخروج « ونادى الرب الرب إله رحيم رؤوف بطىء الغضب وكثير الإحسان والوفاء » . (الخروج ٣٤ : ٥)

لذلك يحب الله أن يكون الإنسان باراً ، ويكره أن يكون شريراً . وهو يسبغ رضاه على الأبرار ويصب سخطه على الأشرار ، فهو يقول « الشرير لا أعرفه . الذى يغتاب صاحبه ، هذا أقطعه . مستكبر العين ومتنفخ القلب لا أحتمله . عيناى على أمناء الأرض لكى أجلسهم معى . . السالك طريقاً كاملا هو يخدمنى . باكراً أبيد جميع

أشرار الأرض لأقطع من مدينة الرب كل فاعلى الإثم » (المزمور ١٠١ : ٤ — ٨)، وهو يقول « لأنى لا تستقر عصا الأشرار على نصيب الصديقين لكيلا يمد الصديقون أيديهم إلى الإثم » (المزمور ٢١٥ : ٢٣) . وهو يختار الأبرار ويقربهم إليه . . « فالذى يختاره يقربه إليه » (العدد ١٦ : ٥) وهو يصارح الأبرار بتدبيره ، فهو يقول « هل أخفى عن إبراهيم ما أنا فاعله ؟ » (التكوين ١٨ : ١٧) . وهو ينقذ الأبرار من مصير الأشرار ، فقد جاء فى سفر التكوين «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر . . فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان . . وأما نوح فوجد نعمة فى عينى الرب » (التكوين ٦ : ٥ — ٨) . وحين أمر الله اثنين من ملائكته بتخريب سدوم وعموره ، كان لوط يقيم هناك ، وكان رجلا باراً ، فقال له الملاكان « كل من لك فى المدينة أخرج من المكان لأننا مهلكان هذا المكان » (التكوين ١٩ : ١٢و١٣) والله إذ يحب الأبرار يستجيب لصلواتهم ويقبل شفاعتهم . فقد جاء فى سفر التكوين « فصلى إبراهيم إلى الله فشفى الله أبيمالك » (التكوين ٢٠ : ١٧) « وصلى إسحق إلى الرب لأجل إمرأته لأنها كانت عاقراً فاستجاب له الرب فحبلت رفقة إمرأته » (التكوين ٢٥ : ٢١) . وجاء فى سفر الخروج « فقال الرب لموسى هذا الأمر أيضاً الذى تكلمت به أفعله لأنك وجدت نعمة فى عينى » (الخروج ٣٣ : ١٧) . وجاء فيه « فقال موسى للرب . . إصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك وكما غفرت لهذا الشعب من مصر إلى هنا . فقال الرب قد صفحت حسب قولك » (العدد ١٤ : ١٣ و ٢٠) . وجاء فى سفر الملوك « وصرخ (إيليا) إلى الرب وقال يا رب إلهى اترجع نفس هذا الولد إلى جوفه . فسمع الرب لصوت إيليا ، فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش » (الملوك الأول ١٧ : ٧ — ٢٤) . وجاء فيه « ودخل (أليشع) البيت وإذا بالصبى ميت ومضطجع على سريره . فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب . . فسخن جسد الولد . . ثم فتح الصبى عينيه » . (الملوك الثانى ٤ : ٣٢ — ٣٦)

٧ — الله جميل :

والله جميل ، لاجمال الجسد البشرى الفانى ، وإنما جمال الروح الخالدة فى أسمى معانيه التى يمكن أن يدركها العقل . ولذلك قال داود النبى « واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس . أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى . لكى أنظر إلى جمال الرب » (المزمور ٢٧ : ٤) . وجاء فى المزامير « أنت أروع جمالا من بنى البشر » (المزمور ٤٥ : ٢) وجاء فيها « من صهيون كمال الجمال ، الله أشرق » (المزمور ٥٠ : ٢) وجاء فيها « العز والجمال فى مقدسه » (المزمور ٩٦ : ٦) . وقال الله « وأزين بيت جمالى » (إشعياء ٦٠ : ٧) .

٨ — الله هو الخالق للكون وللبشر :

وأول صفة من صفات الله التى تذكرها التوراة فى أول فصل من فصولها هى أنه هو الخالق لكل شىء ولكل بشر ، بمجرد إرادته وبكلمة منه . إذ جاء فى بداية سفر التكوين « فى البدء خلق الله السماوات والأرض . . وقال الله ليكن نور فكان نور . . وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة . . وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير فوق الأرض . . فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التى فاضت بها المياه كأجناسها ، وكل طائر ذى جناح كجنسه . . وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها . . فعمل الله وحوش الأرض والبهائم . . وجميع دبابات الأرض . . وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا . . فخلق الله الإنسان على صورته .. ذكراً وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض . وقال الله إنى قد أعطيتكم كل بقل . . وكل شجر . . لكم يكون طعاماً . ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية .. وكان كذلك » (التكوين ١ : ١ — ٣١) .

لذلك قال نحميا النبي «أنت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها والأرض وكل ماعليها والبحار وكل مافيها وأنت تحييها كلها» (نحميا ٩ : ٦) . وقال أيوب «يداك كونتاني وصنعتاني .. جبلتني كالطين .. كسوتني جلداً ولحماً فنسجتني بعظام وعصب .. منحتني حياة .. وحفظت عنايتك روحي» (أيوب ١٠ : ٣ و ٨ — ١١) . وقال «فاسأل البهائم فتعلمك وطيور السماء فتخبرك ، أو كلم الأرض فتعلمك وتحدثك سمك البحر . من لا يعلم من كل هؤلاء أن يد الرب صنعت هذا . الذي بيده نفس كل حي وروح كل بشر» (أيوب ١٢ : ٧ — ١٠) . وقال الله لأيوب «أين كنت حين أسست الأرض .. من وضع قياسها .. على أي شيء قرت قواعدها أو من وضع حجر زاويتها .. ومن حجز البحر بمصاريع حين اندفق فخرج من الرحم . إذ جعلت السحاب لباسه والضباب قماطه ، وجزمت عليه حدي ، وأقمت له مغاليق ومصاريع وقلت إلى هنا تأتي ولا تتعدى وهنا تتخم كبرياء لججك .. هل انتهيت إلى ينابيع البحر ، أو في مقصورة الغمر تمشيت ؟ .. هل انكشفت لك أبواب الموت أو عاينت أبواب ظل الموت ؟ .. أين الطريق إلى حيث يسكن النور ، والظلمة أين مقامها ؟ .. أدخلت إلى خزائن الثلج أم أبصرت مخازن البرد .. في أي طريق يتوزع النور وتتفرق الشرقية على الأرض ؟ .. من فرع قنوات للهطل وطريقاً للصواعق ، ليمطر على أرض حيث لا إنسان ؟ .. هل للمطر أب ومن ولد مآجل الطل ؟ .. من بطن من خرج الجمد ؟ .. صقيع السماء من ولده ؟ .. هل تربط أنت عقد الثريا أو تفك ربط الجبار .. هل عرفت سنن السماوات أو جعلت تسلطها على الأرض .. من يحصي الغيوم بالحكمة ومن يسكب أزقاق السماء .. من يهيء للغراب صيده إذ تنعب فراخه إلى الله وتتردد لعدم القوت . هل أنت تعطي الفرس قوته وتكسو عنقه عرفاً ؟ .. أمن فهمك يستقل العقاب وينشر جناحيه نحو الجنوب ، أو بأمرك يحلق النسر ويعلي وكره ؟ .. هل لك ذراع كما لله ؟» (أيوب ٢٨ — ٤٠) وقال داود النبي «بكلمة الرب صنعت السماوات» وبنسمة فيه كل جنودها . يجمع كند أمواه اليم ، يجعل اللجج في أهراء . لتخش الرب كل الأرض ومنه ليخف كل سكان المسكونة ، لأنه قال فكان . هو أمر فصار» (المزمور ٣٣ : ٦ — ٨) . وقال «هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا» (المزمور ٩٥ : ٦) وقال إشعياء النبي «الرب خالق السماوات .. باسط الأرض ..

معطى الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحاً » (إشعياء ٤٢ : ٥) . وقال « الله مصور الأرض وصانعها » (إشعياء ٤٥ : ١٨) . ثم قال لمن يرتابون فى أن الله هو خالق البشر : « يا لتحريفكم . هل يحسب الجابل كالطين ، حتى يقول المصنوع عن صانعه لم يصنعنى ؟ » (إشعياء ٢٩ : ١٦) وقد قال الله على لسان إشعياء النبى « أنا الرب . . مصور النور وخالق الظلمة . . ويل لمن يخاصم جابله . . هل يقول الطين لجابله ماذا تصنع ؟ .. أنا صنعت الأرض وخلقت الإنسان عليها . يداى أنا نشرتا السماوات ، وكل جندها أنا أمرت »(إشعياء ٤٥ : ٥ — ١١) .

وقد خلق الله الإنسان وجعله سيد الخليقة هو ونسله ، إذ جاء فى سفر التكوين « فخلق الله الإنسان على صورته . . ذكراً وأنثى خلقهم . . وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض .. وقال الله إنى قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزراً على وجه كل الأرض ، وكل شجر فيه ثمر ، شجر يبزر بزراً ، لكم يكون طعاماً » (التكوين ١ : ٢٧ — ٢٩) وجاء فى هذا السفر أيضاً « بارك الله نوحاً وبنيه وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء ، مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دفعت إلى أيديكم . كل دابة حية تكون لكم طعاما . كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع » (التكوين ٩ : ١ — ٧) . وقد جاء فى المزامير « فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده ، وتنقصه قليلا عن الملائكة ، وبمجد وبهاء تكلله . تسلطه على أعمال يديك . جعلت كل شيء تحت قدميه : الغنم والبقر جميعاً وبهائم البر أيضاً ، وطيور السماء وسمك البحر السالك فى سبل المياه » (المزمور ٨ : ٤ — ٨) . وبذلك لم يعد على الأرض سيد للإنسان إلا الله وحده الذى هو خالق أرواح وأجساد جميع البشر ، ومالكها وملكها وسيدها . ولذلك جاء فى سفر العدد « كلم الرب موسى وهارون قائلا إفترزوا من بين هذه الجماعة فإنى أفنيهم فى لحظة ، فخرا على وجهيهما وقالا اللهم إله أرواح جميع البشر ، هل يخطىء رجل واحد فتسخط على كل الجماعة ؟ »(العدد ١٦ : ٢٠ — ٢٢) . وجاء فى هذا السفر « فكلم موسى الرب قائلا ليوكل الرب إله أرواح جميع البشر رجلا على الجماعة » (العدد ٢٧ : ١٥ و ١٦) وقدقال الله على لسان إرميا النبى « ها أنذا

الرب إله كل ذى جسد » (إرميا ٣٢ : ٢٧)

ومعنى قول الله « نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا » أنه شاء أن يشابهه الإنسان فى بعض معرفته وبره وقداسته ، مما يدل على أن الإنسان حين خلقه الله وقبل أن يسقط فى الخطيئة كان صالحاً ليس فيه شر ، إذ يقول سليمان الحكيم « إن الله صنع .. الإنسان مستقيما . أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة » (الجامعة ٧ : ٢٩) .

والله كما خلق الخير سمح بوجود الشر على مقتضى حكمته الإلهية ، فهو يقول « أنا الرب .. صانع السلام وخالق الشر » (إشعياء ٤٥ : ٥ — ٧) . وهو كما خلق الملائكة لعمل ما أراد من خير ، خلق الشياطين لتنفيذ ما سمح به من شر ، فهو يقول « أنا خلقت المهلك ليخرب » (إشعياء ٥٤ : ١٦) .

وإذ شاء الله أن يخلق الإنسان على صورته ، اعتبر بنى الانسان أبناءه ، فهو يقول « من جهة بنى ومن جهة عمل يدى أوصونى » (إشعياء ٤٥ : ١١) . ويقول موسى النبى « أليس هو أباك ومقتنيك ؟ » (التثنية ٣٢ : ٦) ويقول إشعياء النبى « يارب أنت أبونا . نحن الطين وأنت جابلنا . وكلنا عمل يديك » (إشعياء ٦٤ : ٨) .

بيد أن الله كما أنه أبو البشر وهم أبناؤه ، فهو كذلك سيدهم وهم عبيده . له عليهم حق التعبد والطاعة والولاء ، فيقول داود النبى « الكل عبيدك » (المزمور ١١٩ : ٩١) ويقول « سبحوا ياعبيد الرب . سبحوا الرب » (المزمور ١١٣ : ١) ويقول « باركوا الرب يا جميع عبيد الرب الواقفين فى بيت الرب » (المزمور ١٣٤ : ١) . ويقول نحميا « إن إله السماء يعطينا النجاح ونحن عبيده » (نحميا ٢ : ٢٠) . ويقول إشعياء النبى « لماذا أضللتنا يا رب عن طرقك .. إرجع من أجل عبيدك » (إشعياء ٦٣ : ١٧) .

وحين خلق الله الإنسان جعل له عمراً طويلا ، يصل أحياناً إلى ما يقرب من الألف سنة : إذ تحدثنا التوراة أن آدم عاش ٩٣٠ سنة . وعاش ابنه شيث ٩١٢ سنة . وعاش أنوش بن شيث ٩٠٥ سنة . وعاش قينان بن أنوش ٩١٠ سنة . وعاش مهلئيل بن قينان ٨٩٥ سنة وعاش يارد بن مهلئيل ٩٦٢ سنة . وعاش أخنوخ بن يارد ٣٦٥ سنة . وعاش

متوشالح بن أخنوخ ٩٦٩ سنة . وعاش لامك بن متوشالح ٧٧٧ سنة . وعاش نوح بن لامك ٩٥٠ سنة (التكوين ٥ : ١ — ٣٢) . ولكن عمر الانسان بسبب شروره لم يلبث أن تناقص مع الزمن :فعاش إبراهيم ١٧٥ سنة(التكوين ٢٥ : ٧) وعاش إسحق ١٨٠ سنة (التكوين ٣٥ : ٢٨) وعاش يعقوب ١٤٧ سنة(التكوين ٤٧ : ٢٨) . ثم لم يفتأ التناقص فى عمر الإنسان يزداد فقد عاش موسى النبى ١٢٠ سنة (التثنية ٣٤ : ٧) وعاش يشوع ١١٠ سنين (يشوع ٢٤ : ٢٩) . ولم يفتأ عمر الإنسان يتناقص باستمرار .فقد عاش داود ٧١ سنة (صموئيل الثانى ٢ : ١١ و ٥ : ٤ و ٥ و أخبار الأيام الأول ٢٩ : ٢٧) وعاش سليمان نحو ٦٠ سنة (أخبار الأيام الأول ٢٩ : ١ ؛ أخبار الأيام الثانى ٩ : ٣٠) . وهكذا كلما أوغل الإنسان فى الشرور وابتعد عن طبيعته الصالحة الأولى التى جبله الله عليها ، ازداد ضعف جسده ، ونقصت أيام حياته .

وكما أن الله هو الذى خلق الإنسان وهو الذى أحياه ،فانه هو كذلك الذى يميته، فهو الذى بيده الحياة والموت . وقد قال فى سفر التثنية « أنا أميت وأحيي » (التثنية ٣٢ : ٣٩) وجاء فى سفر صموئيل « الرب يميت ويحيي » (صموئيل الاول ٢ : ٦) وجاء فى سفر الملوك « فلما قرأ ملك إسرائيل الكتاب مزق ثيابه وقال هل أنا الله لكى أميت وأحيي » (الملوك الثانى ٥ : ٧) .

والله هو الذى يقرر موت الإنسان فى لحظة بذاتها . فقد جاء فى سفر العدد « وكلم الرب موسى وهارون فى جبل هور .. قائلا يضم هارون إلى قومه .. فمات هارون هناك على رأس الجبل » (العدد ٢٠ : ٢٢ — ٢٩) وجاء فيه « وقال الرب لموسى اصعد إلى جبل عباريم وانظر الأرض التى أعطيت بنى إسرائيل ، ومتى نظرتها تضم إلى قومك أنت أيضا ، كما ضم هارون أخوك » (العدد ٢٧ : ١٢ و ١٣) « فمات هناك موسى عبد الرب فى موآب حسب قول الرب » (التثنية ٣٤ : ٦) .

ولما كان الله هو الذى يحدد موعد موت الإنسان ، فهو إذا شاء قضى بموت إنسان فى لحظة ما وأماته فى هذه اللحظة ، وإذا شاء لحكمة يرمى إليها أضاف إلى عمره سنوات أخرى .وقد روى لنا سفر الملوك واقعة كهذه ، إذ جاء به أنه « فى تلك الأيام مرض حزقيا للموت ، فجاء إليه إشعياء بن آموص النبي وقال له هكذا قال الرب : أوص بيتك

لأنك تموت ولا تعيش . فوجه وجهه إلى الحائط وصلى إلى الرب قائلا : آه يا رب اذكر كيف سرت أمامك بالأمانة وبقلب سليم وفعلت الحسن فى عينيك . وبكى حزقيا بكاء عظيما .. ولم يخرج إشعياء إلى المدينة الوسطى حتى كان كلام الرب إليه قائلا ارجع وقل لحزقيا رئيس شعبى : هكذا قال الرب إله داود أبيك . قد سمعت صلاتك . قد رأيت دموعك . ها أنذا أشفيك . . وأزيد على أيامك خمس عشرة سنة » (الملوك الثانى ٢٠ : ١ — ٦) كما أن الله إذا أراد استمرار حياة إنسان شفاه من كل مرض يهدده بالموت ، ولذلك يقول « فإنى أنا الرب شافيك » (الخروج ١٥ : ٢٦) . وهذا دليل على أن الإنسان لا يحيا إلا بكلمة الله وحدها ، ولذلك جاء فى سفر التثنية « إنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان » (التثنية ٨ : ٣) . فحياة الانسان مملوكة لله ، وكل ما يملكه الإنسان كذلك من المواهب ومن متاع الدنيا إنما هو من الله ومملوك له . وفى ذلك يقول داود للنبى « لك يا رب الملك . . والغنى والكرامة من لدنك . . وبيدك تعظيم وتشديد الجميع . منك الجميع . ومن يدك أعطيناك . . كل هذه الثروة التى هيأناها لنبنى لك بيتاً لاسم قدسك إنما هى من يدك ولك الكل » (أخبار الأيام الأول ٩ : ١١ — ١٦) .

وقد خلق الله ضمن ما خلق الملائكة والشياطين : وفى وصف الملائكة يقول إشعياء النبى « رأيت السيد جالساً على كرسى عال . . السرافيم (وهم فرقة من الملائكة) ، واقفون فوقه ، لكل واحد ستة أجنحة ، باثنين يغطى وجهه وباثنين يغطى رجليه وباثنين يطير » (إشعياء ٦ : ١ و ٢) . والملائكة هم جنود الله الذين يستخدمهم فى تنفيذ إرادته . ومن ذلك ما ترويه التوراة ، إذ جاء فى سفر الملوك : « وكان فى تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش آشور مائة ألف وخمسة وثمانين ألفاً » (الملوك الثانى ١٦ : ٣٥) . وجاء فى سفر إشعياء « فخرج ملاك الرب وضرب من جيش آشور مائة وخمسة وثلاثين ألفا » (إشعياء ٣٧ : ٣٦). وجاء فى سفر أخبار الأيام « فجاء جاد إلى داود وقال له هكذا قال الرب اقبل لنفسك إما ثلاث سنين جوع أو ثلاثة أشهر هلاك أمام مضايقيك وسيف أعدائك يدركك أو ثلاثة أيام يكون فيها سيف الرب ، ووباء فى الأرض وملاك الرب يعثو فى كل تخوم إسرائيل . . وأرسل الله ملاكا على أورشليم لإهلاكها ، وفيما هو يهلك رأى الرب فندم على الشر وقال للملاك المهلك كفى الآن رد يدك . وكان ملاك الرب

واقفاً عند بيدر أرنان اليبوسى . ورفع داود عينيه فرأى ملاك الرب واقفاً بين الأرض والسماء، وسيفه مسلول بيده وممدود على أورشليم » (أخبار الأيام الأول ٢١ : ٩ — ١٦) . وجاء فى سفر العدد « ثم كشف الرب عن عينى بلعام فأبصر ملاك الرب واقفاً فى الطريق وسيفه مسلول فى يده . . فقال له ملاك الرب .. لو لم تمل من قدامى لكنت الآن قد قتلتك » (العدد ٢٢ : ٣١ — ٣٣) . وأما الشياطين فقد ورد ذكرهم فى التوراة كثيراً . ومن ذلك ما جاء فى سفر أخبار الأيام إذ يقول « ووقف الشيطان ضد إسرائيل وأغوى داود ليحصى إسرائيل » (أخبار الأيام الأول ٢١ : ١) . وجاء فى سفر أيوب « فقال الرب للشيطان من أين جئت ؟ فأجاب الشيطان الرب وقال من الجولان فى الأرض . . . فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدى أيوب ، لأنه ليس مثله فى الأرض . رجل كامل ومستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر . فأجاب الشيطان الرب وقال هل مجاناً يتقى أيوب الله ؟ أليس أنك . . باركت أعمال يديه . . ولكن ابسط يدك الآن ومس كل ماله فإنه فى وجهك يجدف عليك . فقال الرب للشيطان هو ذا كل ماله فى يدك » (أيوب ١ : ٧ — ١٢) . ولما كانت الشياطين شريرة ولا تصنع إلا الشر ، وقد سيطرت بذلك على الأرض ، بسماح من الله لامتحان البشر ، فقد جاء فى سفر أيوب « الأرض مسلمة ليد الشرير » (أيوب ٩ : ٢٤) .

والله إذ هو خالق السماء والأرض وكل الكائنات التى فى الكون ، فهو مالكها جميعاً . وفى ذلك يقول داود النبى « لك يارب العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد ، لأن لك كل ما فى السماء والأرض » (أخبار الأيام الأول ٢٩ : ١٠) ويقول « للرب الأرض وملؤها . المسكونة وكل الساكنين فيها » (المزمور ٢٤ : ١) . وقد جاء فى المزامير « أنت تمتلك كل الأمم » (المزمور ٨٢ : ٨) .

ومهما فسدت الخليقة واستحقت الهلاك ، فان الله لا يريد هلاكها ، وإنما يجد مسرته فى بقائها واستمرارها ، فهو يستأصل ما فسد منها ويؤدب ما يحتاج منها إلى التأديب ، ثم يستبقى ما كان منها صالحاً ، ليكفل لها البقاء والاستمرار . وهذا ما يتضح لنا من قصة الطوفان الواردة فى الفصول الأولى من سفر التكوين ، إذ جاء بها « ورأى الرب أن شر الانسان قد كثر على الأرض .. فقال الرب أمحو

من وجه الأرض الانسان الذى خلقته . . وأما نوح فوجد نعمة فى عينى الرب . . فقال الله لنوح : نهاية كل بشر قد أتت أمامى ، لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم ، فها أنا مهلكهم مع الأرض .. فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء . . ولكن أقيم عهدى معك .. فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك .. لأنى إياك رأيت باراً لدى فى هذا الجيل .. من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ، ذكراً وأنثى .. ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وأنثى ، لاستبقاء نسل على وجه كل الأرض .. ففعل نوح حسب كل ما أمره به الرب » (التكوين ٦ — ١٠) .

٩ — الله هو إله الخليقة وملكها ومالكها وسيدها والمتسلط عليها :

ولما كان الله هو خالق الخليقة فهو إلهها وهو مالكها وملكها وسيدها وصاحب السلطان الأعلى عليها . فهو يقول فى سفر اللاويين « الأرض لا تباع بتة ، لأن لى الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندى » (اللاويين ٢٥ : ٢٣) وجاء فى سفر التكوين « رفعت يدى إلى الرب الإله مالك السماء والأرض » (التكوين ١٤ : ٢١ — ٢٤). « وقال إبراهيم لعبده .. فأستحلفك بالرب إله السماء والأرض ألا تأخذ زوجة لابنى من بنات الكنعانيين » (التكوين ٢٤ : ٣) . وقد جاء فى سفر صموئيل « للرب أعمدة الأرض وقد وضع عليها المسكونة » (صموئيل الأول ٢ : ٨) . وجاء فى سفر التثنية « هوذا للرب إلهك السماوات وسماء السماوات والأرض وكل ما فيها » (التثنية ١٠ : ٤) . وجاء فى المزامير « للرب الملك وهو المتسلط على الأمم .. قدامه يجثو كل من ينحدر إلى التراب » (المزمور ٢٢ : ٢٨ و ٢٩) . وجاء فيها « لك يا رب الملك ، وقد ارتفعت رأساً على الجميع وأنت تتسلط على الجميع » (أخبار الأيام ٢٩ : ١١ و ١٢) . وجاء فيها « يجلس الرب ملكا إلى الأبد » (المزمور ٢٩: ١٠ و ١١) وجاء فيها « أنت تمتلك كل الأمم » (المزمور ٨٢ : ٨) . وجاء فيها « مملكته على الكل تسود » (المزمور ١٠٣ : ٩) : وجاء فيها « الله ملك الأرض كلها » (المزمور ٤٧ : ٦) . ويقول إرميا النبى « هو إله حى وملك أبدى » (إرميا ١٠ : ١٠) ويقول الله « أنا ملك عظيم .. واسمى مهيب بين الأمم » (ملاخى ١ : أخبار الأيام « هو الرب إلهنا ، فى كل الأرض أحكامه

(أخبار الأيام الأول ١٦ : ١٤) . وجاء فى سفر يشوع « هوذا تابوت عهدسيد كل الأرض عابر أمامكم » (يشوع ٣ : ١١) . وجاء فى سفر دانيال النبي « إن العلى متسلط فى مملكة الناس » (دانيال ٤ : ١٧) .

وإذ كان الله هو الملك والسيد والمتسلط ، فهو الذى يحكم الخليقة بإرادته ويديرها ويدبر أمورها على مقتضى حكمته ومسرته ، فما من شىء يحدث للكون أو للكائنات إلا بأمر الله وبسماح منه ، وما من شىء يقع للإنسان أو من الإنسان إلا كان الله هو فاعله وواضع خطته وصاحب التدبير فيه لغاية سامية يقصدها ، وهدف صالح يرمى إليه . فيقول إشعياء النبى « يارب . . كل أعمالنا صنعتها لنا » (إشعياء ٢٦ : ١٢) . وقال الله على لسان إشعياء النبى « إنى أعاقب ثمرة عظمة قلب ملك آشور وفخر رفعة عينيه ، لأنه قال بقدرة يدى صنعت ، وبحكمتى لأنى فهيم ، ونقلت تخوم الشعوب .. وحططت الملوك كبطل . فأصابت يدى ثروة الشعوب .. هل تفتخر الفأس على القاطع بها أو يتكبر المنشار على مردده ؟ » (إشعياء ١٠ : ١٢ — ١٥) . ويقول إرميا النبى « من ذا الذى يقول فيكون والرب لم يأمر ؟ » (مراثى إرميا ٣ : ٣٧) ويقول « عرفت يارب أنه ليس للإنسان طريقه . ليس لإنسان يمشى أن يهدى خطواته (وإنما الذى يفعل ذلك هو الله) » (إرميا ١٠ : ٢٣) . وقد قال يوسف لإخوته « ليس أنتم أرسلتمونى إلى هنا بل الله » (التكوين ٤٥ : ٨) وقال لفرعون « الأمر مقرر من قبل الله ، والله مسرع ليصنعه » (التكوين ٤١ : ٢٥ و ٣٢) . وقال عبد إبراهيم « ليكن أن الفتاة التى تخرج لتستقى .. هى المرأة التى عينها الرب لابن سيدى » (التكوين ٢٤ : ٤٣) .

وكل ما يقع بإرادة الله ، إنما يقصد الله به إلى الصلاح والخير ، ولو بدا للناس سوءاً وشراً ، إذ يقول يوسف لإخوته « لا تأسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعتمونى إلى هنا ، لأنه لاستبقاء حياة أرسلنى الله قدامكم . . فقد أرسلنى الله قدامكم . . ليجعل لكم بقية فى الأرض وليستبقى لكم نجاة عظيمة » (التكوين ٤٥ : ٥ — ٧) .

وما من شك فى أن الله كما أوجد الخير ، أوجد الشر كذلك على مقتضى حكمته ولتحقيق أغراضه الصالحة . فهو يقول « أنا الرب . . صانع السلام

وخالق الشر » (إشعياء ٤٥ : ٦ و ٧) ويقول « أنا خلقت المهلك ليخرب » (إشعياء ٥٤ : ١٦) ، ويقول عاموس النبي « هل تحدث بلية فى مدينة والرب لم يصنعها ؟ » (عاموس ٣ : ٦) ويقول إرميا النبي « من فم العلي ألا تخرج الشرور والخير ؟ » (مراثى إرميا ٣ : ٣٨) . ومن الأغراض التي يرمى إليها الله بما يصيب به الإنسان من شرور وآلام ومذلة وهوان وحرمان ، أن يمتحن إيمانه ويصهره كما تصهر المعادن كي ينقيه مما علق بروحه من شوائب وآثام ، ويؤدبه كما يؤدب الأب ابنه ليهديه إلى طريق الصلاح والحق ، وفى ذلك يقول داود النبي « الرب يمتحن الصديق. أما الشرير ومحب الظلم فتبغضه نفسه» (المزمور ١١ : ٥) وقال «تأديباً أدبنى الرب وإلى الموت لم يسلمنى » (المزمور ١١٨ : ١٨) وقال « قد علمت يا إلهى أنك تمتحن القلوب وتسر بالاستقامة » (أخبار الأيام الأول ٢٩ : ١٧) . وقال « قد علمت يارب أن أحكامك عدل وبالحق أذللتنى » (المزمور ١١٩ : ٧٥) . وقال « لأنك جربتنا ياألله محصتنا كمحص الفضة . . أدخلتنا إلى الشبكة . جعلت ضغطاً على متوننا . ركبت أناساً على رؤوسنا . دخلنا فى النار والماء ، ثم أخرجتنا إلى الخصب » (المزمور ٦٦ : ١٠ — ١٢) . ويقول سليمان الحكيم « البوطة للفضة والكور للذهب ، وممتحن القلوب الرب » (الأمثال ١٧ : ٣) . ويقول « لا تحتقر تأديب الرب ولا تكره توبيخه ، لأن الذى يحبه الرب يؤدبه وكأب بابنه يسر به » (الأمثال ٣ : ١١ و ١٢) ويقول إرميا النبي « أدبنى يارب ولكن بالحق لا بغضبك لئلا تفنينى » (إرميا ١٠ : ٢٤) ، ويقول أيوب « طوبى لرجل يؤدبه الله ، فلا ترفض تأديب القدير ، لأنه هو يجرح ويعصب ، يسحق ويداه تشفيان » (أيوب ٥ : ١٧ و ١٨) . وقد جاء فى سفر التكوين « وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال له . . خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة» (التكوين ٢٢ : ١ — ٢٤) . وجاء فى سفر التثنية « وتتذكر كل الطريق التى فيها سار بك الرب إلهك هذه الأربعين سنة فى القفر لكى يذلك ويجربك ليعرف ما فى قلبك أتحفظ وصاياه أم لا ، فأذلك وأجاعك . . فاعلم فى قلبك أنه كما يؤدب الإنسان ابنه قد أدبك الرب إلهك »(التثنية ٨ : ٢ — ٥) . ومهما بدا للإنسان من قسوة مايصيبه من مصائب ، ومهما عجز عقله عن أن يهديه إلى سبب هذه القسوة أو الحكمة من ورائها ، حتى ليتزعزع إيمان الضعفاء من الناس بعدل الله ورحمته ، فإن عند الله السبب

العادل والحكمة الرحيمة التي لا يعلمها إلا الله وحده ولا يمكن للبشر إدراكها ، إذ يقول الله « أفكاري ليست أفكاركم ، ولا طرقكم طرقي . . لأنه كما علت السماوات عن الأرض ، هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم » (إشعياء ٥٥ : ٨ و ٩) .

ولما كان الله بالنسبة للإنسان هو إلهه الذي خلقه وهو ملكه ومالكه وسيده والمتسلط عليه ، وهو في ذات الوقت أبوه ، فقد وجب خضوع الإنسان لله خضوع المخلوق للخالق ، والرعية للملك ، والمملوك للمالك ، والعبد للسيد ، والمرؤوس لصاحب الرئاسة والسلطان ، كما وجبت عليه محبته محبة الإبن لأبيه . ولذلك أوجب الله على الانسان عبادته وطاعته ومخافته ومحبته في كل أقواله وأفعاله وتصرفاته . وفي كل أفكاره ومشاعره وكل مظاهر حياته :

فالله يطلب من الإنسان الايمان به والولاء له وطاعته وتنفيذ أوامره والامتناع عن نواهيه ، والعمل بمقتضى كل تعاليمه ووصاياه وفرائضه وشرائعه . فإذا فعل الانسان ذلك في صدق وخشوع نال رضاء ربه ونعمته ، وإن امتنع وعاند وتمرد استوجب سخطه وعقابه ونقمته ، وقد جاء عن ذلك في سفر التكوين قول الله لابراهيم « يتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي » (التكوين ٢٢ : ١٥ — ١٩) . وجاء فيه « فذهب إسحق إلى جرار . . وظهر له الرب وقال . . لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد . . ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أن إبراهيم سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي ، أوامري و فرائضي وشرائعي » (التكوين ٢٦ : ١ — ٦) . وجاء في سفر الخروج « إن كنت تسمع لصوت الرب إلهك وتصنع الحق في عينيه وتصغي إلى وصاياه وتحفظ جميع فرائضه فمرضاً ما مما وضعته على المصريين لا أضع عليك » (الخروج ١٥ : ٢٦) وجاء في سفر اللاويين « أحكامي تعملون وفرائضي تحفظون لتسلكوا فيها أنا الرب إلهكم ، فتحفظون فرائضي وأحكامي التي إذا فعلها الإنسان يحيا بها . أنا الرب » (اللاويين ١٨ : ١ — ٥) . وجاء في سفر التثنية « فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل ، والمجازي الذين يبغضونه بوجوههم ليهلكهم . لا يمهل من يبغضه ، وبوجهه يجازيه »

(التثنية ٧ : ٩ و ١٠) وجاء فيه « وراء الرب إلهكم تسيرون وإياه تتقون . وصاياه تحفظون وصوته تسمعون وإياه تعبدون وبه تلتصقون » (التثنية ١٣ : ٤) ، وجاء فيه « قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير ، والموت والشر . بما أنى أوصيتك اليوم أن تحب الرب إلهك وتسلك فى طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكى تحيا وتنمو ويباركك الرب إلهك فى الأرض التى أنت داخل إليها لكى تمتلكها . فان انصرف قلبك ولم تسمع بل غويت وسجدت لآلهة أخرى وعبدتها فإنى أنبئكم اليوم أنكم لا محالة تهلكون » (التثنية ٣٠ : ١٥ — ١٨) وجاء فى سفر صموئيل « هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب ؟ . هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة ، والإصغاء أفضل من شحم الكباش ، لأن التمرد كخطيئة العرافة ، والعناد كالوثن والترافيم » (صموئيل الأول ١٥ : ٢٢ و ٢٣) ، وجاء فى سفر الملوك أن الملك داود حين حضرته الوفاة أوصى ابنه سليمان قائلا « احفظ شعائر الرب إلهك ، إذ تسير فى طرقه وتحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه وشهاداته كما هو مكتوب فى شريعة موسى لكى تفلح فى كل ما تفعل وحيثما توجهت ، لكى يقيم الرب كلامه الذى تكلم به عنى قائلا إذا حفظ بنوك طريقهم وسلكوا أمامى بالأمانة من كل قلوبهم وكل أنفسهم ، قال لا يعدم لك رجل على كرسى إسرائيل » (الملوك الأول ٢ : ١ — ٤) . وقال الله لسليمان « هذا البيت الذى أنت بانيه إن سلكت فى فرائضى وعملت أحكامى وحفظت كل وصاياى للسلوك بها فإنى أقيم لك كلامى الذى تكلمت به إلى داود وأسكن فى وسط بنى إسرائيل » (الملوك الأول ٦ : ١١ — ١٣) . ثم قال له « إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائى ولا تحفظون وصاياى وفرائضى التى جعلتها أمامكم ، بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها ، فإنى أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التى أعطيتهم إياها ، والبيت الذى قدسته لاسمى أنفيه من أمامى ويكون إسرائيل مثلا وهزأة فى جميع الشعوب ، وهذا البيت يكون عبرة » (الملوك الأول ٩ : ٤ — ٨) . وجاء فى المزامير « طوبى للكاملين طريقاً ، السالكين فى شريعة الرب . طوبى لحافظى شهاداته .. لا يرتكبون إثما .. بكل قلبي طلبتك . لا تضلنى عن وصاياك .. علمنى فرائضك .. بطريق شهاداتك فرحت .. بوصاياك ألهج .. بفرائضك أتلذذ .. إكشف عن عينى فأرى عجائب من شريعتك .. لا تخف عنى وصاياك . انسحقت نفسي شوقا إلى أحكامك فى كل حين .. انتهرت

المتكبرين الملاعين الضالين عن وصاياك . وخرج عنى العار والإهانة لأنى حفظت شهاداتك . . شهاداتك هى لذتى . . علمنى فرائضك . . بشريعتك ارحمنى . . عن شريعتك لم أمل . تذكرت أحكامك منذ الدهر يارب فتعزيت . الحمية أخذتنى بسبب الأشرار تاركى شريعتك . ترنيمات صارت لى فرائضك فى بيت غربتى . . رفيق أنا لكل الذين يتقونك ولحافظى وصاياك . . شريعة فمك خير لى من ألوف ذهب وفضة .. ليكن قلبى كاملا فى فرائضك لكيلا أخزى . . كل وصاياك أمانة . . إلى الدهر لا أنسى وصاياك لأنك بها أحييتنى . . انصرفوا عنى أيها الأشرار فأحفظ وصايا إلهى . . إحتقرت كل الضالين عن فرائضك لأن مكرهم باطل . . الخلاص بعيد عن الأشرار ، لأنهم لم يلتمسوا فرائضك » (المزمور ١١٩) . وقال ميخا النبى « ماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعا مع إلهك ؟ » (ميخا ٦ : ٨) وقال الله على لسان إرميا النبى « لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة وذبيحة ، بل إنما أوصيتهم بهذا الأمر قائلا اسمعوا صوتى فأكون لكم إلهاً وأنتم تكونون لى شعباً . . فلم يسمعوا » (إرميا ٧ : ٢٢ — ٢٤) . وقال « لا يفتخرن الحكيم بحكمته ولا يفتخر الجبار بجبروته ولا يفتخر الغنى بغناه ، بل بهذا ليفتخر المفتخر ، بأنه يفهم ويعرفنى أنى أنا الرب الصانع رحمة وقضاء وعدلا فى الأرض لأنى بهذه أسر » (إرميا ٩ : ٢٣ و ٢٤) .وقال « ملعون الإنسان الذى لا يسمع كلام هذا العهد الذى أمرت به آباءكم . . قد نقض بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدى الذى قطعته مع آبائهم . لذلك . . ها أنذا جالب عليهم شراً لا يستطيعون أن يخرجوا منه » (إرميا ١١ : ٣ و ١١) .

وطاعة الله تتضمن مخافته وتقواه . فقد جاء فى سفر اللاويين « إخش إلهك » (اللاويين ٢٥ : ١٧) . وجاء فى سفر التكوين أن ملاك الله قال لإبراهيم حين شرع يذبح ابنه إسحق كرهان على طاعته لله « لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً لأنى الآن علمت أنك خائف الله » (التكوين ٢٢ : ٩ — ٢٤) . وقال يوسف لإخوته « أنا خائف الله .. أحضروا أخاكم الصغير إلى فيتحقق كلامكم » (التكوين ٤٢ : ١٨ — ٢٤) وقال الله لموسى « أنت تنظر من جميع الشعب ذوى قدرة خائفين الله

أمناء مبغضين الرشوة وتقيمهم عليهم رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء خماسين ورؤساء عشرات ، فيقضون للشعب كل حين » (الخروج ١٨ : ٢١ — ٢٣) . وقال موسى لليهود « لا تخافوا لأن الله إنما جاء لكى يمتحنكم ولكى تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لاتخطئوا » (الخروج ٢٠ : ١٨ — ٢٦) وقال لهم « قال لى الرب اجمع لى الشعب فأسمعهم كلامى لكى يتعلموا أن يخافونى كل الأيام التى هم فيها أحياء على الأرض ويعلموا أولادهم » (التثنية ٤ : ١ و ١٠) ، وقال لهم « هذه هى الوصايا والفرائض والأحكام التى أمر الرب إلهكم أن أعلمكم لتعملوها فى الأرض التى أنتم عابرون إليها لتمتلكوها . لكى تتق الرب إلهك وتحفظ جميع فرائضه ووصاياه » (التثنية ٦ : ١ و ٢) . وقال الله « ياليت قلبهم كان هكذا فيهم حتى يتقونى ويحفظوا جميع وصاياى كل الأيام لكى يكون لهم ولأولادهم خير إلى الأبد » (التثنية ٥ : ٢٩) وجاء فى سفر التثنية « الرب إلهك تتقى وإياه تعبد » (التثنية ٦ : ١٣) . وجاء فيه « فأمرنا الرب أن نعمل جميع هذه الفرائض ونتقى الرب إلهنا ليكون لنا خير كل الأيام » (التثنية ٦ : ٢٤). وجاء فيه « احفظ وصايا الرب إلهك، لتسلك فى طرقه وتتقيه » (التثنية ٨ : ٦) وجاء فيه « فالآن يا إسرائيل ماذا يطلب منك الرب إلهك إلا أن تتقى الرب إلهك لتسلك فى كل طرقه وتحبه وتعبد الرب إلهك، من كل قلبك ومن كل نفسك وتحفظ وصايا الرب وفرائضه التى أنا أوصيك بها اليوم لخيرك » (التثنية ١٠ : ١٢ و ١٣) وجاء فيه « الرب إلهك تتقى . إياه تعبد وبه تلتصق » (التثنية ١٠ : ٢٠) . وجاء فى سفر يشوع « لكى تعلم جميع شعوب الأرض يد الرب أنها قوية لكى تخافوا الرب إلهكم كل الأيام » (يشوع ٤ : ٢٤). وجاء فى سفر صموئيل « إذا تسلط على الناس بار يتسلط بخوف الله » (صموئيل الثانى ٢٣ : ٣) . وجاء فى المزامير « اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة » (المزمور ٢ : ١١) . وجاء فيها « تخش الرب كل الأرض ومنه ليخف كل سكان المسكونة » (المزمور ٣٣ : ٨) وجاء فيها « هوذا عين الرب على خائفيه » (المزمور ٣٢ : ١٨) وجاء فيها « رأس الحكمة مخافة الرب » (المزمور ١١١ : ١٠) وجاء فيها « طوبى للرجل المتقى الرب المسرور جداً بوصاياه » (المزمور ١١٢ : ١) وجاء فيها « طوبى لكل من يتقى الرب ويسلك فى طرقه » (المزمور ١٢٨ : ١) . وجاء فى سفر الأمثال « مخافة الرب تزيد الأيام . أما سنو الأشرار فتقصر » (الأمثال ١٠ : ٢٧)

وجاء فيه « فى مخافة الرب ثقة شديدة ويكون لبنيه ملجأ » (الأمثال ١٤ : ٩) . وجاء فيه « مخافة الرب ينبوع حياة للحيدان عن أشراك الموت » (الأمثال ١٤ : ٢٧) وجاء فيه « القليل مع مخافة الرب خير من كنز عظيم مع هم » (الأمثال ١٥ : ١٦) وجاء فيه « مخافة الرب أدب حكمة » (الأمثال ١٥ : ٣٣) . وجاء فيه « لا يحسدن قلبك الخاطئين بل كن فى مخافة الرب اليوم كله ، لأنه لابد من ثواب ورجاؤك لا يخيب » (الأمثال ٢٣ : ١٧ و ١٨) . وجاء فى سفر الجامعة « اتق الله واحفظ وصاياه .. لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة .. إن كان خيراً أو شراً » (الجامعة ١٢ : ١٣ و ١٤) . ويقول ملاخى النبى « الرب أصغى وسمع وكتب أمامه سفر تذكرة للذين اتقوا الرب وللمفكرين فى اسمه ويكونون لى — قال رب الجنود — فى اليوم الذى أنا صانع خاصة وأشفق عليهم كما يشفق الإنسان على ابنه الذى يخدمه » (ملاخى ٣ : ١٦ و ١٧) . ويقول إرميا النبى « من لا يخافك يا ملك الشعوب لأنه بك يليق » (إرميا ١٠ : ٧) ويقول داود النبى « اسجدوا للرب . . ارتعدوا أمامه يا جميع الأرض » (أخبار الأيام الأول ١٦ : ٢٩ و ٣٠) .

ولا يمكن للإنسان أن يطيع الله ويخافه ويتقيه إلا إذا وضع فرائضه على الدوام فى ذاكرته ونصب عينيه متذكراً الله فى كل حين . وقد قال الله لموسى فى صحراء سيناء « كلم بنى إسرائيل وقل لهم أن يصنعوا لهم أهداباً فى أذيال ثيابهم فى أجيالهم ، ويجعلوا على هدب الثوب عصابة من أسمانجونى ، فتكون لهم أهداباً فترونها وتذكرون كل وصايا الرب وتعملونها ولا تطوفون وراء قلوبكم وأعينكم التى أنتم فاسقون وراءها ، لكى تذكروا وتعملوا كل وصاياى .. وتكونون مقدسين لإلهكم » (العدد ١٥ : ٣٧ — ٤١) ، وقال موسى لليهود « احترز من أن تنسى الرب إلهك ولا تحفظ وصاياه وأحكامه وفرائضه التى أنا أوصيك بها اليوم ، لئلا إذا أكلت وشبعت وبنيت بيوتاً جيدة وسكنت وكثرت بقرك وغنمك وكثرت لك الفضة والذهب وكثر كل مالك ، يرتفع قلبك وتنسى الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية » (التثنية ٨ : ١١ — ١٤) . وجاء فى سفر الجامعة « فاذكر خالقك فى أيام شبابك قبل أن تأتى أيام الشر أو تجيء السنون . . لأن الإنسان ذاهب إلى بيته الأبدى » (الجامعة ١٢ : ١ — ٥) . وأما الذين ينسون الله وفرائضه فمصيرهم

الهلاك ، إذ جاء فى المزامير « الأشرار يرجعون إلى الهاوية . كل الأمم الناسين الله » (المزمور ٩ : ١٧) .

ولما كان الله أبا لكل البشر ، فهو يحبهم كما يحب الآب أبناءه ، وعليهم هم أيضاً أن يحبوه كما يحب الأبناء آباءهم . وقد جاء فى سفر التثنية « الرب إلهنا رب واحد . فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك » (التثنية ٦ : ٤ و ٥) وجاء فيه « فأحب الرب إلهك واحفظ حقوقه وفرائضه وأحكامه ووصاياه كل يوم » (التثنية ١١ : ١) وجاء فى المزامير « أحبوا الرب يا جميع أتقيائه » (المزمور ٣١ : ٢٣) . ومن ثم فان الله يحسن إلى محبيه ويعاقب مبغضيه ، إذ يقول « أنا الرب إلهك إله غيور ، أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء وفى الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضوننى ، وأصنع إحساناً إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياى » (التثنية ٥ : ٩ و ١٠)

ولما كان الله هو ملك الإنسان وسيده وأبوه وصاحب الفضل عليه وولى نعمته ، كان خليقاً بالإنسان أن يسجد لله احتراماً وتبجيلا وإجلالا وتعبيراً عن الولاء والخضوع ، وإقراراً بالفضل والنعمة ، ولذلك قال الله « إنه لى تجثو كل ركبة » (إشعياء ٤٥ : ٢٣) وقال الله لموسى « إصعد إلى الرب أنت وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل واسجدوا من بعيد » (الخروج ٢٤ : ١) . وحين كان اليهود يرون مجد الرب وقد ظهر فى خيمة الاجتماع كا . « يقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد فى باب خيمته » (الخروج ٣٣ : ١٠) . وسمع موسى صوت الرب « فأسرع موسى وخر إلى الأرض وسجد » (الخروج ٣٤ : ٨) . وقد جاء فى سفر اللاويين « وتراءى مجد الرب لكل الشعب وخرجت نار من عند الرب وأحرقت على المذبح المحرقة والشحم ، فرأى جميع الشعب وهتفوا وسقطوا على وجوههم » (اللاويين ٩ : ٢٣ و ٢٤) وقال داود لليهود « اسجدوا للرب فى زينة مقدسة » (أخبار الأيام الأول ١٦ : ٢٩) . وقد جاء فى سفر أخبار الأيام « فبارك كل الجماعة الرب إله آبائهم وخروا وسجدوا للرب » (أخبار الأيام الأول ٢٩ : ٢٠) . وجاء فى المزامير « هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا » (المزمور ٩٥ : ٦) .

وبما أن الله هو صاحب السلطة العليا على كل الخليقة وبيده مصير الإنسان وكل شئون حياته ، فإن صلاة الإنسان لا تكون إلا له ، وتضرعه لا يكون إلا إليه . ولذلك قال إرميا النبي « لنرفع قلوبنا وأيدينا إلى الله فى السماوات » (مراثى إرميا ٣ : ٤١) وقد جاء فى سفر التكوين « صلى إسحق إلى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقراً ، فاستجاب له الرب فحبلت رفقة امرأته » (التكوين ٢٥ : ٢١) . وصلى يعقوب قائلا « ياإله أبى إبراهيم وإله أبى إسحق ، الرب الذى قال لى ارجع إلى أرضك وإلى عشيرتك فأحسن إليك . . نجنى من يد أخى . . من يد عيسو لأنى خائف منه » (التكوين ٣٢ : ٩ — ١٢) . وجاء فى سفر الخروج « فتضرع موسى أمام الرب إلهه وقال لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك ؟ » (الخروج ٣٢ : ٧ — ١٤) . وجاء فى سفر القضاة « فدعا شمشون الرب وقال ياسيدى الرب اذكرنى وشددنى يا الله هذه المرة فقط فأنتقم نقمة واحدة من عينى من الفلسطينيين » (القضاة ١٦ : ٢٨) . وجاء فى سفر الملوك « وقف سليمان أمام مذبح الرب . . وبسط يديه إلى السماء وقال أيها الرب إله إسرائيل . . احفظ لعبدك داود أبى ما كلمته به قائلا لا يعدم لك أمامى رجل يجلس على كرسى إسرائيل » (الملوك الأول ٨ : ٢٢ ألخ) وجاء فيه « صرخ (إيليا) إلى الرب وقال أيها الرب إلهى أأيضاً إلى الأرملة التى أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنها ؟ فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال يارب إلهى لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه . فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه » (الملوك الأول ١٧ : ١٧ — ٢٤) . وجاء فى سفر أخبار الأيام « دعا آسا الرب إلهه وقال أيها الرب ليس فرقاً عندك أن تساعد الكثيرين ، من ليس له قوة ، فساعدنا أيها الرب إلهنا لأننا عليك اتكلنا » (أخبار الأيام الثانى ١٤ : ١١ و١٢) . وجاء فيه « فوقف يهوشافاط فى جماعة يهوذا وأورشليم فى بيت الرب أمام الدار الجديدة ، وقال يارب إله آبائنا أما أنت هو الله فى السماء ؟ . . هوذا بنو عمون وموآب وجبل سعير . . هم يكافئوننا بمجيئهم لطردنا من ملكك الذى ملكتنا إياه » (أخبار الأيام الثانى ٢٠ : ١ — ١٣) . وقال عزرا « جثوت على ركبتى وبسطت يدى إلى الرب إلهى وقلت اللهم إنى أخجل وأخزى من أن أرفع يا إلهى وجهى نحوك ، لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا وآثامنا تعاظمت إلى السماء » (عزرا ٩ : ٥ الخ) . وقال دانيال النبى « فوجهت

وجهى إلى الله السيد طالباً بالصلاة والتضرعات ، بالصوم والمسح والرماد ، وصليت إلى الرب إلهى »(دانيال ٨ : ٣ و ٤) ، وجاء فى سفر يونان «فصلى يونان النبى إلى الرب إلهه من جوف الحوت » (يونان ٢ : ١) .

ومطالبة الله للإنسان بالسجود له ، وتوجيه صلاته وضراعته إليه ، تتضمن مطالبة الله للإنسان بالتواضع أمامه ، لأن من تعالى واستكبر أمام إلهه وخالقه وسيده إنما يشبه فى شره الشيطان الذى أسقطه الله بسبب تعاليه واستكباره عليه . ومما يدل على أن الله يحب المتواضعين ما جاء فى سفر الملوك إذ يقول « فكان كلام الرب إلى إيليا التشبى قائلا هل رأيت كيف اتضع آخاب أمامى . فمن أجل أنه اتضع أمامى لا أجلب الشر فى أيامه ، بل فى أيام ابنه أجلب الشر على بيته » (الملوك الأول ٢١ : ٢٨) . وجاء فى سفر الملوك أيضاً « أما ملك يهوذا . . فهكذا تقولون له . هكذا قال الرب . . من أجل أنه قد رق قلبك وتواضعت أمام الرب . . ومزقت ثيابك وبكيت أمامى . . لا ترى عيناك كل الشر الذى أنا جالبه على هذا الموضع » (الملوك الثانى ٢٢: ١٨ — ٢٠) وجاء فى سفر أخبار الأيام « فإذا تواضع شعبى . . وصلوا وطلبوا وجهى ورجعوا عن طرقهم الرديئة ، فإنى أسمع من السماء وأغفر خطيئتهم »(أخبار الأيام الثانى ٧ : ١٤) . وجاء فيه « ثم تواضع حزقيا بسبب ارتفاع قلبه هو وسكان أورشليم فلم يأت عليهم غضب الرب فى أيام حزقيا » (أخبار الأيام الثانى ٣٢ : ٢٦) وجاء فيه « ولما تضايق (منسى) طلب وجه الرب إلهه وتواضع جداً أمام إله آبائه ، وصلى إليه فاستجاب له » (أخبار الأيام الثانى ٣٣ . ١٢) وجاء فى سفر الأمثال « لعنة الرب فى بيت الشرير لكنه يبارك مسكن الصديقين. كما أنه يستهزىء بالمستهزئين ، هكذا يعطى نعمة للتواضعين » (الأمثال ٣ : ٣٣ و ٣٤) . وجاء فيه « تأتى الكبرياء فيأتى الهوان ، ومع المتواضعين حكمة» (الامثال ١١ : ٢) . وجاء فيه « مخافة الرب أدب حكمة، وقبل الكرامة التواضع » (الامثال ١٥ : ٣٢) وجاء فيه « تواضع الروح مع الودعاء خير من قسم الغنيمة مع المتكبرين » (الامثال ١٦ : ١٩) . وجاء فيه « ثواب التواضع ومخافة الرب هو غنى وكرامة وحياة » (الامثال ٢٢ : ٤) وقال صفنيا النبى « أطلبوا التواضع لعلكم تسترون يوم سخط الرب » (صفنيا ٢ : ٣) وقال إشعياء النبى «وهكذا قال العلى المرتفع

ساكن الأبد القدوس اسمه : فى الموضع المرتفع المقدس أسكن ومع المنسحق ومتواضع الروح ، لأحيي روح المتواضعين ، ولأحيي قلب المنسحقين » (إشعياء ٥٧ : ١٥) . وقال ميخا النبي « ماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك ؟ » (ميخا ٦ : ٨) . وجاء فى سفر أيوب « أطلب إلى الله . . الجاعل المتواضعين فى العلى فيرتفع المحزونون إلى أمن » (أيوب ٥ : ٨ و ١١) .

ومن مظاهر ولاء الإنسان لله وحبه له ورغبته فى الانقطاع لعبادته وخدمته ، أن ينذر بعض الناس أنفسهم أو ينذرون بنيهم ، بأن يكرسوا بعض سنوات حياتهم ، أو يكرسوا حياتهم كلها لهذه العبادة والخدمة . ولما كان خادم الله المقدس الطاهر ينبغي أن يكون مقدساً وطاهراً ، فقد وضع شريعة للنذير ينبغي عليه التزامها بكل حرص وتدقيق ، إذ ورد فى سفر العدد « كلم الرب موسى قائلا . . إذا انفرز رجل أو امرأة لينذر نذر النذير لينتزر للرب ، فعن الخمر والمسكر يفترز . . كل أيام نذر افترازه لا يمر موسى على رأسه إلى كمال الأيام التى انتذر فيها للرب يكون مقدساً ويربى خصل شعر رأسه . . يوم تكمل أيام انتذاره يؤتى به إلى باب خيمة الاجتماع فيقرب قرباناً للرب . . ويحلق النذير لدى باب خيمة الاجتماع رأس انتذاره ، ويأخذ شعر رأس انتذاره ويجعله على النار التى تحت ذبيحة السلامة » (العد ٦ : ١ — ١٩) . وقد يختار الله شخصاً ويعينه نذيراً له ، فقد جاء فى سفر القضاة « كان رجل من صرعة ، من عشيرة المديانيين اسمه منوح وامرأته عاقر لم تلد . فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها ها أنت عاقر لم تلدى . ولكنك تحبلين وتلدين ابنا . والآن فاحذرى ولا تشربى خمراً ولا مسكرا ولا تأكلى شيئاً نجساً ، فها أنت تحبلين وتلدين ابناً ولا يعلو موسى رأسه لأن الصبي يكون نذيراً لله من البطن ، وهو يبدأ يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين . . وقال له (منوح) . . عند مجيء كلامك ماذا يكون حكم الصبي ومعاملته ؟ . فقال ملاك الرب لمنوح : من كل ما قلت للمرأة فلتحتفظ . من كل ما يخرج من جفنة الخمر لا تأكل وخمراً ومسكراً لا تشرب ، وكل نجس لا تأكل . . فولدت المرأة ابنا ودعت اسمه شمشون . . وابتدأ روح الرب يحركه » (القضاة ١٣ : ١ — ٢٥) وجاء فى سفر صموئيل « كان رجل من رامتايم صوفيم من جبل أفرايم اسمه ألقانة . . وله امرأتان اسم الواحدة حنة واسم الأخرى فننة . . وكان لفننة أولاد وأما حنة فلم يكن

لها أولاد .. فصلت إلى الرب وبكت بكاءً ونذرت نذراً وقالت يارب الجنود إن نظرت نظراً إلى مذلة أمتك وذكرتني ولم تنس أمتك ، بل أعطيت أمتك زرع بشر ، فإني أعطيه للرب كل أيام حياته ولا يعلو رأسه موسى .. وكان في مدار السنة أن حنة حبلت وولدت ابناً . ودعت اسمه صموئيل .. وأتت به إلى الرب في شيلوه .. وكان الصبي يخدم الرب . . وكبر صموئيل وكان الرب معه . . وعرف جميع إسرائيل من دان إلى بئر سبع أنه قد اؤتمن صموئيل نبياً للرب » (صموئيل الأول ١ — ٣) .

كما أن من مظاهر ولاء الإنسان لله وحبه له ، أن ينذر له نذوراً من عمل يعمله أو مال يبذله . وقد وضع الله لهذه النذور قواعد دقيقة ينبغي التزامها ، ومنها ما جاء في سفر التثنية إذ يقول « إذا نذرت نذراً للرب إلهك فلا تؤخر وفاءه لأن الرب إلهك يطلبه منك فتكون عليك خطيئة . ما خرج من شفتيك احفظ واعمل كما نذرت للرب إلهك تبرعاً كما تكلم فمك » (التثنية ٢٣ : ٢١ و ٢٣) .« ولكن إذا امتنعت أن تنذر لا تكون عليك خطيئة » (التثنية ٢٣ : ٢٢) .ومن النذور التي ذكرتها التوراة ما جاء في سفر التكوين حيث يقول « نذر يعقوب نذراً قائلا إن كان الله معي وحفظني في هذا الطريق الذي أنا سائر فيه وأعطاني خبزاً لآكل وثياباً لألبس ورجعت بسلام إلى بيت أبي يكون الرب لي إلهاً » (التكوين ٢٨ : ١٦ — ٢٢) . وجاء في سفر العدد « ولما سمع الكنعاني ملك عراد الساكن في الجنوب أن إسرائيل جاء . . حارب إسرائيل وسبي منهم سبياً ، فنذر إسرائيل نذراً وقال إن دفعت هؤلاء القوم إلى يدي أحرم مدنهم (أي أبيدها) . فسمع الرب لقول إسرائيل ودفع الكنعانيين فحرموهم ومدنهم » (العدد ٢١ : ١ — ٣) .

ويدخل في باب النذور أن يدفع الإنسان عشر ماله لله . وقد جاء عن العشور في سفر التكوين : « فلما سمع أبرام أن أخاه سبي . . تبعهم إلى دان . . واسترجع كل الأملاك واسترجع لوطاً أخاه . . فخرج ملك سدوم لاستقباله . . وملكي صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً ، وكان كاهناً لله العلي . . وباركه . . فأعطاه عشراً من كل شيء » (التكوين ١٤ : ١٤ — ٢٠) . وجاء في سفر اللاويين « كل عشر الأرض من حبوب الأرض وأثمار الشجر فهو للرب . . وأما كل عشر البقر والغنم فكل ما يعبر تحت العصا يكون العاشر قدساً للرب » (اللاويين ٢٧ : ٣٠—٣٢) . وجاء

فى سفر العدد « وأما بنى لاوى فإنى قد أعطيتهم كل عشر فى إسرائيل ميراثا عوض خدمتهم التى يخدمونها . خدمة خيمة الاجتماع .. وكلم الرب موسى قائلا واللاويون تكلمهم وتقول لهم ، متى أخذتم من بنى إسرائيل العشر الذى أعطيتكم إياه من عندهم نصيبا لله ترفعون منه رفيعة الرب عشراً من العشر . . ترفعون أنتم أيضا رفيعة الرب من جميع عشوركم التى تأخذون من بنى إسرائيل » (العدد ١٨ : ٢١ — ٢٨) وجاء فى سفر التثنية « لا يحل لك أن تأكل فى أبوابك عشر حنطتك وخمرك وزيتك ولا أبكار بقرك وغنمك ولا شيئا من نذورك التى تنذر .. بل أمام الرب إلهك تأكلها فى المكان الذى يختاره الرب إلهك » (التثنية ١٢ : ١٧ و ١٨) . وجاء فيه « المكان الذى يختاره الرب إلهكم من جميع أسباطكم ليضع اسمه فيه سكناه . . إلى هناك تأتون وتقدمون إلى هناك محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفائع أيديكم ونذوركم » (التثنية ١٢ : ٥ — ٧) . وجاء فيه « تعشيراً تعشر كل محصول زرعك الذى يخرج من الحقل سنة بسنة ، وتأكل أمام الرب إلهك فى المكان الذى يختاره فيحل اسمه فيه . عشر حنطتك وخمرك وزيتك وأبكار بقرك وغنمك لكى تتعلم أن تتقى الرب إلهك كل الأيام . . واللاوى الذى فى أبوابك لا تتركه لأنه ليس له قسم ولا نصيب معك . فى آخر ثلاث سنين تخرج كل عشر محصولك فى تلك السنة وتضعه فى أبوابك ، فيأتى اللاوى . . والغريب واليتيم والأرملة .. ويأكلون ويشبعون لكى يباركك الرب إلهك فى كل عمل يدك » (التثنية ١٤ : ٢٢ — ٢٩) . وجاء فى سفر نحميا « نأتى بأوائل عجيننا ورفائعنا وأثمار كل شجرة من الخمر والزيت إلى الكهنة ، إلى مخادع بيت إلهنا ونعشر أرضنا إلى اللاويين ، واللاويون هم الذين يعشرون فى جميع مدن فلاحتنا . ويكون الكاهن ابن هارون مع اللاويين حين يعشر اللاويون ، ويصعد اللاويون عشر الأعشار التى فى بيت إلهنا » (نحميا ١٠ : ٣٧ و ٣٨) . وجاء فى سفر عاموس « هلم إلى بيت إيل .. وأحضروا كل صباح ذبائحكم وكل ثلاثة أيام عشوركم » . (عاموس ٤ : ٤)

وكما أن الإنسان يسجد لله ويتجه إليه بصلاته وضراعته ، فإنه كذلك يحلف به ، إجلالا له وتبجيلا لاسمه ، وتدليلا على عظمته وعزته ومحبته ، إذ يقول الله « إنه لى تجثو كل ركبة ، يحلف كل لسان » (إشعياء ٤٥ : ٢٣) . وجاء فى سفر التثنية « الرب إلهك تتقى . إياه تعبد وبه تلتصق وباسمه تحلف » (التثنية ١٠ : ٢٠) أما الذى يحلف

بالله كذبا فإنه يهين الله ، ولذلك جاء فى سفر اللاويين « لا تحلفوا باسمى للكذب فتدنس اسم إلهك » (اللاويين ١٩ : ١١) . وجاء فى سفر العدد ، إذا نذر رجل نذراً للرب أو أقسم قسما أن يلزم نفسه . . فلا ينقض كلامه » (العدد ٣٠ : ١) . وقد استخدم الإنسان الحلف بالله فى إبرام العهود والمواثيق ، وفى الشهادة أمام القضاء . ومن ذلك ما جاء فى سفر التكوين إذ يقول « وحدث فى ذلك الزمان أن أبيمالك وفيكول رئيس جيشه كلما إبراهيم قائلين الله معك فى كل ما أنت صانع . فالآن احلف لى بالله ههنا أنك لا تغدر بى . . فقال إبراهيم أنا أحلف . . هناك حلف كلاهما » (التكوين ٢١ : ٢٢ — ٣٤) . وجاء فى سفر الخروج ، إذا أعطى إنسان صاحبه حماراً أو ثوراً . . للحفظ ، فمات أو انكسر أو نهب وليس ناظر فيمين الرب تكون بينهما » (الخروج ٢٢ : ١٠) ، وجاء فى سفر العدد « يستحلف الكاهن المرأة ويقول لها إن كان لم يضطجع معك رجل وإن كنت لم تزيغى إلى نجاسة من تحت رجلك فتكونى بريئة » (العدد ٥ : ١١ الخ) . وجاء فى سفر يشوع « فعمل يشوع لهم صلحاً وقطع لهم عهداً لاستحيائهم وحلف لهم رؤساء الجماعة . وفى نهاية ثلاثة أيام بعدما قطعوا لهم عهداً سمعوا أنهم قريبون إليهم وأنهم ساكنون فى وسطهم . . ولم يضربهم بنو إسرائيل لأن رؤساء الجماعة حلفوا لهم بالرب إله إسرائيل ، فتذمر كل الجماعة على الرؤساء . فقال جميع الرؤساء لكل الجماعة إننا قد حلفنا لهم بالرب إله إسرائيل والآن لا نتمكن من مسهم . هذا نصنعه لهم ونستحييهم فلا يكون علينا سخط من أجل الحلف الذى حلفنا لهم » (يشوع ٩ : ٣ — ٢٦) . وقد كانت الصيغة الشائعة للحلف هى أن يقول الحالف « حى هو الرب » . ومن ذلك ما جاء فى سفر القضاة إذ يقول « فقال هم إخوتى بنو أمى . حى هو الرب لو استحييتماهم لما قتلتكما » (القضاة ٨ : ١٩) . وجاء فى سفر صموئيل « فسمع شاول لصوت يوناثان وحلف شاول حى هو الرب لا يقتل (داود) » (صموئيل الأول ١٩ : ٦) . وجاء فى سفر إرميا « وقال الملك (صدقيا للنبى إرميا) . . لا تخف عنى شيئاً . . حى هو الرب الذى صنع لنا هذه النفس أنى لا أقتلك » (إرميا ٣٨ : ١٤ — ١٦) .

ولما كان الله هو سيد الخليقة كلها ، فإنه إذا حلف يحلف بذاته هو ، لأنه ليس ثمة من هو أعظم منه ليحلف به ، ومن ذلك ما جاء فى سفر التكوين إذ يقول : « ونادى

ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء ، وقال بذاتي أقسمت يقول الرب إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك ، أباركك مباركة » (التكوين ٢٢ : ١٥ — ١٧) . وجاء في سفر الخروج « فتضرع موسى أمام الرب إلهه وقال لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك ؟ . . أذكر إبراهيم وإسحق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء » (الخروج ٣٢ : ٧ — ١٤) وجاء في سفر العدد « ولكن حي أنا فتملأ كل الأرض من مجد الرب » (العدد ١٤ : ٢١) وجاء في سفر عاموس « قد أقسم السيد الرب بنفسه » (عاموس ٦ : ٨) . وجاء في سفر إرميا « أقسمت بنفسي يقول الرب إن هذا البيت يكون خراباً . . من أجل أنهم تركوا عهد الرب » (إرميا ٢٢ : ٥ و ٩) . وجاء فيه « حي أنا يقول الرب . . أسلمك ليد طالبي نفسك » (إرميا ٢٢ : ٢٤ و ٢٥) . وجاء فيه « هأنذا قد حلفت باسمي العظيم ، قال الرب ، إن اسمي لن يسمى بعد بفم إنسان ما من يهوذا في كل أرض مصر ، قائلا حي هو اسم الرب » (إرميا ٤٤ : ٢٦) .

أما من يسب الله أو يجدف عليه ، فانه بذلك يرتكب جريمة عظمى عقوبتها الموت ، لأن الإساءة فيها موجهة إلى الله ذاته ، سيد الخليقة كلها ، وقد جاء في سفر الخروج « لا تسب الله » (الخروج ٢٢ : ٢٨) . وجاء في سفر اللاويين « فجدف ابن الإسرائيلية على الاسم وسب ، فأتوا به إلى موسى . . فكلم الرب موسى قائلا أخرج الذي سب إلى خارج المحلة فيضع جميع السامعين أيديهم على رأسه ويرجمه كل الجماعة . وكلم بني إسرائيل قائلا كل من سب إلهه يحمل خطيته . ومن جدف على اسم الرب فانه يقتل ، يرجمه كل الجماعة رجماً » (اللاويين ٢٤ : ١٠ — ١٦) . وجاء في سفر الملوك « شهد رجال بليعال على نابوت أمام الشعب قائلين قد جدف نابوت على الله وعلى الملك ، فأخرجوه خارج المدينة ورجموه بحجارة فمات » (الملوك الأول ٢١ : ١٣) . وجاء في سفر إشعياء « هكذا يقول الرب إله إسرائيل . . من جهة سنحاريب ملك آشور . . من عيرت وجدفت وعلى من عليت صوتا . وقد رفعت إلى العلاء عينيك على قدوس إسرائيل » (إشعياء ٣٧ : ٢١ — ٢٣) . وجاء في سفر حزقيال « هكذا قال السيد الرب ، في هذا أيضاً جدف على آباؤكم إذ خانوني خيانة . . حي أنا يقول السيد الرب أني بيد قوية وبذراع ممدودة ، وبسخط مسكوب أملك

عليكم .، وأحاكمكم . . فتعلمون أنى أنا الرب » (حزقيال ٢٠ : ٢٧ — ٣٨) . وجاء فى المزامير : « يؤخذون بالمؤامرة التى فكروا بها ، لأن الشرير يفتخر بشهوات نفسه والخاطف يجدف ، ويهين الرب . . فمه مملوء لعنة وغشاً وظلماً . . لماذا أهان الشرير الله ؟ . أحطم ذراع الفاجر . . يارب » (المزمور ١٠ : ١ — ١٨) .

وليس الإنسان وحده هو الذى يتعبد لله ويترنم له ويخشع أمامه ويخضع لأوامره ويحترم أحكامه ، وإنما الكون كله يفعل ذلك . فقد جاء فى المزامير « السماوات تحدث بمجد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه » (المزمور ١٩ : ١) . وجاء فيها « سبحوا الرب من السماوات ، سبحوه فى الأعالى ، سبحوه ياجميع ملائكته . سبحوه يا كل جنوده . سبحيه يا أيتها الشمس والقمر ، سبحيه ياجميع كواكب النور . سبحيه ياسماء السماوات ويا أيتها المياه التى فوق السماوات .. سبحى الرب من الأرض يا أيتها التنانين وكل اللجج . النار والبرد والثلج والضباب . الريح العاصفة الصانعة كلمته . الجبال وكل الآكام . الشجر المثمر وكل الأرز . الوحوش . وكل البهائم . الدبابات والطيور ذات الأجنحة .. ليسبحوا اسم الرب . لأنه قد تعالى اسمه وحده . مجده فوق الأرض والسماوات » (المزمور ١٤٨ : ١ — ١٤) . وجاء فيها « ليعج البحر وملؤه .. المسكونة والساكنون فيها ، الأنهار تصفق بالأيادى . الجبال ترنم معاً أمام الرب » (المزمور ٩٨ : ٧ — ٩) .

وهكذا تمجد الله كل الخليقة هاتفة بعظمته ، معترفة بقوته وقدرته ، منصرفة إلى تسبيحه والترنم له والتسليم بسيادته على الكون والكائنات ، والإقرار بحكمته فى كل ما صنع وفى كل ما أبدع من كل ذى حياة أو غير ذى حياة فى الأرض وفى السماوات . ومن ذلك ما جاء فى المزامير إذ تقول « لك ينبغى التسبيح يا ألله . . المثبت الجبال بقوته . المتنطق بالقدرة ، المهدىء عجيج البحار ، عجيج أمواجها وضجيج الأمم . . تجعل مطالع الصباح والمساء تبتهج . تعهدت الأرض وجعلتها تفيض .. سواقى الله ملآنة ماء . . بالغيوث تحللها . تبارك غلتها . . تقطر مراعى البرية وتتنطق الآكام بالبهجة . اكتست المروج غنما والأودية تتعطف برا . تهتف وأيضا تغنى .. إهتفى لله يا كل الأرض . رنموا بمجد اسمه . إجعلوا تسبيحه ممجداً . قولوا لله ما أهيب أعمالك . .

كل الأرض تسجد لك . ترنم لاسمك . هلم انظروا أعمال الله .. باركوا إلهنا ياأيها الشعوب . . متسلط بقوته الى الدهر . . اللابس النور كثوب ، الباسط السماوات كشقة . . الصانع ملائكته رياحا وخدامه ناراً ملتهبة . . المؤسس الأرض على قواعدها . . المفجر عيوناً فى الأودية بين الجبال تجرى . . فوقها طيور السماء تسكن . . من ثمر أعمالك تشبع الأرض . . صنع للقمر للمواقيت . الشمس تعرف مغربها . تجعل ظلمة فيصير ليل . فيه يدب كل حيوان الوعر . الأشبال تزمجر . . لتلتمس من الله طعامها . تشرق الشمس فتجتمع وفى مآويها تربض . الإنسان يخرج الى عمله والى شغله إلي المساء . ما أعظم أعمالك يارب . كلها بحكمة صنعت .. أغنى للرب فى حياتى . . أرنم لإلهى مادمت موجوداً . . احمدوا الرب . . الصانع العجائب العظام وحده . . الصانع السماوات بفهم .. الباسط الأرض على المياه . . الصانع أنواراً عظيمة . . الشمس لحكم النهار . . القمر والكواكب لحكم الليل.. سبحوا الرب لأن الترنم لإلهنا صالح . . التسبيح لائق . . عظيم هو ربنا وعظيم القوة » (المزامير ٦٥ و٦٦ و ١٠٤ و ١٣٦ و ١٤٦ و ١٤٧) .

١٠ — الله هو الذى يمنح ويمنع ويبارك ويلعن :

والله إذ هو المالك والملك لكل الخليقة ، والمتصرف دون سواه فيها ، وإذ هو صاحب السلطان المطلق على كل شخص وعلى كل شيء ، فهو المانح والمانع ، وهو الذى يعطى فيجزل العطاء ويحرم فيشتد فى الحرمان ، على مقتضى علمه وعدله ورحمته وحكمته : فهو يرضى عن الأبرار فيباركهم ويكرمهم بالمواهب والهبات . وهو يسخط على الأشرار فيلعنهم ويؤدبهم بالعقبات والعقوبات ، فيقول عزرا « إن يد إلهنا على كل طالبيه للخير ، وصولته وغضبه على كل من يتركه » (عزرا ٨ : ٢٢) . ويقول داودالنبي « لأن المباركين منه يرثون الأرض والملعونين منه يقطعون » (المزمور ٣٧ : ٢٢) . ويقول حزقيال النبي « برالبار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون » (حزقيال ١٨ : ٢٠) . ويقول سليمان الحكيم « لعنة الرب فى بيت الشرير ، لكنه يبارك مسكن الصديقين . كما أنه يستهزيء بالمستهزئين ، هكذا يعطى نعمة للمتواضعين » (الأمثال ٣ : ٣٣ و ٣٤) . وقد قال موسى النبي لليهود فى سيناء « أنا واضع أمامكم اليوم بركة ولعنة : البركة إذا سمعتم لوصايا الرب إلهكم التى أنا

أوصيكم بها اليوم . واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم وزغتم عن الطريق التى أنا أوصيكم بها اليوم لتذهبوا وراء آلهة أخرى لم تعرفوها » (التثنية ١١ : ٢٦ — ٢٨) وقال لهم « قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير ، والموت والشر . بما أنى أوصيتك اليوم أن تحب الرب إلهك وتسلك فى طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكى تحيا وتنمو ويباركك الرب إلهك . . . فإن انصرف قلبك ولم تسمع بل غويت وسجدت لآلهة أخرى وعبدتها ، فإنى أنبئكم اليوم أنكم لامحالة تهلكون . . . قد جعلت قدامك الحياة والموت ، البركة واللعنة ، فاختر الحياة لكى تحيا أنت ونسلك » (التثنية ٣٠ : ١٥ — ٢٠) .

ومن أمثلة البركة التى أسبغها الله على الذين نالوا رضاه ، ماجاء فى التوراة ، إذ يقول سفر التكوين « فخلق الله الإنسان على صورته . . . ذكراً وأنثى خلقهم ، وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض » (التكوين ١ : ٢٧ و ٢٨) ويقول « بارك الله نوحاً وبنيه وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض » (التكوين ٤ : ١ — ٣) . ويقول « وقال الرب لأبرام اذهب ... إلى الأرض التى أريك ، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك . . . وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » (التكوين ١٢ : ١ — ٣) . ويقول « ثم صعد (إسحق) من هناك إلى بئر سبع ، فظهر له الرب فى تلك الليلة وقال أنا إله إبراهيم أبيك . لاتخف لأنى معك وأباركك وأكثر نسلك » (التكوين ٢٦ : ٢٣ — ٢٥) . ويقول « وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان آرام وباركه وقال له . . . أثمر وأكثر . أمة وجماعة أمم تكون منك » (التكوين ٣٥ : ٩ — ١١) . والله يسبغ رضاه وعطاياه ومواهبه على الذين يباركهم من البشر ، ومثال ذلك ما جاء فى التوراة إذ تقول « فقال أنا عبد إبراهيم ، والرب قد بارك مولاى جداً فصار عظيماً وأعطاه غنماً وبقراً وفضة وذهباً وعبيداً وإماء . . . » (التكوين ٢٤ : ٣٤و٣٥) . وتقول « ثم رفع (عيسو) عينيه وأبصر النساء والأولاد وقال ما هؤلاء منك ؟ فقال (يعقوب) الأولاد الذين أنعم الله بهم على عبدك » (التكوين ٣٣ : ٥) . وتقول « وكان الرب مع يوسف فكان رجلا ناجحاً ، ورأى سيده أن الرب معه وأن كل ما يصنع كان الرب ينجحه بيده » (التكوين ٢٩ : ٢ و ٣) . وتقول

« وكلم الرب موسى قائلا . . . قد دعوت بصلئيل بن أورى . . وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة .. . وفى قلب كل حكيم القلب جعلت حكمة ليصنعوا كل ما أمرتك » (الخروج ٣١ : ١ — ٣ و ٦) . وقال داود النبى « لك يارب الملك . . . والغنى والكرامة من لدنك . . . وبيدك تعظيم وتشديد الجميع » (أخبار الأيام الأول ١٩ : ١١ — ١٣) . وقال الله لسليمان « قد أعطيتك حكمة ومعرفة وأعطيك غنى وأموالا وكرامة لم يكن مثلها للملوك الذين قبلك ولا يكون مثلها لمن بعدك » (أخبار الأيام الثانى ١ : ١١ و ١٢) . وقد يبارك الله إنساناً من أجل إنسان آخر يرضى عنه ويصطفيه ، فقد جاء فى سفر التكوين « ثم صعد إسحق من هناك إلى بئر سبع فظهر له الرب فى تلك الليلة وقال أنا إله إبراهيم أبيك لاتخف لأنى معك وأباركك وأكثر نسلك من أجل إبراهيم عبدى » (التكوين ٢٦ : ١٨ — ٢٥) . كما جاء فى سفر التكوين أن يعقوب طلب إلى خاله لابان أن يسمح له بالعودة إلى بلاده « فقال له لابان ليتنى أجد نعمة فى عينيك . قد تفاءلت فباركنى الرب بسببك » (التكوين ٣٠ : ٢٧) وجاء فيه أيضاً أن الوزير المصرى فوطيفار اشترى يوسف ووكله على بيته . . . « وكان من حين وكله على بيته وعلى كل ما كان له أن الرب بارك بيت المصرى بسبب يوسف . وكانت بركة الرب على كل ما كان له فى البيت وفى الحقل » (التكوين ٢٩ : ٥ و ٦) .

ومن أمثلة اللعنة التى صبها الله على الأحياء ما جاء فى التوراة ، إذ يقول سفر التكوين « فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم . . وقال لآدم .. ملعونة الأرض بسببك » (التكوين ٣ ١ — ٢٤) . وقد قال موسى لليهود فى سفر التثنية « أنا واضع أمامكم اليوم بركة ولعنة : البركة إذا سمعتم لوصايا الرب إلهكم التى أنا أوصيكم بها اليوم . واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم وزغتم عن الطريق التى أنا أوصيكم بها اليوم لتذهبوا وراء آلهة أخرى لم تعرفوها » (التثنية ١١ : ٢٦ — ٢٨) . وقال لهم « إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التى أنا أوصيك بها اليوم . تأتى عليك جميع هذه اللعنات وتدركك . ملعوناً تكون فى المدينة وملعوناً تكون فى الحقل . . ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك . . . يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب

والزجر فى كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعاً » (التثنيه ٢٨ : ١٥ — ٢٠) .

والله إذ يبارك إنساناً يعطيه ويمنحه من خيراته ، فيغنيه ويرفع من شأنه ويهبه ما يشاء من المواهب الروحية والجسدية . وإذ يلعن إنساناً يحرمه ويمنع عنه كل خير ، فيفقره ويبتليه بالذل والهوان والمرض والعقم فى روحه وجسده . وفى ذلك تقول التوراة « الرب يفقر ويغنى . يضع ويرفع . يقيم المسكين من التراب . يرفع الفقير من المزبلة للجلوس مع الشرفاء ، ويملكهم كرسى الأرض » (صموئيل الأول ٢ : ٧ و ٨) . ومن أمثلة عطايا الله ما جاء فى سفر التكوين ، إذ يقول « ثم رفع (عيسو) عينيه وأبصر النساء والأولاد وقال ما هؤلاء منك ؟ فقال (يعقوب) الأولاد الذين أنعم الله بهم على عبدك » (التكوين ٣٣ : ٥) . وقال يعقوب لعيسو « خذ بركتى التى آتى بها إليك ، لأن الله قد أنعم على ولى كل شىء » (التكوين ٣٣ : ١١) . وجاء فى سفر التكوين أيضاً « وكان الرب مع يوسف فكان رجلا ناجحاً ، ورأى سيده أن الرب معه ، وأن كل ما يصنع كان الرب ينجحه بيده » (التكوين ٣٩ : ٣) وجاء فيه « ورأى إسرائيل ابنى يوسف فقال من هذان؟ فقال يوسف لأبيه هما ابناى اللذان أعطانى الله ههنا » (التكوين ٤٨ : ٨ و ٩) . وقد تكون عطية الله للانسان مقصوداً بها إنصافه وتعزيته ، إذ جاء فى سفر التكوين « ورأى الرب أن ليئة (زوجة يعقوب) مكروهة ففتح رحمها .. قالت إن الرب قد نظر إلى مذلتى . إن الرب قد سمع أنى مكروهة فأعطانى هذا » (التكوين ٢٩ : ٣١ — ٣٥) . وقد يأخذ الله من الظالم ليعطى المظلوم ، ومن ذلك قول يعقوب لزوجتيه « سلب الله مواشى أبيكما وأعطانى » (التكوين ٣١ : ٩) . ومن أمثلة حرمان الله للإنسان ما جاء فى سفر التكوين إذ يقول « وأما سارا ى امرأة أبرام فلم تلد له ، وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر . فقالت ساراى لأبرام هوذا الرب قد أمسكنى عن الولادة . أدخل على جاريتى لعلى أرزق منها بنين » (التكوين ١٦ : ١ — ٣) . ويقول « فلما رأت راحيل أنها لم تلد ليعقوب غارت راحيل من أختها وقالت ليعقوب هب لى بنين وإلا فأنا أموت . فحمى غضب يعقوب على راحيل . وقال ألعلى مكان الله الذى منع عنك ثمرة البطن » (التكوين ٣٠ : ١ و ٢) وقد حرم الله جميع اليهود الذين خرجوا من مصر مع موسى من دخول الأرض التى وعدهم بها

بسبب تمردهم وعدم إيمانهم ، إذ يقول الله فى سفر العدد « ولكن حى أنا . . إن جميع الرجال الذين رأوا مجدى وآياتى . . ولم يسمعوا لقولى لن يروا الأرض التى حلفت لآبائهم . وجميع الذين أهانونى لا يرونها ، وأما عبدى كالب فمن أجل أنه كانت معه روح أخرى . . أدخله إلى الأرض » (العدد ١٤ : ٢١ — ٢٥) .

١١ — الله هو حافظ الإنسان وحاميه :

وإذ كان الله هو خالق الإنسان ، وهو الأب الحقيقى له ، فإنه هو حافظه من الهلاك ، وحاميه من الخطر ، وملجأه فى الضيق ، ومعينه عند الشدة . ومنقذه إذا أحاقت به النوائب ومخلصه إذا ضاقت به الدنيا حتى بدا له أنه ليس ثمة خلاص . فهو قوته وصخرته وحصنه وترسه وستره ، ومن ثم هو نوره وسروره وفخره ، وفى ذلك تقول المزامير « الله لنا ملجأ وقوة . عوناً فى الضيقات . لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض ، ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار » (المزمور ٤٦ : ١ و ٢) وتقول « الرب صخرتى وحصنى ومنقذى . إلهى صخرتى به أحتمى ، ترسى وقرن خلاصى وملجأى » (المزمور ١٨ : ٢ و ٣) وتقول « يفرح الصديق بالرب ويحتمى به ويبتهج كل المستقيمى القلوب » (المزمور ٦٤ : ١٠) . وتقول « الرب نورى وخلاصى ممن أخاف . الرب حصن حياتى ممن أرتعب » (المزمور ٢٧ : ١) وتقول « الرب لى فلا أخاف » (المزمور ١١٨ : ٦) وتقول « لولا أن الرب معينى لسكنت نفسى سريعاً إلى أرض السكوت » (المزمور ٩٤ : ١٧) . وتقول « ترس هو لجميع المحتمين به . . من هو صخرة سوى إلهنا » (المزمور ١٨ : ٣١) . وتقول « أما أنت يا رب فترس لى . مجدى ورافع رأسى » (المزمور ٣ : ٣) . وتقول « أنت ستر لى من الضيق تحفظنى » (المزمور ٣٢ : ٧) وتقول « إليك يسلم المسكين أمره . أنت صرت معين اليتيم » (المزمور ١٠ : ١٤) وتقول « أرفع عينى إلى الجبال من حيث يأتى عونى . معونتى من عند الرب صانع السماوات والأرض . لا يدع رجلك تزل . . الرب يحفظك من كل شر . . يحفظ خروجك ودخولك من الآن وإلى الدهر » (المزمور ١٢١ : ١ — ٨) وتقول « أقول للرب ملجأى وحصنى . إلهى فأتكل عليه لأنه ينجيك من فخ الصياد ومن الوباء الخطير . بخوافيه يظللك وتحت أجنحته

تحتمى . . لاتخشى من خوف الليل ولا من سهم يطير فى النهار ولا من وبأ يسلك فى الدجى ولا من هلاك يفسد فى الظهيرة .. إنما بعينك تنظر وترى مجازاة الأشرار. لأنك قلت أنت يارب ملجأى . لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك » (المزمور ٩١ : ٢ — ١٠) . ويقول داود النبي « الرب صخرتى وحصنى ومنقذى ، إله صخرتى ، به أحتمى ، ترسى وقرن خلاصى ، ملجأى ومناصى . مخلصى . من الظلم تخلصنى . . . ترس هو لجميع المحتمين به ، لأنه . . . من هو صخرة غير إلهنا . . . تنطقنى قوة للقتال وتصرع القائمين على تحتى . . . حى هو الرب ومبارك صخرتى ، ومرتفع إله صخرة خلاصى ، الإله المنتقم لى » (صموئيل الثانى ٢٢) . ويقول إرميا النبى « أنت ملجأى فى يوم الشر » (إرميا ١٧ : ١٧) .

ولذلك فإن الإنسان متى عرف هذه الحقائق لا يسعه إلا أن يتكل على الله فى كل أموره فيجد فى ذلك راحته وسلامته وطمأنينته وسروره . وفى ذلك تقول المزامير « يفرح جميع المتكلين عليك» (المزمور ٥ : ١١) . وتقول « يتكل عليك العارفون اسمك » (المزمور ٩ : ١٠) . وتقول « طوبى للرجل الذى جعل الرب متكله » (المزمور ٤٠ : ٤) . وتقول « المتوكلون على الرب مثل جبل صهيون الذى لا يتزعزع ، بل يسكن إلى الدهر » (المزمور ١٢٥ : ١) . وتقول « يارب عليك توكلت . خلصنى من كل الذين يطردوننى ونجنى » (المزمور ٧ : ١) وتقول «إحفظنى يا ألله لأنى عليك توكلت » (المزمور ١٦ : ١) وتقول « لا أخزى لأنى عليك توكلت » (المزمور ٢٥ . ٢٠) . وتقول « بمخاوف فى العدل تستجيبنا يا إله خلاصنا يا متكل جميع أقاصى الأرض والبحر البعيدة » (المزمور ٦٥ : ٥) ويقول إشعياء النبى « توكلوا على الرب إلى الأبد لأن . . . الرب صخر الدهور » (إشعياء ٢٦ : ٤) . ويقول الله على لسان إشعياء النبى « أما المتوكل على فيملك الأرض ويرث جبل قدسى » (إشعياء ٥٧ : ١٣) . ويقول إرميا النبى « مبارك الرجل الذى يتكل على الرب وكان الرب متكله » (إرميا ١٧ : ٧) .

وولا يصح التوكل على الإنسان دون الله ، إذ تقول المزامير « الاحتماء بالرب خير من التوكل على الإنسان . الاحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء » (المزمور

١١٨ : ٨ و ٩) . بل يقول إرميا النبي « هكذا قال الرب : ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه وعن الرب يحيد قلبه » (إرميا ١٧ : ٥) .

١٢ — الله هو القاضى وهو الديان :

والله هو القاضى وهو الديان ، الذى يحاسب الإنسان على أعماله ويكافئه أو يعاقبه فى هذه الدنيا وفى الآخرة :

فالله هو القاضى ، إذ جاء فى سفر التثنية « لا تهابوا وجه إنسان لأن القضاء لله » (التثنية ١ : ١٧) . وجاء فى سفر أخبار الأيام « اقض بين عبيدك ، إذ تعاقب المذنب فتجعل طريقه على رأسه وتبرر البار إذ تعطيه حسب بره » (أخبار الأيام الثانى ٦ : ٢٢ و ٢٣) وتقول المزامير « إنه يوجد إله قاض فى الأرض » (المزمور ٥٨ : ١١) وتقول « الله هو القاضى » (المزمور ٧٥ : ٧) وتقول ، الرب مجرى العدل والقضاء لجميع المظلومين » (المزمور ١٠٣ : ٦) . وتقول « ثبت للقضاء كرسيه . وهو يقضى للمسكونة بالعدل » (المزمور ٩ : ٧ و ٨) ، ويقول إشعياء النبي « الرب قاضينا » (اشعياء ٣٣ : ٢٢) . وقد جاء فى سفر التكوين « فأجاب لابان وقال ليعقوب . . هلم نقطع عهداً . . ليراقب الرب بينى وبينك . . أنك لا تذل بناتى ولا تأخذ نساء على بناتى . ليس إنسان معنا . أنظر . الله شاهد بينى وبينك . . إله إبراهيم وآلهة ناحور . . يقضون بيننا » (التكوين ٣١ : ٤٣ — ٥٥)

والله هو الديان ، إذ تقول المزامير « الرب يدين الشعوب » (المزمور ٧ : ٨) وتقول « تفرح وتبتهج الأمم لأنك تدين الشعوب بالاستقامة » (المزمور ٦٧ : ٤) . وتقول « يدين المسكونة بالعدل والشعوب بأمانته » (المزمور ٩٦ : ١٢ و ١٣) . وتقول « تخبر السماوات بعدله لأن الله هو الديان » (المزمور ٥٠ : ٣ — ٦) وتقول « إرتفع يا ديان الأرض . جاز صنيع المستكبرين » (المزمور ٩٤ : ١ و ٢) ويقول إبراهيم « أديان كل الأرض لا يصنع عدلا ؟ » (التكوين ٨ : ٢٥) . ويقول إرميا النبي « هو يحاكم كل ذى جسد » (إرميا ٢٥ : ٣١) . ويقول أيوب « لأنى وإن تبررت لا أجاوب ، بل أسترحم ديانى » (أيوب ٩ : ١٥) ، ويقول إشعياء النبي فى

وصف يوم الدينونة « يكون فى ذلك اليوم أن الرب يطالب جند العلاء وملوك الأرض على الأرض ، ويجمعون جميعاً كأسارى فى سجن ويغلق عليهم فى حبس ثم بعد أيام كثيرة يتعهدون ويخجل القمر وتخزى الشمس ، لأن رب الجنود قد ملك » (إشعياء ٢٤ : ٢١ — ٢٤) ، ويقول يوئيل النبى فى وصف ذلك اليوم « ليرتعد جميع سكان الأرض لأن يوم الرب قادم ... ترتعد الشعوب ... قدامه ترتعد الأرض وترجف السماء . الشمس والقمر يظلمان والنجوم تحجز لمعانها والرب يعطى صوته أمام جيشه . إن عسكره كثير جداً فإن صانع قوله قوى لأن يوم الرب عظيم ومخوف جداً فمن يطيقه » (يوئيل ٢ : ١ — ١١) ويقول الله على لسان يوئيل النبى « فى ذلك الوقت ... أجمع كل الأمم وأنزلهم إلى وادى يهوشافاط وأحاكمهم هناك ... أسرعوا هلموا يا جميع الأمم من كل ناحية واجتمعوا ... تنهض وتصعد الأمم إلى وادى يهوشافاط . لأن هناك أجلس لأحاكم جميع الأمم من كل ناحية ، أرسلوا المنجل لأن الحصاد قد نضج هلموا دوسوا لأنه قد امتلأت المعصرة فاضت الحياض لأن شرهم كثير ... جماهير فى وادى القضاء لأن يوم الرب قريب فى وادى القضاء » (يوئيل ٣ ... — ١٤) كما يقول الله على لسان ملاخى النبى « فهوذا يأتى اليوم المتقد كالتنور وكل المستكبرين وكل فاعلى الشر يكونون قشاً ويحرقهم اليوم الآتى . . فلا يبقى لهم أصلا ولا فرعاً ... ولكم أيها المتقون اسمى تشرق شمس البر والشفاء فى أجنحتها ... وتدوسون الأشرار لأنهم يكونون رماداً تحت بطون أقدامكم يوم أفعل هذا » (ملاخى ٤ : ١ — ٣)

والاعتقاد بيوم الدينونة فى الآخرة الذى يحاسب الله فيه الإنسان على أعماله فى الدنيا ، يتضمن الاعتقاد بخلود الروح بعد الموت ولذلك قال أيوب « أما أنا فقد علمت أن وليي حى والآخر على الأرض يقوم . وبعد أن يفنى جلدى هذا وبدون جسدى أرى الله ، الذى أراه أنا لنفسى وعيناى تنظران وليس آخر » (أيوب ١٩ : ٢٥ — ٢٧) . كما أن الاعتقاد بأن الله يحاسب الناس فى يوم الدينونة يستتبع مراقبته لهم فى حياتهم على الأرض . ولذلك قال أيوب « ماذا أفعل لك يارقيب الناس » (أيوب ٧ : ٢٠) . كما جاء فى سفر الأمثال « فى كل مكان عينا الرب مراقبتين الطالحين والصالحين » (الأمثال ١٥ : ٣)

١٣ - الله عادل

والله فى قضائه ودينونته عادل لا يحابى أحداً ولا يظلم أحداً ، فهو يقول « أنا الرب محب العدل » (إشعياء ٦١ : ٨) . وتقول المزامير « الرب عادل ويحب العدل » (المزمور ١١ : ٧) ، وتقول « جلس على الكرسى قاضيا عادلا » (المزمور ٩ : ٤) وتقول « العدل والحق قاعدة كرسيه » (المزمور ٩٧ : ٣) . وتقول « عدلك عدل إلى الدهر » (المزمور ١١٩ : ١٤٢) . ويقول سفر أيوب « هل الله يعوج القضاء أو القدير يعكس الحق » (أيوب ٨ : ٣) . ويقول « حاشا لله من الشر وللقدير من الظلم ، لأنه يجازى الإنسان على فعله وينيل الرجل كطريقه » (أيوب ٣٤ : ١٠ و ١١) . وقد جاء فى سفر التثنية « الرب إلهكم ... لا يأخذ بالوجوه ولا يقبل رشوة » (التثنية ١٠ : ١٧) . وجاء فيه « إن جميع سبله عدل . إله أمانة لا جور فيه . صديق وعادل هو » (التثنية ٣٢ : ٤) . وجاء فى سفر أخبار الأيام « ليس عند الرب إلهنا ظلم ولا محاباة ولا ارتشاء » (أخبار الأيام الثانى ١٩ : ٧) .

ولما كان الله عادلا ، فهو محب للعدل ، وهو يأمر البشر بأن يكونوا عادلين حين يتولون القضاء فيما بينهم ، وهو يقول لهم « لا ترتكبوا جوراً فى القضاء . لا تأخذوا بوجه مسكين ولا تحترم وجه كبير . بالعدل تحكم » (اللاويين ١٩ : ١٥ و ١٦) . ويقول « إذا نزل عندك غريب فى أرضكم فلا تظلموه » (اللاويين ١٩ : ٣٣) .

والله فى عدله يكافىء المؤمن والمحسن والصالح والبار ، ويعاقب الضال والمسىء والشرير والأثيم . فهو يقول « أنا الرب إلهك إله غيور ، أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء وفى الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضوننى . وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياى . فإذا سمعتم لوصاياى التى أنا أوصيكم بها اليوم لتحبوا الرب إلهكم وتعبدوه من كل قلوبهم ومن كل أنفسكم ، أعطى مطر أرضكم فى حينه المبكر والمتأخر ، فتجمع حنطتك وخمرك وزيتك وأعطى لبهائمك عشبا فى حقلك فتأكل أنت وتشبع . فاحترزوا من أن تتقوى قلوبكم فتزيغوا وتعبدوا آلهة أخرى وتسجدوا لها ، فيحمى غضب الرب عليكم ، ويغلق السماء فلا يكون مطر ، ولا تعطى الأرض غلتها ، فتبيدون سريعا » (التثنية ٥ : ٩ و ١٠ ، ١١ : ١٣ - ١٧) .

وقد جاء فى سفر أيوب « هوذا الله عزيز ولكنه لا يرذل أحداً . لا يحيى الشرير بل يجرى قضاء البائسين ، لا يحول عينيه عن البار ، بل مع الملوك يجلسهم على الكراسى أبداً فيرتفعون : إن أوثقوا بالقيود . إن أخذوا فى حبالة الذل ، فيظهر لهم أفعالهم ومعاصيهم لأنهم تجبروا ، ويفتح آذانهم للإنذار ، ويأمر بأن يرجعوا عن الإثم . إن سمعوا وأطاعوا قضوا أيامهم بالخير وسنيهم بالنعم ، وإن لم يسمعوا فبحربة الموت يزولون ، ويموتون بعدم المعرفة . أما فجار القلب فيذخرون غضباً ، لا يستغيثون إذا هو قيدهم . تموت نفسهم فى الصبا وحياتهم بين المأبونين ، ينجى البائس فى ذله ، ويفتح آذانهم فى الضيق ، وأيضاً يقودك من وجه الضيق إلى رحب لا حصر فيه ، ويملأ مأونة مائدتك دهناً . حجة الشرير أكملت ، فالحجة والقضاء يمسكانك. عند غضبه لعله يقودك بصفقة ، فكثرة الفدية لا تفكك . هل يعتبر غناك ؟ لا التبر ولا جميع قوى الثروة . . لا تلتفت إلى الإثم لأنك اخترت هذا على الذل » (أيوب ٣٦ : ٥ — ٢٠) . وقد جاء فى المزامير « طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ، وفى طريق الخطاة لم يقف ، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس ، لكن فى ناموس الرب مسرته ، وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلا ، فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه التى تعطى ثمرها فى أوانه ، وورقها لا يذبل ، وكل ما يصنعه ينجح . ليس كذلك الأشرار . لكنهم كالعصافة التى تذريها الريح . لذلك لا تقوم الأشرار فى الدين ، ولا الخطاة فى جماعة الأبرار ، لأن الرب يعلم طريق الأبرار . أما طريق الأشرار فتهلك » (المزمور ١ : ١ — ٦) . وجاء فيها « مع الرحيم تكون رحيما . مع الرجل الكامل تكون كاملا . مع الطاهر تكون طاهراً ومع الأعوج تكون ملتويا ، لأنك أنت تخلص الشعب البائس والأعين المرتفعة تضعها » (المزمور ١٨ : ٢٥ — ٢٧) ، وجاء فيها « الرب يمتحن الصديق . أما الشرير ومحب الظلم فتبغضه نفسه . يمطر على الأشرار فخاخا ، ناراً وكبريتا وريح السموم » (المزمور ١١ : ٥ و ٦) . وجاء فيها « يارب . . أنت تجازى الإنسان كعمله» (المزمور ٦٢ : ١٢) ، وجاء فيها « أنت لست إلها يسر بالشر . لا يساكنك الشر . لا يقف المفتخرون أمام عينيك . أبغضت كل فاعلى الإثم . تهلك المتكلمين بالكذب . رجل الدماء والغش يكرهه الرب » (المزمور ٥ : ٤ — ٧) وجاء فى سفر الأمثال « الهلاك لفاعلى الإثم » (الأمثال ١٠ : ٢٩) ، وجاء فى سفر صموئيل

« يجازى الرب فاعل الشر كشره » (صموئيل الثانى ٣ : ٢٩) . وجاء فى سفر الملوك « فاسمع أنت فى السماء واعمل واقض بين عبيدك ، إذ تحكم على المذنب فتجعل طريقه على رأسه ، وتبرر البار إذ تعطيه حسب بره » (الملوك الأول ٨ : ٣٢) . وجاء فى فى سفر أيوب « إن الحارثين إثما والزارعين شقاوة يحصدونها . . بنسمة الله يبيدون وبريح أنفه يفنون » (أيوب ٤ : ٨ و ٩) . وجاء فيه « هوذا الله لا يرفض الكامل ولا يأخذ بيد فاعل الشر ، عندما يملأ فاك ضحكا وشفتيك هتافا ، يلبس مبغضوك خزيا ، أما خيمة الأشرار فلا تكون » (أيوب ٨ : ٢٠ — ٢٢) . وجاء فيه أيضا « يحطم الأعزاء من دون فحص ويقيم آخرين مكانهم . لكنه يعرف أعمالهم ويقلبهم ليلا فينسحقون . لكونهم أشرارا يصفقهم فى مرأى الناظرين ، لأنهم انصرفوا من ورائه وكل طرقه لم يتأملوها ، حتى بلغوا إليه صراخ المسكين فسمع زعقة البائسين . . حتى لا يملك الفاجر ولا يكون شركا للشعب » (أيوب ٣٤ : ٢٤ — ٣٠) ، ويقول إشعياء النبى « هوذا الرب يخرج من مكانه ليعاقب إثم سكان الأرض فيهم » (إشعياء ٢٦ : ٢١) .

والله يقضى على الأشرار بعقوبات قد تصل إلى حد الهلاك . وقد جاء عن ذلك فى سفر التكوين « ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض . . فقال الرب أمحو من وجه الأرض الإنسان » (التكوين ٦ : ٥ و ٧) وجاء فيه « كان أهل سدوم أشرارا وخطاة لدى الرب . . وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جداً . . فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا . . وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن » (التكوين ١٣ : ١٣ ، ١٨ : ٢٠ ، ١٩ : ٢٤ و ٢٥) وجاء فيه « كان عير بكر يهوذا شريراً فى عينى الرب فأماته الرب » (التكوين ٣٨ : ٧) وجاء فى سفر الخروج « فقال الرب لموسى من أخطأ إلى أمحوه من كتابى » (الخروج ٣٢ : ٣٣) . وجاء فى سفر العدد « قال الرب لموسى حتى متى يهيننى هذا الشعب ، وحتى متى لا يصدقوننى بجميع الآيات التى عملت وسطهم ؟ إنى أضربهم بالوباء وأبيدهم . . حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة على ؟ . . حى أنا يقول الرب لأفعلن بكم كما تكلمتم فى أذنى . فى هذا القفر تسقط جثث جميع المعدودين منكم . . أنا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة على . فى هذا القفر يفنون وفيه يموتون » (العدد ١٤ : ١١ و ١٢ و ٢٦ — ٣٥) ، وجاء فى

هذا السفر « وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت فى البرية . . فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب ، فمات قوم كثيرون من إسرائيل » (العدد ٢١ : ٥ و ٦) . وجاء فيه « وأقام إسرائيل فى شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن . . وتعلق إسرائيل ببعل فغور فحمى غضب الرب على إسرائيل ، فقال الرب لموسى خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس فيرتد حمو غضب الرب عن إسرائيل ، فقال موسى لقضاة إسرائيل اقتلوا كل واحد قومه المتعلقين ببعل فغور » (العدد ٢٥ : ١ — ٥) . وقد بلغ من عدالة الله التى تسرى على الجميع أنه حين أخطأ موسى ، إذ ساوره الشك فى قدرة الله ، عاقبه — وهو نبيه ومختاره وكليمه وحبيبه — عقابا صارما ، إذ حرمه من أن يدخل الأرض التى قاد اليهود أربعين سنة فى الصحراء ليدخلوها ، وقد جاء عن ذلك فى سفر العدد « وأتى بنو إسرائيل . . إلى برية صين . . ولم يكن ماء للجماعة ، فاجتمعوا على موسى وهارون . . وكلم الرب موسى قائلا خذ العصا واجمع الجماعة أنت وهارون أخوك وكلما الصخرة أمام أعينهم أن تعطى ماءها . . وجمع موسى وهارون الجمهور أمام الصخرة فقال لهم اسمعوا أيها المردة . أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء . ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماء غزير . . فقال الرب لموسى وهارون من أجل أنكما لم تؤمنا لى حتى تقدسانى أمام أعين بنى إسرائيل ، لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التى أعطيتهم إياها » (العدد ٢٠ : ١ — ١٢) وقد قال موسى « تضرعت إلى الرب فى ذلك الوقت قائلا يا سيد الرب . . دعنى أعبر وأرى الأرض الجيدة التى فى عبر الأردن . . لكن الرب غضب على بسببكم ولم يسمع لى ، بل قال لى الرب كفاك . لا تعد تكلمنى أيضا فى هذا الأمر . . إصعد إلى رأس الفسجة . وانظر بعينيك ، لكن لا تعبر هذا الأردن » (التثنية ٣ : ٢٣ — ٢٧) . وكان هذا هو عقاب هارون كذلك ، إذ جاء فى سفر العدد « وكلم الرب موسى وهارون فى جبل هور على تخم أرض أدوم قائلا يضم هارون إلى قومه لأنه لا يدخل الأرض التى أعطيت لبنى إسرائيل ، لأنكم عصيتم قولى عند ماء مريبة » (العدد ٢٠ : ٢٣ و ٢٤) ، وداود النبى والملك الذى أكرمه الله أكثر من أى ملك آخر من ملوك اليهود ، حين أخطأ وتصرف على غير مقتضى إرادة الله ، قضى الله بعقابه على الفور ، إذ أرسل إليه جاد النبي — كما فى

سفر صموئيل — قائلا « إذهب وقل لداود هكذا قال الرب : ثلاثة أنا عارض عليك فاختر لنفسك واحداً منها فأفعله بك .. أتأتى عليك سبع سنى جوع فى أرضك ، أم تهرب ثلاثة أشهر أمام أعدائك وهم يتبعونك ، أم يكون ثلاثة أيام وبأ فى أرضك؟ .. فقال داود لجاد قد ضاق بى الأمر جداً ، فلنسقط فى يد الرب لأن مراحمه كثيرة ولا أسقط فى يد إنسان .. فلتكن يدك على وعلى بيت أبى» (صموئيل الثانى ٢٤ : ١ — ٢٥) ، وسليمان الملك الذى وهبه الله حكمة لم يهبها لأحد قط ، حين أخطأ وتعبد لآلهة أخرى عاقبه الله كذلك ، بأن مزق مملكته وجعل أحد عبيده ملكا على القسم الأكبر منها . وفى ذلك يقول سفر الملوك « وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه .. فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين .. فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقا وأعطيها لعبدك » (الملوك الأول ١١ : ٤ - ١١) . وقد قضى الله بأشد العقوبات على ملوك اليهود الذين انغمسوا فى الشرور والآثام ، وتركوا عبادة الله وعبدوا آلهة الوثنيين . ومن أمثلة ذلك ما جاء فى سفر الملوك ، إذ قال أخيا النبي لزوجة يربعام ملك إسرائيل « اذهبي قولى ليربعام هكذا قال الرب إله إسرائيل .. قد ساء عملك أكثر من جميع الذين كانوا قبلك فسرت وعملت لنفسك آلهة أخرى ومسبوكات لتغيظنى ، لذلك ها أنذا جالب شراً على بيت يربعام .. من مات ليربعام فى المدينة تأكله الكلاب ، ومن مات فى الحقل تأكله طيور السماء .. ويضرب الرب إسرائيل كاهتزاز القصب فى الماء ويستأصل إسرائيل عن هذه الأرض الصالحة التى أعطاها لآبائهم ويبددهم إلى عبر النهر ، لأنهم عملوا سواريهم وأغاظوا الرب » (الملوك الأول ٢٤ : ١ - ١٦) ، وجاء فى سفر الملوك أن آخاب ملك إسرائيل قتل نابوت اليزرعيلي واغتصب كرمه .. « فكان كلام الرب إلى إيليا التشبي قائلا قم انزل للقاء آخاب ملك إسرائيل الذى فى السامرة ، هوذا هو فى كرم نابوت الذى نزل إليه ليرثه ، وكلمه قائلا هكذا قال الرب هل قتلت وورثت أيضا ؟ . ثم كلمه قائلا هكذا قال الرب : فى المكان الذى لحست فيه الكلاب دم نابوت ، تلحس الكلاب دمك أنت أيضا .. قد بعت نفسك لعمل الشر .. ها أنذا أجلب عليك شراً وأبيد نسلك .. من مات لآخاب فى المدينة تأكله الكلاب

ومن مات فى الحقل تأكله طيور السماء » (الملوك الأول ٢١ : ١ — ٢٨) ، وجاء فى سفر الملوك أيضاً أنه « سقط أخزيا ملك إسرائيل من الكوة التى فى عليته التى فى السامرة فمرض وأرسل رسلا وقال لهم اذهبوا اسألوا بعل زبوب إله عقرون إن كنت أبرأ من هذا المرض . فقال ملاك الرب لإيليا التشبى قم اصعد للقاء رسل ملك السامرة وقل لهم أليس لأنه لا يوجد فى إسرائيل إله تذهبون لتسألوا بعل زبوب إله عقرون ؟ . فلذلك هكذا قال الرب إن السرير الذى صعدت عليه لا تنزل عنه ، بل تموت موتا » (الملوك الثانى ١ : ١ — ٤) ، وجاء فى هذا السفر أنه « تكلم الرب عن يد عبيده الأنبياء قائلا ، من أجل أن منسى ملك يهوذا قد عمل هذه الأرجاس وأساء أكثر من جميع الذى عمله الأموريون الذين قبله ، وجعل أيضاً يهوذا يخطىء بأصنامه . لذلك هكذا قال الرب إله إسرائيل : ها أنذا جالب شراً على أورشليم ويهوذا حتى أن كل من يسمع به تطن أذناه » (الملوك الثانى ٢١ : ١٠ — ١٢) ، وجاء فى سفر أخبار الأيام أن إيليا النبى أرسل إلى يهورام ملك يهوذا يقول له « هكذا قال الرب إله داود أبيك ، من أجل أنك . . سلكت فى طرق ملوك إسرائيل وجعلت يهوذا وسكان أورشليم يزنون كزنا بيت آخاب وقتلت أيضا إخوتك من بيت أبيك الذين هم أفضل منك ، هوذا يضرب الرب شعبك وبنيك ونساءك وكل مالك ضربة عظيمة ، وإياك بأمراض كثيرة ، بداء أمعائك حتى تخرج أمعاؤك بسبب المرض يوما فيوم » (أخبار الأيام الثانى ٢١ : ١٢ — ١٥) . وقد يبدو من هذه العبارات وغيرها فى التوراة أن الله إذا أخطأ إنسان يعاقبه ويعاقب كل رعيته وذويه ونسله . بيد أن الواقع أن عقاب الله لهؤلاء لا يكون إلا لأنهم اشتركوا مع المخطىء فى خطيئته ، أو سايروه وساروا فى نفس طريقه أو ورثوا طبيعة الشر التى فيه ، ولذلك سرى عليهم العقاب الذى سرى عليه . وأما القاعدة التى وضعها الله فهى التى جاءت فى سفر التثنية إذ يقول « لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء . كل إنسان بخطيئته يقتل » (التثنية ١٤ : ١٦) ويقول حزقيال النبى « كان إلى كلام الرب قائلا : مالكم أنتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل قائلين الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرست . حى أنا يقول السيد الرب لا يكون لكم من بعد أن تضربوا هذا المثل فى إسرائيل . ها كل النفوس هى لى . نفس الأب كنفس الإبن كلاهما لى . النفس التى تخطىء هى تموت . والإنسان

الذى كان باراً وفعل حقاً وعدلا ، لم يأكل على الجبال ، ولم يرفع عينيه إلى أصنام بيت إسرائيل ، ولم ينجس امرأة قريبه ، ولم يقرب امرأة طامثا ، ولم يظلم إنسانا ، بل رد للمديون رهنه ، ولم يغتصب اغتصابا ، بل بذل خبزه للجوعان ، وكسا العريان ثوبا ، ولم يعط بالربا ولم يأخذ مرابحة ، وكف يده عن الجور وأجرى العدل والحق بين الإنسان والإنسان ، وسلك فى فرائضى وحفظ أحكامى ليعمل بالحق ، فهو بار . حياة يحيا ، يقول السيد الرب . فإن ولد ابنا معتنفا سفاك دم ففعل شيئا من هذه ، ولم يفعل كل تلك ، بل أكل على الجبال ، ونجس امرأة قريبه ، وظلم الفقير والمسكين ، واغتصب اغتصابا ، ولم يرد الرهن ، وقد رفع عينيه إلى الأصنام ، وفعل الرجس وأعطى بالربا ، وأخذ المرابحة . أفيحيا ؟ لا يحيا . قد عمل كل هذه الرجاسات فموتا يموت . دمه يكون على نفسه ، وإن ولد ابنا رأى جميع خطايا أبيه التى فعلها فرآها ولم يفعل مثلها . . أجرى أحكامى . وسلك فى فرائضى ، فإنه لا يموت بإثم أبيه ، حياة يحيا . . وأنتم تقولون لماذا يحمل الابن من إثم الأب ؟ . . النفس التى تخطىء هى تموت . الإبن لا يحمـــل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الإبن . بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون . . فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التى فعلها ، وحفظ كل فرائضى ، وفعل حقا وعدلا فحياة يحيا . لا يموت . كل معاصيه التى فعلها لا تذكر عليه . فى بره الذى عمل يحيا . . وإذا رجع البار عن بره وعمل إثما وفعل مثل كل الرجاسات التى يفعلها الشرير ، أفيحيا ؟ . كل بره الذى عمله لا يذكر ، فى خيانته التى خانها ، فى خطيئته التى أخطأ بها يموت » (حزقيال ١٨ : ١ — ٢٤) . وقد حدث أن ثار بعض اليهود على موسى فى الصحراء بقيادة قورح وداثان وأبيرام . . « وكلم الرب موسى وهارون قائلا افترزوا من بين هذه الجماعة ، فإنى أفنيهم فى لحظة . فخرا على وجهيهما وقالا اللهم إله أرواح جميع البشر ، هل يخطىء رجل واحد فتسخط على كل الجماعة ؟ . فكلم الرب موسى قائلا كلم الجماعة قائلا اطلعوا من حوالى مسكن قورح وداثان وأبيرام . . فكلم الجماعة قائلا اعتزلوا من خيام هؤلاء القوم البغاة ، ولا تمسوا شيئا مما لهم لئلا تهلكوا بجميع خطاياهم . فطلعوا من حوالى مسكن قورح وداثان وأبيرام . . (وعندئذ) فتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل ما كان لقورح مع كل الأموال . فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء إلى الهاوية ، وانطبقت

عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة » (العدد ١٦ : ١ — ٣٣) .

وقد شرع الله للإنسان كثيرا من القواعد والقوانين التي تكفل العدالة في القضاء . ومن ذلك ما جاء في سفر الخروج إذ يقول « من ضرب إنسانا فمات يقتل قتلا ، ولكن الذي لم يتعمد، بل أوقع الله في يده ، فأنا أجعل لك مكاناً يهرب إليه . وإذا بغى إنسان على صاحبه ليقتله بغدر ، فمن عند مذبحي تأخذه للموت . ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا . ومن سرق إنساناً وباعه أو وجد في يده يقتل قتلا . ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا . وإذا تخاصم رجلان فضرب أحدهما الآخر بحجر أو بلكمة ولم يقتل بل سقط في الفراش . فان قام وتمشى خارجا على عكازه يكون الضارب بريئا ، إلا أنه يعوض عطلته وينفق على شفائه ، وإذا ضرب إنسان عبده أو أمته بالعصا فمات تحت يده ينتقم منه . لكن إن بقي يوماً أو يومين لا ينتقم منه لأنه ماله . وإذا تخاصم رجال وصدموا امرأة حبلى فسقط ولدها ولم تحصل أذية يغرم ، كما يضع عليه زوج المرأة ويدفع عن يد القضاء . وإن حصلت أذية تعطى نفسا بنفس وعينا بعين . وسنا بسن ويداً بيد ورجلا برجل وكياً بكي وجرحاً بجرح ورضاً برض . وإذا ضرب إنسان عين عبده أو عين أمته فأتلفها يطلقه حراً عوضاً عن عينه . وإن أسقط سن عبده أو سن أمته يطلقه حراً عوضاً عن سنه . وإذا نطح ثور رجلا أو امرأة ، فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه . وأما صاحب الثور فيكون بريئاً . ولكن إن كان ثوراً نطاحا من قبل وقد أشهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلا أو امرأة فالثور يرجم وصاحبه يقتل . إن وضعت عليه فدية يدفع فداء نفسه كل ما يوضع عليه أو إذا نطح إبنا أو نطح إبنة فبحسب هذا الحكم يفعل به . إن نطح الثور عبداً أو أمة يعطى سيده ثلاثين شاقل فضة والثور يرجم . وإذا فتح إنسان بئراً أو حفر إنسان بئراً ولم يغطها فوقع فيها ثور أو حمار ، فصاحب البئر يعوض ويرد فضة لصاحبه ، والميت يكون له . وإذا نطح ثور إنسان ثور صاحبه فمات يبيعان الثور الحي ويقتسمان ثمنه . والميت أيضا يقتسمانه . لكن اذا علم أنه ثور نطاح من قبل ولم يضبطه صاحبه يعوض عن الثور بثور والميت يكون له » (الخروج ٢١ : ١٢ — ٣٦) وجاء في هذا السفر كذلك « إذا سرق إنسان ثوراً أو شاة فذبحه أو باعه يعوض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشاة بأربعة من الغنم . إن وجد السارق وهو ينقب وضرب ومات فليس له دم ولكن إن أشرقت عليه الشمس فله دم ، إنه يعوض . . إذا رعى إنسان حقلا

أو كرماً وسرح مواشيه فرعت فى حقل غيره ، فمن أجود حقله وأجود كرمه يعوض . إذا أعطى إنسان صاحبه حماراً أو ثوراً أو شاة أو بهيمة ما للحفظ فمات أو انكسر أو نهب وليس ناظر فيمين الرب تكون بينهما هل لم يمد يده إلى ملك صاحبه ، فيقبل صاحبه فلا يعوض . وإذا استعار إنسان من صاحبه شيئاً فانكسر أو مات وصاحبه ليس معه يعوض . وإن كان صاحبه معه لا يعوض . إن كان مستأجراً أتى بأجرته » (الخروج ٢٢ : ١ — ١٥) . وجاء فى سفر اللاويين « إذا أخطأ أحد وخان خيانة بالرب ، وجحد صاحبه وديعة أو أمانة أو مسلوباً ، أو اغتصب من صاحبه أو وجد لقطة وجحدها وحلف كاذباً على شيء من كل ما يفعله الإنسان مخطئاً به . فإذا أخطأ وأذنب يرد المسلوب الذى سلبه أو المغتصب الذى اغتصبه أو الوديعة التى أودعت عنده أو اللقطة التى وجدها ، أو كل ما حلف عليه كاذباً يعوضه برأسه ويزيد عليه خمسه إلى الذى هو له » (اللاويين ٦ : ١ — ٥) . وجاء فى سفر التثنية « إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل فى المدينة واضطجع معها فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وأرجموهما بالحجارة حتى يموتا . الفتاة من أجل أنها لم تصرخ فى المدينة ، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه ... ولكن إن وجد الرجل الفتاة المخطوبة فى الحقل وأمسكها الرجل واضطجع معها يموت الرجل الذى اضطجع معها وحده . وأما الفتاة فلا تفعل بها شيئاً . ليس على الفتاة خطيئة للموت ، بل كما يقوم رجل على صاحبه ويقتله قتلا . هكذا هذا الأمر . إنه فى الحقل وجدها فصرخت الفتاة المخطوبة ، فلم يكن من يخلصها » (التثنية ٢٢ : ٢٣ — ٢٧) . وقد أوضح سفر التثنية سبيل التقاضى عند قيام الخصومة فقال « إذا عسر عليك أمر فى القضاء . . فقم واصعد إلى المكان الذى يختاره الرب إلهك ، واذهب إلى الكهنة اللاويين وإلى القاضى الذى يكون لك فى تلك الأيام .. فتعمل حسب الأمر الذى يخبرونك . . والرجل الذى يعمل بطغيان فلا يسمع للكاهن الواقف هناك ليخدم الرب إلهك وللقاضى ، يقتل ذلك الرجل .. فيسمع جميع الشعب ويخافون ولا يطغون بعد » (التثنية ١٧ : ٨ — ١٣) . كما أوضح هذا السفر ما ينبغى على القضاة من التزام العدل فى الحكم ، والتزام الاعتدال فى تنفيذه . فقال « إذا كانت خصومة بين أناس وتقدموا إلى القضاء ليقضى القضاة بينهم ، فليبرروا البار ويحكموا على المذنب . فإن كان المذنب مستوجب الضرب يطرحه القاضى ويجلدونه أمامه على قدر ذنبه بالعدد أربعين ، يجلده لا يزد

لئلا إذا زاد فى جلده على هذه ضربات كثيرة يحتقر أخوك فى عينيك » (التثنية ٢٥ : ١ — ٣) .

ومما سلف يتضح أن القاعدة فى عدالة الله أن الذى يقبل أحكام الله وفرائضه ويعمل بها يقبله الله ويكافئه ، والذى يرفض أحكام الله وفرائضه ويتمرد عليها يرفضه الله ويعاقبه . فقد جاء فى سفر أخبار الأيام « الرب يفحص جميع القلوب ، ويفهم كل تصورات الأفكار ، فاذا طلبته يوجد منك وإذا تركته يرفضك إلى الأبد » (أخبار الأيام الأول ٢٨ : ٩) . وجاء فيه « الرب معكم ما كنتم معه ، وإن طلبتموه يوجد لكم وإن تركتموه يترككم » (أخبار الأيام الثانى ١٥ : ١) . وجاء فى سفر عزرا : « إن يد إلهنا على كل طالبيه للخير ، وصولته وغضبه على كل من يتركه » . (عزرا ٨ : ١٢) .

١٤ — الله رحيم وغفور :

ولما كان الله كاملا كمالا مطلقاً ، فكل صفات الكمال مكتملة فيه . وكمال كل صفة من هذه الصفات كمال مطلق كذلك . ومن ثم فكما أن الله عادل عدلا مطلقاً ، فهو كذلك رحيم رحمة مطلقة ، وغفور إلى غير حد .

إن الله خالق الإنسان وسيده ومليكه ومالكه ، ولكنه فى ذات الوقت أبوه . فلئن عاقب الله الإنسان تأديباً له ، كما يؤدب الأب ابنه لتقويم اعوجاجه ، فهو فى ذات الوقت يضمر الرحمة له ، كما يرحم الأب ابنه ويرأف به ، ويغفر له كما يغفر الأب لابنه إذا تاب واستغفر عن ذنبه :

وعن ذلك جاء فى سفر الخروج « الرب إله رحيم ورؤوف ، بطىء الغضب وكثير الإحسان والوفاء .. حافظ الإحسان إلى ألوف .. غافر الإثم والمعصية والخطيئة » (الخروج ٣٤ : ٦ و ٧) وجاء فى سفر العدد « الرب طويل الروح كثير الإحسان » (العدد ١٤ : ١٨) . وجاء فى سفر التثنية « الرب إلهك تجده إذا التمسته بكل قلبك وبكل نفسك .. لأن الرب إلهك إله رحيم لا يتركك ولا يهلكك » (التثنية ٤ : ٢٩ — ٣١) . وجاء فى سفر أخبار الأيام « احمدوا الرب لأنه صالح ،

لأن إلى الأبد رحمته » (أخبار الأيام الأول ١٦ : ٣٤). وجاء فيه « الرب إلهكم حنان ورحيم ولا يحول وجهه عنكم إذا رجعتم إليه » (أخبار الأيام الثانى ٣٠ : ٩). وجاء فى سفر المزامير « كل سبل الرب رحمة وحق لحافظى عهده وشهاداته » (المزمور ٢٥ : ١٠) وجاء فيه « ما أكرم رحمتك يا ألله » (المزمور ٣٦ : ٧) . وجاء فيه « أما أنت يا رب فإله رحيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة » (المزمور ٨٦ : ١٥) . وجاء فيه « حنان ورحيم هو الرب » (المزمور ١١٠ : ٤) . وجاء فيه « احمدوا الرب لأنه صالح ، لأن إلى الأبد رحمته » (المزمور ١٠٧ : ١) . وجاء فيه « الرب رحيم ورؤوف ، طويل الروح وكثير الرحمة . لم يصنع لنا حسب خطايانا ، ولم يجازنا حسب آثامنا ، لأنه مثل ارتفاع السماوات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه . كبعد الشرق عن الغرب أبعد عنا معاصينا . كما يترأف الأب على البنين ، يترأف الرب على خائفيه ، لأنه يعرف جبلتنا . يذكر أننا تراب نحن . . أما رحمة الرب فإلى الدهر والأبد على خائفيه » (المزمور ١٠٣ : ٨ — ١٧) . وقال يونان النبي « علمت أنك إله رؤوف ورحيم بطىء الغضب وكثير الرحمة » (يونان ٤ : ٢) . وقال الله ليونان « أنت شفقت على اليقطينة التى لم تتعب فيها ولا ربيتها ، التى نبت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت . أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التى يوجد فيها أكثر من اثنتى عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم » (يونان ٤ : ١٠ و ١١) . وقال يوئيل النبي « مزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رؤوف رحيم بطىء الغضب وكثير الرأفة » (يوئيل ٢ : ١٣) وكما أن الله رحيم فإنه يطلب من الناس أن يرحم بعضهم بعضا ، فهو يقول على لسان هوشع النبي « إنى أريد رحمة لا ذبيحة » (هوشع ٦ : ٦) .

والله لأنه رحيم ، فهو غفور ، إذا رجع الإنسان عن شره واستغفر ربه ، رحمه وغفر له ذنبه . وفى ذلك يقول سفر الخروج « الرب إله رحيم . . غافر الإثم والمعصية والخطيئة » (الخروج ٣٤ : ٦ و ٧) . ويقول « الرب طويل الروح كثير الإحسان يغفر الذنب والسيئة » (الخروج ١٤ : ١٨) . وتقول المزامير « أما هو فرؤوف يغفر الإثم ولا يهلك ، وكثيراً ما رد غضبه ولم يشعل كل سخطه » (المزمور ٧٨ : ٣٨) وتقول « الجلوس فى الظلمة وظلال الموت موثقين بالذل والحديد ، لأنهم عصوا كلام الله وأهانوا مشورة العلى ، فأذل قلوبهم ، بتعب عثروا

ولا معين . . ثم صرخوا إلى الرب فى ضيقهم فخلصهم من شدائدهم . أخرجهم من الظلمة وظلال الموت وقطع قيودهم . فليحمدوا الرب على رحمته » (المزمور ١٠٧ : ١٠ — ١٥) . ويقول نحميا النبي « أنت إله غفور وحنان ورحيم ، طويل الروح وكثير الرحمة » (نحميا ٩ : ١٦) . ويقول ميخا النبي « من هو إله مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب . . لا يحفظ إلى الأبد غضبه ، فإنه يسر بالرأفة . يعود يرحمنا . يدوس آثامنا . . وتطرح فى أعماق البحر جميع خطاياهم » (ميخا ٧ : ١٨ و ١٩) وقد أوصى موسى النبي اليهود قائلا « فان رددت فى قلبك بين جميع الأمم الذين طردك الرب إلهك إليهم . ورجعت إلى الرب إلهك وسمعت صوته حسب كل ما أنا أوصيك به اليوم أنت وبنوك ، بكل قلبك وبكل نفسك ، يرد الرب إلهك سبيك ويرحمك ويعود فيجمعك من جميع الشعوب الذين بددك إليهم الرب إلهك . . ويحسن إليك . . لكى تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك لتحيا » (التثنية ٣٠ : ١ — ٦) وتضرع سليمان الحكيم إلى الله قائلا « إذا انكسر شعبك . . أمام العدو ، لأنهم أخطأوا إليك ، ثم رجعوا إليك ، واعترفوا باسمك وصلوا وتضرعوا إليك نحو هذا البيت ، فاسمع أنت من السماء واغفر خطيئة شعبك . . إذا أغلقت السماء ولم يكن مطر لأنهم أخطأوا إليك ، ثم صلوا فى هذا الموضع ، واعترفوا باسمك ورجعوا عن خطيئتهم لأنك ضايقتهم، فاسمع أنت من السماء واغفر خطيئة عبيدك . . فتعلمهم الطريق الصالح الذى يسلكون فيه ، وأعط مطراً على أرضك . . إذا صار فى الأرض جوع ، إذا صار وبأ . . فى كل ضربة وكل مرض ، فكل صلاة وكل تضرع تكون من أى إنسان كان من كل شعبك . . فاسمع أنت من السماء مكان سكناك واغفر .. واعط كل إنسان حسب كل طرقه كما تعرف قلبه .. إذا خرج شعبك لمحاربة عدوه .. وصلوا إلى الرب نحو المدينة التى اخترتها والبيت الذى بنيته لاسمك ، فاسمع من السماء صلاتهم وتضرعهم . . إذا أخطأوا إليك ، لأنه ليس إنسان لا يخطىء وغضبت عليهم ودفعتهم أمام العدو ، وسباهم سابوهم إلى أرض العدو بعيدة أو قريبة ، فإذا ردوا إلى قلوبهم فى الأرض التى يسبون إليها ، ورجعوا وتضرعوا إليك فى أرض سبيهم قائلين قد أخطأنا وعوجنا وأذنبنا ورجعوا إليك من كل قلوبهم ومن كل أنفسهم .. فاسمع فى السماء مكان سكناك صلاتهم . . واغفر لشعبك ما أخطأوا به إليك وجميع ذنوبهم التى أذنبوا بها إليك ، وأعطهم رحمة » (الملوك الأول ٨ : ١ — ٥٠) . وقد حدث فى كثير من الوقائع التى

وردت فى التوراة أن الله غضب على إنسان وأراد عقابه ، أو غضب على جماعة وأراد عقابها ، ثم ندم هذا الإنسان أو ندمت هذه الجماعة فتراءف الله وعفا وغفر . ومن أمثلة ذلك حين عبد اليهود العجل فى صحراء سيناء فغضب الله عليهم وأراد أن يهلكهم ، فتضرع إليه موسى النبي قائلا « قد أخطأ هذا الشعب خطيئة عظيمة وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب . . والآن إن غفرت خطيئتهم وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت » (الخروج ٣٢ : ٣٠ — ٣٢) ، فعفا الله عن اليهود قائلا لموسى « هذا الأمر أيضاً الذى تكلمت عنه أفعله ، لأنك وجدت نعمة فى عينى » (الخروج ٣٣ : ١٧) . ثم لم يلبث اليهود أن تمردوا مرة أخرى على الله فغضب الله عليهم . . « وقال الرب لموسى حتى متى يهيننى هذا الشعب ؟ . . إنى أضربهم بالوبا وأبيدهم . . فقال موسى للرب . . اصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك وكما غفرت لهذا الشعب من مصر إلى هنا . . فقال الرب قد صفحت حسب قولك » (العدد ١٤ : ١١ — ٢٠) . غير أن اليهود استمروا فى تمردهم على الله « فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل ، فأتى الشعب إلى موسى وقالوا قد أخطأنا إذ تكلمنا على الرب وعليك ، فصل إلى الرب ليرفع عنا الحيات ، فصلى موسى لأجل الشعب فقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها يحيا » (العدد ٢٠ : ٤ — ١٩) . وقد ندم الملك يوشيا على الشرور التى ارتكبها اليهود جميعاً ومزق ثيابه أمام الله باكياً مستغفراً ، عسى أن يعفيهم من غضبه وعقابه ، فعفا الله عنه قائلا له « من أجل أنه قد رق قلبك وتواضعت أمام الرب حين سمعت ما تكلمت به على هذا الموضع وعلى سكانه ، وأنهم يصيرون دهشاً ولعنة ، ومزقت ثيابك وبكيت أمامى . قد سمعت أنا أيضاً . . لذلك ها أنذا أضمك إلى آبائك فتضم إلى قبرك بسلام ولا ترى عيناك كل الشر الذى أنا جالبه على هذا الموضع » (الملوك الثانى ٢٢ : ١٨ — ٢٠) . وقال الله « فإذا تواضع شعبي . . وصلوا وطلبوا وجهى ورجعوا عن طرقهم الرديئة فإنى أسمع من السماء وأغفر خطيئتهم وأبرىء أرضهم » (أخبار الأيام الثانى ٧ : ١٢ — ١٤) . وفى عهد رحبعام ملك يهوذا « صعد شيشق ملك مصر على أورشليم لأنهم خانوا الرب . . وأخذ المدن الحصينة التى ليهوذا وأتى إلى أورشليم . فجاء شمعيا النبى إلى رحبعام ورؤساء يهوذا الذين اجتمعوا فى أورشليم من وجه شيشق وقال لهم ، هكذا قال الرب : أنتم تركتمونى وأنا أيضاً تركتكم ليد شيشق . فتذلل رؤساء

إسرائيل والملك وقالوا بار هو الرب . فلما رأى الرب أنهم تذللوا كان كلام الرب إلى شمعيا قائلا قد تذللوا فلا أهلكهم بل أعطيهم قليلا من النجاة ولا ينصب غضبى على أورشليم بيد شيشق ، لكنهم يكونون له عبيداً . . ولما تذلل (رحبعام) ارتد عنه غضب الرب فلم يهلكه تماماً » (أخبار الأيام الثانى ١٢ : ٥ — ١٢) . وجاء فى سفر أخبار الأيام « وعمل (منسى ملك يهوذا) الشر فى عينى الرب . . فجلب الرب عليهم رؤساء الجند الذين للملك آشور ، فأخذوا منسى بخزامة وقيدوه بسلاسل من نحاس وذهبوا به إلى بابل . ولما تضايق طلب وجه إلهه وتواضع جداً أمام إله آبائه ، وصلى إليه فاستجاب له وسمع تضرعه ورده إلى أورشليم ، إلى مملكته ، فعلم منسى أن الرب هو الله » (أخبار الأيام الثانى ٣٣ : ١١ — ١٣) .

والله قد يرحم إنساناً مخطئاً أو مكاناً يقيم فيه أشرار من أجل إنسان آخر يكون راضياً عنه ، أو من أجل مكان آخر يكون عزيزاً لديه ، إذ جاء فى سفر الملوك : « فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها ، فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك . إلا أنى لا أفعل ذلك فى أيامك من أجل داود أبيك ، بل من يد ابنك أمزقها . . على أنى لا أمزق منك المملكة كلها ، بل أعطى سبطاً واحداً لابنك لأجل داود عبدى ولأجل أورشليم التى اخترتها » (الملوك الأول ١١ : ١١ — ١٣) . وجاء فى هذا السفر « وفى السنة الثامنة عشرة للملك رحبعام بن نباط ملك أبيا على يهوذا . . ملك ثلاث سنين فى أورشليم . . وسار فى جميع خطايا أبيه التى عملها قبله ، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه . ولكن لأجل داود أعطاه الرب إلهه سراجاً فى أورشليم ، إذ أقام ابنه بعده وثبت أورشليم » (الملوك الأول ١٥ : ١ — ٨) . وجاء فيه أيضاً « هكذا قال الرب عن ملك آشور . . لا يدخل هذه المدينة (أورشليم) . . وأحامى عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسى ومن أجل داود عبدى » (الملوك الثانى ١٩ : ٣٢ — ٣٤) .

والله لا يرحم ولا يغفر إلا لمن يطلب رحمته ، ويلتمس غفرانه ، مقراً بذنوبه ، متعهداً بألا يعود إلى شروره ، مجتهداً أن يرجع عن معاصيه ، متواضعاً أمام الله خاضعاً له كل الخضوع ، فقد قال الله فى سفر اللاويين « لكن إن أقروا بذنوبهم وذنوب آبائهم فى خيانتهم التى خانونى بها . . أذكر ميثاقى مع يعقوب وأذكر أيضاً

ميثاق مع إسحق وميثاق مع إبراهيم » (اللاويين ٢٦ : ٤٠ — ٤٢) . وقال « إذا عمل رجل أو امرأة شيئاً من جميع خطايا الإنسان وخان خيانة بالرب ، فقد أذنبت تلك النفس . فلتقر بخطيئتها التى عملت . . » (العدد ٥ : ٦و٧) وقال « فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التى فعلها وحفظ كل فرائضى وفعل حقاً وعدلا فحياة يحيا . لايموت . كل معاصيه التى فعلها لا تذكر له عليه ، فى بره الذى عمل يحيا . هل مسرة أسر بموت الشرير ؟ . . ألا برجوعه عن طرقه فيحيا . . لايموت . . من أجل ذلك . . توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم . . واعملوا لأنفسكم قلباً جديداً وروحاً جديدة . . فارجعوا واحيوا » (حزقيال ١٨ : ٢١ — ٣٢) .

ولما كان العدل يقضى بأن المخطىء ينبغى أن ينال جزاءه . فقد شاء حنان الله ورأفته ورحمته وعطفه وانعطافه إلى المسامحة والغفران ، أن يقبل عن الإنسان — لكى يعفو عنه — كفارة يكفر بها عما ارتكب من أخطاء وخطايا وآثام . وقد رسم الله لذلك طقوساً دينية يقع فيها العقاب لا على الإنسان نفسه ، وإنما عن طريق الرمز على حيوان يأتى به المذنب إلى الكاهن فيذبحه على مذبح بيت الله ، فيكفر بدمه عن خطيئة الإنسان عوضاً عن دم الإنسان الذى تتمثل فيه نفسه وحياته . فقد قال الله فى سفر اللاويين « نفس الجسد هى الدم ، فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم . لأن الدم يكفر عن النفس » (اللاويين ١٧ : ١١) . وقد خصص الله اللاويين — وهم سبط لاوى بن يعقوب — لتقديم ذبائح التكفير فقال « وهبت اللاويين هبة لهارون وبنيه من بين بنى اسرائيل ليخدموا خدمة بنى اسرائيل فى خيمة الاجتماع وللتكفير عن بنى إسرائيل » (العدد ٨ : ١٩) . وقد جاء فى سفر اللاويين « إن أخطأ أحد من عامة الأرض سهواً بعمله واحدة من مناهى الرب التى لا ينبغى عملها وأثم ثم أعلم بخطيئته التى أخطأ بها يأتى بقربانه عنزاً من المعز أنثى صحيحة عن خطيئته التى أخطأ ويضع يده على رأس ذبيحة الخطيئة ، ويذبح ذبيحة الخطيئة فى موضع المحرقة .. ويكفر عنه الكاهن فيصفح عنه » .. (اللاويين ٤ : ٢٧ — ٣١) . وجاء فيه « إذا خان أحد خيانة وأخطأ سهواً فى أقداس الرب يأتى إلى الرب بذبيحة .. ويعوض عما أخطأ به .. ويدفعه إلى الكاهن فيكفر الكاهن عنه بكبش الإثم فيصفح عنه » (اللاويين ٥ : ١٤ — ١٦) وجاء فيه « ويقرب هارون ثور الخطيئة الذى له ويكفر عن نفسه وعن بيته .. ثم يذبح تيس الخطيئة الذى للشعب ..

فيكفر عن القدس من نجاسات بنى إسرائيل ومن سيئاتهم مع كل خطاياهم . وهكذا يفعل لخيمة الاجتماع القائمة بينهم فى وسط نجاساتهم . فيكفر عن نفسه وعن بيته وعن كل جماعة إسرائيل .. ومتى فرغ من التكفير عن القدس وعن خيمة الاجتماع وعن المذبح يقدم التيس الحى ويضع هارون يديه على رأس التيس الحى ويقر عليه بكل ذنوب بنى إسرائيل وكل سيئاتهم مع كل خطاياهم ويجعلها على رأس التيس ويرسله بيد من يلاقيه إلى البرية ليحمل التيس عليه كل ذنوبهم إلى أرض مقفرة » (اللاويين ١٦ : ١٥ — ٣٤) . وجاء فيه « يكون لكم فريضة دهرية أنكم فى الشهر السابع فى عاشر الشهر تذللون نفوسكم وكل عمل لا تعملون .. لأنه فى هذا اليوم يكفر عنكم لتطهيركم . من جميع خطاياكم أمام الرب تطهرون . سبت عطلة هو لكم وتذللون نفوسكم فريضة دهرية . ويكفر الكاهن الذى يمسحه والذى يملأ يده للكهانة عوضاً عن أبيه . يلبس ثياب الكتان ، الثياب المقدسة ويكفر عن مقدس القدس وعن خيمة الاجتماع والمذبح .. وعن الكهنة وكل شعب الجماعة يكفر ، و تكون هذه لكم فريضة دهرية للتكفير عن بنى إسرائيل من جميع خطاياهم مرة فى السنه ، ففعل كما أمر الرب موسى » (اللاويين ١٦ : ٢٩ — ٣٤)

والتكفير يتضمن الفداء ، أى أن تفدى نفس نفساً أخرى محكوماً عليها بالموت بسبب ما ارتكبت من خطيئة . فتموت عنها تكفيراً عن خطيئتها وقد حكم الله بالموت على كل بكر فى مصر ليلة خروج اليهود منها ، ماعدا أبكار اليهود ، فقد أمر الله اليهود بأن يذبحوا خرافاً بدل أبكارهم فديه عنهم فقد جاء فى سفر الخروج « قال موسى هكذا يقول الرب إنى نحو نصف الليل أخرج فى وسط مصر فيموت كل بكر فى أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الجارية التى التى خلف الرحى وكل بكر بهيمة ولكن جميع بنى إسرائيل ... يأخذون لهم كل واحد شاة بحسب بيوت الآباء .. تكون لكم شاة صحيحة ذكراً ابن سنة تأخذونه من الخرفان أو من المواعز .. يذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل فى العشية .. فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر .. ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين .. أنك تقدم للرب كل فاتح رحم وكل بكر من نتاج البهائم التى تكون لك .. الذكور للرب . ولكن كل بكر حمار تفديه بشاة ، وإن لم تفده فتكسر عنقه وكل بكر إنسان من أولادك تفديه ويكون متى سألك ابنك غداً قائلا ما هذا ؟ تقول له بيد قوية أخرجنا الرب من مصر من بيت العبودية كان

لما تقسى فرعون عن إطلاقنا أن الرب قتل كل بكر فى أرض مصر من بكر الناس إلى بكر البهائم . لذلك أنا أذبح للرب الذكور من كل فاتح رحم ، وأفدى كل بكر من أولادى » (الخروج ١١ : ٤ — ١٠ ، ١٢ : ١ — ١٤ ، ١٣ : ١١ — ١٦) .
وما من شك فى أن نفس الحيوان لا تكون فدية لنفس الإنسان إلا على سبيل الرمز ، لأن نفس الفادى ينبغى أن تكون مساوية لنفس المفدى أو تفوقها فى المنزلة ، حتى يكون أهلا للتكفير عن خطيئته . وسنرى فى شرح العقيدة المسيحية فيما بعد أن ذبيحة الفداء والتكفير هذه التى أمر بها الله لم تكن إلا رمزاً للمسيح الذى كان قد تقرر فى الضمير الإلهى ، وعلى مقتضى رحمة الله ، أن يجىء إلى العالم ليفدى البشر ويكفر عن خطاياهم التى ارتكبوها فى حق الله ، والتى استحقوا عنها أمام العدل الإلهى عقوبة الموت والهلاك . ولم يكن دم الإنسان نفسه كافياً للتكفير عن تلك الخطايا ، بسبب فساده وسيطرة الشر عليه ، فى حين ينبغى للتكفير عن الخطأ تجاه الله الطاهر الصالح الكامل أن يكون الفادى طاهراً وصالحاً ومتصفاً بالكمال اللائق بطهارة الله وصلاحه وكماله

ولما كان مرجع رحمة الله وغفرانه للناس ، إنما هو محبته لهم باعتبارهم أبناءه ، فقد أوصاهم بأن يحب كل منهم أخاه قائلا « لا تبغض أخاك فى قلبك . . لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك ، بل تحب قريبك كنفسك » (اللاويين ١٩ : ١٨) . كما أوصاهم بأن يحبوا الغرباء المقيمين بينهم قائلا « كالوطنى منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم وتحبه كنفسك » (اللاويين ١٩ : ٣٤) .

١٥ — الله حكيم :

والله حكيم حكمة مطلقة فى كل أعماله ، قاصداً بها الخير والنفع فى كل الأحوال ، وإن بدا بعضها للناس منطوياً على الشر والضرر . وقد جاء فى سفر أيوب « فمن أين تأتى الحكمة وأين هو مكان الفهم ، إذ أخفيت عن عيون كل حى . . الله يفهم طريقها وهو عالم بمكانها . لأنه هو ينظر إلى أقاصى الأرض . تحت كل السماوات يرى » (أيوب ٢٨ : ٢٠ — ٢٤) وجاء فى سفر دانيال « ليكن اسم الله مباركاً من الأزل وإلى الأبد ، لأن له الحكمة والجبروت » (دانيال ٢ : ٢٠) . وجاء فى سفر الأمثال

« الرب بالحكمة أسس الأرض » (الأمثال ٣ : ١٩) . وجاء فى سفر إرميا أن الله هو « صانع الأرض بقوته ، مؤسس المسكونة بحكمته » (إرميا ١٠ : ١٢) . وجاء فى سفر أيوب أن الله « عنده الحكمة والقدرة . له المشورة والفطنة » (أيوب ١٢ : ١٣) .. وجاء فيه « ياليت الله . . يعلن لك خفيات الحكمة » (أيوب ١١ : ٦) . وجاء فى سفر عزرا : « أما أنت ياعزرا فحسب حكمة إلهك التى بيدك ضع حكاماً وقضاة يقضون لجميع الشعب » (عزرا ٧ : ٢٥) .

وقد يمنح الله بعضاً من فيض حكمته لمن يختارهم ويرضى عنهم ، ومن ذلك ماجاء فى سفر الخروج ، إذ قال الله لموسى « تكلم جميع حكماء القلوب الذين ملأتهم روح حكمة أن يصنعوا ثياب هارون » (الخروج ٢٨ : ٣) . وقال له « قد دعوت بصلئيل بن أورى . . وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة » (الخروج ٣١ : ١ — ٣) . وجاء فى سفر الملوك « وأعطى الله سليمان حكمة وفهما كثيراً جداً » (الملوك الأول ٤ : ٢٩) وقال داود « فنى السريرة تعرفنى حكمة » (المزمور ٥١ : ٦) .

وفى بعض الأحيان يطلب الإنسان من الله أن يفيض عليه قبساً من حكمته . ومن ذلك أن موسى تضرع إلى الله قائلا «علمنا فنؤتى قلب الحكمة » (المزمور ٩٠ : ١٢) كما تضرع سليمان إلى الله قائلا « فأعطنى الآن حكمة ومعرفة » (أخبار الأيام الثانى ١ : ١٠) .

١٦ — الله ذو هيبة ورهبة :

وقد أعلن الله نفسه لليهود فى هيبة عظيمة ، وفى رهبة كانت تبلغ أحياناً حد الإرهاب ، وفى حزم وحسم وصرامة كانت تبلغ أحيانا حد البطش والإهلاك والإرعاب ، حتى يروض طبيعتهم العنيدة المتمردة ، ويقوض ما اتصفوا به من صلف وكبرياء وغرور وشرور متعددة . إذ أن اللين لايجدى معهم ، وإنما تجدى معهم القوة . والحق لايؤدى إلى إقناعهم ، وإنما يؤدى إلى ذلك أخذهم بالشدة والتسلط والسطوة . فبهذا وحده يخضعون ويخشعون ويطيعون . وبغيره يتجبرون ويتمردون

ويصعرون خدودهم ، ويتنكرون حتى لربهم الذى أنقذهم من العبودية فى مصر ، ومنحهم الحرية التى ما كانوا بها يحلمون وما كانوا إليها يتطلعون . ومن ثم فإننا نجد فى كل أسفار التوراة هذه الصورة المهيبة الرهيبة التى أظهر الله بها نفسه لليهود، باعتباره الإله القادر الجبار ، القوى القهار ، الذى إذا نظر إليه إنسان مات على الفور ، وإذا اقترب منه احترق بالنار ، وإذا عصاه أو تمرد عليه فتحت الأرض فاها وابتلعته ، أو جاءت صاعقة من السماء فصعقته . فليس من غضبه إذا غضب مهرب ، ولا من نقمته أو انتقامه نجاة ولا فرار .

لذلك هتف موسى قائلا « من مثلك بين الآلهة يارب . . يسمع الشعوب فيرتعدون . أقوياء موآب تأخذهم الرجفة ، يذوب جميع سكان كنعان . تقع عليهم الهيبة والرعب » (الخروج ١٥ : ١١ — ١٦) . وقد جاء فى سفر الخروج « فقال الرب لموسى اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغداً وليغسلوا ثيابهم ويكونوا مستعدين لليوم الثالث . لأنه فى اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء . وتقيم للشعب حدوداً من كل ناحية قائلا احترزوا من أن تصعدوا إلى الجبل أو تمسوا طرفه . كل من يمس الجبل يقتل قتلا . . بهيمة كان أو إنسانا لا يعيش . أما عند صوت البوق فهم يصعدون إلى الجبل . . وحدث فى اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً ، فارتعد كل الشعب الذى فى المحلة . وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله ، فوقفوا فى أسفل الجبل . وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار . وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً .. فقال الرب لموسى انحدر حذر الشعب لئلا يقتحموا إلى الرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون . وليتقدس أيضا الكهنة الذين يقتربون إلى الرب لئلا يبطش بهم الرب . . وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن . ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد ، وقالوا لموسى تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت . فقال موسى للشعب لا تخافوا لأن الله إنما جاء لكى يمتحنكم ولكى تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا . فوقف الشعب من بعيد ، وأما موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان الله » (الخروج ١٩ : ١٠ — ٢٥ ، ٢٠ : ١٨ — ٢١) .

وجاء فى هذا السفر « وكلم الرب موسى قائلا وتصنع مرحضة من نحاس وقاعدتها من نحاس للاغتسال . . فيغسل هارون وبنوه أيديهم وأرجلهم منها . عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع يغسلون بماء لئلا يموتوا . أو عند اقترابهم إلى المذبح للخدمة ليوقدوا وقوداً للرب يغسلون أيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا » . (الخروج ٣٠ : ١٧ — ٢١) . وجاء فيه « وقال موسى للرب . . أرنى مجدك . فقال . . لاتقدر أن ترى وجهى لأن الإنسان لايرانى ويعيش » . (الخروج ٣٣ : ١٢ و ١٨ و ٢٠) .

وجاء فى سفر اللاويين « وأخذ ابناهارون ناداب وأبيهو كل منهما مجمرته . وجعلا فيهما ناراً ووضعا عليها بخوراً وقربا أمام الرب ناراً غريبة لم يأمرهما بها ، فخرجت نار من عند الرب وأكلتهما فماتا أمام الرب . . وقال موسى لهارون وألعازار وإيثامار ابنيه لا تكشفوا رؤوسكم ولا تشقوا ثيابكم لئلا تموتوا . . ومن باب خيمة الإجتماع لا تخرجوا لئلا تموتوا ، لأن دهن مسحة الرب عليكم » . (اللاويين ١٠ : ١ — ٧) . وجاء فيه « وكلم الرب موسى بعد موت ابنى هارون عندما اقتربا أمام الرب وماتا . وقال الرب لموسى كلم هارون أخاك أن لايدخل كل وقت إلى القدس داخل الحجاب أمام الغطاء الذى على التابوت لئلا يموت . لأنى فى السحاب أتراءى على الغطاء . بهذا يدخل هارون إلى القدس : بثور ابن بقر لذبيحة خطيئته وكبش لمحرقة ، ويلبس قميص كتان مقدساً . . » (اللاويين ١٦ : ١ - ٥)

وجاء فى سفر العدد « النازلون قدام المسكن إلى الشرق قدام خيمة الاجتماع نحو الشروق هم موسى وهارون وبنوه حارسين حراسة القدس . . والأجنبى الذى يقترب يقتل » (العدد ٣ : ٣٨) . وجاء فيه « ومتى فرغ هارون وبنوه من تغطية القدس وجميع أمتعة القدس عند ارتحال المحلة يأتى بعد ذلك بنوقهات للحمل ، ولكن لايمسوا القدس لئلا يموتوا » (العدد ٤ : ١٥) . وجاء فيه « كل من اقترب إلى مسكن الرب يموت » (العدد ١٧ : ١٢) .

وجاء فى سفر التثنية « إن عدنا نسمع صوت الرب إلهنا أيضاً نموت . لأنه من هو من جميع البشر سمع صوت الله الحى يتكلم من وسط النار مثلنا وعاش » (التثنية ٥ : ٢٥) . وجاء فيه « إن لم تحرص لتعمل بجميع كلمات هذا الناموس

للمكتوبة فى هذا السفر ، لتهاب هذا الاسم الجليل المرهوب الرب إلهك ، يجعل الرب ضرباتك وضربات نسلك عجيبة ، ضربات عظيمة . . فتستأصلون من الأرض » (التثنية ٢٨ : ٥٨ - ٦٣) . وجاء فيه قول الله « إنى أرفع إلى السماء يدى وأقول حى أنا إلى الأبد . إذا سننت سيفى البارق . . أرد نقمة على أضدادى . . أسكر سهامى بدم ، ويأكل سيفى لحماً . بدم القتلى والسبايا » (التثنية ٣٢ : ٤٠ - ٤٢) .

وجاء فى سفر القضاة « تزلزلت الجبال من وجه الرب » (القضاة ٥ : ٥) . وجاء فيه « فقال منوح لامرأته نموت موتاً لأننا قد رأينا الله » (القضاة ١٣ : ٢٢)

وجاء فى سفر صموئيل « قام داود وذهب هو وجميع الشعب الذى معه من بعلة يهوذا ليصعدوا من هناك تابوت الله . . فأركبوا تابوت الله على عجلة جديدة وحملوه من بيت أبيناداب الذى فى الأكمة . وكان عزة وأخيو ابنا أبيناداب يسوقان العجلة الجديدة ، فأخذوها من بيت أبيناداب الذى فى الأكمة مع تابوت الله . وكان أخيو يسير أمام التابوت ، وداود وكل بيت إسرائيل يلعبون أمام الرب بكل أنواع الآلات . . ولما انتهوا إلى بيدر ناخون مد عزة يده إلى تابوت الله وأمسكه لأن الثيران انشمصت . فحمى غضب الرب على عزة وضربه الله هناك لأجل غفله ، فمات هناك لدى تابوت الله . . وخاف داود من الرب فى ذلك اليوم » (صموئيل الثانى ٦ : ٢ - ٨) وقد هتف داود قائلا « إلى إلهى صرخت فسمع من هيكله صوتى وصراخى دخل أذنيه فارتجت الأرض وارتعشت . أسس السماوات ارتعدت وارتجت لأنه غضب . صعد دخان من أنفه ونار من فمه أكلت . . أرعد الرب من السماوات . . فظهرت أعماق البحر وانكشفت أسس المسكونة من زجر الرب » (صموئيل الثانى ٢٢ : ٧ - ١٦) .

وجاء فى سفر أخبار الأيام « الرب عظيم . . وهو مرهوب فوق جميع الآلهة » (أخبار الأيام الأول ١٦ : ٢٥) . وجاء فيه « ارتعدوا أمامه ياجميع الأرض » (أخبار الأيام الأول ١٦ : ٣٠) . وجاء فيه « رعب الرب كان عليهم » (أخبار الأيام الثانى ١٤ : ١٤) . وجاء فيه « وكانت هيبة الرب على جميع ممالك الأراضى التى حول يهوذا » (أخبار الأيام الثانى ١٧ : ١٠) .

وجاء فى سفر نحميا « اذكروا السيد العظيم المرهوب » (نحميا ٤ : ١٤) . وجاء فيه « إلهنا الإله العظيم الجبار المخوف » (نحميا ٩ : ٣٢) .

وجاء فى سفر أيوب : « المزحزح الجبال . . الذى يقلبها فى غضبه ، المزعزع الأرض من مقرها فتتزلزل أعمدتها . الآمر الشمس فلا تشرق ، ويختم على النجوم .. لا يرد غضبه . ينحنى تحته أعوان رهب » (أيوب ٩ : ٥ — ١٣) . وجاء فيه « فهلا يرهبكم جلاله ويسقط عليكم رعبه ؟ » (أيوب ١٣ : ١١) . وجاء فيه « أبعد يديك عنى ولا تدع هيبتك ترعبنى » (أيوب ١٣ : ٢١) . وجاء فيه « الهاوية عريانة قدامه والهلاك ليس له غطاء . . أعمدة السماوات ترتعد وترتاع من زجره . بقوته يزعج البحر . . يسحق رهب . . بنفخته السماء مسفرة . . وأما رعد جبروته فمن يفهم ؟ » (أيوب ٢٦ : ٦ — ١٤) . وجاء فيه « عند الله جلال مرهب » (أيوب ٣٧ : ٢٢) .

وجاء فى المزامير « يارب اجعل عليهم رعباً ، ليعلم الأمم أنهم بشر » (المزمور ٩ : ٢٠) — « قولوا لله ما أهيب أعمالك . . هلم انظروا أعمال الله . فعله المرهب نحو بنى آدم » (المزمور ٦٦ : ٣ و ٥) — « فارتجت الأرض وارتعشت . أسس الجبال ارتعدت وارتجت لأنه غضب ، صعد دخان من أنفه . ونار من فمه أكلت . جمر اشتعلت منه . . أرعد الرب من السماوات . . فظهرت أعماق المياه وانكشفت أسس المسكونة من زجرك يارب . من نسمة ريح أنفك . . يصرخون ولا مخلص . إلى الرب فلا يستجيب لهم . . الإله المنتقم . . والذى يخضع الشعوب » (المزمور ١٨ : ٧ — ٤٩) . « أنت مهوب فمن يقف قدامك حال غضبك ؟ .. الأرض فزعت وسكتت » (المزمور ٧٦ : ٧ و ٨) . « هو مهوب لملوك الأرض » (المزمور ٧٦ : ١٢) . « يا الله . أبصرتك المياه ففزعت . ارتعدت أيضاً اللجج . . صوت رعدك فى الزوبعة . . ارتعدت ورجفت الأرض » (المزمور ٧٧ : ١٦ — ١٨) . « إله مهوب جداً . . ومخوف عند جميع الذين حوله » (المزمور ٨٩ : ٧) « ارتعدى قدامه يا كل الأرض» (المزمور ٩٦ : ٩) « قدامه تذهب نار وتحرق أعداءه حوله .. رأت الأرض وارتعدت . ذابت الجبال مثل الشمع قدام الرب » (المزمور ٩٧ : ١ — ٥) . « الرب قد ملك . ترتعد الشعوب .. تتزلزل الأرض . الرب عظيم فى صهيون . . يحمدون اسمك العظيم والمهيب » (المزمور ٩٩ : ١ — ٣) — « الناظر إلى الأرض فترتعد » (المزمور ١٠٤ : ٣٢) — « أيتها الأرض تزلزلى من قدام الرب » (المزمور ١١٤ : ٧) .

وجاء فى سفر إشعياء « يدخلون فى مغاير الصخور وفى حفائر التراب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الأرض» (إشعياء ٢ : ١٩) — « لأنهم رذلوا شريعة رب الجنود واستهانوا بكلام قدوس إسرائيل . . حمى غضب الرب على شعبه ومد يده عليه وضربه حتى ارتعدت الجبال » (إشعياء ٥ : ٢٤ و ٢٥) — « هوذا السيد رب الجنود يقضب الأغصان برعب » (إشعياء ١٠ : ٣٣) — « هوذا اسم الرب يأتى من بعيد ، غضبه مشتعل والحريق عظيم. شفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كنار آكلة ونفخته كنهر غامر يبلغ إلى الرقبة لغربلة الأمم بغربال السوء . . ويسمع الرب جلال صوته ويرى نزول ذراعه بهيجان غضب ولهيب نار آكلة ، فسوء وسيل وحجارة برد . لأن من صوت الرب يرتاع آشور . بالقضيب يضرب . . نفخة الرب كنهر كبريت . . » (إشعياء ٣٠ : ٢٧ — ٣٣) — « لبس ثياب الانتقام كلباس . . يجازى مبغضيه سخطاً وأعداءه عقاباً . . فيخافون من المغرب اسم الرب ومن مشرق الشمس مجده » (إشعياء ٥٩ : ١٧ — ١٩) - « من حضرتك تزلزل الجبال . كما تشعل النار الهشيم وتجعل النار المياه تغلى لتعرف أعداءك اسمك . لترتعد الأمم من حضرتك » (إشعياء ٦٤ : ١ و ٢) - « الرب بالنار يأتى ، ومركباته كزوبعة ليرد بحمو غضبه . وزجره بلهيب نار . لأن الرب بالنار يعاقب » (إشعياء ٦٦ : ١٥و ١٦) . وقال الله على لسان إشعياء النبى « أنا الرب . . نظرت الجزائر فخافت أطراف الأرض ارتعدت » (إشعياء ٤١ : ١٥) . وقال « اسمعوا أيها البعيدون ما صنعت ، واعرفوا أيها القريبون بطشى . . إرتعب فى صهيون الخطاة . أخذت الرعدة المنافقين » . (إشعياء ٣٣ : ١٣ و ١٤)

وجاء فى سفر ناحوم « الرب منتقم وذو سخط . الرب منتقم من مبغضيه وحافظ غضبه على أعدائه . . الرب فى الزوبعة فى العاصفة طريقه . . الجبال ترجف منه والتلال تذوب . . والأرض ترفع من وجهه والعالم وكل الساكنين فيه . من يقف أمام سخطه ؟ ومن يقوم فى حمو غضبه ؟ غيظه ينسكب كالنار ، والصخور تنسكب منه . . بطوفان عابر يصنع هلاكا تاماً . . وأعداؤه يتبعهم ظلام » . (ناحوم ٢ — ٧)

وجاء فى سفر إرميا «يخرج كنار .. فيحرق وليس من يطفىء .. نظرت إلى الجبال وإذا هى ترتجف وكل الآكام تقلقلت .. وكل مدنها نقضت من وجه الرب، من وجه حمو غضبه» (إرميا ٤ : ٤ و ٢٤ — ٢٦) — «من سخطه ترتعد الارض ولا تطيق الامم غضبه» (إرميا ١٠ : ١٠) .. «ها زوبعة الرب . غيظ يخرج ونوء هائج .. لا يرتد غضب الرب حتى يجرى ويقيم مقاصد قلبه» (إرميا ٢٣ : ١٩ و ٢٠) — «الرب من العلاء يزمجر .. يزأر زئيراً .. يصرخ ضـــد كل سكان الارض» (إرميا ٢٥ : ٣٠) .

الفصل الرابع

الله يعلن ذاته للإنسان

وقد أعلن الله ذاته للإنسان فى التوراة بوسائل مختلفة ، لكى يدعوه إلى الإيمان به ، والعمل بوصاياه ، وانتظار الخلاص الذى هيأه له — رحمة به وعطفاً عليه — لينقذه من الهلاك الذى استحقه على مقتضى العدل الإلهى ، بسبب خطيئته وغروره ، وكثرة آثامه وشروره .

ذلك أن الله قد أودع فى الإنسان حين خلقه واسطة تجعله على صلة دائمة بربه ، وهى ضميره الذى هو صوت الله فيه . وكان عن طريق هذا الضمير يوحى إليه بأوامره ونواهيه . ولكن الإنسان لم يلبث أن تمرد على الله فما فتىء يصم أذنيه عن نداء هذا الضمير حتى أماته . وما فتىء يغمض عينيه عما عدا هذا الضمير من دلائل وجود الله حتى عمى بصره وعميت بصيرته فأصبح الظلام يكتنف حياته . فلم يعد يرى الله أو يسمعه أو يحس بوجوده أو بقدرته ، أو يعلم شيئاً عن تدبيره أو مشيئته . ومن ثم راح يتخبط على غير هدى فيقع فى خطأ بعد خطأ ، ويندفع إلى خطيئة بعد خطيئة. فإذ شاء الله أن يقيمه من كبوته ، وأن يقيله من غضبه عليه ، لم تعد ثمة وسيلة إلا أن يتصل به اتصالا مباشراً ، وذلك بأن يظهر ذاته بصورة مرئية لعينيه ، ويخاطبه

بكلام يطرق أذنيه ، على مقتضى تكوينه المادى واستعداده الجسدى . وما من شك فى أن لدى الله الوسيلة لذلك والقدرة عليه .

وقد تنوعت مظاهر إعلان الله لذاته فكان بعضها مباشراً ، بأن يظهر الله للإنسان ويخاطبه فى هيئة بشرية أثناء يقظته ، أو فى حلم أثناء نومه . وكان بعضها الآخر غير مباشر ، بأن يرسل إليه ملاكا يتراءى له ويخاطبه ، أو يرسل إليه نبيا يوحى إليه بما يشاء من أوامره ونواهيه ، فينقل إلى الناس ما أوحى به .

١ — الله يظهر للإنسان :

وقد ظهر الله لكثيرين من الآباء الأولين لليهود ، ومن أنبيائهم وأتقيائهم منذ نشأة جدهم الأول إبراهيم إلى مجىء السيد المسيح .

ومن أمثلة ظهور الله للإنسان ما جاء فى التوراة إذ يقول سفر التكوين «واجتاز أبرام فى الأرض إلى مكان شكيم . . وظهر الرب لأبرام ، وقال لنسلك أعطى هذه الأرض» (التكوين ١٢ : ٦ — ٩) — «ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع على أبرام سبات وإذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه ، فقال لأبرام اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً فى أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلونهم أربعمائه سنة .. ثم غابت الشمس فصارت العتمة ، وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع» (التكوين ١٥ : ١٢ — ١٧) . — «ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير ، سر أمامى وكن كاملا . . » (التكوين ١٧ : ١ — ٢٢) — «وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه . فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض . وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك . . » (التكوين ١٨ : ١ — ٣٣) . كما جاء فى سفر التكوين «وكان فى الأرض جوع غير الجوع الأول الذى كان فى أيام إبراهيم ، فذهب إسحق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين ، إلى جرار ، وظهر له الرب وقال لاتنزل إلى مصر . . تغرب فى هذه الأرض فأكون معك وأباركك» (التكوين ٢٦ : ١ الخ) «ثم صعد (إسحق) من هناك إلى بئر سبع فظهر له الرب فى تلك الليلة» (التكوين

١٦ : ٢٣) — وجاء فى هذا السفر « فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران ، وصادف مكاناً وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت ، وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه فاضطجع فى ذلك المكان ورأى حلماً ، وإذا سلم منصوب على الأرض ورأسها يمس السماء وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها ، وهوذا الرب واقف عليها ، فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق . . » (التكوين ٢٨ : ١٠ — ١٥) — « فأرسل يعقوب ودعا راحيل وليئة . . وقال لهما . . قال لى ملاك الله فى الحلم يا يعقوب . . قد رأيت كل ما يصنع بك لابان . أنا إله بيت إيل حيث مسحت عموداً .. قم اخرج من هذه الأرض وارجع إلى أرض ميلادك » (التكوين ٣١ : ٤ — ١٣) — « فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه . . وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر ، فقال لأطلقك إن لم تباركنى . فقال له ما اسمك ؟ فقال يعقوب . فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب ، بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت . وسأل يعقوب وقال أخبرنى باسمك . فقال لماذا تسأل عن اسمى ؟ وباركه هناك . فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل ، قائلا لأنى نظرت الله وجهاً لوجه » (التكوين ٣٢ : ٢٢ — ٣١) — « وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان آرام وباركه وقال له الله اسمك يعقوب. لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب ، بل يكون اسمك إسرائيل » (التكوين ٣٥ : ٩ الخ) — « فكلم الله إسرائيل فى رؤى الليل وقال يعقوب يعقوب . . أنا الله إله أبيك . . لاتخف من النزول إلى مصر » (التكوين ٤٦ : ١ — ٧) .

وجاء فى سفر الخروج « وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان . فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب ، وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط العليقة . فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق . . فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال . . إخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة » (الخروج ٣ : ١ الخ) — « فحدث إذ كان هارون يكلم كل جماعة بنى إسرائيل أنهم التفتوا نحو البرية ، وإذا مجد الرب قد ظهر فى السحاب ، فكلم الرب موسى قائلا سمعت تذمر بنى إسرائيل . . » (الخروج ١٦ : ١ — ١٢) — « ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل ، وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق

الشفاف وكذات السماء فى النقاوة . ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل ، فرأوا الله » (الخروج ٢٤ : ٩ الخ) - « وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة ويتكلم الرب مع موسى ، فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفاً عند باب الخيمة ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد فى خيمته » (الخروج ٣٣ : ٧ — ١١) - « ثم غطت السحابة خيمة الاجتماع ، وملأ بهاء الرب المسكن ، فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع لأن السحابة حلت عليها وبهاء الرب ملأ المسكن . وعند ارتفاع السحاب من المسكن كان بنو إسرائيل يرتحلون فى جميع رحلاتهم ، وإن لم ترتفع السحابة لا يرتحلون إلى يوم ارتفاعها لأن سحابة الرب كانت على المسكن نهاراً . وكانت فيها نار ليلا أمام عيون كل بيت إسرائيل فى جميع رحلاتهم » (الخروج ٤٠ : ٣٤ — ٣٨) .

وجاء فى سفر اللاويين « فتراءى مجد الرب لكل الشعب ، وخرجت نار من عند الرب وأحرقت على المذبح المحرقة والشحم ، فرأى جميع الشعب وهتفوا وسقطوا على وجوههم » (اللاويين ٩ : ١ - ٢٤) . وجاء فيه « لأنى فى السحاب أتراءى على الغطاء (غطاء تابوت العهد) » (اللاويين ١٦ : ٢) .

وقد قال الله فى سفر العدد « إن كان منكم نبى للرب فبالرؤيا أستعلن له . فى الحلم أكلمه . أما عبدى موسى فليس هكذا . . عياناً أتكلم معه . . وشبه الرب يعاين . . » (العدد ١٢ : ١ الخ) . وجاء فى هذا السفر « ثم ظهر مجد الرب فى خيمة الاجتماع لكل بنى إسرائيل » (العدد ١٤ : ١٠) . وجاء فيه « أنت يارب قد ظهرت لهم عيناً لعين وسحابتك واقفة عليهم وأنت سائر أمامهم بعمود السحاب نهاراً وبعمود نار ليلا » . (العدد ١٤ : ١٤) . وجاء فيه « فتراءى مجد الرب لكل الجماعة » (العدد ١٦ : ١٩) - « ولما اجتمعت الجماعة على موسى وهارون انصرف إلى خيمة الاجتماع وإذا هى قد غطتها السحابة وتراءى مجد الرب » (العدد ١٦ : ٤٢) - « فأتى موسى وهارون من أمام الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع وسقطا على وجهيهما فتراءى لهما مجد الرب » (العدد ٢٠ : ٦) .

وجاء فى سفر الملوك « فى جبعون تراءى الرب لسليمان فى حلم ليلا وقال الله اسأل ماذا أعطيك . . » (الملوك الاول ٣ : ١ الخ) . وجاء فيه « وكان لما أكمل سليمان بناء بيت الرب . . أن الرب تراءى لسليمان ثانية كما تراءى له فى جبعون . وقال له

الرب قد سمعت صلاتك وتضرعك الذى تضرعت به أمامى. قدست هذا البيت الذى بنيته لأجل وضع اسمى فيه إلى الأبد » (الملوك الأول ٩ : ١ الخ) . وجاء فيه « فى تلك الليلة تراءى الله لسليمان وقال له اسأل ماذا أعطيك » (أخبار الأيام الثانى ١ : ٧ - ١٢) - « وكمل جميع العمل الذى عمله سليمان لبيت الرب .. وكان لما صوت المبوقون والمغنون كواحد صوتا واحداً لتسبيح الرب وحمده ، ورفعوا صوتاً بالأبواق والصنوج وآلات الغناء والتسبيح للرب لأنه صالح ، لأن إلى الابد رحمته ، أن البيت ، بيت الرب ، امتلأ سحاباً . ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب لأن مجد الرب ملأ بيت الله » (أخبار الأيام الثانى ٥ : ١٢ - ١٤) .

وجاء فيه « ولما انتهى سليمان من الصلاة نزلت النار من السماء وأكلت المحرقة والذبائح وملأ مجد الرب البيت ، ولم يستطع الكهنة أن يدخلوا بيت الرب لأن مجد الرب ملأ بيت الرب . وكان جميع بنى إسرائيل ينظرون عند نزول النار ومجد الرب على البيت وخروا على وجوههم إلى الأرض على البلاط المجزع وسجدوا » (أخبار الأيام الثانى ٧ : ١ — ٣) . وجاء فيه « وتراءى الرب لسليمان ليلا وقال له قد سمعت صلاتك واخترت هذا المكان لى بيت ذبيحة » (أخبار الأيام الثانى ٧ : ١٢ الخ) . وجاء فيه « قال له الملك يا ميخا أنصعد إلى راموت جلعاد للقتال أم نمتنع .. قال فاسمع إذن كلام الرب . قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره ، فقال الرب من يغوى آخاب ليصعد ويسقط فى راموت جلعاد ؟ فقال هذا هكذا وقال ذاك هكذا . ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال أنا أغويه . وقال له الرب بماذا ؟ فقال أخرج وأكون روح كذب فى أفواه جميع أنبيائه . فقال إنك تغويه وتقتدر فاخرج وافعل هكذا » (الملوك الأول ٢٢ : ١٣ — ٢٢) .

وقال إشعياء النبى « فى سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسى عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل .. السرافيم واقفون فوقه لكل واحد سته أجنحة ، باثنين يغطى وجهه وباثنين يغطى رجليه وباثنين يطير . وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود . مجده ملء كل الأرض . فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخاناً . فقلت ويل لى ، إنى هلكت ، لأنى إنسان نجس

الشفتين ، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين ، لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود . فطار إلى واحد من السرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح ومس بها فمي وقال إن هذه قد مست شفتيك فانتزع إثمك ، وكفر عن خطيئتك . ثم سمعت صوت السيد قائلا من أرسل ومن يذهب من أجلنا ؟ فقلت ها أنذا أرسلنى . فقال اذهب وقل لهذا الشعب اسمعوا سمعاً ولا تفهموا ، وابصروا إبصاراً ولا تعرفوا .. الخ » (أشعياء ٦ : ١ ألخ) .

وقال دانيال النبي « كنت أرى فى رؤى الليل .. كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام . لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقى وعرشه لهيب نار متقدة . نهر نار جرى وخرج من قدامه . ألوف ألوف تخدمه ، وربوات ربوات وقوف قدامه . فجلس الدين وفتحت الأسفار .. وإذا مع سحاب السماء مثل ابن الإنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة » (دانيال ٧ : ١ — ١٤) .

وربما ظهر الله لأحد الوثنيين من غير المؤمنين به ، ليصنع خيراً لأحد المؤمنين به ، أو يمنع شراً عنه . ومن ذلك ما جاء فى سفر التكوين إذ يقول « فجاء الله إلى أبيمالك (ملك جرار الوثنى) فى حلم الليل وقال له أنت ميت من أجل المرأة التى أخذتها (وهى سارة زوجة إبراهيم) ، فإنها متزوجة ببعل . ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب إليها فقال ياسيد ، أمة بارة تقتل ؟ ألم يقل هو لى إنها أختى وهى أيضاً نفسها قالت هو أخى ؟ . بسلامة قلبي ونقاوة يدى فعلت هذا . فقال له الله فى الحلم أنا أيضاً علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا .. فالآن رد امرأة الرجل فانه نبى .. وإن كنت لست تردها فاعلم أنك موتاً تموت » (التكوين ٢٠ : ١ — ٧) . كما جاء فى سفر التكوين « وأتى الله إلى لابان الآرامى (الوثنى) فى حلم الليل وقال له احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر » (التكوين ٣١ : ٢٤) .

وتصف لنا التوراة الأثر الذى تتركه فى الإنسان مداومة رؤيته لله الذى هو نور لا يقوى الإنسان على النظر إليه . إذ جاء فى سفر التكوين « وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يد موسى .. أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع

فى كلامه معه . فنظر هارون وجميع بنى إسرائيل موسى وإذا جلد وجهه يلمع . فخافوا أن يقتربوا إليه . فدعاهم موسى .. ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقعاً . وكان موسى عند دخوله أمام الرب ليتكلم معه ينزع البرقع حتى يخرج . ثم يخرج ويكلم بنى إسرائيل بما يوحى . فإذا رأى بنو إسرائيل وجه موسى أن جلده يلمع كان موسى يرد البرقع على وجهه حتى يدخل ليتكلم معه » (الخروج ٣٤ : ٢٩ الخ) .

٢ ــ الله يخاطب الإنسان :

وقد يخاطب الله الإنسان بصوت تسمعه أذناه ، وباللغة التى يفهمها . ومثال ذلك ما جاء فى سفر التكوين إذ يقول « وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك فأجعلك أمة عظيمة » (التكوين ١٢ : ١ — ٥) ـ « وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى أنت فيه .. لأن جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها ولنسلك» (التكوين ١٣ : ١٤-١٨) « بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى أبرام فى الرؤيا قائلا لا تخف يا أبرام .. الذى يخرج من أحشائك هو يرثك . . ثم أخرجه إلى خارج وقال انظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تعدها . وقال له هكذا يكون نسلك . فآمن بالرب » (التكوين ١٥ : ١ — ٦) — « وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال له يا إبراهيم خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق . . وأصعده هناك محرقة . . . » (التكوين ٢٢ : ١ — ٢٤) . كما جاء فى سفر التكوين أن الله قال لإسحق « لا تنزل إلى مصر . أسكن فى الأرض التى أقول لك .. فأكون معك وأباركك . لأنى لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد » (التكوين ٢٦ : ٢ و ٣) . وجاء فى هذا السفر « قال الله ليعقوب قم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك واصنع هناك مذبحاً لله . . . » (التكوين ٣٥ : ١ — ٤) .

وجاء فى سفر الخروج « فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم ..

فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة ، وقال موسى موسى . فقال ها أنذا . فقال لا تقترب من هنا . إخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة » (الخروج ٣ : ٣ — ٥) — « وقال الرب لهارون اذهب إلى البرية لاستقبال موسى » (الخروج ٤ : ٢٧) — « وأما موسى فصعد إلى الله فناداه الرب من الجبل قائلا هكذا تقول لبيت يعقوب . . إن سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب » (الخروج ١٩ : ٣ — ٥) — « فقال الرب لموسى ها أنا آت إليك فى ظلام السحاب لكى يسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمنوا بك أيضاً إلى الأبد » (الخروج ١٩ : ٩) — « وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمه ينزل ويقف عند باب الخيمة ويتكلم الرب مع موسى.. ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه » (الخروج ٣٣ : ٧ - ١١) .

وجاء فى سفر اللاويين « ودعا الرب موسى وكلمه من خيمة الاجتماع » (اللاويين ١ : ١) .

وجاء فى سفر العدد « وكلم الرب موسى فى برية سيناء فى خيمة الاجتماع فى أول الشهر الثانى فى السنة الثانية لخروجهم من مصر » (العدد ١ : ١) - « فلما دخل موسى إلى خيمة الاجتماع ليتكلم معه كان يسمع الصوت يكلمه من على الغطاء الذى على تابوت الشهادة من بين الكروبين فكلمه » (العدد ٧ : ٨٩) — « فنزل الرب فى سحابة وتكلم معه » (العدد ١١ : ٢٥) وقال الله لليهود « إن كان منكم نبى للرب فبالرؤيا أستعلن له . فى الحلم أكلمه . أما عبدى موسى فليس هكذا . بل هو أمين فى كل بيتى . فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه » (العدد ١٢ : ٦ — ٨) .

وجاء فى سفر التثنية « فكلمكم الرب من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام. ولكن لم تروا صورة بل صوتا » (التثنية ٤ : ١٢) - « فاسأل عن الأيام التى كانت قبلك من اليوم الذى خلق الله فيه الإنسان على الأرض ومن أقصاء السماء إلى أقصائها هل جرى مثل هذا الأمر العظيم أو هل سمع نظيره ؟ هل سمع شعب صوت الله يتكلم من وسط النار كما سمعت أنا وعاش ؟ » (التثنية ٤ : ٣٢ و ٣٣) - « إن الرب هو الإله . ليس آخر سواه . من السماء أسمعك صوته لينذرك. وعلى الأرض

أراك ناره العظيمة وسمعت كلامه من وسط النار » (التثنية ٤ : ٣٥ و ٣٦) - « وجها لوجه تكلم الرب معنا فى الجبل من وسط النار » (التثنيه ٥ : ٤) « فلما سمعتم الصوت من وسط الظلام والجبل يشتعل بالنار تقدمتم إلى .. وقلتم هوذا الرب إلهنا قد أرانا مجده وعظمته وسمعنا صوته من وسط النار . هذا اليوم قد رأينا أن الله يكلم الإنسان ويحيا . وأما الآن فلماذا نموت . لأن هذه النار العظيمة تأكلنا . إن عدنا نسمع صوت الرب إلهنا أيضاً نموت ، لأنه من هو من جميع البشر الذى سمع صوت الله الحى يتكلم من وسط النار مثلنا وعاش ؟ تقدم أنت واسمع كل ما يقول لك الرب إلهنا وكلمنا بكل ما يكلمك به الرب إلهنا فنسمع ونعمل . فسمع الرب صوت كلامكم حين كلمتمونى . وقال لى الرب سمعت صوت كلام هؤلاء الشعب الذى كلموك به . قد أحسنوا فى كل ما تكلموا .. إذهب قل لهم ارجعوا إلى خيامكم وأما أنت فقف هنا معى فأكلمك بجميع الوصايا والفرائض التى تعلمهم فيعملونها » (التثنية ٥ : ٢٣ - ٣١) .

وجاء فى سفر يشوع « وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا موسى عبدى قد مات ، فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لهم » (يشوع ١ : ١ و ٢) - « وكانت أريحا مقفلة بسبب بنى إسرائيل .. فقال الرب ليشوع انظر . قد دفعت بيدك أريحا وملكها .. » (يشوع ٦ : ١ - ٢٧) .

وجاء فى سفر القضاة أن الله اختار جدعون بن يوآش الأبيعزرى لينقذ اليهود من بطش المديانيين وخاطبه قائلا « اذهب بقوتك هذه وخلص إسرائيل من كف مديان .. إنى أكون معك . وستضرب المديانيين كرجل واحد . فقال له إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فاصنع لى علامة أنك أنت تكلمنى .. فدخل جدعون وعمل جدى معزى وأيفة دقيق فطيراً .. وخرج بها .. فصعدت نار من الصخرة وأكلت اللحم والفطير .. فقال جدعون آه ياسيدى الرب .. فقال له الرب السلام لك لا تخف . لا تموت » (القضاة ٦ : ١١ — ٢٤) .

وجاء فى سفر صموئيل « وكان الصبى صموئيل يخدم الرب أمام عالى . وكانت كلمة الرب عزيزة فى تلك الأيام . لم تكن رؤيا كثيراً . وكان فى ذلك الزمان . .

وصموئيل مضطجع فى هيكل الرب الذى فيه تابوت الله ، أن الرب دعا صموئيل فقال هاأنذا ، وركض إلى عالى وقال هاأنذا لأنك دعوتنى . فقال لم أدع . إرجع واضطجع . . ثم عاد الرب ودعا أيضاً صموئيل ، فقام صموئيل وذهب إلى عالى وقال ها أنذا لأنك دعوتنى . فقال لم أدع يا إبنى . إرجع اضطجع . ولم يعرف صموئيل الرب ولا أعلن له كلام الرب بعد . . وعاد الرب فدعا صموئيل ثالثة . . ففهم عالى أن الرب يدعو الصبى ، فقال عالى لصموئيل اذهب اضطجع ويكون إذا دعاك تقول تكلم يارب لأن عبدك سامع . . لجاء الرب ووقف ودعا كالمرات الأولى صموئيل صموئيل . فقال صموئيل تكلم لأن عبدك سامع ، فقال الرب لصموئيل هوذا أنا فاعل أمراً فى إسرائيل كل من سمع به تطن أذناه .. وعرف جميع إسرائيل من دان إلى بئر سبع أنه قد أؤتمن صموئيل نبياً للرب . وعاد الرب يتراءى فى شيلوه لأن الرب استعلن لصموئيل فى شيلوه بكلمة الرب » (صموئيل الأول ٣ : ١ — ٢١) وجاء فى هذا السفر « فهذه هى كلمات داود الأخيرة . . قال إله إسرائيل إلى . . إذا تسلط على الناس بار يتسلط بخوف الله » (صموئيل الثانى ٢٣ : ١ — ٥) .

وجاء فى سفر الملوك « وكان كلام الرب إلى سليمان قائلا هذا البيت الذى أنت بانيه إن سلكت فى فرائضى وعملت أحكامى وحفظت وصاياى للسلوك بها فإنى أقيم معك كلامى الذى تكلمت به إلى داود أبيك وأسكن فى وسط بنى إسرائيل» (الملوك الأول ٦ : ١١ — ١٣) . وجاء فى هذا السفر « وكان كلام الله إلى شمعيا رجل الله قائلا كلم رحبعام بن سليمان ملك يهوذا وكل بيت يهوذا وبنيامين وبقية الشعب قائلا هكذا قال الرب لا تصعدوا ولا تحاربوا إخوتكم بنى إسرائيل » (الملوك الأول ١٢ : ٢٢ — ٢٤) . وجاء فيه « وقال إيليا التشبى من مستوطنى جلعاد لآخاب حى هو الرب إله إسرائيل الذى وقفت أمامه إنه لا يكون طل ولا مطر فى هذه السنين إلا عند قولى . وكان كلام الرب له قائلا انطلق من هنا واتجه نحو المشرق واختبىء عند نهر كريت .. وبعد أيام كثيرة كان كلام الرب إلى إيليا فى السنة الثالثة قائلا اذهب وتراء لآخاب فأعطى مطراً على وجه الأرض » (الملوك الأول ١٧ : ١ — ٣ ، ١٨ : ١) . وجاء فيه « وقال الرب لياهو من أجل أنك قد أحسنت بعمل ما هو مستق

فى عيني وحسب كل ما بقلبي فعلت ببيت آخاب فأبناؤك إلى الجيل الرابع يجلسون على كرسى إسرائيل » . (الملوك الثانى ١٠ : ٣٠) .

وجاء فى سفر أيوب « فأجاب الرب أيوب من العاصفة وقال من هذا الذى يظلم القضاء بكلام ؟ » (أيوب ٣٨ : ١ الخ) » وجاء فى سفر يونان « وصار قول الرب إلى يونان بن أمتاى قائلا قم اذهب إلى نينوى . . وناد عليها لأنه قد صعد شرهم أمامى »(يونان ١ : ١ الخ) . وجاء فى سفر هوشع « قال الرب لهوشع اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب » (هوشع ١ : ٢ الخ) ، وجاء فى سفر ميخا « قول الرب الذى صار إلى ميخا المورشتى فى أيام يوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا » . (متى ١ : ١) . وجاء فى سفر صفنيا « كلمة الرب التى صارت إلى صفنيا . . فى أيام يوشيا بن آمون ملك يهوذا » (صفنيا ١ : ١) وجاء فى سفر إرميا « كلام إرميا بن حلقيا من الكهنة الذين فى عناثوث فى أرض البنياميين الذى كانت كلمة الرب إليه فى أيام يوشيا بن آمون ملك يهوذا . . وكانت فى أيام يهويا قيم بن يوشيا ملك يهوذا ، إلى تمام السنة الحادية عشرة لصدقيا بن يوشيا ملك يهوذا إلى سبي أورشليم » (إرميا ١ : ١ - ٣) . وجاء فى سفر حجى « فى السنة الثانية لداريوس الملك . . وكانت كلمة الرب عن يد حجى النبى » (حجى ١ : ١) . وجاء فى سفر يوئيل « قول الرب الذى صار إلى يوئيل بن فنوئيل » (يوئيل ١ : ١) . وجاء فى سفر زكريا « فى الشهر الثامن فى السنة الثانية لداريوس ، كانت كلمة الرب إلى زكريا بن براخيا عد النبي » (زكريا ١ : ١) . وجاء فى سفر حزقيال « فى الخامس من الشهر ، وهى السنة الخامسة من سبى يوياكين الملك ، صار كلام الرب إلى حزقيال الكاهن بن بوزى فى أرض الكلدانيين عند نهر خابور » (حزقيال ١ : ١ - ٣) .

٣ — الله يرسل إلى الإنسان ملائكته :

وقد لا يظهر الله للإنسان ظهوراً مباشراً فى هيئة مرئية تراها عينه ، وقد لا يكلمه بصوت مسموع تسمعه أذنه ، وإنما يرسل إليه ملائكته ، أى رسله الروحانيين الذين لا جسد لهم يراه الإنسان ، ولا صوت لهم يسمعه . بيد أن لهم القدرة المستمدة من قدرة الله على الظهور بهيئة مرئية و الكلام

بصوت مسموع ، ليبلغوا الإنسان مشيئة الله ، ويؤدوا إليه ما أراد له الله من خير إذا أحسن ، وينفذوا عليه ما أراد الله له من عقاب إذا أساء .

ومن أمثلة ذلك ما جاء فى سفر التكوين ، إذ يقول « لجاء الملاكان (فى هيئة رجلين) إلى سدوم مساء ، وكان لوط جالساً فى باب سدوم . فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض . . وقال الرجلان للوط . . من لك فى المدينة أخرج من المكان ، لأننا مهلكان هذا المكان ، إذ قد عظم صراخهم أمام الرب فأرسلنا الرب لنهلكه . . ولما توانى أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه لشفقة الرب عليه وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة .. فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء » (التكوين ١٩ : ١ — ٢٤) .

وجاء فى هذا السفر ، فبكر إبراهيم صباحاً وأخذ خبزاً وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعاً إياها على كتفها والولد وصرفها ، فمضت وتاهت فى برية بئر سبع . ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ، ومضت وجلست مقابله بعيداً نحو رمية قوس ، لأنها قالت لا أنظر موت الولد .. ورفعت صوتها وبكت .. ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر ، لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام . . وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء ، فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام » (التكوين ٢١ : ١٤ — ١٩) . وجاء فيه « فلما أتيا إلى الموضع الذى قال له الله بنى هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب وربط إسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب . ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه ، فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم إبراهيم . . لاتمد يدك إلى الغلام . . لأنى الآن علمت أنك خائف الله . . فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه . . فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه . . ونادى ملاك الرب ابراهيم من السماء وقال بذاتى أقسمت يقول الرب إنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء » . (التكوين ٢٢ : ٩ — ١٧)

وجاء فى سفر الخروج أن الله قال لموسى واليهود « ها أنا مرسل ملاكا أمام

وجهك ليحفظك فى الطريق وليجىء بك إلى المكان الذى أعددته . احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه ، لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن اسمى فيه » . (الخروج ٢٣ : ٢٠ و ٢١)

وجاء فى سفر العدد « ولما رأى بالاق بن صفور جميع ما فعل إسرائيل بالأموريين فزع .. فأرسل رسلا إلى بلعام بن بعور .. قائلا : تعال والعن لى هذا الشعب .. فقام بلعام صباحاً وشد على أتانه وانطلق مع رؤساء موآب . . فحمى غضب الرب لأنه منطلق ووقف ملاك الرب فى الطريق ليقاومه وهو راكب على أتانه . . فأبصرت الأتان ملاك الرب واقفاً فى الطريق وسيفه مسلول فى يده فمالت الأتان عن الطريق ومشت فى الحقل . . فحمى غضب بلعام وضرب الأتان بالقضيب . . ثم كشف الرب عن عينى بلعام فأبصر ملاك الرب واقفاً فى الطريق وسيفه مسلول فى يده فخر ساجداً على وجهه . فقال له الملاك لماذا ضربت أتانك ؟ .. لو لم تمل من قدامى لكنت الآن قد قتلتك واستبقيتها .. فقال بلعام لملاك الرب أخطأت .. إنى لم أعلم أنك واقف تلقائى فى الطريق .. والآن إن قبح فى عينيك فإنى أرجع . فقال ملاك الرب لبلعام اذهب .. وإنما تتكلم بالكلام الذى أكلمك به فقط .. فانطلق بلعام مع رؤساء بالاق » . (العدد ٢٢ : ١ — ٣٥)

وجاء فى سفر يشوع « وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده ، فسار يشوع إليه وقال له هل لنا أنت أو لأعدائنا ؟ فقال كلا بل أنا رئيس جند الرب . الآن أتيت ، فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض ، وسجد وقال له بماذا يكلم سيدى عبده ؟ . فقال رئيس جند الرب ليشوع اخلع نعلك من رجلك لأن المكان الذى أنت واقف عليه مقدس » . (يشوع ٥ : ١٣ — ١٦)

وجاء فى سفر القضاة « كان رجل من صرعة من عشيرة الدانيين اسمه منوح وامرأته عاقر لم تلد .. فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها ها أنت عاقر لم تلدى ، ولكنك تحبلين وتلدين ابناً . والآن فاحذرى ولا تشربى خمراً ولا مسكراً ولا تأكلى شيئاً نجساً .. لأن الصبى يكون نذيراً لله . . فدخلت المرأة ، وكلمت رجلها قائلة جاء إلى

رجل الله ومنظره كنظر ملاك الله مرهب جداً .. وقال لى ها أنت تحبلين وتلدين ابناً .. فصلى منوح إلى الرب وقال أسألك يا سيدى أن يأتى أيضاً إلينا رجل الله الذى أرسلته ويعلمنا ماذا نعمل للصبي الذى يولد . فسمع الله لصوت منوح ، فجاء ملاك الله أيضاً إلى المرأة وهى جالسة فى الحقل ومنوح رجلها ليس معها ، فأسرعت المرأة وركضت وأخبرت رجلها .. فقام منوح .. وجاء إلى الرجل .. فقال ملاك الرب لمنوح من كل ما قلت للمرأة فلتحتفظ . من كل ما يخرج من جفنة الخمر لا تأكل ، وخمراً ومسكراً لا تشرب . وكل نجس لا تأكل .. فقال منوح لملاك الرب دعنا نعوقك ونعمل لك جدى معزى . فقال ملاك الرب لمنوح ولو عوقتنى لا آكل من خبزك وإن عملت محرقة فللرب أصعدها ، لأن منوح لم يعلم أنه ملاك الرب . فأخذ منوح جدى المعزى والتقدمة وأصعدهما على الصخرة للرب . فعمل عملا عجيباً ومنوح وامرأته ينظران .. فكان عند صعود اللهيب عن المذبح نحو السماء أن ملاك الرب صعد فى لهب المذبح ومنوح وامرأته ينظران . فسقطا على وجهيهما إلى الأرض . ولم يعد ملاك الرب يتراءى لمنوح وامرأته .. حينئذ عرف منوح أنه ملاك الرب » (القضاة ١٣ : ٢ — ٢١)

وجاء فى سفر الملوك « فقال لهم إيليا امسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل . فأمسكوهم فنزل بهم إيليا إلى نهر قيشون وذبحهم هناك .. وأخبر آخاب إيزابيل بكل ما عمل إيليا وكيف أنه قتل جميع الأنبياء بالسيف . فأرسلت إيزابيل رسولا إلى إيليا تقول هكذا تفعل الآلهة وهكذا تزيد إن لم أجعل نفسك كنفس واحد منهم فى نحو هذا الوقت غداً .. فلما رأى ذلك قام ومضى لأجل نفسه وأتى إلى بئر سبع التى ليهوذا وترك غلامه هناك . ثم سار فى البرية مسيرة يوم حتى أتى وجلس تحت رتمة وطلب الموت لنفسه . وقال قد كفى الآن يارب . خذ نفسى لأننى لست خيراً من آبائى . واضطجع ونام تحت الرتمة . وإذا بملاك قد مسه وقال قم وكل . فتطلع وإذا كعكة رضف وكوز ماء عند رأسه فأكل وشرب ثم رجع فاضطجع .. ثم عاد ملاك الرب ثانياً فمسه وقال قم وكل لأن المسافة كثيرة عليك . فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة أربعين نهاراً وأربعين ليلة إلى جبل الله حوريب ، ودخل هناك المغارة وبات فيها » (الملوك الأول ١٨ : ٤٠ ، ١٩ : ١ — ٦) .

وجاء فى سفر دانيال « فأجاب نبوخذنصر وقال تبارك إله شدرخ ومدرخ وعبد نغو الذى أرسل ملاكه وأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه وغيروا كلمة الملك وأسلموا أجسادهم لكيلا يعبدوا أو يسجدوا لإله غير إلههم » (دانيال ٣ : ٢٨)

وجاء فى هذا السفر « فتكلم دانيال مع الملك يا أيها الملك . . إلهى أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود فلم تضرنى ، لأنى وجدت بريئاً قدامه » (دانيال ٦ : ٢١ و ٢٢)

وجاء فيه « وكان لما رأيت أنا دانيال الرؤيا وطلبت المعنى ، إذا بشبه إنسان واقف قبالتى وسمعت صوت إنسان . . قال ياجبرائيل فهم هذا الرجل الرؤيا ، لجاء إلى حيث وقفت ، ولما جاء خفت وخررت على وجهى . فقال لى افهم يابن آدم . إن الرؤيا لوقت المنتهى . وإذ كان يتكلم معى كنت مسبخاً على وجهى إلى الأرض فلمسنى وأوقفنى على مقامى . وقال ها أنذا أعرفك ما يكون فى آخر السخط . . وبينما أنا أتكلم وأصلى وأعترف بخطيئتى وخطيئة شعبى إسرائيل وأطرح تضرعى أمام الرب إلهى . . إذا . . جبرائيل الذى رأيته فى الرؤيا فى الابتداء . . لمسنى . . وفهمنى وتكلم معى وقال يا دانيال إنى خرجت الآن لأعلمك . . فى ابتداء تضرعاتك خرج الأمر وأنا جئت لأخبرك لأنك أنت محبوب . فتأمل الكلام وافهم الرؤيا » (دانيال ٨ : ١٥ — ١٩ ، ٩ : ٢٠ — ٢٣) . وجاء فيه « نظرت فإذا رجل لابس كتانا وحقواه متنطقتان بذهب أوفاز ، وجسمه كالزبرجد . ووجهه كمنظر البرق وعيناه كمصباحى نار وذراعاه ورجلاه كعين النحاس المصقول وصوت كلامه كصوت جمهور فرأيت أنا دانيال الرؤيا . . ولما سمعت صوت كلامه كنت مسبخاً على وجهى ، ووجهى إلى الأرض . وإذا بيد لمستنى وأقامتنى مرتجفاً على ركبتى وعلى كفى يدى . وقال لى يادانيال ، أيها الرجل المحبوب إفهم الكلام الذى أكلمك به وقم على مقامك لأنى الآن أرسلت إليك . ولما تكلم معى بهذا الكلام قمت مرتعداً . فقال لى لا تخف يادانيال لأنه من اليوم الأول الذى فيه جعلت قلبك للفهم ولإذلال نفسك قدام إلهك سمع كلامك وأنا أتيت لأجل كلامك . . . وجئت لأفهمك مايصيب شعبك فى الأيام الأخيرة » (دانيال ١٠ : ٥ — ١٤)

٤ – الله يرسل إلى الإنسان أنبياءه :

وقد كان الأمر الأكثر حدوثا ، حين يريد الله أن يعلن نفسه للإنسان ويبلغه مشيئته ، أن يفعل ذلك بواسطة نبي يختاره من بين الأطهار الأبرار من الناس ، ثم يكشف عن بصره أو بصيرته الستار المادى الذى يحول بين الإنسان وبين رؤية ربه أو سماع صوته ، فيرى ذلك النبي مالا يستطيع الناس أن يروا ويسمع مالا يستطيعون أن يسمعوا ، ثم ينبئهم بما رأى وما سمع ، مصوراً لهم جلال العظمة الإلهية ، آمراً إياهم بما أمر الله به وناهياً عما نهى عنه ، وواضعاً بين أيديهم المصير الذى ينتظرهم إن آمنوا بالله وأطاعوه ، والمصير الذى ينتظرهم إن كفروا به وتمردوا عليه . وقد أيد الله أنبياءه — لكى يصدق الناس أنهم مرسلون منه — بقوة سماوية يستطيعون بها أن يتنبأوا بأحداث المستقبل التى لايعلمها أحد ، وأن يصنعوا المعجزات التى لا يمكن لأحد أن يصنعها إلا بقوة الله وحده .

ومن أمثلة ذلك ما جاء فى التوراة إذ قال الله لموسى النبي « أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه » (التثنية ١٨ : ١٥ — ١٩) وقال له « أما أنت فقف هنا معى فأكلمك بجميع الوصايا والفرائض والأحكام التى تعلمهم فيعملونها » (التثنية ٥ : ٣١) . وقال له « إذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به » (الخروج ٤ : ١٢) وقال إرميا النبي « فكانت كلمة الرب إلى قائلا . . جعلتك نبياً للشعوب . .ومد الرب يده ولمس فمى وقال الرب لى ها قد جعلت كلامى فى فمك » (إرميا ١ : ٤ و ١٠) . وقال إشعياء النبي « ما سمعته من رب الجنود إله إسرائيل أخبرتكم به » (إشعياء ٢١ : ١٠) . وقال ميخا النبي « حى هو الرب إن ما يقوله لى الرب به أتكلم » (الملوك الأول ٢٢ : ١٤) . وقال داود النبي « روح الرب تكلم بى وكلمته على لسانى » (صموئيل الثانى ٢٣ : ١) وقال عاموس النبي « إن السيد الرب لا يصنع أمراً إلا وهو يعلن سره لعبده الأنبياء » (عاموس ٣ : ٧) .

وربما جعل الله وسيطه رجلا من الوثنيين ليبلغ عن طريقه كلمته . كما فعل مع بلعام بن بعور الذى كان من أنبياء الموآبيين ، وقد أرسل إليه بالاق بن صفور ملك موآب

ليلعن اليهود حين نزلوا بقيادة موسى فى عربات موآب — كما جاء فى سفر العدد — فقال بلعام . . الكلام الذى يضعه الله فى فمى به أتكلم » (العدد ٢٢ : ٣٨ و ٢٩) . وقال لبالاق قف عند محرقتك فأنطلق أنا لعل الرب يوافى للقائى فمهما أرانى أخبرك به » (العدد ٢٣ : ١ الخ) . ثم قال « ولو أعطانى بالاق ملء بيته فضة وذهباً لا أقدر أن أتجاوز قول الرب لأعمل خيراً أو شراً من نفسى . الذى يتكلم الرب إياه أتكلم » (العدد ٢٤ : ١٠ الخ) . وحين فتح الله عينى بلعام وأوحى إليه بما يقول قال : « وحى بلعام بن بعور . . وحى الرجل المفتوح العينين . وحى الذى يسمع أقوال الله . الذى يرى رؤيا القدير . . الخ » (العدد ٢٤ : ١ الخ) .

ومن أمثلة النبوءات التى تنبأ بها الأنبياء ، بما وهبهم الله من قدرة تفوق قدرة البشر ، ما تنبأ بها هوشع النبى عن مصير اليهود ، إذ نطق بقول الله « من أجل سوء أفعالهم أطردهم من بيتى . . فيكونون تائهين بين الأمم » (هوشع ٩ : ١٥ و ١٧) وما تنبأ به إشعياء النبى عن خراب بابل إذ قال « وحى من جهة بابل رآه إشعياء بن آموص . . ها أنذا أهيج عليهم الماديين . . وتصير بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين كتقليب الله سدوم وعمورة . . تربض هناك وحوش القفر ويملأ البوم بيوتهم . . ووقتها قريب المجىء » (إشعياء ١٣ : ١ — ٢٢) وما تنبأ به ناحوم النبى عن خراب نينوى إذ قال « وحى على نينوى . . ويل لمدينة الدماء . . كل من يراك يهرب منك ويقول خربت نينوى » (ناحوم ١ : ١ ، ٣ : ١ و ٧) . وما تنبأ به إرميا النبى عن خراب بلاد موآب إذ قال « هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل . . قد حطمت موآب . . يأتى المهلك إلى كل مدينة فلا تفلت مدينة » (إرميا ٤٨ : ١ — ٨) وما تنبأ به حزقيال النبى عن خراب صور إذ قال « هكذا قال السيد الرب . ها أنذا أجلب على صور نبوخذراصر ملك بابل . . تتزلزل أسوارك عند دخوله أبوابك . . يقتل شعبك بالسيف . . يهدمون بيوتك البهيجة ويضعون حجارتك وخشبك وترابك فى وسط المياه لأنى أنا الرب تكلمت » (حزقيال ٢٦ : ٧ — ١٤) وقد تمت هذه النبوءات كلها بالفعل .

أما المعجزات التى صنعها الأنبياء بقوة الله فكثيرة جداً فى كل أسفار التوراة ، ومنها على سبيل المثال معجزة موسى النبى حين شق بعصاه مياه البحر الأحمر ، إذ جاء فى سفر الخروج « مد موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية

شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء فدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم » (الخروج ١٤ : ٢١ و٢٢) .
ومعجزة أليشع النبي حين أعاد الروح إلى الطفل الميت ، إذ جاء فى سفر الملوك « ودخل أليشع البيت وإذا بالصبي ميت ومضطجع على سريره فدخل .. وصلى إلى الرب . . فسخن جسد الولد . . ثم فتح الصبي عينيه » (الملوك الثانى ٤ : ٣٢ - ٣٥)
ومعجزة أليشع التي كذلك حين شفى نعمان الآرامى من البرص الذى كان مصاباً به ، إذ جاء فى سفر الملوك « وكان نعمان رئيس جيش ملك آرام . . وكان الرجل جبار بأس أبرص . . فجاء نعمان . . ووقف عند باب بيت أليشع . . فأرسل إليه أليشع رسولا يقول اذهب واغتسل سبع مرات فى الأردن ، فيرجع لحمك إليك وتطهر .. فنزل وغطس فى الأردن سبع مرات حسب قول رجل الله فرجع لحمه كلحم صبي صغير وطهر » (الملوك الثانى ٥ : ١ — ١٤) .

٥ — الله يعلن إرادته بواسطة الأوريم والتميم :

وكان رؤساء كهنة اليهود يضعون فى صدرتهم حجرين صغيرين يسميان الأوريم والتميم . إذ جاء فى وصف ملابس هارون فى سفر الخروج « وتجعل فى صدرة القضاء الأوريم والتميم لتكون على قلب هارون عند دخوله أمام الرب ، فيحمل هارون بنى إسرائيل على قلبه أمام الرب دائماً » (الخروج ٢٨ : ٣٠) .

وقد كان رؤساء الكهنة يستخدمون الأوريم والتميم - بطريق إلقاء القرعة - فى معرفة إن كان الله يريد أمراً أم لايريده ، مستندين فى ذلك إلى ما جاء فى سفر العدد إذ يقول « فقال الرب لموسى خذ يشوع بن نون . . وضع يدك عليه ، وأوقفه قدام ألعازار الكاهن .. واجعل من هيبتك عليه لكى يسمع له كل جماعة بنى إسرائيل ، فيقف أمام ألعازار الكاهن فيسأل له بقضاء الأوريم أمام الرب ، حسب قوله يخرجون وحسب قوله يدخلون » (العدد ٢٧ : ١٨ — ٢١) .

ومن أمثلة استخدام الأوريم والتميم فى معرفة إرادة الله ما جاء فى سفر صموئيل إذ . . « قال شاول لننزل وراء الفلسطينيين . . قال الكاهن لنتقدم هنا إلى الله . فسأل شاول الله (بواسطة الأوريم والتميم كما جاء فى الترجمة السبعينية) . .

أتنحدر وراء الفلسطينيين؟ .. فلم يجبه فى ذلك اليوم . فقال شاول تقدموا إلى هنا يا جميع وجوه الشعب واعلموا وانظروا بماذا كانت هذه الخطيئة اليوم (التى جعلت الله لا يجيب) ، لأنه حى هو الرب مخلص إسرائيل ولو كانت (هذه الخطيئة) فى يوناثان ابنى فإنه يموت موتاً .. أنتم تكونون فى جانب (من القرعة) وأنا ويوناثان فى جانب . وقال شاول للرب إله إسرائيل هب صدقاً . فأخذ يوناثان وشاول (أى كانت القرعة بالأوريم والتميم ضدهما) . أما الشعب فخرجوا . فقال شاول ألقوا (القرعة) بينى وبين يوناثان ابنى . فأخذ يوناثان . فقال شاول ليوناثان أخبرنى ماذا فعلت ؟ فأخبره يوناثان .. فقال شاول .. إنك موتاً تموت » (صموئيل الأول ١٤ : ٣٦ — ٤٤) . وقد جاء فى سفر صموئيل أيضاً أن الله غضب على شاول ولم يعد يعلن له إرادته بأى صورة من الصور ، وكان صموئيل النبى الذى كان يستشيره قد مات ، وقد هجم الفلسطينيون على مملكته .. « ولما رأى شاول جيش الفلسطينيين خاف واضطرب قلبه جداً . فسأل شاول من الرب فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء ، فقال شاول لعبيده فتشوا لى على امرأة صاحبة جان فأذهب إليها وأسألها » (صموئيل الأول ٢٨ : ٥ — ٧) . وهكذا فإن شاول حين أغلق الله أبوابه السمائية أمامه ، لجأ إلى الجان فى مملكة الشياطين يستشيرهم ويستعين بهم ، فكانت عاقبته هى الخذلان والموت .

الفصل الخامس

نسبة أوصاف الإنسان وصفاته ومشاعره وأفعاله إلى الله

وقد أراد الله أن يخاطب الإنسان بصيغة يستطيع أن يفهمها ، وبصورة يستطيع أن يتصورها ، فتكلم عن نفسه وكأنه فى صورة الإنسان ، وكأن له أوصاف الإنسان وصفاته ، وله مشاعر الإنسان وأفعاله ، وذلك لأن الإنسان — ولا سيما فى طوره البدائى وفى عهد سذاجته الأولى — عاجز بعقله المحدود عن أن يدرك طبيعة الله الروحية الخالصة المجردة عن المادة ، المنزهة عن الشكل والصورة ، المطلقة التى لا يحدها زمان ولا مكان . فهو لا يستطيع أن يتصور الله إلا فى هيئة بشرية ذات شكل وصورة ، وذات حدود فى الزمان وفى المكان . كما أن لغة الإنسان التى يعبر بها عن أفكاره ومشاعره قاصرة عن أن تصور الله على حقيقته ، أو تعبر عن أوصافه وصفاته التعبير اللائق بجلاله وعظمته .

وهكذا فإن الله — فى سبيل أن يهدى الإنسان إليه ، ويدله على طريق الخلاص الذى شاءت رحمته أن ينعم به عليه — تنازل فتكلم عن نفسه وهو السيد الخالق ، بالأسلوب الخليق بالعبد المخلوق . بيد أن اليهود لم يفهموا هذا على وجهه الصحيح ،

وإنما ظنوا أن إلههم كأى إله من آلهة الوثنيين المحيطين بهم ، ذو أوصاف كأوصاف الإنسان ، وصفات كصفاته ، وخصـــال كخصاله ، وله من المشاعر والأفعال مالا يفترق عن مشاعر الإنسان وأفعاله .

١ — نسبة أوصاف الإنسان إلى الله :

فما قيل فى أوصاف الله أن له وجهاً ، إذ قال الله لموسى « لا تقدر أن ترى وجهى » (الخروج ٣٣ : ١٨) . وقال لليهود « أجعل وجهى ضدكم » (اللاويين ٢٦ : ١٧) . وقد جاء فى سفر العدد « يضىء الرب بوجهه عليك ويرحمك . يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً » (العدد ٦ : ٢٢) وجاء فى المزامير « وجه الرب ضد عاملى الشر » (المزمور ٣٤ : ١٦) . وجاء فيها « يارب بنور وجهك يسلكون » (المزمور ٨٩ : ١٥) .

وقيل إن لله عينين ، إذ جاء فى سفر التثنية « إذا ولدتم أولاداً وأولاد أولاد . . وفعلتم الشر فى عينى الرب إلهكم . . تبيدون سريعاً عن الأرض » (التثنية ٤ : ٢٥ و٢٦) . وجاء فيه « إن قسم الرب هو شعبه . . أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه » (التثنية ٣٢ : ٩ و١٠) . وجاء فى سفر الملوك « أيها الرب إله إسرائيل . . لتكون عيناك مفتوحتين نحو تضرع عبدك وتضرع شعبك » (الملوك الأول ٨ : ٢٣ و٥٢) . وجاء فيه « افتح يارب عينيك وانظر » (الملوك الثانى ١٩ : ١٦) . وقال الله فى سفر أخبار الأيام « عيناى تكونان مفتوحتين » (أخبار الأيام الثانى ٧ : ١٥) . وجاء فى هذا السفر « لأن عينى الرب تجولان فى كل الأرض » (أخبار الأيام الثانى ١٦ : ١٩) .

وقيل إن لله أجفاناً ، إذ جاء فى المزامير « الرب فى السماء كريم . عيناه تنظران . أجفانه تمتحن بنى آدم » (المزمور ١١ : ٤ و ٥) .

وقيل إن لله أذنين ، إذ جاء فى سفر العدد « وكان الشعب كأنهم يشتكون شراً فى أذنى الرب » (العدد ١١ : ١) . وجاء فيه « لأنكم قد بكيتم فى أذنى الرب » (العدد ١١ : ١٨) . وجاء فى سفر صموئيل « إلى إلهى صرخت فسمع من هيكله صوتى

وصراخي دخل أذنيه » (صموئيل الثانى ٢٢ : ٧) . وجاء فى سفر الملوك « أمل يارب أذنك واسمع » (الملوك الثانى ١٩ : ١٦) . وقال الله فى سفر أخبار الأيام « عيناى تكونان مفتوحتين ، وأذناى مصغيتين إلى صلاة هذا المكان» (أخبار الأيام الثانى ٧ : ١٥) وجاء فى المزامير « عينا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم » (المزمور ٣٤ : ١٥) .

وقيل إن لله أنفاً ، إذ جاء فى سفر الخروج « يارب . . بريح أنفك تراكمت المياه » (الخروج ١٥ : ٦ و ٨) . وجاء فى سفر صموئيل « فى ضيقى دعوت الرب .. صعد دخان من أنفه » (صموئيل الثانى ٢٢ : ٧ و ٢٩) . وجاء فيه « انكشفت أسس المسكونة من زجر الرب ، من نسمة ريح أنفه » (صموئيل الثانى ٢٢ : ١٦) . وجاء فى سفر أيوب « بنسمة الله يبيدون وبريح أنفه يفنون » (أيوب ٤٠ : ٩) .

وقيل إن لله فماً ، إذ قال الله فى سفر العدد « أما عبدى موسى فليس هكذا . . فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه » (العدد ١٢ : ٧ و ٨) . وقال سليمان فى سفر أخبار الأيام « أيها الرب إله اسرائيل . . قد حفظت لعبدك داود أبى ما كلمته به فتكلمت بفمك وأكملت بيدك » (أخبار الأيام الثانى ٦ : ١٤ - ١٦) .

وقيل إن لله ذراعاً ، إذ جاء فى سفر الخروج « يارب . . بعظمة ذراعك يصمتون » (الخروج ١٢ : ١٦) . وجاء فى سفر التثنية « فأخرجنا الرب من مصر بيد شديدة وذراع رفيعة » (التثنية ٢٦ : ٨) . وجاء فيه « أذكر إذ كنت عبداً فى أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة » (التثنية ٥ : ١٥) . وجاء فى سفر المزامير « يا رب . . لك ذراع القدرة » (المزمور ٨٩ : ٨ و ١٣) .

وقيل إن لله يداً ، إذ قال الله فى سفر الخروج : « فيعرف المصريون أنى أنا الرب حينما أمد يدى على مصر وأخرج بنى إسرائيل من بينهم» (الخروج ٧ : ٥) . وجاء فيه « فإنه بيد قوية أخرجكم الرب من هنا » (الخروج ١٣ : ٣) . وجاء فيه « لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك الذى أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة وبيد شديدة » (الخروج ٣٢ : ١١) . وقال الله فى سفر التثنية « إنى أرفع إلى السماء يدى وأقول حى أنا إلى الأبد » (التثنية ٣٢ : ٤٠) .

وجاء فى سفر يشوع « لكى تعلم جميع شعوب الأرض يد الرب أنها قوية » (يشوع ٤ : ٢٤) . وجاء فى سفر القضاة « حينما خرجوا كانت يد الرب عليهم » (القضاة ٢ : ١٥) . وجاء فى سفر أيوب « بنفخته السماوات مستقرة ويداه أبدأتا الحية الهاربة » (أيوب ٢٦ : ١٣) . وجاء فى المزامير « قوية يدك . مرتفعة يمينك » (المزمور ٨٩ : ١٣) . وقال إرميا النبي « ومد الرب يده ولمس فمى وقال الرب لى ها قد جعلت كلامى فى فمك » (إرميا ١ : ٩) وقال « هكذا قال لى الرب إله إسرائيل : خذ كأس خمر هذا السخط من يدى واسق جميع الشعوب . . فأخذت الكأس من يد الرب وسقيت كل الشعوب » (إرميا ٢٥ : ١٥ و ١٧) .

وقيل إن لله أصبعاً ، إذ جاء فى سفر الخروج « ثم أعطى موسى عند الفراغ من الكلام معه فى جبل سيناء لوحى الشهادة . لوحى حجر مكتوب بأصبع الله » (الخروج ٣١ : ١٨) وقال موسى النبي فى سفر التثنية « وأعطانى الرب لوحى الحجر المكتوبين بأصبع الله » (التثنية ٩ : ١٠) .

وقيل إن لله رجلين أو قدمين ، إذ جاء فى سفر الخروج « ثم صعد موسى وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق » (الخروج ٢٤ : ٩ و ١٠) . وجاء فى سفر صموئيل « فى ضيقى دعوت الرب فسمع من هيكله صوتى . . طأطأ السماوات ونزل وضباب تحت رجليه » (صموئيل الثانى ٢٢ : ٧ و ١٠) . وجاء فى سفر أخبار الأيام « وقف داود الملك وقال . . كان فى قلبى أن أبنى بيت قرار لتابوت عهد الرب ولموطىء قدمى إلهنا » (أخبار الأيام الأول ٢٨ : ٢ و ٣) . وقال إشعياء النبي « هكذا قال الرب : السماوات كرسى والأرض موطىء قدمى » (إشعياء ٦٦ : ١)

وقيل إن لله قلباً ، إذ قال الله فى سفر أخبار الأيام « قد اخترت وقدست هذا البيت ليكون اسمى فيه إلى الأبد وتكون عيناى وقلبى هناك كل الأيام » (أخبار الأيام الثانى ٧ : ١٦) .

وقيل إن لله صوتاً إذ جاء فى سفر التكوين أن آدم وحواء « سمعا صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة » (التكوين ٣ : ٨) . وجاء فى سفر التثنية « إن الرب هو

الإله ليس آخر سواه . من السماء أسمعك صوته » (التثنية ٤ ٣٥ و ٣٩) وجاء فيه « فلما سمعتم الصوت . . فقتم هوذا الرب إلهنا قد أرانا مجده وعظمته وسمعنا صوته » (التثنية ٥ : ٢٣ و ٢٤) . وجاء فيه « إن سمعت لصوت الرب إلهك . . يجعلك الرب إلهك مستعلياً على جميع قبائل الأرض » (التثنية ٢٨ : ١) . وجاء فى سفر صموئيل « أرعد الرب من السماوات والعلى أعطى صوته » (صموئيل الثانى ٢٢ : ١٤) وجاء فى المزامير « صوت الرب على المياه . . صوت الرب بالقوة . صوت الرب بالجلال . . صوت الرب يقدح لهب النار . صوت الرب يزلزل البريه » (المزمور ٢٩ : ٣ — ٨)

٢ — نسبة صفات الإنسان ومشاعره إلى الله :

إن من صفات الله أنه مطلق لا يحده زمان ولا مكان ، فهو من حيث الزمان أزلى أبدى ، يحيا فى الماضى والحاضر والمستقبل معاً وهو من حيث المكان لانهائى يملأ الكون كله ، فهو موجود فى كل مكان ومع ذلك فقد شاء الله — فى تنازله ومحبته للإنسان وعطفه عليه ورغبته فى هدايته وخلاصه — أن يتحدث إليه عن نفسه وكأنه كالإنسان محدود فى الزمان والمكان .

فمن غير الممكن أن يمضى الزمان على الله بحيث ينسى أمراً وقع فى الماضى ثم يتذكره فى الحاضر أو يحتاج إلى من يذكره به ، كما هو الشأن بالنسبة للإنسان . ومع ذلك فقد جاء فى سفر التكوين « ثم ذكر الله نوحاً وكل الوحوش وكل البهائم التى معه فى الفلك ، وأجاز الله ريحاً على الأرض فهدأت المياه » (التكوين ٨ : ١) . « وكلم الله نوحاً وبنيه معه قائلا : ها أنا مقيم ميثاقى معكم .. فلا ينقرض كل ذى جسد أيضاً بمياه الطوفان . . وضعت قوسى فى السحاب ، فتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض ، فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض وتظهر القوس فى السحاب أنى أذكر ميثاقى الذى بينى وبينكم . . فمتى كانت القوس فى السحابة أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية » (التكوين ٩ : ٨ — ١٧) . وجاء فى سفر الخروج « تنهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا . فسمع الله أنينهم ،

فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب ونظر الله بنى إسرائيل وعلم الله » (الخروج ٢ : ٢٣ — ٢٥) — « ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب .. وأناظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأنىالإله القادر على كل شيء .. وأيضاً أقمت معهم عهدى بأن أعطيهم أرض كنعان . . وأنا أيضاً قد سمعت أنين بنى إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتذكرت عهدى » (الخروج ٦ : ٢ — ٥) . وجاء فى سفر الخروج أيضاً « فيحمل هارون أسماء بنى إسرائيل فى صورة القضاء على قلبه عند دخول القدس للتذكار أمام الرب دائماً » (الخروج ٢٨ : ٢٩) . وجاء فى سفر اللاويين « لكن إن أقروا بذنوبهم . . أذكر ميثاقى مع يعقوب وأذكر أيضاً ميثاقى مع إسحق وميثاقى مع إبراهيم وأذكر الأرض » (اللاويين ٢٦ : ٤٠ - ٤٢) وجاء فى سفر العدد « وإذا ذهبتم إلى الحرب . . تهتفون بالأبواق . . فتكون لكم تذكاراً أمام إلهكم » (العدد ١٠ : ١٠ — ١٠) .

كما أن من غير الممكن أن يكون اللهفى مكان ولا يكون فى غيره ، أو أن يكون فى مكان بعينه بحيث يكون له ما هو فوقه أو تحته ، أو يكون له ما هو أمامه أو خلفه ، أو أن تقول إنه قائم هنا أو هناك ، أو جالس هنا أو هناك ، أو ساكن فى هذا الوضع أو ذاك ، أو أنه صعد أو نزل أو دخل من هذا الموضع إلى ذاك ، أو أنه اجتمع بفلان أو انصرف عن فلان أو قاد جماعة من مكان إلى مكان . ومع ذلك فقد وردت كل هذه المعانى الخاصة بالإنسان منسوبة إلى الله فى كل أسفار التوراة :

ومن ذلك أنه قيل إن الله يسكن فى السماء وكأنه بعيد عن الأرض ، إذ جاء فى سفر الخروج « فقال الرب لموسى أنتم رأيتم أننى من السماء تكلمت » (الخروج ٢٠ : ٢٢) . وجاء فى سفر التثنية « من السماء أسمعك صوته لينذرك » (التثنية ٤ : ٣٦) . وجاء فيه « اطلع من مسكن قدسك ، من السماء ، وبارك شعبك » (التثنية ٢٦ : ١٥) . وجاء فى سفر الملوك « فاسمع أنت من السماء مكان سكناك واغفر واعمل واعط كل إنسان حسب كل طرقه » (الملوك الأول ٨ : ٣٩) . وجاء فى سفر أيوب « هوذا الله فى علو السماوات . . السحاب ستر له ، فلا يرى ، وعلى دائرة السماوات يتمشى » (أيوب ٢٢ : ١٢ — ١٥) . وجاء فى المزامير « الرب فى السماء كرسيه » (المزمور ١١ : ٤) . وجاء فيها « الرب من السماء أشرف على

بنى البشر » (المزمور ١٤ : ٢) . وجاء فيها « من السماوات نظر الرب . . من مكان سكناه تطلع إلى جميع سكان الأرض » (المزمور ٣٣ : ١٣ و ١٤) . وجاء فيها « لماذا يقول الأمم أين هو إلههم ؟ إن إلهنا فى السماء » (المزمور ١١٥ : ٢ و ٣) . وجاء فيها « إليك رفعت عينى ياساكناً فى السماوات » (المزمور ١٢٣ : ١) . وجاء فى سفر الجامعة « الله فى السماوت وأنت على الأرض » (الجامعة ٥ : ٢) .

وقيل إن الله يسكن فى الضباب ، إذ جاء فى سفر أخبار الأيام « حينئذ قال الرب إنه يسكن فى الضباب » (أخبار الأيام الثانى ٦ : ١) . كما قيل إن الله كان ينزل فى السحاب ، إذ جاء فى سفر الخروج « فنزل الرب فى السحاب فوقف (موسى) عنده هناك » (الخروج ٣٤ : ٥) . وجاء فى سفر العدد « فنزل الرب فى سحابة وتكلم معه » (العدد ١١ : ٢٥) . وجاء فيه « فنزل الرب فى عمود سحاب ووقف فى باب الخيمة ودعا هارون ومريم » (العدد ١٢ : ٥) .

وقيل إن الله يسكن فوق الجبال والمرتفعات ، إذ جاء فى المزمور « أرفع عينى إلى الجبال من حيث يأتى عونى . معونتى من عند الرب » (المزمور ١٢١ : ١ و ٢) . وجاء فى سفر إشعياء « فى الموضع المرتفع المقدس أسكن » (إشعياء ٥٧ : ١٥) . وقد قيل إنه يسكن فى جبل صهيون بالذات ، إذ جاء فى المزامير « رنموا للرب الساكن فى صهيون » (المزمور ٩ : ١١) . وحين كان اليهود فى صحراء سيناء قيل إن الله نزل على قمة جبل سيناء ، وأمر موسى أن يصعد إليه ليكلمه هناك ، إذ جاء فى سفر الخروج « ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل ، ودعا الله موسى إلى رأس الجبل . فصعد موسى . فقال الرب لموسى انحدر حذر الشعب لئلا يقتحموا إلى الرب » (الخروج ١٩ : ٢٠ و ٢١) — « وقال (الله) لموسى اصعد إلى الرب أنت وهارون وناداب وأبيهو . . واسجدوا من بعيد . ويقترب موسى وحده إلى الرب وهم لا يقتربون . وأما الشعب فلا يصعد معه » (الخروج ٢٤ : ١ و ٢) — « ثم صعد موسى وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل » (الخروج ٢٤ : ٩ و ١٠)— « وكان فى الغد أن موسى قال للشعب أنتم قد أخطأتم خطيئة عظيمة ، فأصعد الآن إلى الرب لعلى أكفر عن خطيئتكم . فرجع موسى إلى الرب » (الخروج ٣٢ : ٣٠ — ٣٢) .

وقيل إن الله كان يسكن فى خيمه الاجتماع التى أمر موسى أن يقيمها ليعبده اليهود فيها، إذ جاء فى سفر الخروج «كلم الرب موسى قائلا كلم بنى اسرائيل أن يأخذوا لى تقدمة . . ذهب وفضة ونحاس . . وجلود كباش . . وأطايب . . فيصنعون لى مقدسا لأسكن فى وسطهم . بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته» (الخروج ٢٥ : ١ — ٩) — «هذا ما تقدمه على المذبح . . محرقة دائمة فى أجيالكم عند باب خيمة الاجتماع . . حيث أجتمع بكم لأكلمك هناك وأجتمع هناك ببنى إسرائيل» (الخروج ٢٩ : ٣٨ — ٤٣) — «وأخذ موسى الخيمة ونصبها له خارج المحلة بعيداً عن المحلة . . فكان كل من يطلب الرب يخرج إلى خيمة الاجتماع» (الخروج ٣٣ : ٧) . وجاء فى سفر اللاويين «فتعزلان بنى إسرائيل عن نجاستهم لئلا يموتوا فى نجاستهم بتنجيسهم مسكنى الذى فى وسطهم» (اللاويين ١٥ : ٣١) . وجاء فى سفر العدد «وكلم الرب موسى قائلا أوصى بنى إسرائيل أن ينفوا من المحلة كل أبرص وكل ذى سيل وكل متنجس . . لكيلا ينجسوا محلاتهم حيث أنا ساكن فى وسطهم» (العدد ٥ : ١ — ٣) . وجاء فيه «فوضع موسى العصى أمام الرب فى خيمة الشهادة» (العدد ١٧ : ٧) . وجاء فى سفر صموئيل «وكان لما سكن الملك (داود) فى بيته وأراحه الرب من كل الجهات من جميع أعدائه أن الملك قال لناثان النبي انظر . إنى أسكن فى بيت من أرز ، وتابوت الله ساكن داخل الشقق . فقال ناثان (النبى) للملك اذهب افعل كل ما بقلبك لأن الرب معك . وفى تلك الليلة كان كلام الرب إلى ناثان قائلا اذهب وقل لعبدى داود هكذا قال الرب : أأنت تبنى لى بيتا لسكناى ، لأنى لم أسكن فى بيت منذ يوم أصعدت بنى إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم بل كنت أسير فى خيمة» (صموئيل الثانى ٧ : ١ — ٦) . وحين كان الله يقود اليهود فى صحراء سيناء كان ينتقل أمامهم فى سحابة تظهر فوق خيمة الاجتماع من موضع إلى موضع ، فيحملون الخيمة ويتبعون السحابة أينما تمضى . إذ جاء فى سفر العدد «وفى يوم إقامة المسكن غطت السحابة المسكن ، خيمة الاجتماع ، وفى المساء كان على المسكن كمنظر نار إلى الصباح . . ومتى ارتحلت السحابة عن الخيمة كان بعد ذلك بنو إسرائيل يرتحلون . وفى المكان حيث حلت السحابة هناك كان بنو إسرائيل ينزلون» (العدد ٩ : ١٥ — ٢٣) — «وفى السنة الثانية فى الشهر الثانى فى العشرين من الشهر ارتفعت السحابة عن مسكن الشهادة فارتحل بنو إسرائيل فى رحلاتهم من برية سيناء فحلت السحابة فى برية فاران» (العدد ١٠ : ١١ و ١٢) —

« فارتحلوا من جبل الرب مسيرة ثلاثة أيام وتابوت عهد الرب راحل أمامهم مسيرة ثلاثة أيام ليلتمس لهم منزلا . وكانت سحابة الرب عليهم نهارا فى ارتحالهم من المحلة » (العدد ١٠ : ٣٣ و ٣٤) .

وقيل إن الله كان يسكن فوق غطاء تابوت العهد ، الذى كان يسمى كذلك تابوت الشهادة ، والذى كان موضوعا داخل خيمة الاجتماع ، إذ جاء فى سفر الخروج « وكلم الرب موسى قائلا كلم بنى إسرائيل .. فيصنعون تابوتا من خشب .. وتصنع غطاء من ذهب .. وتصنع كروبين (أى ملاكين) من ذهب .. على طرفى الغطاء .. ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق .. وأنا أجتمع بك هناك وأتكلم معك على الغطاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به إلى بنى إسرائيل » (الخروج ٢٥ : ١ - ٢٢) . « وتصنع مذبحا لإيقاد البخور .. وتجعله قدام الحجاب الذى أمام تابوت الشهادة ، قدام الغطاء الذى على الشهادة حيث أجتمع بك » (الخروج ٣٠ : ١ - ٦) وجاء فى سفر العدد « وكلم الرب موسى قائلا كلم بنى إسرائيل وخذ منهم عصا عصا لكل بيت .. وضعها فى خيمة الاجتماع أمام الشهادة حيث أجتمع بكم » (العدد ١٧ : ١ - ٤) وجاء فى سفر صموئيل « وقام داود وذهب هو وجميع الشعب الذى معه من بعلة يهوذا ليصعدوا من هناك تابوت الله الذى يدعى عليه بالاسم ، إسم رب الجنود الجالس على الكروبيم » (صموئيل الثانى ٦ : ٢) .

وقيل إن الله كان يسكن فى هيكل أورشليم الذى بناه سليمان ، إذ قال سليمان فى سفر الملوك « إنى قد بنيت لك بيت سكنى مكانا لسكناك إلى الأبد » (الملوك الأول ٨ : ١٣) .

وقيل عن موضع فى الطريق بين بئر سبع وحاران أنه بيت الله ، إذ جاء فى سفر التكوين « فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران وصادف مكاناً وبات هناك . . ورأى حلماً وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء . . وهوذا الرب واقف عليها . . فاستيقظ يعقوب من نومه وقال حقاً إن الرب فى هذا المكان وأنا لم أعلم . . وخاف وقال ما أرهب هذا المكان . ما هذا إلا بيت الله » (التكوين ٢٨ : ١٠ - ١٧) .

وقيل إن الله يجلس على كرسى ، إذ جاء فى سفر الخروج « فبنى موسى مذبحاً

ودعا إسمه يهوه نسي ، وقال إن اليد على كرسي الرب » (الخروج ١٧ : ١٥ و١٦) وقال ميخا النبي فى سفر الملوك « وقد رأيت الرب جالساً على كرسيه » (الملوك الأول ٢٢ : ١٩) . وجاء في المزامير « الرب فى السماء كرسيه » (المزمور ١١ : ٤) . وجاء فيها « العدل والحق قاعدة كرسيك » (المزمور ٨٩ : ١٤) . وقيل إن الله يتخذ من السماء كرسياً له ومن الأرض موطئاً لقدميه ، إذ جاء فى سفر إشعياء « هكذا قال الرب : السماء كرسى والأرض موطىء قدمى » (إشعياء ٦٦ : ١) .

ونجد فى التوراة أن الله ، على مثال الكائن البشرى ذى الجسم المحدود ، يقف ويجلس ، وينزل ويصعد ، ويجيء ويذهب ، ويدخل ويخرج ، ويحل ويرتحل ، ويسير ويلاقى ويقابل . بيد أن هذه التعبيرات كلها قد قصد الله بها ـ كما أسلفنا ـ أن يخاطب الإنسان على قدر إدراكه وباللغة التى يفهمها . لأن الإنسان لا يمكنه بعقله المحدود أن يتصور كيان الله غير المحدود الذى يملأ الكون بغير بداية ولا نهاية ، بحيث ينتفى القول بأنه ينتقل من مكان إلى مكان ، ما دام كائناً فى كل مكان .

وعلى هذا النحو قيل إن الله يقف ، إذ جاء فى سفر التكوين « وإذا سلم منصوب على الأرض ورأسها يمس السماء . . وهوذا الرب واقف عليها » (التكوين ٢٨ : ١٢و٣) . وجاء فى سفر الخروج أن الله قال لموسى النبى « ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة فى حوريب ، فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء » (الخروج ١٧ : ٦) .

وقيل إن الله يجلس ، إذ جاء فى سفر الملوك « قد رأيت الرب جالساً على كرسيه (الملوك الأول ١٢ : ١٩) . وقيل فى هذا السفر « أيها الرب إله إسرائيل الجالس فوق الكروبيم » (الملوك الثانى ١٩ : ١٠) .

وقيل إن الله ينزل ، إذ جاء فى سفر التكوين « فنزل الرب لينظر المدينة » (التكوين ١١ : ٥) . وجاء فيه « وقال الرب صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيئتهم قد عظمت جداً . أنزل وأرى » (التكوين ١٨ : ٢٠ و ٢١) . وجاء فى سفر الخروج « فقال الرب إنى رأيت مذلة شعبي الذى فى مصر . . فنزلت لأنقذهم » (الخروج ٣ : ٧ و ٨) . وجاء فيه « فقال الرب لموسى اذهب إلى الشعب وقدسهم . .

لأنه فى اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب » (الخروج ١٩ : ١٠ و ١١) . وجاء فيه « كان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه » (الخروج ١٩ : ١٨) . وجاء فيه « نزل الرب على جبل سيناء » (الخروج ١٩ : ٢٠) . وجاء فيه « فنزل الرب فى السحاب » (الخروج ٣٤ : ٥) . وجاء فى سفر العدد أن الله قال لموسى « فأنزل أنا وأتكلم معك هناك » (العدد ١١ : ١٧) . وجاء فيه « فنزل الرب فى سحابة وتكلم معه » (العدد ١١ : ٢٥) . وجاء فيه « فنزل الرب فى عمود سحاب ووقف فى باب الخيمه » (العدد ١٢ : ٥) . وجاء فى المزامير « يارب طأطىء سماواتك وانزل ألمس الجبال فتدخن » (المزمور ١٤٤ : ٥) .

وقيل إن الله يصعد ، إذ جاء فى سفر التكوين « ظهر الرب لأبرام .. فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم » (التكوين ١٧ : ١ و ٢٢) . وجاء فيه « ظهر الله ليعقوب أيضا .. ثم صعد الله عنه » (التكوين ٣٥ : ٩ و ١٣) . وجاء فى سفر الخروج « كان الرب قد قال لموسى قل لبنى إسرائيل أنتم شعب صلب الرقبة . إن صعدت لحظة واحدة فى وسطكم أفنيكم » (الخروج ٣٣ : ٥) .

وقيل إن الله يأتى ويوافى ، إذ جاء فى سفر التثنية « هل شرع الله يأتى ويأخذ لنفسه شعبا من وسط شعب بتجارب وآيات وعجائب ؟ » (التثنية ٤ : ٣٤) . وجاء فى سفر العدد « فقال بلعام لبالاق قف عند محرقتك فأنطلق أنا لعل الرب يوافى للقائى . . فوافى الله بلعام » (العدد ٢٣ : ٣ و ٤) .

وقيل إن الله يذهب ويمضى . . إذ جاء فى سفر التكوين « وذهب الرب عند ما فرغ من الكلام مع إبراهيم » (التكوين ١٨ : ٣٣) . وجاء فى سفر العدد « فحمى غضب الرب عليهما ومضى » (العدد ١٢ : ٩) .

وقيل إن الله يخرج ، إذ قال ميخا النبى « هوذا الرب يخرج من مكانه » (ميخا ١ : ٣) .

وقيل إن الله يحل ويرتحل فى السحابة التى كانت تسير أمام اليهود فى صحراء

سيناء ، إذ جاء فى سفر العدد «متى ارتحلت السحابة عن الخيمة ، كان بعد ذلك بنو إسرائيل يرتحلون . وفى المكان حيث حلت السحابة ، كان هناك بنو إسرائيل ينزلون» (العدد ٩ : ١٧) .

وقيل إن الله يمشى ، ويسير ، ويجتاز ، ويعبر . إذ جاء فى سفر أيوب «الباسط السماوات وحده والماشى على أعالى البحار» (أيوب ٩ : ٨) . وقال ميخا النبى «هوذا الرب يخرج من مكانه وينزل ويمشى على شوامخ الأرض» . (ميخا ١ : ٣)

وجاء فى سفر الخروج «فنزل الرب فى السحاب .. فأسرع موسى وخر إلى الأرض وسجد وقال إن وجدت نعمة فى عينيك أيها السيد الرب فليسر السيد فى وسطنا» (الخروج ٣٤ : ٥و٨و٩) . وجاء فيه «كلم الرب موسى وهارون فى أرض مصر قائلا : يأخذون لهم كل واحد شاة .. ويأخذون من الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا . فإنى أجتاز فى أرض مصر فى هذه الليلة وأضرب كل بكر» (الخروج ١٢ : ١ — ١٢) وجاء فيه أن الله قال لموسى «يكون متى اجتاز مجدى أن أضعك فى نقرة من الصخرة وأسترك بيدى حتى أجتاز» (الخروج ٣٣ : ٢٢) . وجاء فيه «فنزل الرب فى السحاب فوقف (موسى) عنده هناك ونادى باسم الرب فاجتاز الرب قدامه» (الخروج ٣٤ : ٥و٦) . وجاء فى سفر الملوك : «وإذا بالرب عابر وريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال» (الملوك الأول ١٩ : ١١) .

وقيل إن الله يلاقى الناس ويجتمع بهم . إذ جاء فى سفر التكوين «فمضى موسى .. وحدث فى الطريق فى المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله» (الخروج ٤ : ١٨و٢٤) وجاء فى سفر العدد «لعل الرب يوافى للقائى» (العدد ٢٣ : ٣) . وجاء فى سفر الخروج أن الله قال لموسى «أنا أجتمع بك هناك» (الخروج ٢٥ : ٢٢) — «وأجتمع هناك ببنى إسرائيل» (الخروج ٢٩ : ٤٣) .

ونجد فى التوراة عبارات تفيد تحديد مكان معين يوجد فيه الله بحيث يقف الإنسان أو غير الإنسان أمامه أو لديه أو عن يمينه أو عن يساره ، أو يصعد إليه ، أو ينزل من عنده ، مقترباً إليه أو مبتعداً عنه أو متوسطاً بينه وبين آخرين ، أو يكون

الله مع الناس أو فى وسطهم ، أو يكون هو فوق شىء ما أو فى موضع ما ، أو متكلماً أو سامعاً أو متطلعاً من موضع ما :

فقد قيل إن الإنسان يقف أمام الله ، إذ جاء فى سفر التكوين « وأما إبراهيم فكان لم يزل قائماً أمام الرب » (التكوين ١٨ : ٢٣) وجاء فى سفر الخروج «وكان موسى عند دخوله أمام الرب ليتكلم معه ينزع البرقع حتى يخرج » (الخروج ٣٤ : ٢٩) . وجاء فى سفر العدد «وقال موسى لقورح كن أنت وكل جماعتك أمام الرب أنت وهم وهارون غداً » (العدد ١٦ : ١٦) .

وقيل إن جند السماء يقفون لدى الله عن يمينه ويساره ، إذ جاء فى سفر الملوك « رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره » (الملوك الأول ٢٢ : ١٩) .

وقيل إن الإنسان يصعد إلى الله ، ويقف قريباً منه أو بعيداً عنه ، إذ جاء فى سفر الخروج « وقال لموسى اصعد إلى الرب أنت وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل .. ويقترب موسى وحده إلى الرب وهم لا يقتربون » (الخروج ٢٤ : ١و٢) — «ودعا الله موسى إلى رأس الجبل فصعد موسى » (الخروج ١٩ : ٢٠) . ـ « وكان فى الغد أن موسى قال للشعب أنتم قد أخطأتم خطية عظيمة ، فأصعد الآن إلى الرب لعلى أكفر عن خطيتكم ورجع موسى إلى الرب » (الخروج ٣٢ : ٣٠ و٣١) — «وقال الرب لموسى اصعد إلى الجبل .. فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة» الخروج ٢٤ : ١٢) .

وقيل إن الإنسان ينزل من عند الله ، إذ جاء فى سفر الخروج « فانحدر موسى من الجبل إلى الشعب » (الخروج ١٩ : ١٤) . وجاء فيه « فقال الرب لموسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك .. فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده» (الخروج ٣٢ : ٧و١٥) .

وقيل إن الإنسان يمكن أن يقف بحيث يكون بين الله وبين جماعة من الناس. إذ جاء فى سفر التثنية « ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم أنا كنت واقفاً بين الرب

وبينكم فى ذلك الوقت لكى أخبركم بكلام الرب ، لأنكم خفتم من أجل النار ولم تصعدوا إلى الجبل » (التثنية ٥ : ١ و ٥) .

وقيل إن الله يتواجد مع الناس أو فى وسطهم ، إذ جاء فى سفر التثنية أن الله قال لموسى « اذهب قل لهم ارجعوا إلى خيامكم ، وأما أنت فتقف هنا معى فأكلمك بجميع الوصايا » (التثنية ٥ : ٣٠ و ٣١) . وجاء فى سفر الخروج « كلم الرب موسى قائلا كلم بنى إسرائيل أن يأخذوا لى تقدمة .. لأسكن فى وسطهم » (الخروج ٢٥ : ١ و ٨) . وجاء فى سفر العدد « كلم الرب موسى قائلا أوص بنى إسرائيل أن ينفوا من المحلة .. كل متنجس . . حيث أنا ساكن فى وسطهم » (العدد ٥ : ١ — ٣) وجاء فيه « إن الجماعة كلها مقدسة وفى وسطها الرب » (العدد ١٦ : ٣) وجاء فى سفر التثنية « الرب سائر فى وسط محلتك لكى ينقذك » (التثنية ٢٣ : ١٤) .

وقيل إن الله يكون فوق شىء ما ، أو يكون الشىء تحته ، إذ جاء فى سفر الملوك « أيها الرب إله إسرائيل الجالس فوق الكروبيم » (الملوك الثانى ١٩ : ١٥) . وجاء فى سفر الخروج « ثم صعد موسى وناداب وأبيهو .. ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة » (الخروج ٢٤ : ٩ و ١٠)

وقيل إن الله موجود فى موضع ما ، أو أنه يتكلم أو يسمع أو يتطلع من موضع ما ، إذ جاء فى المزامير « إن إلهنا فى السماء » (المزمور ١١٥ : ٣) . وجاء فى سفر الملوك « قال الرب إنه يسكن فى الضباب » (الملوك الأول ٨ : ١٢) وجاء فى سفر المزامير « رنموا للرب الساكن فى صهيون » (المزمور ٩ : ١١) .

وجاء فى سفر إشعياء « فى الموضع المرتفع المقدس أسكن » (إشعياء ٥٧ : ١٥) وجاء فى سفر الخروج « فقال الرب لموسى هكذا تقولون لبنى إسرائيل : أنتم رأيتم أننى من السماء تكلمت معكم » (الخروج ٢٠ : ٢٢) . وجاء فى سفر صموئيل « أرعد الرب من السماوات والعلى أعطى صوته » (صموئيل الثانى ٢٢ : ١٤) . وجاء فى سفر الملوك « فاسمع أنت من السماء مكان سكناك واغفر » (الملوك الأول ٨ : ٣٩) وجاء فى المزامير « من السماوات نظر الرب . . من مكان سكناه تطلع إلى جميع سكان

الأرض » (المزمور ٣٣ : ١٣ و ١٤) . وجاء فى سفر إشعياء « تطلع من السماوات وانظر من مسكن قدسك » (إشعياء ٦٣ : ١٦) .

والله القوى المتعالى فى السماوات ، إذ يتنازل — فى سبيل أن يفهم الإنسان ما يوصيه به من أجل خلاصه — ينسب إلى نفسه مشاعر تصدر عن صفات الإنسان الضعيف الضئيل الواقع فى براثن الأرضيات. فنحن نجد فى التوراة أن الله يفرح ويسر ويرضى . . . أنه يحزن ويأسف ويتضايق ويندم ، وأنه يغضب ويسخط ويغتاظ ، وأنه يضحك ويستهزىء ويخدع ويخاف . فهذه كلها من صفات الإنسان الذى يعتوره النقص والقصور . ولا ريب أن الله منزه عنها لأنه كامل . وإنما أراد الله أن يخاطب الإنسان على قدر إدراكه ليدرك طبيعته وشريعته ، وفى حدود منطقه ليستوعب تعاليمه ووصاياه :

فقد قيل إن الله يفرح ، إذ جاء فى سفر التثنية « كما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثركم ، كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم » (التثنية ٢٨ : ٦٣) . وجاء فيه « لأن الرب يرجع ليفرح لك بالخير كما فرح لآبائك » (التثنية ٣٠ : ٩) .

وقيل إن الله يسر ، إذ جاء فى سفر العدد « إن سر بنا ربنا يدخلنا إلى هذه الأرض ويعطينا إياها » (العدد ١٤ : ٨) . وجاء فى سفر الخروج « توقدها على المذبح فوق المحرقة رائحة سرور أمام الرب » (الخروج ٢٩ : ٢٢) .

وقيل إن الله يرضى ، إذ جاء فى سفر التكوين « فتنسم الرب رائحة الرضا » . (التكوين ٨ : ٢١)

وقيل إن الله يحزن ويأسف ، إذ جاء فى سفر التكوين « ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض .. فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه » (التكوين ٦ : ٥ و ٦) .

وقيل إن الله يتضايق إذ جاء فى سفر القضاة « فقال بنو إسرائيل للرب أخطأنا . . فضاقت نفسه بسبب مشقة إسرائيل » (القضاة ١٠ : ١٥ و ١٦) .

وقيل إن الله يندم، إذ جاء فى سفر الخروج « فتضرع موسى أمام الرب إلهه وقال .. ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك . . فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه » (الخروج ٣٢ : ١١ و ١٢ و ١٤) . وجاء فى سفر صموئيل « وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلا ندمت على أن قد جعلت شاول ملكا » (صموئيل الأول ١٥ : ١٠ و ١١) . وجاء فى سفر أخبار الأيام « وأرسل الله ملاكا على أورشليم لإهلاكها . وفيما هو يهلك رأى الرب فندم على الشر وقال للملاك المهلك كفى الآن رد يدك » (أخبار الأيام ٢١ : ١٥) . وقال الله فى سفر إرميا « تارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والإهلاك فترجع تلك الأمة التى تكلمت عليها عن شرها فأندم عن الشر الذى قصدت أن أصنعه بها ، وتارة أتكلم على أمة بالبناء والغرس فتفعل الشر فى عينى فلا تسمع صوتى فأندم على الخير الذى قلت إنى أحسن إليها به » (إرميا ١٨ : ٧ — ١٠) بيد أنه مما يدل على أن هذه الأقوال إنما قصد بها الله مخاطبة الناس بما يفهمونه ، أن الله يقول فى سفر العدد « ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن إنسان فيندم » (العدد ٢٣ : ١٩) . كما جاء فى سفر صموئيل « نصيح إسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس إنساناً ليندم » (صموئيل الأول ١٥ : ٢٩) .

وقيل إن الله يغضب ، إذ جاء فى سفر الخروج « فحمى غضب الرب على موسى » (الخروج ٤ : ١٤) . وجاء فيه « فقال الرب لموسى اذهب انزل . لأنه قد فسد شعبك . فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم . . فتضرع موسى أمام الرب إلهه وقال لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك؟ » (الخروج ٣٢ : ١١) . وجاء فى سفر العدد « وكان الشعب كأنهم يشتكون شراً فى أذنى الرب ، وسمع الرب فحمى غضبه فاشتعلت فيهم نار الرب وأحرقت فى طرف المحلة» (العدد ١١ : ١) . وجاء فيه « تكلمت مريم وهارون على موسى . . فحمى غضب الرب عليهما » (العدد ١٢ : ١ و ٩) . وجاء فيه « وتعلق إسرائيل ببعل فغور ، فحمى غضب الرب على إسرائيل . فقال الرب لموسى خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس ، فيرتد حمو غضب الرب على إسرائيل » (العدد ٢٥ : ٣و٤) . وجاء فيه « فحمى غضب الرب على إسرائيل وأتاههم فى البرية أربعين سنة حتى فنى كل الجيل الذى فعل الشر فى عينى الرب » (العدد ٣٢ : ١٣) . بيد أنه مما يدل على أن هذه الأقوال أيضاً قصد بها الله مخاطبة

الناس بما يفهمونه ، أن الله يقول فى سفر إشعياء « لا أخاصم إلى الأبد ولا أغضب إلى الدهر » (إشعياء ٥٧ : ١٦) .

وقيل إن الله ـط ، إذ جاء فى سفر التكوين « فتقدم إبراهيم (إلى الله) وقال . . لا ـحط المولى فأتكلم » (التكوين ١٨ : ٢٣ و٣٠) . وجاء فى سفر الخروج « يمينك يا رب معتزة بالقدرة . . ترسل سخطك فيأكلهم كالقش » (الخروج ١٥ : ٦ و٧) . وجاء فى سفر العدد « ثم قال موسى لهارون خذ المجمرة . . واذهب بها مسرعاً إلى الجماعة وكفر عنهم لأن السخط قد خرج من قبل الرب . قد ابتدأ الوباء » (العدد ١٦ : ٤٦) . وجاء فى سفر التثنية « سمع الرب صوت كلامكم فسخط » (التثنية ١ : ٣٤) وجاء فيه « اذكر لا تنس كيف أسخطت الرب إلهك فى البرية . من اليوم الذى خرجت فيه من أرض مصر حتى أتيتم إلى هذا المكان كنتم تقاومون الرب . حتى فى حوريب أسخطتم الرب فغضب الرب عليكم ليبيدكم » (التثنية ٩ : ٧ و ٨) . وجاء فى سفر يشوع « إنكم تتمردون على الرب وهو غداً يسخط على كل جماعة إسرائيل » (يشوع ٢٢ : ١٨) .

وقيل إن الله يغير ويغتاظ ، إذ جاء فى سفر التثنية « أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلا . . يصيبكم الشر فى آخر الأيام لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم » (التثنية ٣١ : ٢٥ و٢٩) . وجاء فيه « أغاروه بالأجانب وأغاظوه بالأرجاس » (التثنية ٣٢ : ١٦) . وجاء فيه « فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته ، وقال أحجب وجهى عنهم . . إنهم جيل متقلب . أولاد لا أمانة فيهم . هم أغارونى بما ليس إلهاً . أغاظونى بأباطيلهم . فأنا أغيرهم بما ليس شعباً . بأمة غبية أغيظهم » (التثنية ٣٢ : ١٩ - ٢١) . وجاء فى سفر الملوك « اذهبى قولى ليربعام هكذا قال الرب إله إسرائيل . . قد ساء عملك أكثر من جميع الذين كانوا قبلك فسرت وعملت لنفسك آلهة أخرى ومسبوكات لتغيظنى . . ها أنذا جالب شراً على بيت يربعام » (الملوك الأول ١٤ : ٧ و ٩ و١٠) . وجاء فيه « يضرب الرب إسرائيل . . ويبددهم .. لأنهم عملوا سواريهم وأغاظوا الرب » (الملوك الأول ١٤ : ١٥) . وجاء فى سفر ميخا « يقول الرب . . بغضب وغيظ أنتقم من الأمم الذين لم يسمعوا » (ميخا ٥ : ١٠ و١٥) .

وقيل إن الله يستهزىء ويضحك مستهزئاً ، إذ جاء فى المزامير « الرب يستهزىء بهم » (المزمور ٢ : ٤) . وجاء فيها «الشرير يتفكر ضد الصديق ويحرق عليه أسنانه . الرب يضحك به ، لأنه رأى أن يومه آت » (المزمور ٣٧ : ١٢ و١٣) . وجاء فيها « وأنت يا رب إله الجنود . . كل غادر أثيم لاترحم . . لأنهم يقولون من سامع . . أما أنت يارب فتضحك بهم . تستهزىء بجميع الأمم » (المزمور ٥٩ : ٥ و ٨) .

وقيل إن الله يخادع ، إذ جاء فى سفر إرميا « فقلت آه يا سيد الرب ، حقاً إنك خداعاً خادعت هذا الشعب وأورشليم قائلا يكون لكم سلام ، وقد بلغ السيف النفس » (إرميا ٤ : ١٠) .

وقيل إن الله يخاف ، إذ جاء فى سفر التثنية : « فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته وقال . . قلت أبددهم إلى الزوايا وأبطل من الناس ذكرهم ، لو لم أخف من إغاظة العدو ، من أن ينكر أضدادهم ، من أن يقولوا يدنا ارتفعت وليس الرب فعل كل هذه » (التثنية ٣٢ : ١٩ و ٢٦ و٢٧) .

٣ — نسبة أفعال الإنسان إلى الله :

كذلك نسب الله إلى نفسه أفعال الإنسان فى تنازله لتعليم الإنسان ، فقد رأينا فى التوراة من العبارات مايفيد أن الله يتذكر ، وأنه يقف ويجلس ، وينزل ويصعد ، ويجىء ويذهب ، ويدخل ويخرج ، ويحل ويرحل ، ويقف ويمشى ، ويقيم ويسكن ويقابل ويجتمع . كما رأينا من العبارات ما يفيد أن الله يفرح ويحزن ويرضى ويسخط ، ويسر ويتضايق ، ويغتاظ ويندم ، ويخدع ويخاف . وهذه كلها من أفعال الإنسان . وقد وردت فى التوراة عبارات تتضمن أفعالا أخرى من أفعال الإنسان ينسبها الله إلى نفسه :

فقد قيل إن الله يرى وينظر ويبصر ويتطلع ويفتح عينيه ويجيل عينيه فى الأرض . إذ جاء فى سفر التكوين « قال الرب : صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيئتهم قد عظمت جداً . أنزل وأرى » (التكوين ١٨ : ٢٠ و٢١) . وجاء فى سفر الملوك

« افتح يا رب عينيك وانظر » (الملوك الثانى ١٩ : ١٦) . وجاء فى المزامير « الصانع العين ألا يبصر ؟ » (المزمور ٩٤ : ٩) . وجاء فى المزامير أيضاً « من السماوات نظر الرب . . ورأى جميع بنى البشر . من مكان سكناه تطلع إلى جميع سكان الارض » (المزمور ٣٣ : ١٢ - ١٥) . وجاء فى سفر أخبار الأيام « تراءى الرب لسليمان ليلا وقال له . . الآن عيناى تكونان مفتوحتين وأذناى مصغيتين إلى صلاة هذا المكان » (أخبار الأيام الثانى ٧ : ١٢ و١٥) . وجاء فيه « لأن عينى الرب تجولان فى كل الأرض » (أخبار الأيام الثانى ١٦ : ٩) .

وقيل إن الله يسمع ويصغى ، إذ جاء فى سفر التكوين « فسمع الله صوت الغلام » (التكوين ٢١ : ١٧) . وجاء فى سفر العدد « وكان الشعب كأنهم يشتكون شراً فى أذنى الرب وسمع الرب لحمى غضبه » (العدد ١١ : ١) . وجاء فى سفر التثنية « سمع الرب صوتنا ورأى مشقتنا » (التثنية ٢٦ : ٧) . وجاء فى سفر أخبار الايام « يا إلهى لتكن عيناك مفتوحتين ، وأذناك مصغيتين لصلاة هذا المكان» (أخبار الايام الثانى ٦ : ٤١) .

وقيل إن الله يتكلم ويقول وينادى ويعطى صوته ويسمع صوته ، إذ جاء فى سفر أخبار الأيام « أيها الرب . . قد حفظت لعبدك داود أبى ما كلمته به فتكلمت بفمك وأكملت بيدك » (أخبار الأيام الثانى ٦ : ١٤ — ١٦) . وجاء فى سفر التكوين « قال الله نعمل الإنسان على صورتنا » التكوين ١ : ٢٦) . وجاء فى سفر الخروج « وأما موسى فصعد إلى الله فناده الرب من الجبل » (الخروج ١٩ : ١) . وجاء فى سفر صموئيل « أرعد الرب من السماوات والعلى أعطى صوته » (صموئيل الثانى ٢٢ : ١٤) . وجاء فى سفر التثنية « إن الرب هو الإله . . من السماء أسمعك صوته » (التثنية ٤ : ٣٥) .

وقيل إن الله يتنسم ويشتم ، إذ جاء فى سفر التكوين « فتنسم الرب رائحة الرضا » (التكوين ٨ : ٢١) . وجاء فى سفر اللاويين « لا أشتم رائحة سروركم » (اللاويين ٢٦ : ٣١) .

وقيل إن الله يرفع وجهه ، ويحجب وجهه ، إذ جاء فى سفر العدد « يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً » (العدد ٦ : ٢٢) . وجاء فى سفر التثنية « قال الرب لموسى ها أنت ترفع مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الأجنبيين . . فيشتعل غضبي عليه فى ذلك اليوم وأتركه وأحجب وجهى عنه » . (التثنية ٣١ : ١٦ و ١٧) .

وقيل إن الله يمد يده ، ويرسل يده ، ويرفع يده ، إذ جاء فى سفر الخروج « ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو ، وسبعون من شيوخ إسرائيل ، ورأوا إله إسرائيل . . ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل » (الخروج ٢٤ : ٩ - ١١) وقال إرميا النبي « مد الرب يده ولمس فمى » . (إرميا ١ : ٩) . وجاء فى المزامير « يارب . . أرسل يدك من العلاء انقذنى » (المزمور ١٤٤ : ٥ — ٧) . وجاء فى سفر العدد « لن تدخلوا الأرض التى رفعت يدى لأسكنكم فيها » (العدد ١٤ : ٣٠)

وقيل إن الله يكتب ، إذ جاء فى سفر الخروج « ثم أعطى موسى عند الفراغ من الكلام معه فى جبل سيناء لوحى الشهادة . لوحى حجر مكتوبين بأصبع الله » (الخروج ٣١ : ١٨) — « واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين » (الخروج ٣٢ : ١٦) — « ثم قال الرب لموسى انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين ، فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التى كانت على اللوحين الأولين » (الخروج ٣٤ : ١)

وقيل إن الله يستريح ويتنفس ، إذ جاء فى سفر التكوين « وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله » (التكوين ٢ : ٢) . وجاء فى سفر الخروج « فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض ، وفى اليوم السابع استراح وتنفس » (الخروج ٣١ : ١٧) . وجاء فى سفر أخبار الأيام « قم أيها الرب الإله إلى راحتك » (أخبار الأيام الثانى ٦ : ٤١) .

وقيل إن الله يستيقظ ، إذ جاء فى المزامير « فاستيقظ الرب كنائم » (المزمور ٧٨ : ٦٥)

وقيل إن الله يأكل ويشرب ويشتهى ، إذ جاء فى سفر العدد « قربانى ، طعامى

مع وقائدى ، رائحة سرورى ، تحرصون أن تقربوه لى فى وقته » (العدد ٢٨ : ٢)
وجاء فيه « فى القدس اسكب سكيب مسكر للرب » (العدد ٢٨ : ٧) . وجاء فى
المزامير « الرب قد اختار صهيون . إشتهاها مسكناً له » (المزمور ١٣٢ : ١٣) .

وهكذا أراد الله أن يكون كلامه إلى اليهود قريباً إلى أفهامهم ، فتنازل وخاطبهم باللغة التى يفهمونها ، وأراد أن يكون تصويره لنفسه قريبا إلى مداركهم فتنازل وأعطى لهم الصورة التى يمكنهم أن يتصوروها ، لعلهم — ولو عن طريق التشبيه والرمز — يدركون طبيعته ويعرفون شريعته ، ويسيرون على مقتضى أحكامه ووصاياه. وبذلك يسلكون سبيل الخلاص الذى شاءت رحمته أن يهديهم إليه لينقذهم من الهلاك المحكوم به عليهم بسبب شرورهم وآثامهم وجرائمهم . ولكنهم بدلا من ذلك ظنوا بعمى بصائرهم وغلظة مشاعرهم وغباء قلوبهم أن الله ليس إلا واحداً من تلك الآلهة الزائفة التى تمثل فى صورة الإنسان أو الحيوان أو غير ذلك من الكائنات ، والتى كان جيرانهم الوثنيون يعبدونها . وقد عبدوها هم أنفسهم مع إلههم فى بعض الأحيان ، أو عبدوها وحدها بعد أن تمردوا على إلههم وكفروا به فى أغلب الأحيان . إذ كانت هذه الآلهة الوثنية أقرب فى طبيعتها إلى طبيعتهم الحسية البهيمية المنحطة . وكان الله العلى الروحانى السرمدى القدوس أسمى من أن يدركوا حقيقته السمائية السامية بأفكارهم الهزيلة الهابطة ، وتصوراتهم الأرضية الساقطة . ومن ثم أخذوا أقوال التوراة على ظاهرها غافلين عن جوهرها وفحواها ، وتمسكوا بحرفيتها متعامين عن روحها ودلالتها ومرماها . فكانوا حتى وهم يتظاهرون بأنهم يعرفون الله أجهل ما يكونون به ، وكانوا حتى وهم يزعمون التقرب إليه وحبه وطاعته أبعد ما يكونون عنه وأكثر ما يكونون عداوة له وتمردا عليه .

الفصل السادس

علاقة اليهود بالله

١ — الله هو إله اليهود :

حين أعلن الله ذاته لإبراهيم الجد الأول لليهود فآمن به ، أصبح الله معروفاً لدى بيت إبراهيم بأنه « إله إبراهيم » ، إذ جا في سفر التكوين « وقال إبراهيم لعبده . . لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم ، بل إلى أرضي وإلى عشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني إسحق .. فقام وذهب إلى آرام النهرين . . وقال أيها الرب إله سيدي إبراهيم يسر لي اليوم واصنع لطفاً لسيدي إبراهيم.. ها أنا واقف على عين الماء وبنات المدينة خارجات ليستقين ماء ، فليكن أن الفتاة التي أقول لها أميلي جرتك لأشرب فتقول اشرب .. هي التي عينتها لعبدك إسحق . . وإذ كان لم يفرغ بعد من الكلام إذا رفقة التي ولدت لبتوئيل بن ملكة إمرأة ناحور أخي إبراهيم خارجة وجرتها على كتفها .. فقال أنا عبد إبراهيم . . وقلت أيها الرب إله سيدي إبراهيم إن كنت تنجح طريقي الذي أنا سالك فيه ، فها أنا واقف على عين الماء، وليكن أن الفتاة التي تخرج لتستقي وأقول لها اسقيني ماء من جرتك فتقول لي

اشرب .. هى المرأة التى عينها الرب لابن سيدى. وإذ كنت أنا لم أفرغ بعد من الكلام فى قلبى إذا رفقة خارجة وجرتها على كتفها .. وخررت .. وباركت الرب إله سيدى إبراهيم الذى هدانى فى طريق أمين لآخذ ابنة أخى سيدى لابنه » (التكوين ٢٤ : ١ — ٤٨) . وجاء فى هذا السفر « فعاد إسحق .. ثم صعد من هناك إلى بئر سبع ، فظهر له الرب فى تلك الليلة وقال أنا إله إبراهيم أبيك » (التكوين ٢٦ : ١٨و٢٤) .

فلما مات إبراهيم وخلفه ابنه إسحق وآمن هو كذلك بالله أصبح الله معروفاً لدى بيته بأنه « إله إبراهيم وإسحق » ، إذ جاء فى سفر التكوين « فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران .. ورأى حلماً وإذا سلم منصوبة .. وهوذا الرب واقف عليها فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق » (التكوين ٢٨ : ١٠ — ١٣) . وجاء فيه « وقال يعقوب يا إله أبى إبراهيم وإله أبى إسحق .. نجنى من يد أخى من يد عيسو ، لأنى خائف منه » (التكوين ٣٢ : ٩ — ١١) .

فلما مات يعقوب فى مصر وترك ذريته تحت حكم المصريين اربعمائة وثلاثين عاماً حتى صاروا شعباً كبيراً ، ثم أمر الله موسى بأن يخرجهم من مصر أصبح الله معروفاً لدى اليهود منذ ذلك الحين بأنه « إله إبراهيم وإسحق ويعقوب » ، إذ جاء فى سفر الخروج « وأما موسى فكان يرعى الغنم .. فلما رأى الرب .. ناداه الله .. وقال .. أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب » (الخروج ٣ : ١ — ٦) . « وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله آبائكم ، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم » (الخروج ٣ : ١٥ — ١٧) . « فأجاب موسى وقال ولكن هاهم لا يصدقوننى .. فقال له الرب ماهذه فى يدك ؟ فقال عصا . فقال اطرحها إلى الأرض فطرحها إلى الأرض فصارت حية .. ثم قال الرب لموسى مد يدك وامسك بذنبها ، فمد يده وأمسك به ، فصارت عصا فى يده ، لكى يصدقوا أنه قد ظهر لك الرب إله آبائهم ، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب » (الخروج ٤ : ١ — ٥) .

وأصبح الله معروفاً كذلك بأنه إله آباء اليهود ، إذ جاء فى سفر التثنية « كلم موسى

بنى إسرائيل .. قائلا.. الرب إله آبائكم يزيد عليكم مثلكم ألف مرة .. قد جعل الرب إلهك الأرض أمامك . اصعد تملك كما كلمك الرب إله آبائك » (التثنية ١ : ٣و٥و١١و٢١) . وجاء فى هذا السفر « فالآن يا إسرائيل اسمع الفرائض والأحكام التى أنا أعلمكم لتعلموها لكى تحيوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التى الرب إله آبائكم يعطيكم » (التثنية ٤ : ١) . وجاء فيه « هذه هى الفرائض والأحكام التى تحفظونها لتعملوها فى الأرض التى أعطاك الرب إله آبائك لتمتلكها » (التثنية ١٢ : ١) . وجاء فيه « فلما صرخنا إلى الرب إله آبائنا سمع صوتنا » (التثنية ٢٦ : ٧) .

ثم لم يلبث أن أصبح الله معروفاً فى التوراة بأنه إله العبرانيين جميعاً ، أو إله بنى إسرائيل أو إله إسرائيل ، أو إله بنى يعقوب ، أو إله يعقوب . وقد ترددت هذه العبارات بكثرة فى أسفار التوراة كلها . وقد وضح من طريقة استخدامها فى كل موضع من المواضع أن المقصود بها أن الله هو إله اليهود وحدهم دون سائر الشعوب ، إذ جاء فى سفر الخروج « وقال الله أيضاً لموسى .. تدخل أنت وشيوخ بنى إسرائيل إلى مصر وتقولون له الرب إله العبرانيين التقانا » (الخروج ٣ : ١٥و١٨) . وجاء فيه « دخل موسى وهارون وقالا لفرعون هكذا يقول الرب إله إسرائيل أطلق شعبى ليعيدوا لى فى البرية . . إله العبرانيين قد التقانا فنذهب . . ونذبح للرب إلهنا » (الخروج ٥ : ١ — ٥) . وجاء فيه « ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو . . ورأوا إله إسرائيل » (الخروج ٢٤ : ٩و١٠) . وجاء فيه « ثلاث مرات فى السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب إله إسرائيل » (الخروج ٣٤ : ٢٣) . وجاء فيه « قال موسى لقورح اسمعوا يابنى لاوى ، أقليل عليكم أن إله إسرائيل أفرزكم من جماعة إسرائيل ليقربكم إليه ؟ » (العدد ١٦ : ٨و٩) . وجاء فى سفر يشوع « ما هذه الخيانة التى خنتم بها إله إسرائيل بالرجوع اليوم عن الرب ؟ » (يشوع ٢٢ : ١٦) . وجاء فى سفر صموئيل « فأجاب عالى وقال اذهبى بسلام وإله إسرائيل يعطيك سؤلك » (صموئيل الأول ١ : ١٧) . وجاء فيه « ولما رأى أهل أشدود الأمر كذلك قالوا لا يمكث تابوت إله اسرائيل عندنا » (صموئيل الأول ٥ : ٧) . وجاء فيه « أعطوا إله إسرائيل مجداً لعله يخفف يده عنكم » (صموئيل الأول ٦ : ٥) وجاء فى سفر الملوك « ووقف سليمان أمام مذبح الرب . . وبسط يديه إلى السماء وقال أيها الرب إله إسرائيل ليس إله مثلك فى السماء من فوق ولا على الأرض من أسفل . .

والآن أيها الرب إله إسرائيل احفظ لعبدك دواد ما كلمته به . . يا إله إسرائيل فليتحقق كلامك الذى كلمت به عبدك داود أبى » (الملوك الأول ٨ : ٢٢ — ٢٦) . وجاء فى سفر أخبار الأيام « قال داود مبارك أنت أيها الرب إله إسرائيل » . (أخبار الأيام ٢٩ : ١٠) .

وجاء فى سفر عزرا « قام يشوع بن يوصاداق وإخوته الكهنة . . وبنوا مذبح إله إسرائيل » (عزرا ٣ : ٢) وجاء فيه « فتنبأ النبيان حجى النبى وزكريا بن عدو لليهود الذين فى يهوذا وأورشليم باسم إله إسرائيل عليهم » (عزرا ٥ : ١) . وجاء فيه « وكان شيوخ اليهود يبنون وينجحون . . فبنوا وأكملوا حسب أمر إله إسرائيل » (عزرا ٦ : ٢٤) . وجاء فيه « وبنو السبى القادمون من السبى قربوا محرقات لإله إسرائيل » (عزرا ٨ : ٣٥) . وجاء فى سفر المزامير « الأرض ارتعدت .. من وجه الله إله إسرائيل » (المزمور ٦٨ : ٨) وجاء فيه « إله إسرائيل هو المعطى قوة وشدة للشعب » . (المزمور ٦٨ : ٣٥) وجاء فيه « مبارك الرب الله إله إسرائيل الصانع العجائب وحده » (المزمور ٧٢ : ١٨) . وجاء فى سفر إشعياء « يقدسون قدوس يعقوب ويرهبون إله إسرائيل » (إشعياء ٢٩ : ٢٣) . وجاء فيه « أعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابىء لكى تعرف أنى أنا الرب الذى يدعوك باسمك إله إسرائيل » (اشعياء ٤٥ : ٣) . وجاء فيه « اسمعوا هذا يا بيت يعقوب المدعوين باسم إسرائيل . . الذين يذكرون إله إسرائيل ليس بالصدق ولا بالحق » (إشعياء ٤٨ : ١) . وجاء فى سفر حزقيال « وإذا مجد إله إسرائيل هناك » (حزقيال ٨ : ٤) وجاء فيه « ومجد إله إسرائيل صعد عن الكروب » (حزقيال ٩ : ٣) .

وكما كان الله معروفاً بأنه إله اليهود ، كان معروفاً كذلك بأنه إله أرض اليهود ، إذ جاء فى سفر الملوك « وأتى ملك آشور بقوم من بابل وكوث وعوا وحماه وسفروايم وأسكنهم فى مدن السامرة عوضاً عن بنى إسرائيل ، فامتلكوا السامرة وسكنوا فى مدنها . وكان فى ابتداء سكنهم هناك أنهم لم يتقوا الرب فأرسل الرب عليهم السباع فكانت تقتل منهم ، فكلموا ملك آشور قائلين إن الامم الذين سبيتهم وأسكنتهم فى مدن السامرة لا يعرفون قضاء إله الأرض فأرسل عليهم السباع فهى تقتلهم لأنهم لا يعرفون قضاء إله الأرض ، فأمر ملك آشور قائلا ابعثوا إلى هناك

واحداً من الكهنة الذين سبيتموهم من هناك فيذهب ويسكن هناك ويعلمهم قضاء إله الأرض ، فأتى واحد من الكهنة الذين سبقوهم من السامرة وسكن فى بيت إيل وعلمهم كيف يتقون الرب » (الملوك الثانى ١٧ : ٢٤ — ٢٨) .

ولما كان الله فى التوراة هو إله اليهود وحدهم ، فاليهود فيه هم وحدهم شعب الله، وهم شعبه المختار دون غيرهم من شعوب الأرض ، وقد ميزهم من سائر الشعوب وأحبهم كما يحب الأب ابنه البكر . إذ جاء فى سفر الخروج « قال الرب لموسى . . فتقول لفرعون هكذا يقول الرب : إسرائيل ابنى البكر . فقلت لك أطلق ابنى ليعبدنى فأبيت أن تطلقه . ها أنا أقتل ابنك البكر » (الخروج ٤ : ٢١ و ٢٢) — « ثم كلم الله موسى وقال له . . أنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين . . وأتخذكم لى شعباً وأكون لكم إلها ، فتعلمون أنى أنا الرب إلهكم » (الخروج ٦ : ٢ — ٩) — « وقال موسى هكذا يقول الرب : إلى نحو نصف الليل أخرج فى وسط مصر فيموت كل بكر فى مصر . . ولكن جميع بنى إسرائيل لا يسنن كلب لسانه إليهم . . لكى تعلموا أن الرب يميز بين المصريين وإسرائيل » (الخروج ١١ : ٤ — ٨) . — « وأما موسى فصعد إلى الله ، فناداه الرب من الجبل قائلا هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بنى إسرائيل . أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين ، وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إلى ، فالآن إن سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب . فإن لى كل الأرض وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة » (الخروج ١٩ : ٣ — ٦) — « وأسكن فى وسط بنى إسرائيل وأكون لهم إلهاً ، فيعلمون أنى أنا الرب إلههم الذى أخرجهم من أرض مصر لأسكن فى وسطهم . أنا الرب إلههم » (الخروج ٢٩ : ٤٥ و ٤٦) « وقال موسى للرب . . إن هذه الأمة شعبك ، فإنه بماذا يعلم أنى وجدت نعمة فى عينيك أنا وشعبك ؟ أليس بمسيرك معنا فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ؟ » (الخروج ٣٣ : ١٢ - ١٧) وجاء فى سفر اللاويين « كلم الرب موسى قائلا : وتقول لبنى إسرائيل .. تكونون لى قديسين لأنى قدوس أنا الرب. وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لى » (اللاويين ٢٠ : ١ و ٢٦) . وجاء فى سفر التثنية « هذا هو الكلام الذى كلم به موسى جميع إسرائيل . . أنتم قد أخذكم الرب وأخرجكم من كور الحديد من مصر لكى تكونوا له شعب ميراث » (التثنية ١ : ١ ، ٤ : ٢٠) — « ولأجل أنه أحب آباءك واختار

نسلهم من بعدهم أخرجك بحضرته بقوته العظيمة من مصر لكى يطرد من أمامك شعوباً أكبر وأعظم منك ويأتى بك ويعطيك أرضهم نصيبا » (التثنية ٤ : ٣٧و٣٨) ـ «لذلك أنت شعب مقدس للرب إلهك . إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض . ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب ، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذى أقسم لآبائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية ، من يد فرعون ملك مصر » (التثنية ٧ : ٦ — ٨) . - « الرب إنما التصق بآبائك ليحبهم فاختار من بعدهم نسلهم الذى هو أنتم فوق جميع الشعوب » (التثنية ١٠ : ١٥) . - « أنتم أولاد للرب إلهكم . . لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك الرب لكى تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض» (التثنية ١٤ : ١ و ٢) . - « وواعدك الرب اليوم أن تكون له شعباً خاصاً كما قال لك . . وأن يجعلك مستعلياً على جميع القبائل التى عملها فى الثناء والاسم والبهاء وأن تكون شعباً مقدساً للرب إلهك كما قال » (التثنية ٢٦ : ١٨ و ١٩) . — « ثم كلم موسى والكهنة اللاويون جميع إسرائيل قائلين « أنصت واسمع يا إسرائيل . اليوم صرت شعباً للرب إلهك » (التثنية ٢٧ : ٩) . — « إن قسم الرب هو شعبه . يعقوب حبل نصيبه . . أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه ، كما يحرك النسر عشه وعلى فراخه يرف ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه ، هكذا الرب وحده اقتاده » (التثنية ٣٢ : ٩ — ١٢) . وجاء فى سفر صموئيل « فدخل الملك داود وجلس أمام الرب وقال . . قد عظمت أيها الرب الإله لأنه ليس مثلك وليس إله غيرك . . وأية أمة على الأرض مثل شعبك إسرائيل الذى سار الله ليفتديه لنفسه شعبا ويجعل له اسما ويعمل لكم العظائم والتخاويف لأرضك أمام شعبك الذى افتديته لنفسك من مصر . . وثبت لنفسك شعبك إسرائيل شعبا لنفسك إلى الأبد وأنت يارب صرت لهم إلها » (صموئيل الثانى ٧ : ١٨ و ٢٢ — ٢٤) . وجاء فى سفر الملوك « ووقف سليمان أمام مذبح الرب تجاه كل جماعة إسرائيل وبسط يديه إلى السماء وقال أيها الرب إله إسرائيل . . اغفر لشعبك ما أخطأوا به إليك . . لأنهم شعبك وميراثك الذين أخرجت من مصر من وسط كور الحديد . . لأنك أنت أفرزتهم لك ميراثا من جميع شعوب الأرض كما تكلمت عن يد موسى عبدك» (الملوك الأول ٨ : ٢٢و

٢٣ و ٥٠ - ٥٣) وجاء فى المزامير « معونتى من عند الرب . . لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل» (المزمور ١٢١ : ٢ و ٥) وجاء فى سفر إرميا « هكذا قال الرب . . سبحوا وقولوا خلص يارب شعبك بقية إسرائيل . . ها أنذا آتى بهم من أرض الشمال وأجمعهم من أطراف الأرض . . لأنى صرت لإسرائيل أبا وأفرايم هو بكرى » (إرميا ٣١ : ٧ - ٩) . وقد ذكرت التوراة أن اليهود ماداموا شعب الله فهم شعب مقدس ، إذ جاء فى سفر العدد « إن الجماعة بأسرها متقدسة وفى وسطها الرب » (العدد ١٦ : ٣) . وجاء فى سفر التثنية . « أنت شعب مقدس للرب إلهك » (التثنية ٧ : ٦) . وجاء فيه « يقيمك الرب لنفسة شعبا مقدسا » (التثنية ٢٨ : ٩) ، وقال عزرا فى سفره « تقدم إلى الرؤساء قائلين لم ينفصل شعب إسرائيل والكهنة اللاويون من شعوب الأراضى حسب رجاساتهم، من الكنعانيين والحثيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين والموآبيين والمصريين والأموريين ، لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم ، واختلط الزرع المقدس بشعوب الأراضى » (عزرا ٩ : ١ و ٢) وسوف نرى عند شرح العقيدة المسيحية أن اختيار الله لليهود كى يعلن لهم نفسه دون سائر الشعوب ويعتبرهم شعبا مقدساً له ، لم يكن لأنهم أمة عظيمة أو لأنهم أمة فاضلة ، إذ أنهم كانوا على العكس أحقر الشعوب وأكثرها رذيلة وشراً ، وإنما اختارهم بحكمته الإلهية ليظهر من بينهم المسيح الفادى ، إذ كان ينبغى لإتمام الفداء أن يموت المسيح مقتولا فوق الصليب على يد شعب شرير أعمى البصيرة غليظ القلب ، وقد كان هذا هو الشعب اليهودى .

بيد أنه على الرغم من أن الله قد أعلن نفسه لليهود دون غيرهم باعتبار أنه إلههم وباعتبار أنهم شعبه ، فقد كانوا شعباً « غليظ الرقبة » كما كان يقول الله عنهم ، فكانوا لا يؤمنون به ، وكانوا حتى إذا آمنوا به سرعان ما يتمردون عليه ويعودون إلى عبادة الأصنام . ولذلك كان لا يفتأ يصنع أمامهم المعجزات التى تقنعهم بقوته وقدرته ، وتدفعهم إلى التمسك بالولاء له ، حتى يظل هو إلههم ويظلون هم شعبه ، إذ جاء فى سفر الخروج « فأجاب موسى وقال ولكن ها هم لا يصدقوننى ولا يسمعون لقولى ، بل يقولون لم يظهر لك الرب . فقال له الرب ما هذه فى يدك ، فقال عصاً ، فقال اطرحها إلى الأرض فطرحها إلى الأرض فصارت حية فهرب موسى منها ، ثم قال الرب لموسى مد يدك وامسك بذنبها فمد يده وأمسك به فصارت عصا فى يده ، لكى يصدقوا

أنه قد ظهر لك الرب إله آبائهم ، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب » (الخروج ٤ : ١ — ٥) .

« ثم مضى موسى وهارون وجمعا جميع شيوخ بنى إسرائيل . فتكلم هارون بجميع الكلام الذى كلم الرب موسى به ، وصنع الآيات أمام عيون الشعب فآمن الشعب » (الخروج ٤ : ٢٩ و ٣٠) ـ « فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جداً . . فقال الرب لموسى . . ارفع أنت عصاك ومد يدك على البحر وشقه فيدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة . . ومد موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء فدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة . . وتبعهم المصريون . . فقال الرب لموسى مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين . . فمد موسى يده على البحر فرجع البحر . . فدفع الرب المصريين فى وسط البحر . . ونظر إسرائيل المصريين أمواتا على شاطىء البحر ، ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذى صنعه الرب بالمصريين ، فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب » (الخروج ١٤ : ١٠ - ٣١ ـ « ثم ارتحلوا من إيليم وأتى كل جماعة بنى إسرائيل إلى برية صين .. فتذمر كل جماعة بنى إسرائيل على موسى وهارون فى البرية وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع . . فكلم الرب موسى قائلا سمعت تذمر بنى إسرائيل . كلمهم قائلا فى العشية تأكلون لحما وفى الصباح تشبعون خبزاً ، وتعلمون أنى أنا الرب إلهكم . . فكان فى المساء أن السلوى (نوع من الطيور) صعدت وغطت المحلة » (الخروج ١٦ : ١ — ١٣) . وجاء فى سفر التثنية « هذا هو الكلام الذى كلم به موسى جميع إسرائيل . . فاسأل عن الأيام الأولى التى كانت قبلك من اليوم الذى خلق الله فيه الإنسان على الأرض ومن أقصاء السماء إلى أقصائها هل جرى مثل هذا الأمر العظيم ، أو هل سمع نظيره ؟ هل سمع شعب صوت الله يتكلم من وسط النار كما سمعت أنت وعاش ؟ أو هل شرع الله أن يأتى ويأخذ لنفسه شعباً من وسط شعب بتجارب وآيات وعجائب وحرب ويد شديدة وذراع رفيعة ومخاوف عظيمة مثل كل ما فعل لكم الرب إلهكم فى مصر أمام أعينكم ؟ إنك قد أريت لتعلم أن الرب هو الإله ليس آخر سواه » (التثنية ١ : ١ ، ٤ : ٣٢ — ٣٥) . وجاء فى سفر الملوك « فتقدم إيليا إلى جميع الشعب وقال حتى متى تعرجون

بين الفرقتين ؟ إن كان الربّ هو الله فاتبعوه ، وإن كان البعل فاتبعوه . . أنا بقيت نبيا للرب وحدى وأنبياء البعل اربعمائة وخمسون رجلا ، فليعطونا ثورين فيختاروا لأنفسهم ثوراً واحداً ويقطعوه ، ويضعوه على الحطب . . وأنا أقرب الثور الآخر وأجعله على الحطب ونكن لا أضع نارا ، ثم تدعون باسم آلهتكم وأنا أدعو باسم الرب ، والإله الذى يجيب بنار فهو الله . . فأخذوا الذى أعطى لهم وقربوه ودعوا باسم البعل من الصباح إلى الظهر قائلين يا بعل أجبنا فلم يكن صوت ولا مجيب . . ثم أخذ إيليا اثنى عشر حجراً بعدد أسباط بنى يعقوب الذى كان كلام الرب إليه قائلا: إسرائيل يكون اسمك . وبنى الحجارة مذبحاً باسم الرب .. وكان عند إصعاد التقدمة أن إيليا النبى تقدم وقال أيها الرب إله إبراهيم وإسحق وإسرائيل ليعلم اليوم أنك أنت الله فى إسرائيل وأنى أنا عبدك وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور ، استجبنى يارب ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله . . فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة . . فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا الرب هو الله ، الرب هو الله » (الملوك الأول ١٨ : ٢١ - ٣٩) .

وإذ أعلن الله نفسه لليهود وطلب منهم الإيمان به والاعتماد عليه واللجوء فى كل أمورهم إليه ، نهاهم عن أن يلجأوا إلى غيره من الآلهة الوثنية أو الجن والشياطين ، ولا سيما عن طريق السحر ، والعرافة أى التنبؤ بالمستقبل عن طريق التطلع إلى النجوم أو فحص الكبد أو قراءة الكف وما إلى ذلك ، وقضاء الحاجات عن طريق التعزيم أو الرقية وما فى حكم ذلك من الوسائل الشريرة ، إذ قال « لاتدع ساحرة تعيش » (الخروج ٢٢ : ١٨) . وقال « لا تتفاءلوا ولا تعيفوا . . ولا تجرحوا أجسادكم لميت ، وكتابة وسم لا تجعلوا فيكم . . لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم . أنا الرب إلهكم » (اللاويين ١٩ : ٢٦ — ٣٠) . وقال « والنفس التى تلتفت إلى الجان وإلى التوابع لتزنى وراءهم أجعل وجهى ضد تلك النفس وأقطعها من شعبها » (اللاويين ٢٠ : ٦) . وقال « إذا كان فى رجل أو امرأة جان أو تابعة فإنه يقتل . بالحجارة ترجمونه » (اللاويين ٢٠ : ٢٧) . وقال « لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار ، ولا من يعرف عرافة ، ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جاناً أو تابعة ، ولا من يستشير الموتى ، لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب » (التثنية ١٨ : ٩ - ١٤) .

وقد عقد الله العهود والمواثيق مع اليهود ليظلوا على إيمانهم به وولائهم له وطاعتهم لشريعته، واعداً إياهم إذا فعلوا ذلك بأن يكفل لهم أرضاً يسكنونها وخيراً يتمتعون به وسلاماً يطمئنون فى ظله وبركة تشمل كل مقتنياتهم ومقومات حياتهم، فإن لم يفعلوا ذلك نذرهم بأن يقضى عليهم ويشرد من تبقى منهم فى كل أنحاء الأرض ويعطيهم بدل الخير شراً، وبدل السلام حرباً، وبدل الطمأنينة فزعاً، وبدل البركة لعنة. إذ جاء فى سفر التكوين « قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلا لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » (التكوين ١٥ : ١٨). — « وقال له ..سر أمامى وكن كاملا فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيراً جداً .. وأجعلك أمماً. وملوك منك يخرجون . وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك .. لأكون إلهاً لك ولنسلك .. وأعطى لك ولنسلك بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكا أبدياً، وأكون إلههم . . وأما أنت فتحفظ عهدى أنت ونسلك من بعدك فى أجيالهم . . هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر .. فيكون علامة عهد بينى وبينكم . . ابن ثمانية أيام يختتن منكم كل ذكر فى أجيالكم . . فيكون عهدى فى لحمكم عهداً أبدياً . وأما الذكر الأغلف الذى لا يختتن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها . إنه قد نكث عهدى » (التكوين ١٧ : ١ - ١٤). وجاء فيه « فذهب إسحق .. إلى جرار .. وظهر له الرب وقال . . تغرب فى هذه الأرض فأكون معك وأباركك لأنى لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد وأنى بالقسم الذى أقسمت لابراهيم أبيك » (التكوين ٢٦ : ٢ - ٣). وجاء فيه « ظهر الله ليعقوب . . وقال له . . أثمر وأكثر . أمة وجماعة أمم تكون منك . وملوك سيخرجون من صلبك . والأرض التى أعطيت إبراهيم وإسحق لك أعطيها . ونسلك من بعدك أعطى الأرض » (التكوين ٣٥ : ٩ - ١٥) . وجاء فى سفر الخروج « وحدث فى تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات وتنهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا . فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب » (الخروج ٢ : ٢٣ و٢٤). وجاء فيه « ثم كلم الله موسى وقال .. أقمت معهم عهدى أن أعطيهم أرض كنعان » (الخروج ٦ : ٢ - ٩). وجاء فيه « فيحفظ بنو إسرائيل السبت ليصنعوا السبت فى أجيالهم عهداً أبدياً . هو بينى وبين بنى إسرائيل

علامة إلى الأبد» (الخروج ٣١ : ١٦ و١٧) . وجاء فيه « فنزل الرب فى السحاب .. فأسرع موسى وخر إلى الأرض وسجد .. فقال ها أنا قاطع عهداً قدام جميع شعبك أفعل عجائب لم تخلق فى كل الأرض وفى جميع الأمم» (الخروج ٣٤ : ٥ و٨ و١٠) وجاء فيه « قال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات لأننى بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل . وكان (موسى) هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء ، فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر » (الخروج ٣٤ : ٢٧ و٢٨) . وجاء فى سفر اللاويين « إذا سلكتم فى فرائضى وحفظتم وصاياى وعملتم بها أعطى مطركم فى حينه وتعطى الأرض غلتها وتعطى أشجار الحقل ثمارها ، ويلحق دراسكم بالقطاف ، ويلحق القطاف بالزرع ، فتأكلون خبزكم للشبع وتسكنون فى أرضكم آمنين ، وأجعل سلاماً فى الأرض فتنامون وليس من يزعجكم . . ولا يعبر سيف فى أرضكم ، وتطردون أعداءكم فيسقطون أمامكم بالسيف . . وألتفت إليكم وأثمركم وأكثركم وأفى ميثاقى معكم . . وأجعل مسكنى فى وسطكم . . وأكون لكم إلهاً وأنتم تكونون لى شعباً . لكن إن لم تسمعوا لى وتعملوا كل هذه الوصايا ، وإن رفضتم فرائضى وكرهت أنفسكم أحكامى فما عملتم كل وصاياى بل نكثتم ميثاقى ، فإنى أعمل هذه بكم : أسلط عليكم رعباً . . وتزرعون باطلاً زرعكم فيأكله أعداؤكم . وأجعل وجهى ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم . . . وأرضكم لا تعطى غلتها وأشجار الأرض لا تعطى ثمارها .. وأصير مدنكم خربة ومقادسكم موحشة .. وأذريكم بين الأمم .. فتهلكون بين الشعوب » (اللاويين ٢٦ : ٣ - ٣٨) . وجاء فى سفر التثنية « إحترزوا من أن تنسوا عهد الرب إلهكم الذى قطعه معكم وتصنعوا لأنفسكم تمثالا منحوتاً ، صورة كل مانهاك عنه الرب إلهك » (التثنية ٤ : ٢٣) . وجاء فيه « الرب إلهك إله رحيم لا يتركك ولا يهلكك ولا ينسى عهد آبائك الذى أقسم لهم عليه » (التثنية ٤ : ٣١) . وجاء فيه « دعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم .. الرب إلهنا قطع معنا عهداً فى حوريب . ليس مع آبائنا قطع الرب هذا العهد ، بل معنا نحن الذين هنا اليوم جميعنا أحياء » (التثنية ٥ : ١ - ٤) . وجاء فيه « فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان الذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل ، والمجازى الذين يبغضونه بوجوههم ليهلكهم ، لا يمهل من يبغضه . فاحفظ الوصايا

والفرائض والأحكام التى أنا أوصيك اليوم لتعملها . ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها يحفظ لك الرب إلهك العهد والإحسان اللذين أقسم لآبائك ، ويحبك ويباركك ويكثرك ويبارك ثمرة بطنك وثمرة أرضك ، قمحك وخبزك وزيتك ونتاج بقرك وإناث غنمك .. مباركا تكون فوق جميع الشعوب.. وإن نسيت الرب إلهك وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لها أشهد عليكم اليوم أنكم تبيدون لامحالة .. لأجل أنكم لم تسمعوا لقول الرب إلهكم » (التثنية ٧ : ٩ — ١٤ ، ٨ : ١٩ و٢٠) . وجاء فيه « اسمع يا إسرائيل . أنت اليوم عابر الأردن لكى تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك ... لا تقل فى قلبك حين ينفيهم الرب إلهك من أمامك قائلا لأجل برى أدخلنى الرب لأمتلك هذه الأرض .. ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم ، بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب من أمامك ، ولكى يفى بالكلام الذى أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب . فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة » (التثنية ٩ : ١ — ٦) .

وجاء فيه « دعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم . . أنتم واقفون اليوم جميعكم أمام الرب إلهكم .. لكى تدخل فى عهد الرب إلهك وقسمه الذى يقطعه الرب إلهك معك اليوم . لكى يقيمك اليوم لنفسه شعباً وهو يكون لك إلها كما قال لك وكما حلف لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب . وليس معكم وحدكم أقطع أنا هذا العهد وهذا القسم ، بل مع الذى هو ها هنا معنا واقفاً اليوم أمام الرب إلهنا ومع الذى ليس هنا معنا اليوم . . لئلا يكون فيكم رجل أو امرأة أو عشيرة أو سبط قلبه اليوم منصرف عن الرب إلهنا . . فتحل عليه كل اللعنات المكتوبة فى هذا الكتاب ويمحو الرب اسمه من تحت السماء . . ويقول جميع الأمم لماذا فعل الرب هكذا بهذه الأرض . . فيقولون لأنهم تركوا عهد الرب إله آبائهم الذى قطعه معهم حين أخرجهم من أرض مصر » (التثنية ٢٩ : ١ و١٠ — ٢٦) . وجاء فيها « قال الرب لموسى ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الأجنبيين فى الأرض التى هو داخل إليها فيما بينهم ويتركنى وينكث عهدى الذى قطعته معه فيشتعل غضبى عليه » (التثنية ٣١ : ١٦ و١٧) . وقد تحقق ما قاله الله ، إذ سرعان ما نكث اليهود عهودهم معه ، ونقضوا مواثيقهم التى أبرموها بينهم وبينه ، ولم يفتأوا فى كل عهودهم يتمردون على

شريعته ويعبدون آلهة غيره ، فاشتعل غضبه عليهم واستحقوا لعنته ونقمته .

وقد أمر الله اليهود حين كانوا فى الصحراء بإقامة خيمة يعبدونه فيها ، ووصف لهم أجزاءها ومحتوياتها وصفاً دقيقاً استغرق سبعة فصول كاملة فى سفر الخروج وهى الفصول من الخامس والعشرين إلى الحادى والثلاثين ، وهى تبدأ بقول الله لموسى « كلم بنى إسرائيل أن يأخذوا لى تقدمه من كل من يحثه قلبه تأخذون تقدمتى . وهذه هى التقدمة التى تأخذونها منهم : ذهب وفضة ونحاس وأسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص وشعر معزى وجلود كباش محمرة وجلود تخس وخشب سنط وزيت للمنارة وأطياب لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدرة فيصنعون لى مقدساً لأسكن فى وسطهم . بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون » (الخروج ٢٥ : ١ — ٩) . وقد عين الله أشخاصاً بأسمائهم لصنع الخيمة — التى سماها خيمه الاجتماع — ومحتوياتها . إذ قال لموسى « قد دعوت بصلئيل بن أورى بن حور من سبط يهوذا باسمه وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صفة لاختراع مخترعات ليعمل فى الذهب والفضة والنحاس ونقش الحجارة للترصيع ونجارة الخشب ليعمل فى كل صنعة . وها أنا قد جعلت معه أهولياب بن أخيساماك من سبط دان . فى قلب كل حكيم القلب جعلت حكمة ليصنعوا كل ما أمرتك به . خيمة الاجتماع وتابوت الشهادة والغطاء الذى عليه وكل آنية الخيمة والمائدة وآنيتها والمنارة الطاهرة وكل آنيتها ومذبح البخور ومذبح المحرقة وكل آنيته والمرحضة وقاعدتها والثياب المنسوجة المقدسة لهارون الكاهن وثياب بنيه للكهانة ، ودهن المسحة والبخور العطر للقدس ، حسب كل ما أمرتك به يصنعون » (الخروج ٣١ : ١ — ١١) .

وقال الله لموسى « أما المسكن فتصنعه من عشر شقق بوص مبروم وأسمانجونى وأرجوان وقرمز بكروبيم صنعة حائك حاذق تصنعها .. وتصنع شققاً من شعر معزى خيمة على المسكن . إحدى عشرة شقة تصنعها .. وتصنع غطاء للخيمة من جلود كباش محمرة ، وغطاء من جلود تخس من فوق . وتصنع الألواح من خشب السنط قائمة .. وتصنع عوارض من خشب السنط .. وتغشى الألواح بالذهب .. وتغشى العوارض بالذهب ، وتقيم المسكن كرسمه الذى أظهر لك فى الجبل . . وتصنع حجاباً من

أسما نجونى وأرجوان وقرمز وبوص مبروم .. وتجعله على أربعة أعمدة من سنط مغشاة بذهب. رززها من ذهب على أربع قواعد من فضة . وتدخل إلى هناك داخل الحجاب تابوت الشهادة ، فيفصل لكم الحجاب بين القدس وقدس الأقداس ، وتجعل الغطاء على تابوت الشهادة فى قدس الأقداس . وتضع المائدة خارج الحجاب والمنارة مقابل المائدة على جانب المسكن نحو اليمين ، وتجعل المائدة على جانب الشمال ، وتصنع سجفاً لمدخل الخيمة من أسمانجونى وأورجوان وقرمز وبوص مبروم صنعة الطراز . وتصنع للسجف خمسة أعمدة من وسط وتغشيها بذهب . رززها من ذهب وتسبك لها خمس قواعد من نحاس » . (الخروج ٢٦ : ١ — ٣٧) . وقال له « فيصنعون تابوتاً من خشب السنط .. وتغشيه بذهب نقى . من داخل ومن خارج تغشيه . وتصنع عليه إكليلا من ذهب حواليه . . وتصنع غطاء من ذهب نقى .. وتصنع كروبين (أى ملاكين) من ذهب .. كروباً واحداً على الطرف من هنا ، وكروباً آخر على الطرف من هناك .. ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق مظللين بأجنحتهما على الغطاء ووجهاهما كل واحد إلى الآخر . . وفى التابوت تضع الشهادة التى أعطيك . . وتصنع مائدة من خشب السنط . . وتغشيها بذهب نقى ، وتصنع لها إكليلا من ذهب حواليها . . وتضع صحافها وصحونها وكاساتها وجاماتها التى يسكب بها . من ذهب نقى تصنعها . وتجعل على المائدة خبز الوجوه أمامى دائما . . وتصنع منارة من ذهب نقى . . وست شعب خارجة من جانبيها . . فى الشعبة الواحدة ثلاث كاسات لوزية . . وفى المنارة أربع كاسات لوزية . . وتصنع سرجها سبعة . . وملاقطها ومنافضها من ذهب نقى . . فاصنعها على مثالها الذى أظهر لك فى الجبل » (الخروج ٢٥ : ١٠ — ٤٠).

وقال له « تصنع المذبح من خشب السنط . . وتغشيه بنحاس . . جميع آنيته تصنعها من نحاس .. وأنت تأمر بنى إسرائيل أن يقدموا إليك زيت زيتون مرضوض نقياً للضوء لإصعاد السرج دائماً . فى خيمة الاجتماع خارج الحجاب الذى أمام الشهادة يرتبها هارون وبنيه من المساء إلى الصباح أمام الرب فريضة دهرية فى أجيالهم من بنى إسرائيل » . (الخروج ٢٧ : ١ — ٢١) .

وقال له « تصنع مذبحاً لإيقاد البخور من خشب السنط . . وتغشيه بذهب نقى .. وتصنع له إكليلا من ذهب حواليه . . فيوقد عليه هارون بخوراً عطراً كل صباح . . بخوراً دائماً أمام الرب فى كل أجيالكم . . وتصنع مرحضة من نحاس وقاعدتها من

نحاس للاغتسال وتجعلها بين خيمة الاجتماع والمذبح وتجعل فيها ماء فيغسل هارون وبنوه أيديهم وأرجلهم منها . عند دخولهم خيمة الاجتماع يغسلون بماء لئلا يموتوا .. وأنت تأخذ لك أفخر الأطياب، مراً قاطراً خمسمائة شاقل وقرفة عطرة نصف ذلك مائتين وخمسين ، وقصب الذريرة مائتين وخمسين ، وسليخة خمسمائة بشاقل القدس . ومن زيت الزيتون هيناً ، وتصنعه دهناً مقدساً للمسحة . عطر عطارة صنعة العطار .. وتمسح به خيمة الاجتماع وتابوت الشهادة والمائدة وكل آنيتها ، والمنارة وآنيتها ، ومذبح البخور ومذبح المحرقة وكل آنيته ، والمرحضة وقاعدتها .. وتمسح هارون وبنيه وتقدسهم ليكهنوا لى ، وتكلم بنى إسرائيل قائلا يكون هذا لى دهناً مقدساً للمسحة فى أجيالكم . على جسد إنسان لا يسكب ، وعلى مقاديره لا تصنعوا مثله . . وقال الرب لموسى . . خذ لك أعطاراً : ميعة وأظفارا وقنة عطرة ولباناً نقيا تكون أجزاء متساوية ، فتصنعها بخورا عطرا صنعة العطار ، مملحا نقيا مقدسا ، وتسحق منه ناعما . وتجعل منه قدام الشهادة فى خيمة الاجتماع حيث أجتمع بك . والبخور الذى تصنعه على مقاديره لا تصنعوا لأنفسكم . . يكون عندك مقدسا للرب » (الخروج ٣٠ : ١ — ٣٨) . هذه بعض العبارات التى وردت فى وصف الله لخيمة الاجتماع ومحتوياتها كما جاءت فى التوراة . وأما النص الكامل فيتضمن تحديدا مفصلا ودقيقا لأوصاف كل هذه الأشياء وأحجامها وأطوالها والمواد المصنوعة منها وكيفية استخدامها والأماكن التى ينبغى أن توضع فيها . وقد ظلت خيمة الاجتماع بكل محتوياتها هى المكان الوحيد الذى يقيم فيه اليهود طقوس عبادتهم لله ، حتى اعتزم الملك داود بناء هيكل أورشليم على المثال الذى قال إن الله أراه إياه ، ثم قام ابنه سليمان بتنفيذ ذلك وبنى الهيكل على ذلك المثال .

وقد جاء عن ذلك فى سفر أخبار الأيام « جمع داود كل رؤساء إسرائيل .. وقال اسمعونى يا إخوتى وشعبى . كان فى قلبى أن أبنى بيت قرار لتابوت عهد الرب ولموطئ قدمى إلهنا ، وقد هيأت البناء ، ولكن الله قال لى لا تبنى بيتا لاسمى لأنك أنت رجل حروب وقد سفكت دما . . وقال لى إن سليمان ابنك هو يبنى بيتى .. وأعطى داود سليمان ابنه مثال الرواق وبيوته وخزائنه وملابسه ومخادعه الداخلية وبيت الغطاء ومثال كل ما كان عنده بالروح لديار بيت الرب ولجميع المخادع حواليه ولخزائن بيت الله ولخزائن الأقداس ولفرق الكهنة واللاويين ولكل عمل خدمة بيت الرب ولكل

آنية خدمة بيت الرب . فمن الذهب بالوزن لما هو من ذهب لكل آنية خدمة فخدمة ، ولجميع آنية الفضة فضة بالوزن لكل آنية خدمة فخدمة . وبالوزن لمنائر الذهب . وسرجها من ذهب بالوزن لكل منارة فمنارة وسرجها وللمنائر الفضة بالوزن لكل منارة وسرجها حسب خدمة منارة فمنارة وذهبا بالوزن لموائد خبز الوجوه لكل مائدة فمائدة ، وفضة لموائد الفضة . وذهبا خالصا للمناشل والمناضح والكئوس ، ولأقداح الذهب بالوزن وذهبا لمثال مركبة الكروبيم الباسطة أجنحتها المظللة تابوت عهد الرب. قد أفهمني الرب كل ذلك بالكتابة بيده على ، أى كل أشغال المثال » (أخبار الأيام الأول ٢٨ : ١ — ١٩) . وجاء فى سفر الملوك « كان فى السنة الاربعمائة والثمانين لخروج بنى إسرائيل من أرض مصر فى السنة الرابعة للملك سليمان على إسرائيل فى شهر زيو وهو الشهر الثانى أنه بنى البيت للرب . . بنى حيطان البيت من داخل بأضلاع أرز من أرض البيت إلى حيطان السقف . . وبنى داخله لأجل المحراب أى قدس الأقداس . . وهيأ محرابا فى وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب . . وغشاه بذهب خالص . . وغشى المذبح بأرز وغشى سليمان البيت من داخل بذهب خالص ، وسد بسلاسل من ذهب قدام المحراب وغشاه بذهب . وجميع البيت غشاه بذهب إلى تمام كل البيت وكل المذبح الذى للمحراب غشاه بذهب . وعمل فى المحراب كروبين من خشب الزيتون . . وجعل الكروبين فى وسط البيت الداخلى . . وغشى الكروبين بذهب . . وغشى أرض البيت بذهب من داخل ومن خارج . . وفى السنة الحادية عشرة فى شهر بول وهو الشهر الثامن أكمل البيت فى جميع أموره وأحكامه . . فبناه فى سبع سنين » (الملوك الأول ٦ : ١ — ٣٧) .

وقد خصص الله اللاويين — وهم سبط من أسباط اليهود الاثنى عشر — لخدمة خيمة الاجتماع والهيكل وخصص من بينهم هارون ونسله ليكونوا كهنة يقومون بطقوس العبادة فيهما ، إذ جاء فى سفر العدد « كلم الرب موسى قائلا قدم سبط لاوى وأوقفهم قدام هارون الكاهن وليخدموه ، فيحفظون شعائره وشعائر كل الجماعة قدام خيمة الاجتماع ويخدمون خدمة المسكن فيحرسون كل أمتعة خيمة الاجتماع وحراسة بنى إسرائيل ويخدمون خدمة المسكن ، فتعطى اللاويين لهارون وبنيه . إنهم موهوبون له هبة من عند بنى إسرائيل وتوكل هارون وبنيه فيحرسون كهنوتهم والأجنبى الذى يقترب يقتل . . إنى قد أخذت اللاويين من بين بنى إسرائيل بدل كل بكر فاتح رحم

من بنى إسرائيل ويكون اللاويون لى ، لأن لى كل بكر . يوم ضربت كل بكر فى أرض مصر قدست لى كل بكر فى إسرائيل من الناس والبهائم . لى يكونون . أنا الرب » (العدد ٣ : ٥ — ١٣) . وجاء فى سفر الخروج أن الله قال لموسى النبى « قرب إليك هارون أخاك وبنيه معه من بين بنى إسرائيل ليكهن لى . . واصنع ثياباً مقدسة لهارون أخيك للمجد والبهاء . وتكلم جميع حكماء القلوب الذين ملأتهم روح حكمة أن يصنعوا ثياب هارون لتقديسه ليكهن لى . وهذه هى الثياب التى يصنعونها : صدرة ورداء وجبة وقميص مخرم وعمامة ومنطقة .. فيصنعون الرداء من ذهب وأسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص مبروم صنعة حائك حاذق .. وزنار شده الذى عليه يكون منه كصنعته . من ذهب وأسمانجونى وقرمز وبوص مبروم . وتأخذ حجرى جزع وتنقش عليهما أسماء بنى إسرائيل .. محاطين بطوقين من ذهب .. وتضع الحجرين على كتفى الرداء . حجرى تذكار لبنى إسرائيل . فيحمل هارون أسماءهم أمام الرب على كتفيه للتذكار . وتصنع طوقين من ذهب وسلسلتين من ذهب نقى مجدولتين . . وتجعل سلسلتى الضفائر فى الطوقين . . وتصنع صدرة قضاء . . من ذهب وأسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص مبروم تصنعها . . وترصع فيها ترصيع حجر أربعة صفوف حجارة . . صف عقيق أحمر وياقوت أصفر وزمرد . . والصف الثانى بهرمان وياقوت أزرق وعقيق أبيض ، والصف الثالث عين الهر ويشم وجمشت ، والصف الرابع زبرجد وجزع ويشب . تكون مطوقة بذهب فى ترصيعها ، وتكون الحجارة على أسماء بنى إسرائيل .. وتكون للاثنى عشر سبطاً . . فيحمل هارون أسماء بنى إسرائيل فى صدرة القضاء . . وتجعل فى صدرة القضاء الأوريم والتميم . . وتصنع جبة الرداء كلها من الأسمانجونى . . وتصنع صفيحة من ذهب نقى .. لتكون على العمامة .. فيحمل هارون إثم الأقداس التى يقدسها بنى إسرائيل . . وتصنع العمامة من بوص .. ولبنى هارون تصنع أقمصة وتصنع لهم مناطق وتصنع لهم قلانس للمجد والبهاء . . وتمسحهم وتملأ أياديهم وتقدسهم ليكهنوا لى . وتصنع لهم سراويل من كتان . . فريضة أبدية له ولنسله من بعده » (الخروج ٢٨ : ١ — ٤٢) .

وقد طلب الله من اليهود أن يقدموا إليه الذبائح والقرابين بواسطة الكهنة ، وقد جاء عن ذلك فى سفر الخروج أن الله قال لموسى « هذا ما تقدمه على المذبح .. خروفان حوليان كل يوم دائماً . الخروف الواحد تقدمه صباحاً والخروف الثانى

تقدمه فى العشية ، وعشر من دقيق ملتوت بربع الهين من زيت الرض وسكيب ربع الهين من الخمر للخروف الواحد . والخروف الثانى تقدمه فى العشية . مثل تقدمة الصباح وسكيبه تصنع لى . رائحة سرور . وقود للرب . محرقة دائمة فى أجيالكم عند باب خيمة الاجتماع أمام الرب » (الخروج ٢٩ : ٣٨ — ٤١) ، وجاء فى سفر اللاويين « دعا الرب موسى وكلمه من خيمة الاجتماع قائلا كلم بنى إسرائيل وقل لهم إذا قرب إنسان منكم قرباناً للرب من البهائم ، فمن البقر والغنم تقربون قرابينكم . إن كان قربانه محرقة من البقر فذكراً صحيحاً يقربه إلى باب خيمة الاجتماع يقدمه للرضاعة أمام الرب ، ويضع يده على رأس المحرقة فيرضى عليه للتكفير عنه . ويذبح العجل أمام الرب ويقرب بنو هارون الكهنة الدم ويرشون الدم مستديراً على المذبح الذى لدى باب خيمة الاجتماع ويسلخ المحرقة ويقطعها إلى قطعها ، ويجعل بنو هارون الكاهن ناراً على المذبح ويرتبون حطباً على النار ، ويرتب بنو هارون الكهنة القطع مع الرأس والشحم فوق الحطب الذى على النار التى على المذبح . وأما أحشاؤه وأكارعه فيغسلها بماء ويوقد الكاهن الجميع على المذبح محرقة ، وقود رائحة سرور للرب .. وإن كان قربانه من الغنم . الضأن أو المعز محرقة ، فذكراً صحيحاً يقربه .. وإن كان قربانه للرب من الطير محرقة يقرب قربانه من اليمام أو من أفراخ الحمام .. وإذا قرب أحد قربان تقدمة للرب يكون قربانه من دقيق ويسكب عليها زيتاً ويجعل عليها لباناً . . وإذا قربت قربان تقدمة مخبوزة فى تنور تكون أقراصاً من دقيق فطيراً ملتوتة بزيت ورقاقاً فطيراً مدهونة بزيت . وإن كان قربانك تقدمة على الصاج تكون من دقيق ملتوتة بزيت فطيراً . تفتها فتاً وتسكب عليها زيتاً .. وإن كان قربانك تقدمة من طاجن فمن دقيق بزيت تعمله . . كل التقدمات التى تقربونها للرب لا تصنع خميراً ، لأن كل خمير وكل عسل لا توقدوا منهما وقوداً للرب . . وكل قربان من تقادمك بالملح تملحه ولا تخل تقدمتك من ملح عهد إلهك . على جميع قرابينك تقرب ملحاً . وإن قربت تقدمة باكورات للرب ففريكا مشوياً بالنار جريشا سويقاً تقرب تقدمة باكوراتك ، وتجعل عليها زيتا وتضع عليها لباناً ، إنها تقدمة . فيوقد الكاهن تذكارها من جريشها وزيتها مع جميع لبانها وقوداً للرب » (اللاويين ١ و ٢) . وقد شرح موسى فى سفر اللاويين شريعة الله الخاصة بالمحرقة والتقدمة ، كما شرح الأحوال التى ذكرها الله لتقديم الأنواع المختلفة من الذبائح ، ثم

قال « تلك شريعة المحرقة والتقدمة وذبيحة الخطيئة وذبيحة الإثم وذبيحة الملء وذبيحة السلامة التى أمر الرب بها موسى فى جبل سيناء يوم أمره بنى إسرائيل بتقريب قرابينهم للرب فى برية سيناء » (اللاويين ٧ : ٣٧ و ٣٨) .

وقد عين الله لليهود أيامهم المقدسة وأعيادهم الدينية التى فيها يتوجهون بالعبادة إليه ، ويتذكرون بالابتهاج أيام إنقاذه لهم ، ويعترفون بفضله الذى أسبغه عليهم . وقد كان تقديس يوم السبت من أبرز الواجبات الدينية التى أمرهم بها . فقد تضمنتها الوصايا العشر التى سجلها الله على لوحى العهد ، والتى هى أساس شريعتهم ، إذ جاء فيها « أذكر يوم السبت لتقدسه . ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك . لا تصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك ، لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل مافيها ، واستراح فى اليوم السابع . لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه » (الخروج ٢٠ : ٨ — ١١) . وجاء فى سفر الخروج « كلم الرب موسى قائلا وأنت تكلم بنى إسرائيل قائلا سبوتى تحفظونها ، لأنه علامة بينى وبينكم فى أجيالكم لتعلموا أنى أنا الرب الذى يقدسكم ، فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم . من دنسه يقتل قتلا ، إن كل من صنع فيه عملا تقطع تلك النفس من بين شعبها . ستة أيام يصنع عمل وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب . كل من صنع عملا فى يوم السبت يقتل قتلا . إن كل من صنع فيه عملا تقطع تلك النفس من بين شعبها . ستة أيام يصنع عمل وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب . كل من صنع عملا فى يوم السبت يقتل قتلا . فيحفظ بنو إسرائيل السبت ليصنعوا السبت فى أجيالهم عهداً أبديا هو بينى وبين بنى إسرائيل علامة إلى الأبد » (الخروج ٣١ : ١٢ — ١٧) . وجاء فى سفر العدد « لما كان بنو إسرائيل فى البرية وجدوا رجلا يحتطب حطبا فى يوم السبت ، فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطبا إلى موسى وهارون وكل الجماعة فوضعوه فى المحرس لأنه لم يعلن ماذا يفعل به . . فقال الرب لموسى قتلا يقتل الرجل ، يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة ، فأخرجه كل الجماعة إلى خارج ورجموه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى » (العدد ١٥ : ٣٢ — ٣٦) . وقد عين الله لليهود الأعياد التى يحتفلون بها غير يوم السبت من كل أسبوع ، وهى عيد الأهلة الذى يقع فى اليوم الأول من كل شهر ، وسنة العطلة وهى السنة السابعة من كل سبع

سنوات . وسنة الخمسين أو سنة اليوبيل ، وعيد الفصح الذى يسمى أيضا عيد الفطير، وعيد الخمسين الذى يسمى أيضا عيد الأسابيع ، وعيد المظال الذى يسمى أيضا عيد الجمع . فبالنسبة لعيد الأهلة فى اليوم الأول من كل شهر ورد فى سفر أخبار الأيام أن من واجبات اللاويين « الوقوف كل صباح لحمد الرب وتسبيحه وكذلك فى المساء ، ولكل إصعاد محرقات للرب فى السبوت والأهلة والمواسم بالعدد حسب المرسوم عليهم دائما أمام الرب » (أخبار الأيام الأول ٢٣ : ٣٠ و ٣١) . وجاء فيه « أرسل سليمان إلى حورام ملك صور قائلا : كما فعلت مع داود أبى إذ أرسلت له أرزاً ليبنى له بيتا يسكن فيه ، فها أنذا أبنى بيتى لاسم الرب إلهى لأقدسه له لأوقد أمامه بخوراً عطراً وللخبز الوجوه الدائم وللمحرقات صباحا ومساء وللسبوت والأهلة ومواسم الرب إلهنا . هذا على إسرائيل إلى الأبد » (أخبار الأيام الثانى ٢ : ٣و٤) وبالنسبة لسنة العطلة جاء فى سفر اللاويين « كلم الرب موسى فى جبل سيناء قائلا كلم بنى إسرائيل وقل لهم متى أتيتم إلى الأرض التى أنا أعطيكم تسبت الأرض سبتا للرب . ست سنين تزرع حقلك وست سنين تقضب كرمك وتجمع غلتها . وأما السنة السابعة ففيها يكون للأرض سبت عطلة ، سبتا للرب . لا تزرع حقلك ولا تقضب كرمك . زريع حصيدك لا تحصد وعنب كرمك المحول لا تقطف . سنة عطلة تكون للأرض . ويكون سبت الأرض لكم طعاما لك ولعبدك ولأمتك ولأجيرك ولمستوطنك النازلين عندك ولبهائمك وللحيوان الذى فى أرضك تكون كل غلتها طعاما » (اللاويين ٢٥ : ١ — ٧) . وبالنسبة لسنة الخمسين أو سنة اليوبيل جاء فى سفر اللاويين « تعد لك سبعة سبوت سنين ، سبع سنين سبع سنوات . فتكون لك أيام السبعة السبوت السنوية تسعا وأربعين سنة . ثم تعبر بوق الهتاف فى الشهر السابع فى عاشر الشهر فى يوم الكفارة تعبرون البوق فى جميع أرضكم ، وتقدسون السنة الخمسين وتنادون بالعتق فى الأرض لجميع سكانها . تكون لكم يوبيلا وترجعون كل إلى ملكه . وتعودون كل إلى عشيرته . يوبيلا تكون لكم السنة الخمسون . لا تزرعوا ولا تحصدوا زريعها ولا تقطفوا كرمها المحول . إنها يوبيل ، مقدسة تكون لكم» (اللاويين ٢٥ : ٨— ١٢) . وبالنسبة لعيد الفصح أو عيد الفطير ، جاء فى سفر التثنية « احفظ شهر أبيب واعمل فصحا للرب إلهك لأنه فى شهر أبيب أخرجك الرب إلهك من مصر ليلا ، فتذبح الفصح للرب إلهك غنما وبقراً فى المكان الذى يختاره الرب ليحل اسمه فيه .

لا تأكل عليه خميراً . سبعة أيام تأكل عليه فطيراً ، خبز المشقة . لأنك بعجلة خرجت من أرض مصر، لكى تذكر يوم خروجك من أرض مصر كل أيام حياتك . ولا ير عندك خمير فى جميع تخومك سبعة أيام ولا يبت شىء من اللحم الذى تذبح مساء فى اليوم الأول إلى الغد . ولا يحل لك أن تذبح الفصح فى أحد أبوابك التى يعطيك الرب إلهك . بل فى المكان الذى يختاره الرب إلهك ليحل اسمه فيه . هناك تذبح الفصح مساء و غروب الشمس فى ميعاد خروجك من مصر . وتطبخ وتأكل فى المكان الذى يختاره الرب إلهك ، ثم تنصرف فى الغد وتذهب إلى خيامك ستة أيام تأكل فطيراً وفى اليوم السابع اعتكاف للرب إلهك ، لا تعمل فيه عملا » (التثنية ١٦ : ١ — ٨) .

وبالنسبة لعيد الخمسين أو عيد الأسابيع جاء فى سفر التثنية « سبعة أسابيع تحسب لك من ابتداء المنجل فى الزرع تبتدىء أن تحسب سبعة أسابيع . وتعمل عيد أسابيع الرب إلهك على قدر ما تسمح يدك أن تعطى كما يباركك الرب إلهك . وتفرح أمام الرب إلهك أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك واللاوى الذى فى أبوابك والغريب واليتيم والأرملة الذين فى وسطك فى المكان الذى يختاره الرب إلهك ليحل اسمه فيه ، وتذكر أنك كنت عبداً فى مصر ، وتحفظ وتعمل هذه الفرائض » (التثنية ١٦ : ٩ - ١٢) . وبالنسبة لعيد المظال أو عيد الجمع جاء فى سفر التثنية « تعمل لنفسك عيد المظال سبعة أيام عند ما تجمع من بيدرك ومن معصرتك وتفرح فى عيدك أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك واللاوى والغريب واليتيم والأرملة الذين فى أبوابك . سبعة أيام تعيد للرب إلهك فى المكان الذى يختاره الرب ، لأن الرب إلهك يباركك فى كل محصولك وفى كل عمل يديك فلا تكون إلا فرحاً » (التثنية ١٦ : ١٣ - ١٥) . وقد أوجب الله على اليهود أن يتقدموا بالتقدمات إليه فى الأعياد الثلاثة الأخيرة ، إذ قال فى سفر التثنية « ثلاث مرات فى السنة يحضر جميع ذكورك أمام الرب إلهك فى المكان الذى يختاره فى عيد الفطر وعيد الأسابيع وعيد المظال ، ولا يحضروا أمام الرب فارغين . كل واحد حسبما تعطى يده كبركة الرب إلهك التى أعطاك » (التثنية ١٦ : ١٦ و ١٧) .

وقد كان الصوم من مظاهر الخشوع لله والتذلل أمامه والتضرع إليه ولا سيما فى

الشدائد والضيقات ، إذ جاء فى سفر الخروج « قال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات ، لأننى بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل . . وكان هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء ، فكتب على اللوحين كلمات العهد ، الكلمات العشر » (الخروج ٣٤ : ٢٧ و ٢٨) . وجاء فى سفر أخبار الأيام « أتى بنو موآب وبنو عمون ومعهم العمونيون على يهوشافاط للمحاربة فجاء أناس وأخبروا يهوشافاط قائلين قد جاء عليك جمهور كثير من عبر البحر من آرام وهاهم فى حصون تامار . . فخاف يهوشافاط وجعل وجهه ليطلب الرب ونادى بصوم فى كل يهوذا » (أخبار الأيام الثانى ٢٠ : ١ — ٣) . وقال عزرا « ناديت هناك بصوم على نهر أهوا لكى نتذلل أمام إلهنا لنطلب منه طريقاً مستقيمة لنا ولأطفالنا » (عزرا ٨ : ٢١) . وقال نحميا « فى اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر اجتمع بنو إسرائيل بالصوم وعليهم مسوح وتراب » (نحميا ٩ : ١) . وقالت إستير لمردخاي حين أراد الملك أحشويرش أن يبيد اليهود من مملكته « اذهب اجمع جميع اليهود الموجودين فى شوشن وصوموا من جهتى ولا تأكلوا ولا تشربوا ثلاثة أيام ليلا ونهاراً . وأنا أيضا وجوارى نصوم كذلك ، وهكذا أدخل إلى الملك خلاف السنة ، فإذا هلكت هلكت . فانصرف مردخاى وعمل حسب كل ما أوصته به إستير » (إستير ٤ : ١٥ — ١٧) . وقال الله لإشعياء النبي « ناد بصوت عال . . وأخبر شعبي بتعديهم وبيت يعقوب بخطاياهم . . يقولون لماذا صمنا ولم تنظر . ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ . . ها أنكم للخصومة والنزاع تصومون . . لستم تصومون كما اليوم لتسميع صوتكم فى العلاء . أمثل هذا يكون صوم أختاره ؟ يوماً يذلل الإنسان فيه نفسه ، يحنى كالأسلة رأسه ويفرش تحته مسحاً ورماداً ؟ هل تسمى هذا صوماً ويوماً مقبولا للرب ؟ أليس هذا يوما أختاره : حل قيود الشر . فك عقد النير وإطلاق المسحوقين أحراراً وقطع كل نير ؟ . أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين فى بيتك ؟ إذا رأيت عريانا أن تكسوه . . حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك . . حينئذ تدعو فيجيب الرب . تستغيث فيقول ها أنذا » (إشعياء ٥٨ : ١ — ٩) . وهكذا لم يكن صوم اليهود صوما حقيقيا ، وإنما كان مجرد تظاهر ورياء لقضاء حاجاتهم حين يحتاجون والخلاص من ضيقاتهم حين يتضايقون ، حتى إذا انقضت حاجاتهم ومضت ضيقاتهم ، عادوا إلى عنادهم لله وتمردهم عليه .

وكان من أهم مقتضيات عبادة الله الصلاة له والضراعة إليه والتسبيح أمامه والترنم بحمده والتغني بعطاياه ، إذ قال داود النبي « أحمدك يارب في الأمم ولاسمك أرنم » (صموئيل الثاني ٢٢ : ٥٠) وقال « احمدوا الرب . . غنوا له . تترنم أشجار الوعر أمام الرب . إحمدوا الرب لأنه صالح ، لأن إلى الأبد رحمته ، وقولوا خلصنا يا إله خلاصنا واجمعنا وأنقذنا . . لنحمد اسم قدسك ونتفاخر بتسبيحك » (أخبار الأيام ١٦ : ٨ و ٩ و ٢٣ و ٣٣ — ٣٥) — « احمدوا الرب بالعود . بربابة ذات عشرة أوتار ترنموا له » (المزمور ٣٣ : ٢) — « أما أنا فأغنى بقوتك وأرنم بالغداة برحمتك لأنك كنت ملجأ لي ومناصا في يوم ضيقي . يا قوتي لك أرنم لأن الله ملجأي إله رحمتي » (المزمور ٥٩ : ١٦ و ١٧) — أرنم لك بالعود . . تبتهج شفتاي إذ أرنم لك » (المزمور ٧١ ٢٢ و ٢٣) — « هلم نرنم للرب . نهتف لصخرة خلاصنا . نتقدم أمامه بحمد وبترنيمات نهتف له » (المزمور ٩٥ : ١ و ٢) — « رنمي للرب يا كل الأرض . . رنموا للرب ، باركوا اسمه » (المزمور ٩٦ : ١ و ٢) . — « اهتفوا ورنموا وغنوا . رنموا للرب بالعود . بعود وصوت نشيد . بالأبواق وصوت الصور اهتفوا قدام الملك الرب » (المزمور ٩٨ : ٤ - ٦) . - « سبحوا الله في قدسه . سبحوه في فلك قوته . سبحوه على قواته . سبحوه حسب كثرة عظمته . سبحوه بصوت الصور . سبحوه برباب وعود . سبحوه بدف ورقص . سبحوه بأوتار ومزمار . سبحوه بصنوج الهتاف . كل نسمة فلتسبح الرب » (المزمور ١٥٠ : ١ — ٦) . ولكن صلاة اليهود لم تكن صلاة حقيقية كذلك ، وإنما كانت كصومهم مجرد تظاهر ورياء ، وقد أعلن الله ذاته ذلك إذ قال لإشعياء النبي « هذا الشعب قد اقترب إلى بفمه وأكرمني بشفتيه وأما قلبه فأبعده عني » (إشعياء ٢٩ : ١٠) وقال لحزقيال النبي « بأفواههم يظهرون أشواقاً وقلبهم ذاهب وراء كسبهم » حزقيال ٣٣ : ٣١) .

٢ — الله هو قائد اليهود :

يتضح من التوراة أن الله هو الذي قرر خروج اليهود من مصر ، ثم قادهم حتى خرجوا منها ، ثم نظم جيوشهم ووضع نظام حكمهم أثناء رحلتهم في سيناء ، ثم رسم طريقة استيلائهم على أرض كنعان ، وأدار دفة الحرب مع الشعوب الأخرى بكل ما تتطلبه الحرب من خطط وأساليب قتال . وكان هو الذي يقاتل عن اليهود وهو الذي

يهبهم النصر بقوته وحدها . حتى إذا تم الاستيلاء على أرض كنعان قسمها بين أسباط اليهود كما شاءت إرادته وحكمته . وبذلك لم يكن لليهود — كما قررت التوراة — أى فضل فى أى عمل من هذه الأعمال ، بل كان الفضل كله لله وحده .

وتفيد عبارات التوراة أن من بين صفات الله أنه قائد حربى ، لأنه إله الجنود ورب الجنود ، إذ جاء فى سفر صموئيل «كان هذا الرجل يصعد من مدينته من سنة إلى سنة ليسجد ويذبح لرب الجنود فى شيلوه » (صموئيل الأول ١ : ٣) . وجاء فيه «كان داود يتزايد متعظماً والرب إله الجنود معه » (صموئيل الثانى ٥ : ١٠) . وجاء فيه « قام داود وذهب هو وجميع الشعب الذى معه من بعلة يهوذا ليصعدوا من هناك تابوت الله الذى يدعى عليه الاسم ، اسم رب الجنود » (صموئيل الثانى ٦ : ٢) وجاء فى سفر الملوك «فقال إليشع حى هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه» (الملوك الثانى ٣ : ١٤) وجاء فى المزامير « رب الجنود هو ملك المجد » (المزمور ٢٤ : ١٠) — « رب الجنود معنا » (المزمور ٤٦ : ٧) — « ما أحلى مساكنك يارب الجنود . . يارب ، إله الجنود اسمع صلاتى . . يارب الجنود طوبى للإنسان المتكل عليك » (المزمور ٨٤ : ١ و ٨ و ١٢) . وجاء فى سفر إشعياء « لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة » (إشعياء ١ : ٩) — « فإن لرب الجنود يوما على كل متعظم » (إشعياء ٢ : ١٢) — « يتعالى رب الجنود بالعدل» (إشعياء ٥ : ١٦) . — « قدوس قدوس قدوس رب الجنود ، مجده ملء الأرض » (إشعياء ٦ : ٣) . — «قدسوا رب الجنود فهو خوفكم ورهبتكم» (إشعياء ٨ :١٣) — «صوت جمهور على الجبال .. صوت ضجيج ممالك ..رب الجنود يعرض جيش الحرب» (إشعياء ١٣ : ٤ و ٥) — « فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر .. فيكون علامة وشهادة لرب الجنود فى أرض مصر » (إشعياء ١٩ : ١٩ و ٢٠) — « هكذا ينزل رب الجنود للمحاربة عن جبل صهيون .. يحامى رب الجنود عن أورشليم » (إشعياء ٣١ : ٤ و ٥) — « فادينا رب الجنود اسمه » (إشعياء ٤٧ : ٤) . وجاء فى سفر إرميا « هكذا قال الرب إله الجنود إله إسرائيل : لماذا أنتم فاعلون شراً عظيما » (إرميا ٤٤ : ٧) . وجاء فى سفر هوشع « الرب إله الجنود يهوه إسمه » (هوشع ١٢ : ٥) . وجاء فى سفر عاموس « فأسبيكم إلى ما وراء دمشق قال الرب إله الجنود اسمه » (عاموس ٥ : ٢٧) . وجاء فيه « قد أقسم السيد الرب بنفسه يقول الرب إله الجنود إنى أكره عظمة يعقوب . . ها أنذا أقيم عليكم يا بيت

إسرائيل يقول الرب إله الجنود أمة فيضايقونكم من مدخل حماة إلى وادى العربة» (عاموس ٦ : ٨ و ١٤) . وكلمة « الجنود » فى هذه الآيات تشمل الجنود السمائيين والأرضيين على أساس أن الله إلههم جميعاً . بيد أنه وردت فى التوراة كثير من الآيات التى تفيد أن اليهود بالتخصيص هم جنود الله؛ إذ جاء فى سفر الخروج « هذان هما هارون وموسى االذان قال الرب لهما أخرجا بنى إسرائيل من أرض مصر بحسب أجنادهم » (الخروج ٦ : ٢٦) . وجاء فيه « فقال الرب لموسى . . لا يسمع لكما فرعون حتى أجعل يدى على مصر فأخرج أجنادى ، شعبى بنى إسرائيل من أرض مصر » (الخروج ٧ : ١ و ٤) . وجاء فيه « وكلم الرب موسى وهارون فى أرض مصر قائلا . . فى هذا اليوم عينه أخرجت أجنادكم من أرض مصر » (الخروج ١٢ : ١و١٧) وجاء فيه « أما إقامة بنى إسرائيل التى أقاموها فى مصر فكانت اربعمائة وثلاثين سنة . وكان عند نهاية اربعمائة وثلاثين سنة فى ذلك اليوم عينه أن جميع أجناد الرب خرجت من أرض مصر »(الخروج ١٢ : ٤٠ و ٤١) .

وقد قضت مشيئة الله بأن يخرج اليهود من مصر ، فكلف موسى بأن يقنع اليهود بذلك ، وبأن يقنع فرعون مصر بذلك أيضاً . وكانت تلك مهمة عسيرة على أى إنسان ، ولذلك تولى الله أمرها بنفسه ، متخذاً من موسى واسطة فحسب لتنفيذ مشيئته ، إذ أضفى عليه من قوته وقدرته ما تمكن به عن طريق المعجزات التى صنعها من إقناع اليهود وإقناع فرعون بما أراد الله ، كما أنزل الله بمصر الضربات العشر التى جعلت المصريين يطردون اليهود من بلادهم طرداً ، بعد أن كانوا ممانعين فى خروجهم . فكان الله هو الذى أخرج اليهود من مصر بإرادته وحدها وبقدرته وحدها . إذ جاء فى سفر الخروج « قل لبنى إسرائيل أنا الرب . . وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم » (الخروج ٦ : ٦) . وجاء فيه « إن الرب أخرج بنى إسرائيل من أرض مصر » (الخروج ١٢ : ٥١) . وجاء فيه « وتخبر ابنك فى ذلك اليوم قائلا من أجل ما صنع الى الرب حين أخرجنى من مصر » (الخروج ١٣ : ٨) . وجاء فيه «بيد قوية أخرجنا الرب من مصر من بيت العبودية» (الخروج ١٣ : ١٤) وجاء فى سفر العدد « أنا الرب إلهكم الذى أخرجكم من أرض مصر » (العدد ١٥ : ٤١) . وجاء فى سفر التثنية « أنا هو الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر منه

بيت العبودية » (التثنية ٥ : ٦) . وجاء فى سفر اللاويين « أنا الرب إلهكم الذى أخرجكم من أرض مصر » (اللاويين ١٩ : ٣٦) . وجاء فيه « أنا الرب مقدسكم الذى أخرجكم من أرض مصر » (اللاويين ٢٢ : ٣٢) . وجاء فيه « أنا الرب الذى أخرجكم من أرض مصر من كونكم لهم عبيداً وقطع قيود نيركم وصيركم قياماً » (اللاويين ٢٦ : ١٣) . وجاء فى سفر المزامير « جعل شعبه مثمراً جداً وأعزه على أعدائه . حول قلوبهم ليبغضوا شعبه . أرسل موسى عبده وهارون الذى اختاره . أقاما بينهم كلام آياته وعجائب . . أرسل ظلمة فأظلمت . . حول مياههم إلى دم وقتل أسماكهم . أفاضت أرضهم ضفادع حتى فى مخادع ملوكهم . . أمر فجاء الذبان والبعوض فى كل تخومهم . جعل أمطارهم برداً وناراً ملتهبة فى أرضهم . ضرب كرومهم وتينهم وكسر كل أشجار تخومهم . أمر فجاء الجراد وغوغاء بلا عدد فأكل كل عشب بلادهم وأكل أثمار أرضهم . قتل كل بكر فى أرضهم . فأخرجهم بفضة وذهب ولم يكن فى أسباطهم عاثر . فرحت مصر بخروجهم لأن رعبهم سقط عليهم ، فأخرج شعبه بابتهاج ومختاريه بترنم » (المزمور ١٠٥ : ٢٤ — ٣٨ و ٤٣) . وجاء فيه : « احمدوا الرب . . الذى ضرب مصر مع أبكارها . . وأخرج إسرائيل من وسطهم » (المزمور ١٣٦ : ١ و ١٠ و ١١) .

وإذ أخرج الله اليهود من مصر كان بذلك مخلصهم وفاديهم . وقد ظلوا يعتبرون أنه سيخلصهم ويفديهم إلى الأبد من أعدائهم ومن آثامهم وخطاياهم ، إذ جاء فى سفر الخروج « الرب قوتى ونشيدى وقد صار خلاصى » (الخروج ١٥ : ٢) وجاء فيه « ترشد برأفتك الشعب الذى فديته » (الخروج ١٥ : ١٣) . وجاء فيه « فقص موسى على حميه كل ما صنع الرب بفرعون والمصريين من أجل إسرائيل ، وكل المشقة التى أصابتهم فى الطريق فخلصهم الرب » (الخروج ١٨ : ٨) . وجاء فى سفر أخبار الأيام « خلصنا يا إله خلاصنا واجمعنا وانقذنا من الأمم » (أخبار الأيام الأول ١٦ : ٣٥) . وجاء فيه « أية أمة على الأرض مثل شعبك إسرائيل الذى سار الله ليفتديه لنفسه شعباً لتجعل لك اسم عظائم ومخاوف بطردك أمماً أمام شعبك الذى افتديته من مصر » (أخبار الأيام الأول ١٧ : ٢١ و ٢٢) . وجاء فى المزامير « الله لنا إله خلاص » (المزمور ٦٨ : ٢٠) . وجاء فيها « هو يفدى إسرائيل من كل آثامه » (المزمور ١٣٠ : ٨) وجاء فى سفر إشعياء « فاديك قدوس إسرائيل » (إشعياء ٤١ :

١٤) وجاء فيه « يقول الرب خالقك يا يعقوب وجابلك يا إسرائيل لا تخف لأنى فديتك » (إشعياء ٤٣ : ١) . وجاء فيه « أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك » (إشعياء ٤٣ : ٣) . وجاء فيه « الرب ملك إسرائيل وفاديه » (إشعياء ٤٤ : ٦) . وجاء فيه « يا إسرائيل . . أنت عبدى . . إرجع إلى لأنى فديتك » (إشعياء ٤٤ : ٢١ و ٢٢) . وجاء فيه « الرب قد فدى يعقوب » (إشعياء ٤٤ : ٢٣) . وجاء فيه « أما إسرائيل فيخلص بالرب خلاصاً أبدياً » (إشعياء ٤٥ : ١٧) .

وتقول التوراة إن الله أخرج اليهود من مصر وخلصهم من عبودية المصريين ليعطيهم أرض كنعان المعروفة اليوم بفلسطين . وقد وعدهم بأن يهبها ملكا لهم ليقيموا فيها ، إذا تمسكوا بالإيمان به ، واستمروا على الولاء له ، والعمل بشريعته وتعاليمه ووصاياه . اذ جاء فى سفر التكوين أن الله قال لإبراهيم « لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » (التكوين ١٥ : ١٨) ، وقال لإسحاق « لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد » (التكوين ٢٦ : ٣) وقال ليعقوب « الأرض التى أعطيت إبراهيم وإسحق لك أعطيها ولنسلك من بعدك » (التكوين ٣٥ : ١٢) . وقال لموسى « إنى رأيت مذلة شعبي الذى فى مصر . . فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة . إلى أرض تفيض لبناً وعسلا ، إلى مكان الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين » (الخروج ٣ : ٧ و ٨) وقال « أقمت معهم عهدى أن أعطيهم أرض كنعان » (الخروج ٦ ٤) . وقال « تملكون الأرض وتسكنون فيها لأنى قد أعطيتكم الأرض لكى تملكوها » (العدد ٣٣ : ٥٣) . وقد أوصى موسى اليهود قائلا يا إسرائيل اسمع الفرائض والأحكام التى أنا أعلمكم لتعملوها لكى تحيوا ، وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التى الرب إله آبائكم يعطيكم . . احترز واحفظ نفسك جداً لئلا تنسى الأمور التى أبصرت عيناك ولئلا تزول من قلبك كل أيام حياتك ، وعلمها أولادك وأولاد أولادك . . إذا ولدتم أولاداً وأولاد أولاد وأطلتم الزمان فى الأرض وفسدتم وصنعتم تمثالا منحوتاً ، صورة شيء ما ، وفعلتم الشر فى عينى الرب لإغاظته ، أشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعاً عن الأرض التى أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها . لاتطيلون الأيام عليها بل تهلكون لامحالة،

ويبددكم الرب فى الشعوب ، فتبقون عدداً قليلا بين الأمم التى يسوقكم الرب إليها » (التثنية ٤ : ١ و ٩ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧) .

وقد قاد الله اليهود بنفسه من مصر إلى فلسطين ، محدداً لهم الطريق التى يسيرون فيها سواء بتعليماته التى كان يصدرها إلى موسى زعيمهم ليبلغها إليهم ، أو بسيره أمامهم ـ كما ذكرت التوراة ـ فى عمود سحاب نهاراً وفى عمود نار ليلا ، من موضع إلى موضع فى صحراء سيناء ، حتى بلغوا شواطىء نهر الاردن . ومن أمثلة ما ذكرته التوراة فى هذا الصدد ما جاء فى سفر الخروج أنه « كان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم فى طريق أرض الفلسطينيين ، مع أنها قريبة ، لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر ، فأدار الله الشعب فى طريق برية بحر سوف » (الخروج ١٣ : ١٧ و ١٨) . — « وارتحلوا من سكوت ونزلوا فى إيثام فى طرف البرية . وكان الرب يسير أمامهم نهاراً فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق وليلا فى عمود نار ليضىء لهم لكى يمشوا نهاراً وليلا . لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلا أمام الشعب » (الخروج ١٣ : ٢٠ — ٢٢) . — « وكلم الرب موسى قائلا كلم بنى إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون . مقابله تنزلون عند البحر » (الخروج ١٤ : ١ و ٢) . — « ثم ارتحل كل جماعة بنى إسرائيل من برية صين بحسب مراحلهم على موجب أمر الرب ونزلوا فى رفيديم » (الخروج ١٧ : ١) . وجاء فى سفر العدد « وفى يوم إقامة المسكن غطت السحابة المسكن ، خيمة الاجتماع . وفى المساء كان على المسكن كمنظر نار إلى الصباح . هكذا كان دائماً . السحابة تغطيه ومنظر النار ليلا . ومتى ارتفعت السحابة عن الخيمة كان بعد ذلك بنو إسرائيل يرتحلون . وفى المكان حيث حلت السحابة هناك كان بنو إسرائيل ينزلون . حسب قول الرب كان بنو إسرائيل يرتحلون وحسب قول الرب كانوا ينزلون . . جميع أيام حلول السحابة على المسكن كانوا ينزلون » وإذا تمادت السحابة على المسكن أياماً كثيرة كان بنو إسرائيل يحرسون حراسة الرب لا يرتحلون . وإذا كانت السحابة أياماً قليلة على المسكن فحسب قول الرب كانوا ينزلون وحسب قول الرب كانوا يرتحلون . وإذا كانت السحابه من المساء إلى الصباح ثم ارتفعت السحابة فى الصباح كانوا يرتحلون ، أو يوماً وليلة ثم ارتفعت السحابة

كانوا يرتحلون . أو يومين أو شهراً أو سنة متى تمادت السحابة على المسكن حالة عليه كان بنو إسرائيل ينزلون ولا يرتحلون ، ومتى ارتفعت كانوا يرتحلون . حسب قول الرب كانوا ينزلون وحسب قول الرب كانوا يرتحلون وكانوا يحرسون حراسة الرب حسب قول الرب بيد موسى » (العدد ٩ : ١٥ — ٢٣) . وجاء فيه « وكلم الرب موسى قائلا اصنع لك بوقين من فضة مسحولين تعملهما فيكونان لك لمناداة الجماعة ولارتحال المحلات . . إذا ضربتم هتافاً ترتحل المحلات النازلة إلى الشرق ، وإذا ضربتم هتافاً ثانية ترتحل المحلات التى إلى الجنوب . . وفى السنة الثانية فى الشهر الثانى فى العشرين من الشهر ارتفعت السحابة عن مسكن الشهادة فارتحل بنو إسرائيل فى رحلاتهم من برية سيناء فحلت السحابة فى برية فاران . ارتحلوا أولا حسب قول الرب عن يد موسى . . فارتحلوا من جبل الرب مسيرة ثلاثة أيام وتابوت عهد الرب راحل أمامهم مسيرة ثلاثة أيام ليلتمس لهم منزلا . وكانت سحابة الرب عليهم نهاراً فى ارتحالهم من المحلة» (العدد ١٠ : ١ - ٣٦) . وجاء فى سفر التثنية قول موسى لليهود « ثم ارتحلنا من حوريب وسلكنا كل ذلك القفر العظيم المخوف الذى رأيتم فى طريق جبل الأموريين كما أمرنا الرب إلهنا » (التثنية ١ : ١٩) — « ثم تحولنا وارتحلنا إلى البرية على طريق بحر سوف كما كلمنى الرب ودرنا بجبل سعير أياماً كثيرة ، ثم كلمنى الرب قائلا كفاكم دوران بهذا الجبل ، تحولوا نحو الشمال . . وأوصى الشعب قائلا أنتم مارون بتخم إخوتكم بنى عيسو الساكنين فى سعير . . لا تهجموا عليهم . . فعبرنا عن إخوتنا بنى عيسو الساكنين فى سعير على طريق العربة ، على أيلة وعلى عصيون جابر ، ثم تحولنا ومررنا فى طريق برية موآب ، فقال لى الرب لا تعاد موآب ولا تثر عليهم حرباً . . قوموا واعبروا وادى زارد ، فعبرنا وادى زارد . والأيام التى سرنا فيها من قادش برنيع حتى عبرنا وادى زارد كانت ثمانى وثلاثين سنة ، حتى فنى كل الجيل رجال الحرب من وسط المحلة . . فعندما فنى جميع رجال الحرب . . كلمنى الرب قائلا أنت مار اليوم بتخم موآب ، فمتى قربت إلى تجاه بنى عمون لا تعادهم ولا تهجموا عليهم . . قوموا ارتحلوا واعبروا وادى أرنون . . لكن لم يشأ سيحون ملك حشبون أن يدعنا نمر . . فضربناه وبنيه وجميع قومه . . ثم تحولنا وصعدنا فى طريق باشان ، فخرج عوج ملك باشان للقائنا . . فضربناه . . وأخذنا كل مدنه » (التثنية ٢ و ٣) . وجاء فى سفر يشوع « وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا موسى عبدى قد مات ،

فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لهم ، لبنى إسرائيل . . من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات . جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم » (يشوع ١ : ١ - ٤) .

وقد كانت الحروب التى سيخوض غمارها اليهود لاغتصاب أرض فلسطين من من الشعوب التى كانت تمتلكها ، تستوجب عمليات تنظيمية عديدة ولا سيما إحصاء القادرين على القتال منهم ، وتقسيمهم إلى مجموعات حسب عشائرهم ، وإقامة رؤساء لهم ينقلون الأوامر إليهم ويقودونهم ويكفلون حاجياتهم ومتطلبات حياتهم فى الصحراء ، ويقضون بينهم ، وينفذون الأحكام عليهم ، ويحولون دون تمردهم وعصيانهم ولا سيما فى أثناء القتال .

لذلك أمر الله موسى باحصاء القادرين على القتال من اليهود وهم فى صحراء سيناء بعد خروجهم من مصر ، إذ جاء فى سفر العدد « كلم الرب موسى فى برية سيناء فى خيمة الاجتماع فى أول الشهر الثانى فى السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلا احصوا كل جماعة بنى إسرائيل بعشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء كل ذكر برأسه ، من بنى عشرين سنة فصاعداً ، كل خارج للحرب فى إسرائيل . . فعدهم فى برية سيناء . . فكان جميع المعدودين من بنى إسرائيل حسب بيوت آبائهم من ابن عشرين سنة فصاعداً ، كل خارج للحرب فى إسرائيل . . ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين . وأما اللاويون حسب سبط آبائهم فلم يعدوا بينهم . إذ كلم الرب موسى قائلا أما سبط لاوى فلا تحسبه ولا تعده بين بنى إسرائيل . بل وكل اللاويين على مسكن الشهادة وعلى جميع أمتعته وعلى كل ماله » (العدد ١ : ١ — ٥٠) . وكذلك حين وصل اليهود إلى أرض موآب على حدود فلسطين واستعدوا لغزوها أمر الله موسى مرة أخرى بإحصاء القادرين على القتال من اليهود بعد أن مات عدد كبير منهم أثناء الأربعين سنة التى قضوها مشردين فى صحراء سيناء ، إذ جاء فى سفر العدد « كلم الرب موسى والعازار بن هارون الكاهن قائلا خذا عدد كل جماعة بنى إسرائيل من ابن عشرين سنة فصاعداً حسب بيوت آبائهم كل خارج للجند فى إسرائيل ، فكلمهم موسى والعازار الكاهن فى عربات موآب على أردن أريحا قائلين من ابن

عشرين سنة فصاعداً ، كما أمر الرب موسى وبنى إسرائيل الخارجين من أرض مصر . هؤلاء المعدودون من بنى إسرائيل ستمائة ألف وألف وسبعمائة وثلاثون .. وفى هؤلاء لم يكن إنسان من الذين عدهم موسى وهارون الكاهن حين عدا بنى إسرائيل فى برية سيناء ، لأن الرب قال لهم إنهم يموتون فى البرية ، فلم يبق منهم إنسان إلا كالب بن يفنة ويشوع بن نون » (العدد ٢٦ : ١ — ٦٥) .

وقد وضع الله نظاماً لأسباط اليهود ، فجعل لكل سبط رئيساً برأسه ، وعدداً محدداً من الجنود يخصه ، وراية متميزة تدل عليه ، ومكاناً معينا ينزل فيه عند الإقامة ، وترتيباً خاصاً يسير على مقتضاه عند الارتحال . إذ جاء فى سفر العدد « كلم الرب موسى وهارون قائلا « ينزل بنو إسرائيل كل عند رايته بأعلام لبيوت آبائهم . قبالة خيمة الاجتماع حولها ينزلون فالنازلون إلى الشرق نحو الشروق راية محلة يهوذا حسب أجنادهم ، والرئيس لبنى يهوذا نحشون بن عميناداب ، وجنده المعدودون منهم أربعة وسبعون ألفاً وستمائة والنازلون معه سبط يساكر ، والرئيس لبنى يساكر نثنائيل بن صوغر ، وجنده المعدودون منه أربعة وخمسون ألفاً واربعمائة . وسبط زبولون ، والرئيس لبنى زبولون ألياب بن حيلون ، وجنده المعدودون منه سبعة وخمسون ألفاً واربعمائة . جميع المعدودين لمحلة يهوذا مائة ألف وستة وثمانون ألفاواربعمائة بأجنادهم ، يرتحلون أولا .. راية محلة رأوبين إلى اليمين حسب أجنادهم ، والرئيس لبنى رأوبين أليصور بن شديئور ، وجنده المعدودون منه ستة وأربعون ألفا وخمسمائة . والنازلون معه سبط شمعون ، والرئيس لبنى شمعون شلوميئيل بن صور شداى ، وجنده المعدودون منهم تسعة وخمسون ألفا وثلاثمائة ، وسبط جاد ، والرئيس لبنى جاد ألياساف بن رعوئيل ، وجنده المعدودون منهم خمسة وأربعون ألفا وستمائة وخمسون . جميع المعدودين لمحلة رأوبين مائة ألف وواحد وخمسون ألفا واربعمائة وخمسون بأجنادهم ، ويرتحلون ثانية . . ثم ترتحل خيمة الاجتماع ، محلة اللاويين فى وسط المحلات . كما ينزلون كذلك يرتحلون . كل فى موضعه براياتهم . . . راية محلة أفرايم حسب أجنادهم إلى الغرب . والرئيس لبنى أفرايم أليشمع بن عميهود ، وجنده المعدودون منهم أربعون ألفا وخمسمائة ، ومعه سبط منسى ، والرئيس لبنى منسى جمليئيل بن فدهصور ، وجنده المعدودون منهم اثنان وثلاثون ألفا ومائتان .

وسبط بنيامين ، والرئيس لبنى بنيامين أبيدن بن جدعونى ، وجنده المعدودون منهم خمسة وثلاثون ألفا واربعمائة جميع المعدودين لمحلة أفرايم مائة ألف وثمانية آلاف ومائة بأجنادهم . ويرتحلون ثالثة . . راية محلة دان إلى الشمال حسب أجنادهم ، والرئيس لبنى دان أخيعزر بن عميشداى ، وجنده المعدودون منهم اثنان وستون ألفا وسبعمائة والنازلون معه سبط أشير ، والرئيس لبنى أشير فجعيئيل بن عكرن ، وجنده المعدودون منهم واحد وأربعون ألفا وخمسمائة وسبط نفتالى ، والرئيس لبنى نفتالى أخيرع بن عينن ، وجنده المعدودون منهم ثلاثة وخمسون ألفاً واربعمائة . جميع المعدودين لمحلة دان مائة ألف وسبعة وخمسون ألفا وستمائة ، يرتحلون أخيراً براياتهم هؤلاء هم المعدودون من بنى إسرائيل حسب بيوت آبائهم . جميع المعدودين من المحلات بأجنادهم ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسون وأما اللاويون فلم يعدوا بين بنى إسرائيل كما أمر الرب موسى ففعل بنو إسرائيل حسب كل ما أمر به الرب موسى . هكذا نزلوا براياتهم وهكذا ارتحلوا كل حسب عشائره مع بيت آبائه » (العدد ٢ : ١ — ٣٤)

وفضلا عن رؤساء الأسباط عين الله سبعين شيخاً من شيوخ اليهود ليعاونوا موسى فى رئاسته لليهود ، ومسئوليته عنهم ، فكانوا بمثابة مجلس الشيوخ للشعب اليهودى وقد جاء عن ذلك فى سفر العدد أن الله قال لموسى « اجمع إلى سبعين رجلا من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك فأنزل أنا وأتكلم معك هناك وآخذ من الروح الذى عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب فلا تحمل أنت وحدك . فخرج موسى وكلم الشعب بكلام الرب وجمع سبعين رجلا من شيوخ الشعب وأوقفهم حوالى الخيمة ، فنزل الرب فى سحابة وتكلم معه وأخذ من الروح الذى عليه وجعل على السبعين رجلا الشيوخ . ثم انحاز موسى إلى المحلة هو وشيوخ إسرائيل » (العدد ١١ : ١٦ و ١٧ و ٢٤ و ٢٥)

وحين اقتربت ساعة موت موسى الذى ظل رئيساً لليهود أربعين سنة فى صحراء سيناء ، أقام الله فى مكانه نبياً آخر لليهود يتولى أمرهم ويتقدمهم فى غزو فلسطين وهو يشوع بن نون ، إذ جاء فى سفر العدد « فقال الرب لموسى اصعد إلى جبل عباريم هذا وانظر الأرض التى أعطيت لبنى إسرائيل ومتى نظرتها تضم إلى قومك

أنت أيضا كما ضم هارون أخوك فكلم موسى الرب قائلا : ليوكل الرب إله أرواح جميع البشر رجلا على الجماعة يخرج أمامهم ويدخل أمامهم ويخرجهم ويدخلهم لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التى لا راعى لها . فقال الرب لموسى خذ يشوع بن نون ، رجلا فيه روح وضع يدك عليه وأوقفه قدام ألعازار الكاهن وقدام كل الجماعة وأوصه أمام أعينهم واجعل من هيبتك عليه لكى يسمع له كل جماعة بنى إسرائيل ، فيقف أمام العازار الكاهن . حسب قوله يخرجون وحسب قوله يدخلون هو وكل بنى إسرائيل معه كل الجماعة . ففعل موسى كما أمره الرب . أخذ يشوع وأوقفه قدام العازار الكاهن وقدام كل الجماعة ووضع يديه عليه وأوصاه كما تكلم الرب عن يد موسى وقال الرب لموسى هوذا أيامك قد قربت لكى تموت ادع يشوع . . فقفا فى خيمة الاجتماع لكى أوصيه . . وأوصى يشوع بن نون وقال تشدد وتشجع لأنك أنت تدخل بنى إسرائيل الأرض التى أقسمت لهم عنها وأنا أكون معك » (العدد ٢٧ : ١٢ — ٢٣ ، التثنية ٣١ : ١٤ و ٢٣)

ولما كان غزو بلد من البلاد يتطلب من قائد الغزاة إرسال الجواسيس لاستطلاع أحوالها ، ومدى ضعفها أو قوتها ، وكثرة خيراتها أو قلتها ، فقد ذكرت التوراة أن الله فعل ذلك وهو يقود اليهود لغزو أرض كنعان التى هى فلسطين ، إذ جاء فى سفر العدد « ثم كلم الرب موسى قائلا ارسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان التى أنا معطيها لبنى إسرائيل رجلا واحداً لكل سبط من آبائه ترسلون . كل واحد رئيس فيهم فأرسلهم موسى من برية فاران حسب قول الرب . . وقال لهم اصعدوا من هنا إلى الجنوب واطلعوا على الجبل وانظروا الأرض ما هى ، والشعب الساكن فيها أقوى هو أم ضعيف ؟ قليل أم كثير ؟ وكيف هى الأرض التى هو ساكن فيها أجيدة أم رديئة ؟ وما هى المدن التى هو ساكن فيها أخيمات أم حصون ؟ وكيف هى الأرض أسمينة أم هزيلة ؟ أفيها شجر أم لا ؟ وتشددوا فخذوا من ثمر الأرض . وأما الأيام فكانت أيام باكورات العنب فصعدوا وتجسسوا الأرض من برية صين إلى رحوب فى مدخل حماة . صعدوا إلى الجنوب وأتوا إلى حبرون . وكان هناك أخيمان وشيشاى وتلماى بنو عناق . وأما حبرون فبنيت قبل صوعن مصر بسبع سنين . وأتوا إلى وادى أشكول وقطفوا من هناك زرجونة بعنقود واحد من العنب وحملوه بالدقرانة بين اثنين مع شىء من الرمان والتين ، فدعى ذلك الموضع وادى أشكول

بسبب العنقود الذى قطعه بنو إسرائيل من هناك ، ثم رجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوماً . فساروا حتى أتوا إلى موسى وهارون وكل جماعة بنى إسرائيل إلى برية فاران إلى قادش وردوا إليهما خبراً وإلى كل الجماعة وأروهم ثمر الأرض وأخبروه وقالوا قد ذهبنا إلى الأرض التى أرسلتنا إليها ، وحقاً إنها تفيض لبناً وعسلا وهذا ثمرها ، غير أن الشعب الساكن فى الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جداً ، وأيضا قد رأينا بنى عناق هناك . العمالقة ساكنون فى أرض الجنوب والحثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون فى الجبل والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن . لكن كالب أنصت الشعب إلى موسى وقال إننا نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها . وأما الرجال الذين صعدوا معه فقالوا لا نقدر أن نصعد إلى الشعب لأنهم أشد منا ، فأشاعوا مذمة الأرض التى تجسسوها فى بنى إسرائيل قائلين الأرض التى مررنا بها لنتجسسها هى أرض تأكل سكانها ، وجميع الشعب الذى رأينا فيها أناس طوال القامة . وقد رأينا هناك الجبابرة بنى عناق من الجبابرة ، فكنا فى أعيننا كالجراد ، وهكذا كنا فى أعينهم . فرفعت كل الجماعة صوتها وبكى الشعب تلك الليلة وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بنى إسرائيل وقال لهما كل الجماعة ليتنا متنا فى أرض مصر أو ليتنا متنا فى هذا القفر . ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف . تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة . أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر ؟ فقال بعضهم لبعض نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر ، فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معشر جماعة بنى إسرائيل ويشوع بن نون ، وكالب بن يفنه من الذين تجسسوا الأرض مزقا ثيابهما ، وكلما جماعة بنى إسرائيل قائلين الأرض التى مررنا فيها لنتجسسها الارض جيدة جداً جداً . إن سر بنا الرب يدخلنا إلى هذه الارض ويعطينا إياها أرضا تفيض لبنا وعسلا . إنما لا تتمردوا على الرب ولا تخافوا من شعب الأرض . ولكن قال كل الجماعة يرجما بالحجارة ، ثم ظهر مجد الرب فى خيمة الاجتماع لكل بنى إسرائيل وقال الرب لموسى حتى متى يهيننى هذا الشعب وحتى متى لا يصدقوننى بجميع الآيات التى عملت فى وسطهم . . إن جميع الرجال الذين رأوا مجدى وآياتى التى عملتها فى مصر وفى البرية وجربونى الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولى لن يروا الأرض التى حلفت لآبائهم. وجميع الذين أهانونى لا يروها وأما عبدى كالب فمن أجل أنه كانت معه روح أخرى وقد اتبعنى تماما أدخله إلى الأرض التى ذهبت إليها ، وزرعه يرثها وإذ

العمالقة والكنعانيون ساكنون فى الوادى فانصرفوا غداً وارتحلوا إلى القفر فى طريق بحر سوف . وكلم الرب موسى وهارون قائلا حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة على ؟ قد سمعت تذمر بنى إسرائيل الذى يتذمرونه على . قل لهم حى أنا يقول الرب لافعلن بكم كما تكلمتم فى أذنى . فى هذا القفر تسقط جثثكم ، جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعداً الذين تذمروا على . لن تدخلوا الارض التى رفعت يدى لاسكننكم فيها ما عدا كالب بن يفنة ويشوع بن نون . وأما أطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمة فإنى سأدخلهم فيعرفون الأرض التى احتقرتموها . فجثثكم أنتم تسقط فى هذا القفر . وبنوكم يكونون رعاة فى القفر أربعين سنة . ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم فى القفر . كعدد الايام التى تجسستم فيها الارض أربعين يوما ، للسنة يوم تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادى . أنا الرب قد تكلمت لافعلن هذا بكل الجماعة الشريرة المتفقة على . فى هذا القفر يفنون وفيه يموتون » (العدد ١٣ : ١ — ٣٣ : ١٤ : ١ — ٣٥) .

وقد ذكرت التوراة أن الله وهو يقود اليهود كان يرسم لهم خطط القتال ويصدر إليهم الاوامر بما ينبغى عليهم أن يفعلوا فى كل موقف وكل موقعة ، وكان يقاتل عنهم فلم يكن كل نصر أحرزوه راجعا إلى قوتهم أو قدرتهم لانهم كانوا دائما جبناء متخاذلين خائفين . وإنما كان بقوة الله وقدرته . وكان لا يفتأ يصارحهم بهذا ويتخلى عنهم أحيانا لينهزموا كى لا يسيطر عليهم الغرور والصلف والعجرفة إذ يعتقدون أن لهم فضلا فيما ينالون من ظفر بأعدائهم ، ولا سيما أن اليهود بطبيعتهم مغرورون صلفون متعجرفون ، فينكرون فضل الله عليهم ويكفرون به كما كان شأنهم فى كل حين . وقد جاء عن ذلك فى سفر الخروج « و شدد الرب قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بنى إسرائيل . . فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جداً وصرخ بنو إسرائيل إل الرب ، وقالوا لموسى هل لانه ليست قبور فى مصر أخذتنا لنموت فى البرية ؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر ؟ أليس هذا هو الكلام الذى كلمناك به فى مصر قائلين كف عنا فنخدم المصريين ، لانه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت فى البرية ؟ فقال موسى للشعب لا تخافوا قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم . . الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون .. فقال الرب لموسى مالك تصرخ إلى ؟ قل لبنى إسرائيل أن يرحلوا وارفع أنت عصاك ومد يدك على البحر وشقه فيدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة ،

وها أنا أشدد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم .. فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل وسار وراءهم ، وانتقل عمود السحاب من أمامهم ووقف وراءهم ، فدخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل وصار السحاب والظلام وأضاء الليل . . ومد موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل . وجعل البحر يابسة وانشق الماء ، فدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم . وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم . جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه إلى وسط البحر . وكان فى هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين فى عمود النار والسحاب وأزعج عسكر المصريين وخلع بكر مركباتهم حتى ساقوها بثقلة . فقال المصريون نهرب من إسرائيل لأن الرب يقاتل المصريين عنهم . فقال الرب مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين . . فمد موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة .. فدفع الرب المصريين فى وسط البحر ، فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذى دخل وراءهم فى البحر . لم يبق منهم ولا واحد . . فخلص الرب فى ذلك اليوم اسرائيل من يد المصريين . . حينئذ رنم موسى وبنو إسرائيل هذه التسبيحة للرب وقالوا .. الرب قوتى ونشيدى وقد صار خلاصى . . مركبات فرعون وجيشه ألقاها فى البحر . . يمينك يارب تحطم العدو ، وبكثرة عظمتك تهدم مقاوميك » (الخروج ١٤ : ٨ — ٣١ ، ١٥ : ١ — ٧) . وجاء فى سفر الخروج كذلك أن الله قال لموسى « أرسل هيبتى أمامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتى عليهم وأعطيك جميع أعدائك مدبرين وأرسل أمامك الزنابير فتطرد الحويين والكنعانيين والحثيين . وأجعل تخومك من بحر سوف إل بحر فلسطين . ومن البرية إلى النهر ، فإنى أدفع إلى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامك » (الخروج ٢٣ : ٢٧ — ٣١) . . وجاء فيه « قال الرب لموسى اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذى أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التى حلفت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها ، وأنا أرسل أمامك ملاكا وأطرد الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين » (الخروج ٣٣ : ١ و ٢) . وقال الله لموسى « احفظ ما أنا موصيك اليوم . ها أنا طارد من قدامك الأمورين والكنعانيين

والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين . احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التى أنت آت إليها لئلا يصيروا فخاً فى وسطك . بل تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم فإنك لا تسجد لإله آخر . . فإنى أطرد الأمم من قدامك وأوسع تخومك » (الخروج ٣٤ : ١١ — ١٤ و ٢٤) .

وجاء فى سفر العدد « فقال موسى لماذا تتجاوزون قول الرب فهذا لا ينجح . لا تصعدوا لأن الرب فى وسطكم لئلا تنهزموا أمام أعدائكم ، لأن العمالقة والكنعانيين هناك قدامكم . تسقطون بالسيف . إنكم قد ارتددتم عن الرب فالرب لا يكون معكم . لكنهم تجبروا وصعدوا إلى رأس الجبل . . وأما تابوت عهد الرب وموسى فلم يبرحا من وسط المحلة ، فنزل العمالقة والكنعانيون الساكنون فى ذلك الجبل وضربوهم وكسروهم إلى حرمة » (العدد ١٤ : ٤١ — ٤٥) . وجاء فيه « لما سمع الكنعانى ملك عراد الساكن فى الجنوب أن إسرائيل جاء فى طريق أتاريم حارب إسرائيل وسبى منهم سبياً ، فنذر إسرائيل نذراً للرب وقال إن دفعت هؤلاء القوم إلى يدى أحرم مدنهم ، فسمع الرب لقول إسرائيل ودفع الكنعانيين فحرموهم ومدنهم . . ثم تحولوا وصعدوا فى طريق باشان ، فخرج عوج ملك باشان للقائهم هو وجميع قومه إلى الحرب فى أذرعى ، فقال الرب لموسى لا تخف منه لأنى قد دفعته إلى يدك مع جميع قومه وأرضه فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الأموريين الساكن فى حشبون ، فضربوه وبنيه وجميع قومه . . وملكوا أرضه » (العدد ٢١ : ١ — ٣ و ٣٣ — ٣٥) « وكلم الرب موسى فى عربات موآب على أردن أريحا قائلا كلم بنى إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم . . وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً فى أعينكم ومناخس فى جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التى أنتم ساكنون فيها » (العدد ٣٣ : ٥٠ — ٥٦) .

وجاء فى سفر التثنية أن موسى قال لليهود « الرب إلهنا كلمنا فى حوريب قائلا كفاكم قعود فى هذا الجبل . تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر ، أرض الكنعانى ولبنان إلى النهر

الكبير، نهر الفرات .. أدخلوا وتملكوا الأرض التى أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيها لكم ولنسلكم من بعدكم » (التثنية ١ : ٦ — ٦) . وقال لهم « لم تشاءوا أن تصعدوا وعصيتم قول الرب إلهكم .. وقلتم الرب بسبب بغضته لنا قد أخرجنا من أرض مصر ليدفعنا إلى أيدى الأموريين لكى يهلكنا . . فقلت لكم لا تذهبوا ولا تخافوا منهم .. الرب إلهكم السائر أمامكم هو يحارب عنكم حسب كل ما فعل معكم فى مصر أمام أعينكم ، وفى البرية حيث رأيت كيف حملك الرب إلهك كما يحمل الإنسان ابنه فى كل الطريق التى سلكتموها حتى جئتم إلى هذا المكان » (التثنية ١ : ٢٦ — ٣١) . وجاء فيه أن موسى قال لليهود « تنطقتم كل واحد منكم بعدة حربه واستخففتم الصعود إلى الجبل ، فقال الرب لى قل لهم لا تصعدوا ولا تحاربوا لأنى لست فى وسطكم لئلا تنكسروا أمام أعدائكم فكلمتكم ولم تسمعوا بل عصيتم قول الرب وطغيتم وصعدتم إلى الجبل فخرج الأموريون الساكنون فى ذلك الجبل للقائكم وطردوكم كما يفعل النحل . وكسروكم فى سعير إلى حرمة » (التثنية ١ : ٤١ — ٤٤) « وكلمنى الرب قائلا قوموا ارتحلوا واعبروا وادى أرنون . . قد دفعت إلى يدك سيحون ملك حشبون الأمورى وأرضه . . ابتدئ تملك وأثر عليه حرباً . . فخرج سيحون للقائنا هو وجميع قومه للحرب إلى ياهص . فدفعه الرب إلهنا أمامنا فضربناه وبنيه وجميع قومه » (التثنية ٢ : ٢٤ و ٣٢ و ٣٣) . « ثم تحولنا وصعدنا فى طريق باشان فخرج عوج ملك باشان للقائنا هو وجميع قومه للحرب فى أذرعى فقال لى الرب لا تخف منه لأنى قد دفعته إلى يدك وجميع قومه وأرضه فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الأموريين . . فدفع الرب إلهنا إلى أيدينا عوج أيضاً ملك باشان وجميع قومه . . وأمرت يشوع فى ذلك الوقت قائلا عيناك قد أبصرتا كل ما فعل الرب إلهكم بهذين الملكين . هكذا يفعل الرب بجميع الممالك التى أنت عابر إليها . لا تخافوا منهم لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم » (التثنية ٣ : ١ — ٣ و ٢١ و ٣٢) . وقال الله لليهود « متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك ، الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين

سبع شعوب أكثر وأعظم منك ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم. لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم. بنتك لا تعط لابنه وبنته لا تأخذ لابنك. لأنه يرد ابنك من ورائى فيعبد آلهة أخرى فيحمى غضب الرب عليكم ويهلككم سريعاً. ولكن هكذا تفعلون بهم. تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم وتحرقون تماثيلهم بالنار.. لا تشفق عيناك عليهم ولا تعبد آلهتهم لأن ذلك شرك لك. إن قلت فى قلبك هؤلاء الشعوب أكثر منى كيف أقدر أن أطردهم فلا تخف منهم. أذكر ما فعله الرب إلهك بفرعون وبجميع المصريين. التجارب العظيمة التى أبصرتها عيناك والآيات والعجائب واليد الشديدة والذراع الرفيعة التى بها أخرجك الرب إلهك. هكذا يفعل الرب إلهك بجميع الشعوب التى أنت خائف من وجهها. والزنابير أيضاً يرسلها الرب إلهك عليهم حتى يفنى الباقون والمختفون من أمامك. لا ترهب وجوههم لأن الرب إلهك فى وسطك إله عظيم مخوف.. الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك.. يوقع بهم اضطراباً عظيماً حتى يفنوا ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء». (التثنية ٧ : ١ — ٢٤)

— «اسمع يا إسرائيل أنت اليوم عابر الأودن لكى تدخل وتمتلك شعوباً أكثر وأعظم منك ومدناً عظيمة ومحصنة إلى السماء. قوماً عظاماً وطوالا بنى عناق الذين عرفتهم وسمعت من يقف فى وجه بنى عناق. فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك ناراً آكلة. هو يبيدهم ويذلهم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعاً كما كلمك الرب» (التثنية ٩ : ١ — ٣). «إذا خرجت للحرب على عدوك، ورأيت خيلا ومراكب، قوماً أكثر منك فلا تخف منهم لأن معك الرب إلهك الذى أصعدك من أرض مصر. وعندما تقربون من الحرب يتقدم الكاهن ويخاطب الشعب ويقول لهم اسمع يا إسرائيل. أنتم قربتم اليوم من الحرب على أعدائكم. لا تضعف قلوبكم. لا تخافوا ولا ترتعدوا ولا ترهبوا وجوههم. لأن الرب إلهكم سائر معكم لكى يحارب عنكم أعداءكم ليخلصكم. ثم يخاطب العرفاء الشعب قائلين من هو الرجل الذى بنى بيتاً جديداً ولم يدشنه، ليذهب ويرجع إلى بيته لئلا يموت فى الحرب فيدشنه رجل آخر. ومن هو الذى غرس كرماً ولم يبتكره، ليذهب ويرجع إلى بيته لئلا يموت فى الحرب فيبتكره رجل آخر. ومن هو الرجل الذى خطب امرأة ولم يأخذها،

ليذهب ويرجع إلى بيته لئلا يموت فى الحرب فيأخذها رجل آخر . ثم يعود العرفاء يخاطبون الشعب ويقولون من هو الرجل الخائف والضعيف القلب ، ليذهب ويرجع إلى بيته لئلا تذوب قلوب إخوته مثل قلبه . وعند فراغ العرفاء من مخاطبة الشعب يقيمون رؤساء جنود على رأس الشعب .. حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وإن لم تسالمك ، بل عملت معك حرباً فحاصرها . وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة ، كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها تحريما (أى تبيدها إبادة) . الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك ، لكى لا يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التى عملوا لآلهتهم فتخطئوا إلى الرب إلهكم .. إذا حاصرت مدينة أياماً كثيرة محارباً إياها لكى تأخذها فلا تتلف شجرها بوضع الفأس عليه . إنك منه تأكل فلا تقطعه . لأنه هل شجرة الحقل إنسان حتى يذهب قدامك فى الحصار ؟ وأما الشجر الذى تعرف أنه ليس شجراً يؤكل منه فإياه تتلف وتقطع وتبنى حصناً على المدينة التى تعمل معك حرباً حتى تسقط » (التثنية ٢٠ : ١ — ٢٠)

« الرب إلهك هو عابر قدامك . هو يبيد هؤلاء الأمم قدامك فترثهم .. يفعل الرب بهم كما فعل بسيحون وعوج ملكى الأموريين اللذين أهلكهما .. فمن دفعهم الرب أمامكم تفعلون بهم حسب كل الوصايا التى أوصيتكم بها . . لا تخافوا ولا ترهبوا وجوههم لأن الرب إلهك سائر معك » (التثنية ٣١ : ٣ — ٦) .

وجاء فى سفر يشوع « كان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا . . قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لهم . كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى . من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات . جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم . لا يقف إنسان فى وجهك . . كما كنت مع موسى أكون معك . . الرب إلهك معك حيثما تذهب . . فبكر يشوع

فى الغد وارتحلوا من شطيم وأتوا إلى الأردن هو وكل بنى إسرائيل . . وكان بعد ثلاثة أيام أن العرفاء جازوا فى وسط المحلة وأمروا الشعب قائلين عندما ترون تابوت عهد الرب إلهكم والكهنة اللاويين حاملين إياه فارتحلوا من أماكنكم وسيروا وراءه . . تقدسوا لأن الرب يعمل غداً فى وسطكم عجائب . وقال يشوع للكهنة احملوا تابوت العهد واعبروا أمام الشعب . فحملوا تابوت العهد وساروا أمام الشعب. فقال الرب ليشوع اليوم أبتدىء أعظمك فى أعين جميع إسرائيل لكى يعلموا أنى كما كنت مع موسى أكون معك . وأما أنت فأمر الكهنة حاملى تابوت العهد قائلا عندما تأتون إلى ضفة مياه الأردن تقفون فى الأردن . فقال يشوع لبنى إسرائيل تقدموا إلى هنا واسمعوا كلام الرب إلهكم . ثم قال يشوع بهذا تعلمون أن الله الحى فى وسطكم وطرداً يطرد من أمامكم الكنعانيين والحثيين والحويين والفرزيين والجرجاشيين والأموريين واليبوسيين . هوذا تابوت عهد سيد كل الأرض عابر أمامكم فى الأردن . فعند إتيان التابوت إلى الأردن وانغماس أرجل الكهنة حاملى التابوت فى ضفة المياه ، والأردن ممتلىء إلى جميع شطوطه كل أيام الحصاد ، وقفت المياه المنحدرة من فوق وقامت نداً واحداً بعيداً جداً عن أدام المدينة التى إلى جانب صرتان والمنحدرة إلى بحر العربة ، بحر الملح انقطعت تماماً وعبر الشعب مقابل أريحا فوقف الكهنة حاملو تابوت عهد الرب على اليابسة فى وسط الأردن راسخين وجميع إسرائيل عابرون على اليابسة . . وكان لما انتهى كل الشعب من العبور أنه عبر تابوت الرب والكهنة . . وكلم الرب يشوع قائلا مر الكهنة حاملى تابوت الشهادة أن يصعدوا من الأردن . . فكان لما صعد الكهنة .. أن مياه الأردن رجعت إلى مكانها وجرت كما من قبل . . وصعد الشعب من الأردن فى اليوم العاشر من الشهر الأول وحلوا فى الجلجال فى تخم أريحا الشرقى .. وعندما سمع جميع ملوك الأموريين الذين فى عبر الأردن غربا وجميع ملوك الكنعانيين الذين على البحر أن الرب قد يبس مياه الأردن أمام بنى إسرائيل . . ذابت قلوبهم ولم تبق فيهم روح بعد » (يشوع ١ — ٥) : — « وكانت أريحا مغلقة بسبب بنى إسرائيل . لا أحد يخرج ولا أحد يدخل فقال الرب ليشوع انظر ، قد دفعت بيدك أريحا وملكها ، جبابرة البأس. تدورون. دائرة المدينة جميع رجال الحرب ، حول المدينة مرة واحدة هكذا تفعلون ستة أيام.. وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة أمام التابوت . وفى اليوم السابع تدورون

دائرة المدينة سبع مرات والكهنة يضربون بالأبواق ، ويكون عند امتداد صوت قرن الهتاف عند استماعهم صوت البوق أن جميع الشعب يهتف هتافاً عظيما فيسقط سور المدينة فى مكانه ويصعد الشعب كل رجل مع وجهه ... فسقط السور فى مكانه وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة » (يشوع ٦ : ١ — ٢٠) — « فقال الرب ليشوع . . خذ معك جميع رجال الحرب وقم اصعد إلى عاى . . قد دفعت بيدك ملك عاى وشعبه ومدينته وأرضه . فتفعل بعاى وملكها كما فعلت بأريحا وملكها.. إجعل كميناً للمدينة من ورائها .. فأخذ نحو خمسة آلاف رجل وجعلهم كميناً بين بيت إيل وعاى غربى المدينة ، وأقاموا الشعب ، أى كل الجيش الذى شمالى المدينة وكمينه غربى المدينة . . وخرج رجال المدينة للقاء إسرائيل . . فأعطى يشوع وجميع إسرائيل انكساراً أمامهم وهربوا فى طريق البرية . . فسعوا وراء يشوع . . ولم يبق فى عاى أو فى بيت إيل رجل لم يخرج وراء إسرائيل . . فقال الرب ليشوع مد المزراق الذى بيدك نحو عاى لأنى بيدك أدفعها . فمد يشوع المزراق . . فقام الكمين بسرعة من مكانه . . ودخلوا المدينة وأخذوها . . ولما رأى يشوع وجميع إسرائيل أن الكمين قد أخذ المدينة . . انثنوا وضربوا رجال عاى . . وضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت » (يشوع ٨ : ١ — ٢٢) .

— « فاجتمع ملوك الأموريين الخمسة ، ملك أورشليم وملك حبرون وملك يرموت وملك لخيش وملك عجلون وصعدوا هم وكل جيوشهم . . فقال الرب ليشوع لا تخفهم لأن بيدك قد أسلمتهم . . فأتى إليهم يشوع بغتة . . فأزعجهم الرب أمام إسرائيل وضربهم ضربة عظيمة . . وبينما هم هاربون من أمام إسرائيل وهم فى منحدر بيت حورون رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء إلى عزيقة فماتوا ، والذين ماتوا بحجارة البرد هم أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل بالسيف . . لأن الرب حارب عن إسرائيل » (يشوع ١٠ : ٥ — ١٤) . — « فلما سمع يابين ملك حاصور أرسل إلى يوباب ملك مادون وإلى ملك شمرون وإلى ملك أكشاف وإلى الملوك الذين إلى الشمال فى الجبل وفى العربة جنوبى كنروت ، وفى السهل وفى مرتفعات دور غرباً ، الكنعانيين فى الشرق والغرب ، والأموريين والحثيين والفرزيين واليبوسيين فى الجبل ، والحويين تحت حرمون فى أرض المصفاة ، فخرجوا هم وكل جيوشهم معهم شعبا غفيراً كالرمل الذى على شاطىء البحر فى الكثرة ، بخيل ومركبات كثيرة جداً . فاجتمع جميع هؤلاء الملوك .. لكى يحاربوا إسرائيل..

فقال الرب ليشوع لا تخفهم لأنى غداً فى مثل هذا الوقت أدفعهم جميعاً قتلى أمام إسرائيل فتعرقب خيلهم وتحرق مركباتهم بالنار ، فجاء يشوع وجميع رجال الحرب معه عليهم عند مياه ميروم بغتة وسقطوا عليهم . فدفعهم الرب بيد إسرائيل .. فضربوهم حتى لم يبق لهم شارد . ففعل يشوع بهم كما قال له الرب .. لم يهمل شيئا من كل ما أمر به الرب .. فأخذ يشوع كل الأرض حسب كل ما كلم به الرب موسى وأعطاها ملكا لإسرائيل » (يشوع ١١ : ١ — ٢٢) . — « وشاخ يشوع .. فقال له الرب .. قد بقيت أرض كثيرة جداً للامتلاك . هذه هى الأرض الباقية . كل دائرة الفلسطينيين ، وكل الجشوريين من الشيحور الذى هو أمام مصر إلى تخم عقرون شمالا تحسب للكنعانيين أقطاب الفلسطينيين الخمسة الغزى والاشدودى والأشقلونى والجتى والعقرونى والعويين . من اليمين كل أرض الكنعانيين ومغارة التى للصيدونيين إلى أفيق إلى تخم الاموريين ، وأرض الجبليين وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماه . جميع سكان الجبل من لبنان إلى مسرفوت مايم جميع الصيدونيين ، أنا أطردهم من أمام بنى إسرائيل » (يشوع ١٣ : ١ — ٦) — « أنتم قد رأيتم كل ما عمل الرب إلهكم بجميع أولئك الشعوب من أجلكم . لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم .. قد طرد الرب من أمامكم شعوباً عظيمة وقوية .. فلم يقف أحد قدامكم إلى هذا اليوم . رجل واحد منكم يطرد ألفا لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم كما كلمكم » (يشوع ١٣ : ٣ و ٩ و ١٠) .

وجاء فى سفر القضاة « وكان بعد موت يشوع أن بنى إسرائيل سألوا الرب قائلين من منا يصعد إلى الكنعانيين أولا لمحاربتهم . فقال الرب يهوذا يصعد . هوذا قد دفعت الأرض ليده .. ودفع الرب الكنعانيين والفرزيين بيدهم فضربوا منهم فى بازق عشرة آلاف رجل » (القضاة ١ : ١ و ٢ و ٤) . — « وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضى وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضى » (القضاة ٢ : ١٨) . — « وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب فأقام الرب مخلصاً لبنى إسرائيل مخلصهم ، عثنيئيل بن قناز أخا كالب الأصغر ، فكان عليه روح الرب وقضى لإسرائيل وخرج للحرب فدفع الرب ليده كوشان رشعتايم ملك آرام » (القضاة ٣ : ٩ و ١٠) « فقالت دبورة لباراق قم لأن هذا هو اليوم الذى دفع فيه الرب سيسرا ليدك . ألم

يخرج الرب قدامك ؟ فنزل باراق من جبل تابور ووراءه عشرة آلاف رجل ، فأزعج الرب سيسرا وكل المركبات وكل الجيش بحد السيف أمام باراق » (القضاة ٤ : ١٤ و ١٥) . — « واجتمع جميع المديانيين والعمالقة وبنى المشرق معاً وعبروا ونزلوا فى وادى يزرعيل ولبس روح الرب جدعون . . وقال الرب لجدعون (قاضى بنى إسرائيل) إن الشعب الذى معك كثير على لأدفع المديانيين بيدهم لئلا يفتخر على إسرائيل قائلا يدى خلصتنى . والآن ناد فى آذان الشعب قائلا من كان خائفاً ومرتعداً فليرجع وينصرف من جبل جلعاد . فرجع من الشعب اثنان وعشرون ألفا . . وبقى عشرة آلاف . وقال الرب لجدعون لم يزل الشعب كثيراً . انزل بهم إلى الماء فأنقيهم لك هناك ، ويكون أن الذى أقول لك هذا يذهب معك فهو يذهب معك . وكل من أقول لك عنه هذا لا يذهب معك فهو لا يذهب . فنزل بالشعب إلى الماء وقال الرب لجدعون كل من يلغ بلسانه من الماء كما يلغ الكلب فأوقفه وحده ، وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب ، وكان عدد الذين ولغوا بيدهم إلى فمهم ثلاثمائة رجل . وأما باقى الشعب جميعا فجثوا على ركبهم لشرب الماء ، فقال الرب لجدعون بالثلاثمائة رجل الذين ولغوا أخلصكم وأدفع المديانيين ليدك . . . وكان فى تلك الليلة أن الرب قال له : قم انزل إلى المحلة . لأنى قد دفعتها إلى يدك » (القضاة ٦ : ٣٣ و ٣٤ ، ٧ : ٢ — ٩) .

وجاء فى سفر صموئيل . بينما كان صموئيل يصعد المحرقة تقدم الفلسطينيون لمحاربة إسرائيل فأرعد الرب بصوت عظيم فى ذلك اليوم على الفلسطينيين وأزعجهم فانكسروا أمام إسرائيل » (صموئيل الأول ٧ : ١٠) . وجاء فيه « فقال داود للفلسطينيين . . الحرب للرب وهو يدفعكم لأيدينا » . . (صموئيل الأول ١٧ : ٤٥ و ٤٧) . . وجاء فيه « فسأل داود من الرب قائلا أأذهب وأضرب هؤلاء الفلسطينيين ؟ فقال الرب لداود اذهب واضرب الفلسطينيين . . فإنى أدفع الفلسطينيين ليدك » (صموئيل الأول ٢٣ : ٢ — ٤) . — « ثم عاد الفلسطينيون فصعدوا أيضاً وانتشروا فى وادى الرفائيين ، فتساءل داود من الرب ، فقال لا تصعد بل در من ورائهم . وهلم عليهم مقابل أشجار البكا وعندما تسمع صوت خطوات فى رؤوس أشجار البكا حينئذ احترص لأنه إذ ذاك يخرج الرب أمامك لضرب محلة الفلسطينيين ففعل داود كذلك كما أمره الرب وضرب الفلسطينيين من جبع إلى مدخل جازر » . (صموئيل الثانى ٥ : ٢٢ — ٢٥) .

وجاء فى سفر الملوك « وجمع بنهدد ملك آرام كل جيشه واثنين وثلاثين ملكا معه وخيلا ومركبات . وصعد وحاصر السامرة وحاربها وأرسل رسلا إلى آخاب ملك إسرائيل إلى المدينة وقال له هكذا يقول بنهدد : لى فضتك وذهبك ولى نساؤك وبنوك الحسان . . وإذا بنبى تقدم إلى آخاب ملك إسرائيل وقال هكذا قال الرب . هل رأيت كل هذا الجمهور العظيم ، ها أنذا أدفعه ليدك اليوم فتعلم أنى أنا الرب» (الملوك الأول ٢٠ : ١ و ٢ و ١٣) . وجاء فيه « وقف ربشاقى ونادى بصوت عظيم . . اسمعوا كلام الملك العظيم ملك آشور . . لا يجعلكم حزقيا تتكلون على الرب قائلا إنقاذاً ينقذنا الرب . . من من كل آلهة الأراضى أنقذ أرضهم من يدى حتى ينقذ الرب أورشليم من يدى ؟ . . فلما سمع الملك حزقيا ذلك مزق ثيابه . . فجاء عبيد الملك حزقيا إلى إشعياء فقال لهم إشعياء هكذا تقولون لسيدكم ، هكذا قال الرب : لا تخف بسبب الكلام الذى سمعته ، الذى جدف على به غلمان ملك آشور . ها أنذا أجعل فيه روحاً فيسمع خبراً ويرجع إلى أرضه وأسقطه بالسيف فى أرضه » (الملوك الثانى ١٨ : ٢٨ — ٣٧ ، ١٩ : ١ — ٧) . وجاء فيه « هكذا قال الرب عن ملك آشور . لا يدخل هذه المدينة . فى الطريق الذى جاء فيه يرجع ... وأحامى عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسى ومن أجل داود عبدى » (الملوك الثانى ١٩ : ٣٢ — ٣٤) .

وجاء فى سفر أخبار الأيام « فضرب الرب الكوشيين أمام آسا وأمام يهوذا فهرب الكوشيون » (أخبار الأيام الثانى ١٤ : ١٢) ، وجاء فيه « هكذا قال الرب لكم لا تخافوا ولا ترتاعوا بسبب هذا الجمهور الكثير لأن الحرب ليست لكم بل لله . . قفوا اثبتوا وانظروا خلاص الرب » (أخبار الأيام الثانى ٢٠ : ١٥ — ١٩) . وجاء فيه « جعل الرب أكمنة على بنى عمون وموآب وجبل ساعير الآتين على يهوذا فانكسروا » (أخبار الأيام الثانى ٢٠ : ٢٢) . وجاء فيه « كانت هيبة الله على كل ممالك الأراضى حين سمعوا أن الرب حارب أعداء إسرائيل » (أخبار الأيام الثانى ٢٠ : ٢٩) . وجاء فيه « أتى سنحاريب ملك آشور ودخل يهوذا . . ولما رأى حزقيا أن سنحاريب قد أتى . . جعل رؤساء قتال على الشعب وجمعهم إليه . . قائلا تشددوا وتشجعوا . لا تخافوا ولا ترتاعوا من ملك آشور ومن كل الجمهور الذى معه لأن معنا أكثر مما معه . معه ذراع بشر ومعنا الرب إلهنا ليساعدنا

ويحارب حروبنا » (أخبار الأيام الثانى ٣٢ : ١ — ٨) . — « بعد هذا أرسل سنحاريب ملك آشور عبيده إلى أورشليم .. فصلى حزقيا الملك وإشعياء بن آموص النبي لذلك وصرخا إلى السماء ، فأرسل الرب ملاكا فأباد كل جبار بأس ورئيس وقائد فى محلة ملك آشور .. وخلص الرب حزقيا وسكان أورشليم من سنحاريب » (أخبار الأيام الثانى ٣٢ : ٩ و ٢٠ — ٢٢) .

وجاء فى المزامير « الرب الجبار فى القتال » (المزمور ٢٤ : ٨) — « مبارك الرب صخرتى الذى يعلم يدى القتال وإصبعى الحرب » (المزمور ١٤٤ : ١) .

وجاء فى سفر إشعياء « .. صوت جمهور على الجبال . شبه قوم كثيرين . صوت ضجيج ممالك . أمم مجتمعة . رب الجنود يعرض جيش الحرب » (إشعياء ١٣ : ٤) . — « الرب كالجبار يخرج . كرجل حروب ينهض غيرته ، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه » (إشعياء ٤٢ : ١٣) .

وقد جاء فى التوراة أن الله أمر بالانتقام ممن كانوا يبدون العداوة لليهود أو يعتدون عليهم أو يمتنعون عن مساعدتهم فى حروبهم ، إذ جاء فى سفر العدد « وكلم الرب موسى قائلا انتقم نقمة لبنى إسرائيل من المديانيين .. فكلم موسى الشعب قائلا جندوا منكم رجالا للجند .. ليجعلوا نقمة الرب على مديان .. فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر . وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم .. وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم .. وأحرقوا جميع مدنهم » (العدد ٣١ : ١ — ١٠) . وجاء فى سفر التثنية « لا يدخل عمونى ولا موآبى فى جماعة الرب .. من أجل أنهم لم يلاقوكم بالخبز والماء فى الطريق عند خروجكم من مصر ولأنهم استأجروا بلعام بن بعور من فتور آرام النهرين لكى يلعنك .. لا تلتمس سلامهم ولا خيرهم كل أيامك إلى الأبد » (التثنية ٢٣ : ٢ — ٦) . وجاء فيه « اذكر ما فعله بك عماليق فى الطريق عند خروجك من مصر . كيف لاقاك فى الطريق وقطع من مؤخرك كل المستضعفين وراءك وأنت كليل متعب .. فمتى أراحك الرب إلهك من جميع أعدائك حولك فى الأرض التى يعطيك الرب إلهك نصيباً لكى تمتلكها تمحو ذكر عماليق من تحت السماء . لا تنس » (التثنية ٢٥ : ١٧ — ١٩) .

وجاء فى سفر صموئيل «قال صموئيل لشاول .. هكذا يقول رب الجنود ، إنى قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له فى الطريق عند صعوده من مصر . فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ماله ولا تعف عنه ، بل اقتل رجلا وامرأة ، طفلا ورضيعاً ، بقراً وغنماً ، جملا وحماراً ... وضرب شاول عماليق من حويلة حتى مجيئك إلى شور التى مقابل مصر» (صموئيل الأول ١٥ : ١ و ٢ و ٣ و ٧).

وقد وضع الله قواعد لتقسيم الغنائم التى يستولى عليها اليهود فى الحرب ، إذ جاء فى سفر العدد «وكلم الرب موسى قائلا احص النهب المسبى من الناس والبهائم أنت والعازار الكاهن ورؤوس آباء الجماعة . ونصف النهب بين الذين باشروا القتال الخارجين إلى الحرب وبين كل الجماعة ، وارفع زكاة للرب . من رجال الحرب الخارجين إلى القتال واحدة . نفساً من كل خمسمائة من الناس والبقر والحمير والغنم . من نصفهم تأخذونها وتعطونها لألعازار الكاهن رفيعة للرب . ومن نصف بنى إسرائيل تأخذ واحدة مأخوذة من كل خمسين من الناس والبقر والحمير والغنم ، من جميع البهائم تعطيها للاويين الحافظين شعائر مسكن الرب . ففعل موسى والعازار الكاهن كما أمر الرب موسى» (العدد ٣١ : ٢٥ — ٣١).

كما وضع الله قواعد لتقسيم الأرض التى استولى عليها اليهود بعد أن قضوا على أصحابها الأصليين ، إذ جاء فى سفر العدد «وكلم الرب موسى فى عربات موآب على أردن أريحا قائلا كلم بنى إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان ، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم .. تملكون الأرض وتسكنون فيها لأنى قد أعطيتكم الأرض لكى تملكوها ، وتقتسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم . الكثير تكثرون له نصيبه والقليل تقللون له نصيبه ، حيث خرجت لكم القرعة فهناك يكون له . حسب أسباط آبائكم تقتسمون . . هذه هى الأرض التى تقع لكم نصيباً : أرض كنعان بتخومها ، وتكون لكم ناحية الجنوب من برية صين على جانب أدوم . ويكون لكم تخم الجنوب من طرف بحر الملح إلى الشرق ، ويدور لكم التخم من جنوب عقبة عقربيم ويعبر إلى صين ، وتكون مخارجه من جنوب قادش برنيع ويخرج إلى حصر أدار ويعبر إلى عصمون . ثم يدور التخم من عصمون

إلى وادي مصر، وتكون مخارجه عند البحر . وأما تخم الغرب فيكون البحر الكبير لكم تخماً . هذا يكون لكم تخم الغرب . وهذا يكون لكم تخم الشمال . من البحر الكبير ترسمون لكم إلى جبل هور . ومن جبل هور ترسمون إلى مدخل حماة ، وتكون مخارج التخم إلى صدد ، ثم يخرج التخم إلى زفرون ، وتكون مخارجه عند حصرعينان . هذا يكون لكم تخم الشمال . وترسمون لكم تخما إلى الشرق من حصر عينان إلى شفام . وينحدر التخم من شفام إلى ربلة شرق عين . ثم ينحدر التخم ويمس جانب بحر كنارة إلى الشرق، ثم ينحدر التخم إلى الأردن وتكون مخارجه عند بحر الملح . هذه تكون لكم الأرض بتخومها حواليها .. هذه هي الأرض التي تقتسمونها بالقرعة .. وكلم الرب موسى قائلا هذان إسما الرجلين اللذين يقسمان لكم الأرض : ألعازار الكاهن ويشوع بن نون ، ورئيساً واحدا من كل سبط . تأخذون لقسمة الأرض » (العدد ٣٣ : ٥٠ — ٥٥ ، ٣٤ : ١ — ١٨) .

وكما كان الله يتولى قيادة اليهود ويقاتل عنهم وينصرهم ويعطيهم نصيبهم من الغنائم والأملاك والأراضي ، ليتمسكوا بالايمان به والولاء له ، كان كذلك حين يسخط عليهم لتنكرهم له وتمردهم عليه يتخلى عنهم ويخذلهم ويترك أعداءهم يهزمونهم ويذلونهم وينهبون الغنائم منهم ويغتصبون أملاكهم وأراضيهم ، إذ جاء في سفر القضاة «وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب .. وعبدوا البعل وعشتاروت . فحمى غضب الرب على إسرائيل فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم وباعهم بيد أعدائهم حولهم ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم .. فضاق بهم الامر جداً . وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم ، ولقضاتهم أيضاً لم يسمعوا ، بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها .. لم يكفوا عن أفعالهم وطريقهم القاسية .. فحمى غضب الرب على إسرائيل وقال من أجل أن هذا الشعب قد تعدوا عهدي الذي أوصيت به آباءهم ولم يسمعوا لصوتي، فأنا أيضاً لا أعود أطرد إنساناً من أمامهم من الامم الذين تركهم يشوع عند موته » (القضاة ٢ : ١١ — ٢٣) — « فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم . فحمي غضب الرب على إسرائيل فباعهم بيد كوشان رشعتايم ملك آرام النهرين فعبد بنو إسرائيل كوشان رشعتايم » (القضاة ٣ : ٥ — ٨) .

« وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب فشدد الرب عجلون ملك موآب على إسرائيل لأنهم عملوا الشر فى عينى الرب . فجمع إليه بنو عمون وعماليق وسار وضرب إسرائيل . فعبد بنو إسرائيل عجلون ملك موآب » (القضاة ٣ : ١٢ — ١٤) .

« وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب .. فباعهم الرب بيد يابين . ملك كنعان » (القضاة ٤ : ١ و ٢) .

« وعمل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب فدفعهم الرب ليد مديان . . . فاعتزت يد مديان على إسرائيل .. بسبب المديانيين عمل بنو إسرائيل لأنفسهم الكهوف التى فى الجبال والمغاير والحصون . وإذا زرع إسرائيل كان يصعد المديانيون والعمالقة وبنو المشرق .. وينزلون عليهم ويتلفون غلة الأرض .. ولا يتركون لإسرائيل قوت الحياة ولا غنماً ولا بقراً ولا حميراً ، لأنهم كانوا يصعدون بمواشيهم وخيامهم ويجيئون كالجراد فى الكثرة وليس لهم ولجمالهم عدد ، ودخلوا الأرض لكى يخربوها . فذل إسرائيل جداً من قبل المديانيين » (القضاة ٦ : ١ — ٦) .

« وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بنى عمون وآلهة الفلسطينيين .. فحمى غضب الرب على إسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بنى عمون فحطموا ورضضوا بنى إسرائيل .. جميع بنى إسرائيل الذين فى عبر الأردن فى أرض الأموريين الذين فى جلعاد . . وعبر بنو عمون الأردن ليحاربوا أيضاً يهوذا وبنيامين وبيت أفرايم ، فتضايق إسرائيل جداً » (القضاة ١٠ : ٦ — ٩) . « ثم عاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة » (القضاة ١٣ : ١) .

وجاء فى سفر الملوك « أرسل ملك آشور ترتان وربساريس وربشاقى من لخيش إلى الملك حزقيا .. ودعوا الملك فخرج إليهم إلياقيم بن حلقيا الذي على البيت وشبنة الكاتب ويواخ بن آساف المسجل ، فقال لهم ربشاقى قولوا لحزقيا هكذا يقول الملك العظيم ملك آشور .. على من اتكلت حتى عصيت على .. إذا قلتم لى على الرب إلهنا اتكلنا .. هل بدون الرب صعدت على هذا الموضع لأخربه ؟ الرب قال لى اصعد على هذه الأرض واخربها » (الملوك الثانى ١٨ : ١٧ — ٢٥) .

وجاء فى سفر أخبار الأيام « وأهاج الرب على يهورام (ملك يهوذا) روح

الفلسطينيين والعرب الذين بجانب الكوشيين فصعدوا إلى يهوذا وافتتحوها وسبوا كل الأموال الموجودة فى بيت الملك مع بنيه ونسائه أيضاً » (أخبار الأيام الثانى ٢١ : ١٦ و١٧) . وجاء فيه « فى ذلك الوقت أرسل الملك آحاز إلى ملوك آشور لكى يساعدوه فإن الادوميين أتو أيضاً وضربوا يهوذا وسبوا سبياً . واقتحم الفلسطينيون مدن السواحل وجنوبى يهوذا وأخذوا بيت شمس وأيلون وجديروت وسوكو وقراها وتمنة وقراها وجمزة وقراها وسكنوا هناك . لأن الرب ذلل يهوذا بسبب آحاز ملك إسرائيل لأنه أجمح يهوذا وخان الرب خيانة . فجاء عليه تغلت فلاسر ملك آشور وضايقه » (أخبار الأيام الثانى ٢٨ : ١٦ — ٢٠) .

وجاء فيه « كان منسى ابن اثنتى عشرة سنة حين ملك ، وملك خمساً وخمسين سنة فى أورشليم وعمل الشر فى عينى الرب .. فبنى المرتفعات التى هدمها حزقيا أبوه وأقام مذابح للبعليم . . أضل يهوذا وسكان أورشليم ليعملوا أشر من الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل . وكلم الرب منسى وشعبه فلم يصغوا ، فجلب الرب عليهم رؤساء الجند الذين لملك آشور فأخذوا منسى بخزامة وقيدوه بسلاسل نحاس وذهبوا به إلى بابل » (أخبار الأيام الثانى ٣٣ : ١ — ١٨) .

وجاء فى سفر عزرا « بعد أن أسخط آباؤنا إله السماء دفعهم ليد نبوخذنصر ملك بابل الكلدانى الذى هدم هذا البيت وسبى الشعب إلى بابل » (عزرا ٥ : ١٢) .

وجاء فى سفر إرميا « هكذا قال الرب .. أدفع كل يهوذا ليد ملك بابل فيسبيهم إلى بابل ويضربهم بالسيف ، وأدفع كل ثروة هذه المدينة وكل تعبها وكل مثمناتها وكل خزائن ملوك يهوذا أدفعها ليد أعدائهم فيغنموها » (إرميا ٢٠ : ٤ و٥) . وجاء فيه « الكلام الذى صار إلى إرميا من قبل الرب حين أرسل إليه الملك صدقيا (ملك يهوذا) فشحور بن ملكيا و صفنيا بن معسيا الكاهن قائلا اسأل الرب من أجلنا لأن نبوخذ راصر ملك بابل يحاربنا .. فقال لهما إرميا هكذا تقولون لصدقيا ، هكذا قال الرب إله إسرائيل ها أنذا أرد أدوات الحرب التى بيدكم التى أنتم محاربون بها ملك بابل والكلدانيين الذين يحاصرونكم خارج السور وأجمعهم فى وسط هذه المدينة وأنا أحاربكم بيد ممدودة وبذراع شديدة وبغضب وحمو غيظ عظيم . وأضرب سكان هذه المدينة (أورشليم) . الناس والبهائم معاً . بوباً عظيم يموتون . ثم بعد

ذلك قال الرب أدفع صدقيا ملك يهوذا وعبيده والشعب الباقين فى هذه المدينة من الوبأ والسيف والجوع ليد نبوخذراصر ملك بابل وليد أعدائهم وليد طالبى نفوسهم فيضربهم بحد السيف . لا يترأف عليهم ولا يشفق ولا يرحم .. أعاقبكم حسب ثمر أعمالكم يقول الرب » (إرميا ٢١ : ١ — ١٤) .

٣ — الله هو ملك اليهود :

وكما أن الله هو إله اليهود وقائدهم فهو كذلك ملكهم ، إذ جاء فى سفر صموئيل « الرب إلهكم وملككم » (صموئيل الأول ١٢ : ١٢) . وجاء فى سفر المزامير « رنموا لله رنموا . رنموا لملكنا رنموا » (المزمور ٤٧ : ٦) — « قدوس إسرائيل ملكنا » (المزمور ٨٩ : ١٨) — « بالأبواق وصوت الصور اهتفوا قدام الملك الرب » (المزمور ٩٨ : ٦) . وجاء فى سفر إشعياء « الرب ملكنا » (إشعياء ٣٣ : ٢٢) . وجاء فيه « أنا الرب قدوسكم خالق إسرائيل ملككم » (إشعياء ٤٣ : ١٥) . وجاء فى سفر إرميا « ألعل الرب ليس فى صهيون أو ملكها ليس فيها » (إرميا ٨ : ١٩) . وجاء فى سفر صفنيا « ملك إسرائيل الرب فى وسطك » (صفنيا ٣ : ١٥) .

وقد جاء فى التوراة أن الله غضب على اليهود حين طلبوا من صموئيل النبى أن يقيم له ملكا من بينهم ، وكأنهم بذلك قد رفضوا أن يكون الله هو ملكهم ، إذ جاء فى سفر صموئيل « فاجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل إلى الرامة وقالوا له .. إجعل لنا ملكا يقضى لنا كسائر الشعوب ، فساء الأمر فى عينى صموئيل إذ قالوا أعطنا ملكا يقضى لنا ، وصلى صموئيل إلى الرب ، فقال الرب لصموئيل اسمع الصوت الشعب فى كل ما يقولون لك ، لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياى رفضوا حتى لا أملك عليهم . حسب كل أعمالهم التى عملوا من يوم أصعدتهم من مصر إلى هذا اليوم وتركونى وعبدوا آلهة أخرى ، وهكذا هم عاملون بك أيضاً . فالآن اسمع لصوتهم ولكن أشهدن عليهم وأخبرهم بقضاء الملك الذى يملك عليهم . فكلم صموئيل الشعب الذين طلبوا منه ملكاً بجميع كلام الرب وقال هذا يكون قضاء الملك الذى يملك عليكم : يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه ، لمراكبه وفرسانه فيركضون أمام مراكبه . ويجعل لنفسه رؤساء ألوف ورؤساء خماسين فيحرثون حراثه ويحصدون حصاده ويعملون

غدة خربه وأدوات مراكبه. ويأخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات. ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم أجودها ويعطيها لعبيده. ويعشر زروعكم وكرومكم ويعطى لخصيانه وعبيده. ويأخذ عبيدكم وجواريكم وشبانكم الحسان وحميركم ويستعملهم لشغله، ويعشر غنمكم وأنتم تكونون له عبيداً، فتصرخون فى ذلك اليوم من وجه ملككم الذى اخترتموه لأنفسكم فلا يستجيب لكم الرب فى ذلك اليوم. فأبى الشعب أن يسمعوا لصوت صموئيل وقالوا لا بل يكون علينا ملك، فنكون نحن أيضاً مثل سائر الشعوب ويقضى لنا ملكنا ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا. فسمع صموئيل كل كلام الشعب وتكلم به فى أذنى الرب فقال الرب لصموئيل اسمع لصوتهم وملك عليهم ملكاً» (صموئيل الاول ٨ : ٤ — ٢٢).

بيد أنه حين أصبح لليهود ملوك أصبح الله فى أسفار التوراة هو ملك الملوك، إذ كان داود الملك يخاطبه فى مزاميره قائلا «استمع لصوت دعائى ياملكى وإلهى» (المزمور ٥ : ٢) - «أنت هو ملكى يا ألله» (المزمور ٤٤ : ٤) - «طرقك يا ألله طرق إلهى ملكى فى القدس» (المزمور ٦٨ : ٢٤) — «الله ملكى منذ القدم» (المزمور ٧٤ : ١٢). «ما أحلى مساكنك يارب الجنود.. ملكى وإلهى». (المزمور ٨٤ : ٣) — «أرفعك يا إلهى الملك وأبارك اسمك إلى الدهر وإلى الأبد» (المزمور ١٤٥ : ١).

والله هو الذى كان يعين ملوك اليهود ويعزلهم، إذ جاء فى سفر دانيال «ليكن اسم الله مباركا من الأزل وإلى الأبد، لأن له الحكمة والجبروت، وهو يغير الأوقات والأزمنة، يعزل ملوكا وينصب ملوكا» (دانيال ٢ : ٢١). وجاء فى سفر التثنية «متى أتيت إلى الأرض التى يعطيك الرب إلهك وامتلكتها وسكنت فيها. فإن قلت أجعل على ملكاً كجميع الأمم الذين حولى، فإنك تجعل عليك ملكاً الذى يختاره الرب إلهك. من وسط إخوتك تجعل عليك ملكاً. لا يحل لك أن تجعل عليك رجلا أجنبياً ليس هو أخاك. ولكن لا يكثر له الخيل.. ولا يكثر له نساء لئلا يزيغ قلبه. وفضة وذهباً لايكثر له كثيراً. وعندما يجلس على كرسى مملكته يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة فى كتاب من عند الكهنة اللاويين فتكون معه ويقرأ فيها كل أيام حياته لكى يتعلم أن يتقى الرب إلهه ويحفظ جميع كلمات هذه الشريعة وهذه الفرائض ليعمل بها، لئلا يرتفع قلبه على إخوته، ولئلا يحيد عن الوصية يميناً أو شمالا» (التثنية ١٧ : ١٤ — ٢٠).

وقد جاء فى سفر صموئيل « الرب كشف أذن صموئيل .. قائلا غداً فى مثل الآن أرسل إليك رجلا من أرض بنيامين فامسحه رئيسا لشعبي إسرائيل . . فلما رأى صموئيل شاول أجابه الرب هوذا الرجل الذى كلمتك عنه . . فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه وقبله وقال .. الرب قد مسحك على ميراثه رئيساً . . وكان عندما أدار (شاول) كتفه لكى يذهب من عند صموئيل أن الله أعطاه قلباً آخر . . واستدعى صموئيل الشعب إلى الرب ، إلى المصفاة ، وقال لبنى إسرائيل ، هكذا يقول الرب إله إسرائيل . . أنتم رفضتم اليوم إلهكم الذى هو مخلصكم من جميع الذين يضايقونكم ويضايقونكم وقلتم له بل تجعل علينا ملكا . فالآن امثلوا أمام الرب حسب أسباطكم وألوفكم . فقدم صموئيل جميع أسباط إسرائيل فأخذ سبط بنيامين ، ثم قدم سبط بنيامين حسب عشائره فأخذت عشيرة مطرى ، وأخذ شاول بن قيس .. فوقف بين الشعب فكان أطول من كل الشعب من كتفه فما فوق . فقال صموئيل لجميع الشعب أرأيتم الذى اختاره الرب ، إنه ليس مثله فى جميع الشعب . فهتف الشعب وقال ليحى الملك » (صموئيل الأول ٩ : ١٥ — ٢٧ ، ١٠ : ١ — ٢٤) . ثم جاء فى هذا السفر « وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلا ندمت على أنى جعلت شاول ملكا لأنه رجع من ورائى ولم يقم كلامى .. فقال صموئيل لشاول لا أرجع معك لأنك رفضت كلام الرب فرفضك الرب من أن تكون ملكاً على إسرائيل .. يمزق الرب مملكة إسرائيل عنك اليوم ويعطيها لصاحبك الذى هو خير منك . ولم يعد صموئيل لرؤية شاول إلى يوم موته لأن صموئيل ناح على شاول والرب ندم لأنه ملك شاول على إسرائيل » (صموئيل الأول ١٥ : ١٠ — ٣٤) .

وجاء فى سفر صموئيل « فقال الرب لصموئيل حتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته من أن يملك على إسرائيل ؟ إملأ قرنك دهنا وتعال أرسلك إلى يسى البيتلحمى لأنى قد رأيت لى فى بنيه ملكا .. وقدم يسى وبنيه .. وكان لما جاءوا أنه رأى إلياب فقال إن أمام الرب مسيحه . فقال الرب لصموئيل لا تنظر إلى منظره وطول قامته لأنى قد رفضته ، لأنه ليس كما ينظر الإنسان ، لأن الإنسان ينظر إلى العينين وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب . فدعا يسى أبيناداب وعبره أمام صموئيل . فقال وهذا أيضاً لم يختره الرب . وعبر يسى شمة ، فقال وهذا أيضاً لم يختره الرب . وعبر يسى بنيه السبعة أمام صموئيل فقال صموئيل ليسى الرب لم يختر هؤلاء . . هل كملوا

الغلمان؟ فقال بقي بعد الصغير وهوذا يرعى الغنم، فقال صموئيل ليسى أرسل وائت به .. فأرسل وأتى به، وكان أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر. فقال الرب قم امسحه لأن هذا هو. فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته. وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم» (صموئيل الأول ١٦ : ١ — ١٣).

وجاء في سفر أخبار الأيام «ووقف داود الملك .. وقال .. كان في قلبي أن أبني بيت قرار لتابوت عهد الرب ولموطيء قدمي إلهنا، وقد هيأت للبناء. ولكن الله قال لي لاتبني بيتاً لاسمي، لأنك أنت رجل حروب وقد سفكت دماً. وقد اختارني الرب إله إسرائيل من كل بيت أبي لأكون ملكا على إسرائيل .. لأنه إنما اختار يهوذا رئيساً ومن بيت يهوذا بيت أبي ومن بني أبي سر بي ليملكني على كل إسرائيل، ومن كل بني — فإن الرب أعطاني بنين كثيرين — إنما اختار سليمان ابني ليجلس على كرسي مملكة الرب، على إسرائيل، وقال لي إن سليمان ابنك هو يبني بيتي ودياري» (أخبار الأيام الأول ٢٨ : ٢ — ٦).

وجاء في سفر الملوك «وكان في ذلك الزمان لما خرج يربعام (بن نباط) من أورشليم أنه لاقاه أخيا الشيلوني النبي في الطريق .. وقال ليربعام .. هكذا قال الرب إله إسرائيل ها أنذا أمزق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط ويكون له سبط واحد من أجل عبدي داود ومن أجل أورشليم المدينة التي اخترتها من كل أسباط إسرائيل، لأنهم تركوني وسجدوا لعشتورت إلهة الصيدونيين ولكموش إله الموآبيين ولملكوم إله بني عمون .. وآخذك فتملك حسب كل ماتشتهي نفسك وتكون ملكا على إسرائيل» (الملوك الأول ١١ : ٢٦ — ٣٧).
ثم جاء في هذا السفر «وقال الرب لأخيا (النبي) هوذا امرأة يربعام آتية لتسأل منك شيئاً من جهة ابنها لأنه مريض .. فلما سمع أخيا حس رجليها وهي داخلة في الباب قال .. اذهبي قولي ليربعام هكذا قال الرب إله إسرائيل من أجل أني رفعتك من وسط الشعب وجعلتك رئيساً على شعبي إسرائيل وشققت المملكة من بيت داود وأعطيتك إياها .. وقد ساء عملك أكثر من جميع الذين كانوا قبلك فسرت وعملت لنفسك آلهة أخرى ومسبوكات لتغيظني وقد طرحتني وراء ظهرك،

لذلك ها أنذا جالب شراً على بيت يربعام .. ويقيم الرب لنفسه ملكاً على إسرائيل يقرض بيت يربعام هذا اليوم » (الملوك الأول ١٤ : ٥ — ١٤) .

وجاء فى سفر الملوك « وكان كلام الرب إليه يقول .. مالك ههنا يا إيليا ؟ فقال غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها. فقال له الرب اذهب راجعاً فى طريقك إلى برية دمشق وادخل وامسح حزائيل ملكا على آرام ، وامسح ياهو بن نمشى ملكا على إسرائيل ، وامسح إليشع بن شافاط من آبل محولة نبياً عوضاً عنك ، فالذى ينجو من سيف حزائيل يقتله ياهو ، والذى ينجو من سيف ياهو يقتله إليشع .. فذهب من هناك ووجد إليشع بن شافاط يحرث واثنا عشر فدان بقر قدامه .. فمر إيليا به ، وطرح رداءه عليه ، فترك البقر وركض .. ومضى وراء إيليا وكان يخدمه .. ودعا إليشع النبي واحداً من بنى الأنبياء وقال له شد حقويك وخذ قنينة الدهن بيدك واذهب إلى راموت جلعاد .. فانظر هناك ياهو بن يهوشافاط بن نمشى .. ثم خذ قنينة الدهن وصب على رأسه وقل هكذا قال الرب : قد مسحتك ملكاً على إسرائيل .. فانطلق .. ودخل البيت فصب الدهن على رأسه .. وضربوا بالبوق وقالوا قد ملك ياهو » (الملوك الأول ١٩ : ١٠ و ١٣ — ٢١ ؛ الملوك الثانى ١٩ : ١ — ١٣) .

٤ — الله هو مشرّع اليهود :

وقد وضع الله شريعة اليهود وأعطاها لنبيهم موسى ليبلغها إليهم ، ويطالبهم بالعمل بها إن كانوا يؤمنون بالله حتماً ويدينون بالولاء له والطاعة لأوامره ووصاياه التى تتضمنها هذه الشريعة ، والتى تتناول أربعة أقسام من الأحكام ، هى الأحكام الطقسية ، والأحكام الأدبية والأحكام المدنية والأحكام الجنائية .وإن حدثت أى مخالفة لأى حكم من أحكام هذه الأقسام الأربعة على السواء يعتبر الله ذلك إساءة إليه وخطيئة فى حقه تستوجب غضبه وتوقيع العقاب على المسىء والمخطىء . لأنها كلها أحكام إلهية . فطاعتها تتضمن طاعة الله وتقواه . وعصيانها يتضمن عصيان الله والتمرد عليه .

أما إعطاء الله الشريعة لموسى ليبلغها إلى اليهود فقد جاء عنه فى سفر الخروج « نزل الرب على جبل سيناء .. ودعا الله موسى إلى رأس الجبل .. ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً .. هكذا تقول لبنى إسرائيل» (الخروج ١٩ : ٢٠ ؛ ٢٠: ٢٢) . وقال الله لموسى « هذه هى الأحكام التى تضع أمامهم .. فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا كل الأقوال التى تكلم بها الرب نفعل . فكتب موسى جميع أقوال الرب .. وقال الرب لموسى اصعد إلى ، إلى الجبل ، وكن هناك فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم . . فصعد موسى إلى الجبل . وحل مجد الرب على جبل سيناء وغطاه سحاب ستة أيام . وفى اليوم السابع دعى موسى من وسط السحاب .. وكان موسى فى الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة . . وكلم الرب موسى قائلا كلم بنى إسرائيل أن يأخذوا لى تقدمة . . فيصنعون لى مقدساً لأسكن فى وسطهم .. ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحى الشهادة ، لوحى حجر مكتوبين بإصبع الله .. فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده لوحان مكتوبان على جانبيهما. من هنا ومن هنا كانا مكتوبين . واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين » (الخروج ٢١ — ٣٢) — « وقال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات . لأننى بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل .. وكان هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء .. وكان لما نزل موسى من جبل سيناء .. أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع فى كلامه معه، فنظر هارون وجميع بنى إسرائيل موسى وإذا جلد وجهه لمع فخافوا أن يقتربوا إليه . فدعاهم موسى .. وبعد ذلك اقترب جميع بنى إسرائيل .. فأوصاهم بكل ما تكلم به الرب معه فى جبل سيناء . ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقعاً . وكان موسى عند دخوله أمام الرب ليتكلم معه ينزع البرقع حتى يخرج ويكلم بنى إسرائيل بما يوصى . فإذا رأى بنو إسرائيل وجه موسى أن جلده يلمع كان موسى يرد البرقع على وجهه حتى يدخل ليتكلم معه » (الخروج ٣٤ : ٢٧ — ٣٥) . وهكذا كان الله يدعو إليه موسى ليعطيه أحكام الشريعة ، كى يبلغها إلى بنى إسرائيل ، إذ تتردد فى التوراة هذه العبارات : « ودعا الرب موسى وكلمه من خيمة الاجتماع قائلاً كلم بنى إسرائيل وقل لهم .. » (اللاويين ١ : ١) . — « وكلم الرب

موسى قائلا كلم هارون وبنيه قائلا هذه شريعة المحرقة .. وهذه شريعة التقدمة . . » (اللاويين ٦ : ٨ و ١٤) — « وكلم الرب موسى قائلا هذا قربان هارون وبنيه » (اللاويين ٦ : ٢٤) — « وكلم الرب موسى قائلا كلم هارون وبنيه قائلا هذه شريعة ذبيحة الخطيئة .. وهذه شريعة ذبيحة الإثم .. وهذه شريعة ذبيحة السلامة » (اللاويين ٦ : ٢٤ ، ٧ : ١ و ١١) « وكلم الرب موسى وهارون قائلا هذه هى فريضة الشريعة التى أمر بها الرب قائلا كلم بنى إسرائيل ... » (العدد ١٩ : ١) . — « وكلم الرب موسى وهارون قائلا لهما كلما بنى إسرائيل قائلين هذه هى الحيوانات التى تأكلونها من جميع بهائم الأرض ...» (اللاويين ١١ : ١) . — « وكلم الرب موسى قائلا هذه تكون شريعة الأبرص » (اللاويين ١٤ : ١) . — «وكلم الرب موسى قائلا كلم هارون وبنيه وجميع بنى إسرائيل وقل لهم هذا هو الأمر الذى يوصى به الرب قائلا ..» (اللاويين ١٧ : ١) . — وكلم الرب موسى قائلا كلم بنى إسرائيل وقل لهم مواسم الرب التى تنادون محافل مقدسة هذه هى مواسمى . . » (اللاويين ٢٣ : ١) وكان موسى لا يفتأ يجمع اليهود ليبلغهم تعاليم الله ، إذ تتردد فى التوراة هذه العبارات « وجمع موسى كل جماعة بنى إسرائيل وقال لهم هذه هى الكلمات التى أمر الرب أن تصنع » (الخروج ٣٢ : ١) — « وكلم موسى كل جماعة إسرائيل قائلا هذا هو الشىء الذى أمر به الرب » (الخروج ٣٥ : ٤) . — « وكلم موسى رؤوس أسباط بنى إسرائيل قائلا هذا ما أمر به الرب » (العدد ٣٠ : ١) . وجاء فى سفر التثنية « هذا هو الكلام الذى كلم به موسى جميع إسرائيل فى عبر الأردن فى البرية .. ففى السنة الأربعين فى الشهر الحادى عشر فى الأول من الشهر كلم موسى بنى إسرائيل حسب كل ما أوصاه الرب إليهم » (التثنية ١ : ١ — ٤) . — « فالآن يا إسرائيل اسمع الفرائض والأحكام التى أعلمكم لتعملوها لكى تحيوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التى الرب إله آبائكم يعطيكم . لا تزيدوا على الكلام الذى أنا أوصيكم به ولا تنقصوا منه لكى تحفظوا وصايا الرب إلهكم التى أنا أوصيكم بها . . قد علمتكم فرائض وأحكاما كما أمرنى الرب إلهى لكى تعملوا هكذا فى الأرض التى أنتم داخلون إليها لكى تمتلكوها ، فاحفظوا واعملوا .. احترز واحفظ نفسك جيداً لئلا تنسى الأمور التى أبصرت عيناك ولئلا تزول من قلبك كل أيام حياتك وعلمها أولادك

وأولاد أولادك . فى اليوم الذى وقفت فيه أمام الرب إلهك فى حوريب حين قال لى الرب اجمع إلى الشعب فأسمعهم كلامى لكى يتعلموا أن يخافونى كل الأيام التى هم فيها أحياء على الأرض ويعلموا أولادهم . . فكلمكم الرب من وسط النار . . وأخبركم بعهده الذى أمركم أن تعملوا به ، والكلمات العشر ، وكتبه على لوحى حجر ، وإياى أمر الرب فى ذلك الوقت أن أعلمكم فرائض وأحكاماً لكى تعملوها .. احترزوا من أن تنسوا عهد الرب إلهكم الذى قطعه معكم . . هذه هى الشريعة التى وضعها موسى أمام بنى إسرائيل . هذه هى الشهادات والفرائض والأحكام التى كلم بها موسى بنى إسرائيل عند خروجهم من مصر فى عبر الأردن . . ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم اسمع يا إسرائيل الفرائض والأحكام التى أتكلم بها فى مسامعكم اليوم وتعلموها واحترزوا لتعملوها . الرب إلهنا قطع معنا عهداً فى حوريب . . . وجهاً لوجه تكلم الرب معنا فى الجبل من وسط النار . أنا كنت واقفاً بين الرب وبينكم فى ذلك الوقت لكى أخبركم بكلام الرب . . وقلتم . . تقدم أنت واسمع كل ما يقول لك الرب إلهنا وكلمنا بكل ما يكلمك به الرب إلهنا فنسمع ونعمل . . وقال لى الرب . . قل لهم ارجعوا إلى خيامكم ، وأما أنت فقف هنا معى فأكلمك بجميع الوصايا والفرائض والأحكام التى تعلمهم فيعملونها . . فاحترزوا لتعملوا كما أمركم الرب إلهكم . لا تزيغوا يميناً ولا يساراً . فى جميع الطريق الذى أوصاكم بها الرب إلهكم تسلكوا لكى تحيوا ويكون لكم خير وتطيلوا الأيام فى الأرض التى تمتلكونها » (التثنية ٤ و ٥) .

ومن أمثلة الأحكام التى تتضمنها الشريعة الطقسية ما ورد فى سفر الخروج ، إذ جاء فيه أن الله قال لموسى « تقدم هارون وبنيه إلى خيمة الاجتماع وتغسلهم بماء ، وتأخذ الثياب ، وتلبس هارون القميص وجبة الرداء والرداء والصدرة وتشده بزنار الرداء وتضع العمامة على رأسه وتجعل الإكليل المقدس على العمامة وتأخذ دهن المسحة وتسكبه على رأسه وتمسحه وتقدم بنيه وتلبسهم أقمصة وتنطقهم بمناطق هارون وبنيه وتشد لهم قلانس ، فيكون لهم كهنوت فريضة أبدية ، وتملأ يد هارون ويد بنيه ، وتقدم الثور قدام خيمة الاجتماع ، فيضع هارون وبنوه أيديهم على رأس الثور فتذبح الثور أمام الرب عند باب خيمة الاجتماع . وتأخذ من دم الثور وتجعله على قرون المذبح بأصبعك وسائر الدم تصبه إلى أسفل المذبح وتأخذ كل الشحم الذى يغشى الجوف وزيادة

الكبد والكليتين والشحم الذى عليهما وتوقدها على المذبح . وأما لحم الثور وجلده وفرثه فتحرقها بنار خارج المحلة . هو ذبيحة خطيئة . وتأخذ الكبش الواحد فيضع هارون وبنوه أيديهم على رأس الكبش ، فتذبح الكبش وتأخذ دمه وترشه على المذبح من كل ناحية ، وتقطع الكبش إلى قطع وتغسل جوفه وأكارعه وتجعله على قطعه وعلى رأسه وتوقد كل الكبش على المذبح ، هو محرقة للرب ، رائحة سرور ، وقود هو للرب ، وتأخذ الكبش الثانى فيضع هارون وبنوه أيديهم على رأس الكبش ، فتذبح الكبش وتأخذ من دمه وتجعل على شحمة أذن هارون وعلى شحم آذان بنيه اليمنى وعلى أباهم أيديهم اليمنى وعلى أباهم أرجلهم اليمنى وترش الدم على المذبح من كل ناحية ، وتأخذ من الدم الذى على المذبح ومن دهن المسحة وتنضح على يد هارون وثيابه وعلى بنيه وثياب بنيه معه . فيتقدس هو وثيابه وثياب بنيه معه. ثم تأخذ من الكبش الشحم والإلية والشحم الذى يغشى الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذى عليهما والساق اليمنى ، فإنه كبش ملء . ورغيفا واحداً من الخبز وقرصاً واحداً من الخبز بزيت ورقاقة واحدة من سلة الفطير التى أمام الرب وتضع الجميع فى يدى هارون وفى أيدى بنيه وترددها ترديدا أمام الرب . ثم تأخذها من أيديهم وتوقدها على المذبح فوق المحرقة رائحة سرور أمام الرب . وقود هو للرب . ثم تأخذ القص من كبش الملء الذى لهارون وتردده ترديدا أمام الرب فيكون لك نصيباً . وتقدس قص الترديد وساق الرفيعة الذى ردد والذى رفع من كبش الملء مما لهارون ولبنيه . فيكونان لهارون وبنيه فريضة أبدية من بنى إسرائيل لأنهما رفيعة، ويكونان رفيعة من بنى إسرائيل ، من ذبائح سلامتهم . رفيعتهم للرب ، والثياب المقدسة التى لهارون تكون لبنيه بعده ليمسحوا فيها ولتملأ فيها أيديهم . سبعة أيام يلبسها الكاهن الذى هو عوض عنه من بنيه ، الذى يدخل خيمة الاجتماع ليخدم القدس . وأما كبش الملء فتأخذه وتطبخ لحمه فى مكان مقدس. فيأكل هارون وبنوه لحم الكبش والخبز الذى فى السلة عند باب خيمة الاجتماع. يأكلها الذين كفر بها عنهم الملء أيديهم لتقديسهم . وأما الأجنبى فلا يأكل منها لأنها مقدسة . وإن بقى شىء من لحم الملء أو من الخبز إلى الصبح تحرق الباقى بالنار . ولا يؤكل لأنه مقدس ، وتصنع لهارون وبنيه هكذا بحسب كل ما أمرتك . سبعة أيام تملأ أيديهم وتقدم ثور خطية كل يوم لأجل الكفارة . وتطهر المذبح بتكفيرك عليه ، وتمسحه لتقديسه . سبعة

أيام تكفر على المذبح وتقدسه . ويكون المذبح قدس أقداس . كل ما مس المذبح يكون مقدسا . وهذا ما تقدمه على المذبح: خروفان حوليان كل يوم دائما . الخروف الواحد تقدمه صباحاً ، والخروف الثانى تقدمه فى العشية ، وعشر من دقيق ملتوت بربع الهين من زيت الرض وسكيب ربع الهين من الخمر للخروف الواحد .والخروف الثانى تقدمه فى العشية . مثل تقدمة الصباح وسكيبه تصنع له. رائحة سرور وقود للرب. محرقة دائمة فى أجيالكم عند باب خيمة الاجتماع أمام الرب . حيث أجتمع بكم لأكلمكم هناك . وأجتمع هناك ببنى إسرائيل فيقدس بمجدى . وأقدس خيمة الاجتماع والمذبح . وهارون وبنوه أقدسهم لكى يكهنوا لى . . وتصنع مذبحا لإيقاد البخور.. وتجعله قدام الحجاب الذى أمام تابوت الشهادة .. فيوقد عليه هارون بخوراً عطراً كل صباح . حين يصلح السرج يوقده . وحين يصعد هارون السرج فى العشية يوقده. بخوراً دائماً أمام الرب فى أجيالكم .. وتصنع مرحضة من نحاس قاعدتها من نحاس للاغتسال . وتجعلها بين خيمة الاجتماع والمذبح ، وتجعل فيها ماء . فيغسل هارون وبنوه أيديهم وأرجلهم منها . عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع يغسلون بماء لئلا يموتوا . . ويكون لهم فريضة أبدية له ولنسله فى أجيالكم . . وأنت تأخذ لك أفخر الأطياب . . وتصنعه دهناً مقدساً للمسحة . . وتمسح به خيمة الاجتماع وتابوت الشهادة والمائدة وكل آنيتها والمنارة وآنيتها ومذبح البخور ومذبح المحرقة وكل آنيته والمرحضة وقاعدتها . . يكون هذا لى دهناً مقدسا للمسحة فى كل أجيالكم . . وقال الرب لموسى خذ لك أعطارا . . فتصنعها بخوراً عطرا . . وتجعل منه قدام الشهادة فى خيمة الاجتماع حيث أجتمع بك . قدس أقداس يكون عندكم »(الخروج ٢٩ و ٣٠) .

ومن أمثلة الأحكام التى تتضمنها الشريعة الأدبية ماورد فى سفر الخروج إذ جاء به « أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك » (الخروج ٢٠ : ١٢) . — « لا تضطهد الغريب ولا تضايقه ، لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر . لا تسىء إلى أرملة ولا يتيم . إن أسأت إليه فإنه إن صرخ إلى أسمع صراخه ، فيحمى غضبى . . فتصير نساؤكم أرامل وأولادكم يتامى . إن أقرضت فضة لشعبى الفقير الذى عندك فلا تكن له كالمرابى . لا تضعوا عليه ربا . إن ارتهنت

ثوب صاحبك فإلى غروب الشمس ترده له ، لأنه وحده غطاؤه ، هو ثوب لجلده فبماذا ينام ؟ فيكون إذا صرخ إلى أنى أسمع ، لأنى رؤوف . لا تسب الله ، ولا تلعن رئيساً فى شعبك » (الخروج ٢٢ : ٢١ — ٢٨) . — « لا تقبل خبرا كاذباً ولا تضع يدك مع المنافق . . لا تتبع الكثيرين إلى فعل الشر . . ولا تحاب مع المسكين فى دعواه . إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شاردا ترده إليه . إذا رأيت حمار مبغضك واقعا تحت حمله وعدلت عن حله فلا بد أن تحل معه . . ابتعد عن كلام الكذب . . ولا تضايق الغريب فإنكم عارفون نفس الغريب ، لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر . وست سنين تزرع أرضك وتجمع غلتها ، وأما فى السابعة فتريحها وتتركها ليأكل فقراء شعبك ، وفضلتهم تأكلها وحوش البرية . كذلك تفعل بكرمك وزيتونك . ستة أيام تعمل عملك وأما اليوم السابع ففيه تستريح لكى يستريح ثورك وحمارك ويتنفس ابن أمتك والغريب » (الخروج ٢٣ : ١ — ١٣) . وجاء فى سفر اللاويين « تهابون كل إنسان أمه وأباه . . عندما تحصدون حصيد أرضكم لا تكمل زوايا حقلك فى الحصاد . ولقاط حصيدك لا تلتقط . وكرمك لا تعلله ونثار كرمك لا تلتقط . للمسكين والغريب تتركه . . لا تكذبوا ولا تغدروا أحدكم بصاحبه ولا تحلفوا باسمى للكذب . . لا تغضب قريبك . . ولا تبت أجرة أجير عندك إلى الغد . لا تشتم الأصم وقدام الأعمى لا تجعل معثرة . . لا تسع فى الوشاية بين شعبك . . لا تبغض أخاك فى قلبك . إنذار تنذر صاحبك ولا تحمل لأجله خطيئة . لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك بل تحب قريبك كنفسك . . من أمام الأشيب تقوم وتحترم وجه الشيخ . . وإذا نزل عندك غريب فى أرضكم فلا تظلموه . كالوطن منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم ، وتحبه كنفسك لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر » (اللاويين ١٩ : ٣ — ٣٤) . وجاء فى سفر التثنية « لا تنظر ثور أخيك أو شاته شارداً وتتغاضى عنه ، بل ترده إلى أخيك لا محالة . وإن لم يكن أخوك قريباً منك أو لم تعرفه فضمه إلى داخل بيتك ويكون عندك حتى يطلبه أخوك . حينئذ ترده إليه . وهكذا تفعل بحماره وهكذا تفعل بثيابه ، وهكذا تفعل بكل مفقود لأخيك يفقد منه وتجده . لا يحل لك أن تتغاضى . لا تنظر حمار أخيك أو ثوره واقعاً فى الطريق وتتغافل عنه بل تقيمه معه لا محالة » (التثنية ٢٢ : ١ — ٤) . — « لا يكن متاع رجل على امرأة ولا يلبس رجل ثوب امرأة لأن كل من يعمل ذلك مكروه

لدى الرب » (التثنية ٢٢ : ٥) . — « إذا اتفق قدامك عش طائر فى الطريق فى شجرة ما أو على الأرض فيه فراخ وبيض والأم حاضنة الفراخ أو البيض فلا تأخذ الأم مع الأولاد . أطلق الأم وخذ لنفسك الأولاد لكى يكون لك خير وتطيل الأيام » (التثنية ٢٢ : ٦و٧) . — « إذا بنيت بيتاً جديداً فاعمل حائطاً لسطحك لئلا تجلب دماً على بيتك إذا سقط عنه ساقط » (التثنية ٢٢ : ٨) . — « عبداً أبق إليك من مولاه لا تسلم إلى مولاه . عندك يقيم فى وسطك فى المكان الذى يختاره فى أحد أبوابك حيث يطيب له . لا تظلمه » (التثنية ٢٣ : ١٥ و ١٦) . — « إذا دخلت كرم صاحبك فكل عنباً حسب شهوة نفسك . شبعتك . ولكن فى وعائك لا تجعل . إذا دخلت زرع صاحبك فاقطف سنابل بيدك ولكن منجلا لا ترفع على زرع صاحبك » (التثنية ٢٣: ٢٤ و ٢٥) . — « لا تعوج حكم الغريب واليتيم ولا تسترهن ثوب الأرملة واذكر أنك كنت عبداً فى مصر ففداك الرب إلهك من هناك . لذلك أنا أوصيك أن تعمل هذا الأمر » (التثنية ٢٤ : ١٧ و ١٨) . — « إذا حصدت حصيدك فى حقلك ونسيت حزمة فى الحقل فلا ترجع لتأخذها . للغريب واليتيم والأرملة تكون لكى يباركك الرب إلهك فى كل عمل يديك . وإذا خبطت زيتونك فلا تراجع الأغصان وراءك . للغريب واليتيم والأرملة يكون . اذا قطفت كرمك فلا تعلله وراءك . للغريب واليتيم والأرملة يكون ، واذكر أنك كنت عبداً فى أرض مصر » (التثنية ٢٤ : ١٩ — ٢٢) . — « ملعون من يستخف بأبيه أو أمه . . ملعون من يضل الأعمى عن الطريق . . ملعون من يعوج حق الغريب واليتيم والأرملة . . ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها » (التثنية ٢٧ : ١٦ و ١٨ و ١٩ و ٢٦) .

ومن أمثلة الأحكام التى تتضمنها الشريعة المدنية ما ورد فى سفر الخروج إذ جاء به « إذا اشتريت عبداً عبرانياً فست سنين يخدم وفى السابعة يخرج حراً مجاناً . إن دخل وحده فوحده يخرج . إن كان بعل امرأة تخرج امرأته معه . إن أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين أو بنات فالمرأة وأولادها يكونون لسيده وهو يخرج وحده . ولكن إن قال العبد أحب سيدى وامرأتى وأولادى لا أخرج حراً ، يقدمه سيده إلى الله ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة ويثقب سيده أذنه بالمثقب ، فيخدمه إلى الأبد .

وإذا باع رجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد . إن قبحت فى عينى سيدها الذى خطبها لنفسه يدعها تفك . وليس له سلطان أن يبيعها لقوم أجانب لغدره بها ، وإن خطبها لابنه فبحسب حق البنات يفعل لها . إن اتخذ لنفسه أخرى لا ينقص طعامها وكسوتها ومعاشرتها ، وإن لم يفعل لها هذه الثلاث تخرج مجاناً بلا ثمن » (الخروج ٢١ : ١ : ١ — ١١) . وجاء فى سفر اللاويين« تعد لك سبع سبوت سنين .. وتقدسون السنة الخمسين وتنادون بالعتق فى الأرض لجميع سكانها. تكون لكم يوبيلا وترجعون كل إلى ملكه وتعودون كل إلى عشيرته . . فمتى بعت صاحبك مبيعاً واشتريت من يد صاحبك فلا يغبن أحدكم أخاه . حسب عدد السنين بعد اليوبيل تشترى من صاحبك وحسب سنى الغلة يبيعك . والأرض لا تباع بتة ،لأن لى الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندى . بل فى كل أرض ملككم تجعلون فكاكاً للأرض . إذا افتقر أخوك فباع من ملكه يأتى وليه الأقرب إليه ويفك بيع أخيه . ومن لم يكن له ولى بأن نالت يده ووجد مقدار فكاكه يحسب سنى بيعه ويرد الفاضل للإنسان الذى باع له فيرجع إلى ملكه ، وإن لم تنل يده كفاية ليرد له يكون مبيعه فى يد شاريه إلى سنة اليوبيل ، ثم يخرج فى اليوبيل فيرجع إلى ملكه ، وإذا باع إنسان بيت سكن فى مدينة ذات سور فيكون فكاكه إلى تمام سنة بيعه سنة يكون فكاكه . وإن لم يفك قبل أن تكمل له سنة تامة وجب البيت الذى فى المدينة ذات السور بتة لشاريه فى أجياله . . لا يخرج فى اليوبيل . وإذا افتقر أخوك وقصرت يده عندك فاعضده غريباً أو مستوطناً فيعيش معك . .فضتك لا تعطيه بالربا وطعامك لا تعط بالمرابحة..وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد. كأجير، كنزيل يكون عندك. إلى سنة اليوبيل يخدم عندك ثم يخرج من عندك هو وبنوه معه ويعود إلى عشيرته.. لا تتسلط عليه بعنف .. وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولك.. منهم تقتنون عبيدا وإماء، وأيضاً من أبناء المستوطنين النازلين عندكم. منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم فى أرضكم فيكونون ملكاً لكم. وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك. تستعبدونهم الى الدهر . وإذا طالت يد غريب أو نزيل عندك وافتقر أخوك عنده وبيع للغريب المستوطن عندك أو لنسل عشيرة الغريب ، فبعد بيعه يكون له فكاك . يفكه واحد من إخوته. أو يفكه عمه أو ابن عمه أو يفكه واحد من أقرباء جسده من عشيرته..وإذا نالت

يده يفك نفسه ، فيحاسب شاريه من سنة بيعه له إلى سنة اليوبيل ويكون ثمن بيعه حسب عدد السنين . كأيام أجير يكون عنده . إن بقى كثير من السنين فعلى قدرها يرد فكاكه من ثمن شرائه . وإن بقى قليل من السنين إلى سنة اليوبيل يحسب له وعلى قدر سنيه يرد فكاكه .. وإن لم يفك بهؤلاء يخرج فى سنة اليوبيل هو وبنوه معه ، لأن بنى إسرائيل لى عبيد » (اللاويين ٢٥) . وجاء فى سفر التثنية « فى آخر سبع سنين تعمل إبراء .. وهذا هو حكم الإبراء : يبرىء كل صاحب دين يده مما أقرض صاحبه . لا يطالب صاحبه ولا أخاه لأنه قد نودى بإبراء الرب . الأجنبى تطالب . وأما ما كان لك عند أخيك فتبرئه يدك منه . إلا إن لم يكن فيك فقير .. إن كان فيك فقير ، أحد من إخوتك فى أحد أبوابك فى أرضك التى يعطيك الرب إلهك فلا تقس قلبك ولا تقبض يدك عن أخيك الفقير . بل افتح يدك له وأقرضه مقدار ما يحتاج إليه احترز من أن يكون مع قلبك كلام لئيم قائلا قد قربت السنة السابعة . سنة الإبراء ، وتسوء عينك بأخيك الفقير ولا تعطيه فيصرخ عليك إلى الرب فتكون عليك خطيئة . إذا بيع لك أخوك العبرانى أو أختك العبرانية وخدمك ست سنين ففى السنة السابعة تطلقه حراً من عندك وحين تطلقه حراً من عندك لا تطلقه فارغاً . تزوده من غنمك ومن بيدرك ومن معصرتك .. ولكن إذا قال لك لا أخرج من عندك لأنه قد أحبك وبيتك إذ كان له خير عندك . فخذ المخرز واجعله فى أذنه وفى الباب فيكون لك عبداً مؤبداً وهكذا تفعل لأمتك أيضاً » (التثنية ١٥ : ١ — ١٨) — « لا يسترهن أحد رحى أو مرداتها لأنه إنما يسترهن حياة » (التثنية ٢٤ : ٦) — « إذا أقرضت صاحبك قرضاً فلا تدخل بيته لكى ترتهن رهناً منه . فى الخارج تقف ، والرجل الذى تقرضه يخرج إليك الرهن إلى الخارج . وإن كان رجلا فقيراً فلا تنم فى رهنه . رد إليه الرهن عند غروب الشمس لكى ينام فى ثوبه » (التثنيه ٢٤ : ١٠ — ١٣) — « لا تظلم أجيراً مسكيناً وفقيراً من إخوتك أو من الغرباء الذين فى أرضك . فى أبوابك فى يومه تعطيه أجرته ولا تغرب عليها الشمس لأنه فقير وإليها حامل نفسه لئلا يصرخ عليك إلى الرب فتكون عليك خطية » (التثنية ٢٤ : ١٤ — ١٥)

ومن أمثلة الأحكام التى تتضمنها الشريعة الجنائية ما ورد فى سفر الخروج إذ جاء به « لا تقتل . لا تزن . لا تسرق . لا تشهد على قريبك شهادة زور » (الخروج ٢٠ .

١٤ — ١٦) — « من ضرب إنساناً فمات يقتل قتلا . ولكن الذى لم يتعمد بل أوقع الله فى يده فأنا أجعل لك مكاناً يهرب إليه . وإذا بغى إنسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحى تأخذه للموت . ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا . ومن سرق إنساناً وباعه أو وجد فى يده يقتل قتلا . ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا . وإذا تخاصم رجلان فضرب أحدهما الآخر بحجر أو بلكمة ولم يقتل بل سقط فى الفراش، فإن قام وتمشى خارجاً على عكازه يكون الضارب بريئاً . إلا أنه يعوض عطلته وينفق على شفائه. وإذا ضرب إنسان عبده أو أمته بالعصا فمات تحت يده ينتقم منه. لكن إن بقى يوماً أو يومين لا ينتقم منه لأنه ماله وإن حصلت أذية تعطى نفسا بنفس ، وعيناً بعين وسناً بسن . ويداً بيد . ورجلا برجل ، وكيا بكى ، وجرحا بجرح ، ورضا برض . وإذا نطح ثور رجلا أو امرأة فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه أما صاحب الثور فيكون بريئاً . ولكن إن كان ثوراً نطاحاً من قبل وقد أشهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلا أو امرأة ، فالثور يرجم وصاحبه يقتل . . وإذا نطح ثور إنسان ثور صاحبه فمات يبيعان الثور الحى ويقتسمان ثمنه . والميت أيضا يقتسمانه . لكن إذا علم أنه ثور نطاح من قبل ولم يضبطه صاحبه يعوض عن الثور بثور ، والميت يكون له » (الخروج ٢١ : ١٢ — ٣١) — « إذا سرق إنسان ثوراً أو شاة فذبحه أو باعه يعوض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشاة بأربعة من الغنم إن وجد السارق وهو ينقب فضرب ومات ، فليس له دم . ولكن إن أشرقت عليه الشمس فله دم إنه يعوض . ان لم يكن له يبع بسرقته . إن وجدت السرقة فى يده حية . ثوراً كانت أم حماراً أم شاة يعوض باثنين .. إذا أعطى إنسان صاحبه فضة أو أمتعة للحفظ فسرقت من بيت الإنسان ، فإن وجد السارق يعوض باثنين . وإن لم يوجد السارق يقدم صاحب البيت الى الله ليحكم هل لم يمد يده الى ملك صاحبه ؟ . إذا أعطى إنسان صاحبه حماراً أو ثورا أو شاة أو بهيمة ما للحفظ فمات أو انكسر أو نهب وليس ناظر فيمين الرب تكون بينهما : هل لم يمد يده الى ملك صاحبه فيقبل صاحبه . فلا يعوض ، واذا سرق من عنده يعوض صاحبه . وإذا استعار إنسان من صاحبه شيئاً فانكسر أو مات وصاحبه ليس معه لا يعوض . إن كان مستأجرا أتى بأجرته » (الخروج ٢٢ : ١ — ١٥) . — « إذا راود رجل عذراء لم تخطب فاضطجع معها يمهرها لنفسه . إن أبى أبوها أن يعطيه إياها يزن له

فضة كمهر العذارى » (الخروج ٢٢ : ١٦ و ١٧) . وجاء فى سفر اللاويين « إذا أخطأ أحد وخان خيانة بالرب وجحد صاحبه وديعة أو أمانة أو مسلوبا أو اغتصب من صاحبه أو وجد لقطة وجحدها وحلف كاذبا على شيء من كل ما يفعله الإنسان مخطئا به . فإذا أخطأ وأذنب يرد المسلوب الذى سلبه أو المغتصب الذى اغتصبه أو الوديعة التى أودعت عنده أو اللقطة التى وجدها ، أو كل ما حلف عليه كاذباً ، يعوضه برأسه ويزيد عليه خمسه إلى الذى هو له يدفعه » (اللاويين ٦ : ١ — ٥) . — « كل إنسان سب أباه أو أمه فإنه يقتل . . وإذا زنى رجل مع امرأة فإذا زنى مع امرأة قريبه فإنه يقتل الزانى والزانية ، وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه ، إنهما يقتلا كلاهما وإذا اضطجع رجل مع كنته فإنهما يقتلان كلاهما . . وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة . . يقتلان وإذا اتخذ رجل امرأة وأمها . . بالنار يحرقونه وإياهما . وإذا جعل رجل مضجعه مع بهيمة فإنه يقتل والبهيمة تميتونها وإذا اقتربت امرأة إلى بهيمة لنزائها تميت المرأة والبهيمة . . وإذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه . . يقطعان أمام أعين بنى شعبهما . . وإذا اضطجع رجل مع امرأة عمه . . يموتان . . » (اللاويين ٢٠ : ٩ — ٢٠) . — « إذا تدنست ابنة كاهن بالزنى فقد دنست أباها . بالنار تحرق » (اللاويين ٢١ : ٩) « من جدف على اسم الرب فإنه يقتل ، يرجمه كل الجماعة رجماً » (اللاويين ٢٤ : ١٦) . وجاء فى سفر التثنية « على فم شاهدين أو ثلاثة شهود يقتل الذى يقتل لا يقتل على فم شاهد واحد أيدى الشهود تكون عليه أولا لقتله ، ثم أيدى جميع الشعب أخيراً » التثنية ١٧ : ٦ و ٧) . — « إذا كان لرجل ابن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤدبانه فلا يسمع لهما . يمسكه أبوه وأمه ويأتيان به إلى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه ويقولان لشيوخ مدينته ابننا هذا معاند ومارد لا يسمع لقولنا وهو مسرف وسكير فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت ، فينزع الشر من بينكم ويسمع كل إسرائيل ويخافون » (التثنية ٢١ : ١٨ — ٢١) . — « لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء . كل إنسان بخطيئته يقتل » (التثنيه ٢٤ : ١٦) .

٥ — الله هو قاضى اليهود :

والله كما أنه مشرع اليهود فهو كذلك قاضيهم الذى يقضى فى خلافاتهم ويفصل فى منازعاتهم ويصدر الحكم على المجرمين والآثمين منهم . إذ جاء فى سفر التكوين : «فقالت ساراى لإبرام ظلمى عليك . أنا دفعت جاريتى إلى حضنك ، فلما رأت أنها حبلت صغرت فى عينيها . يقضى الرب بينى وبينك » (التكوين ١٦ : ٤ و ٥) .

وجاء فى سفر الخروج « فرأى مدبرو بنى إسرائيل أنفسهم فى بلية . . وصادفوا موسى وهارون واقفين للقائهم حين خرجوا من لدن فرعون فقالوا لهما ينظر الرب إليكما ويقضى ، لأنكما أنتنتما رائحتنا فى عينى فرعون »(الخروج ٥ : ١٩ — ٢٣). وجاء فيه « فقال موسى لحميه إن الشعب يأتى إلى ليسأل الله . إذا كان لهم دعوى يأتون إلى فأقضى بين الرجل وصاحبه وأعرفهم فرائض الله وشرائعه . . فقال حمو موسى . . فليكن الله معك . كن أنت للشعب أمام الله وقدم أنت الدعاوى إلى الله » (الخروج ١٨ : ١٤ — ١٩) . — « فى كل دعوى جناية من جهة ثور أو حمار أو شاة أو ثوب أو مفقود ما يقال إن هذا هو ، تقدم إلى الله دعواهما . فالذى يحكم الله بذنبه يعوض صاحبه » (الخروج ٢٢ : ٩) .

وجاء فى سفر اللاويين « خرج ابن امرأة اسرائيلية وهو ابن رجل مصرى . . فجدف ابن الاسرائيلية على الاسم وسب . . فوضعوه فى المحرس ليعلن لهم عن فم الرب . فكلم الرب موسى قائلا . . يرجمه كل الجماعة . . » (اللاويين ٢٤ : ١٠ — ١٦) .

وجاء فى سفر العدد « لما كان بنو إسرائيل فى البرية وجدوا رجلا يحتطب حطباً فى يوم السبت . فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطباً إلى موسى وهارون وكل الجماعة . فوضعوه فى المحرس لأنه لم يعلن ماذا يفعل به . فقال الرب لموسى قتلا يقتل الرجل . يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة . فأخرجه كل الجماعة إلى خارج المحلة ورجموه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى » . (العدد ١٥ : ٣٢ — ٣٦) . وجاء فيه « فتقدمت بنات صلفحاد بن حافر بن جلعاد بن ماكير بن منسى من عشائر بنى يوسف وتكلموا . . فأمر موسى بنى إسرائيل حسب قول الرب قائلا بحق تكلم سبط بنى يوسف . . هذا ما أمر به الرب . . » (العدد ١٦ : ١ إلخ) .

وجاء فى سفر التثنية « لا تهابوا وجه إنسان لأن القضاء لله » (التثنية ١ : ١٧).

وجاء فى سفر القضاة « ليقض الرب القاضى اليوم بين بنى إسرائيل وبنى عمون » (القضاة ١١ : ٢٧) .

وجاء فى سفر أخبار الأيام « سليمان صنع منبراً من نحاس . . ووقف عليه . . وبسط يديه نحو السماء وقال أيها الرب إله إسرائيل . . إن أخطأ أحد إلى صاحبه ووضع عليه حلف ليحلف وجاء الحلف أمام مذبحك فى هذا البيت . فاسمع أنت من السماء واعمل واقض بين عبيدك ، إذ تعاقب المذنب فتجعل طريقه على رأسه وتبرر البار إذ تعطيه حسب بره » (أخبار الأيام الثانى ٦ : ٢٢ و ٢٣) .

وجاء فى سفر المزامير « الله قاض عادل » (المزمور ٧ : ١١) . . « ثبت للقضاء كرسيه وهو يقضى للمسكونة بالعدل . يدين الشعوب بالاستقامة » (المزمور ٩ : ٧ و ٨) . — « أحكام الرب حق ، عادلة كلها » (المزمور ١٩ : ٩) . — « إنه يوجد إله قاض فى الأرض » (المزمور ٥٨ : ١١) . — « أبو اليتامى وقاضى الأرامل الله فى مسكن قدسه » (المزمور ٦٨ : ٥) . — « ولكن الله هو القاضى » (المزمور ٧٥ : ٧) . — « الرب مجرى العدل والقضاء لجميع المظلومين » (المزمور ١٠٣ : ٦) .

وجاء فى سفر إشعياء « الرب قاضينا » (إشعياء ٣٣ : ٢٢) .

* * *

وهكذا نرى أن الله فى التوراة هو إله اليهود ، وقائدهم ، وملكهم ، ومشرعهم ، وقاضيهم . ولكن هل كان اليهود حقاً يؤمنون به كإلههم ؟ وهل كانوا ينقادون له كقائدهم وهل كانوا يدينون له بالولاء كملكهم ، وبالطاعة لأوامره كشرعهم ، وبالخضوع لأحكامه كقاضيهم ؟ سنرى فى الفصل التالى أنهم — طوال تاريخهم — كفروا بعبادته وعبدوا غيره من الأصنام والآلهة الوثنية ، وتمردوا على قيادته ، ونكصوا عن الولاء له ، ونقضوا كل أوامره ، وعصوا كل أحكامه ، فغضب عليهم ، وصب نقمته ولعنته على أمتهم وذريتهم إلى الأبد .

الفصل السابع

اليهود يعبدون الأصنام والآلهة الوثنية

رأينا فى الفصول السابقة أن اليهود عبدوا الأصنام والآلهة الوثنية منذ نشأتهم الأولى وفى كل عصور تاريخهم. فقد نشأ جدهم الأول إبراهيم فى عائلةوثنية ، إذ جاء فى سفر يشوع « جمع يشوع أسباط إسرائيل .. وقال يشوع لجميع الشعب .. هكذا قال الرب إله إسرائيل : آباؤكم سكنوا فى عبر النهر منذ الدهر ، تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى » (يشوع ٢٤ : ١ و ٣) .وعلى الرغم من أن الله ظهر ليعقوب الذى هو إسرائيل وخاطبه ، فإن إيمانه به ظل سطحياً . حتى لقدكانت زوجتاه ليئة وراحيل ابنتا خاله لابان الآرامى تعبدان الأصنام كأبيهما . فلما أخذهما يعقوب وهرب أخذت راحيل أصنام أبيها معها ، إذ جاء فى سفر التكوين « فقام يعقوب وحمل أولاده ونساءه على الجمال .. ليجىء إلى إسحق أبيه ، إلى أرض كنعان .. وأما لابان فكان قد مضى ليجز غنمه ، فسرقت راحيل أصنام أبيها . وخدع يعقوب قلب لابان الآرامى .. فأخبر لابان فى اليوم الثالث بأن يعقوب قد هرب ، فأخذ إخوته معه وسعى وراءه مسيرة سبعة أيام فأدركه فى جبل

جلعاد.. وقال لابان ليعقوب.. لماذا سرقت آلهتى ؟.. وكانت راحيل قد أخذت الأصنام ووضعتها فى حداجة الجمل وجلست عليها ، فجس لابان كل الخباء ولم يجد. وقالت لأبيها لا يغتظ سيدى أنى لا أستطيع أن أقوم أمامك لأن على عادة النساء. ففتش ولم يجد الأصنام » (التكوين ٣١ : ١٧ — ٣٥). ولم يطلب يعقوب من أهل بيته التخلص من أصنامهم إلا بعد أن شاخ وأصبح أبناؤه رجالا محاربين ، إذ حدث بعد أن غدر أبناؤه بالحويين وقتلوهم ونهبوا مدينتهم ، أن « قال الله ليعقوب قم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك واصنع هناك مذبحاً لله الذى ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك . فقال يعقوب لبنيه ولكل من كان معه اعزلوا الآلهة الغريبة التى بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم ولنقم ونصعد إلى بيت إيل فأصنع هناك مذبحا لله الذى استجاب لى فى يوم ضيقى . . فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التى فى أيديهم... فطمرها يعقوب تحت البطمة التى عند شكيم » (التكوين ٣٥ : ١ — ٤).

وحتى بعد أن رسخ إيمان يعقوب بالله ، فإن أبناءه منذ أن هاجروا إلى مصر ، حتى خرجوا منها بزعامة موسى ، أى لمدة أربعمائة وثلاثين عاماً ، عبدوا آلهة المصريين . إذ جاء فى سفر يشوع « اخشوا الرب واعبدوه بكمال وأمانة وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم فى عبر النهر وفى مصر واعبدوا الرب . وإن ساء فى أعينكم أن تعبدوا الرب فاختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون . وإن كان الآلهة الذين عبدهم آباؤكم الذين فى عبر النهر وإن كان آلهة الأموريين الذين إنتم ساكنون فى أرضهم » (يشوع ٢٤ : ١٤ و ١٥).

وقد تزعم موسى اليهود وأخرجهم من مصر — كما جاء فى التوراة — بتكليف من الله وبقوة منه وبمعجزات صنعها أمام اليهود لا يمكن أن تصدر من قدرة بشرية ولا سيما معجزته حين شق طريقاً لهم فى وسط مياه البحر الأحمر فاجتازوه سالمين . بينما أغرق المصريين الذين تعقبوهم . . « فخلص الرب فى ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين.. ونظر إسرائيل المصريين أمواتاً على شاطىء البحر ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذى صنعه بالمصريين ، فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى » (الخروج ١٤ : ٢٠ و ٣١) . وقد صنع الله كل المعجزات التى صنعها أمام اليهود لكى يؤمنوا به وحده ويتركوا عبادة الأصنام والآلهة الوثنية . وقد ظل طوال تاريخهم يحذرهم بواسطة موسى وغيره من الأنبياء من أن يتركوا عبادته ، ومن أن

يعبدوا الآلهة الزائفة التي كانت تعبدها الأمم الأخرى . ومن ذلك ما جاء في سفر الخروج إذ قال لهم الله « أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي . لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن ، لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي ، وأصنع إحساناً إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي . . لا تصنعوا معي آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب . . من ذبح لآلهة غير الرب وحده يهلك » (الخروج ٢٠ : ١ — ٢٣ ، ٢١ : ٢٠) . وجاء في سفر الخروج كذلك « فإن ملاكي يسير أمامك ويجيء بك إلى الأموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين فأبيدهم . لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدها ولا تعمل كأعمالهم . بل تبيدهم وتكسر أنصابهم . . لا تقطع معهم ولا مع آلهتهم عهداً . لا يسكنوا أرضك لئلا يجعلوك تخطيء إلي . إذا عبدت آلهتهم فإنه يكون لك فخاً » (الخروج ٢٣ : ٢٤ — ٣٣) . وجاء في سفر اللاويين « كلم الرب موسى قائلا وتقول لبني إسرائيل كل إنسان من بني إسرائيل ومن الغرباء النازلين في إسرائيل أعطى من زرعه (أي نسله) لمولك فإنه يقتل . يرجمه شعب الأرض بالحجارة ، وأجعل أنا وجهي ضد ذلك الإنسان وأقطعه من شعبه لأنه أعطى من زرعه لمولك لكي ينجس مقدسي ويدنس اسمي القدوس . وإن غمض شعب الأرض أعينهم عن ذلك الإنسان عندما يعطي من زرعه لمولك فلم يقتلوه ، فإني أضع وجهي ضد ذلك الإنسان وضد عشيرته وأقطعه وجميع الفاجرين وراءه بالزنا وراء مولك من شعبهم » (اللاويين ٢٠ : ١ — ٥) . وجاء في سفر التثنية « احترز واحفظ نفسك جداً لئلا تنسى الأمور التي أبصرت عيناك ولئلا تزول من قلبك كل أيام حياتك وعلمها أولادك وأولاد أولادك . في اليوم الذي وقفت فيه أمام الرب إلهك في حوريب . . فكلمكم الرب من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ولكن لم تروا صورة بل صوتاً . . فاحتفظوا جداً لأنفسكم ، فإنكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب في حوريب من وسط النار ، لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالا منحوتاً ، صورة مثال ما شبه ذكر أو أنثى . شبه بهيمة ما مما على الأرض ، شبه طير ما ذي جناح مما يطير في السماء ، شبه دبيب ما على الأرض ، شبه سمك ما مما في الماء من تحت الأرض ، ولئلا ترفع عينيك إلى السماء وتنظر الشمس والقمر والنجوم وكل جند السماء التي قسمها الرب إلهك لجميع الشعوب التي تحت كل السماء

فتغتر وتسجد لها وتعبدها . احترزوا من أن تنسوا عهد الرب إلهكم الذى قطعه معكم وتصنعوا لأنفسكم تمثالا منحوتاً ، صورة كل ما نهاك عنه الرب إلهك ، لأن الرب إلهك هو نار آكلة ، إله غيور » (التثنية ٤ : ٩ — ٢٤) . — « أنا هو الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى . لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ، صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من أسفل وما فى الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور » (التثنية ٥ : ٦ — ٩) . — « لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التى حولكم لأن الرب إلهكم إله غيور فى وسطكم لئلا يحمى غضب الرب إلهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض » (التثنية ٦ : ١٤) — « متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوبا كثيرة من أمامك .. ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم ، فإنك تحرمهم . لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم . بنتك لا تعط لابنه ، وبنته لا تأخذ لابنك ، لأنه يرد ابنك من ورائى فيعبد آلهة أخرى فيحمى غضب الرب عليكم ويهلككم سريعاً . ولكن هكذا تفعلون بهم : تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم وتحرقون تماثيلهم بالنار . . لا تشفق عيناك عليهم ولا تعبد آلهتهم لأن ذلك شرك لك . . تماثيل آلهتهم تحرقون بالنار . لا تشته فضة وذهباً مما عليها لتأخذ لك لئلا تصاد به . لأنه رجس عند الرب إلهك » (التثنية ٧ : ١ — ٥) . — « وإن نسيت الرب إلهك وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لها أشهد عليكم اليوم أنكم تبيدون لا محالة كالشعوب الذين يبيدهم الرب من أمامكم كذلك تبيدون لأجل أنكم لم تسمعوا لقول الرب إلهكم » التثنية ٨ : ١٩ و ٢٠) . — « تخربون جميع الأماكن التى عبدت الأمم التى ترثونها ، آلهتها على الجبال الشامخة وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء ، وتهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتحرقون سواريهم بالنار وتقطعون تماثيل آلهتهم وتمحون إسمهم من ذلك المكان » (التثنية ١٢ : ٢ و ٣) ، — « إذا أغواك سراً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذى مثل نفسك قائلا نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب الذين حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائها . فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره ، بل قتلا تقتله . لأنه التمس أن يطوحك عن الرب إلهك الذى

أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية . فيسمع جميع إسرائيل ويخافون ولا يعودون يعملون مثل هذا الأمر الشرير في وسطك . إن سمعت من إحدى مدنك التي يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها قولا، قد خرج أناس بنو لئيم من وسطك وطوحوا سكان مدينتهم قائلين نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفوها . وفحصت وفتشت وسألت جيداً وإذا الأمر صحيح وأكيد قد عمل ذلك الرجس في وسطك . فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف » (التثنية ١٣ : ٦ — ١٥) . — « لا تنصب لنفسك سارية من شجرة ما بجانب مذبح الرب إلهك الذي تصنعه لك ولا تقيم له نصباً . الشيء الذي يبغضه الرب إلهك » (التثنية ١٦ : ٢١ و ٢٢) . — « إذا وجد في وسطك في أحد أبوابك التي يعطيك الرب إلهك رجل أو امرأة يفعل شراً في عيني الرب إلهك يتجاوز عهده ، ويذهب ويعبد آلهة أخرى ويسجد لها أو للشمس أو للقمر أو لكل جند السماء ، الشيء الذي لم أوص به . . فأخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة الذي فعل ذلك الأمر الشرير إلى أبوابك . . وارجمه بالحجارة حتى يموت » (التثنية ١٧ : ٢ — ٥) . — « ملعون الإنسان الذي يصنع تمثالا منحوتاً أو مسبوكاً رجساً لدى الرب ، عمل يدي نحات ، ويضعه في الخفاء » (التثنية ٢٧ : ١٥) .

ولكن اليهود على الرغم من كل المعجزات التي صنعها الله أمامهم ليؤمنوا به ، وعلى الرغم من كل التحذيرات التي وجهها إليهم لكي يمتنعوا عن عبادة غيره من أصنام الأمم الأخرى وأوثانها ، ظلوا طوال تاريخهم يكفرون بالله ويعبدون الأصنام والأوثان ، ومع ذلك يتشدقون بأنهم شعب الله المختار ، وأن غيرهم من الشعوب أنجاس ملاعين ، مع أن التوراة تحدثنا عن أشخاص من الشعوب الأخرى آمنوا بالله وعبدوه عبادة صادقة ، مثل ملكي صادق ملك شاليم الذي يقول لنا سفر التكوين انه « كان كاهناً لله العلي . . . مالك السماوات والأرض » (التكوين ١٤ : ١٨ و ١٩) . وأيوب الذي جاء في سفر أيوب أنه كان « في أرض عوص ، وكان هذا الرجل كاملا ومستقيماً يتقي الله ويحيد عن الشر » (أيوب ١ : ١) ، كما أن التوراة تحدثنا عن أشخاص من الشعوب الأخرى ، ومنهم ملوك وأباطرة ، حين رأوا آيات الله ومعجزاته أبدوا نحوه كل إجلال واحترام ، إذ جاء في سفر الخروج

« فدعا فرعون موسى وهارون وقال أخطأت إلى الرب إلهكما إليكما . صليا إلى الرب إلهكما ليرفع عنى هذا الموت » (الخروج ١٠ : ١٦ — ٢٠) . وقال يثرون كاهن مديان الوثنى لموسى « مبارك الرب الذى أنقذكم من أيدى المصريين ومن يد فرعون .. الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة » (الخروج ١٨ : ١٠ و ١١) . وجاء فى سفر الملوك أن ملكة سبأ الوثنية قالت للملك سليمان « ليكن مباركاً الرب إلهك الذى سر بك وجعلك على كرسى إسرائيل » (الملوك الاول ١٠ : ٩) ، وقد جاء نعمان قائد جيش الآراميين الوثنى إلى أليشع النبى ليشفيه من البرص الذى كان مصاباً به ، فلما شفاه قال له نعمان « قد عرفت أنه ليس إله فى كل الأرض إلا فى إسرائيل » (الملوك الثانى ٥ : ١٥) . وأرسل حورام ملك صور الوثنى كتاباً إلى الملك سليمان يقول له فيه « مبارك الرب إله إسرائيل الذى صنع السماء والأرض ، الذى أعطى داود الملك ابناً حكيماً صاحب معرفة وفهم ، الذى يبنى بيتاً للرب » (أخبار الأيام الثانى ٢ : ١٢) . وقد أصدر قورش ملك فارس الوثنى منشوراً جاء به « هكذا قال قورش ملك فارس إن الرب إله السماء قد أعطانى جميع ممالك الأرض وهو أوصانى أن أبنى له بيتاً فى أورشليم التى فى يهوذا » (أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ٢٣) . كما أصدر دارا — المسمى داريوس — ملك فارس الوثنى منشوراً قال فيه « فليبنوا بيت الله فى مكانه . . والله الذى أسكن اسمه هناك يهلك كل ملك وشعب يمد يده لتغيير أو لهدم بيت الله هذا الذى فى أورشليم » (عزرا ٦ : ٧ و ١٢) . وبعد أن رأى داريوس معجزة نجاة دانيال النبى من جب الأسود كتب منشوراً يقول فيه « إلى كل الشعوب والأمم والألسنة والساكنين فى الأرض كلها . . من قبلى صدر أمر بأنه فى كل سلطان مملكتى يرتعدون ويخافون قدام إله دانيال ، لأنه هو الإله الحى القيوم إلى الأبد وملكوته لن يزول وسلطانه إلى المنتهى . هو ينجيى وينقذ ويعمل الآيات والعجائب فى السماوات وفى الأرض » (دانيال ٦ : ٢٥ — ٢٧) . وقال نبوخذ نصر ملك بابل الوثنى لدانيال النبى « حقاً إن إلهكم إله الآلهة ورب الملوك وكاشف الأسرار » (دانيال ٢ : ٤٧) . ثم أصدر نبوخذ نصر منشوراً قال فيه « من نبوخذ نصر الملك إلى كل الشعوب والأمم والألسنة الساكنين فى الأرض كلها . . الآيات والعجائب التى صنعها معى الله العلى حسن عندى أن أخبر بها . آياته ما أعظمها وعجائبه ما أقواها . . ملكوته ملكوت أبدى . . باركت العلى وسبحت الحى إلى

الأبد الذى سلطانه سلطان أبدي .. وهو يفعل كما يشاء فى جند السماء وسكان الأرض ولا يوجد ما يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل .. أنا نبوخذ نصر أسبح وأعظم وأحمد ملك السماء الذى كل أعماله حق وطرقه عدل ، ومن يسلك بالكبرياء فهو قادر أن يذله » (دانيال ٤ : ١ — ٣ و ٣٤ — ٣٧) .

وقد ظل اليهود فى كل العهود يتمردون على عبادة الله ويعبدون آلهة الشعوب الوثنية المخالطة لهم أو المحيطة بهم أو المتعاملة معهم أو المسيطرة عليهم ، فعبدوا آلهة الأشوريين والبابليين والكلدانيين والمصريين والحثيين والكنعانيين والفينيقيين



« الإله آشور رئيس آلهة الأشوريين »

والأموريين والآراميين والفلسطينيين والأدوميين والموآبيين والعمونيين والفرزيين والحويين واليبوسيين والصيدونيين والعقرونيين . كما عبدوا آلهة كوث وعوا وحماة وسفروايم وبنى سعير وغيرهم من الأمم والشعوب الكبيرة والصغيرة . ثم حين خضعوا أخيراً لليونان والرومان عبدوا آلهتهم ، حتى ليقول إرميا النبى « بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا ، وبعدد شوارع أورشليم وضعتم مذابح للخزى ، مذابح للتبخير للبعل » (إرميا ١١ : ١٠ — ١٣) . ومن آلهة تلك الأمم والشعوب التى ذكرتها التوراة الإله آشور رئيس آلهة الأشوريين وكذلك الإله الأشورى نسروخ ، والإله مولوك أو مولك ، أى الملك ، وقد كانت تعبده كثير من شعوب

الشرق الأوسط ولا سيما الكنعانيون والفينيقيون ، وكانوا يعتبرونه إله النار أو إله جهنم ، ولذلك كانوا يرهبونه ويعملون على استرضائه بتقديم أطفالهم ضحايا له . فكانوا يقيمون له صنماً ضخماً من النحاس المجوف ذا ذراعين ممدودين ، ويوقدون فى داخله النار ، حتى إذا اشتد احمرار الذراعين من فرط الحرارة ألقوا عليهما أطفالهم ، فتشويهم النار شياً ، وهم يبنذاك يدقون الطبول ليحجبوا صوت صراخ أولئك الأطفال الأبرياء . وقد عبد اليهود هذا الإله ولا سيما فى أورشليم ، وكانوا يقدمون أطفالهم ضحايا تماثيله النحاسية التى كانوا يقيمونها فى مختلف أماكن



« نسروح إله الأشوريين »

بلادهم وأشهرها مكان يسمى «توفة» ، ومعناه بالآرامية «مكان الحريق» ، وكان يقع شرقى الوادى الذى يتاخم جنوب غربى أورشليم ، وكان يسمى وادى هنوم أو وادى ابن هنوم أو وادى بنى هنوم . وبعد أن أبطل الملك يوشيا عبادة مولك فى هذا الوادى جعله مكانا يحرق فيه أهل أورشليم قمامتهم ، فكانت النار لا تفتأ تتصاعد منه بغير انقطاع ولذلك أخذ اليهود من اسمه اسم الجحيم المتقد بالنار فى الآخرة ، وهو « جهنم » . وكان العمونيون يعبدون الإله مولك ولكنهم يسمونه « ملكوم » أى « ملككم » ، ويضحون له كذلك بأطفالهم . وقد عبد اليهود كذلك تموز إله الارض السفلية الذى كانت تعبده كثير من الشعوب ولا سيما الأشوريون والبابليون ، والفلسطينيون .

وكان الفينيقيون يعرفونه باسم « أدونيس » . ونظراً للمكانة الكبيرة التي كانت له لدى الساميين عموماً ، أطلقوا اسمه على الشهر الرابع من السنة . وكانت عبادته تتضمن طقوساً داعرة يزاول فيها الرجال والنساء الدعارة في هيكله ، وكانت النسوة تبكين مرة في كل سنة حزنا على موته في الأسطورة التي كانوا يتداولونها عنه . وكان اليهود يفعلون كل ذلك في عبادة تموز داخل هيكل أورشليم نفسه . كما أنهم عبدوا الإلهة عشتاروت التي كانت تعبدها أغلب الشعوب الوثنية ولا سيما الاشوريون والبابليون والفينيقيون والصيدونيون ، وكانوا يعتقدون أنها ملكة السماوات وإلهة القمر ،



« مولوك إله العمونيين »

وأنها زوجة الإله تموز وأخته في الوقت نفسه ، وكانت لها أسماء مختلفة لدى الشعوب المختلفة ، فمن أسمائها عشتاروت ، وعشتورت ، وعشتارتا ، وعشتار ، وعشيرة ، وعنات ، وقد سماها اليونان « استرتي » ، وكانوا يبنون هيا كلها فوق التلال والمرتفعات ويحيطونها بالأشجار الخضراء . وكانت عبادتها كعبادة تموز تتضمن طقوساً داعرة أيضاً تزاول فيها النساء الدعارة في هيكلها ليلا ويقمن بتطريز الخيام لهيكلها نهاراً .. وإذ كانت تميل إلى العلاقة الجنسية ، كانت كاهناتها عاهرات يمارسن العلاقة الجنسية كأنها طقس ديني . كما كان المأبونون من الذكور يمارسون العلاقات الشاذة مع أمثالهم

من الذكور إكراماً لها . وقد أدخل الملك سليمان عبادتها فى أورشليم ضمن ما أدخل من عبادات وثنية ، وظل اليهود بعد ذلك يعبدونها فى كل تاريخهم . وكان من الآلهة التى عبدها اليهود الإله « بعل » الذى كان يعبده الكنعانيون والفينيقيون ولا سيما الصيدونيون ، وكانوا يعتقدون أنه إله الشمس ، وأنه زوج الإلهة « بعلة » ، وأن هذه هى ذاتها الإلهة عشتاروت . وكانوا يبنون هياكل « بعل » على الجبال والتلال والمرتفعات ذات المناظر الجميلة ، ويقدمون له الضحايا البشرية ، ثم يروحون يرقصون حوله رقصاً شهوانياً هستيرياً يؤدى بهم — حين يشتد بهم الهياج — إلى أن يطعن كل منهم نفسه بالسيوف والرماح ، حتى تتفجر الدماء غزيرة من أجسادهم . وقد انتشرت عبادة الإله بعل بين اليهود ، حتى لقد بلغ عدد الذين كانوا يزعمون أنهم أنبياؤه من اليهود فى عهد الملك يربعام ، أربعمائة وخمسين ، غير اربعمائة آخرين كانوا منتشرين فى السوارى الوثنية التى أقامها اليهود ، وكانوا جميعاً يتمتعون برعاية الملكة إيزابيل زوجة يربعام ويأكلون على مائدتها . ولما كان اسم « بعل » يعنى « إله » أو « سيد » كان الوثنيون يقرنون به أحياناً اسم المكان الذى تجرى فيه عبادته ، فيقولون « بعل فغور » الذى كان يعبده المؤآبيون . و « بعل بريث » الذى كان يعبده الكنعانيون . وقد عبده اليهود وأقاموا له هيكلا فى شكيم ، و « بعل زبوب » الذى كان يعبده العقرونيون ، ومعنى اسمه « إله الذباب » . وقد عبده اليهود أيضاً ، ولكنهم لم يلبثوا أن حوروا اسمه إلى « بعل زبول » أى « إله الأقذار » ، وأصبحوا يعتبرونه رئيس الشياطين . وتشير التوراة إلى هذه الآلهة التى تنتسب إلى « بعل » بصيغة الجمع فى اللغة العبرانية وهى « البعليم » . وقد تقصد بهذا اللفظ أحياناً الآلهة الوثنية عموماً . ومن الآلهة التى عبدها اليهود كذلك « داجون » الذى كان يعبده الفينيقيون والفلسطينيون . و « كموش » الذى كان يعبده المؤآبيون ، وقد أطلقوا اسمه على « أمة كموش » وعلى « شعب كموش » . وقد أدخل الملك سليمان عبادته فى أورشليم . وكان الملك ميشع ينسب انتصاراته إليه . وكانت طقوس عبادته تشبه طقوس عبادة الإله مولك . فكانوا يقدمون الأطفال ضحايا له . كما عبد اليهود « سكوث بنوث » وهو من آلهة بابل ، و « نرجل » إله كوث ، و « أشيما » إله حماه ، و « نبحز » و « ترتاق » إلهى عوا ، و « أدرملك » ، و « عنملك » إلهى سفروايم . وكان من المعبودات الوثنية التى عبدها اليهود كذلك الشمس التى كان يعبدها الأشوريون باسم الإله « شمش » ، كما كان يعبدها البابليون ومعظم شعوب الشرق

الأوسط . وقد أدخل الملك منسى عبادتها فى مملكة يهوذا ، وجعل لها هو وخليفته عجلات للشمس وخيلا على مثال ما كان يفعل الأشوريون ، ووضعاها عند مدخل هيكل أورشليم . وكان اليهود يعبدون الشمس ويبخرون لها على سطوح المنازل وفوق قمم الجبال، بل كانوا يعبدون ويبخرون لها متجهين نحو الشرق داخل هيكل أورشليم ذاته . وكانوا كغيرهم من الشعوب الوثنية يعبدون القمر ، ويعبدون النجوم معتقدين أنها تدير الكون وتدبر أمور البشر وتنبئهم بالمستقبل ، ويعبدون المنازل التى هى الكواكب الاثنا عشر ، وعلى العموم كانوا يعبدون كل جند السماء التى هى النجوم والكواكب وجميع قوى الطبيعة . وكانوا كالوثنيين يقيمون لهذه الآلهة وهذه المعبودات المختلفة ، الأصنام والتماثيل والأنصاب والسوارى ذات الأشكال المختلفة والأحجام المختلفة من الحجر أو الخشب أو من المعادن المختلفة ولا سيما الذهب والفضة والنحاس . فكانوا ينحتونها نحتاً ، أو يسبكونها سبكاً ، جاعلين إياها فى هيئة الذكور أو الإناث البشرية ، أو فى هيئة البهائم أو الطيور أو الأسماك . وقد يرسمونها رسما على جدران بيوتهم أو قبورهم أو هياكلهم ، بل لقد رسموها على جدران هيكل أورشليم نفسه . ومن أسماء التماثيل التى ذكرتها التوراة « تمثال الغيرة » و « تمثال السارية » و « تمثال الشكل » . وقد أحبوا على الخصوص تماثيل العجول التى كانت عبادتها منتشرة فى الشرق الأوسط كله ولا سيما فى بلاد الكلدانيين التى هى مسقط رأس اليهود ، وكانوا يصنعونها فى الغالب من الذهب . ومن أشهر تماثيل العجول التى ذكرتها التوراة العجل الذهبى الذى أقامه اليهود فى صحراء سيناء بمجرد خروجهم من مصر . والعجلان الذهبيان اللذان أقامهما يربعام أول ملك على اسرائيل ليعبدهما اليهود ووضع أحدهما فى دان والآخر فى بيت إيل . وكان اليهود كالوثنيين يحتفظون بتماثيل لآلهتهم ومعبوداتهم ذات أحجام صغيرة يحتفظون بها فى منازلهم ويأخذونها معهم إلى كل مكان يذهبون إليه ، ويستشيرونها فى كل شئونهم . وكانوا يسمونها « الترافيم » . وقد كان فى بيت داود نفسه ترافيم من هذا النوع تخص زوجته « ميكال » ابنة الملك شاول . بل إن اليهود جعلوا حتى من بعض مظاهر طقوس الشريعة اليهودية أصناماً يعبدونها ، إذ كان الله قد غضب على اليهود فى صحراء سيناء ، فأرسل الحيات المحرقة ، فقتلت كثيرين منهم « فصلى موسى لأجل الشعب ، فقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة وضعها على راية ، فكل من لدغ ونظر إليها يحيا . فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية ، فكان متى لدغت حية إنساناً ونظر إلى حية النحاس

يحيا » (العدد ٢١ : ٨ و ٩) . ولكن اليهود لم يلبثوا أن جعلوا من هذه الحية صنماً باسم « نحشتان » وعبدوه ، إذ كانت الحية من معبودات كثير من الشعوب الوثنية . وقد أمر الله موسى بأن يصنع لهارون رداء كهنوتياً فاخراً موشى بالذهب، وأن يجعل فيه مكاناً للاوريم والتميم اللذين يشبهان حجرى النرد لمعرفة إرادة الله عن طريقهما، ولكن اليهود لم يلبثوا كذلك أن جعلوا من هذا الرداء الذى يسمى الأفود صنماًوعبدوه ، معتقدين أن له قوة سحرية . وقد أقام اليهود الهيا كل والمذابح للآلهة الوثنية فى كل أنحاء بلادهم ، بل أقاموها فى أورشليم ذاتها ، بل فى ذات هيكل أورشليم وفى الأرباض المحيطة به . وكانوا يختارون لإقامة هذه الهياكل والمذابح الجبال والتلال والمرتفعات والآكات العالية ، كما كانوا يعبدون بعض آلهتهم الوثنية تحت الأشجار الخضراء وفوق سطوح المنازل . وكان اليهود فى عباداتهم الوثنية يتخذون لهم كهنة وثنيين منهم من غير سبط لاوى المختص بالكهنوت فى الشريعة اليهودية ، وإن كان بعض اللاويين زاولوا الكهنوت الوثنى . وتسمى التوراة أولئك الكهنة الوثنيين بالكماريم . وكان اليهود أحياناً يجمعون بين عبادة اللهوعبادة الآلهة الوثنية ، معتبرين أن الله ليس إلا واحداً من هذه الآلهة العديدة، وإن يكن مختصا باليهود كما يختص كل إله من الآلهة الأخرى بشعب بعينه . كما كان اليهود وملوكهم يصاهرون الوثنيين دون اعتبار لاختلاف الدين ، وعلى الرغم من أن شريعتهم اليهودية تعتبر ذلك جريمة شنيعة عقوبتها الموت . بل أن الكهنة اللاويين أنفسهم ، الذين أناط بهم الله المحافظة على شريعته ، كانوا يتخذون زوجات من بنات الوثنيين ، ثم كانوا بعد ذلك يعبدون آلتهن الوثنية ، وقد درجوا كالوثنيين على استخدام السحر ، والعرافة والعيافة ، والتفاؤل ومن وسائل ذلك كله ادعاء النبوة واستطلاع الغيب وتفسير الأحلام والرؤى ، وسؤال الجان والتوابع . وأهملوا كل أحكام الشريعة كل الإهمال ، فامتنعوا عن الختان ، ولم يحترموا الأيام المقدسة التى أمرهم اللهباحترامها كيوم السبت ، ولم يحتفلوا بالأعياد الدينيةالتىرسمها لهم ولا سيما عيدالفصح . ولم يكن ذلك كله قاصراً على فئة منهم دونأخرى ، وإنما اشتركوا فيه جميعاً ، متمردين على ربهم ، وعلى شريعتهم ، ساجدين لآلهة خبيثة تلائم خبث طبيعتهم ، متهافتين على ملذاتهم وشهواتهم ، متهالكين على مطامعهم ومشتهياتهم ، متذرعين بالخديعة والإثم . إذ جاء فى سفر إرميا « لأنهم من الصغير إلى الكبير كل

واحد مولع بالربح ، من النبي إلى الكاهن إلى كل واحد يعمل بالكذب . . لم يخزوا خزياً ولم يعرفوا الخجل . . أغاظونى بمنحوتاتهم ، بأباطيل غريبة » (إرميا ٨ : ١٠ و ١٢ و ١٩) . وقد أنقذهم الله فى البداية من عبوديتهم واختارهم ليكونوا شعبه ، فخانوه كما يخون اللئيم ولى نعمته ، وتركوه وعشقوا معبودات أخرى ، كما تترك المرأة الزانية زوجها وتعشق رجلا غيره . لذلك اعتبر الله أمة اليهود — إذ تمردت على عبادته وعبدت الأصنام والآلهة الوثنية — زانية ينطبق عليها لقب الزانيات وتستحق عقابهن ، ويلحق بها عارهن .

وقد رأينا أن اليهود بعد أن نشأ جدهم إبراهيم فى عائلة وثنية تعبد الاصنام ، ظلوا منحصرين فى أفراد قلائل يحملون الأصنام بين طيات ملابسهم . حتى إذا دخلوا مصر وأصبحوا شعباً عبدوا آلهة المصريين . ثم أراد الله أن يخرج بهم من مصر ليكون لهم إلهاً ويكونوا له شعباً ، فأعلن لهم ذاته وصنع أمامهم معجزاته ليؤمنوا به ، ولكنهم ما أن عبروا البحر الأحمر حتى انتهزوا أول فرصة ليعودوا إلى عبادة الأصنام التى لم يتخلوا عنها فى يوم من الأيام ، على الرغم من كل تحذيرات الله لهم ، إذ جاء فى سفر الخروج « وقال الرب لموسى اصعد إلى الجبل وكن هناك . . وكان موسى فى الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة . . ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى به ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون . فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلا مسبوكاً . فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر . فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ، ونادى هارون وقال غداً عيد للرب ، فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة . وجلس الشعب للأكل والشرب ، ثم قاموا للعب . . فقال الرب لموسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر ، زاغوا سريعاً عن الطريق الذى أوصيتهم به . صنعوا لهم عجلا مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر ، وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب ،

وإذا هو شعب صلب الرقبة . فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم » (الخروج ٢٤ : ١٢ و ١٨ ؛ ٣٢ : ١ — ١٠) .

وجاء في سفر العدد « وأقام إسرائيل في شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن . فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن . وتعلق إسرائيل ببعل فغور . فحمى غضب الرب على إسرائيل » (العدد ٢٥ : ١ — ٣) .

وجاء في سفر التثنية « فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها . لأنك شعب صلب الرقبة . أذكر لا تنس كيف أسخطت الرب إلهك في البرية . من اليوم الذي خرجت فيه من أرض مصر حتى أتيتم إلى هذا المكان كنتم تقاومون الرب » (التثنية ٩ : ٦ و ٧) .

وجاء في سفر القضاة « قد أصعدتكم من مصر وأتيت بكم إلى الأرض التي أقسمت لآبائكم وقلت لا أنكث عهدي معكم إلى الأبد ، وأنتم فلا تقطعوا عهداً مع سكان هذه الأرض ، اهدموا مذابحهم . ولم تسمعوا لصوتي » (القضاة ٢ : ١ و ٢)
وجاء فيه « مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مائة وعشر سنين ، فدفنوه في تخم ملكه في تمنة حارس . . وكل ذلك الجيل أيضاً انضم إلى آبائه وقام بعدهم جيل آخر لم يعرف الرب ولا العمل الذي عمل لإسرائيل ، وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب . . تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروث . . فحمى غضب الرب على إسرائيل فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم وباعهم بيد أعدائهم حولهم ، ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم . حيثما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر كما تكلم الرب وكما أقسم الرب لهم . . وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم ولقضاتهم أيضاً لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها . حادوا سريعاً عن الطريق التي سار بها آباؤهم . . عند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب

وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها . لم يكفوا عن أفعالهم وطريقهم القاسية . فحمى غضب الرب على إسرائيل » (القضاة ٢ : ٨ — ٢٠) وجاء فيه « فسكن بنو إسرائيل فى وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم . فعمل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسوارى . فحمى غضب الرب على إسرائيل » (القضاة ٣ : ٥ — ٨) وجاء فيه « وعمل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب فدفعهم الرب ليد مديان . . وكان لما صرخ بنو إسرائيل إلى الرب بسبب المديانيين . . وأتى ملاك الرب وجلس تحت البطمة التى فى عفرة ، التى ليوآش الأبيعزرى وابنه جدعون . . فرأى جدعون أنه ملاك الرب . . وكان فى تلك الليلة أن الرب قال له خذ ثور البقر الذى لأبيك وثوراً ثانياً ابن سبع سنين واهدم مذبح البعل الذى لأبيك واقطع السارية التى عنده وابن مذبحاً للرب إلهك على رأس هذا الحصن بترتيب ، وخذ الثور الثانى واصعد محرقة على حطب السارية التى تقطعها . فأخذ جدعون عشرة رجال من عبيده وعمل كما كلمه الرب ، وإذ كان يخاف من بيت أبيه وأهل المدينة أن يعمل ذلك نهاراً فعله ليلا . . فبكر أهل المدينة فى الغد ، وإذا بمذبح البعل قد هدم والسارية التى عنده قد قطعت ، والثور الثانى قد أصعد على المذبح الذى بنى . . فسألوا وبحثوا فقالوا إن جدعون بن يوآش قد فعل هذا الأمر . فقال أهل المدينة ليوآش أخرج ابنك لكى يموت لأنه هدم مذبح البعل وقطع السارية التى عنده ، فقال يوآش : . إن كان إلهاً فليقاتل لنفسه . . ليقاتل البعل لأنه قد هدم مذبحه . . ولبس روح الرب جدعون . . وقال رجال إسرائيل لجدعون تسلط علينا . . لأنك خلصتنا من يد مديان . فقال لهم . . أطلب منكم طلبة أن تعطونى كل واحد أقراط غنيمته . . فصنع جدعون منها أفوداً (وكانوا يعبدونه كصنم) ، وجعله فى مدينته فى عفرة ، وزنى كل إسرائيل وراءه هناك . فكان ذلك لجدعون وبيته فخا » (القضاة ٦ : ١ — ٣٤ ؛ ٨ : ٢٢ — ٢٧) .

— « وكان بعد موت جدعون أن بنى إسرائيل رجعوا وزنوا وراء البعليم ، وجعلوا لهم بعل بريث إلها . ولم يذكر بنو إسرائيل الرب إلههم الذى أنقذهم من يد جميع أعدائهم من حولهم » (القضاة ٨ : ٣٣ و ٣٤) . وجاء فيه « وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام

وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بنى عمون وآلهة الفلسطينيين . وتركوا الرب ولم يعبدوه . فحمى غضب الرب على إسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بنى عمون » (القضاة ١٠ : ٦ و ٧) . وجاء فيه « كان رجل من جبل أفرايم اسمه ميخا . فقال لأمه إن الألف والمائة شاقل الفضة التى أخذت منك . . هوذا الفضة معى أنا أخذتها . . فقالت أمه تقديسا قدست الفضة للرب من يدى لابنى لعمل تمثال منحوت وتمثال مسبوك . . فأخذت أمه مائتى شاقل فضة وأعطتها للصائغ فعملها تمثالا منحوتاً وتمثالا مسبوكاً ، وكانا فى بيت ميخا . وكان للرجل ميخا بيت للآلهة . فعمل أفودا وترافيم وملأ يد واحد من بنيه فصار له كاهناً . . وكان غلام من بيت لحم يهوذا من عشيرة يهوذا وهو لاوى متغرب هناك . . فأتى إلى جبل أفرايم إلى بيت ميخا . . فقال له ميخا أقم عندى وكن لى أباً وكاهناً . . فذهب معه اللاوى . . وكان الغلام له كاهناً . . وفى تلك الأيام كان سبط الدانيين يطلب له ملكا للسكنى . وصعدوا وحلوا فى قرية يعاريم فى يهوذا . . وعبروا من هناك إلى جبل أفرايم وجاءوا إلى بيت ميخا . . ودخلوا إلى هناك وأخذوا التمثال المنحوت والأفود والترافيم والتمثال المسبوك . . فقال لهم الكاهن ماذا تفعلون ؟ فقالوا له اخرس ضع يدك على فمك واذهب معنا وكن أباً وكاهناً ، أهو خير لك أن تكون كاهناً لبيت رجل واحد أم تكون كاهناً لسبط وعشيرة فى إسرائيل ؟ فطاب قلب الكاهن وأخذ الأفود والترافيم والتمثال المنحوت ودخل فى وسط الشعب . . وأقام بنو دان لأنفسهم التمثال المنحوت . وكان يهوناثان بن جرشوم بن منسى هو وبنوه كهنة لسبط الدانيين إلى يوم سبى الأرض . ووضعوا لأنفسهم تمثال ميخا المنحوت الذى عمله كل الأيام التى كان فيها بيت الله فى شيلوه » (القضاة ١٧ : ١ — ١٣ ، ١٧ : ١ — ٣١) .

وجاء فى سفر صموئيل « وكلم صموئيل كل بيت إسرائيل قائلا إن كنتم بكل قلوبكم راجعين إلى الرب فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروت من وسطكم وأعدوا قلوبكم للرب واعبدوه وحده فينقذكم من الفلسطينيين » (صموئيل الأول ٧ : ٣) ؛

وجاء فى سفر الملوك « أحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم

الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم ، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة . وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثة من السرارى ، فأمالت نساؤه قلبه . وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتورت إلاهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم ، ولمولك رجس بنى عمون . وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن . فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين وأوصاه فى هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى . فلم يحفظ ما أوصى به الرب . فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقا وأعطيها لعبدك » (الملوك الأول ١١ : ١ — ١٣) . وجاء فيه ولما سمع جميع إسرائيل بأن يربعام قد رجع أرسلوا . . وملكوه على جميع إسرائيل . لم يتبع بيت داود إلا سبط يهوذا وحده . . وبنى يربعام شكيم فى جبل أفرايم وسكن بها . ثم خرج من هناك وبنى فنوئيل . وقال يربعام فى قلبه الآن ترجع المملكة إلى بيت داود . إن صعد هذا الشعب ليقربوا ذبائح فى بيت الرب فى أورشليم يرجع قلب هذا الشعب إلى سيدهم ، إلى رحبعام ملك يهوذا ويقتلونى . . فاستشار الملك وعمل عجلى ذهب وقال لهم ، كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم . هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر . ووضع واحداً فى بيت إيل ، وجعل الآخر فى دان وبنى بيت المرتفعات وصير كهنة من أطراف الشعب لم يكونوا من بنى لاوى . وعمل يربعام فى الشهر الثامن فى اليوم الخامس عشر من الشهر كالعيد الذى فى يهوذا وأصعد على المذبح . وهكذا فعل فى بيت إيل بذبحه للعجلين اللذين عملهما ، وأوقف فى بيت إيل كهنة المرتفعات التى عملها ، وأصعد على المذبح الذى عمل فى بيت إيل فى اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن فى الشهر الذى ابتدعه من قلبه فعمل عيداً لبنى إسرائيل وصعد على المذبح ليوقد » (الملوك الأول ١٢ : ٢٠ و ٢٥ — ٣٣) . وجاء فيه « آخاب ابن عمرى ملك على إسرائيل . . وعمل آخاب بن عمرى الشر فى عينى الرب أكثر من جميع الذين

قبله . وكأنه كان أمراً زهيداً سلوكه فى خطايا يربعام بن نباط ، حتى اتخذ إيزابيل ابنة أثبعل ملك الصيدونيين امرأة وسار وعبد البعل وسجد له ، وأقام مذبحاً للبعل فى بيت البعل الذى بناه فى السامرة . وعمل آخاب سوارى ، وزاد آخاب فى العمل لإغاظة الرب إله إسرائيل أكثر من جميع ملوك إسرائيل الذين كانوا قبله »



« البعل إله الكنعانيين »

(الملوك الأول ١٦ : ٢٩ — ٣٣) . وجاء فيه « ولما رأى آخاب إيليا قال له آخاب أأنت هو مكدر إسرائيل ؟ فقال لم أكدر إسرائيل ، بل أنت وبيت أبيك بترككم وصايا الرب وبسيرك وراء البعليم . فالآن ارسل واجمع إلى كل إسرائيل إلى جبل الكرمل ، وأنبياء البعل الاربعمائة والخمسين ، وأنبياء السوارى الاربعمائة الذين يأكلون على مائدة إيزابيل ، فأرسل آخاب إلى جميع بنى إسرائيل وجميع

الأنبياء إلى جبل الكرمل . فتقدم إيليا إلى جميع الشعب وقال حتى متى تعرجون بين الفرقتين . إن كان الرب هو الله فاتبعوه ، وإن كان البعل فاتبعوه . . أنا بقيت نبياً للرب وحدى وأنبياء البعل اربعمائة وخمسون رجلا ، فليعطونا ثورين فيختاروا لانفسهم ثوراً واحداً ويقطعوه ويضعوه على الحطب . ولكن لا يضعوا ناراً ، وأنا أقرب الثور الآخر وأجعله على الحطب ولكن لا أضع ناراً . ثم تدعون باسم آلهتكم وأنا أدعوا باسم الرب ، والإله الذى يجيب بنار ، فهو الله . فأجاب جميع الشعب وقالوا الكلام حسن ، فقال إيليا لانبياء البعل اختاروا لانفسكم ثوراً واحداً وقربوا أولا لانكم أنتم الاكثر وادعوا باسم آلهتكم ولكن لا تضعوا ناراً . فأخذوا الثور الذى أعطى لهم وقربوه ودعوا باسم البعل من الصباح إلى الظهر قائلين يا بعل أجبنا . فلم يكن صوت ولا مجيب . وكانوا يرقصون حول المذبح الذى عمل . وعند الظهر سخر بهم إيليا وقال ادعوا بصوت عال لانه إله لعله مستغرق أو فى خلوة أو فى سفر أو لعله نائم فيتنبه ، فصرخوا بصوت عال وتقطعوا حسب عادتهم بالسيوف والرماح حتى سال منهم الدم . ولما جاز الظهر وتنبأوا إلى حين اصعاد التقدمة ولم يكن صوت ولا مجيب ولا مصغ ، قال إيليا لجميع الشعب تقدموا إلى . فتقدم جميع الشعب إليه . فرمم مذبح الرب المنهدم ، ثم أخذ إيليا اثنى عشر حجراً بعدد أسباط بنى يعقوب الذى كان كلام الرب إليه قائلا إسرائيل يكون اسمك ، وبنى الحجارة مذبحاً باسم الرب ، وعمل قناة حول المذبح تسع كيلتين من البزر ، ثم رتب الحطب وقطع الثور ووضعه على الحطب وقال املأوا أربع جرات ماء وصبوا على المحرقة وعلى الحطب . ثم قال ثنوا فثنوا ، وقال ثلثوا فثلثوا . فجرى الماء حول المذبح وامتلأت القناة أيضا ماء . وكان عند إصعاد التقدمة أن إيليا النبى تقدم وقال أيها الرب إله إبراهيم وإسحق وإسرائيل . ليعلم اليوم أنك أنت الله فى إسرائيل وأنى أنا عبدك ، وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور . استجبنى يارب استجبنى ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله ، وأنك أنت حولت قلوبهم رجوعاً فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحجارة والتراب ولحست المياه فى القناة . فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا الرب هو الله . الرب هو الله» (الملوك الأول ١٨ : ١٧ — ٣٩) . وجاء فيه «أخزيا بن آخاب ملك على إسرائيل فى السامرة فى السنة السابعة عشرة ليهوشافاط ملك يهوذا . ملك على إسرائيل سنتين ،

وعمل الشر فى عينى الرب ، وسار فى طريق أبيه وطريق أمه وطريق يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطىء وعبد البعل وسجد له وأغاظ الرب إله إسرائيل حسب كل ما فعله أبوه » (الملوك الأول ٢٢ : ٥١ — ٥٣) — « وسقط أخزيا من الكوة التى فى عليته التى فى السامرة فمرض وأرسل رسلا وقال لهم اذهبوا واسألوا بعل زبوب إله عقرون إن كنت أبرأ من هذا المرض . فقال ملاك الرب لإيليا التشبى قم اصعد للقاء رسل ملك السامرة وقل لهم أليس لأنه لا يوجد فى إسرائيل إله تذهبون لتسألوا بعل زبوب إله عقرون ؟ فلذلك هكذا قال الرب أن السرير الذى صعدت عليه لا تنزل عنه ، بل موتاً تموت » (الملوك الثانى ١ : ٢ — ٤) . وجاء فيه « فى السنة السابعة عشرة لفقح بن رمليا ملك آحاز بن يوثام ملك يهوذا . . ولم يعمل المستقيم فى عينى الرب إلهه كداود أبيه ، بل سار فى طريق ملوك إسرائيل حتى أنه عبر ابنه فى النار حسب أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل ، وذبح وأوقد على المرتفعات وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء » (الملوك الثانى ١٦ : ١ — ٤) . وجاء فيه « وأتى ملك آشور بقوم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفروايم وأسكنهم فى مدن السامرة عوضاً عن بنى إسرائيل ، فامتلكوا السامرة وسكنوا فى مدنها . وكان فى ابتداء سكنهم هناك أنهم لم يتقوا الرب فأرسل الرب عليهم السباع فكانت تقتل منهم . فكلموا ملك آشور قائلين إن الأمم الذين سبيتهم وأسكنتهم فى مدن السامرة لا يعرفون قضاء إله الأرض فأرسل عليهم السباع فهى تقتلهم لأنهم لا يعرفون قضاء إله الأرض فأمر ملك آشور قائلا ابعثوا إلى هناك واحداً من الكهنة الذين سبيتموهم من هناك فيذهب ويسكن هناك ويعلمهم قضاء إله الأرض . فأتى واحد من الكهنة الذين سبوهم من السامرة وسكن فى بيت إيل وعلمهم كيف يتقون الرب . فكانت كل أمة تعمل آلهتها ووضعوها فى بيوت المرتفعات التى عملها السامريون ، كل أمة فى مدنها التى سكنت فيها . فعمل أهل بابل سكوث بنوث . وأهل كوث عملوا نرجل . وأهل حماة عملوا أشيما ، والعويون عملوا نبحز وترتاق والسفروايميون كانوا يحرقون بنيهم بالنار لأدرملك وعنملك إلهى سفروايم . فكانوا يتقون الرب ويعملون لأنفسهم من أطرافهم كهنة مرتفعات وكانوا يقربون لأجلهم فى بيوت المرتفعات . كانوا يتقون الرب ويعبدون آلهتهم كعادة الأمم الذين سبوهم من بينهم إلى هذا اليوم يعملون كعاداتهم الأول لا يتقون الرب ولا يعملون حسب فرائضهم ولا حسب الشريعة والوصية التى أمر

بها الرب بنى يعقوب الذى جعل اسمه إسرائيل . وقطع الرب معهم عهداً وأمرهم قائلا لا تتقوا آلهة أخرى ولا تسجدوا لها ولا تذبحوا . ولا تذبحوا لها . بل إنما اتقوا الرب الذى أصعدكم من أرض مصر . . فلم يسمعوا ، بل عملوا حسب عادتهم الأولى . فكان هؤلاء الأمم يتقون الرب ويعبدون تماثيلهم وأيضاً بنوهم وبنو بنيهم . فكما عمل آباؤهم ، هكذا هم عاملون إلى هذا اليوم » (الملوك الثانى ١٧ : ٢٤ — ٤٠) وجاء فيه « حزقيا بن آحاز ملك يهوذا . . عمل المستقيم فى عينى الرب حسب كل ما عمل داود أبوه . هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السوارى وسحق حية النحاس التى عملها موسى ، لأن بنى إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ودعوها نحشتان » (١٨ : ٣ — ٤) . وجاء فيه « كان منسى ابن اثنتى عشرة سنة حين ملك (على مملكة يهوذا) . . وعمل الشر فى عينى الرب حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل ، وعاد فبنى المرتفعات التى أبادها حزقيا أبوه وأقام مذابح للبعل وعمل سارية كما عمل آخاب ملك إسرائيل وسجد لكل جند السماء وعبدها ، وبنى مذابح فى بيت الرب الذى قال الرب عنه فى أورشليم أضع إسمى ، وبنى مذابح لكل جند السماء فى دارى بيت الرب . وعبر ابنه فى النار وعاف وتفاءل واستخدم جاناً وتوابع وأكثر عمل الشر فى عينى الرب لإغاظته . ووضع تمثال السارية التى عمل فى البيت الذى قال الرب عنه لداود وسليمان ابنه فى هذا البيت وفى أورشليم التى اخترت من جميع أسباط إسرائيل أضع اسمى إلى الأبد . . إذا حفظوا وعملوا حسب كل ما أوصيتهم به وكل الشريعة التى أمرهم بها عبدى موسى ، فلم يسمعوا بل أضلهم منسى ليعملوا ما هو أقبح من الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل . وتكلم الرب عن يد عبيده الأنبياء قائلا من أجل أن منسى ملك يهوذا قد عمل هذه الأرجاس وأساء أكثر من جميع الذى عمله الأموريون الذين قبله وجعل أيضاً يهوذا يخطىء بأصنامه ، لذلك هكذا قال الرب إله إسرائيل . ها أنذا جالب شراً على أورشليم ويهوذا حتى أن كل من يسمع به تطن أذناه . . وأمسح أورشليم كما يمسح واحد الصحن ، يمسحه ويقلبه على وجهه ، وأرفض بقية ميراثى وأدفعهم إلى أيدى أعدائهم فيكونون غنيمة ونهباً لجميع أعدائهم ، لأنهم عملوا الشر فى عينى وصاروا يغيظوننى من اليوم الذى فيه خرج آباؤهم من مصر إلى

هذا اليوم » (الملوك الثانى ٢١ : ١ — ١٥) . وجاء فيه « فى السنة الثامنة عشرة للملك يوشيا (ملك يهوذا) . . أمر الملك حلقيا الكاهن العظيم وكهنة الفرقة الثانية وحراس الباب أن يخرجوا من هيكل الرب جميع الآنية المصنوعة للبعل ولكل أجناد السماء وأحرقها خارج أورشليم . . ولاشى كهنة الأصنام الذين جعلهم ملوك يهوذا ليوقدوا على المرتفعات فى مدن يهوذا وما يحيط بأورشليم والذين يوقدون للبعل ، للشمس والقمر والمنازل ولكل أجناد السماء . وأخرج السارية من بيت الرب خارج أورشليم إلى وادى قدرون وأحرقها . . وهدم بيوت المأبونين التى عند بيت الرب حيث كانت النساء ينسجن بيوتاً للسارية . وجاء بجميع الكهنة من مدن يهوذا ونجس المرتفعات حيث كان الكهنة يوقدون من جبع إلى بئر سبع وهدم مرتفعات الأبواب التى عند مدخل باب يشوع رئيس المدينة التى عن اليسار فى باب المدينة . إلا أن كهنة المرتفعات لم يصعدوا إلى مذبح الرب فى أورشليم ، بل أكلوا فطيراً بين إخوتهم . ونجس توفة التى فى وادى بنى هنوم لكى لا يعبر أحد ابنه أو ابنته فى النار لمولك ، وأباد الخيل التى أعطاها ملوك يهوذا للشمس عند مدخل بيت الرب عند مخدع نثنملك الخصى الذى فى الأروقة ، ومركبات الشمس أحرقها بالنار ، والمذابح التى على سطح علية آحاز التى عملها ملوك يهوذا والمذابح التى عملها منسى فى دارى بيت الرب هدمها الملك وركض من هناك وذرى غبارها فى وادى قدرون . والمرتفعات التى قبالة أورشليم التى عن يمين جبل الهلاك التى بناها سليمان ملك إسرائيل لعشتورت رجاسة الصيدونيين ولكموش رجاسة الموآبيين ولملكوم كراهة بنى عمون نجسها الملك . وكسر التماثيل وقطع السوارى . . وكذلك المذبح الذى فى بيت إيل فى المرتفعات التى عملها يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطىء . فذانك المذبح والمرتفعة هدمها وأحرق المرتفعة وسحقها حتى صارت غباراً وأحرق السارية . . وكذا جميع بيوت المرتفعات التى فى مدن السامرة التى عملها ملوك إسرائيل للإغاظة أزالها يوشيا وعمل بها حسب جميع الأعمال التى عملها فى بيت إيل ، وذبح جميع كهنة المرتفعات التى هناك على المذابح وأحرق عظام الناس عليها ثم رجع إلى أورشليم . وأمر الملك جميع الشعب قائلا اعملوا فصحاً للرب إلهكم كما هو مكتوب فى سفر العهد هذا . إنه لم يعمل مثل هذا الفصح منذ أيام القضاة

الذين حكموا على إسرائيل ولا فى كل أيام ملوك إسرائيل وملوك يهوذا . ولكن فى السنة الثامنة عشرة للملك يوشيا عمل هذا الفصح للرب فى أورشليم . وكذلك السحرة والعرافون والترافيم والأصنام وجميع الرجاسات التى رئيت فى أرض يهوذا وفى أورشليم أبادها يوشيا . . ولكن الرب لم يرجع عن حمو غضبه العظيم لأن غضبه حمى على يهوذا من أجل جميع الإغاظات التى أغاظه إياها منسى ، فقال الرب إنى أنزع يهوذا أيضاً من أمامى كما نزعت إسرائيل وأرفض هذه المدينـــة التى اخترتها ، أورشليم ، والبيت الذى قلت يكون اسمى فيه » (الملوك الثانى ٢٢ : ٣ ، ٢٣ : ٤ — ٢٧) .



« الترافيم وهى تماثيل صغيرة للآلهة الوثنية »

وجاء فى سفر أخبار الأيام « بعد مجىء أمصيا (ملك يهوذا) من ضرب الأدوميين أتى بآلهة بنى سعير وأقامهم له آلهة وسجد أمامهم وأوقد لهم ، فحمى غضب الرب على أمصيا وأرسل إليه نبياً فقال له . . قد علمت أن الله قد قضى بهلاكك » (أخبار الأيام الثانى ٢٥ : ١٤ — ١٦) . وجاء فيه « كان آحاز ابن عشرين سنة حين ملك (على مملكة يهوذا) ، ولم يفعل المستقيم فى عينى الرب كداود أبيه ، بل سار فى طرق ملوك إسرائيل وعمل أيضاً تماثيل مسبوكة للبعليم ، وهو أوقد فى وادى ابن هنوم وأحرق بنيه بالنار حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل وذبح وأوقد على المرتفعات وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء » (أخبار الأيام الثانى ٢٨ : ١ — ٤) . وجاء فيه « كان منسى ابن

اثنتى عشرسنةحين ملك (علىمملكة يهوذا) . . وعمل الشر فى عينى الرب حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل . وعاد فبنى المرتفعات التى هدمها حزقيا أبوه وأقام مذابح للبعليم وعمل سوارى وسجد لكل جند السماء وعبدها . وبنى مذابح فى بيت الرب الذى قال عنه الرب فى أورشليم يكون اسمى إلى الأبد . وبنى مذابح لكل جند السماء فى دارى بيت الرب . وعبر بنيه فى النار فى وادى ابن هنوم وعاف وتفاءل وسحر واستخدم جاناً وتابعة وأكثر عمل الشر فى عينى الرب لإغاظته ، ووضع تمثال الشكل الذى عمله فى بيت الله الذى قال الله عنه لداود وسليمان ابنه فى هذا البيت وفى أورشليم التى اخترت من جميع أسباط إسرائيل أضع اسمى إلى الأبد ، ولا أعود أزحزح رجل إسرائيل عن الأرض التى عينت لآبائهم وذلك إذا حفظوا وعملوا كل ماأوصيتهم به ، كل الشريعة والفرائض والأحكام عن يد موسى . ولكن منسى أضل يهوذا وسكان أورشليم ليعملوا أشر من الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل وكلم منسى وشعبه فلم يصغوا » (أخبار الأيام الثانى ٣٣ : ١ — ٩) . وجاء فيه « كان يوشيا ابن ثمانى سنين حين ملك (على مملكة يهوذا) . . ابتدأ يطهر يهوذا أورشليم من المرتفعات والسوارى والتماثيل والمسبوكات وهدموا أمامه مذابح البعليم وتماثيل الشمس التى عليها من فوق فقطعها وكسر السوارى والتماثيل والمسبوكات ودقها ورشها على قبور الذين ذبحوا لها . وأحرق عظام الكهنة على مذابحهم وطهر يهوذا وأورشليم . وفى مدن منسى وأفرايم وشمعون حتى ونفتالى مع خرائبها حولها هدم المذابح والسوارى ودق التماثيل ناعماً وقطع جميع تماثيل الشمس فى كل أرض إسرائيل » (أخبار الأيام الثانى ٣٤ : ١ — ٧) . وجاء فيه « هكذا قال الرب ها أنذا جالب شراً على هذا الموضع وعلى سكانه . . من أجل أنهم تركونى وأوقدوا لآلهة أخرى لكى يغيظونى بكل أعمال أيديهم ، وينسكب غضبى على هذا الموضع ولا ينطفىء » (أخبار الأيام الثانى ٣٤ : ٢٤ و ٢٥) .

وجاء فى سفر عزرا « أجاب شكنيا بن يحييئيل من بنى عيلام وقال لعزرا إننا قد خنا إلهنا واتخذنا نساء غريبة من شعوب الأرض . . فوجد بين بنى الكهنة من اتخذ نساء غريبة » (عزرا ١٠ : ٢ و ١٨) .

وجاء فى سفر المزامير « لم يحفظوا عهد الله وأبوا السلوك فى شريعته ونسوا أفعاله وعجائبه التى أراهم . . فخادعوه بأفواههم وكذبوا عليه بألسنتهم . أما قلوبهم فلم تثبت

معه ولم يكونوا أمناء فى عهده . . . كم عصوه فى البرية وأحزنوه فى القفر . . ارتدوا وغدروا مثل آبائهم . . أغاظوه بمرتفعاتهم وأغاروه بتماثيلهم . سمع الله فغضب ورذل إسرائيل جداً . . ودفع إلى السيف شعبه . . . جعلهم عاراً أبدياً » (المزمور ٧٨ : ١٠ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٦) .

وجاء فى سفر إشعياء « هكذا يقول الرب ملك إسرائيل . . الذين يصورون صنما كلهم باطل ومشتهياتهم لا تنفع وشهودهم هى لا تبصر ولا تعرف حتى تخزى . من صور إلهاً وسبك صنما لغير نفع . ها كل أصحابه يخزون. والصناع هم من الناس، يجتمعون كلهم . . يقفون يرتعبون ويخزون معاً . طبع الحديد قدوماً وعمل بالفحم والمطارق . يصوره فيصنعه بذراع قوته . يجوع أيضاً فليس له قوة . . لم يشرب ماء وقد تعب . نجر خشباً . مد الخيط ، بالمخرز يعلمه ، يصنعه بالإزميل وبالدوارة يرسمه فيصنعه كشبه رجل . كجمال إنسان ليسكن فى البيت . قطع لنفسه أرزاً وأخذ سنديانا وبلوطاً واختار لنفسه من أشجار الوعر . غرس سنوبراً والمطر ينميه . فيصير للناس للإيقاد . ويأخذ منه ويتدفأ . يشعل أيضاً ويخبز خبزاً . ثم يصنع إلها فيسجد . قد صنعه صنماً وخر له .. نصفه أحرقه بالنار . . على نصفه يأكل لحماً . يشوى مشوياً ويشبع . يتدفأ أيضاً ويقول بخ قد تدفأت. رأيت ناراً. وبقيته قد صنعها إلهاً ، صنما لنفسه . يخر له ويسجد ويصلى إليه ويقول نجنى لأنك أنت إلهى.لا يعرفون ولا يفهمون لأنهم قد طمست عيونهم عن الإبصار وقلوبهم عن التعقل ، ولا يردد فى قلبه وليس له معرفة ، ولا يفهم حتى يقول نصفه أحرقت بالنار وخبزت أيضا على جمره خبزاً ، شويت لحما وأكلت . أفأصنع بقيته رجساً ولساق شجرة أخر . يرعى رماداً . قلب مخدوع قد أضله » (أشعيا ٤٤ : ٦ — ٢٠) . وجاء فيه « اسمعوا لى يا بيت يعقوب وكل بقية إسرائيل . . بمن تشبهوننى وتسووننى وتمثلوننى لنتشابه ؟ الذين يفرغون الذهب من الكيس والفضة بالميزان يزنون . يستأجرون صائغاً ليصنعها إلها . يخرون ويسجدون . يرفعونه على الكتف . يحملونه ويضعونه فى مكانه ليقف . من موضعه لا يبرح . يزعق أحد إليه فلا يجيب . من شدته لا يخلصه . أذكروا هذا وكونوا رجالا . رددوه فى قلوبكم أيها العصاة . . إسمعوا له يا أشداء القلوب البعيدين عن البر » (إشعياء ٤٦ : ٣ — ١٢) وجاء فيه « أما أنتم فتقدموا إلى هنا يا بنى الساحرة نسل الفاسق والزانية . بمن تسخرون وعلى من تفغرون الفم وتدلعون اللسان ؟ أما

أتم أولاد المعصية نسل الكذب ، المتوقدون إلى الأصنام تحت كل شجرة خضراء ، القاتلون الأولاد فى الأودية تحت شقوق المعاقل ؟ فى حجارة الوادى الملس نصيبك ، تلك هى قرعتك . لتلك سكبت سكيبا وأصعدت تقدمة.. على جبل عالى مرتفع وضعت مضجعك وإلى هناك صعدت لتذبحى ذبيحة . . وراء الباب والقائمة وضعت تذكارك لأنك لغيرى كشفت وصعدت . أوسعت مضجعك وقطعت لنفسك عهداً معهم . أحببت مضجعهم . . أكثرت أطيابك وأرسلت رسلك إلى بعد ونزلت حتى إلى الهاوية . . شهوتك وجدت لذلك لم تضعفى . وممن خشيت وخفت حتى خنت وإياى لم تذكرى ولا وضعت فى قلبك ، أما أنا ساكت ، وذلك منذ القديم فإياى لم تخافى » (إشعياء ٥٧ : ٣ — ١٦) .

وجاء فى سفر إرميا « إسمعوا كلمة الرب يابيت يعقوب ، وكل عشائر بيت إسرائيل . هكذا قال الرب : ماذا وجد فى آبائكم من جور حتى ابتعدوا عنى وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا ، ولم يقولوا أين هو الرب الذى أصعدنا من أرض مصر . . وأتيت بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخيرها . فأتيتم ونجستم أرضى وجعلتم ميراثى رجساً . الكهنة لم يقولوا أين هو الرب ، وأهل الشريعة لم يعرفونى ، والرعاة عصوا على ، والأنبياء تنبأوا ببعل وذهبوا وراء مالا ينفع.. فاعلمى وانظرى أن تركك الرب إلهك شر ومر وأن خشيتى ليست فيك . . لأنك على كل أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء أنت اضطجعت زانية . . كيف تقولين لم أتنجس . وراء بعليم لم أذهب ؟ . إعرفى ما عملت . . كخزى السارق إذا وجد ، هكذا خزى بيت إسرائيل هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياؤهم ، قائلين للعود أنت أبى وللحجر أنت ولدتنى ، لأنهم حولوا نحوى القفا لا الوجه ، وفى وقت بليتهم يقولون قم وخلصنا . فأين آلهتك التى صنعت لنفسك ؟ فليقوموا إن كانوا يخلصونك فى وقت بليتك ، ولأنه على عدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا . . كلكم عصيتمونى » (أرميا ٢ : ٤ — ٢٩) . وجاء فيه « وقال الرب لى فى أيام يوشيا الملك هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل؟ انطلقت إلى كل جبل عال وإلى كل شجرة خضراء وزنت هناك، فقلت بعد مافعلت كل هذه ارجعى إلى فلم ترجع . فرأت أختها الخائنة يهوذا ، فرأيت أنه لأجل كل الأسباب إذ زنت العاصية إسرائيل فطلقتها وأعطيتها كتاب طلاقها ، لم تخف الخائنة يهوذا أختها بل مضت وزنت هى أيضا ، وكان من هوان زناها أنها نجست الأرض وزنت مع الحجر

ومع الشجر . وفى كل هذا أيضا لم ترجع إلى أختها الخائنة يهوذا بكل قلبها بل بالكذب .. حقا إنه كما تخون المرأة قرينها ، هكذا خنتمونى يا بيت إسرائيل » (ارميا ٣ : ٦ — ١٠ و ٢٠) .

وجاء فيه « الكلمة التى صارت إلى إرميا من قبل الرب قائلا قف فى باب بيت الرب وناد هناك .. وقل اسمعوا كلمة الرب يا جميع يهوذا الداخلين فى هذه الأبواب لتسجدوا للرب . هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل لا تتكلوا على كلام الكذب قائلين هيكل الرب هيكل الرب هيكل الرب هو .. أتسرقون وتقتلون وتزنون ، وتحلفون كذبا وتبخرون للبعل وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها . ثم تأتون وتقفون أمامى فى هذا البيت ؟ .. هل صار هذا البيت الذى دعى باسمى عليه مغارة لصوص فى أعينكم ؟ .. أما ترى ماذا يعملون فى مدن يهوذا وفى شوارع أورشليم ؟ الأبناء يلتقطون حطباً والآباء يوقدون النار والنساء يعجن العجين ليصنعن كعكا لملكة السماوات ولسكب سكائب لآلهة أخرى لكى يغيظونى .. ها غضبى وغيظى ينسكبان على هذا الموضع .. لأن بنى يهوذا قد عملوا الشر فى عينى .. وضعوا مكرهاتهم فى البيت الذى دعى باسمى لينجسوه وبنوا مرتفعات توفة التى فى وادى ابن هنوم ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار . لذلك ها هى أيام تأتى .. تصير جثث هذا الشعب أكلا لطيور السماء ولوحوش الأرض .. وأبطل من مدن يهوذا ومن شوارع أورشليم صوت الطرب وصوت الفرح ، وصوت العريس وصوت العروس ، لأن الأرض تصير خرابا » (إرميا ٧ : ١ — ٣٤) . — « فى ذلك الزمان يقول الرب يخرجون عظام ملوك يهوذا وعظام رؤسائه وعظام الكهنة وعظام الأنبياء وعظام سكان أورشليم من قبورهم ويبسطونها للشمس وللقمر ولكل جنود السماوات التى أحبوها والتى عبدوها والتى ساروا وراءها والتى استشاروها والتى سجدوا لها .. أعطى نساءهم لآخرين وحقولهم لمالكين لأنهم من الصغير إلى الكبير كل واحد مولع بالربح من النبى إلى الكاهن إلى كل واحد يعمل بالكذب .. نزعاً أنزعهم .. لماذا أغاظونى بمنحوتاتهم ، بأباطيل غريبة » (إرميا ٨ : ١ — ٢٢) . — « وقد ذهبوا وراء آلهة أخرى ليعبدوها .. لذلك . ها أنذا جالب عليهم شراً لا يستطيعون أن يخرجوا منه ، ويصرخون إلى فلا أسمع لهم .. فينطلق مدن يهوذا

وسكان أورشليم ، ويصرخون إلى الآلهة التى يبخرون لها فلن تخلصهم . . لأنه بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا وبعدد شوارع أورشليم وضعتم مذابح للخزى ، مذابح للتبخير للبعل » (إرميا ١١ : ١٠ — ١٣) . — « إسمعوا كلمة الرب ياملوك يهوذا وسكان أورشليم . هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل : ها أنذا جالب على هذا الموضع شراً كل من سمع به تطن أذناه . من أجل أنهم تركونى وأنكروا هذا الموضع وبخروا فيه لآلهة أخرى لم يعرفوها هم ولا آباؤهم ولا ملوك يهوذا وملأوا هذا الموضع من دم الأزكياء . . وبنوا مرتفعات للبعل ليحرقوا أولادهم بالنار محرقات للبعل . . لذلك . . ها أيام تأتى . . أنقض مشورة يهوذا وأورشليم فى هذا الموضع وأجعلهم يسقطون بالسيف أمام أعدائهم وبين طالبى نفوسهم ، وأجعل جثثهم أكلا لطيور السماء ولوحوش الأرض ، وأجعل هذه المدينة للدهش والصفير . كل عابر بها يدهش ويصفر من أجل كل ضرباتها ، وأطعمهم لحم بنيهم ولحم بناتهم فيأكلون كل واحد لحم صاحبه فى الحصار والضيق الذى يضايقهم به أعداؤهم وطالبو نفوسهم » (إرميا ١٩ : ٣ — ٩) . — « ها أنذا الرب إله كل ذى جسد . . ها أنذا أدفع هذه المدينة (أورشليم) ليد الكلدانيين ، وليد نبوخذراصر ملك بابل فيأخذها فيأتى الكلدانيون الذين يحاربون هذه المدينة فيشعلون هذه المدينة بالنار ويحرقونها ، والبيوت التى بخروا على سطوحها للبعل وسكبوا سكائب لآلهة أخرى ليغيظونى لأن بنى إسرائيل وبنى يهوذا إنما صنعوا الشر فى عينى منذ صباهم . لأن بنى إسرائيل إنما أغاظونى بعمل أيديهم . . لأن هذه المدينة قد صارت لى لغضبى ولغيظى من اليوم الذى فيه بنوها إلى هذا اليوم لأنزعها من أمام وجهى . من أجل كل شر بنى إسرائيل وبنى يهوذا الذى عملوه ليغيظونى به هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياؤهم ورجال يهوذا وسكان أورشليم . وقد حولوا لى القفا لا الوجه وقد علمتهم مبكراً ومعلماً ولكنهم لم يسمعوا ليقبلوا أدباً ، بل وضعوا مكرهاتهم فى البيت الذى دعى باسمى لينجسوه . وبنوا المرتفعات للبعل التى فى وادى بنى هنوم ليجيزوا بنيهم وبناتهم فى النار لمولك » (إرميا ٣٢ : ٢٦ — ٣٥) — وبعد خراب أورشليم وسائر المدن اليهودية على أيدى الكلدانيين هرب بعض اليهود إلى مصر ، وجاء فى سفر إرميا « الكلمة التي صارت إلى إرميا من جهة كل اليهود الساكنين فى

أرض مصر ، الساكنين فى مجدل وفى حفنيس وفى نوف وفى أرض فتروس قائلة : هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل. أنتم رأيتم كل الشر الذى جلبته على أورشليم وعلى كل مدن يهوذا ، فهاهى خربة إلى هذا اليوم وليس فيها ساكن من أجل شرهم الذى فعلوه ليغيظونى إذ ذهبوا ليبخروا ويعبدوا آلهة أخرى لم يعرفوها هم ولا أنتم ولا آباؤكم ، فأرسلت إليكم كل عبيدى الأنبياء مبكراً ومرسلا قائلا لا تفعلوا أمر هذا الرجس الذى أبغضته . فلم يسمعوا ولا أمالوا أذنهم ليرجعوا عن شرهم فلا يبخروا لآلهة أخرى فانسكب غيظى وغضبى واشتعلا فى مدن يهوذا وفى شوارع أورشليم فصارت خربة مقفرة كهذا اليوم. فالآن هكذا قال الرب إله الجنود إله إسرائيل : لماذا أنتم فاعلون شرا عظيماً ضد أنفسكم .. لإغاظتى بأعمال أيديكم إذ تبخرون لآلهة أخرى فى أرض مصر التى أتيتم إليها لتتغربوا فيها لكى تنقرضوا ولكى تصيروا لعنة وعاراً بين كل أمم الأرض . هل نسيتم شرور آبائكم وشرور ملوك يهوذا وشرور نسائكم التى فعلت فى أرض يهوذا وفى شوارع أورشليم ؟ لم يذلوا إلى هذا اليوم ولا خافوا ولا سلكوا فى شريعتى وفرائضى التى جعلتها أمامكم وأمام آبائكم . لذلك هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل. ها أنذا أجعل وجهى عليكم للشر ولأقرض كل يهوذا ، وآخذ بقية يهوذا الذين جعلوا وجوههم للدخول إلى أرض مصر ليتغربوا هناك فيفنون كلهم فى أرض مصر . يسقطون بالسيف وبالجوع يفنون من الصغير إلى الكبير ، بالسيف والجوع يموتون ويصيرون حلفاً ودهشاً ولعنة وعاراً . وأعاقب الذين يسكنون فى أرض مصر كما عاقبت أورشليم بالسيف والجوع والوباء . ولا يكون ناج ولا باق لبقية يهوذا الآتين ليتغربوا هناك فى أرض مصر ليرجعوا إلى أرض يهوذا التى يشتاقون إلى الرجوع لأجل السكن فيها . . فأجاب إرميا كل الرجال الذين عرفوا أن نساءهم يبخرن لآلهة أخرى وكل النساء الواقفات فى محفل كبير وكل الشعب الساكن فى أرض مصر فى فتروس قائلين إننا لا نسمع لك الكلمة التى كلمتنا بها باسم الرب . بل سنعمل كل أمر خرج من فمنا فنبخر لملكة السماوات ونسكب لها سكائب كما فعلنا نحن وآباؤنا وملوكنا وروساؤنا فى أرض يهوذا وفى شوارع أورشليم فشبعنا خبزاً وكنا بخير ولم نر شراً . ولكن من حين كففنا عن التبخير لملكة السماوات وسكب سكائب لها احتجنا إلى كل وفنينا بالسيف والجوع .

وإذ كنا نبخر لملكة السماوات ونسكب لها سكائب ، فهل بدون رجالنا كنا نصنع لها كعكا لنعبدها ونسكب لها السكائب ؟ فكلم إرميا كل الشعب الرجال والنساء وكل الشعب الذين جاوبوه بهذا الكلام قائلا أليس البخور الذى بخرتموه فى مدن يهوذا وفى شوارع أورشليم أنتم وآباؤكم وملوككم ورؤساؤكم وشعب الأرض هو الذى ذكره الرب . . ولم يستطع الرب أن يحتمل بعد من أجل شر أعمالكم من أجل الرجاسات التى فعلتم فصارت أرضكم خربة ودهشاً ولعنة بلا ساكن كهذا اليوم ، من أجل أنكم قد بخرتم وأخطأتم إلى الرب ولم تسمعوا لصوت الرب ولم تسلكوا فى شريعته وفرائضه وشهاداته من أجل ذالكم قد أصابكم هذا الشر . . هكذا تكلم رب الجنود إله إسرائيل قائلا أنتم ونساؤكم تكلمتم بفمكم وأكملتم بأياديكم قائلين إننا إنما نتمم نذورنا التى نذرناها أن نبخر لملكة السماوات ونسكب لها سكائب فإنهن يقمن نذوركم ويتممن نذوركم . لذلك اسمعوا كلمة الرب يا جميع يهوذا الساكنين فى أرض مصر . . ها أنذا قد حلفت باسمى العظيم قال الرب إن اسمى لن يسمى بعد بفم إنسان ما من يهوذا فى كل أرض مصر قائلا حى السيد الرب . ها أنذا أسهر عليهم للشر لا للخير فيفنى كل رجال يهوذا الذين فى أرض مصر بالسيف والجوع حتى يتلاشوا » (إرميا ٤٤ : ١ — ٢٧) .

وجاء فى سفر حزقيال قوله « يد السيد الرب وقعت على . . ورفعنى روح بين الأرض والسماء ، وأتى بى فى رؤى الله إلى أورشليم إلى مدخل الباب الداخلى المتجه نحو الشمال حيث مجلس تمثال الغيرة . . ثم جاء بى إلى باب الدار . . وقال لى ادخل وانظر الرجاسات الشريرة التى هم عاملوها هنا . فدخلت ونظرت وإذا كل شكل دبابات وحيوان نجس وكل أصنام بيت إسرائيل مرسومة على الحائط على دائرة ، وواقف قدامها سبعون رجلا من شيوخ بيت إسرائيل . . وكل واحد مجمرته فى يده ، وعطر عنان البخور صاعد . ثم قال لى أرأيت يا ابن آدم ما تفعله شيوخ بيت إسرائيل فى الظلام ، كل واحد فى مخادع تصاويره ، لأنهم يقولون الرب لا يرانا . . وقال لى بعد تعود تنظر رجاسات أعظم هم عاملوها ، فجاء بى إلى مدخل باب بيت الرب الذى من جهة الشمال ، وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز . . فجاء بى إلى دار بيت الرب الداخلية ، وإذا عند باب هيكل الرب بين الرواق والمذبح نحو

خمسة وعشرين رجل ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق ، وهم ساجدون للشمس نحو الشرق. وقال لى أرأيت يا ابن آدم؟ أقليل لبيت يهوذا عمل الرجاسات التى عملوها هنا ، لأنهم قد ملأوا الأرض ظلماً ويعودون لإغاظتى ، وهاهم يقربون الغصن إلى أنفهم ؟ فأنا أيضاً أعامل بالغضب . لا تشفق عينى ولا أعفو » (حزقيال ٨ : ١ — ١٨) . وجاء فى هذا السفر « هكذا قال السيد الرب لأورشليم . . خرج لك اسم فى الأمم لجمالك ، لأنه كان كاملا ببهائى الذى جعلته عليك . اتكلت على جمالك وزنيت على اسمك ، وسكبت زناك على كل عابر فكان له . وأخذت من ثيابك وصنعت لنفسك مرتفعات موشاة وزنيت عليها . . وأخذت أمتعة زينتك من ذهبى ومن فضتى التى أعطيتك وصنعت لنفسك صور ذكور وزنيت بها ، وأخذت ثيابك المطرزة وغطيتها بها ووضعت أمامها زيتى وبخورى . وخبزى الذى أعطيتك ، السميذ والزيت والعسل الذى أطعمتك وضعتها أمامها رائحة سرور . . أخذت بنيك وبناتك الذين ولدتهم لى وذبحتهم لها طعاماً . أهو قليل من زناك أنك ذبحت بنى وجعلتهم يجوزون فى النار لها ؟ . . ويل ويل لك . . إنك بنيت لنفسك قبة وصنعت لنفسك مرتفعة فى كل شارع . فى رأس كل طريق بنيت مرتفعتك . . وزنيت مع بنى آشور . . وكثرت زناك فى أرض كنعان إلى أرض الكلدانيين ، وبهذا أيضاً لم تشبعى . . فعلت كل هذا فعل امرأة زانية سليطة . . أيتها الزوجة الفاسقة تأخذ أجنبيين مكان زوجها . . فلذلك يا زانية . . بزناك بمحبيك وبكل أصنام رجاساتك ولدماء بنيك الذين بذلتهم لها . لذلك ها أنذا أجمع جميع محبيك الذين لذذت لهم وكل الذين أحببتهم مع كل الذين أبغضتهم . . وأحكم عليك أحكام الفاسقات السافكات الدم . . وأسلمك ليدهم فيهدمون قبتك ويهدمون مرتفعاتك وينزعون عنك ثيابك ويأخذون أدوات زينتك ويتركونك عريانة وعارية . . ويرجمونك بالحجارة ويقطعونك بسيوفهم ويحرقون بيوتك بالنار . . وأحل غضبى بك . . أجلب طريقك على رأسك . . أنت أخت أخواتك اللواتى كرهن أزواجهن وأبناءهن . أمكن حثية وأبوكن أمورى ، وأختك الكبرى السامرة هى وبناتها الساكنة عن شمالك ، وأختك الصغرى الساكنة عن يمينك هى سدوم وبناتها . ولا فى طريقهن سلكت ولا مثل رجاساتهن فعلت ، كأن ذلك قليل فقط ففسدت أكثر منهن فى كل طرقك . حى أنا يقول السيد الرب إن سدوم أختك لم تفعل هى

ولا بناتها كما فعلت أنت وبناتك . . ولم تخطىء السامرة نصف خطاياك ، بل زدت رجاساتك أكثر منهن . . فاحملي أيضاً خزيك أنت القاضية على أخواتك بخطاياك التي بها رجست أكثر منهن . . لكي تحملي عارك وتخزى من كل مافعلت » (حزقيال ١٦ : ١ — ٥٤) . — « وكان في السنة السابعة . . أن أناساً من شيوخ إسرائيل جاءوا ليسألوا الرب فجلسوا أمامى ، فكان كلام الرب إلى قائلا يا ابن آدم كلم شيوخ إسرائيل وقل لهم هكذا قال السيد الرب . هل أتيتم لتسألونى ؟ . . يا ابن آدم عرفهم رجاسات آبائهم وقل لهم هكذا قال السيد الرب في يوم اخترت إسرائيل . . رفعت لهم يدى لأخرجهم من أرض مصر إلى الأرض التي تجسستها لهم . تفيض لبناً وعسلا . . وقلت لهم اطرحوا كل إنسان منكم أرجاس عينيه ولا تتنجسوا بأصنام مصر . . فتمردوا على . . ولم يتركوا أصنام مصر . . فأخرجتهم من أرض مصر وأتيت بهم إلى البرية وأعطيتهم فرائضى ، وعلمتهم أحكامى . . فتمرد على بيت إسرائيل في البرية . لم يسلكوا في فرائضى ورفضوا أحكامى . . ورفعت أيضاً يدى لهم في البرية بأنى لا آتى بهم إلى الأرض التي أعطيتهم إياها تفيض لبناً وعسلا . . لأن قلبهم ذهب وراء أصنامهم . . وقلت لأبنائهم في البرية لا تسلكوا في فرائض آبائكم ولا تحفظوا أحكامهم ولا تتنجسوا بأصنامهم .. فتمرد الأبناء على .. وكانت عيونهم وراء أصنام آبائهم . . أجازوا في النار كل فاتح رحم . . خانونى خيانة لما أتيت بهم إلى الأرض التي رفعت لهم يدى لأعطيهم إياها ، فرأوا كل تل عال وكل شجرة غبياء . فذبحوا هناك ذبائحهم وقربوا هناك قرابينهم المغيظة ، وقدموا هناك روائح سرورهم وسكبوا هناك سكائبهم . فقلت لهم ما هذه المرتفعة التي تأتون إليها ، فدعى اسمها مرتفعة إلى هذا اليوم . . تنجستم بطريق آبائكم وزنيتم وراء أرجاسهم وبتقديم عطاياكم وإجازة أبنائكم في النار تتنجسون بكل أصنامكم . . فهل أسأل منكم يا بيت إسرائيل ؟ حى أنا يقول الرب لا أسأل منكم ، والذى يخطر ببالكم لن يكون ، إذ تقولون نكون كالأمم ، كقبائل الأراضى فنعبد الخشب والحجر . حى أنا يقول السيد الرب أنى بيد قوية وبذراع ممدودة وبسخط مسكوب أملك عليكم . . اذهبوا اعبدوا كل إنسان أصنامه . . فلا تنجسوا اسمى القدوس بعد بعطاياكم وبأصنامكم » (حزقيال ٢٠ : ١ — ٣٩) . — « وكان إلى كلام الرب

قائلا يا ابن آدم كان امرأتان ابنتا أم واحدة ، وزنتا بمصر . فى صباهما زنتا .. واسمهما أهولة الكبيرة ، وأهولية أختها . وكانتا وولدتا بنين وبنات ، واسماهما السامرة أهولة وأرشليم أهولية. وزنت أهولة من تحتى، وعشقت محبيها بنى آشور.. وتنجست بكل من عشقتهم . بكل أصنامهم . . لذلك سلمتها ليد عشاقها ، ليد بنى آشور.. أخذوا بنيها وبناتها وذبحوها بالسيف.. فلما رأت أختها أهولية ذلك أفسدت فى عشقها أكثر منها وفى زناها أكثر من زنا أختها . عشقت بنى آشور ولما نظرت إلى رجال مصورين على الحائط صور الكلدانيين .. عشقتهم .. وأرسلت إليهم رسلا . . فأتاها بنو بابل فى مضجع الحب ونجسوها بزناهم .. فجفتها نفسى كما جفت نفسى أختها . . لأجل ذلك يا أهولية (أى يا أورشليم) هكذا قال السيد الرب . ها أنذا أهيج عليك عشاقك . . وآتى بهم عليك من كل جهة . بنى بابل وكل الكلدانيين . . ومعهم كل بنى آشور . . فيعاملونك بالسخط . يقطعون أنفك وأذنيك وبقيتك تسقط بالسيف . يأخذون بنيك وبناتك وتوكل بقيتك بالنار . . أفعل بك هذا لأنك زنيت وراء الامم . لأنك تنجست بأصنامهم .. تكونين للضحك والاستهزاء . . وقال لى الرب يا ابن آدم أتحكم على أهولة (السامرة) وأهولية (أورشليم) ، بل اخبرهما برجاساتهما ، لأنهما قد زنتا وفى أيديهما دم وزنتا بأصنامهما وأيضاً أجازتا بنيهما الذين ولدتاهم فى النار أكلا لها . . ولما ذبحتا بنيهما لأصنامهما أتتا فى ذلك اليوم إلى مقدسى لتنجساه . . » (حزقيال ٢٣ : ١ — ٤٩) .

وجاء فى سفر صفنيا « يقول الرب وأمد يدى على يهوذا وعلى كل سكان أورشليم ، وأقطع من هذا المكان بقية البعـــل ، إسم الكماريم مع الكهنة ، والساجدين على السطوح لجند السماء ، والساجدين الحالفين بالرب والحالفين بملكوم والمرتدين من وراء الرب والذين لم يطلبوا الرب ولا سألوا عنه » (صفنيا ١ : ٣ — ٦) .

وجاء فى سفر المكابيين « كتب الملك أنطيوخرس إلى مملكته كلها بأن يكونوا جميعهم شعباً واحداً ويتركوا كل واحد سنته ، فأذعنت الامم بأسرها لكلام الملك ، وكثيرون من إسرائيل ارتضوا دينه وذبحوا للأصنام ودنسوا السبت . وأنفذ الملك

كتباً على أيدى رسل إلى أورشليم ومدن يهوذا أن يتبعوا سنن الأجانب فى الأرض ويمتنعوا عن المحرقات والذبيحة والسكيب المقدس ويدنسوا السبوت والأعياد وينجسوا المقادس والقديسين ويبتنوا مذابح وهياكل ومعابد الأصنام ويذبحوا الخنازير والحيوانات النجسة ويتركوا بنيهم غلفاً ويقذروا نفوسهم بكل نجاسة ورجس حتى ينسوا الشريعة ويغيروا جميع الأحكام . . وأمر مدائن يهوذا بأن يذبحوا فى كل مدينة ، فانضم إليهم كثيرون من الشعب ، كل من نبذوا الشريعة فصنعوا الشر فى الأرض » (المكابيين الأول ١ : ٤٣ — ٥٦) . وجاء فيه « وكان أنه بعد وفاة سيليوكوس واستيلاء أنطيوخوس الملقب بالشهير على الملك طمع ياسون أخو أونيا فى الكهنوت الأعظم ، فوفد على الملك ووعده بثلاثمائة وستين قنطار فضة ، وبثمانين قنطاراً من دخل آخر . وما عدا ذلك ضمن له مائة وخمسين قنطاراً غيرها إن رخص له بسلطة الملك فى إقامة مدرسة للتروض (أى معهد يونانى وثنى) ، وأن يكتتب أهل أورشليم فى رعوية أنطاكية ، فأجابه الملك إلى ذلك ، فتقلد الرئاسة وما لبث أن صرف شعبه إلى عادات الأمم وألغى الاختصاصات التى أنعم بها الملوك على اليهود . . وأبطل رسوم الشريعة وأدخل سنناً تخالف الشريعة وبادر فاقام مدرسة للتروض تحت القلعة وساق نخبة الفتيان فجعلهم تحت المظلة . فتمكن الميل إلى عادات اليونان والتخلق بأخلاق الأجانب بشدة فجور ياسون الذى هو كافر لا كاهن أعظم ، حتى أن الكهنة لم يعودوا يحرصون على خدمة المذبح ، واستهانوا بالهيكل ، وأهملوا الذبائح لينالوا حظاً فى جوائز الملعب المحرمة بعد المباراة فى رمى المطاث . وكانوا يستخفون بمآثر آبائهم ويتنافسون بمفاخرة اليونان . فلذلك أحاقت بهم رزية شديدة ، فإن الذين أولعوا برسومهم وحرصوا على التشبث بهم هم صاروا أعداء لهم ومنتقمين ، لأن النفاق فى الشريعة الإلهية لا يذهب سدى . ولما جرت فى صور المصارعة التى تجرى كل سنة خامسة والملك حاضر ، أنفذ ياسون الخبيث رسلا من أورشليم أنطاكيي الرعوية ومعهم ثلاثمائة درهم فضة لذبيحة هيركليس » (المكابيين الثانى ٤ : ٧ — ١٨) . وجاء فيه « وبعد ذلك بيسير أرسل الملك شيخاً أثينياً يضطر اليهود أن يرتدوا عن شريعة آبائهم ولا يتبعوا شريعة الله وليدنس هيكل أورشليم ويجعله على اسم زيوس الأولمبى ، ويجعل هيكل جرزيم على اسم زيوس مؤوى الغرباء لأن أهل الموضع كانوا غرباء . وامتلأ الهيكل عهراً وقصوفاً ، وأخذ

الأمم يفسقون بالمأبونين ويضاجعون النساء فى الدور المقدسة . . وكان المذبح مغطى بالمحارم التى نهت الشريعة عنها . لأن الرب لم يمهل عثاينا بالأناة إلى أن يستوفى كيل الآثام كما يفعل مع سائر الأمم » (المكابيين الثانى ٦ : ١ — ١٤) .

وقد سبق أن رأينا كيف أن هيرودس الكبير أقام هياكل وثنية لعبادة الامبراطور الرومانى فى أورشليم ذاتها وكذلك فعل أبناؤه ورعاياهم اليهود الذين انغمسوا فى العبادات والعادات الوثنية، يتزعمهم فى ذلك الصديقيون والهيرودسيون ، بل الكهنة ورؤساء الكهنة أنفسهم . وكان ذلك فى ذات الوقت الذى ظهر فيه السيد المسيح .

وهكذا كان اليهود على الرغم من تشدقهم بعبادة الله ، أكثر الشعوب تمرداً على الله وكفراً به ، وقد ظلوا طوال تاريخهم يعبدون الأصنام والآلهة الوثنية ، وقد انحدروا فى هذه العبادة إلى أحط دركاتها ، ومارسوها فى أبشع صورها وأكثر أساليبها وحشية وعهارة ، حتى لقد رأينا كيف أنهم كانوا يقدمون أطفالهم ضحايا لأصنامهم، وكان نساؤهم والمأبونون من رجالهم يمارسون الدعارة فى هياكل الآلهة الأجنبية ، بل فى هيكل أورشليم ذاته ، مقلدين فى ذلك الشعوب الوثنية التى كانت تحيط بهم . بيد أنهم لم يكونوا فى ذلك مقلدين بقدر ما كانوا منساقين إلى طبيعتهم الوحشية الأثيمة ، وإلى نزعتهم الشهوانية الداعرة :

فقد كانوا — كما سبق أن رأينا — يذبحون أطفالهم أو يحرقونهم بالنار قرباناً للأصنام ، فقد جاء فى سفر الملوك أن « آحاز بن يوثام ملك يهوذا . . لم يعمل المستقيم فى عينى الرب . . بل سار فى طريق ملوك إسرائيل حتى أنه عبر ابنه فى النار حسب أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل » (الملوك الثانى ١٦ : ١ — ٣) . وجاء فيه أن يهود السامرة « كانوا يحرقون بنيهم بالنار لأدرملك وعنملك إلهى سفروايم . . لا يتقون الرب ولا يعملون حسب فرائضهم ولا حسب الشريعة » (الملوك الثانى ١٧ : ٣٠ و ٣٤) . وجاء فيه أن « منسى (ملك يهوذا) . . عمل الشر فى عينى الرب حسب رجاسات الأمم . . وعبر ابنه فى النار » (الملوك الثانى ٢١ : ١ و ٢ و ٦) . وجاء فيه أنه « فى السنة الثامنة عشرة للملك

يوشيا (ملك يهوذا) . . نجس توفة التي في وادي بني هنوم ، لكي لا يعبر أحد ابنه أو ابنته في النار لمولك » (الملوك الثاني ٢٢ : ٢، ٢٣ : ١٠) . وجاء في سفر أخبار الأيام أن « آحاز (ملك يهوذا) . . أوقد في وادي ابن هنوم وأحرق بنيه بالنار حسب رجاسات الأمم » (أخبار الأيام الثاني ٢٧ : ١ — ٣) ، وجاء فيه أن «منسى (ملك يهوذا) . . عبر بنيه في النار في وادي ابن هنوم » (أخبار الأيام الثاني ٣٣ : ١ و ٦) . وجاء في سفر إشعياء « أنتم . . يابني الساحرة نسل الفاسق والزانية . . المتوقدون إلى الأصنام تحت كل شجرة خضراء ، والقاتلون الأولاد في الأودية تحت شقوق المعاقل » (إشعياء ٥٧ : ٣ و ٥) . وجاء في سفر إرميا « اسمعوا كلمة الرب يا جميع يهوذا . . قال رب الجنود إله إسرائيل . . لا تتكلوا على كلام الكذب . . لأن بني يهوذا قد عملوا الشر في عيني . . بنوا مرتفعات توفة التي في وادي ابن هنوم ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار » (إرميا ٧ : ٢ و ٤ و ٣٠ و ٣١) . وجاء فيه « اسمعوا كلمة الرب يا ملوك يهوذا وسكان أورشليم ، هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل . . ها أنذا جالب على هذا الموضع شراً . . من أجل أنهم . . بنوا مرتفعات البعل ليحرقوا أولادهم بالنار محرقات للبعل » (إرميا ١٩ : ٣ — ٥) . وجاء فيه « هذه المدينة قد صارت لي لغضبي . . من أجل كل شر بني إسرائيل وبني يهوذا الذي عملوه ليغيظوني به هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياؤهم ورجال يهوذا وسكان أورشليم . . وضعوا محرقاتهم في البيت الذي دعي باسمي لينجسوه ، وبنوا المرتفعات للبعل الذي في وادي بني هنوم ليجيزوا بنيهم وبناتهم في النار لمولك » (إرميا ٣٢ : ٢٦ — ٣٥) . وجاء في سفر حزقيال « هكذا قال السيد الرب لأورشليم . . أخذت أمتعة زينتك من ذهبي وفضتي التي أعطيتك ، وصنعت لنفسك صور ذكور وزنيت بها . . أخذت بنيك وبناتك الذين ولدتهم لي وذبحتهم لها طعاماً . . أهو قليل من زناك أنك ذبحت بني وجعلتهم يجوزون في النار لها . . فلذلك يا زانية . . بزناك بمحبيك وبكل أصنام رجاساتك ولدماء بنيك الذين بذلتهم لها . لذلك ها أنذا . . أحكم عليك أحكام الفاسقات السافكات الدم » (حزقيال ٢٦ : ٣ و ١٧ و ٢٠ و ٢١ و ٣٥ — ٣٨) . وجاء فيه « كانت عيونهم وراء أصنام آبائهم . . أجازوا في النار كل فاتح رحم . . بتقديم عطاياكم وإجازة أبنائكم في النار تتنجسون بكل أصنامكم »

(حزقيال ٢٠ و ٢٤ و ٢٦ و ٣١) . وجاء فيه « قال لى الرب يا ابن آدم أتحكم على أهولة (السامرة) وأهوليبة (أورشليم) . بل اخبرهما برجاساتهما لأنهما قد زنتا وفى أيديهما دم ، وزنتا بأصنامهما وأيضاً أجازتا بنيهما الذين ولدتاهم فى النار أكلا لها . . ولما ذبحتا بنيهما لأصنامهما أتتا فى ذلك اليوم إلى مقدسى لتنجساه » (حزقيال ٢٣ : ٣٦ — ٣٩) . بل لقد بلغ من خلط اليهود بين شريعة الله والعبادات الوثنية أن بعضهم قدم أبناءه ذبيحة لله ذاته مع أن الله قال لهم فى شريعته « لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار » (التثنية ١٨ : ١٠) ، فقد جاء فى سفر القضاة أن يفتاح الذى كان قاضياً لليهود قدم ابنته الوحيدة ذبيحة لله.. (القضاة ١١ : ٢٩ — ٤٠).

وقد أشارت التوراة إلى اليهوديات اللاتى كن يمارسن الدعارة ليلا فى هياكل الآلهة الوثنية ولا سيما تموز وعشتاروت ، وفى النهار يشتغلن بتطريز الخيام لتلك الهياكل . كما أشارت إلى المأبونين الفاسقين من الرجال الذين كانوا يمارسون العلاقات الشاذة الداعرة فى الهياكل مع الذكور . وكانت هؤلاء العاهرات كما كان أولئك المأبونون يقيمون فى بيوت مجاورة للهياكل ، ومنها هيكل أورشليم ذاته . إذ جاء فى سفر الملوك أن « يوشيا (ملك يهوذا) .. هدم بيوت المأبونين التى كانت عند بيت الرب ، حيث كانت النساء ينسجن بيوتاً للسارية » (الملوك الثانى ٢٢ : ٣ ، ٢٣ : ٧) . وكانت عاهرات معابد الإله تموز مع سائر اليهوديات اللاتى يعبدنه ، يصنعن فى موعد معين من كل عام مناحة يبكين فيها على موت تموز ، وكان ذلك أيضا يحدث فى هيكل أورشليم ذاته ، إذ ورد فى سفر حزقيال « فجاء بى (الله) إلى مدخل باب الرب الذى من جهة الشمال وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز » (حزقيال ٨ : ١٤) .

وهكذا يمكننا القول — دون أن نتجاوز الحقيقة — بأن اليهود كانوا طوال تاريخهم منذ نشأتهم الأولى إلى مجىء السيد المسيح ، أمة تعبد الأصنام والآلهة الوثنية من دون الله ، كغيرهم من الأمم التى كانت تحيط بهم أو تسيطر عليهم ، فيما عدا فترات قصيرة كانوا خلالها يعبدون الله جنباً إلى جنب مع تلك الآلهة الوثنية باعتباره واحداً منها ، وباعتبار أن طقوس عبادته لا تختلف عن طقوس عبادة الآلهة الوثنية ، حتى فيما يتعلق بتقديم الضحايا البشرية إليه وممارسة الدعارة الدينية فى هيكله . ولذلك نبذهم الله وغضب عليهم وقضى بهلاكهم وبخراب أمتهم وزوال دولتهم إلى الأبد .



الأستاذ زكي شنوده

مراجع الكتاب

١ ـ الكتاب المقدس .

٢ ـ قاموس الكتاب المقدس .

٣ ـ التاريخ فى الكتاب . تاليف كاترين هنرى ، ترجمة الأستاذ حبيب سعيد .

٤ ـ فلسطين كما عرفها المسيح . تاليف الدكتور عزت زكى .

٥ ـ علم الآثار يؤيد الكتاب المقدس . تاليف الدكتور جون الدر ، ترجمة الدكتور عزت زكى .

٦ ـ أديان العالم الكبرى . تأليف وليم باتون ، ترجمة الأستاذ حبيب سعيد .

٧ ـ تاريخ سوريا . تأليف يوسف الياس الدبس مطران حلب .

٨ ـ تاريخ الاسرا يليين . تأليف الأستاذ شاهين اسكاروس .

٩ ـ موسوعة تاريخ العالم . تأليف لانجر ، ترجمة الأساتذة : محمد محمد الصياد ، ومحمد مصطفى الأمير ، ومحمد سليم سالم ، وابراهيم نصحى ، ومحمد عواد حسين ، وزكى على .

١٠ـ موجز تاريخ العالم . تأليف هـ . ج . ويلز ، ترجمة الأستاذ عبد العزيز توفيق جاويد .

١١ـ معالم تاريخ الانسانية . تأليف هـ . ج . ويلز ، ترجمة الأستاذ عبد العزيز توفيق جاويد .

www.christianlib.com

12. Encyclopaedia Britannica.

13. International Encyclopaedia.

14. The New International Encyclopaedia.

15. Encyclopaedia of Religion and Ethics, by James Hastings.

16. The Westminister Dictionary of the Bible.

17. History of the People of Israel, by Renan.

18. History of the Jews, by A. Graitz.

19. History of the Jews, by A.L. Sacha.

20. History of the Second Jewish CommonWealth, by S. Zeitlin.

21. The Jews, by S. Zeitlin.

22. Popular History of the Jews, by H. Greatz.

32. Social and Religious History of the Jews, by S.W. Baron.

24. The Legacy of Israel, by E. Bevan.

25. History of Jewish Literature, by M. Waxcman.

26. Egypt and Israel, by Sir W.F. Petrine.

27. The Jewish in time of Jesus, by Guignebert.

28. A Historical Background of the Old Testament, by Kathrine Henry.

29. Between the Old and New Testaments, by R. Charles.

30. A Literary Background of the Old Testament, by Kathrine Henry.

31. An Exposition of the Old and New Testament, by Mathew Henry.

32. Hours with the Bible, by C. Geikie.

33. A Companion to the Bible, by Von Allmen.

34. The Archleology of Palestine, by Albright.

35. An outline of Biblical Theology, by Miller Burrows.

36. The Reality of Religion, by Henry Van Dyke.

37. History of Religion, by Allan Menzies.

38. History of Religion, by Rainach.

39. History of Religion, by G.F. Moore.

40. Eastern and Western Religions, by Sir Radhakrishnan.

41. The Great Religions, by Clarke.

42. Eastern and Western Religions, by Sir Redhakrishnan.

43. Evolution of the Idea of God, by G. Allen.

44. The Mediterranian in the Ancient Wirld, by J.H. Rose.

45. The Mediterranian in the Ancient World. by R.J. Holland.

46. The Geography of the Mediterranian Region, its Relation to the Ancient History, by E.C. Semple.

47. The most Ancient East, by Pittard.

48. The Most Ancient East, by Childe.

49. The Ancient Empires of the East, by Sayce.

50. The Great Monarchies of the Eastern World, by Rawlinson.

51. Five Great monarchies of the Ancient Eastern World, by Rawlinson.

52. From The Stone Age Christianity, by Anchor.

53. From Trible to Empire, by Maret and Davy.

54. The Civilization of Babylonia and Assyria, by Morris Jastraw

55. The Civilization of Babylonia and Assyria by Morris Jastraw.

56. Ancient Persian and Iranian Civilization, by C. Hurat.

57. Persia, by P. Sykes.

58. The people of Asia, by Buxton.

59. The Social and Economic History of the Hellenistic World, by Rostovtzeff.

60. The Empire of the Ptolemies, by Mahaffy.

61. History of the Roman Empire, by J. Bury.

62. The Roman Empire, by M.P. Charles Warth.

63. Roman Imperialism, by T. Frank.

64. History of mankind, ey F. Ralzel.

65. Guide to World History, by Gowen.

66. The History of World civilization, by J. Richard.

67. Human History, by Elliot Smith.

68. Short History of the World, by Dr. Well.

69. Ancient Times, by Breasted.

70. History of the Ancient World, by M. Rostovtzeff.

71. The Discovery of the Ancient World, by H.F. Burton.

72. End of the Ancient World. by Ferdinand Lot.

73. Origin of the Civilization, by Sir J. Lubbock.

74. Les Peuples du L'Orient Mediterranien, par Drioton et Vandier.

فهرس

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

موضوعات الجزء التالى

٤ ـ البحار والبحيرات وموارد المياه ٠

٥ ـ الطرق التى كانت تربط بلاد اليهود بالبلاد الأخرى ٠

٦ ـ أقسام فلسطين فى أواخر عهد الأمة اليهودية :

١ ـ اليهودية ٠

٢ ـ الجليل ٠

٣ ـ السامرة ٠

٤ ـ العشر المدن ٠

٥ ـ بيرية ٠

الباب الثانى : ديانة اليهود :

الفصل الأول . أنبياء اليهود :

١ ـ رسالة الأنبياء ٠

٢ ـ أشهر أنبياء اليهود :

١ ـ ابراهيم ٠

٢ ـ يعقوب ٠

٣ ـ هارون ٠

٤ ـ موسى ٠

٥ ـ صموئيل ٠

٦ ـ داود ٠

٧ ـ ناثان ٠

٨ ـ صادوق ٠

٩ ـ جاد ٠

١٠ ـ عدو ٠

١١ ـ أخيا ٠

١٢ ـ شمعيا ٠

١٣ ـ حنانى •

١٤ ـ ياهو •

١٥ ـ عزريا •

١٦ ـ ايليا •

١٧ ـ أليشع •

١٨ ـ ميخا بن يملة •

١٩ ـ زكريا بن يهوياداع •

٢٠ ـ يونان •

٢١ ـ عاموس •

٢٢ ـ هوشع •

٢٣ ـ عوديد •

٢٤ ـ ميخا المورشتى •

٢٥ ـ اشعياء •

٢٦ ـ صفنيا •

٢٧ ـ ارميا •

٢٨ ـ ناحوم •

٢٩ ـ حبقوق •

٣٠ ـ دانيال •

٣١ ـ حزقيال •

٣٢ ـ حجى •

٣٣ ـ زكريا بن عدو •

٣٤ ـ عوبديا •

٣٥ ـ ملاخى •

٣٦ ـ يوئيل •

فهرس الصور والخرائط

تصحيح الأخطاء المطبعية

صفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	٧	عاذر	غادر
٧	١	حرار	جرار
١٠	٢٤	يسمى	تسمى
١١	٨	المرة	المدة
١٣	٩	طريقة	طريقه
١٦	١٦	نصادف	تصادف
١٩	١	وأمره	وأمر
١٩	١٢	أتم	أتم
١٩	٢٥	محى	حى
٢٠	١١	أجزاء	أجراء
٢٢	العنوان	اليهود (بالضمة)	اليهود (بالكسرة)
٢٢	٤	وأسوا	وأسسوا
٢٣	١٠	بواستطهم	بواسطتهم
٢٤	٦	لكهنة	الكهنة
٢٧	٢	أرينا	رأينا
٣٠	١٣	إاليــه	إليــه
٣٢	١١	الخبل	الجبل
٣٤	٧	ممة	نعمة
٣٨	٣	إلى قورح	إلى هلاك قورح
٣٨	٧	حدث شح	حدث حين شح
٣٩	١٩	المرآبين	المرآبيين
٤١	٣	ين	بين
٤١	٢١	ملوكهم أوى	ملوكهم
٥٣	١١	احدة	واحدة
٥٧	١٧	العرب	الغرب
٥٨	١١	فلين	فلسطين
٥٨	١٢	تبقلى	تبقى
٥٩	٥	امساة	المسماة
٦٢	٣	واستبعدهم	واستعبدهم
٦٢	٩	أعود	أهود
٦٣	١٩	رحل	رجل
٦٣	٢٠	جابر	حابر
٦٤	٢١	حيرون	حبرون
٦٥	٢٠	الأخرياب	الأخريات
٦٦	١٦	الجلماوى	الجلمادى
٦٦	١٩	نحو ١١٦٠	نحو عام ١١٦٠
٦٨	١٨	قرعاتة	فرعاتة
٧٠	٢٣	لحيرون	لحبرون
٧٥	١١	أخبره	أخبر
٧٦	٨	يلبثوا	يلبثوا
٨١	١٨	لم يقتل	لم يقتل الملك
٨٣	١٩	كول	كنول
٨٤	٢٣	نايوث	نابوت
٨٤	٢٦	التعوجة	المتعوجة
٩٠	١٢	ألف	آلفا
٩١	٩	أحيطوب	أخيطوب
٩١	١١	يهوداع	يهوياداع
٩١	١٥	صوبه ، من	صوبه ، ومن
٩٢	٢٣	عمنون	أمنون
٩٥	٦	يوباب	يوآب
٩٦	٣	يراحه	يزاحه
٩٦	٦	يهوداع	يهوياداع
٩٦	١١	ششا	شيشا
٩٨	٥	الحمر	الحجر

تابع تصحيح الأخطاء المطبعية

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٩٩	٢١	عادب	عادت
١٠٠	٨	آلمتهم	آلمتهن
١٠٢	١٥	رجبعام	رحبعام
١٠٢	١٩	حزائن	خزائن
١٠٤	١٦	الأيام ، ولما	الأيام ، ولما
١٠٥	١	الرب كل	الرب وكل
١٠٥	١٠	أخذ من	أخذ منه
١١٤	٤	أخزي	أخزيا
١٣١	١٠	كان قد ملك	وكان قد ملك
١٣١	١٦	ده الغرامة	هذه الغرامة
١٣١	١٨	يقنله	يقتله
١٣١	٢٠	أوصى	أوحى
١٣١	٢٣	هجان	هجيات
١٣٢	١٦	فلى	فى
١٣٤	٢	أسرروا	أسروا
١٣٤	٣	فيدوه	قيدوه
١٣٤	٢٣	فلة	قلة
١٣٦	١	يغرونها	يغزونها
١٣٦	٢	أوطانا	أوطانها
١٣٦	٥	نعدم	تعدم
١٣٧	٥	خطوة	حظوة
١٣٧	٩	يشطب من أول كلمة « إلى نينوى » .. إلى نهاية السطر	يضاف مكانها « من السامرة إلى موضع بالقرب من نينوى وهناك تزوج »
١٣٨	٧	الماديين مات	الماديين ثم مات

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٣٩	٢٦	فترمزا	فترمزان
١٣٩	٢٦	اقوية	القوية
١٤٠	١	تنطاعه	تقتطعه
١٤١	٨	حالف	خالف
١٤٢	٢٢	طرفكم	طرقكم
١٤٤	٦	آلاف ثلاثمائة	آلاف وثلاثمائة
١٤٦	٧	نم	ثم
١٤٨	٤	باقياً	ساقياً
١٤٨	١٦	حت	حتى
١٥٠	٤	يفضى	يقضى
١٥٠	١٢	عاصمو	عاصمة
١٥٠	٢٢	يشطب من كلمة « شخصية » فى السطر ٢٢ إلى كلمة غرباً ، فى السطر ٢٤	
١٥٢	١٨	وأخبره أن	وأخبره بأن
١٥٤	١٢	سوربا	سوريا
١٥٩	١	يهوذ	يهوذا
١٧٦	٤	الثانى	الثامن
١٨٥	٣	هوكانس	هركانس
١٩٦	٩	اليونانى	الرومانى
١٩٧	١٦	لم ينجح	ولم ينج
١٩٨	٢٢	هيرودس وأنتياس	هيرورس أنتيباس
٢٠١	٨	سنين ، بعد	سنين وبعد

تابع تصحيح الأخطاء المطبعية

صفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠٢	١١	هيروديا أهداء	هيروديا وأهداء
٢٠٢	١٣	تراخونيس	تراخونيتس
٢٠٣	١٥	اليا	واليأ
٢٠٥	٢٥	لوسوسيوس	لوسيوس
٢٠٧	٤	عاصمة	عاصمته
٢٠٨	٦	للحبال والموضعات	للحبالى والمرضعات
٢١٢	٢١	مرائى	مرائى
٢٢٣	٢٠	ورج	وخرج
٢٢٤	١٧	نوئيل	فنوئيل
٢٢٤	١٨	ف إلى	إلى
٢٤٠	٥	هاردن	هارون
٢٤١	٢	كعان	كنعان
٢٤١	١٤	لاجنبيين	الأجنبيين
٢٤١	٢٣	رتم	صرتم
٢٤٥	٢١	سمعع	سمع
٢٤٧	٢	بنوا إسرائيل	بنو إسرائيل
٢٤٧	٤	لتمردو	لتتمردوا
٢٤٨	١٠	أمركم بـ	أمركم به
٢٤٩	١٧	لم يكفوا من	لم يكفوا عن
٢٥٠	١٣	الرت	الرب
٢٥١	١٩	إلى سنة لينحن	لينحن
٢٥٢	٢٧	بـلاصك	بخلاصك
٢٥٣	١	رب	الرب
٢٥٣	٢٥	أوتمن صموئل	أوتمن صموئيل
٢٥٥	٢٠	إلى إلى الجلجال	إلى الجلجال
٢٦١	٢١	أخيأ	أخيا

صفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٦١	٢٦	تنملك	فتملك
٢٦٢	٣	جميع	جمع
٢٦٢	١٨	فيسبت	فيبست
٢٦٣	٢٣	وعمل وعمرى	وعمل عمرى
٢٦٤	١	عمرى الشر على	عمرى على
٢٦٤	١٢	كأنه وكان	كأنه كان
٢٦٤	٣	بنة أثبعل	إبنة أثبعل
٢٦٤	٢٧	البعد	البعل
٢٦٥	٢٣	المغارة بات	مغارة وبات
٢٦٦	٧	ومسح	وامسح
٢٦٦	٨	عنك : فالذى	فالذى
٢٦٦	٢١	البعل سجد	البعل وسجد
٢٦٧	١٨	إفنزل	فنزل
٢٦٨	١٣	يعدده	يعبده
٢٧٠	٢٤	الامره	السامرة
٢٧٢	٢٥	فى لك	فى تلك
٢٧٥	٢٦	لو سكن	ولكن
٢٧٦	٥	مك	ملك
٢٧٩	١٠	اتنوا	اتقوا
٢٨٠	١٤	كبات	كنبات
٢٨٠	١٥	كت	كنت
٢٨١	٤٠	وزينت	وزنيت
٢٨١	١٠١	تعطينى	تعطين
٢٨١	١٧	بخزائن	بخزائم
٢٨٢	١	نزى	نرى
٢٨٢	١٠	إلى السماء	إله السماء
٢٨٤	٢	النساه	النساء
٢٨٤	١٦	بن السبى	من السبى

تابع تصحيح الأخطاء المطبعية

صفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٨٥	١١	ردخلوا	ودخلوا
٢٨٦	١٠	وكيرون	وكثيرون
٢٨٧	١٠	فرأرا	فرأوا
٢٨٧	٢٣	ويعياقبهم	ويعاقبهم
٢٨٨	١٧	نصرائه	نصرانه
٢٨٩	٧	لذبحية	لذبيحة
٢٨٩	١٧	أنة	أنه
٢٨٩	٢٧	كيرآ	كثيرآ
٢٨٩	٢٨	أرسلت .	أرسلت
		المشيخة	المشيخة
٢٩٠	١١	المكابين الىانى	المكابيين الثانى
٢٩٠	١٨	كير	كثير
٢٩١	١٥	النطلمى	التطلمى
٢٩٢	٦	الجع با الخة	الجمع باللغة
٢٩٢	١٠	بهوه	يهوه
٣٠٦	٢٣	يدو	يبدو
٣٠٧	١٥	شريعيته	شريعته
٣١١	٢	وأنا	وأما
٣١٩	٧	ليحصه	ليحصى
٣٢٤	٧	وجاه	وجاء
٣٢٥	١٠	يطلبه .	يطلبه
٣٣٠	٦	تعاليمه	تعاليه
٣٣٧	٥	للقمر	القمر
٣٣٨	١٦	أنا إبراهيم	أنا إله إبراهيم
٣٤٢	١٢	جميمع	جميع
٣٤٢	٤٤	وولا يصح	ولا يصح
٣٤٥	٢٣	فاحترورا	فاحترزوا
٣٤٦	١١	النبر	النبر
٣٤٨	١٦	تؤمنا لى	تؤمنا بى
٣٥٠	١٣	من أل	من أجل
٣٥١	١٥	ف انضى	فرانضى
٣٦٦	١	المرغزع	المزعزع
٣٦٩	٣	غرورء	غروره
٣٦٩	١١	يعد خطيئة	بعد خطيئة
٣٨٠	٣	ذاك	ذلك
٣٨٢	٣	للرب	الرب
٣٨٤	٢٣	لعبده	لعبيده
٣٨٦	١٨	معر ة	معرفة
٤١٦	٦	كا جالسين	كما جالسين
٤١٧	١٧	الحا ات	الحاجات
٤١٨	٢٦	كمان	كمان
٤٢١	١٧	الصاهرة	الطاهرة
٤٢١	٢٧	الذهب	بالذهب
٤٢٦	٦	ال نم	الغنم
٤٢٦	٨	للرضاعة	للرضاء عنه
٤٢٩	١٢	كا	كما
٤٢٩	٢٣	الفطر	الفطير
٤٣٧	١٢	ارتحالم	ارتحالهم
٤٣٩	٧	محد آ	محدداً
٤٤٧	١٤	الأورن	الأردن
٤٤٨	١٩	سيحون	بسيحون
٤٥٠	١٨	ركن	وكل
٤٥٠	٢٤	ماك	ملك
٤٥٨	٤	أتو	أتوا
٤٧١	١	قبحث	قبحت
٤٧٣	١٢	وصاحبة	وصاحبه
٤٧٤	٩	يقتلا	يقتلان
٤٨٠	١٣	يهلكهم	يهلككم

رقم الايداع ١٩٧٣/٤٣٩٧